جامعة قناة السويس
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ والحضارة



المؤتمر الدولى الرابع

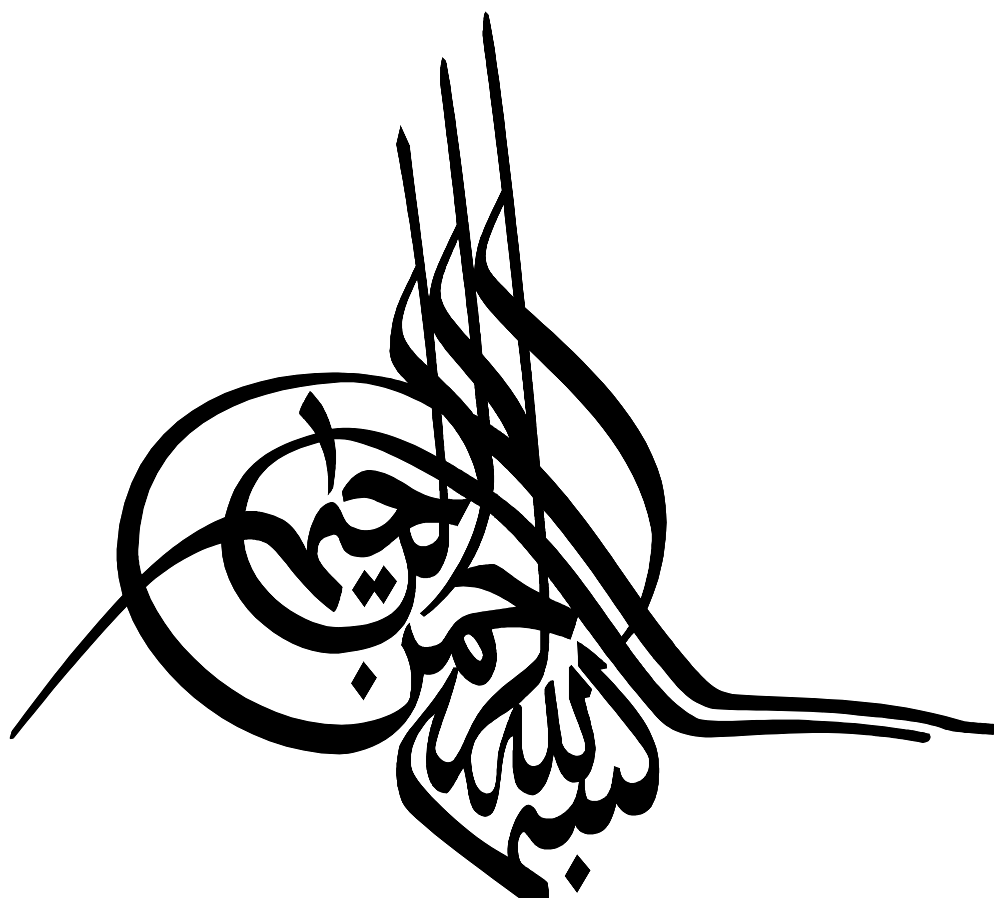
العلاقات العربية الصينية

" التاريخ والحضارة "

يومى الثلاثاء والأربعاء

الموافق ١٣- ١٤ من شهر مارس ٢٠١٢م .

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

انطلاقا من اهتمام قسم التاريخ والحضارة وعنايته بالعلاقات المصرية والعربية بالعالم شرقيه وغربيه يقوم بعقد مثل هذه المؤتمرات،ونحن اليوم بصدد إخراج بحوث مؤتمر العلاقات العربية الصينية..التاريخ والحضارة إلى النور.

لقد توثقت العلاقات بين العرب والصين منذ أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان ،فلم تكن العلاقة وليدة الإسلام فحسب بل سبقت ظهور الإسلام, وقد دل التراث الإنساني في بلاد العرب وفى أرض الصين على الأثر الفاعل والتأثير المتبادل عبر العصور ، كما دلت الآثار الحضارية التي احتفظ بها الصينيون في تراثهم على ذلك الأثر للعرب، وقد توطدت بينهما العلاقات التجارية والاقتصادية ، حتى أصبح العرب هم شركاء رئيسيون للصينيين في الميدان التجارى،وأن العرب هم واسطة التجارة الصينية إلى غرب آسيا وأوربا وإفريقيا،وتوثقت علاقات التأثير والتأثر فى شتى فروع العلم والمعرفة ،وأصبح للترجمة أيضا دور فاعل فى توطيد العلاقات،وكذلك البعثات العلمية والتبادل السياحى ،ولاتزال مجالات التعاون والجهود المشتركة موصولة ومستمرة فى دعم القضايا الدولية،وإبراز معالم حضارة الآخر ومعارفه وثقافته . من هذا المنطلق يقوم قسم التاريخ والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة قناة السويس بطباعة بحوث المؤتمر .

وانطلاقاً من أهمية التواصل بين شعوب العالم، وإيماناً منا بضرورة التعرف على تجارب الأمم والاستفادة منها يهدف هذا المؤتمر إلى :

تسليط الضوء على أهمية العلاقات التاريخية والحضارية بين العرب والصين عبر العصور المختلفة . إبراز مظاهر التأثير والتأثر بين العرب والصين في شتى فروع العلم والمعرفة.إلقاء مزيد من الضوء على دور الترجمة في توطيد العلاقات العربية الصينية.تثمين الدور الذي لعبته البعثات العلمية المتبادلة للنهوض بالمجتمعين العربى والصيني.تعظيم أهمية العلاقات التجارية والاقتصادية بين العرب والصين. إلقاء الضوء على جهود الدبلوماسية المشتركة بين العرب والصين في دعم القضايا الدولية.

نتقدم بخالص الشكر والتقديرلأصحاب المعالى والسعادة السادة الأساتذة العلماء المشاركين بالبحوث من المملكة العربية السعودية، والعراق والأردن واليمن وفلسطين والجزائر واليابان وماليزيا ، والشكر موصول للأساتذة الأجلاء المصريين المشاركين بالبحوث على تشريفهم وإثرائهم لهذا المؤتمر.

إن هذا الكتاب يضم بين دفتيه البحوث المشاركة فى هذا المؤتمر،والذى نأمل أن يكون فيه الخير والفائدة لجميع الباحثين والدارسين.

اللجنة العليا للمؤتمر:

١- أ.د/ حسن يوسف،عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
٢- أ.د/ محمد محمد فرحات قسم التاريخ والحضارة.
٣- أ.د/ أسامة السيد على قسم التاريخ والحضارة.
٤- أ.د/ محمد محمد شركس قسم التاريخ والحضارة.
٥- أ.د/ كرم حلمى فرحات قسم التاريخ والحضارة.

العلاقات الإيرانية الصينيةمن خلال المصادر الفارسية والعربية

رفعت عبد الله سليمان حسين

مقدمة

تمتد العلاقات الإيرانية الصينية منذ أقدم العصور ، وقد تكونت بتزاوج أبناء آسيا الوسطى والفرس والعرب مع أبنـــاء قوميه "هان" وقوميات أخرى في التاريخ القديم ، ويفيدنا التاريخ ان مجرى تكوين قوميه "هوى" وجذورها كان طـــويلا ابتداء من أواسط القرن السابع الهجري حيث تدفق العرب والفرس إلى الصين عن طريق الحرير البحري وطريـــق الحريـــر البري لأغراض سياسية أو تجاريه أو عن طريق التبادل الديني والثقافي .

كما توجد علاقات ثقافية وروحيه لدى الصينيين خاصة المسلمين منهم باللغة والأدب الفارسي منذ أمد طويل ، وكان وصول التعاليم الدينية في الماضى في تلك المنطقة مرتبطة باللغة الفارسية وتم تدريس عشرات الكتب الفارسية في التفســـير والاحكام والصرف والنحو العربي وكتب الاخلاق والتصوف ككتب دراسية في المدارس الإسلامية القديمة ، واليوم توجد منح لتدريس اللغة والادب الفارسي بصورة رسمية في ثلاث جامعات صينية وفي مؤسستين في طور التأســيس ، وهنـــاك جامعات تقوم بتدريس اللغة الفارسية في الصين مثل جامعة بكين حيث تم تأسيس قسم اللغة الفارسية بها في عام ١٩٥٧ م ، وكذلك في جامعة شنغهاى الدوليه في عام ١٩٩٧م وقسم اللغة الفارسية في جامعة لو يانج الـــذى تأســـس في عـــام ١٩٧٤م .

من المعروف إن أبا قتيبة حينما وصل بفتوحاته إلى حدود الصين أقسم أن تطأ قدمه أرض الصين وأرسل رســـولاً إلى خاقانها الذى سرعان ما أرسل اليه حريراً وذهباً وتراباً من أرض الصين فداس على التراب بقدمه وتراجع عن فتح الصين .وكان العرب هم السبب الرئيسي وراء وصول الإيرانيين إلى أرض الصين سواء للتجارة أو للإقامة فيها ، كمـــا ســـاهم جنكيز خان القائد المغولي في إيفاد بعض من سكان بلاد ما وراء النهر إلى أرض الصين .

تنقسم الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة المبحث الأول بعنوان العلاقات العربية الصينية ويركـــز علـــى دور العرب منذ أمد بعيد على مد جذور التواصل والتعاون مع أهل الصين من خلال التجارة ونشر الدعوة الإسلامية فى الصين .أما المبحث الثاني فعنوانه العلاقات الإسلامية الصينية وكيف كان للتجار من العرب والمسلمين الدور الكـــبير فى نشـــر الإسلام سواء من المناطق الجنوبية من خلال الطريق البحرى أو عبر طريق الحرير البرى فى المناطق الشمالية الغربية للصين .

أما المبحث الثالث فعنوانه العلاقات الإيرانية الصينية على كافة الأصعدة وأهمها العلاقـــات السياســـية ، والعلاقـــات التجارية والإقتصادية والاستراتيجية ،والعلاقات الثقافية.والغرض من الدراسة هو تسليط الضوء على مدى أهمية العلاقات الإيرانية الصينية القديمة بين الدولتين خلال العصور السالفة مروراً بالعصر الحديث.وقد اتبعت المنهج التحليلى النقدى من منظور تكاملى وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات سيتم الكشف عنها لاحقاً .

المبحث الأول

العلاقات العربية الصينية

وتنقسم تلك العلاقات إلى قسمين الأول العربية الصينية قبل الإسلام حيث امتدت تلك العلاقات إلى أزمنة سحيقة أما القسم الثانى فهو استمرار تلك العلاقات وتدعيمها بعد الإسلام وانتشاره عن طريق التجار العرب خاصـــة فى المنـــاطق الجنوبية من الصين عبر الطريق البحرى .ارتبط العرب منذ أمد بعيد بعلاقات مع أهل الصين ، وعرف العرب بلاد الصين عن طريق البحر وطريق البر وكلاهما كانا طريقى التجارة ، فقد سمع الصينيون كثيراً عن العرب ، فيما قبل الإسلام على الأقل بقرنين من الزمان كما أن العرب كانوا أسبق معرفة بالصين من الصينيين أنفسهم ببلاد العرب , كل ذلك كان على يد مجموعة من التجار العرب الذين جابوا الديار والبحار للوصول بتجارتهم إلى الصين .

ويجمع أهل الهند والصين على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة أولهم ملك العرب وهو عندهم إجماع لا اختلاف بينهم فيه وأنه ملك من أعظم الملوك وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً وأنه ملك الدين الكبير الذى ليس فوقه شئ , ومن بعده ملك

الصين ثم ملك الروم ثم بلهرا ملك المخرمى الآذان أى ملك الهند . كانت التجارة بين البحر المتوسط وبلاد الشرق الأقصى تتبع طرق أربعة أولها : يجتاز تركستان الى بحر الخزر ومن هنا تنقل البضائع إلى نصبين أو إلى طرابزون على البحر الأسود وثانيها يجتاز الهند وفارس وينتهى بنصبين أو يصل إلى سوريا . وثالثها الطريق البحرى إلى خليج فارس ثم يخترق العراق إلى سوريا . أما الرابع فيتبع طريقاً بحرياً الى مصر رأساً من البحر الأحمر .

كانت هذه الطرق الأربعة وعلى الأخص الأول والرابع نشيطة فى القرنين الخامس والسادس للميلاد وذلك لأن هذين الطريقين لم يكونا يجتازان أرض فارس(١).

وطريق البحر الأحمر كان طريق التوابل والأفاوية . ولعل جزيرة سيلان المعروفة باسم (سرنديب) كانت مركز التبادل التجارى الرئيسى بين تجار الشرق الأقصى والشرق العربى , فكان الحرير يحمل من الصين والحرير والقرنفل وخشب الصندل من الهند الصينية والفلفل من مالابار والنحاس من الهند قرب بومباى والمسك والخروع من السغد(٢).

تشير بعض المصادر إلى أن الفرس كانوا يخشون البحر ، ولكن القرائن تبين أنهم كانوا يعرفون البحر من قديم الأيام ويعبرونه فى سفن فينيقية .وقد ذكر هيرودوت أن الفرس قاتلوا فى موقعة "سالامين" البحرية أحسن من المصريين والفنيقيين(٣)

وكان دارا يريد أن تشق قناة السويس لتنشيط الملاحة وأنه فيما بعد أمر السفن بالتوجه من مصر إلى إيران ولعله أراد بذلك أن يجعل بلاده تساهم بنصيب وافر فى التجارة لوقوعها بين مصر والهند وفضلاً عن هذا كله , فإنه توجد – فى اللغة العربية – كلمات واصطلاحات فارسية خاصة بالملاحة . ويبدو أنها انتقلت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية فى عهد خلفاء العباسيين من خلال اختلاط العرب والفرس . (٤)كما روى أن دارا الأول أرسل – قبل هذا التاريخ – هيئتين استكشافيتين لدراسة البحار ؛ فأرسل هيئة من الهند إلى البحر الأحمر ثم إلى بحر المغرب عن طريق النيل ، وكان يهدف إلى أن تسود بلاده كما سادت أرض العالم ، ولم تكن هذه المهمة سهلة بالنسبة لأهل فارس القرويين الذين كانوا يعيشون بعيدين عن البحار ، حيث تفصل بينهم وبينها حدود يابسة ؛ فقبل دارا أن يعمل الملاحون – من أهل الأمم التابعة للفرس فى خدمة الدولة فأرسل فى حدود عام ٥٠٠ ق.م من يستكشفون البحار المهمة (٥) وقد ذكر هيرودوت أن الفينيقيين والمصريين والقبرصيين والسيليسيين والسوريين والبيمليين ويونانيي آسيا الصغرى والجزائر كانوا يخدمون فى البحرية الإيرانية (٦)وأدى الملاحون المصريون واليونانيون – الذين كانوا يشتغلون فى خدمة الدولة الفارسية – خدمات جليلة للملاحة – وكانت الدولة تعاملهم بالحسنى – مما شجعهم على الإخلاص فى خدمتها(٧)

وكل هذه القرائن تؤيد أن الفرس كانوا يعرفون الملاحة ، ويركبون البحر قبل الفتح الإسلامى بمئات السنين ، وإن كان من المرجح أن الملاحة – عندهم– لم تبلغ ما بلغته وسائل النقل البرى ، فلم يكونوا يملكون أسطولاً خاصاً بل كانوا يستعملون سفن الفينيقيين واليونانيين أو يستولون عليها لأغراض حربية (٨)وكان الفنيقيون – فى ذلك الوقت – متفوقين فى طى البحار وبناء السفن ، فشجعتهم إيران ، وكانت السفن تصنع فى مصانع الفينيقيين بأمر ملوك الفرس ، وكانت سفن إيران – يقول هيرودوت– أكبر وأسرع من السفن اليونانية ، ويبدو أنه كانت توجد ثلاثة أنواع من السفن، الأول

---

(١)د| نقولا زيادة : الرحالة المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربى فى العصور الوسطى ، الدار العربية للموسوعات ، ط١، ٢٠١٠م/١٤٣٠هـ ص٢٧و٢٨.

(٢)د| عبد النعيم محمد حسنين و (آخرون) : حضارة مصر والشرق القديم , القاهرة ١٩٦٩م ،ص٤٣٩.

(٣)المرجع السابق ، ص٤٤٠ .

(٤)د| نقولا زيادة : الرحالة المسلمون والأوروبيون إلى الشرق العربى فى العصور الوسطى ،ص٢٧و٢٨.

(٥)د| عبد النعيم محمد حسنين و (آخرون) : حضارة مصر والشرق القديم , القاهرة ١٩٦٩م ،ص٤٣٩.

(٦)د| عبد النعيم حسنين و(آخرون) : حضارة مصر والشرق القديم ، ص٤٣٩ و٤٤٠.

(٧)المرجع السابق ، ص٤٤١.

(٨)المرجع السابق ، ص٤٤٠.

السفن الحربية وكانت لها ثلاثة صفوف من المجاديف ، وكان الرجال يصطفون فى ثلاث طبقات ، وكانت حمولة السفينة ثلاثين ومائتى رجل كان منهم مائتان من عمال الزراعة ، وثلاثة من المحاربين ، وكانت تتقدم الأسطول فى وقت الحرب ، لأن لها مقدمة مدببة ، كانت تصدم بها سفن العدو فتحطمها .

والنوع الثانى من السفن كان لنقل الجنود والخيول (١).

أما النوع الثالث فكان صغيراً ، وكان يستعمل لنقل الأمتعة والزخيرة ، وكان الملاحون وكبار الضباط البحريين – كما ذكرت هيرودوت – من الفرس دائماً ، وكانوا يختارون من القبائل الإيرانية المختلفة ، وكان الفرس يطمئنون إلى الفنيقيين ، ويتخذون منهم مدربين لإعداد الشباب الفارسى للعمل فى البحرية ، غير أنه ليست لدينا معلومات وافية عن طريقة التربية (٢)فى العصور القديمة وكانت هرمزجان مدينة كبيرة يقصدها العرب والفرس واللغتان العربية والفارسية منتشرتان فيها وكان سكانها فى القرن السادس عشر حوالى ٥٠ ألف نسمة والأكثر كثافة بين دول المحيط الهندى . وكان الصينيون يجوبون مياه المحيط الهندى منذ العصور القديمة السابقة للميلاد وكانت سفنهم تقوم برحلات طويلة فيما بين الموانئ الصينية وموانئ الهند الغربية ومثل ذلك كان يفعل العرب ، حيث سفنهم تبحر من موانئ الخليج العربى وساحل اليمن إلى موانئ الهند الغربية وإلى ساحل جنوب الهند حيث يلتقون هناك بالتجار الصينيين ويحصلون منهم ومن التجار الهنود على بضائع الصين والهند وكان أهمها المسك والعود والفخار والحرير والورق والقرنفل وأفخر الثياب والخيزران .

ويبيعونهم بضائع الجزيرة العربية الثمينة التى كان من أهمها البخور والعطور والنحاس واللؤلؤ واللبان وثياب الكتان والعاج والعقيق اليمنى والياقوت والتمور العراقية وماء الورد والرصاص العراقى وغيرها ، وبوصول البضائع الصينية والهندية إلى موانئ الجزيرة العربية كان التجار العرب ينقلونها على متن سفنهم وعلى ظهور قوافلهم عبر شبكة من الطرق البرية والبحرية إلى بلاد فارس وبلاد مابين النهرين والشام ومصر وساحل الحبشة ،وكثر شراء العرب من التجاره بالمواد الناتجة عن جزيرتهم وتلك المستوردة من الهند والصين (٣)

كانت العلاقات غير الرسمية التى جمعت الصينيين والعرب قبل الإسلام وخلال فترة استخدام طريق الحرير القديم ، الأطر التى نشأت فيها وتطورت العلاقات الرسمية بين الشعبين العريقين، كان ثمة تواصل إنسانى بين التجار الصينيين والعرب. وتبادلات كانت تتعمق أحياناً باتخاذها أنماطاً من روابط المصاهرة والشراكة التجارية والتبادل المعرفى والدخول فى عقيدة الآخر, مما أدى إلى ظهور الصينيين المسلمين (٤)

هناك رحالة صينى يدعى"جينغ هى" عدن وشاهد الزرافة وكان الصينيون القدماء يطلقون عليها اسم "كى لين" دون أن يعرفوها لكنها موجودة فى الأساطير الصينية ومن الحيوانات المهمة فى الثقافة الصينية إضافة إلى التنين وطائر الفينيق .

و اختصرت رحلته الأخيرة بسبب العودة للاحتفال بالعاصمة الجديدة إضافة إلى ذلك فإن الزرافة "كى لين" التى احضرت إلى الصين أضفت جواً زاهياً على الاحتفال وأصبحت رمزاً لعمل خيرى.

وأما بعد الإسلام فقد كان السبب الرئيسى لاستقرار المسلمين فى الصين , يعود الى التجارة التى كانت العامل الأكبر والأهم لوجود المسلمين فى تلك البلاد ، فالعلاقات التجارية المزدهرة بين البلدين مهدت لاستيطانهم فى بلاد الصين , إذ كان للتجارة العامل الأول والأهم فى كثافة المسلمين المقيمين فى بلاد الصين , وكان ميناء " خانفو " و"كانتون" من أهم الموانى التى ازدهرت بالتجارة مع الدولة العباسية مما شجع المسلمين على تأسيس تجمعات سكنية خاصة بهم هناك

---

(١)المرجع السابق ، ص٤٤١.

(٢)د| عبد النعيم حسنين و(آخرون) : حضارة مصر والشرق القديم ، ص٤٤١

(٣)اللبان : كان اللبان ينتج فى موطنه الأصلى جزيرة "سوقطرة"العربية ، كذلك المر والذى ينتج فى شبه الجزيرة العربية وحتى الآن لم تتوفر طريقة لإنتاج البخور فى الصين ولكن منذ أكثر من ألف سنة استخدمت الصين هذه المكونات الطبية ،وأصبح المر واللبان فى صلب الطب الصينى التقليدى ، ويستخدمه الصينيون كدواء لكل أنواع القروح ، وإن معظم طرق المداواة الصينية التقليدية مصدرها الطب العربى .

(٤)مجلة الصين اليوم : مجلة شهرية تصدرها جمعية الرعاية الإجتماعية الصينية , دار مجلة الصين اليوم ، عدد يوليو (تموز) ٢٠٠٩م ، ص٥ .

.(١)نسمع كثيراً ونقرأ عن رحلات ابن بطوطة ولكن مهما سمعنا عن رحلات التاجر العمانى النظير بن ميمون الذى تاجر بين عمان والهند والصين ، و عاش فترة طويلة فى الصين ، وقلما نقرأعن رحلات سليمان التاجر الذى سافر من مسقط إلى الهند والصين ، فى تجارة ودعوة الى الله .وهناك كثير من البحارة والرحالة العرب لهم صولاتهم فى التاريخ إلا أن كتبهم لم تلق الاهتمام الذى لاقته رحلة ابن بطوطة لأنها رحلة جاءت متأخرة عنهم كثيراً ' كما أن الرحلة كانت سياحة برية وبحرية ،وهؤلاء الرحالة وإن كانت التجارة هدفهم إلا أنهم أمتعوا رجال الجغرافيا والتاريخ والانثربولوجى بكتاباتهم الوصفية للحياة اليومية للناس والسكان فى مناطق مختلفة ،وكانوا يسجلونها أو يحكونها من باب التعجب والتندر على اختلاف الطبائع والملل .

أى أن هذه الكتب هى سجل لما كان عليه الناس فى ذلك الزمن والذى مضى عليه ما يتجاوز ألف عام .وهذا الكتاب اسمه رحلات السيرافى قام بتأليفه المؤلف أبو زيد السيرافى وهو لا يحكى قصص رحلات قام بها هو بل يحكى عن رحلة اثنين من الرحالة العرب وهما سليمان التاجر العمانى(٢)وابن وهب القرشى وكلاهما عاشا فى أوائل القرن الثالث الهجرى وجمع هذا المؤلف تاريخ وقصص رحلاتهما .ونسبها الى نفسه إلا أنه أدى الأمانة وذكر أن هذه القصص رواها سليمان التاجر وابن وهب وهذا الكتاب كتبه المؤلف بعد وفاة الرحالة الحقيقيين بأكثر من مائة عام . امتلأ بالقصص الغريبة والعجيبة وحيث إن الخرافة كانت سيدة القصص والروايات فإن الكاتب حاول قدر استطاعته تنقية

الوقائع من الخرافات التى يرى أنه من الصعب التصديق بها ويقول :" أنه كتب ما يمكن تصديقه و لم يثبت فى كتابه إلا ما وافق عليه رجال ثقاة استشارهم وناقش معهم هذه القصص .

ونحن فى زماننا الحاضر نرى أن بعض هذه القصص غير معقولة ولكنه كتبها فى زمانه الذى مضى عليه الآن أكثر من ألف ومائتى عام .كما يتحدث عن الأعاصير التى كانت تهب على السفن فى المحيط الهندى وتسمى "التيفون" فى عصرنا الحالى ويتحدث عنها الجميع، ولكنه وصفها وسجلها و سرعان ما تتحول الى زوبعة تبتلع السفن(٣).

وكانت رحلة ابن وهب القرشى بعد السيرافى بنحو عشرين عاماً ، وكان من الأعيان والأثرياء ، وغادر البصرة عندما سقطت على أيدى ثوار " الزنج " سنة ٢٥٧ هجرية واستقر رأيه على القيام برحلة طويلة من سيراف إلى الصين .وكان لوصفه أهمية خاصة إذ بعد ذلك وفى عام ٢٦٤ هجرية يتم القضاء على المستعمرة العربية " كانتون " فانقطعت بذلك الصلات المباشرة بين العرب والصين و لم يتحدد اتصال العرب بالصين إلا فى النصف الثالث عشر الميلادى .

و لم يكن بناء المساجد فى الصين بالأمر الصعب وكان من أهم تلك المساجد ذلك الذى بناه المسلمون فى "كانتون" وعرف باسم " مسجد الشوق أو الحنين إلى النبى " ومن المرجح أن التجار المسلمين قاموا بتشييد تلك المساجد هناك حيث كانت كانتون أولى المدن الصينية التى استقبلت الجاليات الإسلامية بسبب موقعها المهم كميناء على بحر الصين ، فجميع المصادر التاريخية تؤكد وتجمع على أن المسلمين عاشو هناك فترة طويلة(٤).

وقد تمت تلك الفتوحات عبر الطريق البحرى إلى جنوب الصين ، وكان من نتيجة فتوحات العرب الى بلاد آسيا الوسطى أنه فى عام (٤٧ هـ-٦٦٧م) قام "محمد بن عمرو الغفارى" بعبور نهر جيحون وواصل تقدمه فى بلاد ما وراء

---

(١)التاجر سليمان : أخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين ، نشر معهد العلوم العربية والإسلامية ، طبع فى مطبعة شتراوس فى إطار جامعة فرانكفورت ، جمهورية ألمانيا الاتحادية ١٩٩٤ م ص١٣و٦٣ .

وأيضا المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، ط١، الجزء الأول، بيروت ١٩٦٥م ،ص١٥٦

(٢)عبد الله الحبشى : رحلة السيرافى ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ،٢٠٠٠م .

(٣)www.althemar.com

(٤)ابن بطوطه : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ٥ مجلدات ، تحقيق عبد الهادى التازى ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ١٩٩٧م المجلد الرابع ص١٣٩

وأيضاً يوان ، ابراهيم فنغ جين : الإسلام فى الصين ، تعريب محمود يوسف لى هواين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، ط١ ، بكين ،١٩٩١ ، ص٥٥-٥٦ .

النهر حتى وصل إلى الصغانيان واستطاع هزيمة فيروز بن يزدجرد وأجبره على العودة للصين وواصل فتوحاته , كما قام عبد الله بن زياد بن أبيه بعبور نهر جيحون وهزم جيشها الممدود من الترك الشرقيين وعقد صلحاً مع الخاتون أرملة الملك السابق .

أما قيتبه ابن مسلم فقد استطاع الانتصار على الترك وكان قائدهم "كوريغانون" ابن أخت ملك الصين ثم اتجه إلى فرغانه ثم إلى تركستان الشرقية المعروفة الآن باسم التتار الصينية وهاجم أمراء الأويغور وهزمهم ودخل كاشغر وأرسل إلى امبراطور الصين "يوانج هوانج" يطالبه بالطاعة والتقى بقواته وفتح الشاشة ثم أعاد فتحها بعد خروجها عن الطاعة .

وفى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧٢٠م) أرسل والى خراسان" الجراح بن عبد الله الحكمى " حملة إلى حدود الصين ، وفى عهد الخليفة "يزيد بن عبد الملك "عبر والى خراسان "سعيد بن عبد العزيز" نهر جيحون و انتصر على الترك الشرقيين ومنع جنوده من ملاحقتهم حتى لا يتم تدمير الزروع والبساتين ، واستطاع زياد بن صالح الخزاعى التوجه إلى حوض نهر سيحون للقضاء على النفوذ الصينى خاصة بعد سقوط دولة الترك الشرقيين ، واستطاع أبو مسلم بقيادة زياد بن صالح هزيمة الصينيين عند طراز عام (١٣٣هـ-٧٥١م) وبمقتل أبى مسلم تنتهى فترة الفتوحات الإسلامية فى الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية .(١)

وتذكر المصادر الصينية أيضاً أن رسولاً جاء من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك إلى الأمبراطور الصينى "هوان تسونج" سنة (٧٢٦م/١٠٨هـ) وتشير المصادر الصينية أيضا إلى أن العرب حلوا محل الفرس فى أوائل القرن الثانى الهجرى |الثامن الميلادى فى السيطرة على تجارة الحرير، وتذكر أيضاً أن تاجراً عمانياً أسمه "أبو عبيد الله بن عبد الله بن القام " قام برحلة إلى الصين وقد وصل إليها حوالى سنة (١٣٣ هـ/٧٥٠م) واشترى نوعاً من الأخشاب يسمى بخشب الصندل .

يتضح بعد هذا العرض للعلاقات العربية الصينية بأنها كانت علاقات وطيدة وقد طرأ عليها التحسن خاصة بعد الإسلام .

المبحث الثانى

العلاقات الإسلامية الصينية

كان طريق الحريرالواصل من أوروبا الشرقية من حدود ألمانيا والمجر عبر آسيا الوسطى حتى المحيط الهادى فى الصين ثم تفرعه حتى كوريا واليابان . قلب الطريق يتحرك من دوائر الحضارة الإسلامية فى أوج ازدهارها خاصة فى آسيا الوسطى وشمال الهند واستمر طريق الحرير ينقل إلى آسيا السلع والإرساليات ، السلاح والجغرافيون ، ويعود محملاً بالحرير والغنائم والاكتشافات الغريبة التى جعلت "جوزيف نيدهام "كبير الموسوعيين فى عصرنا ، يضع عمله الموسوعى العظيم " العلم والحضارة فى الصين" ليبرهن أن الصين كانت الرائدة حتى القرن السادس عشر فى كافة المجالات وحتى فى التسليح والصناعة والعلوم فى أوروبا فى عصر النهضة(٢)

و لم يدخل الصينيون فى صراع مع المسلمين الذين اقتربوا كثيراً من حدودهم بل استطاعوا بحكمتهم المعهودة التكيف مع الوضع الدولى الجديد والدخول فى علاقات سلمية مع المسلمين وركزوا على تطوير التجارة واستفادوا من الأمن والاستقرار الذى وفره المسلمون على مسارات طريق الحرير البرية والبحرية فانطلق الصينيون بأنفسهم ينقلون بضائعهم إلى ديار الاسلام وأخذت سفنهم تبحر شرقاً إلى الموانئ العربية فى الخليج والبحر الأحمر وساحل اليمن وحضر موت ، بالمقابل سهلوا للتجار العرب والمسلمين الوصول إلى بلادهم والإقامة بها ومزاولة التجارة فى حرية وعدل وأمان وأصبحت السفن العربية تصل إلى ميناء "كانتون" .

(١)دينا بلجيبايفا : محاولات المسلمين فتح بلاد ماوراء النهر فى عصر الدولة الأموية ، كازاخستان اليوم مجلة فصلية تصدرها سفارة كازاخستان فى ج.م.ع العدد الرابع ، نوفمبر ٢٠٠٩م .

(٢)د | أنور / اسكندر عبد الملك : المبادرة التاريخية نحو طريق الحرير الجديد ، القاهرة ،١٩٩٣م ص١٢

وتشير المصادر الصينية أيضاً أن جماعة من المسلمين قد وصلوا إلى ميناء "كانتون " فى بداية أسرة حكم أسرة "تـــانغ "(٦١٨-٩٠٧) وحصلوا من الامبراطور على إذن بالإقامة فيها واتخذوا لأنفسهم بيوتاً جميلة تختلف فى طرازها عن البيوت الصينية.امتدت الفتوح العربية الإسلامية قرنًا وبعض القرن بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وكانت متعددة النـــواحى منوعة النتائج . فقد كانت فتحاً عسكرياً امتد إلى الهند والصين شرقاً وبحر الظلمات غرباً (١)

وكان للتجار المسلمين دور كبير فى انتشار الإسلام بالصين ، حيث نزلوا بالمناطق الساحلية وخاصة فى المراكز الكبرى مثل " كانتون" " وشنغهاى " ومدن " شانتونج" حملوا معهم الدعوة الإسلامية(٢)

والتجار الذين دخلوا إلى الأجزاء الغربية من الصين بطريق البر عبر وسط آسيا قاموا هم أيضاً بدور هام فى هذا السبيل وتنقلوا فى فيافى الصين ولم يقتصروا على جهة واحدة وإنما فى جميع الجهات ، فكان انتشار الاسلام يماشى ســير الــدعاة ويختلف حسب كثرتهم وقوة شخصيتهم ومدة إقامتهم ومدى إيمانهم وعمق فكرتهم(٣).

وفى خلال قرن ونصف أى خلال الفترة من عام ٣١ وحتى ١٨٤ هجرية دخل عدد كبير من التجار العرب والإيرانيين عن طريق البحر الى الصين واختاروا الإقامة فى ميناء " كوانج تشو" وتقدموا إلى المدن الكبرى وفى النهاية وصلوا الى أقصى البقاع فى شمال الصين فى مدينة "هانج تشو" أيضا وازداد عددهم فى مدن جنوب الصين وتزوجوا من صينيات(٤).

وينتشر المسلمون فى كل مقاطعات الصين وإن كانت نسبتهم تختلف بين مقاطعة وأخرى ويرجع هذا الاخـــتلاف إلى الطرق التى دخل بها الإسلام وانتشر فى الصين وإلى سياسة الحكومات الصينية المتعاقبة نحو رغبة المسلمين فى إقامة حكومة إسلامية تجمعهم تحت ظلها، وقد دخل الإسلام إلى الصين منذ أيام الإسلام الأولى خاصة فى عهد الخلفاء الراشدين وأن أول وافد من الدولة الإسلامية إلى الدولة الصينية أوفد عام ٦٥١م فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضـــى الله عنـــه ، ثم توالت الوفود الإسلامية والتجار المسلمون من العرب والفرس متعاقبين إلى الصين فى عهد الخلفاء الراشدين أيضاً(٥).

كمازاد تأثير إيران على آسيا الوسطى بعد الإسلام ، فلم يظل تأثيرها فى العهد الإسلامى ثقافياً فقط كما كان من قبل ، فقد اتحد الإيرانيون فى فارس مع الإيرانيين فى آسيا الوسطى فى دولة واحدة لأول مرة منذ عهدى الاسكندر المقـــدونى والسلوقيين ، وجاء كثير من الإيرانيين مع العرب وتوطنوا تركستان ووقف ايرانيو آسيا الوسطى مع الإيرانيين الوافدين حديثاً على مناقب ملوك إيران القدماء . وانقرضت لغات ايرانيي تركستان القديمة ومن بينها لغـــة "الصـــغد" الأدبيـــة ، وظهرت فى مكانها اللغة المسماه الآن "تازيك " وليس بينها وبين الفارسية إلا فروق طفيفة ، ولم يكن للغة الفارسية هناك إلا خصم واحد هو اللغة التركية ،وكان صراع اللسان الفارسى ضد اللسان التركى فاشلاً فى أغلب الأحيان(٦).

وتوضح الاحصاءات أنه يعيش فى الصين فى الوقت الحاضر أكثر من خمسين مليون مسلم ، وقد ازداد نفوذ الإسلام فى الصين عن طريق الدعوة والتبليغ عن طريق المسلمين الذين سافروا إليها واختاروا الإقامة فيها(٧)

وكان إسهام الإيرانيين فى نشر الإسلام فى الصين عظيماً أيضاً ،وخير دليل على ذلك ما ذكره"داود سى تينگ"عضو القنصلية الصينية فى بيروت وقبلها كان يعمل فى جامعة المسلمين فى الصين وأتم دراسته فى جامعة الأزهر ويعد من مشاهير أدباء المسلمين فى الصين كتب فى مقالة فى مقدمة كتاب "الإسلام الصراط المستقيم" بعنوان " الثقافة الإسلامية فى الصين " أن للإيرانيين دور كبير فى نشر الإسلام ورواجه فى الصين(٨).

---

(١)د. نقولا زيادة : الرحالون المسلمون والأوروبيون الى الشرق العربى فى العصور الوسطى

(٢)محمود شاكر : تركستان الصينية ، بيروت ١٩٧٣ م ،ص٥٦

(٣)محمود شاكر : تركستان الصينية ، بيروت ١٩٧٣ م ،ص٥٦ .

(٤)داود تينگ : كتاب اسلام ، صراط مستقيم ، بكين د.ت ص٤٢٠-ص٤٢٣ .

(٥)لوثروب ستودارد :حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ،٤ أجزاء ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص١١٩

(٦)و.بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ترجمة د| أحمد السعيد سليمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٦م ص٥٨

(٧)داود تينگ : اسلام ، صراط مستقيم .

(٨)داود تينگ : اسلام ، صراط مستقيم .

وكان لرجل يدعى "سعد" الفضل فى الحصول على الموافقة بإنشاء أول مسجد فى مدينة چانگان ، وكان بناء هـذا المسجد يمثل حدثاً عظيماً فى تاريخ الإسلام(١)وبدأ المسلمون بعد أن وطدوا حكمهم فى آسيا الوسطى يفيدون من طرق التجارة القديمة ، وتحدثنا المصادر الصينية بأن قوافل المسلمين التجارية كانت فى القرن الثامن تصل إلى "القيرقيز" ، مارة من بلاد "القارلوق" إلى أعالى نهر ينيسى وفى المصادر الإسلامية معلومات عن الطريق المؤدى إلى هؤلاء القيرقيز ، لكن المصادر الإسلامية تذكر أن العرب كانوا أكثر اهتماماً بالطريق المؤدى إلى الصين ، ولهذا كثرت المعلومات فى المصادر الإسـلامية عن هذا الطريق وعن الأقوام التركية القاطنة بمحاذاته . وتذكر المصادر الصينية أن التجار المسلمين كانوا منذ سنة ٩٢٤م يترددون على بلاد المغول ، كما أن المصادر الإسلامية لا تذكر شيئاً عن الفترة السابقة على حكم جنكيزخان(٢).

ومن المحتمل أن العرب والفرس هم من تعلموا اللغة الصينية وأتقنوها رغم وجود بعض الصينيين الذين أتقنـوا اللغـة العربية ، فكان يوجد المطربون الذين يغنون بالصينى وبالعربى وبالفارسى (٣).حمل التجار الايرانيون والعرب الحرير والسلع والسلع المصنوعة والأوانى الخزفية وسائر الأمتعة التجارية من الصين الى الشرق الأوسط وأوروبا.(٤)وفى عودتهم كـانوا يجلبون معهم النباتات الطبية والأدوية واللؤلؤ وسائر المنتجات من تلك المناطق إلى الصين ، وفى حقيقة الأمر لقد سـاهم هؤلاء التجار بدور الوساطة من خلال نقل التجارة وجلب النفع لباقى المسلمين من أجل التجارة ونشر الدين إلى بـلاد الصين ودخلت مجموعات جديدة من المسلمين إلى الصين وزادت بواعث جموع المسلمين فى الشمال الغـربى والجنـوبى الشرقى للصين .(٥)وفى الأجزاء الشمالية من الصين كان يتم نقل المنتجات عن طريق قوافل البغال

والجياد والجمال ، وعبر امتداد "نهريانگ تسه "و "هوايهو" وجنبات الأنهار المتشبعة من النهر.

كان يتم أخذ وجلب الغلال عن طريق المسلمين ، وحتى اليوم تستخدم المصطلحات والأرقام الفارسـية فى التبـادل التجارى كدليل بارز على تفوق المسلمين الأوائل فى تلك المناطق(٦)ولم يكن معلوماً على وجه الحقيقة ما هـو تـاريخ دخول الإسلام إلى الصين ، لكن الثابت أن جماعة من التجار الخوارزميين وتجار سمرقند وبخارى قد تواجدت هنـاك فى القرون الأولى للإسلام ،وفى عصر خوارزمشاه خاصة "علاء الدين خوارزم شاه "قد سقطت كل من التركستان "واترا" فى يده ،وازداد ذهاب ومجيئ الإيرانيين إلى أرض الصين ، وبعد هجوم المغول وسيطرتهم على إيران ، سكنت جماعة كبيرة من الإيرانيين أرض الصين ، ثم قام جنكيز خان بعد ذلك بتخريب مدن خراسان وأمر بنقل أرباب العلوم والمعارف وأصحاب الحرف والصناعات الدقيقة إلى الصين ومنغوليا حتى يقوموا بتدريس أهل الصين العلوم ويقومون بتعريفهم بالفنون المعمول بها فى إيران ، وقام الإيرانيون إضافة إلى الفنون المعمول بها بتعليمهم الدين والعقيدة أيضاً(٧).

وبتلك الصورة وجد الدين الإسلامى المقدس طريقه فى الصين عن طريق الإيرانيين فى إطار الإرشاد ، وألفـت كـل الكتب الدينية الخاصة بالمسلمين أيضاً فى الصين باللغة الفارسية(٨). وهناك عدة عوامل ساهمت فى انتشـار الإسـلام فى الصين انتشاراً سريعاً فى سهولة ويسر منها :

تجارة المسلمين هى سبب دخول الإسلام فى الصين الأصلية فى عهد أسرة "تان"(٦١٨-٩٠٥م) وازدهار الإسـلام فى عهد أسرة "سون" (٩٦٠-١٢٧٦م) وأسرة "مين " (١٣٦٨-١٦٤٣م)الفتوح الإسلامية وهى سبب آخر لانتشار الإسلام

---

(١) المرجع السابق

(٢)و. بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ،ص٥٩

(٣)ابن بطوطة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ، المجلد الرابع ،ص١٤٧.

(٤)دا ود سى تينگ : اسلام ،صراط مستقيم ، ص٤٢٤ .

(٥)المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٦)دا ود سى تينگ : اسلام ،صراط مستقيم ، ص٤٣٢ .

(٧)مرتضى مطهرى : خدمات متقابل اسلام وايران ، انتشارات صدرا ،جاب بيست وششم ،اسفندماه ١٣٧٧هـ.ش ، ص٣٤٣ .

(٨)د/ رأفت غنيمى الشيخ و(آخرون) : تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ، دار العلوم الإنسانية والإجتماعية، الزقازيق ،طبعة عام ٢٠٠٤ م ،ص١٤

سكان مقاطعة "سينكيانج" أو "التركستان الصينية" فى عهد أسرتى "سون" و"مين" فضلاً عن أنها كانت سبباً فى إسلام التركستان "الروسية فى عهد أسرة" "تان" وتناسل المسلمين هو سبب ازدهار الإسلام وازدياد المسلمين فى الصين الأصلية بعد أسرة "يون" (١٢٧٧-١٣٦٧ م) وأسرة "مين" التى تلتها .

وكان اختلاط الكافرين – الوثنيين – بالمسلمين وتأثرهم بآدابهم هو سبب آخر لإسلام أبناء التتار فى التركستان الصينية والروسية (١).وشراء المسلمين لأولاد الصينيين الوثنيين ويربونهم على الإسلام فيصبحوا متمسكين بالدين الإسلامى ، ومما يدل على ذلك أنه فى ثورة البوكسر التى جرت عام ١٩٠٠م والتى قتل فيها ألوف المسيحيين ونهبت أموالهم وبيعت نسائهم ، اشترى مسلمو "نينغ هسيا" عدداً كبيراً منهم ، وبعدها صار يسعى مطران منغوليا لاستردادهم ، ولكن رفض أغلبهم الردة بعد أن عرفوا الإسلام وذاقوا حلاوة الإيمان .

ولجوء مسلمى الصين إلى الزواج بالصينيات والوثنيات , وهم يرغبون من ذلك إلى نشر الإسلام لعل الله يشرح صدور زوجاتهم للإسلام (٢).وتذكر المصادر العربية أن" فيروز بن يزدجرد" ابن ملك الفرس طلب مساعدة امبراطور الصين فى صد غارات جيوش العرب المسلمين الذين استولوا على بلاده وقتلوا أباه وأن امبراطور الصين اعتذر له ولم يقدم له العون العسكرى الذى طلبه محتجاً ببعد المسافة واكتفى بإرسال سفن من قبله إلى المدينة ليشرح قضية فيروز وقيل إن الخليفة الراشد عثمان بن عفان أرسل أحد قواده لمرافقة السفير الصينى فى عودته سنة ٨٥١م ، وأن امبراطور الصين أكرم وفادة القائد المسلم .

أما المصادر الصينية فقد ذكرت المسلمين لأول مرة فى بداية القرن السابع الميلادى حيث أشار مؤرخوا الصين فى ذلك القرن إلى الدين الجديد الذى ظهر فى مملكة المدينة . كان أول خبر عن وصول الإسلام إلى الصين من خلال رسالة "وهب أبى كبشا" فى العام السادس من الهجرة من قبل خليفة المسلمين ، ومنذ ذلك التاريخ تم الاتفاق على بناء أول مسجد فى مدينة "كانتون " بأمر من خاقان الصين فى عام تسعين من الهجرة النبوية الشريفة ، ثم جاء داع عن طريق البر إلى " سينجانفو" واستوطن ما يقرب من نحو ألف مسلم ، فى "شن سى " (٣).

وفى عام ١٣٨ هجرية، غادر أربعة آلاف محارب من قبل الخليفة أبى جعفر المنصور لمساعدة الحكومة الصينية لصد غارات المغول ، كما انتشر التجار العرب فى الموانئ الصينية مع الصينيين ، وفى العصر المغولى هاجر عدد كبير من المسلمين إلى مملكة السماء ، وذهب شخص يدعى "عمر" من أهل بخارى صوب قليل من الهج فى مدينة "يون نان" من أجل أقناعهم بالدخول فى الإسلام وقد لبوا نداءه . ويمكن القول إن ما يقرب من عشر سكان الصين من المسلمين وهم يتكلمون اللغات الصينية والتركية والفارسية والعربية بالترتيب وحسب المناطق التى يعيشون فيها (٤).

وحتى اليوم نجد أن المسلمين يكثرون فى مقاطعات " كانسو" وهونان" و"شانتونج" و"هابى" إضافة إلى التركستان ومعظم سكانها من المسلمين (٥)وينقسم مسلمو الصين إلى قسمين ، مسلمو " سينكيانج" الذين يلقبون بمسلمى العمامة ويطلق على مسلمى الصين "هان" ، ويستخدم مسلمو "هان" فى شئونهم الدينية عبارات عربية وفارسية وخاصة الفارسية فى التراكيب الخاصة(٦).

---

(١)المرجع السابق ، ص١٤.

(٢)محمود شاكر : تركستان الصينية ، ص٥٦-٥٧ .

(٣)حاج مهديقلى خان هدايت (مخبر السلطنه) : سفر نامه مكه ، تصحيح محمد دبير سياقى ، تهران ١٣٦٨هـ .ش ص١٠٣-١٠٤

(٤)محمود شاكر : تركستان الصينية ،ص٩٠ .

(٥) المرجع السابق، ص٥٦

(٦)داود سى تينگ : اسلام ، صراط مستقيم ، ص٤٣٧

ويقال إن أول مسجد قد أسس فى الصين عام ٧٤٢ ميلادية عن طريق شخص من أصل إيرانى فى مدينة "جـــانج آن" عاصمة الصين حينئذ ، ثم بنى مسجد آخر فى " كانتون" ، ثم ثالث فى بكين ، ويقدر عدد المساجد فى الصين اليوم ما يزيد على٢٣ ألف مسجد منها أكثر من ٥٥ مسجداً بالعاصمة بكين (١).

لقد مارس المسلمون فى الصين كافة حقوقهم بإقامة احتفالاتهم الدينية ، حيث يحتفلون بالعيدين الصغير " المسمى "عيد الفطر " و"الكبير " عيد الأضحى(٢) . فعيد الأضحى يترجم إلى اللغة الصينية ب"تسايشنغ" أى عيد نحر الذبائح ، وعشية العيد فى يوم الوقفة تقوم الأسرة بالتنظيف الشامل لبيوتها وتنهمك فى خبز الكعك وسائر الأطعمة الشـــهية ، وفى العيـــد تنحر الأسر الميسورة خروفاً بل إن بعضهم ينحر بقرة أو حملاً للضيوف ، أمـــا العيد الصغير فيعـــرف باســـــم " عيـــد روزه" وروزه كلمـــــة فارسية تعنىالصوم (٣)وكذلك يتم الاحتفال بذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم(٤)

وهناك فترة حل فيها اضمحلال بطئ كانت بدايته بعض الأحداث الدبلوماسية المؤسفة فى طشقند التى أدت إلى صدام بين الجيش الصينى والإسلامى على نهر طلاس عام(١٣٤هـ| ٧٥١م) فى واحده من أكثر المعارك حسماً فى تاريخ العـــام ، حيث انجلت عن هزيمة مدوية للصينيين وانتصار كاسح للمسلمين وضع حداً لتوسعهم شرقاً بانتزاع التركستان الغربيـــة (جزء من ولاية سينكيانج الحالية) داخل الصين ، وكانت هزيمة حكام "تهانج "بمثابة الضوء الأخضر لبعض البلاد الداخلية فى إطار الإمبراطورية الصينية المترامية الأطراف لتسعى إلى استقلالها ومنها أهل التبت الذين أصبحوا مثار تهديد لكل مـــن الصين والممتلكات الإسلامية فى آسيا الوسطى مما أدى إلى قيام حلف عربى صينى بين الإمبراطوريـــة المســـماه " تهـــانج" وهارون الرشيد ، تلتها فترة من الاستقرار النسبى وتواصل بعد ذلك التوحيد التى حققته أسرة " تهانج" لمدة تربـــو علـــى القرن (٥).

وبالطبع تأثرت "هوى" بثقافة قومية "هان" كثيراً فتستخدم لغة الهان اللغة الصينية تحدثاً وكتابة مع حفاظها على بعض الألفاظ العربية ، ويؤمن أبناء قومية هوى بالإسلام الذى ترك أثراً عظيماً فى تكوينهم وعاداتهم وتقاليدهم والحفاظ علـــى الآداب والفنون والشرائع الدينية (٦).ومن المعروف أن ملك الصين قد بعث إلى السلطان" محمد تغلق " بهدية قيمة وطلب وطلب إليه أن يأذن له بإعادة بناء معبد بوذى فى موضع "بسمبل" وإليه يحج أهل الصين وتغلب عليه أهل الإسلام بالهنـــد فخربوه وسلبوه.

فاعتذر "محمد تغلق "عن عدم إمكانه السماح ببناء معبد بوذى فى أرض الإسلام وأراد أن يرضى ملك الصين ، فقرر أن يرسل له هدية عظيمة القدر يحملها إليه وفد يرأسه ابن بطوطة الجرئ الذى لايخاف البحر ، وعين السطان معه للسفر بالهدية الأمير" ظهير الدين الزنجانى " وهو من فضلاء أهل العلم وبعث معه الأمير الفارسى "محمد الهروى" أيضاً ، وقد أمر لهم ملك الصين بالضيافة مدة السفر ببلاده .(٧).

المبحث الثالث

العلاقات الإيرانية الصينية

وينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام هى العلاقات السياسية والعلاقات الاقتصادية والاستراتيجية والعلاقات الثقافيـــة نبدأ بالعلاقات السياسية : فقد حاول الفرس منذ عصورهم القديمة مزاحمة العرب

---

(١)ابراهيم نافع : الصين معجزة نهاية القرن العشرين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى ، القاهرة ،١٩٩٩م ، ص١٦٦

(٢)سليمان التاجر : أخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين ،ص١٤.

(٣)شينغ، تشى : العادات الشعبية فى الأعياد الصينية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة الأولى ، بكين، ١٩٩٠ ص١٤٢و١٤٧ .

(٤) جمال محمد عبد المنعم : المسلمون فى الصين" الملف الضائع "، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٩٥ ، ص١٧٩ .

(٥)د| رأفت غنيمى الشيخ و(آخرون) : تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ، ص١٤٢-١٤٤

(٦)الصين : منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ١٩٥٨-١٩٩٨م ، دار النشر الصينية عبر القارات .

(٧)د| حسين مؤنس : ابن بطوطه ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل)،مطبعة دار المعارف ، القاهرة د.ت ص١٦٦،١٦٥ .

على منافع التجارة كما أن الفرس فى العصور التالية استطاعوا فرض سيطرتهم على تجارة الصين والهند المارة بـالخليج العربى ولكن سيطرتهم لم تحرم العرب من المشاركة الفاعلة فى حركة التجارة نظراً لخبرتهم الطويلة ومعرفتهم الواسعة ببناء السفن والإبحار فى مياه المحيط الهندى ولحاجة الفرس إلى موانئهم التى كانت تمثل نقطة الانطلاق لمراكب الهند والصين .

وفى وقت مبكر دخلت إلى الصين ديانات أجنبية "كالزرادشتيه " وهى ديانة فارسية أسسها زرادشت فى القرن السادس قبل الميلاد ،و قامت على الإيمان بوجود صراع بين الخير ممثلاً فى الإله آهورا مزدا ، وآخر للشرممثلا فى الروح الشريرة "اهريمن"(١)

والصينيون يذكرون فى التجارة والوقائع بينهم وبين الإيرانيين نادرة ولكنهم يلبسون بالتورانيين كثيرا وأما العرب فأجانب أعداء يمثلهم الضحاك أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التى دمرت إيران ، ولكن لهم مع هذا صلات صهر ومودة وهذا يتجلى فى العهد القديم فى تزاوج ثلاثة أبناء أفريدون بثلاث بنات (٢).

وهناك قصة لقيصر الروم وخاقان الصين مع بهرام مفادها أن الهياطلة الذين سماهم الصينيون " يتها " وسماهم الرومان ephathalitier ، أو الهون البيض والظاهر أن الهياطلة هم الذين ذكروا هنا فى قصة خاقان الصين ، وقال صاحب الكتاب ثم تواترت الأخبار واستفاضت فى بلاد الروم والهند وممالك الترك والصين بإقبال بهرام بكليته على اللعب واللهو وإهماله لأمر الجيش(٣).

هناك معرض للأحصنة كان يقام فى مدينة شيراز التى تبعد نحو٦٠٠ كيلو متراً عن ميناء "هرمزجان" بحسب المؤرخ "شى لو" فإن الأحصنة الفارسية والخزف الصينى كان يعد من أهم البضائع التى تباع وتشترى فى هذا المعرض بين الإيرانيين والصينيين(٤).

مع بداية حكم سلالة منغ وقعت الحرب بين الامبراطورية الصينية ومنغوليا وأصبحت الحاجة ملحة إلى الأحصنة أرسلت أعداد من الأحصنة الفارسية إلى الصين إما براً أو بحراً لكنها ماتت جميعاً لأن الطقس لم يلائمها فى الصين.ولاشك أن السلاجقة الذين حكموا بالإسلام إيران ، قد اتسع ملكهم على أيام ملكشاه فامتد من حدود الصين إلى حدود الشام ، ومن أقصى بلاد المسلمين شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً(٥).أما الوزير نظام الملك الطوسى فقد كافأ جنوده الذين بلغ قوامهم وتمكن بواسطة جيشه من أن يمد نفوذه إلى بلاد التتار والصين(٦).إذا كانت غارات المغول فى شرق العالم وغربه سبباً فى البداية فى خلق التطاحن بين الفرس والعرب من ناحية ، وبين الصينيين وأهل التبت من ناحية أخرى ، فإنها كانت كذلك سببا فى إيجاد التوافق والتعاون بينهم (٧).

دخل الإسلام إلى شمال الصين بواسطة الترك فى عهد جنكيز خان وحلفائه حيث لم يعبأ بالدين وكان يجمع حوله إناس من جميع الملل والنحل ودخل فى جنده كثير من الترك والأفغان والباتان والفرس والعرب(٨)وبعد أن قام جنكيز خان بإنهاء

---

(١)د| جاد طه : تاريخ آسيا الحديث ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ،١٩٨٤م ص٢١٨

(٢)أبراهيم عزوز و(آخرون) : أساطير الشعوب (مغامرات الأمير اسفنديار) ،المجموعة الرابعة فارسية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة د.ت

(٣)ابو القاسم الطوسى : الشاهنامه، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق د/عبد الوهاب عزام ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ م ص٧٩

(٤)المرجع السابق ، ص٩٢-٩٣

(٥)ادوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى أيران من الفردوسى الى السعدى ، الجزء الثانى ، نقله الى العربية د| ابراهيم أمين الشواربى ، مطبعة العادة بمصر ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص٢١١ و٢١٢

(٦)المرجع السابق ، ص٢٢٨

(٧)المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٥٦٣ .

(٨)لوثروب ستودارد : حاضر العالم الأسلامى ، ٤ أجزاء ، ترجمة حجاج نويهض ، بيروت ، ١٩٧٣ م ص٢٧١ .

بإنهاء فتوحاته عقد مجلس شورى المغول عام (٦٢١ هـ| ١٢٢٤ م) وفيه قسم مملكته الجبارة بين أبنائه(١).وقد تساوى كل من إيران والصين فى البلاء الذى أصاب كل منها جراء غارات جند جنكيز خان عليهما (٢).

يقول "الجوينى" إن جنكيز خان ذلك القائد المغولى الذى فتح بلاد المسلمين والصين قد جعل فدية المسلم أربعين مثقال من الذهب وفدية الصينى ثمن حمار واحد فقط ، فى حين تقول مصادر أخرى بعكس ذلك تماماً ، فتؤكد أن جنكيز خان اختار كثيراً من المسلمين حكاماً له ببلاد ما وراء النهر وخراسان ، وعهد إلى كثير من البوذيين بأعمال ديوانه و أن حفيده قوبيلاى خان قد بعث بالنصرانى الأجنبى ماركوبولو فى سفارة خاصة له من داخل الصين إلى كرمان(٣)

ونجد اليوم أن المسلمين يكثرون فى مقاطعات " كانسو " " وهونان " و"هونان " وشانتونج و"هابى " إضافة إلى تركستان التى معظم سكانها من المسلمين(٤)ثم خرج هولاكو من صحراء قراقورم فى سنة مزوداً بتعليمات مشددة بأن يستأصل شأفة الحشاشين فى" ألموت "وكان يصطحب فى حملته عددا كبيرا من المهندسين ورجال المدفعية من أهل الصين ليستعين بخبرتهم فى أعمال الهجوم والمحاصرة (٥).

وفى سنة (٦٧١ هـ/١٢٧٢م)استعان " قوبيلاى خان " باثنين من المهندسين الإيرانيين فى حصار " فان شنج " بالصين وكان أحدهما يدعى " علاء الدين " والآخر يدعى اسماعيل، وعندما خرج هولاكو خان فى حملته على بغداد فى سنة(٦٥٠ هـ/ ١٢٥٢م) جلب معه ألفان من مهندسى الصين ليقيموا له المنجانيق وآلات الحصار، كمااستعان المنجم الفارسى المشهور والمعروف نصير الدين الطوسى بجماعة من المنجمين الصينيين فى عمل الزيج الذى قدمه إلى هولاكو خان سنة (٦٥٨ هـ/١٢٥٩م)(٦).

وبعد اتساع الامبراطورية المغولية التى بلغت أوجها فى عهد قوبيلاى خان (٦٥٩-٦٩٤ ه/ ١٦٢٠-١٢٩٤م) تمكن ماركوبولو من القيام برحلته الخالدة فى أرجاء هذه الامبراطورية الشاسعة التى لم تبلغها امبراطورية أخرى وكانت تتضمن الصين وكوريا والهند الصينية إلى حدود إيران وآسيا الصغرى والقرم وجزءاً كبيراً من روسيا(٧)

(ب) العلاقات الثقافية بين إيران والصين :

وترتبط الصين بعلاقات ثقافية وطيدة مع إيران ، حيث أن المسلمين الصينيين على دراية تامة باللغة الفارسية وأن محافظة "شين جيانغ" بالذات لها قواسم مشتركة مع ايران بسبب قربها من البلاد ،وذكر مدير اللجنة الصينية فى محافظة "سينكيانج" جانغ تشون شيان" أن بلاده تدبلج الأفلام الإيرانية إلى اللغة الصينية مشيراً إلى أنها تنال إعجاب المشاهد الصينى هناك ، كما أشار إلى دبلجة الفيلم الإيرانى أبناء السماء" بجه هاى آسمان " إلى اللغة الصينية وأنه حظى بترحيب الجماهير الصينية وتم الاتفاق على تنظيم مؤتمر للعلاقات الثقافية بين إيران والصين(٨).

---

(١)ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر ، ترجمة د| أحمد محمود الساداتى ، مراجعة د| يحى الخشاب ، القاهرة ١٩٦٥ م ص١٧٩ .

(٢)ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى منذ أقدم العصور وحتى العصر الحاضر ، ترجمة د| أحمد محمود الساداتى ، مراجعة د| يحى الخشاب ، القاهرة ١٩٦٥ م ص١٧٩ .

(٣)ادوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، ج٢ ، ص٥٦٨ و ج٣ ص٢٦٥ .

(٤)ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ص١٨١ و١٨٢ .

(٥)محمود شاكر : تركستان الصينية ، بيروت ١٩٧٣ م ص٥٦ .

(٦)براون : تاريخ الأدب فى ايران ، ج٢ ، ص٣٨٩وج٣ ص٢٦٥

(٧)المرجع السابق ، ص٥٦٩.

(٨)ابو القاسم الفردوسى : الشاهنامه ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق د| عبد الوهاب عزام ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ م ص ٧٨ .

وفى عام (١٩٥٧م | ١٣٣٦ هـ. شمسى) ، بدأ تدريس اللغة الفارسية على مستوى الجامعات الصينية وذلك فى قسم اللغة الفارسية بكلية الدراسات الشرقية بجامعة بكين بهدف تأمين احتياجات القوات الامنية مختلف الأجهزة بالدولة (١)

وتم إنشاء فصل لتدريس اللغة الفارسية فى جامعة "نانجينج" بالصين بدعم من المستشار الثقافى الإيرانى وتدرس اللغة الفارسية وآدابها بالجامعات الصينية بأقسام اللغة الفارسية بكليات المشرق بأربع جامعات هى **جامعة بكين** وقد تم تأسيس قسم اللغة الفارسية فى عام ١٩٥٧م و قبول العديد من الطلاب(٢).

وقسم اللغة الفارسية بجامعة شنغهاى الدولية افتتح هذا القسم فى عام ١٣٧٦هـ. شمى على أساس الإتفاقية التى وقعت بين جامعة بهشتى بطهران مع جامعة شنغهاى وفى جامعة لويانج : تم تأسيس قسم اللغة الفارسية فى عام ١٩٧٤ م ويدرس الآن طلاب اللغة والأدب الفارسى ، كما يتم تدريس اللغة للجيش وأفراد الأمن الصينيين ويوجد بالمكتبة ما يقرب من ستمائة كتاب فى اللغة الفارسية ومنها كتب فى الديانات وتاريخ إيران والجغرافيا .

كما تدرس اللغة الفارسية فى التعليم الإبتدائى والتربية ببكين ويوجد قسم اللغة الفارسية فى سينكيانج حيث وافقت جامعة مدينة "ارومتشى" بتدريسها للطلاب(٣).وقام سينج بينج شون " بكتابة مقال فى إطار التبادل الثقافى بين الصين وإيران بعنوان " المكانة البارزة والتاريخية لأربع شخصيات فى الثقافة الإيرانية "، بمناسبة بداية نشر كتاب" كنوز الآثار الكلاسيكية(٤)

ويقوم أساتذة اللغة الفارسية بالجامعة بالترجمة والتحقيق فى هذا المركز وحتى الآن تم ترجمة عشرات الكتب الأدبية والتاريخية المتعلقة بإيران والثقافة الايرانية كما ترجمت الحكم والأمثال الإيرانية إلى اللغتين الصينية والإنجليزية كما ترجمت شاهنامة الفردوسي والمثنوي المعنوى(٥).

وأول هؤلاء الشعراء هوميروس إيران وهو أبو القاسم الفردوسى الطوسى حيث قام أحد الكتاب الصينيين بتأليف كتاب بعنوان " شرح مختصر حول الأدب " يتعلق بالشاهنامه ومؤلفها الفردوسى

كما ترجمت قصة رستم وسهراب من اللغة الروسية إلى اللغة الصينية .كما ترجم الگُلستان والبوستان لسعدى الشيرازى ،وقام أحد العلماء الصينيين بترجمة كتاب الگلستان إلى اللغة الصينية(٦).

وفى عام ١٩٨٥ م وفى ذكرى الشاعر سعدى قام السيد "شوى جيان فو" بترجمة الكلستان من اللغة الإنجليزية إلى الصينية ، كما قال " زنك زن دوو " فى كلمته عن سعدى " إن سعدى هو هدف الصداقة الإنسانية الكبرى وذلك خلال مؤتمر مصادر الثقافة الصينية فى ذكرى تأبين الشاعر سعدى .

وكان ثالثهما الشاعر الصوفى مولوى ورابعهما الأستاذ البارز فى الغزل حافظ الشيرازى (٧) ثم قام فضيلة الشيخ " وانغ جينغ تشاى " دون أن يسعى وراء الجاه والمال بترجمة أول ديوان شعر روائى للشاعر سعدى الشيرازى ، كما قام

---

(١)سخن عشق : گروه اجرايي گسترش زبان فارس ، سال سوم ، شماره سوم ، ايتسان ١٣٨٠هـ. شمس ، شماره پيايي ١٣ ، ص٩٦ و ص٩٧ .

(٢)فضلنامه ى عشق نامه : گروه اجرايي گسترش زبان فارسى ، سال اول ، شماره سوم ، تهران ١٣٧٨ هـ.ش

(٣)المرجع السابق ، ص٩١ .

(٤)فصلنامه ى سخن عشق : مجلة سازمان فرهنگ وارتباطات اسلامى ، سال هشتم ، شمأره سوم ، تابستان ١٣٨٥ هـ.ش ، ص٢٠٣ .

(٥)سخن عشق : گروه اجرايي گسترش زبان فارسى ، اخبار و گزارشها ، سال سوم ، شماره سوم ،تهران شماره پيايي ١٣ ، ص ٩٧ – ١٠٠ .

(٦)سخن عشق : گروه اجرايي گسترش زبان فارسى ، اخبار وگزارشها سال سوم، شماره دوم ، بهار١٣٨٠هـ. شمسى، ص٩٩-١٠٢

(٧)محمود يوسف لى هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة فى الصين ،تعريب محمود يوسف لى هواين ، طبعة دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، الصين ١٩٩٣م .ص١٥٧

بترجمة أول ديوان شعر فارسى منقول إلى إللغة الصينية ،كما راجع عدداً من تفاسير القرآن الكــريم بـــاللغتين العربيـــة والفارسية (١).

وهناك شخصية إسلامية صينية أخرى تدعى "بانغ شى تشيان" الذى استقى معلوماته من أوثق المصادر العربية والصينية مع مقارنتها بما كتبه الألمان والإيطاليون والانجليز والفرنسيون والأتراك والفرس وغيرهم (٢).كما كان هناك الإمام الوطنى الشيخ " هاده تشنغ"من كبار علماء الإسلام فى تاريخ الصين الحديث فلم يكتف بدراسته اللغتين العربية والفارســية بـــل درس الانجليزية والأوردية ، وكان يرتجل المواعظ يوم الجمعة بالعربية والفارسية والإنجليزية الأوردية(٣).

وللتواصل الروحى والثقافى لشعب الصين وخاصة المسلمين علاقة قديمة وطويلة باللغة الفارسية من خلال نشر أصول التعليم الدينى فى هذه البلاد ، وقد تم تدريس عشرات الكتب الفارسية فى التفسير والأحكام والصرف والنحـــو العـــربى والأخلاق والتصوف(٤).كما كانت هناك علاقات فى مجال الفنون بين كل من ايران والصين حيث ترجع شهرة إيران فى فى ميدان الفخار والخزف الى أزمنة سحيقة سابقة على الإسلام ، واستمر ازدهار صناعة الخزف فى إيـــران فى العصـــر الإسلامى.

وتم العثور على صورة لجلدة كتاب إيرانية مزدانه بالفروع النباتية والسحب الصينية وجامة وسطى مع بحور مستطيلة تصلها دوائر مقصصة كما فى سجاجيد تبريز تعبر عن إيران فى القرن العاشر الهجرى و موجودة فى متحف الفن الاسلامى بالقاهرة (٥)ونجد الزخارف والكتابات باللونين الأزرق الكوبلت أو الأخضر ، وعلى حافات الأطباق نجد إطـــاراً مـــن أقواس متصلة ومن هذا النوع قدور ذات مقابض ولها غطاء متصل بمفصل عند فوهتها وهذا النوع من الزخارف متأثر فى أشكال أوانيه وبعض زخارفه بزخارف الصين من عهد أسرة تانج (٦١٨-٩٠٦م).

ومن أنواع الخزف الإيرانى نوع رقيق صنع محاكاة لأوانى البورسيلين الصينى من عهد أسرة سونج (٩٦٠ -١٢٧٩م) فى أسلوب صناعته وتتألف من أفرع نباتية متموجة أو كتابات كوفية ونسخية ورسوم طيور وحيوانـــات(٦)وكـــذلك الأنواع المرسومه بالأزرق والأسود تحت طلاء شفاف نوع ينسب إلى مدينة "سلطاناباد "وتتألف زخارفه من رسوم نباتية منها أزهار اللوتس وأفرع وأوراق قريبة من الطبيعة وطيور وحيوانات وصور آدمية (٧).

وازدهرت فى العصر الصفوى صناعة نوع من الخزف ذى البريق المعدنى ومجموعة من الأوانى معظمها دوارق كمثرية الشكل وزهريات وسلاطين عميقة نصف كروية وفناجين صغيرة(٨) .

كذلك ينسب إلى إيران فى العصر الصفوى أنواع من الخزف صنعت تقليداً لأوانى البورسيلين الصينى المعاصرة مرسومة بالأزرق والأسود على أرضية بيضاء ومعظم زخارفها رسوم طيور وحيوانات فى مناظر طبيعية على الطراز الصينى (٩).

وكان انتشار الأبجدية الايرانية بين الترك نتيجة محضة للعلاقات التجارية ، ومن هنا لم يكن لانتشارها بين التـــرك أى تأثير دينى فضلاً عن أن الديانه الزرادشتية –وهى الديانة القومية للإ يرانيين – أى نشاط تبشيرى عالمى وظلت الولايـــات الشرقية لإيران منفصلة عن الولايات الغربية بعد فتح الاسكندر وتعرضت بذلك للتأثير البوذى الوافد من الهند (١).

---

(١)محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ، طبعة دار المعارف ،القاهرة ١٩٦٤م ، ص٦٦

(٢)فصلنامه ى عشق نامه : گروه اجرايي گسترش زبان فارسى ، سال اول ، شمارهْ سوم ، تهران ١٣٧٨ هـ. شمسى ، ص٨٩

(٣)الهيئة العامة للكتاب : دراسات فى الفن الفارسى ، الخزف الإيرانى للأستاذ عبد الرؤؤف على يوسف ، دار التأليف والنشـــر ، القـــاهرة ١٩٧١ م ص٧٩

(٤)المرجع السابق ، ص٦٤ .

(٥)الهيئة العامة للكتاب : دراسات فى الفن الفارسى، ص٨٥ و٨٦

(٦)الهيئة العامة للكتاب : دراسات فى الفن الفارسى، ص٨٦و٨٧ .

(٧)المرجع السابق ، ص٨٩ و٩٠

(٨)المرجع السابق ،ص٨٨

(٩)و.بارتولد : تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ، ص٢٧

و لم يفت الأدباء الإيرانيين ذكر الصين فى أشعارهم من ذلك ما ذكره أحد الشعراء الفرس بقوله :

أيها الملك يجب حمل رسالة فتوحاتك إلى الصين فطالما أهم بصدد قراءة تلك الرسالة لن يقرأوها طالما أنهم فى حالة غضب(٢)

وتعرف الصين فى الشاهنامه وفى الكتب العربية أيضاً باسم " التركستان" ، ونرى عبد الرحمن الباهلى يقول فى أحد أشعاره :

وإن لنا قبرين قبر بلنجر وقبر بصين استان يالك من قبر

فأما الذى فى الصين عمت فتوحه وهذا الذى يسقى به سبل القطر

الحرير وغيره ، وفى قصة اسكندر ومواضع أخرى واذا استثنينا تركستان نجد أن صلات إيران بالصين قليلة جداً فى "الشاهنامة" ، وإن يكن التاريخ يحدث بسفارات بين الصين والساسانيين (٣).

وفى منظومة منطق الطير الرمزية والتى نظمها الشاعر الصوفى فريد الدين العطار الذى عاش فى العصر المغولى الأول فى إيران ، تبحث الطيور عن الطائر الوهمى المعروف بالعنقاء أو كما يسميه الفرس" سيمرغ " وهى كلمة فارسية تعنى " الثلاثين طائراً" وتبدأ بتوجيه الخطاب والترحيب بثلاثة عشر طائراً ينعقد بهم المجلس فيقررون أنه لابد من أن يخضعوا أنفسهملواحد منهم يجعلونه مرشدا لهم أثناء بحثهم عن العنقاء حتى يوفقوا إلى العثور عليها ، ثم يختارون الهدهد كما هو معروف مشهور جداً بين المسلمين لإنه كان رسول سليمان إلى بلقيس ملكة سبأ ، ويأخذ الهدهد فى مخاطبتهم بحديث طويل ينتهى بهذه الأبيات التى يتمثل فيها تجلى العنقاء وظهورها (٤)(٢)

والأبيات هى :

بداية أمر السيمرغ ياللعجب العجاب ، إنها اجتازت مجلوة الطلعة منتصف الليل بديار الصين فسقطت ريشة من ريشها فى وسط تلك الديار، فلا جرم أن عم الهيجان العالم، وتصور كشخص شكل تلك الريشة الفريدة وأما من رأها فقد تعلق بها فى لحظة وحيدة ، وتلك الريشة محفوظة الآن فى متحف تصاويرالصين ، فاطلبوا العلم ولو بالصين كما قال الرسول الكريم، ولو لم يبد نقش هذه الريشة واضحاً للعيان ، لما عمت الدنيا تلك الجلبة أو ذلك الهيجان ووصف هذه الريشة لابداية له ولا انتهاء ، فمن الخير أن نجمل الحديث عنها ولانكثر الاقوال والأهواء(٥).

يتضح بعد هذا العرض أنه كانت توجد هناك علاقة وطيدة على الصعيد الثقافى بين البلدين .

---

(١)مجله دانشكده ادبيات فارسى وزبانهاى خارجى : دا نشگاه علامه طباطبائى ، شماره چهارم ، سال دوم ، تهران تابستان١٣٧٧هـ.ش ، ص٧٦ والبيت بالفارسية :

نامهٔ فتح توای شاه به چين بايدبرد تاچون آن نامه بخوانند نخوانند ارتنگ.

(٢)ابو القاسم الفردوسى : الشاهنامه ، ص٨٧

(٣)ادوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، الجزء الثانى ، ص٦٤٩

(٤)د| بديع محمد طه جمعة : منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابورى (دراسة وترجمة) المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ص١٨٧

((٢)

(٥)المرجع السابق .

والأبيات بالفارسية

– ابتداى كار سيمرغ اى عجب جلوه گر بگذشت درچين نيمشب

– درميان چين فتاد ازوى پرى لا جرم پرشورشد هركشورى

– هركسى نقشى از آن پر برگرفت هركه ديد آن نقش كارى درگرفت

– هست آن پرد ر نگارستان چين اطلبوا العلم ولو بالصين ببين

– گرنگشتى نقش پد عيان اين همه غوغا نبودى درجهان

– چون نه سر پيداست وصفش رانه بن نيست لايق بيش ازين گفتن سخن

ج) **العلاقات التجارية والاقتصادية والاستراتيجية بين إيران والصين :-**

إن إيران التى تحتل المرتبة الرابعة فى تصدير النفط فى العالم ، وهى ثالث أكبر مصدر للنفط للصين ، وتمتلك إيران مصادر متعددة ورخيصة من النفط والغاز تشكل أهمية كبرى لاستهلاك الطاقة فى الصين ومن مصلحة الصين الاحتفاظ بعلاقات ودية مع طهران من أجل تخفيف مخاوفها الأمنية فى مجال الطاقة إلى الحد الأدنى (١).

على صعيد آخر ، أنهت " المجموعة الكبرى للطاقة " فى الصين (cnpc) إتفاقاً لتطوير المرحلة الحادية عشرة من مشروع حقول جنوب فارس ووسعت عملياتها التشغيلية الإيرانية وعقدت مجموعة " سينوبيك " (sinopec group) الصينية صفقة تجارية بقيمة ٢ مليار دولار لتطوير حقل " داوران" النفطى، وفى شهر ديسمبر ٢٠١٠م ، صرح السفير الإيرانى فى الصين "مهدى صفارى" أنه فى عام ٢٠١٠م سوف تتحسن العلاقات الصينية – الإيرانية ، وسوف تستمر التجارة المتبادلة والمصالح النفطية بين البلدين (٢).

أكدت الصين أنها تلقت دعوة من إيران لزيارة مواقعها النووية قبيل أنعقاد جولة أخرى من المحادثات متعددة الأطراف هذا الشهر فى مدينة استانبول(٣)

وفى تحرك دبلوماسى آخر أكدت الصين على زيارة سيقوم بها الرئيس الصينى هو جيننتاو للولايات المتحدة فى الفترة ما بين ١٨-٢١ كانون الثانى | يناير وسيلتقى خلالها مع الرئيس الأمريكى باراك أوباما . وضمن المسائل المتوقع أن يتناولها اللقاء بين الزعيمين مسألة الأسلحة النووية الإيرانية(٤)

وتعمل الصين فى الوقت الحاضر على تعبئة الفجوة الناجمة عن انسحاب الشركات الغربية والشرق آسيوية من المشاركة التجارية مع إيران بسبب العقوبات الدولية والأوروبية المفروضة عليها . علاوة على ذلك هيأت الصين الأجواء لإيران من أجل الالتفاف على العزلة الدولية التى تدعمها الولايات المتحدة . (٥)يعتقد الخبراء أن بكين تشعر بأن إيران نووية من شأنها أن تخدم المصالح الجيو سياسية لمنطقة الخليج الفارسى، وتجدر الإشارة إلى أن الصين ساعدت ايران فى العديد من المناقشات التى تم تداولها فى مجلس الأمن الدولى(٦).

وكانت هناك زيارات متكررة لمسؤولين رفيعى المستوى ، مما خلق انطباعاً بأن الصين تقدم المساعدة لطهران ومنحها الصفة الشرعية لسياستها النووية للشعب الإيرانى(٧) .ولاشك أن العلاقات الصينية – الإيرانية تقف عائقاً أمام العقوبات المفروضة ،وتواجه الصين معضلة حول مسألة فرض العقوبات على إيران، فالصين تتمتع بروابط تجارية واستراتيجية بالغة الأهمية مع الجمهورية الإسلامية فى إيران(٨)

---

(1)Zhaogen, chu : "sanctions on iran , dilemma for china , " xinhua , October 26,2010 . http://news . xinhuanet . com \ English 2010 \ indepth \ 2010 -10\26\c 13575506.htm

(2) Iran lauds china tis ahead of new nuclear talks, " REUTERS , DECEMBER 6,2010, http :\\in.reuters.com\article\idINIndia-53369520101205

(3) China Says Iran offers Nuclear Site Visit Before taLks ," Bloomberg News online , january4,2011
http://www.bloomberg.com\news\2011-01-04\china-says-iran-offers-nuclear-site-visit-2011,before-taiks- update1-html

(4) china's Hu to visit u.s , meet with obama , " united press international , January 7,2011, http://www.upi .com\top-news\2011\01\07\chinas-Hu-to-visit-us-meet-with-obama\upi-32911294403281

(5) saremi ,Fariborz :"china,s strategic game plan in the Persian gulf , "January 3,2011, http://www.wrldtribune .com\worldtribune\WTARC\2011\ea-china 13070103 .asp

(6) graver,john w:"is china playing a dual game in iran?"Washington Quarterly ,2011 http://www.twq.com\11winter-garver.pdf

(7) graver,john w:"is china playing a dual game in iran?"Washington Quarterly ,2011 http://www.twq.com\11winter-garver.pdf

(8) Zhaogen,chu:"sanctions on iran,dilemma for china ,"Xinhua,october26,2010, http://news.xinhuanet.com\english2010\indepth\2010-10\26\c-13575506.htm

وصرح المستشار الخاص لشؤون حظر الانتشار والحد النووى ومراقبة الأسلحة فى وزارة الخارجية أن الصين فى الوقت الراهن هى الدولة الوحيدة التى تمتلك صناعة نفطية وغازية وعلى استعداد للتعامل مع إيران أما بقية الدول فقد انسحبت إنهم الصينيين يقفون بمفردهم" (١)إن العلاقات بين الصين وإيران غير متماثلة نظراً للعزلة التى تعيشها إيران وهى تحتاج للصين أكثر مما تحتاج الصين لإيران(٢)

وفى شهر سبتمبر ٢٠١١ م، أشار الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد إلى أنه يمكن تصعيد حجم التجارة بين إيران والصين إلى مائة مليار دولار فى غضون خمس سنوات والاستثمار فى مشاريع مشتركة بقيمة تصل إلى مائتى مليار دولار(٣)

وتعارض الصين بشدة العقوبات والضغوطات أحادية الجانب التى تفرضها الدول الغربية والولايات المتحدة على إيران بسبب قضيتها النووية ، وخلال زيارة لمعرض العالم (world expo 2010)فى شنغهاى فى وقت مبكر من هذا العام ، قال أحمدى نجاد : "لدينا علاقات جيدة مع الصين ولا يوجد سبب لإضعاف علاقتنا مع الصين" (٤)

ومن المتوقع أن تتوطد العلاقات بين الصين وإيران وتتعمق فى المستقبل وسوف تعتمد الصين على الشرق الأوسط بنسبة ٧٠ % من وارداتها النفطية بحلول عام ٢٠١٥ م بالمقارنة مع ٤٤% فى عام ٢٠٠٦ م (٥).

لقد أيدت الصين على مضض فرض جولة رابعة من العقوبات الدولية على إيران بعد عدة أشهر من الرفض ، وفى الوقت نفسه أكدت على أن " الباب لا زال مفتوحاً أمام الوساطة الدولية "(٦) وفى شهر أكتوبر ٢٠١٠ م ,قالت الولايات المتحدة إن شركات صينية " تساعد إيران على تطوير تكنولوجيا الصواريخ والأسلحة النووية " وقال المتحدث بأسم السفارة الصينية فى الولايات المتحدة "وانغ باودونغ ""إن حكومتى سوف تتقصى الحقائق حول هذه المسائل التى أثارها الجانب الأمريكى "(٧)من جانب آخر تتهم الولايات المتحدة الصين ببيع ايران معدات ، من بينها ألياف كربونية عالية الجودة بدأت إيران باستخدامها أربع سنوات لتطوير أداء أجهزة الطرد المركزى وإنتاج الصواريخ (٨).

أوضحت الولايات المتحدة أنها لم تطلب من الصين تخفيض عمليات شراء الطاقة من إيران ولا تحتاج الصين لإنهاء " تعاونها فى مجال الطاقة مع إيران على أساس دائم " ومع ذلك تخشى "إيريكا دوانز" من "مؤسسة بروكينغز" أن يشعل هذا النهج فتيل الأزمة بين الشركات الأوروبية والآسيوية وحكومتها ، و قالت : " إن ماتخشاه الشركات اليابانية والأوروبية

---

(1)pomfret ,john:"U.S.says Chinese businesses and banks are by passing U.N.sanctions against Washington post ,October 18,2010
http://www.washingtonpost.com\wp-iran"the
(2) Mackenzie,peter :"Acloser look at china-iran relations," can china studies , sebtember 2010,
(3) Iran-china strong ties concern u.s a," Almanar , sebtember 29,2010,
http :\\www almanar.com.1b \newssite\newsdetails.aspx?id=155951language=en
(4) Junbo,jian."iran vote shows china,s western drift,"Asia times on line , june 25,2010,
http://www.atimes\china\lf25ad02.html
(5) park,john s :"iran primer: iran and china,"Tehran bureau , October 29,2010,
http://www.pbs.org\wgbh\pages\frontline\tehranbureau\2010\10\iran-primer-iran-and-chin.html
(6) Zhaogen ,chu:"sanctions on iran,dilemma for china" xinhua, October 26,2010,
http://news.xinhuanet.com\english2010\indepth\2010-10\26\c-13575506.htm
(7) "china backs uN sanctions against iran , says diplomacy should continue,"times of ondia,
http://timesofindia.indiatimes.com\world\china\china-backs-un-sanctions-against-june10,2010,
(8) pomfret,john:"u.s.says Chinese businese businesses and banks are by passing u.N.sanctions against the Washington post, october 18,2010
http://www.washingtonpost.com\wp-iran,dyn\content\article\2010\10\17\ar2010101703364.html

إلى حد كبير هو أنها تركت ورائها مشاريع بغنائم حقيقية فى إيران ، والقلق الأكبر هو أن هذه الشركات تنحت جانباً تحت الضغط وحلت محلها الشركات الصينية (١)

وقال المتحدث باسم الخارجية الصينية فى أحد المؤتمر إن الصين تحث الأطراف وثيقة الصلة على بذل المزيد من الجهود الدبلوما سية فى حل القضية النووية الإيرانية بعدما أعلن رئيس منظمة الطاقة الذرية فى إيران أن محادثات تبادل الوقود قد انتهت(٢).

اجتمعت المشرعة الصينية البارزة فى لقاء مع نائب رئيس البرلمان الإيرانى واتفق الجانبان على تعزيز التعاون والتبادل البرلمانى ، وقالت أن العلاقات الصينية الإيرانية تنمو بإطراد وبطريقة صحية "، وقد لعب المجلس الوطنى لنواب الشعب الصينى والمجلس الإيرانى دوراً لا غنى عنه فى تعزيز العلاقات الثنائية على كافة المستويات(٣).

وفى مراسم افتتاح الدورة السادسة عشرة للألعاب الآسيوية ، وهو مهرجان مسابقات رياضية متعددة عقد فى مدينة "غوانغزو" فى الفترة ما بين ١٢-٢٧ نوفمبر ٢٠١٠ م ، أشارت المسؤل الصينى فى كلمته أمام الحضور الى الخليج الفارسى ناطقا اسمه " الخليج العربى " وعقب ذلك ، نظم الإيرانيون احتجاجات نددت بما أسموه " التشويه" للاسم(٤).وبعد ذلك بوقت قصير أرسلت الصين إعتذاراً لإيران حول ذلك الخطأ(٥)

وقام الرئيس خاتمى بأول زيارة رسمية للصين برفقة وفد يعكس مستواه أهمية المناسبة تعزيز العلاقات التجارية والاقتصادية فى مقدمة اهتمامات طهران حيث ويتعاون البلدان فى مختلف المجالات الصناعية وخصوصًا تجهيزات قطار الأنفاق فى طهران (٦)

كما قام مساعد الرئيس الصينى بزيارة رسمية لإيران لبحث سبل تنمية العلاقات فى المجالات كافة وأهمها الطاقة والمناجم والسياحة والثقافة وحماية الاستثمار المتبادل ، حيث بلغ حجم التبادل التجارى بينهما عام ١٩٩٩م حوالى بليون وأربعمائة مليون دولار. (٧)

وذكرت وكالة رويترز من بكين أن مسئول إيرانى قد قال إن مجموعة سينوبك الصينية للغاز وقعت إتفاقًا قيمته سبعين بليون دولار لتطوير حقل نفط وشراء الغاز الطبيعى المسال مع إيران ، وبمقتضى مذكرة التفاهم تشترى "سينوبك" ثانى أكبر شركة صينية فى صناعة النفط ٢٥٠ مليون طن من الغاز المسال على مدى ثلاثين عاماً من إيران (٨)

ويحتل النفط مكانة مركزية فى العلاقات المتبادلة بين الصين وإيران ، وتلعب الاعتبارات المحلية والإقليمية والدولية دورها فى إبراز هذه المكانة وتطويرها وفى هذا المجال وقع البلدان اتفاق طاقة مدته ٢٥ عاماً فى أكتوبر ٢٠٠٤م بقيمة ٧٠ مليار دولار تزود بموجبه إيران الصينيين بالغاز السائل

---

(1) Javedanfar,meir::"china,s risky iran strategy ,"the diplomat,october 28,2010 http :\\the-diplomat.com\china-power\2010\10\28\chinas-risky-iran-stategy

(2) pomfret,john:"u.s.says Chinese businese businesses and banks are bypassinU.N. sanctions against the Washington post , october 18,2010, http://www.washingtonpost.com\wp-iran,dyn\content\article\2010\10\17\ar2010101703364.html

(٣)وكالة شينخوا ، شبكة الصين : فى ٢٠١١/٤/١٩م

(4) sandles,Alexandra:"iran:row over Persian vs . Arabian gulf at china games fuffles Tehran,s feathers,"los Angeles times,November 14,2010, http://latimesblongs.latimes.com\babylonbeyond\2010\11\iran-persian-gulf-dispute-china-protes- arabian-government-name.html

(5) china apologizes to iran for using wrong name for Persian gulf"fars news agency, november 15,2010

(٦)صحيفة الشرق الأوسط ، سعودية بتاريخ ٢٠١١/٦/٢١

(٧)صحيفة الحياة اللبنانية : بتاريخ ٢٠١١/١/٦

(٨)صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ ٣٠ |١١| ٢٠٠٤ م

والنفط(١)

قامت إيران بالتفاوض مع الصين لشراء مصنع ينتج جيلاً جديداً من الصواريخ وأن المحادثات بين الدولتين قطعت شوطاً بعيداً فى هذا المجال(٢)

ومع إصرار الحكومة فى طهران على مواصلة تطوير برنامجها النووى فإن الولايات المتحدة تقوم بتجييش القوى الكبرى ضده لتشديد عزلته وحصاره دولياً ولطالما تركز الموقف الصينى على حزمة من الاعتبارات أهمها المصالح المشتركة المتنامية مع طهران والتى يأتى فى القلب منها أمن الطاقة والأمن الاقتصادى للتنين الصينى الصاعد ، كما أن الايرانيين بحاجة ماسة أيضاً للاحتفاظ بالصين كمصدر حيوى للمنتجات المختلفة فى ظل الحصار الدولى المضروب على بلادهم من القوى الغربية حيث تحصل ايران من بكين على مواد وسلع لم تعد متاحة لها فى السوق الدولية (٣).

تقوم الصين بمساعدة إيران فى بناء محطة للطاقة النووية حيث زودت إيران فى هذا المجال بأجهزة للفصل الكهرومغناطيسى خاصة بأغراض انتاج النظائر المشعة علاوة على مفاعل نووى خطير(٤).

وصرح مصدر مسئول فى الحكومة الأمريكية بأن الصين باعت ستة وتسعين صاروخًا من طراز سيلكوورم المضاد للسفن إلى إيران(٥)

وقد زار محمد خاتمى الرئيس الصينى "هوجينتا" وفى مقال بعنوان .. "هل بكين ستخضع للضغوط الأمريكية لوقف التعاون مع إيران ، كما أشارت صحيفة الشرق الأوسط تحت عنوان طهران بكين واشنطن ... "عندما يكون الدواء أخطر من الداء ، فإن نهج كورى شمالى صينى لإسقاط الحجة الامريكية فى منطقة شبه الجزيرة الكورية "(٦).

ومارست الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطا شديدة بأموالها ، وضغوطا أخرى دبلوماسية مع الصين لتقليص تعاونها فى المجال النووى مع إيران ومحاولة قصره على المجالات السليمة فقط (٧).

و تلقت الصين دعوة من إيران لزيارة المواقع النووي (٨)وذكرت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الصينية أن الصين تأمل فى أن تبدأ الجولة الجديدة من المحادثات بين إيران والقوى العالمية فى وقت قريب (٩).

ولا شك أن هناك تعاون اقتصادى واستراتيجى يزداد يوماً بعد يوم بين الدولتين .

خاتمة البحث والتوصيات

فى ختام بحث " العلاقات الإيرانية الصينية من خلال المصادر الفارسية والعربية " توصل البحث الى النتائج والتوصيات التالية:-

أولاً : كان لدى العرب رغبة جامحة لمعرفة بلاد الصين ، ولاشك أن التجارة هى من أهم البواعث التى حملت العرب الأولين على تبادل المنافع والمصالح مع غيرهم ، وكان وصول الإيرانيين إلى الصين من خلال التجارة فى الأعم الأغلب من

(١)د| خليل حسين استاذ العلاقات الدولية فى الجامعة اللبنانية: العلاقات الإيرانية الصينية ، رائحة النفط وطعم التكنولوجيا ،موقع خاص للدراسات والأبحاث الاستراتيجية١٦/١٢/٢٠٠٨م

(٢)الهيئة العامة للاستعلامات : إيران (النظام السياسى والعلاقات الإقليمية)، القاهرة ١٩٩٣م ، ص٤٥

(٣)صحيفة الحياة اللبنانية فى١/٥/٢٠١٠م ، مقال بعنوان " حدود الرهان الإيرانى على الصين فى الأزمة النووية مقال للأستاذ | بشير عبد الفتاح

(٤)الهيئة العامة للاستعلامات : إيران (النظام السياسى والعلاقات الدولية) ، ص٤٧

(٥)صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ ٢٧/١/١٩٨٧م ،ص٢٢ و٢٣ .

(٦)صحيفة الاتحاد الإماراتية بتاريخ ٥/٤/١٩٨٧م .

(٧)صحيفة الشرق الأوسط السعودية بتاريخ ٣٠/٦/٢٠٠٠م.

(٨)لهيئة العامة للاستعلامات : ايران (النظام السياسى والعلاقات الإقليمية) ، ص٤٨-٤٩

(٩)وكالة شينخوا ، شبكة الصين فى ١٠ |٥| ٢٠١١م

خلال حدود بلاد ما وراء النهر الى الأقاليم الشمالية الغربية والمعروفة باسم " سينكيانج " مع العرب والترك أثناء فتوحات القائد المغولى جنكيز خان .

ثانياً: ظهر من بين الصينيين أنفسهم ما يعرف باسم " المسلمون الصينيون " أمثال " الهان " و" الهوى " تمييزاً لهـــم عـــن الأقليات القومية المسلمة الأخرى التى ما زالت الغالبية منها تقطن أوطانها الأصلية ومنها " اليوجور" وهم مسلمو تركستان الشرقية التى تعرف اليوم باسم " سينكيانج " ويعنى بالصينية " الأرض الجديدة " .

ثالثاً : انتشرت فى الصين حركة ثقافية جعلت الإسلام الذى كان فى حالة مشرفة على الانقراض فى الصين ينبعـــث مـــن جديد ، كما ساعد اتقان المسلمين الصينيين للغات العربية والفارسية والتركية فى نشر الإسلام بصورة أعمق وأوسع وجعل البحوث حول الثقافة الإسلامية علماً مستقلاً دخل مجال البحوث الفلسفية فى الصين ، وظهر العديد من العلماء الصينيين الذين أسهموا بدور كبير فى نشر الحضارة الإسلامية

رابعاً: لاشك أن ملوك الصين لاقوا الدين الاسلامى بالترحيب ، وأشادوا بالإعجاب به حتى أنهم لم يترددوا فى إرســـال طلبات إلى الدولة الاسلامية بغرض تعارفهم وزيادة معلوماتهم عن هذا الدين الذى اعتنقه التجار القادمون من الـــدولتين الأموية والعباسية .

خامساً: مارس المسلمون شعائرهم الدينية فى الصين بكل حرية وساعدهم فى ذلك انتشار المساجد التى بلغ تعدادها نحـــو أكثر من ثلاثين ألف مسجد ، وأعطى ملوك الصين المسلمين المقيمين فى بلاد الصين مساحة واسعة من الحرية الدينية حتى أن الملوك أنفسهم اهتموا بالدين الاسلامى الجديد وبشعائره الدينية .

سادساً: من الواضح توافر الادارة السياسية لقيادتى البلدين (إيران والصين) وعزمها على مواصلة تطوير العلاقات بينـــهما وهى علاقات تاريخية قديمة عبر طريق الحرير ، كما أن الصين وإيران أمتان وحضارتان عريقتان ومؤثرتان ، ومن شـــأن تعزيز التعاون بينهما تدعيم السلام والاستقرار ومكافحة ما يسمى بالإرهاب فى منطقة آسيا الوسطى ، ويتبادل البلـــدان زيارات قمة رغبة فى التعاون فى مجالات النفط والغاز والبتروكيماويات والبنية التحتية لخطوط الأنابيب وإنشـــاء الطـــرق السريعة وتطوير المنشأت النووية الإيرانية ، كما شمل التعاون مجالات الثقافة والتجارة والاقتصاد وغيره .

سابعاً : هناك واجب مقدس من البلدان الإسلامية تجاه مسلمى الصين لأن الشيوعية لا تعترف رسميا بالدين الإسلامى بل لازالت تحاربه ولاتدين إلا بالدنيا وحرق الجثث على الطريقة البوذية ، ولهذا لا تجد مجالا للتفرقة بين النـــاس فى غيرهـــا فتضيق بغير الشيوعية ولاتقبل الدين الإسلامى فى دولتها ، وتفرق بها فى الدنيا بين الناس فتثيب فى الدنيا من ينتحلها تعاقب فيها من لا يتخذها عقيدة .

ثامناً : تم تدعيم العلاقات بين كل من إيران والصين فى العقدين الأخيرين بسبب المصالح والسياسات المشتركة ، و لم تؤيد الصين فرض حصار اقتصادى أمريكى ضد إيران وقامت بانتقاد الولايات المتحدة بصورة رسمية ومن البديهى أن التعـــاون الإيرانى الصينى يقوم على أساس الاحتياجات والعلاقات المشتركة فى مجال الاقتصاد والتجارة والثقافة والأمن والسياســـة ولاشك أن العلاقات فى تطور وتحسن مطرد نحود مستقبل أفضل لصالح البلدين .

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١) ابراهيم عزوز و (آخرون) : (أساطير الشعوب) ، مغامرات الأمير اسنفديار ، المجموعة الرابعة (فارســـية) ، دار مصر للطباعة ، ،القاهرة د.ت .

٢) ابراهيم فنغ جين يوان : الإسلام فى الصين ، تعريب محمود يوسف لى هواين ، الطبعـــة الأولى دار النشـــر باللغـــات الأجنبية ، بكين ،١٩٩١م .

٣) ابراهيم نافع : الصين (معجزة نهاية القرن العشرين) ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٩م.

ادوارد جرانفيل براون : تاريخ الأدب فى إيران من الفردوسى إلى السعدى ، الجزء الثانى ، نقله إلى العربية د| ابراهيم أمين الشواربى ، مطبعة السعادة بمصر ، القاهرة ١٩٥٤م .
٤) ارمنيوس فامبرى : تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة د| أحمد محمود الساداتى ، مراجعة د| يحيى الخشاب ، القاهرة ،١٩٦٥م .
٥) د| أنور اسكندر عبد الملك : المبادرة التاريخية نحو طريق الحريرالجديد ، القاهرة ١٩٩٣م .
٦) و. بارتولد: تاريخ الترك فى آسيا الوسطى ترجمة ، د| أحمد السعيد سليمان،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م.
٧) د| بديع محمد طه جمعة : منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابورى ، دراسة وترجمة ، المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ١٩٧٥م
٨) ابن بطوطه : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ٥ مجلدات ، تحقيق عبد الهادى التازى ، أكاديمية المملكة المغربية ، الرباط ١٩٩٧م .
٩) د| جاد طه : تاريخ آسيا الحديث ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ،١٩٨٤م.
١٠)جمال محمد عبد المنعم : المسلمون فى الصين (الملف الضائع) ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٩٥ .
١١) د/ حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته (تحقيق ودراسة وتحليل) ، مطبعة دار المعارف ،القاهرة .د.ت
١٢)التاجر سليمان : أخبار رحلات العرب والفرس إلى الهند والصين ، نشر معهد العلومالعربية والإسلامية ، طبع فى مطبعة شتراوس فى إطار جامعة فرانكفورت ، جمهورية ألمانيا الاتحادية ١٩٩٤م.
١٣)شينغ تشى العادات الشعبية فى الأعياد الصينية ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة الأولى،بكين ١٩٩٠ م.
١٤)الصين (منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى) ١٩٥٨-١٩٩٨م ، دار النشر الصينية عبر القارات.
١٥)عبد الله الحبشى : رحلة السيرافى ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ٢٠٠٠م .
١٦) د| عبد النعيم حسنين و(آخرون) : حضارة مصر والشرق القديم ، القاهرة ،١٩٦٩م
١٧)أبو القاسم الطوسى: الشاهنامه ، الجزء الاول ، ترجمة الفتح بن على البندارى ، تحقيق د |عبد الوهاب عزام ، الطبعة الثانية ١٩٩٣م .
١٨)لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض،٤ أجزاء ، بيروت ١٩٧٣م
١٩)محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ، طبعة دار المعارف ، القاهرة ،١٩٦٤م .
٢٠)محمود شاكر: تركستان الصينية ، بيروت ١٩٧٣م .
٢١)محمود يوسف لى هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة فى الصين ، تعريب محمود يوسفلى هواين ، طبعة دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٩٣م .
٢٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٦٥م
٢٣)د| نقولا زيادة : الرحالة المسلمون والأوربيون إلى الشرق الع،،ربى فى العصور الوسطى، الدار العربية للموسوعات ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م| ١٤٣٠هـ.
٢٤)الهيئة العامة للاستعلامات : إيران(النظام السياسى والعلاقات الإقليمية) ، القاهرة ١٩٩٣م .
٢٥)الهيئة المصرية العامة للكتاب : دراسات فى الفن الفارسى (الخزف الايرانى) د| عبد الرؤوف على يوسف ، دار التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١م

ثانيا : المصادر والمراجع الفارسية :

٢٦)داود سى تينگ : كتاب اسلام ،صراط مستقيم ،بكين د.ت

٢٧)مرتضى مطهری : خدمات متقابل اسلام وايران ، انتشارات صدرا ،جاب بيست وششم تهران
٢٨) اسفندماه ، ١٣٧٧ ه.ش .
٢٩) حاج مهديقلي خان هدايت (مخبر السلطنة) : سفرنامه مكه ، تصحيح وتحشيه د| محمد دبير سياقى ، تهران ١٣٦٨ ه.ش
٣٠) د/ خليل حسين : العلاقات الإيرانية الصينية (رائحة النفط وطعم التكنولوجيا) ، موقع خاص للدراسات والأبحاث الاستراتيجية ، الانترنت ٢٠٠٨/٢/١٦ م .

ثالثا : الصحف والمجلات والوكالات العربية و الأجنبية :

٣١. صحيفة الشعب القطرية .
٣٢. صحيفة الشرق الأوسط ، سعودية ٢٠٠٠/٦/٢١م.
٣٣.صحيفة الحياة اللبنانية ٢٠٠١/١/٦
٣٤.صحيفة الأتحاد الإماراتية ١٩٨٧/٤/٥م .
٣٥.صحيفة الرأى العام الكويتية .
٣٦.صحيفة السياسة الكويتية ١٩٨٧/١/٢٧م .
٣٧. الصين اليوم : مجلة شهرية تصدرها جمعية الرعاية الأجتماعية الصينية ،دار مجلة الصيناليوم ،عدد يوليو (تموز) ٢٠٠٩م .
٣٨.وكالة أنباء رويترز .
٣٩.وكالة شينخوا , شبكة الصين ٢٠١١/٤/١٩م.
٤٠. كازاخستان اليوم: مجلة فصلية تصدرها سفارة كازاخستان بجمهورية مصر العربية العدد الرابع نوفمبر ٢٠٠٩
٤١ .عشق نامه : گروه اجرايي گسترش زبان فارسى سال اول ، شماره سوم ، تابستان ١٣٧٨هـ. ش.
٤٢. فصلنامه عشق نامه : سال دوم ، شماره دوم ، بهار ١٣٨٠ هـ .ش
٤٣. فصلنامه عشق نامه : سال سوم ، شماره سوم ، تابستان ١٣٨٥ هـ .ش
٤٤. روابط فرهنگى ايران وچين .
www. Film T.V.I RAN .News.I

رابعا : المصادر والمراجع الأجنبية :

45.Mackenzie , Peter :" Acloser look at china – Iran Relations , " CAN china studies , September ,2010.
http://www.cNA.org\sites\default\files\research\d0023622%20a%20closer%20lookat 20china-iran %20 relations .pdf
46.Zhaogen, chu : "sanctions on iran , dilemma for china , " xinhua , October 26,2010 .
http://news . xinhuanet .com \ English 2010 \ indepth \ 2010 -10\26\c 13575506.htm
47.Iran lauds CHINA tis ahead of new nuclear taLks, " REUTERS , DECEMBER 6,2010,
http :\\in.reuters.com\article\idINIndia-53369520101205
48."China Says Iran offers Nuclear Site Visit Before taLks ," Bloomberg News online , january4,2011
http://www.bloomberg.com\news\2011-01-04\china-says-iran-offers-nuclear-site-visit-2011,before-taiks- update1-html
49."china's Hu to visit u.s ., meet with obama , " united press international , January 7,2011,
http://www.upi .com\top-news\2011\01\07\chinas-Hu-to-visit-us-meet-with-obama\upi-32911294403281\
50. saremi ,Fariborz :"china,s strategic game plan in the Persian gulf , "January 3,2011,
http://www.wrldtribune .com\worldtribune\WTARC\2011\ea-china 13070103 .asp
51.graver,john w:"is china playing a dual game in iran?"Washington Quarterly ,2011

http://www.twq.com\11winter-garver.pdf
52.pomfret ,john:"U.S.says Chinese businesses and banks are by passing U.N.sanctions against Washington post ,October 18,2010
http://www.washingtonpost.com\wp-iran"the,
53.Mackenzie,peter :"Acloser look at china-iran relations," can china studies , sebtember 2010,
http:\\www.cna.org\sites\default\files\research\d0023622%20closer%20look%20at%20 china-iran%20 relations.pdf
54."Iran-china strong ties concern u.s a," Almanar , sebtember 29,2010,
http :\\www almanar.com.1b \newssite\newsdetails.aspx?id=155951language=en
55.Junbo,jian."iran vote shows china,s western drift,"Asia times on line , june 25,2010,
http://www.atimes\china\lf25ad02.html
56.park,john s :"iran primer: iran and china,"Tehran bureau , October 29,2010,
http://www.pbs.org\wgbh\pages\frontline\tehranbureau\2010\10\iran-primer-iran-and-chin.html
57."china backs uN sanctions against iran , says diplomacy should continue,"times of ondia,
http://timesofindia.indiatimes.com\world\china\china-backs-un-sanctions-against-june10,2010,
58.pomfret,john:"u.s.says Chinese businese businesses and banks are by passing u.N.sanctions against the Washington post, october 18,2010
http://www.washingtonpost.com\wp-iran,dyn\content\article\2010\10\17\ar2010101703364.html
59.Javedanfar,meir::"china,s risky iran strategy ,"the diplomat,october 28,2010
http :\\the-diplomat.com\china-power\2010\10\28\chinas-risky-iran-stategy
60.pomfret,john:"u.s.says Chinese businese businesses and banks are bypassinU.N. sanctions against the Washington post , october 18,2010,
http://www.washingtonpost.com\wp-iran,dyn\content\article\2010\10\17\ar2010101703364.html
61.sandles,Alexandra:"iran:row over Persian vs . Arabian gulf at china games fuffles Tehran,s feathers,"los Angeles times,November 14,2010,
http://latimesblongs.latimes.com\babylonbeyond\2010\11\iran-persian-gulf-dispute-china-protes- arabian-government-name.html
62."china apologizes to iran for using wrong name for Persian gulf"fars news agency, november 15,2010
http://english.farsnews.com\newstext.php?nn=8908241784

الصلات التجارية بين شمال شبه جزيرة العرب والصين قبل الإسلام

أ.م.د. قيس حاتم هاني الجنابي

المقدمة

ارتبطت شبه جزيرة العرب بعلاقات مختلفة مع محيطها القريب والبعيد، وكانت التجارة على رأس الصلات التي ربطتها مع جنوب شرق آسيا، لاسيما الهند والصين، احتلت منطقة الشرق الأدنى القديم أهمية بالغة في تاريخ البشرية، وتكمن هذه الأهمية في بروز حضارات عريقة مهمة كانت هي الأبرز في حضارات العالم عموماً لما أنتجته في شتى المجالات، فضلاً عن بروزها كحلقة وصل بين الشرق والغرب نقلت البضائع التجارية ما بين مراكز وموانئ التجارية في تلك المناطق، وكانت شمال شبه جزيرة العرب هي الأبرز في مجال نقل التجارة من الهند والصين إلى موانئ البحر المتوسط وبالعكس، الأمر الذي أثرى هذه المنطقة وأدى إلى بروز ممالك مهمة فيها كمملكة الأنباط ومملكة تدمر ومملكة الحيرة.

كان للمؤثرات الجغرافية والبشرية والتاريخية والسياسية أهمية بارزة في الحركة التجارية، وكانت الطرق التجارية عاملاً مهماً من عوامل نشأت المدن والممالك في شمال شبه جزيرة العرب، والطرق البرية أوضح تأثيراً في تفاعل القبائل العربية إلى حدٍ كبير من الطرق البحرية، ويمكن لنا أن نلاحظ تعدد المراكز والمحطات التجارية في شمال شبه جزيرة العرب ارتباطها بشبكة من الطرق التجارية مما يدل على سعة النشاط التجاري.

بزغ نجم ممالك الأنباط وتدمر والحيرة في مجال التجارة الدولية من خلال المراكز التجارية التي كانت تابعة لهم، والتي توافرت فيها بعض المزايا التي أهلتها لتبوأ هذه المكانة المرموقة في التجارة العالمية، ولعل الموقع هو أهم الأسباب التي ساعدت على قيامها بهذه المهام، ولم يقتصر النشاط التجاري لهذه الممالك على المراكز التجارية التي كانت تابعة لهم حسب، بل امتد ليغطي معظم المراكز التجارية المعروفة في العالم يوم ذلك، فكان لهم وجود في الموانئ الفينيقية والموانئ الأوربية وموانئ الخليج العربي وموانئ الهند والصين، وقد تنوعت البضائع التجارية التي توجر بها مع الصين، إذ استوردوا ما أنتجته بلاد الصين، وصدروا القسم الأكبر من هذه البضائع الواردة من الصين إلى موانئ أوربا وشمال إفريقيا.

حدود منطقة شمال شبه جزيرة العرب: تشمل منطقة شمال شبه الجزيرة العربية بلاد الشام وجزء من العراق، أي ما يعرف بالهلال الخصيب، إذ أن الهلال الخصيب امتداد لا يمكن فصله عن شبه جزيرة العرب، وهو جزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية، وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب(١).

والحدود الشمالية لشبه جزيرة العرب حسبما يراه (ابن الفقيه الهمذاني)(٢) تمتد من مجرى نهر الفرات الأسفل في الشمال الشرقي إلى شواطئ فلسطين على ساحل البحر المتوسط في الشمال الغربي، في حين أن (الهمداني)(٣) يرى أن الحدود الشمالية لجزيرة العرب تشتمل على شبه جزيرة سيناء وفلسطين والجزء الأكبر من سورية وبادية العراق، ويؤكد المستشرق الروسي (بليايف)(٤) في أن بادية الشام كانت جزءاً من شبه الجزيرة العربية، وأن الحدود السياسية بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية، في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، كانت مرسومة على نحو يبقي بادية الشام في حوزة سكانها الأصليين، وهذا ما تؤيده التسمية التي أطلقها العرب على بلادهم (جزيرة العرب) لأن الماء محيط بها من جميع الجهات، وهي بذلك ضمت معظم بلاد الشام كما ضمت جزء من أراضي العراق مما يقع غرب نهر الفرات.

---

(١) العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، الموصل (١٩٨١م)، ص١٣.

(٢) ابن الفقيه أبو بكر محمد بن إبراهيم(ت٢٩٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن(١٨٨٥م)، ص ص٣٦-٣٨.

(٣) الحسن بن أحمد بن إبراهيم(ت٣٥٠-٣٦٠هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (١٩٨٩م)، ص ص٨٤-٨٥.

(٤)العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ترجمة: أنيس فريحة، بيروت (١٩٧٣م)، ص٧٢.

وتسمية بلاد الشام التي أطلقت على القسم الأكبر من شمالي شبه الجزيرة العربية، إنما كانت تعني الشمال في لفظ العرب، وكانت لفظة اليمن تعني الجنوب، ويطلق اسم الشامة في الوقت الحاضر على الحدود الشمالية للسعودية المحاذية للأردن، ومما تقدم يبدو أن لفظة الشام واليمن كذلك لم تكن قبل الإسلام دلالة على تسمية لرقعة جغرافية محددة، إنما كانت تمتد لتشتمل على مساحات غير محددة تقع على شمال أو يمين الكعبة أو الحجاز عموماً، وهذا ما تشير إليه تسمية القسم الشمالي من الدار في بعض مناطق الجزيرة بـ(شام الدار)(١).

رأي العرب في التجارة: التجارة حرفة قديمة، عني بها العرب في شبه جزيرتهم منذ زمن بعيد، وأسهموا فيها بقدر كبير، وخاصة أهل اليمن الذين كان لهم دور ريادي في التجارة العالمية حيث اشتغل بها الملوك والأقيال ورجال الدين والحاضر والباد مما حدا ببعض الباحثين إلى الاعتقاد بأن الحضارة اليمنية قامت على التجارة مع البلدان الأخرى، وكانت سلع البخور في نظرهم هي عماد هذه التجارة(٢).

أدت التجارة دوراً بارزاً في حياة سكان شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، وقد نظر العرب إلى التجارة بكل احترام وتقدير، ولذلك أشار الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم إلى مواضع كثيرة إلى التجارة(٣)، وضرب بها الأمثال في مواقف متعددة لما لها من وقع وتأثير في حياة العرب قبل الإسلام وخلاله، وعدو التجارة كأفضل مهنة للارتزاق(٤)، والتجارة في رأي العرب: ((محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء))(٥)، وربح التجارة يأتي ((إما أن يختزن السلعة ويتحين بها حوالة الأسواق من الرخص إلى الغلاء فيعظم ربحه وإما بأن ينقله إلى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه))(٦)، فالتجارة هي عملية شراء من زاهد أو مضطر وبيع إلى راغب أو محتاج(٧)، محتاج(٧)، وقد عرفوا حقيقة التجارة في كلمتين ((اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة))(٨)، والتجار ثلاثة ثلاثة أصناف: الخزان الذي يشتري البضائع من أصحابها بصورة مباشرة ويخزنها في أماكن خاصة إلى أن يبيعها على الصنف الثاني من التجار وهو (الركاض)، الذي يقوم بعملية شراء البضائع من الأسواق التي تتوافر فيها ونقلها إلى أسواق أخرى تطلب هذه البضائع، فيبيعها إلى الصنف الثالث وهو (المجهز) الذي يستقبل البضائع المستوردة ويبيعها في السوق(٩).

الطرق التجارية الرئيسة في شبه جزيرة العرب: تتحكم بالطرق مجموعة من العوامل الجغرافية التي تؤثر في وجود الطريق التجاري، ويعد عنصر الأرض بتضاريسها وانحداراتها وصخورها وتربتها أهم هذه العناصر، فضلاً عن وجود المياه الصالحة للشرب وتوافره على مسافات كافية في محطات على الطريق، أما العلف والطعام بصفتها عناصر مؤثرة فيمكن أن ينقلا مع القوافل إن قضت الضرورة بذلك، وكانت المسافات الخالية من المرعى ومحطات التزود بهما طويلة، أما المؤثرات البشرية والتاريخية والسياسية فإنها وإن كانت ذات أهمية بارزة في الطرق والحركة على امتدادها وحمايتها وصيانتها، إلا أن أثرها كان أقل من العناصر الجغرافية، وكانت الطرق التجارية عاملاً مهماً من عوامل نشأت المدن والممالك في شمال شبه

(١) العمروي، عمر غرامة، بلاد رجال الحجر، الرياض(١٣٩٨هـ)، ص١٥٨.

(٢) موسكاتي، سبتينو،الحضارات السامية القديمة، ترجمة: يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، مصر(د.ت)، ص١٩٧.

(٣) سورة البقرة، آية ٢٨٢؛ سورة النساء، آية ٢٩؛ سورة التوبة، ٢٤؛ سورة النور، آية ٣٧؛ سورة فاطر، آية ٢٩؛ سورة الصافات، آية ١٠؛ سورة الجمعة، آية ١١.

(٤) الدمشقي، أبي الفضل جعفر بن علي (القرن ٦هـ)، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: البشري الشوربجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة(١٩٧٧م)، ص٦٩.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي(ت٨٠٨هـ)، المقدمة، مؤسسة الأعلمي، بيروت(١٩٧١م)، ص٣٤٩.

(٦) المصدر نفسه، ص٣٤٩.

(٧) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٦٦.

(٨) ابن خلدون، المقدمة، ص٣٩٤.

(٩) الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص ص٧٠-٧٥.

جزيرة العرب، والطرق البرية أوضح تأثيراً في تفاعل القبائل العربية إلى حدٍ كبير من الطرق البحرية، ويمكن أن نهتدي إلى الطرق البرية ومعرفتها بمعالم أهمها: وجود مدن ذات ارتباط تاريخي في منطقة من المناطق، وفي خط يغلب أن يكون متصلاً، وهذا نجد له مثالاً في الطريق التجاري بين جنوبي الجزيرة العربية وشمالها، وهناك علامة أخرى نتعرف بها على الطريق البري وهي النقوش أو الكتابات من حيث كثرتها(١)، أما أشهر الطرق الرئيسة التي مرت في شبه جزيرة العرب فهما طريق البخور وطريق الحرير:

١. **طريق البخور**: وهو أحد الطرق التجارية الرئيسة الذي يربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، ويشكل البخور السلعة الرئيسة التي توجر بها على هذا الخط، إذ يشكل البخور عنصراً مهماً في الطقوس الدينية التي كانت متبعة في العالم القديم(٢)، ويبدأ هذا الطريق في بلاد العرب الجنوبية من منطقة ظفار، ويمر بعدة مناطق منها: شبوة ومأرب وتمنع وقرناو، وتلتقي بمختلف اتجاهاتها في نجران، وعندها يتفرع الطريق إلى اتجاهين: الأول نحو الشمال الشرقي عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ثم عبر اليمامة إلى جرها على الخليج العربي، ثم إلى جنوب وادي الرافدين(٣)، والطريق الرئيس يستمر من نجران نحو شمال شبه جزيرة العرب إلى أن يصل إلى ديدان (العلا) ثم إلى البتراء ثم يتفرع إلى فرعين أحدهما يذهب إلى غزة على البحر المتوسط، والثاني يذهب إلى تدمر، والثالث إلى مصر، وقد استحدث فرع آخر فيما بعد يصل بين إيلة (العقبة) ثم تدمر ماراً بربة عمون وبصرى، ولاقى الفرع الثالث عناية خاصة من ولاة الشام في بلاد الشام، إذ أقاموا له نقاط حراسة ومراكز استراحة على امتداد الطريق إلى الحدود الفاصلة بين الشام والحجاز(٤)، ويلاحظ على طريق البخور البخور أنه لم يكن مستقراً بصورة دائمة، بل كان يزدهر ويختلف تبعاً للظروف المختلفة(٥).

٢. **طريق الحرير**:تعد طريق الحرير البرية واحد من أهم الطرق القديمة وأطولها وأشهرها في العالم، امتد من الصين إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية وإلى منطقة بيزنطيوم واليونان، لمسافة تقدر بنحو (٩٠٠٠كم)، وترجع شهرة الطريق إلى القرن الثاني قبل الميلاد، واستمر نشاطه حتى القرن الثامن الميلادي، أي قرابة الألف سنة، وهو بذلك يعد الطريق التجاري الرئيس الثاني الذي يربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، وبلاد العرب هنا بمثابة محطة وصل واستراحة لهذا الطريق(٦)، إذ كانت الصين الموطن الأصلي للحرير الذي يصدر عبر هذا الطريق إلى حوض البحر المتوسط(٧)، وكان الحرير يصنع في بعضمدن شمال شبه جزيرة العرب ثم صدر إلى الخارج، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة أن يكون كل الحرير المصنع الذي يصل إلى أوربا وغيرها قد صنع في بلاد العرب، إلا أن وقوع شمال شبه جزيرة العرب على طريق الحرير بعدها أقرب نقطة تصل بين مدن حوض الفرات وبين الساحل الغربي لحوض البحر المتوسط جعل منها المستفيد الأكثر من هذه التجارة، فضلاً عن أن الطريق المار عبر أراضيها أكثر سهولةً وأفضل عبوراً ومروراً وأكثر أمناً وسلاماً للقوافل التجارية، وربما كان هذا سبباً في تفوق طريق الحرير البري على طريق البخور البحري(٨)، ويرتبط طريق الحرير بشمال

---

(١) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية، مجلة الدارة، ع١، الرياض (مارس١٩٧٥م)، ص ص٧٧.

(٢) شعث، شوقي، طريق البخور والحرير، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق (١٩٩٦م)، ص١٥٢.

(٣) البكر، منذر عبد الكريم، العرب والتجارة الدولية منذ أقدم العصور إلى نهاية العصر الروماني، مجلة المربد، جامعة البصرة، ع٤، البصرة(١٩٧٠)، ص ص٤٩-٥٠.

(٤) يحيى، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت(١٩٧٨م)، ص٣١٦.

(٥) زهدي، بشير، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص١٣٩.

(٦) شعث، طريق البخور، ص١٥١.

(٧) حتي، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت(١٩٥٨م)، ج١، ص٣٩١.

(٨) زهدي، طريق الحرير، ص١٣٩.

شبه جزيرة العرب عن طريق فرعي يأتي من بلاد فارس، فبعد أن يمر طريق الحرير بـ(سمرقند(١)) ينعطف إلى جهة الجنوب الغربي ليصل بلاد فارس ثم إلى (مرو(٢)) التي كانت ملتقى الطرق البرية، ثم يتجه إلى (طيسفون(٣)) ثم (هيت) (هيت) على نهر الفرات ومنها إلى تدمر، ومنها إلى مدن الساحل الغربي للبحر المتوسط، ومنها تنقل إلى أوربا(٤)، وكان للأمان الذي وفره سكان شمال شبه جزيرة العرب للقوافل التجارية أثرٌ في تفضيلها سلوك هذا الطريق، إذ أن الطرق التجارية عموماً لم تكن ثابتة المسالك بحسب الحالة الأمنية، وقد برع العرب في تكوين فرق لقيادة القوافل التجارية في الطرق الصحراوية التي خبروها جيداً(٥)، ويربط بلاد العرب ببلدان الشرق والغرب، وكان الحرير يصنع الصيني والمصنع في تدمر ثم صدر إلى الخارج، فضلاً عن الحرير المصنع في المدن السورية الأخرى التي اشتهرت بالصناعات النسيجية، إلا أن وقوع تدمر على طريق الحرير جعل منها المستفيد الأكثر من هذه التجارة، ويرتبط طريق الحرير بتدمر عن طريق فرعي يأتي من بلاد فارس إلى هيت على نهر الفرات ومنها إلى تدمر، ثم إلى مدن الساحل الغربي للبحر المتوسط، ومنها تنقل إلى أوربا(٦)، وكما أشرنا سابقاً فقد كان للأمان الذي وفره التدمريون للقوافل التجارية دورٌ في تفضيلها سلوك هذا الطريق، الطريق، إذ أن الطرق التجارية عموماً لم تكن ثابتة المسالك بحسب الحالة الأمنية، وقد برع التدمريون في تكوين فرق لقيادة القوافل التجارية في الطرق الصحراوية التي خبروها جيداً(٧)، ويعد طريق الحرير البري الذي يمر بالعراق عبر أراضيه أكثر سهولةً وأفضل عبوراً ومروراً وأكثر أمناً وسلاماً للقوافل التجارية، وربما كان هذا سبباً في تفوق طريق الحرير البري المار عبر الأراضي العراقية على طريق البخور البحري(٨)،فبعد أن يمر طريق الحرير بسمرقند ينعطف إلى جهة الجنوب الغربي ليصل بلاد فارس ثم إلى مرو التي كانت ملتقى الطرق البرية، ثم يتجه إلى طيسفون ثم هيت على نهر الفرات ومنها إلى تدمر، ومنها إلى مدن الساحل الغربي للبحر المتوسط، ومنها تنقل إلى أوربا(٩).

ومن الطرق التجارية المهمة التي تربط بين المراكز التجارية في شمال شبه جزيرة العرب والصين:

❖ **طريق البتراء – شمال سوريا**: وهو يمتد من البتراء إلى شمال سوريا عبر (الطريق السلطاني) القدم من الصين والذي يرتبط بطريق الحرير، ويمر هذا الطريق في الطفيلة ثم الكرك ثم إلى ذيبان ثم مأدبا ثم عمان ثم جرش فالمفرق ثم إلى درعا ثم بصرى ثم من هناك إلى دمشق وشمال سوريا(١٠)، وقد سيطر الأنباط في امتدادهم إلى الشمال على (الطريق السلطاني) الممتد بين دمشق والبحر الأحمر، واتجاههم نحو النقب فتح لهم الطريق إلى غزة والطريق خلال سيناء إلى مصر عن طرق غزة والعريش، والذهاب في العمق ربطهم حين استولوا على مدائن صالح بطريق تجارة الخليج وبجنوب بلاد العرب، كذلك جعلتهم الحجر قريبين من الحوراء على البحر الأحمر وهذا يصلهم بالطريق البحرية إلى الهند(١١).

---

(١) وهي مدينة الصغد وراء جيحون، يشير الإخباريون إلى أن الملك الحميري (شمر يرعش) قام بهدمها وسميت (شمر كند) أو (شمر كنداي) أي (شمر خربها) بلغة الفرس، ثم عربت إلى (سمرقند). (وهب بن منبه، كتاب التيجان في ملوك حمير، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء(١٣٤٧هـ)، ص ص٢٣٣-٢٣٨).

(٢) مدينة معروفة في بلاد فارس، والمرو تعني المرج. (البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص١٢١٦).

(٣) هيمدينةكسرىالتيفيهاالايوان،بينهاوبينبغدادثلاثةفراسخ،وأصلهاطوسفونفعربتعلىطيسفون. (الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٧٩م)، ج٤، ص٥٥).

(٤) زهدي، طريق الحرير، ص١٣٤؛ حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٢٩٨.

(٥) فيل، أرنست، تدمر وطريق الحرير، ترجمة: إيمان سنديان، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص٩٣.

(٦) زهدي، طريق الحرير، ص١٣٤؛ حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٢٩٨.

(٧) فيل، تدمر وطريق الحرير، ص٩٣.

(٨) زهدي، طريق الحرير، ص١٣٩.

(٩) المصدر نفسه، ص١٣٤؛ حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٢٩٨؛ البكر، العرب والتجارة الدولية، ص ص٧٩-٨١.

(١٠) Bowersock, G.W. Roman Arabia, Harvard University Press, 1983, p. 28.

(١١) عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق، الأردن(١٩٨٧م)، ص١٠٨.

❖ **طريق البتراء –جرها:** وهو طريق تجاري مهم يصل الخليج العربي بمدينة البتراء، حيث يربط البتراء مع مدينة (جرها) على الخليج العربي، و لم يكن شأن هذه المدينة في التجارة أقل من شأن البتراء، حيث تصل البضائع الواردة إلى (جرها) منالصين والهند، وحاصلات إيران والعربية الشرقية لتنقل إلى البتراء ثم توزع في الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط، وقد عمل ملوك الأنباط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة مملكتهم(١)، وأشار سترابو إلى قدم العلاقة بين مينائي إيلة وجرها حيث ذكر أن نشاط الأنباط التجاري يمتد من خليج إيلة حتى جرها على الطرف الآخر في القرن الأول قبل الميلاد(٢).

❖ **طريق نهر الفرات:** كانت بعض القوافل التجارية القادمة من الصين والهند تستخدم نهر الفرات عبر ميناء خاراكس ثم تمر في منطقة أهوار جنوب بلاد الرافدين التي لا يمكن اجتيازها بغير طريق النهر، وقد وجدت مرافئ على هذا النهر ومنها المرفأ الموجود على عانة، وقد جهزت هذه المرافئ بالحاميات، وكانت البضائع تحمل على أطواف وكذلك المسافرين، وكانت هذه الأطواف مجهزة بجلود ماعز منفوخة لتعويمها(٣).

❖ **طريق تدمر –العراق:** هناك ثلاثة طرق تربط تدمر ببلاد ما بين النهرين، الطريق الأول يخرج من تدمر إلى (أرك(٤)) ثم عين الطيبة ثم الرصافة ثم سورا على نهر الفرات(٥)، والطريق الثاني يبدأ من تدمر إلى أرك ثم البير الجديد ثم ثم الصالحية (دورايوربوس) ويسير بمحاذاة نهر الفرات إلى (عانة(٦)) ثم (كرخ ميسان(٧)) ثم إلى الخليج العربي(٨)، أما أما الطريق الثالث فيبدأ من تدمر ثم البازورية ثم أم العمد ثم مليكة ثم أم الصلابيخ في وادي المياه ثم قصر صواب ثم الكعرة ثم إلى هيت على الفرات ومنها إلى ميسان، ومنها يتفرع إلى فرعين: الأول بحري يصل (باربارايكون) والثاني بري يجتاز بلاد فارس شرقاً، وربما كان هناك طريق رابع يربط تدمر بفرات البصرة (فورت)(٩)، ويرى (خالد الأسعد)(١٠) أن طريق تدمر يلتقي بالفرات عند مدينة الكفل (فلغاشيا) ويتفرع إلى فرعين: الأول يسير بمحاذاة الفرات حتى مدينة هيت، والثاني يتجه نحو قرية كبيسة التي تعد من المحطات التجارية لتدمر، وينقسم قبل أن يصل إلى هيت قسمين، الأول يحاذي الفرات صعوداً حتى يصل إلى مدينة الصالحية، والثاني يتجه غرباً عبر البادية ماراً بقصر خباز ثم عالج ثم ملوسا ثم حلقوم ثم بئر الملوحي ثم سيجري ثم جوفا ثم تدمر.

❖ **طريق مباشر بين خاراكس عبر اقليم بكتريا:** ويعرف هذا الطريق بطريق الحرير الصيني.

---

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٢،دار الملايين، بيروت، ج٣، ص٢٢.

(٢) زيادين، فوزي، تدمر البتراء البحر الأحمر وطريق الحرير، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٤٢، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٤٤.

(٣) غافيكوفسكي، ميشيل، تدمر وتجارتها التدمرية، ترجمة: عدنان البني، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق، ١٩٩٦م، ص١١٦.

(٤) مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب تدمر ، وهي ذات نخل وزيتون(الحموي، معجم، ج١، ص١٥٣)؛ ربما يكون الاسم مشتق من أركت الإبل بمكان كذا وكذا، أي لزمت المكان، فلم تبرح. (ابن السكيت، ترتيب إصلاح المنطق، تحقيق: الشيخ محمد حسن بكائي، مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة، طهران(١٤١٢هـ)، ص٢٥).

(٥) موسل، لويس، الفرات الأوسط، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد(١٩٩٠م)، ص٥١٨.

(٦) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد في أعمال الجزيرة وجاء في الشعر عانات كأنه جمع بما حوله ونسبت العرب إليه الخمر . . . وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة وبها قلعة حصينة(الحموي، معجم، ج٤، ص٧٢).

(٧) كورة بسواد العراق تدعى أستراباذ، وهي غير أستراباذ التي بطبرستان(المصدر نفسه، ٤/٤٤٩)؛ وهي مملكة عربية ازدهرت في القرن الأول الميلادي وامتدت أرضها من ساحل الخليج العربي إلى منطقة شط الفرات، عاصمتها خاراكس. (للمزيد ينظر: البكر، منذر عبد الكريم، دولة ميسان العربية، مجلة المورد، مج١٥، ع٣، بغداد(١٩٨٦م)).

(٨) الأسعد، خالد، طرق القوافل التدمرية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص٨٩.

(٩) سفر، فؤاد، كتابة من كبيسة، مجلة سومر، مج٢٤، بغداد(١٩٦٨م)، ج١، ص٢٥.

(١٠) طرق القوافل التدمرية، ص٨٩.

وسائل النقل:تعدُ وسائل النقل من أهم العوامل التي مهدت لنشوء وتطور طرق التجارة وازدهارها لأنها أحد المكملات الرئيسة في العملية التجارية، وكانت وسائل النقل تعتمد على الحيوانات المهيأة للقيام بمثل هذه الأعمال، وكانت الحمير أول وسيلة نقل استخدمت لنقل القوافل التجارية، وربما تكون الحمير قد استعملت في نقل البضائع منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهذا ما توحي به بعض الإشارات الأثرية والتاريخية(١)، وقد بقيت الحمير وسيلة النقل الوحيدة لقطع المسافات البعيدة حتى أواخر الألف الثاني قبل الميلاد عندما حل محلها الجمال(٢).

أما البغال فإنها من الحيوانات المعروفة بتحملها للمشاق، وقدرتها على السير في الأراضي المتموجة والمناطق الجبلية الوعرة، وقد استعملت في نقل البضائع في مثل هذه المناطق، وكذلك في نقل الأشخاص، وهي تؤدي خدمات في هذه المناطق يعسر على الجمال القيام بها، وقد يعجز عنها، ويبدو أن البغال لم تكن كثيرة الاستعمال في شبه جزيرة العرب حتى ظهور الإسلام(٣)، إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تستخدم إطلاقاً، فقد استخدمت في المناطق التي ذكرناها، وقد ورد ذكرها مع الخيل في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة . . .﴾(٤).

وعلى الرغم من اشتهار شبه جزيرة العرب بجمال خيولها وبتربيتها لأحسن أنواع الخيول، وبتصديرها لها، فإن الخيل فيها إنما هو من الحيوانات الهجينة الدخيلة الواردة إليها من الخارج، من العراق أو بلاد الشام أو مصر، وقيل إن موطنها الأصيل هو بحر قزوين(٥)، فضلاً عن وجود نوع يعد من أهم أنواع الخيول في بلاد اليمن يعرف بـ(الكحيلان العربي) يتميز عن سائر الخيول بنباهته وسرعته وتجاوبه(٦)، ومع ذلك فإن مساهمة الخيل في نقل البضائع كانت محدودة جداً وربما وربما اقتصرت على المسافات القصيرة بسبب حاجتها إلى عناية ورعاية وطعام جيد للمحافظة على صحتها، وهي لا تستطيع تحمل العطش كما الجمل، ولا تستطيع السير في رمال البوادي المهلكة المتعبة لمسافات بعيدة(٧).

ومع أن (الحمير والبغال والخيل) استعملت في نقل البضائع التجارية إلا أنها لم يكن لها أثر تاريخي في نشاط وتطور تجارة القوافل(٨)، حيث أن نقل البضائع لمسافات طويلة عملية شاقة وعسيرة عليها، فضلاً عن عدم جدواها الاقتصادية، لصغر حمولتها وبطئ سيرها وحاجتها إلى ماء الشرب من حين لآخر(٩)،لذلك كان الجمل وراء الانعطاف الكبير في تاريخ تاريخ التجارة وطرقها وأصحابها وثرواتها(١٠)، وكان لدوره في نقل التجارة عبر الصحاري الشاسعة التي تفصل بين المراكز التجارية أثر في ديمومة وتطور القوافل التجارية، لذا لقبالجمل بـ(سفينة الصحراء)(١١)، وهو من أقدم الحيوانات التي سمعنا بها عند العرب(١٢)، فالجمل هو الذي فتح لأهل جزيرة العرب آفاق البوادي، وصار أهم وساطة لنقل البضائع في الطرق البرية الطويلة التي تربط أجزاء الجزيرة بعضها ببعض، وتربط طرق الجزيرة مع الطرق الخارجية(١٣)، وقد أشار

---

(١) الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم، من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، مؤسسة الخليج، الكويت(١٩٨٤م)، ص٩.

(٢) مرعي، عيد، تدمر محطة هامة على طريق القوافل خلال الألف الثاني قبل الميلاد، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص١١١.

(٣)دلو، برهان الدين، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت (١٩٨٩م)، ج١، ص٩١.

(٤)سورة النحل، آية ٨.

(٥) علي، المفصل، ج١، ص١٩٨.

(٦) ترسيسي، عدنان، بلاد سبأ وحضارات العرب الأولى، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت(١٩٩٠م)، ص٢٤٩.

(٧) علي، المفصل، ج١، ص ص١٩٩-٢٠٠؛ دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ص ٨٩-٩٠.

(٨) الهاشمي، تجارة القوافل، ص٩.

(٩) الغساني، عبد القادر بن سالم بن احمد، ظفار أرض اللبان، من بحوث ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان(١٩٨٠م)، ص٥٣.

(١٠) الهاشمي، تجارة القوافل، ص٩.

(١١) Rostovtzeff, M, Caravan cities, AMS press, New York, 1971, p, 10.

(١٢) دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٨٦.

(١٣) علي، المفصل، ج١، ص١٩٨.

القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس﴾(١)، وبفضله اتصل العرب العرب بعضهم ببعض، وقامت مستوطنات في مناطق نائية منعزلة من بلاد العرب، وتمكن الجمل من اختراق الطرق البرية الطويلة بغير كلل(٢)، وكان للمزايا التي اتصف بها الجمل دور في ارتباطه بالتجارة البرية عند العرب، وبروزهم كقوة تجارية كبيرة نشطت في تجارة القوافل(٣)، فقد أعد الجمل بفضل تكوينه البيولوجي والجسماني إعداداً تاماً ليعيش في المناطق الحارة الجافة(٤)، فالجمل يستطيع أن يسير نحو (٢٥ يوماً) في الشتاء، ونحو (٥ أيام) في الصيف دون أن يشرب الماء، لأنه يختزن الماء في جوفه ويعيش عليه(٥)، وتصل حمولته إلى نحو (٥٠٠كغم)، وتسير قوافل الإبل التي يصل تعدادها أحياناً إلى ألف بعير بسرعة (٤كم/ساعة)، وعليه فإن لبعضها القدرة على قطع مسافة تصل إلى نحو (٤٠٠كم) من دون أن تتزود بالماء(٦)، وقد ميز العرب نوعان من الإبل: الأول الذلول التي يستعملها مطايا، والثاني الإبل التي يستعملها في حمل الأثقال وهي الكثرة المعروفة من الجمال(٧).

وكانت الجمال تقوم بنقل البضائع الواردة من سواحل الخليج العربي إلى البحر الأحمر والخليج العربي وبالعكس(٨)، وقطعت المسافات الطويلة بين بلاد الشام واليمن محملة بالبضائع عبر مكة ويثرب، ومنها رحلتا الشتاء والصيف التي أشار لها القرآن الكريم(٩)، ونقل البضائع كذلك عبر الطريق الذي يربط غربي شبه جزيرة العرب بالعراق عبر نجد واليمامة(١٠)، وكان من نتيجة ذلك أن تعلق العرب بالجمال لدرجة كبيرة، ويصف طرفة بن العبد ناقته بقوله(١١):

مؤللتان تعرف العتق فيهما   كسامعتي شاة بحومل مفرد

وقد تحدث الشعراء العرب عن الإبل وسرعتها وشدتها، وقد أشار إلى ذلك زهير بن أبي سلمى في قوله(١٢):

يقطعن أجواز أميال الفلاة كما   يَغْشى النوّاتي غِمَارَ اللُّجِّ بالسُّفُن

يَخفِضُها الآل طوراً ثم يرفعها   كالدوم يَعمِدنَ للإشراف أو قطنِ

وكان الشعراء يتحدثون عن الجبال في أثناء حديثهم عن قطع المفاوز، وقدرتها على اختراقها وعبورها بناقة تقرب البعيد وتصل ما تباعد من الجبال، ويتجلى ذلك في قول أمرؤ القيس(١٣):

جالت لتصر عني فقلت لها أقصري   إني امرؤ صرعي عليك حرام

فجزيت خير جزاء ناقة واجدٍ   ورجعت سالمة القرا بسلام

وكأنما بدر وصيل كتيفةٍ   وكأنما من عاقل أرمام.

---

(١)سورة النحل، آية ٦.

(٢) علي، المفصل، ج٥، ص٣٣٩.

(٣) الهاشمي، تجارة القوافل، ص ص١١٠-١١١.

(٤) دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٨٦.

(٥)علي، المفصل، ج٥، ص٣٣٩؛ دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٨٦.

(٦) الهاشمي، تجارة القوافل، ص١١.

(٧) دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ص٨٨-٨٩؛ للمزيد ينظر: الصانع، محمد عبد الله، الإبل العربية، مطابع كويت تايمز، الكويت(١٩٨٣م).

(٨) Rostovtzeff, op, cit, p, 5.

(٩)سورة قريش، آية ١-٢.

(١٠) دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٨٨.

(١١)ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: علي الجبدي، مؤسسة الرسالة، بيروت(١٩٥٨م)، ص٣١٤.

(١٢)ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، بيروت (١٩٤٤م)، ص ص١١٨-١١٩.

(١٣) الكندي، ابن حجر، ديوان أمرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر(١٩٥٨م)، ص١١٦.

وكانت البضائع التجارية ترد إلى الموانئ بوساطة السفن، وهناك نوعان من السفن عرفها العرب في تلك الحقبة التاريخية وهما: سفن الشرق الأقصى ومن بينها السفن الصينية والإندونيسية والهندية، وسفن الخليج العربي، فضلاً عن السفن الصغيرة السريعة التي كانت تحمل البضائع الخفيفة بين الموانئ القريبة(١).

مراكز شمال شبه جزيرة العرب التجارية البرية مع الصين: تميزت منطقة شمال شبه جزيرة العرب بنشاط تجاري واسع مع الصين، وكان طريق الحرير نقطة الاتصال الرئيسة بينهما، وفي شمال شبه جزيرة العرب برزت العديد من المراكز التجارية المهمة جداً في التجارة الدولية في العالم القديم، وكانت هذه المراكز حلقة وصل بين الصين والعالم القديم.

والأنباط(٢) إحدى الممالك التي ظهرت في شمال غرب شبه جزيرة العرب في منطقة شملت الأردن وأجزاء من سوريا وفلسطين والمملكة العربية السعودية حالياً، وحضارة الأنباط قامت أساساً على التجارة(٣)، وشعب الأنباط من الشعوب العربية التي جمعت ثروة عظيمة، واكتنزت الذهب والفضة بفضل اشتغالها بالتجارة، حيث موقعها الممتاز الذي تلتقي عنده جملة من الطرق التجارية البرية التي كانت عماد طرق القوافل في ذلك الزمان، فتحمل إليها تجارة الهند والصين، وحاصلات إيران والدويلات العربية الشرقية لتوزع منها في الشام ومصر وموانئ البحر المتوسط(٤)، وتجدر الإشارة إلى أن أهم المواد التي كان يتاجر بها في العالم القديم هي لؤلؤ الخليج العربي وذهب السودان وتوابل الهند وحرير الصين(٥).

وقد امتد النشاط التجاري للأنباط إلى مناطق نائية، فقد عثر على آثار تجارتهم في سلوقية والإسكندرية ورودس وميلتوسوديلوس وموانئ سوريا(٦)، وتمكن الأنباط من استغلال موقع بلدهم لمرور شرايين التجارة بين الدويلات العربية الجنوبية وبلاد الشام بها(٧)، وعمل ملوك الأنباط بكل ذكاء على الاستفادة من هذه الطرق واستغلالها لمصلحتهم ومصلحة ومصلحة مملكتهم(٨)، وتمكن الأنباط من تكوين علاقات تجارية مع مراكز تجارية كانت شبه مستقلة عن الفرثيين، منها ميناء جرها على الخليج العربي، وخاراكس عند ملتقى نهر الكارون بنهر دجلة، لذا نجد أن الأنباط اتصلوا بصورة مباشرة مع تجارة الهند دون الحاجة إلى وساطة(٩).

وربما كان الأنباط في بدايات الأمور لم يكونوا أكثر من أصحاب قوافل ينقلون السلع لحساب غيرهم، ثم تطور بهم الحال فأصبحوا هم أنفسهم تجاراً وشركاء في التجارة(١٠)، وفرض الأنباط ضرائب على التجار وعلى التجارة التي عادت

---

(١) المياح، علي محمد، صلات العراق التجارية مع جنوب شرقي آسيا في العصور الإسلامية، مجلةدراسات تاريخية، ع٢(نيسان-حزيران)، السنة٢، بيت الحكمة، بغداد(٢٠٠٠م)، ص ص٩٢-٩٣؛ للمزيد عن السفن التي استخدمت في التجارة وأنواعها وتسميتها. ينظر: الآلوسي، عادل محي الدين، تجارة العراق البحرية مع اندونيسيا حتى أواخر القرن السابع الهجري، دار الحرية للطباعة، بغداد (١٩٨٤م)، ص ص٩٣-١٠٦.

(٢) نشأت دولة الأنباط في القسم الشمالي الشرقي من شبه جزيرة العرب، في المكان الذي عرف عند اليونان والرومان باسم (العربية الحجرية Arabia Petraea)، وامتدت الأراضي التي خضعت للأنباط في الجنوب الشرقي من فلسطين، بدأً من حدود فلسطين هناك إلى رأس خليج العقبة، ويحاذيها من الغرب وادي العربة، ومن الجنوب بداية الحجاز، ومن الشرق بادية الشام، ومن الشمال فلسطين، هي بذلك ضمت رقعة جغرافية واسعة، إلا أن الاتساع التجاري قد تجاوز هذه الرقعة كثيراً، إذ يشتمل على موانئ البحر المتوسط، وسيناء وموانئ مصر، وساحل البحر الأحمر شرقي النيل، واستمرت دولة الأنباط من أواسط القرن الثاني قبل الميلاد حتى عام ١٠٦م إذ خضعت لحكم الرومان. (إحسان عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص٧٣).

(٣) سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار المعارف، الإسكندرية (١٩٦٧م)، ص٢٤٠.

(٤) علي، المفصل، ج٣، ص٢٢.

(٥) زهدي، تدمر وطريق الحرير، ص١٣٨.

(٦) سالم، دراسات، ص٢٤٠.

(٧) علي، المفصل، ج٣، ص٥.

(٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٢.

(٩) Rostovtzeff, op, cit, p. 28

(١٠) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص٣٣.

عليهم بفوائد كثيرة، وقاموا بالوساطة في نقل التجارة القادمة من الصين والهند إلى بلاد الشام ومصر ومواضع من جزيرة العرب، فدرت هذه الوساطة عليهم أموالاً طائلة جعلتهم من الشعوب العربية الغنية بالنسبة إلى غيرهـــم ممـــن يســـكنون البوادي، والمواقع المقفرة المنعزلة(١)، الأمر الذي أدى إلى طمع العديد من الدول المجاورة في السيطرة على هـــذه الطـــرق التجارية ومن ثم السيطرة عليهم، وكانت هذه المحاولات تتم بين البطالمة والسلوقيين ومن ثم الرومان(٢).

لقد وصف المؤرخ سترابو هذه المنطقة بأنها مركز تجاري (سوق) كبير للتجارة القادمة من الصين والهند، وأشـــار إلى عملية نقلها من ميناء ليوقة قومة إلى البتراء بوساطة قوافل الجمال الكبيرة التي تتحرك ذهاباً وإياباً بـــين المـــوقعين بأمـــان ويسر(٣)، وهذا ما يشير بوضوح إلى أن الأنباط استفادت كثيراً من التواصل التجاري مع الصين والهند، لذا نراهم وفروا طريق نقل مكوكية بين العاصمة البتراء التي كانت مركز استقبال تلك البضائع، وبين المراكز التجارية التابعة لها لاســـيما الموانئ التي تصلها القوافل باستمرار، ويشير هذا النص إلى توفير الحماية اللازمة لهذه القوافل لتمارس عملها بيسر وأمان.

أما في دولة تدمر التي ظهرت في بدية الشام في القرن الأول قبل الميلاد واستمرت حتى دمرها الرومان عام ٢٧٣م(٤)، ٢٧٣م(٤)، فكان للنشاط التجاري الذي تميزت به أثر في نظامها النقدي، إذ رافق التطور الاقتصـــادي الـــذي شـــهدته الأسواق التدمرية تطور في النظام الصيرفي، وكان هذا التطور في خدمة العلاقات التجارية التي ربطت تدمر مع بعض دول العالم القديم، وأضحت تدمر مركزاً مهماً لأعمال الصيرفة، والعاصمة المالية للجزء الشرقي من العالم القديم(٥).

أشارت المصادر التاريخية ومنها النقوش والآثار والرسوم والمنحوتات التدمرية إلى وجود صناعات متعددة في تدمر، وقد ورد في النقش الموسوم (C 4258) عبارة (سيد الصناع)(٦)، وقد عرفت تدمر بنشـــاطها الواضـــح في الصـــناعات النسيجية، لاسيما المنسوجات الحريرية، ويبدو أن التدمريين كانوا يستوردون الحرير الخام مـــن الصـــين، ثم يحضـــرونه بطريقتهم الخاصة ويصنعونه بمهارة، ثم يصدرون الأقمشة الحريرية التي صنعوها إلى الخارج، وقد عثر علماء الآثار علـــى نماذج مختلفة من المنسوجات التدمرية في مناطق متفرقة من أوربا(٧)، وقد برع التدمريون في مزج الخيوط الذهبية مع نسيج نسيج الخيوط الحريرية، وصبغوا أقمشتهم بالصبغ الأرجواني المستورد من سواحل بـــلاد الشـــام(٨)، وقـــد اســـتعملت المنسوجات الحريرية التدمرية في لف المومياء في بعض القبور(٩)، وتجدر الإشارة إلى أن المنسوجات التدمرية لم تقتصر على على الحريرية بل أن هناك منسوجات صوفية وقطنية وكتانية، وقد تميزت هذه المنسوجات عموماً بالزخارف النباتية، أمـــا

---

(١) علي، المفصل، ج٣، ص٥.

(٢) الصمادي، طالب عبد الله، التجارة النبطية والمضايقات الرومانية خلال القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي، مجلـــة العلـــوم الإنسانية والاجتماعية، مج١٥، ع٢، الإمارات العربية المتحدة(١٩٩٩م)، ص١٢٤.

(٣) نقلاً عن: Kirwan, Sir Laurence, Where to search for the Ancient Port of Leuke Kome, p. 55، بحث منشور باللغة الإنكليزية في مجلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض(١٩٨٤م).

(٤) تدمر عبارة عن واحة شكلها منبسط، تقع في طرف البادية التي تفصل الشام عن العراق، تبعد مسافة نحو (٢٤٢كم) إلى الشمال الشرقي من دمشق، وهي على العموم منبسطة السطح تحيط بها جبال تفصل بينها وبين البادية، وساعدت مياه هذه الواحة على رفع منزلة تـــدمر مـــن محطة منعزلة في البادية تنزل بها القوافل إلى مكانة مدينة من الدرجة الأولى، وسوقاً للتجارة تكدست فيه أنفس البضائع وأثمنها، وتجمعت فيهـــا رؤوس الأموال، ويعد (السوتيون) من أقدم الأقوام التي سكنت تدمر، وكانوا من البدو، واستوطنتها قبائل آرامية نصف بدويـــة يســـمون في المصادر الآشورية (أحلامو) مفردها (حلم) أي (حلف) فهم إذن (الأحلاف)، وهذا ما يشير إلى أن هذه المنطقة كانت من الأراضي العربية التي أستوطنها العرب منذ القدم، ثم سكنته قبائل عربية مختلفة في أزمان متعاقبة. (هورست كلينغل، تدمر والتجارة العالمية في العصر البرونزي، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج ٤٢، دمشق، ١٩٩٦م، ص ص١٢٨-١٣٠؛ Arab Net, Syria Tour Guid, Palmyra, P.2)

(٥) فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨م، ص٤٤٣.

(٦) Hillers, Op, cit, p.133, 340.

(٧) شعث، طريق البخور، ص٢٤٠.

(٨) زهدي، طريق الحرير، ص١٣٥.

(٩) ستاركي والمنجد، جان وصلاح الدين، تدمر عروس الصحراء، مطبوعات مديرية الآثار العامة، دمشق(١٩٤٧م)، ص٢٠.

صناعة الملابس في تدمر فقد تأثرت بأزياء من مناطق مختلفة نتيجة لموقعها التجاري الذي كان يؤمه تجار من أصقاع شتى، فكان من نتيجة ذلك أن تنوعت الأزياء التدمرية، وكان طراز اللباس خاضعاً باستمرار لتأثير الأزياء الحديثة بغض النظر عن مصدرها(١)، وقد صدرت الملابس والأزياء التدمرية إلى خارج تدمر فتأثرت بها صناعة الملابس المصرية، وأصبحت مثلاً أعلى يقتدى به في روما، لما حملته من دقة في الصنع وجمالية في الشكل والموضوع(٢).

ويؤيد المؤرخ الكلاسيكي أبيان في أن التدمريين: ((تجار كانوا يجلبون من بلاد الفرس منتجات الهند والصين وشبه الجزيرة العربية ليبيعونه مجدداً للرومان))(٣)، وهذا هو أقدم الأدلة على المتوافرة التي تشير إلى كون التجارة الدولية هي النشاط الرئيس للتدمريين، وقد أدت تدمر دوراً مهماً في نقل التجارة بين المدن اللبنانية المنتجة لشجر الأرز وبين العراق القديم الذي كان يستورد هذه الأشجار(٤)، لاسيما وأن عبر تدمر يمر أحد الطريقين التجاريين اللذين يصلان العراق بسوريا منذ الألف الثاني قبل الميلاد، ويمتد من ضفاف نهر الفرات الغربية شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط الشرقية غرباً(٥)، وتعد تدمر إحدى أهم المحطات التجارية التي تطورت إلى مدن تجارية(٦)، لاسيما بعد سقوط البتراء عاصمة الأنباط بيد الإمبراطور الروماني تراجان عام (١٠٦م)، وهذا التطور الجديد في الأوضاع السياسية عاد بالفائدة على تجار تدمر، إذ فتح لهم أسواق الجزيرة العربية ومصر على البحر الأحمر، وفتح طريق جديد باسم طريق تراجان التي رصفت ما بين السنوات ١١١-١١٤م من البحر الأحمر وحتى بصرى، وهذا ما نشط التبادل التجاري بين المدن السورية وباقي مدن شبه جزيرة العرب، لاسيما وأن المحطات التجارية العائدة للأنباط احتلت من قبل الرومان بدأً من الحجر (مدائن صالح) وحتى الجوف (دومة الجندل) في وادي السرحان(٧)، وهذا ما يوضح طبيعة الظروف التي مكنت تدمر من أن تظهر في الوسط الاقتصادي، لاسيما التجاري، بهذا المظهر القوي المسيطر على مفاتيح التجارة الدولية في تلك الحقبة.

وتطورت أهمية تدمر التجارية فيما بعد لتصبح وسيطاً تجارياً بين الشرق ومدن البحر المتوسط، لاسيما بعدما تراجع دور سلوقية في نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الأول قبل الميلاد، فكان لها الدور الأكبر في توزيع البضائع الواردة من الشرق، مما دعاها إلى السيطرة على طريق الفرات، فاكتسبت من عمليات البيع والشراء وضرائب المرور (الترانسيت) ثروة طائلة(٨)، فضلاً عن تزويد القوافل والمسافرين بما كانوا يحتاجونه من معدات ومؤن، أو بعملهم كأدلاء لديهم معرفة كبيرة كبيرة بطرق الصحراء ومسالكها الأمينة، فكانوا والحالة هذه قد حصلوا على إيرادات إضافية لشريحة لابد وأن تكون قد عملت بهذه المهنة، لاسيما وأن الدارس لدور التدمريين بالتجارة يجد حالة من التكامل الاقتصادي في مجال التجارة فيستنتج المدى الواسع الذي تميز به التدمريون في هذا المجال.

وقد أنشأت تدمر العلاقات التجارية التي ربطتها مع غيرها من البلدان كبلاد وادي الرافدين ووادي مصر والجزيرة العربية والهند والصين وبكتيريا (أفغانستان) وآسيا الصغرى، روابط من العلاقات الاقتصادية بين تلك الشعوب ومهدت لإقامة علاقات سياسية واجتماعية وثقافية وفنية فيما بعد(٩)، كما وجد الحرير الصيني في قبر تدمري يعود إلى سنة (٨٣م)، مما يدل على دور تدمر في التجارة مع الشرق الأقصى واحتكارهم لها(١٠)، وأقام التدمريون علاقات تجارية مع

---

(١) خياطة، محمود، علاقات تدمر الخارجية تجارياً ودينياً، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص١٦٤.

(٢) زهدي، الفن الهلنستي، ص ص٥٦-٥٧؛ خياطة، علاقات تدمر، ص١٦٣.

(٣) نقلاً عن: فيل، تدمر وطريق الحرير، ص٩٣.

(٤) عبد الله، تدمر، ص١٠٤.

(٥) مرعي، تدمر محطة هامة، ص١٠٩.

(٦) موسكاتي، تاريخ، ص١٣٠.

(٧) زيادين، تدمر البتراء، ص١٤٦؛ دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص١٤٧.

(٨) شعث، طريق البخور، ص ص١٥٢-١٥٣.

(٩) شعث، طريق البخور، ص٢٤١؛ زهدي، طريق الحرير، ص١٤١.

(١٠) البكر، العرب والتجارة الدولية، ص٩٤.

الفرثيين، حيث كان للتدمريين فندق خاص بهم في مدينة (اولوشياد) الواقعة على الفرات بالقرب من بورسبا جنوب بابل، وقد بنى قائد القوافل التدمري الشهير (سوادا) معبداً للأباطرة، وكان تابعاً مخلصاً للرومان في قلب البلاد الفرثية، كـــذلك كان ذو حظوة حسنة لدى السلطة الفرثية(١).

وقد ازدادت أهمية تدمر كمركز تجاري مهم منذ القرن الأول الميلادي، بسبب تصدع قوة الأنباط وهجر طـــريقهم التجاري شيئاً فشيئاً، والتحول إلى طريق الفرات، فزاد هذا من أهميتها كمحطة تجارية واقعة على الطريق بـــين دمشـــق والفرات(٢)، وأصبح التدمريون في القرن الثاني للميلاد وبعد زوال دولة الأنباط (١٠٦م) يُصَرِّفون لوحدهم تقريباً أغلب شؤون التجارة العالمية بين الشرق الأقصى لاسيما الصين من جهة وأوربا من جهة أخرى(٣). وقد بـــرع التـــدمريون في التجارة الدولية التي أصبحت النشاط الرئيس لهم، فكانوا يجلبون منتجات الهند والصين المنقولة براً عبر شمال بلاد فـــارس ويصدرونها إلى بلاد الرومان(٤)، ودفعهم ذلك إلى محاولتهم تحويل كل الطرق التجارية لجعلها تمر في تدمر.

أما اللحيانيون الذين اتخذوا من الحجر (مدائن صالح) عاصمة لهم واستمر حكمهم لغاية عام (١٦٠ق.م) وشكلوا قوة سياسية عرفت باسمهم(٥)، فقد كانوا تجاراً كأكثر شعوب شمال شبه جزيرة العرب(٦)، وكانت تجارتهم مع مصر بالدرجة بالدرجة الأولى(٧)، حيث تردد في الوثائق المصرية من العصر البطلمي أسماء لتجار لحيانيين ومعينيين عدو من الشخصيات الشخصيات البارزة في المجتمع المصري(٨)، وربما كان ذلك بسبب مكانتهم الاجتماعية التي وفرتها لهم ثرواتهم الطائلة من ممارستهم للتجارة، وقد كان للتجار اللحيانيين والمعينيين قرية سكنوا بها تعرف باسم (بونيس) في إقليم (منف)(٩).

كان للتجار اللحيانيين دور في نقل التجارة القادمة من الصين والهند، وقد درت عليهم أعمال التجارة هـــذه أربـــاح طائلة مكنتهم من مد نفوذهم في منطقة واسعة، وتسمية خليج العقبة باسم خليج لحيان يدل على أن اللحيانيين تمكنوا من السيطرة على الطريق البحري الذي يصل إلى إيلة، فضلاً عن سيطرتهم على الطريق البري في شمال غرب شـــبه جزيـــرة العرب، وكان البحارة والتجار الإغريق يدفعون الجزية للجباة اللحيانيين(١٠)، وكان اللحيانيون ناقلين للتجارة فضلاً عن كونهم تجاراً(١١)، وذكرت التوراة(١) أن أهل ددان تاجروا بالعاج والأبنوس وأقمشة السروج والذهب والفضة والماشية،

---

(١) فيل، تدمر وطريق الحرير، ص٩٥.

(٢) خياطة، علاقات تدمر، ص١٦٤.

(٣) شعث، طريق البخور، ص١٥٣.

(٤) فيل، تدمر وطريق الحرير، ص٩٣.

(٥) لم تكن لحيان كنظيراتها من الممالك العربية من حيث العظمة والاتساع، بل كانت مملكة صغيرة نسبياً، تقع أرضها جنـــوب شـــرق أرض الأنباط، في شمال غرب شبه جزيرة العرب، وهي تشتمل على معظم وادي القرى، وتتوافر فيها واحات خصبة مهمة تجهز القوافل التجارية بما تحتاج من مؤن، وبهذا الموقع هيمنت على الطرق التجارية القادمة جنوب شبه جزيرة العرب والمتجهة نحو الشمال، فضلاً عن أن طريق البخور الدولي يمر بأراضيها، وقد برزت فيها العديد من المراكز التجارية المهمة مثل ديدان أو ددان (العلا)، و(الحجر) مدائن صالح، وتيمـــاء، ودومـــة الجندل.

Al-Ansary, A.A.A critical and comparative study of Lihyante personal names, unpublished Ph.D. thesis Presented to the University of Leeda, 1966, p.21؛ الأنصاري، عبد الرحمن، بعـــض مـــدن القوافل في شمال المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٠م، ص١٧.

(٦) علي، المفصل، ج٢، ص٢٤٥؛ مهران، دراسات، ص٥٢٧.

(٧) علي، المفصل، ج٢، ص٢٤٥؛ مهران، دراسات، ص٥٢٧.

(٨) الناصري، سيد أحمد علي، الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الكتاب الثاني، الرياض(١٩٨٤م)، ص٤٣١.

(٩) المصدر نفسه، ص٤٢٤.

(١٠) حتي، تاريخ العرب، ج١، ص٤٤؛ مهران، دراسات، ص٥٢٧.

(١١) Al-Ansary and Abu Al-Hassan, op, cit, p. 21.

والماشية، وتاجروا بالبخور والأحجار الكريمة، وخشب الصندل، ولابد أن يكون اللحيانيون قد وفروا كل ما من شأنه تسهيل سير القوافل التجارية عبر المراكز التجارية العائدة لهم، شأنهم شأن بقية الدول التي يقوم اقتصادها على التجارة بصورة رئيسة.والحيرة(٢) التي ظهرت فيها دولة المناذرة (أواسط القرن ٣ واستمرت حتى عام ٦١٣م) ونشأت في وسط العراق، كان لها هي الأخرى دور في التجارة الدولية التي ربطت شمال شبه جزيرة العرب بالصين.

كان للموقع الإستراتيجي لوادي الرافدين فضلاً عما حوته هذه الأرض من خيرات لاسيما أرضه الخصبة ووفرة مياهه عبر دجلة والفرات وسهولة التنقل في أرضه، أثر بارز في الرقي الحضاري والانتعاش الاقتصادي، وبلاد وادي الرافدين بموقعه المتميز بين قارات العالم القديم جعل منه جسراً لعبور التجارة بين الشرق والغرب، وكان لازدياد طلب البيزنطيين على بضائع الشرق لاسيما بضائع الصين والهند وبضائع جنوب شبه جزيرة العرب، أثر في بروز دور العراق كحلقة وصل مهمة تربط موانئ البحر المتوسط بالصين والهند في عصر لم يعرف فيه رأس الرجاء الصالح(٣)، واتخذ تجار الحيرة مجاري الأنهار لنقل بضائعهم، فانحدرت سفنهم في نهر الفرات إلى دجلة العوراء(٤) ومنها عبر الخليج العربي إلى الهند والصين، أو تذهب شمالاً عبر الموصل مركز محافظة نينوى حالياً إلى شمال إيران ومنه إلى الصين، يحملون معهم أنواع السلع ومنها منتجات العراق وما ترد إليه من بلاد سورية والروم واليونان مثل الحديد والنحاس والأسرب والقصدير، فيبيعون هذه المواد في جنوب شرق أفريقيا أو في الهند ويجلبون معهم الحرير والإستبرق والقرنفل والدارصيني والفلفل والزعفران والهيل والصمغ والصدف والعاج والدر والمرجان والعطر وغيرها من منتجات الصين، فتفرغ السفن حمولاتها في موانئ العراق ويأخذ سكان المنطقة احتياجاتهم ويصدر غالبيته إلى سورية ومصر وموانئ البحر المتوسط حيث يصدر من هناك إلى أوربا(٥).

ويشير (البكري)(٦) إلى أهمية موقع الحيرة ودورها في نقل التجارة من الصين والهند قائلاً: ((واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام، لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر، من الصين والهند وغيريهما)).

التجارة البحرية:قام التجار في شمال شبه جزيرة العرب بنقل بضائعهم عبر الطريق البحري المار عبر الخليج العربي أو البحر الأحمر مع أنهم فضَّلوا الطريق التجارية البرية بقدر المستطاع، لأن الطرق البحرية معرضة إلى الكثير من الأخطار

---

(١) سفر حزقيال، إصحاح ٢٧، آية ١٥ وآية ٢٠، إصحاح ٣٨، آية ١٣؛ و(رودس) في العبرية عني (ددان) (الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس، لبنان(١٩٩٦م)، ص١٠٧٠).

(٢) تقع الحيرة في ضمن منطقة السهل الرسوبي لوادي الرافدين عند الأطراف الشمالية الغربية لبادية الشام، ومنطقة الحيرة تشتمل على الجزء الجنوبي الغربي من القسم الشمالي للسهل الرسوبي، وهي تبعد عن مسافة (١٥كم) إلى الجنوب الغربي من مدينة الكوفة، وقد اشتهرت الحيرة بمناظرها الطبيعية رائعة الجمال، وخصوبة تربتها، وتتمثل أهمية الحيرة بموقعها في السهل الرسوبي لوادي الرافدين، والسهل الرسوبي يتميز عموماً بانبساطه، ويربط فيما بين الخليج العربي ومنطقة شمال وسط العراق، وهذا يعني سهولة الحركة والتنقل في هذه المنطقة، ووفرة ألأراض الخصبة والمياه جعل من هذه المنطقة مركزاً للاستقرار البشري منذ أمدٍ بعيد، وسكن هذه المنطقة قبائل عربية مختلفة هاجرت إليها منذ أزمان بعيدة، كان في مقدمتها هجرت الأكديين الذين أسسوا أول دولة مركزية موسعة في التاريخ، ثم أعقبتها هجرات عربية كبيرة أخرى كانت امتداداً للهجرات السابقة لاسيما تلك التي حدثت في زمن ملوك الطوائف. (أندريه بارو، بلاد آشور، نينوى – آشور، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م، ص٣٣١. للمزيد عن ملوك هذه السلالة وسني حكمهم ينظر: روتشتاين، تاريخ السلالة اللخمية، ترجمة: منذر البكر، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، ع١٥-١٦، البصرة، ١٩٧٩-١٩٨٠م، ص ص٢٣٧-٢٦٦؛ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٤م، ج٤، ص ص٢٨-١٠٤؛ يوسف رزق الله غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، بغداد، ١٩٣٦م، ص ص١٣٠-٢٢٤).

(٣) كمال، أحمد عادل، الطريق إلى المدائن، دار النفائس، بيروت(١٩٧٢م)، ص١٣١.

(٤) اسم لدجلة البصرة(الحموي، معجم، ج٢، ص٤٤٢). وهو شط العرب حالياً.

(٥) غنيمة، الحيرة المدينة، ص ص٩١-٩٢.

(٦) معجم، ج٢، ص٤٧٩.

الطبيعية مثل العواصف والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية، فضلاً عن الأخطـار البشـرية كالقراصـنة البحر(١).

مارس الأنباط التجارة البحرية على نطاق واسع، وبرعوا بها وكانوا ماهرين في صناعة السفن، وفي تسـخير البحـر لنشاطهم وخدمتهم في شؤون الملاحة(٢)، وأخذت سفنهمتمر عبر البحر الأحمر لتنقل البضائع من موانئ اليمن إلى موانئ الأنباط في شمالي البحر الأحمر، لاسيما ميناء الأنباط الرئيس على الساحل الشرقي للبحر الأحمر المعروف باسـم (ليوقـة قومة)، ومن هناك تنقل إما براً إلى البتراء أو تستمر بحراً إلى أيلة(٣)، والطريق البحري الثاني الذي سلكته السلع النبطية هو الطريق القادم من الخليج العربي عبر بحر العرب إلى باب المندب ومن هناك عبر البحر الأحمر إلى الميناء النبطـي (ليوقـة قومة)(٤)، وبذلك تضاعفت قدراتهم التجارية، وازدادوا بسطة في الثراء(٥)،وورد في المصادر الصينية أن تجـارة الصـين كانت تصل إلى مكان يدعى (لي- قن) وهو يذكر بلفظة (رقيم) -وقد يكون الاسم القديم للبتراء- وذلك يرجح أن تجارة الصين كانت تجيء عن طريق البحر الأحمر، فضلاً عن مجيئها خلال الخليج العربي(٦).

وتشير الكتابات المكتشفة في الساحة العامة في تدمر إلى وجود علاقات مباشرة بين تدمر وبلاد (السلثيين(٧)) في شمال شمال غرب الهند، حيث كانت مرفأً للسفن التجارية القادمة من موانئ الخليج العربي(٨)، وهذا مـا يشـير إلى تنظـيم التدمريون لرحلات تجارية بحرية عبروا فيها مسافات شاسعة، وقد أشارت النقوش التدمرية إلى قيام تجار عائدين من الهند على متن سفينة تدمرية بإقامة تمثال لأحد التجار التدمريين ويدعى (مرقوس أولبيوس ياحاي) وقد أقيم هـذا التمثـال في خاراكس (أي في ميسان وهي في الوقت الحاضر القرنة)(٩)، وكان هذا البحار الجريء يعود محملاً بالبضائع الثمينة الـتي كان من بينها الأقمشة القطنية والأحجار الكريمة مثل اللازورد والفيروز فضلاً عن الحرير الصيني(١٠)، وفي نقش آخـر يكرم نفس الشخص من قبل تجار عادوا من الهند في مركب حنين بن حدودان لمساعدته لهم(١١)، ويشير هذا النقش إلى المساعدة التي قدمها هذا البحار للتجار الذين ذهبوا إلى برباريكوم الواقع على مصب نهر الهندوس(١٢)، ويبدو أن البضائع الصينية المنشأ التي كان التجار يجلبونها من الهند كانت تستورد إلى الهند عبر وسطاء تجاريين، أي أن الهنود عملوا كوسطاء للتجارة بين الصين وشبه جزيرة العرب فضلاً عن تصديرهم لما ينتجونه من بضائع.

لم يقتصر النشاط التجاري البحري لتدمر عبر الخليج العربي والمحيط الهندي بل امتد باتجاه الغرب عبر البحر المتوسـط والبحر الأحمر، حيث كانوا حلقة الوصل بين المراكز التجارية في العالم القديم وأشرنا من قبل، فقد وصل التجار التدمريون ببضائعهم إلى (بوتيولي) في إيطاليا وإلى بريطانيا واليونان، ووصلوا إلى المجر (هنكاريا) وإلى فرنسا وإسبانيا، بل كان لهم في

---

(١) العلي، محاضرات، ص٣٧.

(٢) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص٣٣.

(٣) الصمادي، التجارة النبطية، ص١٢٤.

(٤) غوانمة، يوسف، إيلة (العقبة) وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، دار هشام، اربد(١٩٨٤م)، ص١٩.

(٥) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص٣٣.

(٦) زيادين، فوزي، تدمر البتراء البحر الأحمر وطريق الحرير، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، مج٤٢، دمشق(١٩٩٦م)، ص١٤٤.

(٧) وهو الاسم الذي تعرف به قبائل (الساكا)، حيث كونت قبائل الساكاس دويلات متحدة بين سنة (١٥٠-١٤٠ ق.م) وكونت مملكـة كوشان القوية التي دامت حتى سنة (٢٢٦م). (للمزيد ينظر: اوليري، دي لاسي، انتقال علـوم الاغريـق الى العـرب، مطبعـة الرابطـة، بغداد(١٩٥٨م)، ص١٣٩).

(٨) سيريغ، هنري، بحث في مصادر الحضارة التدمرية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج١، دمشق(١٩٥١م)، ص٦١.

(٩) ستاركي والمنجد، تدمر عروس الصحراء، ص٣١؛ غافيكوفسكي، تدمر، ص١١٩.

(١٠) زيادين، تدمر البتراء، ص١٤٤.

(١١) سيريغ، بحث، ص٦٨؛ غافيكوفسكي، تدمر، ص١١٩.

(١٢) زيادين، تدمر البتراء، ص١٤٤.

هذه البلدان جاليات ووكالات تجارية، حيث عثر هناك على مدافن ومعابد ونقوش تعود لتجار تدمريين(١)، وكان للتجار للتجار التدمريين حضور في الساحل الجنوبي للبحر المتوسط وفي أفريقيا، وهذا ما أشارت له الآثار المكتشفة في تلك المناطق، فحملوا إلى تلك البلدان ما وردهم من بضائع صينية وهندية فضلاً عما أنتجوه من مواد صالحة للتجارة.

وقد كانت السفن التجارية القادمة من الهند والصين تعبر الخليج العربي ثم نهر دجلة ثم تصل إلى سلوقية، ثم تخرج القوافل عبر البر في طريقين يذهبان إلى سورية الأول من الفرات ماراً بمدينة (الصالحية) إلى إنطاكية(٢)، والثاني من دجلة ماراً بالجزيرة ثم نصيبين ثم إلى الرها ثم إلى إنطاكية أو دمشق(٣)، وكلا الطريقين لابد وأن يمرا بمدينة تدمر حيث تستريح القوافل وتتزود بالمؤن(٤).

السلع التجارية:تشير الأدلة الأثرية إلى أن تجار شمال شبه جزيرة العرب كانوا يتاجرون بعدد من السلع المستوردة من مصادر متعدد لاسيما الصين والهند، وفي مقدمتها البخور وهي مادة ضرورية في حياة الناس وعباداتهم، وكان هو والمر يستعملان في تركيب العقاقير، ويستعمل المر وحده في صناعة مواد التجميل والعطور وفي شؤون الدفن، ولا ينازع هاتين السلعتين ببعض القيمة من الحاصلات المحلية إلا البلسم والقار(٥)، حيث كانوا يحملون القار إلى مصر على وجه الخصوص الخصوص لتستخدمه في التحنيط(٦)، فضلاً عن الاتجاربالعطور والطيوب المستورد من اليمن والذي يصدر إلى مناطق مختلفة من العالم ممن يحتاج إليها(٧)، وهذه العطور من مختلف الأنواع وتعد سلع عالية القيمة(٨)، فضلاً عن التوابل التي التي كانت تستورد من الهند(٩)، وتاجر الأنباط بمادة الصمغ(١٠)، وقد درت عليهم هذه المتاجرة بثروات طائلة لما لهذه السلع من أهمية بارزة في حياة شعوب العالم القديم.

وتاجروا بالمنسوجات الحريرية التي كانت تستورد من والصين، والحناء العسقلاني واللآلئ التي كانت تورد من الخليج العربي(١١)، وكان الحرير يأتي من الصين ويصل إلى البتراء، وتصدر إلى الصين في مقابل ذلك المطرزات، كما كان يذهب إلى الصين الحنا والزجاج واللؤلؤ والمرجان والسجاد والذهب والفضة(١٢)، وهنا لا نستبعد حصول نوع من المقايضة بين التجار الأنباط وبين التجار الأجانب، لاسيما أن هذا النوع من التبادل التجاري كان وما زال سائداً في عمليات البيع والشراء.

وتاجر الأنباط بالزجاج والأرجوان من صور وصيدا، والخزف من روما، فضلاً عن متاجرتهم بنبات (هبات الأذن) وهو نبات صمغي، ونبات القصب المعصر Scendted reed، ونبات الحلبينة Galbanum وهو أيضاً نبات صمغي(١٣).

---

(١) شعث، طريق البخور، ص١٥٣؛ Condurachi, M., State Funerairies Palmyrenienines, Petra the caravan cities, Amman, 1990, p. 185.

(٢) حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٢٩٨.

(٣) البكر، العرب والتجارة الدولية، ص ص٧٨-٨٠.

(٤) Rostovtzeff, Op, cit, p, 92.

(٥) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص١١٢.

(٦) زيدان، العرب قبل الإسلام، ص٩٠.

(٧) حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٤٢٥.

(٨) Kirwan, op, cit, p. 56

(٩) الصمادي، التجارة النبطية، ص١٣٧.

(١٠) Rostovtzeff, op, cit, p. 61.

(١١) حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٤٢٥.

(١٢) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص٨٧.

(١٣) الصمادي، التجارة النبطية، ص١٣٧.

وتاجر الأنباطببعض المنتجات المحلية كزيت السمسم والذهب والفضة ويصدر إلى الخارج فيما بعد(١)، وأن تصنيع الخزف على نطاق واسع وبالرقي الذي ذكرناه آنفاً يشير إلى احتمال تصديره إلى خارج بلاد الأنباط، واستوردوا الأختام الصينية والقناديل الرومانية(٢)، ومن الأنباط انتقلت المصنوعات النحاسية والحديدية المصنوعة في بلاد اليونان أو الشام أو في البتراء إلى اليمن(٣).

كانت القوافل التدمرية تنقل إلى شبه جزيرة العرب وموانئ الخليج العربي الزجاج والأدوات المطلية بالمينا، والأقمشة الناعمة والأرجوان والخمر وزيت الزيتون والتين والجوز والجبن المجفف، وكثيراً منها كان يأتي من الصين(٤).

ومن السلع الأخرى التي تاجر بها التدمريون الطيوب، والتوابل(٥)، والقرفة(٦)، والبخور(٧)، والمر(٨)، واللبان(٩)، واللبان(٩)، والصمغ، والصبر، وأخشاب الزينة وقد استوردوها من اليمن التي اشتهرت بإنتاج مثل هذه البضائع(١٠)، وأن اليمن كانت هي الأخرى محطة رئيسة على طريق التجارة القادم من الصين والهند وكانت تصدر هذه البضائع إلى شمال شبه جزيرة العرب ومنها تدمر تصدر إلى أسواق مصر وبلدان أوربا(١١)، فقد نقلت اليمن بضائع الهند والصين إلى باقي أرجاء شبه جزيرة العرب ومنها شمال شبه جزيرة العرب، ومن هذه البضائع فضلاً عما ذكرناه الذهب والعاج والأحجار الكريمة والقصدير وخشب الصندل والأقمشة الحريرية والقطنية والكتانية والآنية الفضية والنحاسية، فضلاً عن منتجاتها الأخرى(١٢).

واستورد التدمريون من الأبلة وخاراكس وفورت البضائع القادمة من الهند والصين، مثل الدهون والبهار والحرير الصيني والنحاس وخشب الصندل وخشب الأبنوس، واستوردوا من الخليج لآلئ البحرين، وكانوا يستعملون بعضاً منها أما القسم الأكبر فقد كان يصدر مرة أخرى إلى أسواق حوض البحر المتوسط(١٣)، واستوردوا من أفريقية الشرقية الذهب والعاج والجلود وخشب الأبنوس وريش النعام والعبيد(١٤).

---

(١) حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٤٢٥.

(٢) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص١١١.

(٣) علي، المفصل، ص٣، ص١٨.

(٤) خياطة، علاقات تدمر، ص١٦٥؛ حتي، تاريخ سوريا، ج١، ص٣١٩.

(٥) نباتات عشبية تستعمل في التحنيط والشعائر الدينية (اوليري، دي لاسي، جزيرة العرب قبل البعثة، وزارة الثقافة، عمان(١٩٩٠م)، ص٥١).

(٦) وهو نبات الدارسين (خياط، يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب، بيروت(د.ت)، ص٥٣٠).

(٧) من البضائع الثمينة التي كان يوازي سعره سعر الذهب في الوقت الحاضر، لذا فقد كان لا يشتريه لغلائه سوى رجال الدين لاستعماله في المعابد والطقوس الدينية التي تستنزف القسم الأكبر منه، ويستعمله الملوك والأثرياء لحرقه في المناسبات وفي اجتماعاتهم(علي، المفصل، ج٢، ص٦٦؛ العلي، صالح أحمد، تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات، بيروت(٢٠٠٠م)، ص ص١٩-٢٠).

(٨) وهو من المنتجات الغالية والثمينة، يستخدم في التحنيط ولعلاج بعض الأمراض(شهاب، حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، ط٢، بيروت(١٩٨١م)، ص١٤٠).

(٩) من المنتجات المهمة التي اشتهرت بها اليمن بزراعتها، يوصف بأنه صمغ يحرق فيصدر منه دخان كثيف ذو رائحة طيبة، ويستخرج من شجرة تعرف بشجرة اللبان، واستعمل اللبان في تحنيط الموتى لاسيما في مصر، كما يدخل في صناعة الأدوية(موللر، ولتر، طريق اللبان القديم، تر: محمد يوسف عبد الله، نشر ضمن كتاب أوراق، صنعاء(١٩٨٥م)، ج٢، ص٤٥).

(١٠) شعث، طريق البخور، ص١٥٢.

(١١)نخلة، منى يوسف، علم الآثار في الوطن العربي، جروس برس، طرابلس، لبنان(١٩٩٩م)، ص٨٧.

(١٢) علي، المفصل، ج٤، ص١١٥.

(١٣)موسكاتي، تاريخ، ص١٩٧.

(١٤) دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص ص١٣٨-١٣٩.

الإسلام في الصين : رؤية موضوعية واقعية

الدكتور يونس عبد الله ما تشنغ بين الصيني

(Yunus Abdullah Ma Zhengbin)

الملخص

ظل الإسلام والمسلمون في الصين لقرون طويلة مجهولين لا يكاد يسمع العالم عنهم شيئا.ولهذا يحاول الباحث تسليط الضوء من خلال هذا البحث على طبيعة الإسلام في أرض الصين، كاشفا أمر الإسلام والمسلمين، ومبينا محاولتهم الحفاظ على دينهم، وتعليم شعائرهم، وما يواجهون من تحديات في الوقت الحالي.

إن المعلومات والتحليلات في هذا البحث ناتجة عن قراءة الباحث لتاريخ الصين، وخبرته بصفته مسلما صينيا من قومية "هوي"، وثمرة لما شاهد من أوضاع إيجابية وسلبية بين المسلمين في الصين في الالتزام بالدين علما وعملا، ثقافة وتربية.

يرى الباحث أن الطفرة الاقتصادية، والتنافس بين الناس في تحقيق الرغبات المادية مع إهمال الجانب الروحي، إذا لم يلتفت إليه بالإصلاح والتربية سيصبح المسلمون في الصين فريسة، لا يملكون من الإسلام إلا اسما، ومن الدين إلا رسما فقط.

المقدمة

الحمد لله القائل:« يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(الحجرات:١٣). وأفضل الصلاة والسلام على أشرفالأنبياء والمرسلين محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله، وأصحابه أجمعين،أما بعد:

فمنذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا من الزمان، وفي القرن السابع الميلادي تحديدا، دخل الدين الإسلامي إلى الصين على يد التجار المسلمين من العرب والفرس١.ظل الإسلام والمسلمون في الصين مجهولين لقرون طويلةلا يكاد يسمع العالم عنهم عنهم شيئا، وقد وصف الأمير شكيب أرسلان في كتابه المشهور"**حاضر العالم الإسلامي**" بأن " مسلمو الصين ليسوا في هذه الدنيا"٢، وكما شبّه المفكر الإسلامي الصحفي المصري المعروف فهمي هويدي الذي زار الصين عام ١٩٨٠م حالة الإسلام والمسلمين في الصين بـــ "الملف الضائع" في العالم الإسلامي٣، وإن دلت هذه التعبيرات على شيء، فإنها تدل على على مدى إهمال المسلمين في العالم الإسلامي لإخوانهم في الصين حيث أصبحت أحوال الإسلام والمسلمين غريبة وغامضة، بل ناقصة ومشوهة في العالم الإسلامي. ولا شك أن هناك محاولات عديدة من العلماء والباحثين الأجانب مثل فهمي هويدي في كشف حقائق الأمور عن أحوال الإسلام والمسلمين في الصين من خلال كتاباتهم وأبحاثهم، وخاصة بعد عهد انفتاح سياسة الدولة والاقتصاد نحو الخارج (١٩٧٩م)، ولكن تلك المحاولات لم تصل إلى عمق الأمر، وجوهر القضية في بعض الجوانب لكون أولئك الباحثين أجانب تواجههم مشكلة عدم معرفة اللغة الصينية، والثقافة المحلية، بالإضافة إلى وجود الفروق الكبيرة بين الصين والعالم الخارجي في الحضارة، والفلسفة، والتقاليد، والنظام السياسي ماضيا وحاضرا.

و من الأمور التي لفتت نظر الباحث وانتباهه أن بعض إخواني المسلمين سواء أكانوا من العرب أم من غيرهم لم يعرفوا كثيرا من أحوال الإسلام والمسلمين في الصينمعرفة صحيحة،بل وجد الباحثمعرفتهم لها سطحية، بل خاطئةومشوهة في كثير من الأحيان، وكثير منهم لم يقدّروا ظروف المسلمين في الصين ماضيهم وحاضرهم، وخاصة تاريخهم المؤلم٤

١-بدر الدين و.ل.حيّ، تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر(لبنان: دار الإنشاء والطباعة والنشر،١٣٩٤هـــ)، ص١٦.

٢ -الأمير شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي (دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٧٣م)، ج٢، ص٢١٩.

٣-فهمي هويدي، الإسلام في الصين، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،١٩٨١م)، ص١٣.

٤ -من الملفت للنظر ما حدث عندما ألقى الدكتور رمضان ما تشيانغ الصيني (Dr.Ramadan Ma Qiang-الأستاذ المساعد بالجامعة بالجامعة الشمالية للمعلمين بمقاطعة شانشي(Shan Xi)بالصين)- محاضرته القيمة تحت عنوان"الثقافة التاريخية للمسلمين الصينيين" في معهد الفكر الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (ISTAK) بالتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٠م. وقد سأل أحد الحاضرين للمحاضرة قائلا:

وحاضرهم العسير، وهذه المشكلة هي التي جعلت تنظيم وتنسيق التعاون بين المسلم الصيني وغيره في حقل الدعوة الإسلامية وشئون الإسلام والمسلمين في الصين أمرا غير متيسر، و لم يصل إلى غايته المنشودة، ونتائجه المرجوة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الباحث قد واجه كثيرا من الأسئلة المتعلقة بأحوال الإسلام والمسلمين في الصين أثناء تواجده خارج الصين وأينما ذهبفي دولةمسلمة يمينا أو شمالا،شرقا أو غربا، وأكثر الأسئلة تحوم حول الزمن المحدد الذي وصل فيه الإسلام إلى الصين، وكيفية انتشار الإسلام في الصين، وقضية التعليم والتربية والدعوة الإسلامية في الصين، وكيف كان المسلمون في الصين إبّان عهد الثورة الثقافية؟ وكيف تكون الدعوة الإسلامية في الصين حاليا؟ وما التحديات المعاصرة التي يواجهها المسلمون في الصين ؟ وغيرها من الأسئلة، وقد أجاب الباحث بعضا منها في المناسبات الرسمية وغير الرسمية، ولكن البعض منها يرى الباحث ضرورة وحتمية الدراسة والبحث فيها بطريقة علمية ومنظمة، وبصفة الباحث مسلما صينيا غيورا فإنه يتحتم عليه أن يقوم بدراسة هذه الجوانب لسد هذه الثغرة، وتعريف المهتمين بها، مسلمين وغيرهم، كما رأى الباحث أن الدراسة عن هذه الموضوعات لها أهميتها وضرورتها، ويمكن إجمال أهم نقاطها بالآتي:

أولا : توسيع معرفة إخواننا العرب وغيرهم من المسلمين بأحوال المسلمين خارج الدول العربية عن طريق نشر البحوث والكتب التي يمكن أن تزيد اليقين والحماسة بين إخواننا العرب أو الناطقين بالعربية من غير العرب في دعوة القوميات غير المسلمة الموجودة في بلادهم.

ثانيا : وصل الإسلام إلى الصين والبلاد الأخرى في آسيا بطريق السلم والقدوة الحسنة، و لم يكن الوصول إليها بالقوة والعنف كما يزعم أعداؤه وخاصة في أيامنا هذه، فقد أصبحت صورة الإسلام والمسلمين في المجتمع غير الإسلامي داخل الصين وخارجها صورة مخيفة ومرعبة بسبب تحريف حقيقتها من قبل أعداء الإسلام والمسلمين، فيجب علينا نحن المسلمين أن ندافع عن ديننا من خلال بيان طريقة وصول الإسلام إلى الصين، التي لها حضارة عريقة، ومدنية موغلة في التاريخ عن طريق السلم والأسوة الحسنة، وإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على أن الإسلام دين السلام، ويريد السلام، ويأتي بالسلام للبشرية.

ثالثا :عند وصول الباحث إلىجنوب شرقي آسيا بالأخص ماليزيا، وجد أن معظم الإخوة غير الصينيينيعتقدون بأن المسلمين في الصين هم من مقاطعة يوننان (Yun Nan)، وهي إحدى المقاطعات الصينية الأربع والثلاثين، ومن اعتقادهم المشهور أن المسلم الصيني لا بد أن يكون من يوننان، ولذا أينما كان الباحث شمالا أو جنوبا،شرقا أو غربا إن قال لهم أنا من يوننان فسوف يفهمون أنه مسلم صيني،أما إذا قال أنا من قومية أخرى فيظنون أنه غير مسلم، لأنهم لا يمتلكون معلومات أكثر من ذلك بسبب قلة البحوث أوالدراسات التي تزيد من وعيهم، ولذا فقد شعر الباحث بمسؤولية عظيمةبتسليط الضوء على الإسلام في الصين ولو بإيجاز، برؤية موضوعية واقعية، مستندا إلى طبيعة الإسلام ودخوله في الصين، ومدى انتشاره وما يواجه المسلمون من التحديات في الوقت الحاضر.

"إننا قمنا بزيارة إلى الصين مع علمنا بوجود المسلمين في الصين، فلم نجد مسجدا بالتراث الإسلامي المعتاد، وإنما وجدنا مساجد قديمة مبنية بالهندسة المعمارية الصينية وهي لا تختلف عن المعابد الصينية، الأمر الذي دفعنا نشك في قداسته والدخول للصلاة فيها". فأجاب الأستاذ قائلا:" إننا نعيش وسط الصينيين ممن يدين بالكنفوشيوسية والطاوية والبوذية، وكل هذه ديانات قديمة متأصلة في ثقافة الصين منذ آلاف السنين، فلم يكن من السهل لأجدادنا المسلمين أن يخالفوهم في كل شيء، بل كان من الحكمة العيش مع هؤلاء غير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام، والتكيف معهم في العادات والحياة الاجتماعية والمعاملات اليومية، كلما كان ذلك لا يخالف عقيدة الإسلام، ولا يؤدي إلى فعل ما نهى الله عنه، بل كان من حكمة المسلمين في الصين أن يضعوا ألواحا كتب عليها " عاش الأمبراطور الحالي، عاش، عاش!" —ألواح شاكرة لفضائل الأمبراطور_داخل المساجد أيام حكم الأمبراطور تشين (Qing١٦٤٤–١٩١١م) في القرن السابع عشر والثامن عشر لدفع ضرره، وعند وقت الصلاة كانوا يخفونها ثم يعيدونها إلى مكانها، إذا لم يعملوا هذه الحيلة لما كانت للمسلمين فرصة لأداء فريضة الصلاة.

رابعا: إن الدراسة والمعرفة عن أحوال الإسلام والمسلمين في الأقليات المسلمة في العالم تثبت ما تتميز به جامعتنا – الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا– من أهداف سامية لاستعادة دور الأمة الإسلامية القيادي والريادي في جميع فروع العلم والمعرفة.١

و لاشك أن موضوع الإسلام في الصين موضوع كبير يحتاج إلى تأليف الكتب، وإعداد الأبحاث، وإقامة الندوات العديدة من العلماء والمؤرخين المتخصصين بها. ويأمل الباحث أن يكون هذا البحث مفتاحا لكثير من الباحثين أن يبذلوا جهدهم في كشف حقيقة الإسلام، وحالة المسلمين في الصين، آخذين في الاعتبار تحدياتهم في إثبات هويتهم الإسلامية، وتقوية حالتهم الاقتصادية والعلمية بعد انفتاح الصين إلى العالم، وتقدمها المستمر في عصر العولمة.

المبحث الأول: لمحة عن وصول الإسلام إلى الصين: من السجلات الصينية القديمة، والاكتشافات الأثرية علمنا أن علاقة الصين بالعرب بدأت منذ زمن بعيد، وأنها كانت قبل الإسلام بقرون، وقد ذكر الأستاذ بدر الدين في كتابه «العلاقات بين العرب والصين» قائلا: "إن علاقة الصين بالعربلم تكن وليدة لعصر الإسلام، بل ابتدأت قبل الإسلام بقرون، غاية الأمر أن عراها لمتكن أوثقت كما في زمن الإسلام، لكن العلاقة كانت موجودة على طريقة غير مباشرةأوَّلاً، ثم تطورت إلى علاقة مباشرة عندما قرب ظهور الإسلام... واتفقت المصادرالثلاثة:الصينية والإيرانية والرومانية، على وجود العلاقة بين العرب والصين قبلالإسلام ببضعة قرون في شكل غير مباشر٢من خلال اتصال تجارالعرب بالصينيين عن طريق التجار الإيرانيين والرومانيين.٣

و يرجع تاريخ وصول العرب إلىالصينقبل ظهور الإسلام٤، ويثبت ذلك من الوثائق التاريخية الإسلامية،فقد اشتهر حديث من الأحاديث النبوية الشريفة "اطلبوا العلم ولو بالصين" ورغم ضعف إسناده لكن بشهرته الواسعة فإنه يبنى عليه ثلاثة أمور تاريخية:

أولا :إنه يثبت بهذا الحديث أن هناك نوعا من الصلات، مباشرة كانت أوغير مباشرة بين العربوالصين قبل ظهور الإسلام، وبفضل وجود هذه الصلة أصبح اسم الصين معروفا عند العرب حين ظهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبدأ يبشر برسالته من قلب جزيرة العرب إلى الناس كافة في العالم.

ثانيا : إن الصين كانت معروفة عند العرب بأنها بلاد عظيمة الشأن، وعريقة في الحضارة والمدنية، ولها آداب رفيعة وحكمة عالية، غير أنها من الناحية الجغرافية بعيدة جدا عن جزيرة العرب التي فيها منزل الوحي ومهد الإسلام.

ثالثا: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يشجع بحديثه هذا، الصحابة وأتباع الصحابة ومن دخل في دين الإسلام الحنيف فيما بعد، علىالمخاطرة بأنفسهم بالسفر إلى بلاد نائية كالصين التي تقع في أقصى الشرق لأجل طلب العلم والبحث عن الحكمة٥.

يجمع علماء التاريخ في الصين على أن أول اتصال رسمي بين الدولة العربية الإسلامية وبين الصين تم في عام ٦٥١م في عهد الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه–(وهذا لا يعني بداية العلاقة بين العرب والصين)٦.وقد ذُكِرَ في تاريخ تانغ (Tang٦١٨–٩٠٧م) أن بعثة عربية وصلت إلى الصين في هذا العام.وقد ذكر أيضا أن بعثات الدولة العربية إلى ملوك تانغ تزيد على ٣٠ بعثة٧، ويعتبر هذا العام بداية دخول الإسلام إلى الصين.وكما ذكر أيضا خلال عهد أسرتي تانغ(Tang٦١٨–٩٠٧م) وسونغ (Sung ٩٦٠–١٢٧٩م) وصل التجار العرب والفرس المسلمون إلى شمال غربي

١– الباحث محاضر بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

٢–بدر الدين و.ل.حيّ، العلاقات بين العرب والصين (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٠م)، ص٨.

٣– المرجع السابق، ص٢٠.

٤ – إبراهيم فنغ جين يوان، الإسلام في الصين (نينشيا (Nin Xia): الدار الشعبية للنشر والتوزيع بمقاطعة نينشيا، ١٩٩٣م)، ص٩.

٥– بدر الدين و.ل.حيّ،تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، ص١٥.

٦– بدر الدين و.ل.حيّ،تاريخ المسلمين في الصين في الماضي و الحاضر،ص١٦.

٧– فهمي هويدي، الإسلام في الصين، ص٤٨.

الصين عن طريق البَرّ، وإلى المدن في المناطق الساحلية جنوب شرقي الصين عن طريق البحر للتجارة ونشرالإسلام.وقد بني خلال تلك الفترة مسجد قونغتا (Guang Ta المنارة) بمدينة قوانغتشو(Guang Zhou)-إحدى المدن الساحلية في الصين وأبرز موانئها-، ومسجد تشينغجينغ (Qing Zhen الصفاء والنظافة) بمدينة تشيوانتشو(Quan Zhou مدينة زيتون كما ذكرها ابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٧م) في كتابه: «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»وهما مسجدان قائمان إلى اليوم.١

وقد حاول العلماء والباحثون في تحقيق من كان المسلم (العربي) الأول الذي ذهب بالإسلام إلى الصين لغرض التبليغ والدعوة، كما سعوا إلى الاهتداء إلىالأدلةالتاريخية التي تثبت بصورة قاطعة من كان مؤسسا للمسجدشي-آن(Xi An) أحد المسجدين الأقدمين بعاصمة الصين القديمة في عهد أسرة تانغ (Tang٦١٨-٩٠٧م) ٢، غير أنهم لم يهتدوا إليها،لا من المصادر العربية، ولا من المصادر الصينية، أومن المصادر الإسلامية الأخرى. من هنا نعلم أن الإسلام قد وصل إلى الصين مبكرا عن طريق التجار المسلمين، سواء أكانوا من العرب أو من الإيرانيين، أو عن طريق وفود بعثها بعض الخلفاء، ولهذا فإن تعيين الوقت كسنة كذا وكذا، أوتعيين شخص أو أشخاص كانوا سببا في دخول الإسلام إلى الصين أمر صعب المنال.

وعلى الرغم من دخول الإسلام أراضي الصين في خلافة سيدنا عثمان بن عفان-رضي الله عنه-كما تؤكد الوقائع التاريخية، إلا أن الإسلام لم يأخذ مكانته اللائقة مع ما يحتوى هذا الدين من كل المقوّمات التي تجعله أرسخ عقيدة في القلوب، وأكثر ديانة بالانتشار،بل كان الإسلام معروفا بين أفراد قلة من الصينيين، وقوميات محدودة،ولعل سائلا يسأل لماذالم ينتشر الإسلام في الصين كما انتشرت الطاوية والبوذية و الكنفوشيوسية؟ وفي الحقيقة أن السبب الرئيس يعود إلى أمرين مهمين:

أولا:عدم وجود عالم أو داع مستنير يجيد اللغة المحلية يبّين حقائق الإسلام بين الصينيين،لأن الإسلام لم يعرّف بين الصينيين إلا عن طريق التجار العرب،فاهتمامهم بالتجارة ما أعطى لهم فرصة للقيام بالدعوة بالطريق المنظّم. والمساجد التي بنيت في الصين كانت محل العبادة فقط للداخلين فيها، ولم يكن لها دور في نشر الإسلام بين غير المسلمين.

ثانيا: عدم اعتناق الأسر الملكية والنبلاء دين الإسلام، وظلوا متمسكين بالكنفوشيوسيةأوالبوذية أو الطاوية، وبالتالي كانوا غالبية الشعب على طبيعة ملوكهم.

وقد استمر هذا الوضع لما يقرب من ألف سنة، وقد انتشر الإسلام في البلاد المجاورة للصين،وبالأخص التي تقع على جنوب الصين وهيمن على هذه المنطقة.

وبعد ما مضى على انتشار الإسلام في الصين أكثر من ١٣٠٠سنة أصبح عقيدة مشتركة لدى عشر أقليات قوميةهي:هوي، والويغور، والقازاق، والقرغيز، والتاتار، والأوزبك، والطاجيك، ودونغشيانغ، وسالار، وباوآن، وهذه القوميات العشر هي من القوميات الست والخمسين الموجودة في الصين.

قومية هُوِي(hui) من أكثر قوميات الصين تميزا، فأبناء قومية هُوِي(hui) موجودون في كل أرجاء الوطن،وإن كانت لهم تجمعات في أحياء أو مناطق خاصة بهم.وأما قومية هَانْ(han) فهي التي تعتبر القومية الأكبر بين القوميات الست والخمسين في الصين، كما تعتبر أكثر قومية سكانا من بين القوميات الموجودة في العالم، ويبلغ عدد سكان هذه القومية حاليا مليارا ومائتي مليون نسمة. ويعيش قومية هوي مع القوميات الأخرى في انسجام، ويباشرون أعمالهم معهم بشكل وثيق، ولكنهم يحافظون على تميزهم العرقي ومنظومة حياتهم الاجتماعية الفريدة، ولم يذوبوا في قوميات أخرى كما حدث

١- محمود يوسف لي هوا ين ،(١٩٨٩م)، المساجد في الصين باللغة العربية، ط١، دار النشر باللغات الأجنبية، بكين-الصين، ص١٨.

٢- المرجع السابق، ص٣٩.

لبعض الأقليات في تاريخ الصين كالبوذيين والمسيحيين١.ولعل أهم أسباب ذلك الوعي القومي الراسخ لدى أبناء "هُوِي هُوِي"، هذا الوعي الذي يمنح مجتمع "هُوِي هُوِي" قوة هائلة للتصدي للتأثيرات الخارجية التي قد تحتويه، وليس من شك أن هذا الوعي المميز هو نتيجة التعليم الإسلامي، وحكم المسلمين.

نشأة قومية هُوِي (hui) (أكبر قومية مسلمة بين القوميات المسلمة العشر في الصين):الاسمالذي أطلقه الصينيون على المسلمين في فترة بداية دخول الإسلام إلى الصين هو "فانكه (Fan Ke)"، أما الأحياء التيسكنوها، وكانت تضم مساجدهم ومقابرهم، فسميت "فانفانغ (Fan Fang)". ومنذ ذلك الوقت تكرس وضعالمساجد الواقعة في أنحاء الصين كمكان لممارسة العبادة والنشاطات الدينية، وليس مكاندعوة غير المسلمين إلى الإسلام. كان عدد المسلمين الذين هاجروا إلى الصين في المرحلة الأولى جدقليل، ولكنهم لم ينصهروا في القوميات الأخرى، بل ضموا عددا من أبناء القومياتالأخرى إليهم، الذين أسلم بعضهم لاقتناعهم بالعقيدة الإسلامية، كما انضم البعضالآخر إلى صفوف المسلمين بمحض إرادتهم بسبب الزواج. ومع زيادة عدد المسلمينالصينيين بمرور الأيام تعاظم تأثير المسلمين في الصين بصورة ملحوظة٢.

مع انتشار الإسلام في الصين في فترة أسرة تانغ (Tang٦١٨-٩٠٧م)، وهجرة المسلمين إلىالصين بشكل هائل في فترة أسرة يوان(Yuan١٢٠٦-١٣٦٨م)، لم يزدد عدد المساجد في الصين فحسب، بل ظهر عددمن المطاعم الإسلامية أيضا. أما الذين حملوا اسم المسلمين في الصين حينذاكفهم أولا: خلَف العرب والفرس الذين أتوا إلى الصين لمزاولة التجارة في فترة أسرتيتانغ (Tang٦١٨-٩٠٧م) وسونغ(Song٩٦٠-١٢٧٩م)؛ ثانيا: المسلمون من شتى القوميات بآسيا الوسطى الذين أرغمهم المغول علىالانضمام لجيشهم في حملتهم على الصين. بالإضافة إلى ذلك،هناك عدد كبير من أبناء قومية هان(Han)٣ أسلموا بسبب الزواج مع المسلمين والإيمانبالعقيدة الإسلامية.

لقد شهد الإسلام تطورا كبيرا في الصينفي فترة أسرة يوان(Yuan١٢٠٦-١٣٦٨م)، ووصلت قوة المسلمين المؤثرة في المجتمع الصيني إلى مستوى غيرمسبوق، ولكن الصينيين آنذاك كانوا ينظرون إلى الذين استوطنوا أرضهم كمهاجرين أجانب،سواء كانوا من خَلَفِ الذين جاءوا إليها في فترة أسرتي تانغ (Tang٦١٨-٩٠٧م) وسونغ(Song٩٦٠-١٢٧٩م)، أو المسلمين الذينأُرغموا على دخول الصين في أسرة يوان وخلفهم. وهؤلاء المسلمون سموا أنفسهم " أبناءقومية هوي من المناطق الغربية."٤

إن سافرتم إلى الصين ستجدون أن أكثر المسلمين الصينيين في المدن والأرياف هم من أبناء قومية هوي،حيث تكونت هذه القومية المسلمة الصينية خلاف ما بالقوميات الأخرى. وشعب هوي شعب ذو أصول عربية وفارسية، ويمكننا أن نلاحظ آثارا لأصولهم العربية والفارسية رغم مرور سبعة قرون على مجيء أجدادهم الأولين إلى الصين،ونلاحظ ذلك من خلال أن ما في ألسنة هؤلاء كلمات عربية وفارسية، مثل:كلمة" إيمان " و"نية"و"علم" و"مؤمن" و"بلاء" و"سماء" و"دنيا"

١- إن الديانتين البوذية والمسيحية تعتبران ديانتين دخيلتين في الصين. وقد دخلت البوذية إلى الصين في القرن الثالث قبل الميلاد، وبرغم أن البوذية انتشرت في الصين انتشارا واسعا بسرعة نظرا لتشابه تعاليمهامع تعاليم مدرسة شيوانشيويه (Xuan Xue)الفلسفية الطاوية للاو تسي وتشوانغ تسي، التي كانت شائعة فيفترة وي(Wi) وجين(Jin) (٢٢٠- ٤٢٠م) في الصين، فإن البوذية ذاتها تعرضت للحظر في الصين أربع مرات في فترة الأسر الجنوبية والشمالية (٤٢٠- ٥٨١م)؛ أما المسيحية فقد نقلت إلى الصين ثلاث مرات؛ وهي التي نالتتقديرا عاليا في فترة أسرة تانغ المزدهرة(Tang٦١٨-٩٠٧م)، ثم تلاشت في الصين بعد انتشارها لمدة مائتيوعشر سنوات. ودخلت إلى الصين أول مرة في القرن الثامن الميلادي، ومرة ثانية في عام ١٢٩٤م، ومرة ثالثة في أواخر القرن السادس عشر.

٢- ما بينغ(Ma Ping)، تاريخ الإسلام المختصر في الصين(نينغشيا(Ning Xia):دار النشر الشعبية نينشيا بالصين،ط١، ٢٠٠٦م)، ص٣٢.

٣- قومية هان(Han) الأكبر بين القوميات الست والخمسين في الصين، كما تعتبر أكثر قومية سكانا من بين القوميات الموجودة في العالم، ويبلغ عدد سكان هذه القومية حاليا مليارا ومائتي مليون نسمة.

٤- محمود يوسف لي هوا ين، الحوار الحضاري الصيني العربي، مجلة الصين اليوم، ٢٠٠٦/٩/١٧م، ص٤، مع التصرف.
http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/2007n/0701/p6.htm

و"طعام" و"حلال وحرام" و"زنى" و"قيامة" و"توبة" والخ بالعربية، وكلمة "الله" (خدا) و"والصلاة" (نماز) و"الإثم" (گناه)و"العدو" (دشمن) و"الصديق" (دوستان) و"القبل"(بوسه) و"صلاة الفجر"(سپيده دم) و"صلاة الظهر"(پشت) و"المغرب"(شام) بالفارسية، ونلاحظ أيضا أن الكثير من الرجال و النساء ملامحهم أقرب إلى ملامح العرب:أنف كبير وعينان غائرتان ولحية كثة، وكما نلاحظ أن ذرية هوي هوي قد تصيّنوا حيث يحملون أسماء صينية إضافة إلى أنهم يحملون أسماء عربية. ومن المؤكد أن هوي هوي الأولين أصروا على تسمية أولادهم بالأسماء العربية خوفا من أن ينسوا أصلهم وهويتهم الدينية.

المبحث الثاني: **الصحوة الدينية** :وبعد ألف عام تقريبا نرى تحوّلا إيجابيا في تاريخ الإسلام والمسلمين في الصين حيث بدأ الاهتمام بالتعليم الديني والدعوة الإسلامية ودراسة اللغة العربية.وأكبر فضل في ذلك كان يرجع إلى الشيخ إلياس هُو دِنْغ تشُو (Hu Deng Zhou ١٥٢٢–١٥٩٧م).وقد بدأ هذا الشيخ لأول مرة في تاريخ المسلمين في الصين تعليم القرآن والشرائع الدينية من بيته١،ومن ثم انتشر نظام تعليم القرآن والعلوم الدينية على أيدي شيوخ أجلاء في المساجد.وبعد هذه الصحوة بمائتي سنة تقريبا بدأ بعضالعلماء بتأليف الكتب الدينية المتميزة بالسمات العصريةوتدوين الأسفار بلغة هان الكلاسيكية(اللغة الصينية الكلاسيكية) واستخدام ماورد في علم الكلام والفلسفة والفقه والأخلاق والتاريخ مع الاستفادة من الثقافة الصينية التقليدية.

أ- **التعليم الإسلامي في الصين:** يستهدف التعليم الإسلامي في الصين في الأساسإلى تربية العقيدة الدينية، والقيم والمبادئ الأخلاقية، والمعارف الإسلامية لدى المسلمين.ومن الوثائق التاريخية علمنا أن التعليم الإسلامي في الصين قبل ظهور "التعليم الإسلامي المسجدي " كان معتمدا على شكل التعليم المترلي٢.فقد اعتاد المسلم أن يعلم أطفاله ومَن أسلم حديثا من أهله اللغة العربية شفاهة فى مترله، ويقرئهم القرآن،كما يلقّنهم شفاهة المعارف الأساسية في علوم الإسلام والشريعة والفقه، ويقودهم في أداء الفرائض الدينية.وكان التعليم الاسلامي يجري على شكل آخر أيضا، وهو أن يلقن الأئمة والفقهاء الوافدون من بلاد الفرس المسلمين الصينيين القرآن والعلوم الاسلامية في المساجد،ويقرئونهم القرآن بالعربية ويعلمونهم اللغتين الفارسية والعربية اللتين ظلتا لغتي تخاطب لدى المسلمين الصينيين حتى أواخر عصر يوان (Yuan١٢٠٦——١٣٦٨م)، وقد أنشأ هؤلاء الأئمة والفقهاءالفرس كثيرا من "بيوت المسلمين"، كمراكز التعليم الاسلامي، وأماكن أداء الشعائر الدينية الإسلامية في أنحاء الصين. إذ قد توافدإلى بلاد الصين في ذلك الوقت عدد كبير من الأئمةوالفقهاء الفرس تلبية لدعوة ودية توجهها اليهم المساجد الصينية التي كانت تفتقر الى من يرعى شئونها من الأئمة القادرين٣.

وكما تشير السجلات التاريخية إلى أن التعليم الإسلامي النظامي في الصين ظهر في أواسط القرن السادس عشر، وقد تفرع إلى اتجاهين من حيث أسلوب التعليم، الأول: التعليم التقليدي في المساجد، الثاني: التعليم النظامي في المدارس الإسلامية، وهو الأسلوب الذي ظهر متأخرا عن الأول. ويعد المعلم الإسلامي الكبير الشيخ إلياس هُو دِنْغ تشُو(١٥٢٢-١٥٩٧م) رائد التعليم في المساجد، وهو الأسلوب الذي صار بعد حوالي خمسمائة سنة من التطور الطريقة الرئيسة لنشر المعارف الإسلامية وإعداد المتخصصين في العلوم الإسلامية، وفي المساجد يلقي الأئمة دورسا دينية للتلاميذ، وينظمون نشاطات تدريس لهم.

١- التعليم الإسلامي التقليدي في المساجد (يسمى بالتعليم الإسلامي المسجدي أيضا):

ابتداء من جهود الشيخ إلياس هُو دِنْغ تشُو(١٥٢٢- ١٥٩٧م) بدأ المسلمون الصينيون القدماء حياتهم لنشر الدين الإسلامي وإبرازالتقاليد الإسلامية الحميدة، وإعداد الأكفاء فيالعلوم الدينية والثقافةالقومية.لقد اجتهدوا في تعلم العربية

١- إبراهيم فنغ جين يوان، الإسلام في الصين، ص١٨٠.

٢- إبراهيم فنغ جين يوان، الإسلام في الصين، ص١٨٠.

٣- محمود يوسف لي هوا ين، المساجد في الصين (بكين: دار النشر باالغات الأجنبية بكين، ط١، ١٩٨٩م)، ص١١٣.

والفارسية والصينية لاستيعاب العلوم الإسلامية والثقافة الصينية التقليدية معاً،واستطاعوا استخدام اللغتين العربيةوالفارسية في التدريس، وقاموا بترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى اللغة الصينية،الأمر الذي مهد طريقاً ميسراً لانتشار الدين الإسلامي في الصين. لم يكنالتعليم الإسلامي عند ظهوره متكاملاً ومنتظما كما هو عليه حالياً، فقد بدأ في بيوتالمسلمين، وكانت مواد التدريس متفرقة وغير موحدة، وعملية التدريس غير منتظمة.ثمتطور الأمر، وانتقل التدريس إلى داخل المسجد، حيث تتسع ساحة التعليم لعدد أكبر منطلاب العلم،والأئمة،وأصبح المعلمون مؤهلين لوضع مناهج التدريس وإعداد الموادالمدرسية وإلقاء الدروس، وبذلكتم تشكيل نظام رسمي للتعليم الإسلامي التقليدي فيالمساجد بالصين.وفي تاريخ الصين المعاصر شهد أسلوب التعليم الإسلامي التقليديفي المساجد تطوراً واضحاً، فأضحت ساحة التعليم الإسلامي جزءاً لا يتجزأ من التخطيطالمعماري للمسجد، حيث توجد عادة في كل مسجد قاعتان ملحقتان، تقع إحداهما في جنوبقاعته الرئيسة، والأخرى في شمالها،وهما مخصصتان للتعليم الإسلامي١.

إن التعليم الإسلام المسجدي في الصين هو أسلوب تعليمي ذو خصائص صينية اعتمادا على الميزة السكنية للمسلمين الصينيين"توزع الكثير وتجمع القليل" ٢وهو الأسلوب الذي يتخذ المسجد مكانا للتعليم، والإمام معلماً. ومن أهم المواد التعليمية الإسلامية تفسير القرآن الكريم، الحديث النبوي، الفقه، علم التوحيد، اللغة العربية وقواعدها، وغيرها، وإن هذا الأسلوب جعل الإسلام في الصين يبقى إلى يومنا هذا.

لقد ارتبط ظهور وتطور التعليم الإسلامي التقليدي في المساجد بالتوزيع الجغرافي للمسلمين في الصين، فهم موجودون في كل أنحاء البلاد، ولكن لهم تجمعات كبيرة. وحيث أنه لا بد من وجود مسجد في كل مكان يعيش به المسلمون فقد بات المسجد موقعا مثاليا لتعميم المعارف الإسلامية بين المسلمين وأطفالهم. ويمكن القول بأن أسلوب التعليم الإسلامي التقليدي في المساجد قد استند في ظهوره إلى خلفية اجتماعية لتعليم الكتاتيب في الصين القديمة، ودمجه بأسلوب التعليم الإسلامي التقليدي داخل المساجد الذي كان شائعا في الدول الإسلامية في العصور الوسطى٣، وقد جسّد المسلمون الأوائل في الصين صورة بهية للتعليم المسجدي، وبطريقة عبقرية تتلاءم مع ظروفهم المحلية، حيث كان التعليم الإسلامي في المساجد مفتوحا أمام جميع المسلمين وأبنائهم، وكان المسلم يدرس ويقيم دون مقابل، مما أتاح للمسلمين الفرصة لرفع وعيهم الديني وترسيخ عقيدتهم٤.

وخلال المائتين أو الثلاثمائة سنة الأخيرة كان التعليم الإسلامي في المساجد الصينية يجري على ثلاث مراحل كما اتفق المؤرخون الصينيون، هي: المرحلة الابتدائية،والمرحلة المتوسطة،والمرحلة العالية، ويُطلق عليها "عالية" تجاوزاً، والأمر الذي يلفتالنظر أن عدد طلاب المرحلة الابتدائية كان أكثر بكثير من المراحل الدراسيةالأخرى، ويعود السبب في ذلك إلى تخلف عدد كبير من الدارسين؛ لعدمضمان مستقبلهمحين يتخرجون من هذه المدارس، وتشتمل المواد الدراسية بالمرحلة الابتدائية على تعليم مبادئ اللغةالعربية وحفظ بعض قصار السور القرآنية، ومدة الدراسة لا تقل عن عامين،أما المراحل الدراسية المتوسطة فتضم علوم الصرف والنحو والبلاغةالعربية، وبسبب كثرة المواد الدراسية وصعوبة استيعاب اللغة العربيةفقد تخلف عدد كبير من الدارسين بهذه المرحلة الدراسية أيضاً، وتشتمل المواد الدراسية بالمرحلة العالية على علوم الفقه والتفسيروالتوحيد، وكانت هناك مساجد لتعليم اللغة الفارسية، وتبلغ سنواتالدراسة في هذه المرحلة من عشر سنوات إلى عشرين سنة٥.

١- محمود يوسف لي هوا ين، المساجد في الصين، ص١٢٨.

٢- ما بينغ(Ma Ping)، تاريخ الإسلام المختصر في الصين، ص٩٧.

٣- ما بينغ(Ma Ping)، تاريخ الإسلام المختصر في الصين، ص٩٧.

٤- المرجع السابق، ص١٠٠.

٥- المرجع السابق، ص٩٧.

وقد أتاحت المراحل العالية لطلابها، القيام بمهمة التدريس بالمرحلتينالابتدائية والمتوسطة – تحت إشراف الأئمة في المساجد؛ لإتاحة الفرصة لهم للتدريبعلى التدريس والخطابة.

إن للتعليم الإسلامي في المساجد أسلوبا تعليميا ذا خصائص صينية، وقد تفرع إلى عدة مدارس فكرية حسب الظروف المحلية المختلفة، منها مدرسة مقاطعة شاَنْشي(Shan Xi) التي تمتاز بدقة البحوث والتدريس في علم الكلام وعلم التفسير، ومدرسة مقاطعة شاَنْدُونْغ(Shan Dong) التي تهتم بتدريس الكتب الدينية باللغتين العربية والفارسية، وبالانحياز إلى مذهب الصوفيين، ومدرسة مقاطعة يُونْنَانْ(Yun Nan) التي تعمل على إصلاح أسلوب التعليم في المساجد، وتدعو إلى تدريس الكتب الدينية باللغتين العربية والصينية معا١. أما التعليم الديني في منطقة شِيْنْجَيانْغ(Xin Jiang) فعبارة عن الكتاتيب الصغيرة مع وجود المدارس الملحقة بالمساجد الكبيرة في مختلف الأماكن، ويشبه إلى حد كبير التعليم الإسلامي في دول آسيا الوسطى من حيث الطرق الإدارية والتعليمية وكذلك مواد التدريس٢.

إن تعلم النحو والبلاغة والمنطق، والتيتعتبر أدوات لتعميق دراسة اللغة العربية، يعتبر من أهم العوامل لتعلم اللغة العربية في التعليم الإسلامي القديم. هذا بالإضافة إلى التوحيد والفقهوالحديث والفلسفة الإسلامية والقرآن الكريم والتفسير. و لم تكن هناك مناهجتدريسية موحدة في أرجاء الصين، فلكل منطقة وكل مذهب مناهج خاصة، ومع ذلكيوجد ثلاثة عشر كتاباً كان لابد من استخدامها في التعليم الإسلامي المسجدي بينالمسلمين الصينيين وسماها المسلمون الصينيون الكتبالدينية الثلاثة عشر،ويعود تاريخها إلى نحو خمسمائة عام. وهذه الكتب الثلاثة عشر ترشد المسلمينفي دراستهم للغة العربية والثقافة الإسلامية والعلوم الإسلاميةحتى وقتنا هذا. الكتبالدينية الثلاثة عشر التي تدرس في أغلبية المساجد كالآتي:٣

١. «القراءات الخماسية » يختص الجزء الأول والثاني بعلم الصرف،والثالث بالعوامل اللغوية المائة، والرابع والخامس بأساس علم النحو.

٢. «ضوء المصباح » لأبي الفتح ناصر الدين مترزي فارسي(١١٤٣-١٢١٣هـ) هو كتاب نحوي.

٣. «ملا عصام الدين» ويسمى أيضا ب "شرح الكافية"، وهو كتاب جامع نحوي ضخم مكوّن من مليون كلمة بقلم النحوي الشهير عبد الرحمن الجامي(١٣٩٧-١٤٧٧هـ). ويعتبر هذا الكتاب من كتب البراعة في تعلم نظريات القواعد العربية، ويهتم بها مسلمو الصين غاية الاهتمام.

٤. «مختصر البيان» ويسمى أيضا ب"تلخيص المفتاح" أي علم البيان، وهو من أعمال سعد الدين تفتازاني خرساني (١٣٢١-١٣٨٩هـ) آسيا الوسطى، ويقل حجمه عن "ملا "عصام الدين الجامي بعض الشيء.

٥. « عقائد الإسلام »ويسمى ب"العقائد النسفية" لعمر بن النسفي،(كتاب التوحيد) مع شرح سعد الدين تفتازاني خرساني في حاشية الكتاب.

٦. « شرح الوقاية » لمحمود ؟ (١٣٤٧- ؟) ، وهوكتاب الفقه الحنفي المعتمد في الصين.

٧. « الخطب » كتاب الشرح للحديث الأربعين باللغة الفارسية الذي اختاره ابن ودعان باللغة العربية في الأصل.

٨. « الأربعون » كتاب شرح الأحاديث الأربعين باللغة الفارسية أيضا بيد هشام الدين، ويختلف هذا الكتاب عن كتاب "الخطب" بحيث أن كتاب "الخطب" يركز على شرح الأحكام الإسلامية، و"الأربعون" يركز على وجهة النظر الفلسفية.

٩. « المرصاد » باللغة العربية، ألفه عبد الله أبو بكر الطهراني، وهوكتاب الفلسفة يتحدث فيه عن الأخلاق والآداب والسلوك، والوسائل التي تقربنا إلى الله.

١- المرجع السابق، ص١٣٨.

٢- ما بينغ(Ma Ping)، تاريخ الإسلام المختصر في الصين، ص١٤٧.

٣- إبراهيم فنغ جين يوان(Fen Jinyuan)، الإسلام في الصين، ص١٨٩.

١٠. « أشعة اللمعات » كتاب ألفه عبد الرحمن الجامي صاحب كتاب "مـــلا" باللغة الفـــارسية، وهـــذا الكتاب يتكلم عن الفلسفة الإسلامية، وعلم التوحيد بأسلوب دقيق.

١١.« جـــوائح المنهاج » كتاب ألفه العالم المسلم الصيني محمد بن حاجم تَشْيَانْغ شِي مـــَايْ(Chang Shi Mei)المعروف ب "تشيانغ بابا" (Chang Ba Ba) للاحترام والتعظيم، وهو كتاب النحو الفارسي.

١٢. « كلستان » كتاب ألفه شاعر فارسي مشهورسادي (١٢٠٠-١٢٩٠م)، وهو كتاب أدبي تضمنت فيه الحكم والأمثال الـــتي تهذب أخلاق الناس وتزكي نفوسهم. وقد تناقل هـــذا الكتاب بين مسلمي الصين منذ ستمائة سنة وأكثر.

١٣. « القرآن الكريم ».

وقد تبين لنا مما سبق أهمية اللغة الفارسية في التعليم الإسلامي التقليدي في الصين، فقد أصبحت الكتب باللغة الفارسية هي الكتب المقررة الأكبر وزنا في الدراسة في المساجد، ويعتبر هذا من خصائص التعليم الإسلامي المسجدي التقليدي في الصين خلاف للدول المجاورة للصين. كما يتبين من خلال هذه الكتب الأساسية المقررة كون المسلمين من أهل السنة والجماعة على نهج العقيدة الماتريدية[١]. وكثرة النفوذ الفارسي والكتب الدينية الفاريسية لا يعني كونهم من الشيعة، لأن منطقة الإيران قبل انتشار الفكر الشيعي كان معقلا لفكر أهل السنة والجماعة.

ب- التعليم الإسلامي النظامي المدرسي.

لقد تطورت الدراسة بالمساجد حيث تقرر تدريس العلوم الإسلامية باللغةالصينية، بالإضافة إلى اللغتين العربية والفارسية، وقد أدى ذلك إلى زيادةأعداد الدارسين، وإلى ترجمة العديد من الكتب الدينية إلى اللغة الصينية، فظهر التعليم الإسلامي النظامي في المدارس الإسلامية في بداية القرن العشرين.وكان أول من قام بإنشاء المدارس الإسلامية النظامية الحديثة بالصين هوالشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران (Wang Hao Ran١٨٤٨-١٩١٩م)الذي أدى فريضة الحج وحصل من الحجاز على العديد منالكتب الدينية، وبعد عودته من الحج أسس أول مدرسة إسلامية حديثة في عام ١٩٠٧ميلادية، ثم أعقبها مدرسة أخرى في العام الثاني. وكان الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران شخصية بارزة في الأوساط الدينية ببكين. هذا الأسلوب من التعليم الحديث توارث التقاليد الحميدة للتعليم الإسلامي في المساجد، وأضاف إليها المواد الدراسية الحديثة في العلوم الاجتماعية، وهي المواد التي افتقر إليها التعليم الإسلامي المسجدي، ونقل العملية التعليمية من المسجد إلى المدرسة، وهكذا دخل التعليم الإسلامي إلى مرحلة جديدة في الصين[٢].

ويُعد الشيخ عبد الرحمن وانغ هاو ران (Wang Hao Ran١٨٤٨-١٩١٩م)هو رائد التعليم الإسلامي النظامي المدرسي في الصين، حتى سادالتعليم الإسلامي الحديث سائر المدن والقرى الصينية، فتأسست مدرسة تيانجين (Tian Jin)الإسلامية على يد الشيخ "يانغ تشونغ مينغ" (Yang Zhongming) عام ١٩١٠ ميلادية. و هي تلتزم بالاهتمام بالحضارة الإسلامية والحضارة الصينية، ومدرسة تشنغدا(Cheng Da) الإسلامية للمعلمين في بيبينغ (بكينحاليا) على يد الشيخ "ما سونج تينج" (Ma Son Ting) في عام ١٩٢٥ ميلادية، ومدرسة شانغهاي الإسلامية للمعلمين على الشيخ دا بوه شنغ (Da Pusheng) والشيخ ها ده تشنغ (Ha Decheng) عام ١٩٢٩م، ومدرسة وانشيان (Wan Xian) الإسلامية للمعلمين على يد تشو جي سان (Zhou Jisan) والسيد لي رن شان (Li Renshan) عام ١٩٢٨، والخ ...، وتوالى إنشاء المدارس الإسلامية الحديثة في بكين العاصمة، وفي أغلبالمناطق،

١- وو يون قوي (Wu Yungui)، علم الكلام- من سلسلة الكتب الثقافية الإسلامية-، (بكين: دار النشر للعلوم الإجتماعية الصينية، ط١، ١٩٩٥م)، ص٧٠.

٢- تأليف:"هيئة التحرير لعلوم التاريخ والحضارة" و"مركز البحوث للديانات لمكتب شؤون الديانات التابع لمجلس الدولة"، الثقافة الإسلامية الصينية (بكين: دار تشونغهوا للنشر، ط١، ١٩٩٦م)، ص١٦٢.

وأوفدت هذه المدارس خمسين من المتخرجين فيها لاستكمال دراساقمبالأزهر الشريف، وهكاذا بدأت تتضح معالم هوية التعليم الإسلامي بالصين[1].

تشكل أسلوب التعليم المنتظم في المدارس الإسلامية في الصين في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، وقد جاءت "حركة الرابع من مايو" عام ١٩١٩م بثقافات جديدة إلى الصين، وأثارت تيارا فكريا قويا للإصلاح لدى المثقفين ووجهاء المسلمين، فعقدوا العزم على شق طريق جديد للتعليم الإسلامي من أجل تحسين الواقع الاقتصادي والثقافي للمسلمين الصينيين،ففتحوا مدارس إسلامية نظامية فيبكين (Bei Jing)، وشانغهاي (Shang Hai)، ومقاطعات سيتشوان(Si Chuan)، ويوننان (Yun Nan)، وشاندونغ (Shan Dong)، ومنطقة نينغشيا(Ning Xia) وغيرها، وطبقوا فيها طرقا تربوية حديثة، فبدأ الطلبة فيها يدرسون العلوم الدينية والعلوم الثقافية المعاصرة معا. ومن أشهر هذه المدارس: مدرسة "تشنغدا" (Cheng Da) للمعلمين في بيبينغ (بكينحاليا)، مدرسة المعلمين الإسلامية في شانغهاي (Shang Hai)، مدرسة المعلمين الإسلامية في محافظة "وانشيان"(Wan Xian) لمقاطعة سيتشوان(Si Chuan)، ومدرسة "ووتشونغ"(Wu Zhong) للمعلمين في منطقة نينغشيا(Ning Xia)،ومدرسة "مينغده"(Ming De) المتوسطة في مقاطعة يوننان، ومدرسة "تشونغشي" (Chong Shi) المتوسطة في مدينة جينتشنغ (Jin Cheng) بمقاطعة شنشي (Shan Xi). وقدمت هذه المدارس مساهمات هامة في إعداد المسلمين ذوي الإدراك الديني الراسخ والمعارف العلمية الحديثة. وقد بادر المعلمون المسلمون الرواد إلى إيفاد أعداد كبيرة من المسلمين الشباب إلى مصر والهند (باكستان حاليا) لتعميق دراستهم الدينية، فأصبح الكثير منهم ركيزة لتطوير التعليم والثقافة الإسلامية في الصين.

أما ما يخص موادالتدريس فقد زادت المحتويات المدرسية الجديدة حول المعارف الأدبية الصينية إلى جانبالمعارف الإسلامية الأصلية، كما جرت عملية التدريس على مراحل حسب المناهجالتعليمية التي يقررها الأئمة والمعلمون المتخصصون. والجدير بالذكر أن معظم هذه المدارس قد تم إغلاقها بعد قيام دولة الصين الجديدة عام ١٩٤٩م، وبالأخص أيام الثورة الثقافية التي وقعت في الصين ابتداء من عام ١٩٦٦م حتى ١٩٧٩م كليا.

ت – دور المدارس العربية الإسلامية المعاصرة في حماية عقيدة المسلمين والدعوة إلى الله.

ظهرتفي الصين المدارس العربية الإسلامية المعاصرة التي حققت نجاحا باهرا ولا تزال تحقق في تعليم أبناء المسلمين والمسلمات اللغة العربية والعلوم الإسلامية منذانتهاجسياسةالإصلاحوالانفتاحعلىالعالم الخارجيمن دولة الصين عام ١٩٧٩م،وتعتبرهذه المدارس مهدا لتكوين الدعاة الخلص والمسلمين المثقفين المخلصين بعد عهد الإصلاح والانفتاح.

وقبل ظهور المدارس العربية الإسلامية عام ١٩٧٩م رسميا كان التعليم الإسلامي وتعليم اللغة العربية بين المسلمين يتم في المنازل بعيدا عن أعين السلطات، وكان أبناء المسلمين يتعلمون أمور دينهم وعقيدهم فيها في بداية الأمر، ثم بدؤوا بعد ذلك بتنظيم دورة تعليمية للمسلمين كبارا وصغارا في أوقات الفراغ، ولما صارت الأمور مستقرة بشكل منتظم عبر جهود المسلمين الغيورين المحسنين بعد عام الإصلاح والانفتاح عام١٩٧٩م، حضر كثير من المسلمين والمسلمات إلى هذه المدارس لتعلم اللغة العربية والعقيدة الإسلامية والعلوم الإسلامية فيها.

و قد أسهم عهد الإصلاح والانفتاح في خلق مناخ جيد لتطوير تعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية للمسلمين في هذه المدارس، حيث أصبحت معظمها مدارس رسمية، وحصلت على الترخيص الحكومي لتكون بذلك مدارس مستمرة.

و من أجل تأكيد إنجازات هذه المدارس في حماية عقيدة المسلمين والدعوة إلى الله يذكر الباحث إحدى هذه المدارس التي تقع في مدينة لانتشو(Lan Zhou) بمقاطعة قانسو(Gan Su) التي تجمع كثيرا من المسلمين في هذه المقاطعة لتكون نموذجا يتعرف من خلاله على حقائق المدارس الإسلامية بالتفصيل:

- **معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية بلانتشو(Lan Zhou)- الصين الشعبية–١**

---

١ محمود يوسف لي هوا ين، المساجد في الصين، ص١٣٦.

إن معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية بلانتشو(Lan Zhou) قـد تأسس عام ١٩٨١م–مدرسة اللغة العربية بلانتشو سابقا–على جهد ذاتي من بعض المسلمين الصينيين بهذه المنطقة. وقد بدأ هذا المعهد تعليمه في بداية الأمر في بيت الشيخ إسحاق وانغ زوه تشينغ(Wang Zuoqing)–رحمه الله تعالى–(١٩٣٨– ٢٠١١م)٢ عام ١٩٧٩م، وعندما ازداد إقبال الطلبة الراغبين في دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلاميـة اضطرت إدارة المعهد أن تحول نشاطها من هذا البيت إلى مدرسة حكومية بشرط أن يكون التدريس بها فيالفترة المسائية مقابل ما يعادل ١٥٠دولارا أمريكيا شهريا. واستمرالمعهد يؤدي دوره بهذا النمط لما يقرب من أحد عشر عاما. فيعام ١٩٩٣ اضطر المعهد أن ينتقل إلى مدرسة حكومية أخرى بنفس الشرط السابق ذكره. وفيعام ١٩٩٨ اضطر المعهد أن ينقل موقعه مرة ثانية إلى بيت أحد المسلمين بنفس المنطقة، وبعد سنة واحدة انتقل المعهد من هذا البيت المستأجر إلى المقر الجديد، ويمتلك المعهد الآن مقرا جديدا ثابتا بجهد ذاتي من بعض المسلمين الصينيين بهذه المنطقة، وتمويل من بعض الدول الإسلامية العربية،ومازل المعهد يبثّ نور العلم والإيمان منه بمائة طالب وطالبة وثلاث عشر مدرسًا ومدرسة٣.

أهداف المعهد :

١ –تكوين الشباب المسلمين الصينيين المسلّحين بالإيمان والعلم والثقافة العامة، حتى يكونواأئمة مساجد، ومعلمي المدارس الدينية الأهلية، وتأهيل أبناء المسلمين لمواصلة دراستهم في الجامعاتالحكومية، بحيث يكونوا قدوة مؤثرة بين الطلاب غيرالمسلمين عن طريق الاحتكاك بهم، وعن طريق الدعوة الانفرادية أيضا.

٢ –تعميم الدراسة الدينية والتربية الإسلامية لكافة أبناء المسلمين بالمنطقة من خلال الندوات الدينية والدورات التدريبية.

٣ –تخريج الجيل القادر على نشر الإسلام في ضوء الكتاب والسنة.

٤ –دفعالشبهاتحول الإسلام، والتصدي للتحديات المعادية للإسلام بالطرق المشروعة.

٥ –رفع مستوى المجتمع الإسلامي الصيني علميا وتكنولوجيا.

٦ – توحيد مناهج المدارس الدينية الأهلية المحدودة بنشاطاتها الضيقة في أفقها العلمي، من خلال تقوية الروابط العلمية بين المدارس الدينية بالتوجيه والتنسيق العلمي،وجعل هذا المعهد مركزا علميا يشرف على هذه المدارس إن شاء الله تعالى.

٧ – التنسيق بين هذا المعهد وبين المعاهد الدينية في العالم الإسلامي من خلال الاستشارة في وضع المناهج الدراسية والحصول على منح دراسية، وتبادل الزيارات العلمية.

٨ – تخصيص قسم خاص بالمعهد للطباعة والنشر، ومهّمته تكون في ترجمة الكتب الدينية الخاصة بعقيدة أهل السنة والجماعة، والقضايا الإسلامية التي تهمّالمسلمين، وترويج هذه الكتب مع طباعة كتب دينية أخرى تعرف حقائق الإسلام باللغات الصينية والعربية والإنجليزية.

إنجازات المعهد :

١– أنشئت مع هذه المدرسة ثلاث مدارس دينية عربية أخرى في أنحاء منطقة الشمال الغربي، التي يقطن بها غالبية المسلمين، ومقاطعة خه نان (He Nan)، وهي المدرسةالعربيةالصينية بمدينةلينشيا(Lin Xia)بمقاطعةقاتسو(Gan Su) على يد الشيخبهاءالدينسليمان، والمدرسة العربية تشيانغتشي(Chang Zhi)بمقاطعة شانشي(Shan Xi)على يد الشيخ ما شو شينغ(Ma Shouxin)، و مدرسة المسلمين في المسجد بقرية باي تشاي(Bai Zhai)بمدينة تشانغ قه (Chang Ge) بمقاطعة خه نان(He Nan) على يد الشيخ الجليل هوانغ وان جيون (Huang Wanjun).

٢–هذا الشيخ الجليل كان مؤسسا لهذه المدرسة، ومعروفا بين طلابه وأهالي المنطقة بزهده وورعه وتفانيه في خدمة الإسلام وتربية المسلمين. وهو في فترة حياته ما كان يهتم بذاته أو بأسرته من حيث تكوين الثروة المادية، و لم يذكر خلال سنوات تدريسه الطويل كلمة "المال" بالرغم من كونه مشلولا عاجزا عن المشي وحاجته ملحة إلى المال، وحتى أنفاسه الأخيرة من حياته ما كان له هم إلا هم الإسلام والمسلمين. ومع كونه عاجزا زاهدا امتلأ المسجد عند وفاته من طلابه وأهالي المنطقة القريبة والبعيدة للمشاركة في تشييع جنازته. وقد رأى الباحث الذي تشرف بفضل الله بالمشاركة في تشييع جنازته الدموع النازلة من عيون الحاضرين للتشييع.

٣– موجز عن تعريف معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية بلانتشو(LanZhou)– الصين الشعبية.

١. استفاد من هذا المعهد أكثر من ٥٠٠٠ طالب وطالبات من المسلمين منذ أن تأسس.ومنهم من واصل دراسته في الجامعات العربية والإسلامية وحصل على الدرجات العلمية العالمية الدكتوراه (مصر–السعودية–ليبيا–سوريا–الأردن–تونس–الإمارات العربية المتحدة–ماليزيا–باكستان)، ومنهم من أصبح محاضرا في الجامعة داخل الصين وخارجها ومن توظّف في الشركات الحكومية والأهلية كمترجمينللغتين العربية والصينية، داخل البلد وخارجه، ومنهم من عينّ مدرّسا في المدارس الإسلامية الأهلية،ومنهم من يقوم بالدعوة الإسلامية بشكل منفرد، ومنهم من عين إماما في المساجد داخل المنطقة وخارجها.

٢. أقام المعهد مسابقة تلاوة القرآن الكريم في مدينة لانتشو(Lan Zhou)بالصين عام ١٩٩٣م، وتعتبر هذه المسابقة الأولى من نوعها بين المسلمين في هذه المنطقة.

٣. والجدير بالذكر أن الحكومة الصينية اعترفت بهذا المعهد كمركز لتدريس اللغة العربية. ومن اللطف الإلهي اعتناق ٣٠ طالبا صينيا الإسلام بعد دخول هذا المعهد لدراسة اللغة العربية.وكان غرضهم فيبداية الأمر دراسة اللغة العربية فقط، فالمعهد يرتكز على ترغيبهم في النظر إلى جوانب الإسلام الأخلاقية، وفضائله، عن طريق التوضيح والتفهيم، وإزالة الشبهات عن الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى حسن معاملة الإداريين والمدرسين والطلاب في المعهد لهم١.

مدة الدراسة في المعهد: ثلاث سنوات.

المواد الدراسية في المعهد: خلال السنوات الثلاث التي يقضيها الطلاب في المعهد يتلقون تعليما إسلاميا نظاميا حسب برامج التدريس الرسمية، وتستخدم سلسلة من المناهج الدراسية الهامة، منها: (اللغة العربية)، و(تلاوة القرآن الكريم)، و(الحديث النبوي)، و(السيرة النبوبة الشريفة)، و(العقيدة الإسلامية)، و(قواعد اللغة العربية)، و(الشريعة الإسلامية)، و(اللغة الصينية)، و(اللغة الإنجليزية)، و(تاريخ الصين والعالم)، و(الجغرافيا)، و(معارف الكمبيوتر)، و(تاريخ الإسلام)، و(تاريخ قومية هوي)، و(الرياضة) وغيرها٢.

إن اهتمام المعهد في تعليم الطلاب يرتكز على نقطتين: الأولى، هي العقيدة الإسلامية التي تمثل أساسا راسخا لتكوين الشباب المسلمين الصينيين المسلّحين بالإيمان والعلم والثقافة العامة، والثانية هي القدرة على التعبير باللغة العربية، والقدرة هنا لا يُقصد بها الحوار العادي بالعربية، وإنما الخطابة باللغة العربية الفصحى في الأماكن العامة، إذ إنها ضرورية بالنسبة لمن يعمل منهم إمام مسجد، أو معلما في المدارس الإسلامية، أو داعية متفرغا،أومتخصصا في الشؤون الدينية، أو عاملا في المجالات التجارية. وعلى ضوء هذاالتخطيط رسخت إدارةالمعهد لنفسها مكانة جيدة في قطاع التعليم الإسلامي، حيث أصبح معهد اللغة العربية والدراسات الإسلاميةبلانتشو مهدا لتكوين الشباب المسلمين العاملين في المجالات المختلفة، من حيث الدعوة، والتعليم، والإدارة، والتجارة بالصين عامة، وبالمنطقة خاصة.

ب – حركات التأليف والترجمة:لقد أبدع المسلمون من مختلف القوميات في العصور الوسطى ببناء حضارة تسمى" الحضارة الإسلامية " من خلال اتخاذ أصول الدين نواة لهم، مما ترك تأثيرات عميقة في مدنية البشرية والتي تولدت عنها النهضة الأوروبية الحديثة. وعلى مدار مئات السنين عقب دخول الإسلام إلى الصين كان مسلمو الصين يؤمنون بالإسلام باعتباره نصيحة إلهية، ولكن جميع التعاليم الخاصة بهذه النصيحة الإلهية كانت مدونة في الكتب العربية والفارسية الوافدة دون استثناء. وبعد أن توفي المسلمون الأولون في الصين على التوالي تضاءل عدد فاهمي الكتب السالفة الذكر أكثر فأكثر. وفي كنف ذلك لم يكن لغير المسلمين في الصين سبيل إلى معرفة ماهية الإسلام وتقديره إلا بالاعتماد على أفعال المسلمين

---

١ – موجز عن تعريف المعهد.

٢ المرجع السابق.

البادية للعيان، وقد ورد ذكر ذلك في المدونات التاريخية، حيث كان المثقفون الصينيون غير المسلمين في قديم الزمان غالبا ما يصورون الإسلام بصورة البوذية ويعبرون عنه بلغة البوذيين، فكان تصويرهم إياه بعيدا للغاية عن حقيقته١.

ومما يؤكد حالة المسلمين العلمية ما حصل مع الأمبراطور كانغ شي (Kang Xi ١٦٥٤م-١٧٢٢م) في عام ١٦٧٩م، حيث حاول الأمبراطور كانغ شي أن يتعرف على ما في القرآن بعد ما سمع عن الإسلام، واستفسر عن وجود ترجمة للقرآن الكريم باللغة الصينية لقراءته وفهم ما فيه، ولكن للأسف الشديد لم يجد مسلما من أبناء بلدته من يلبي رغبته. وعندما جاء أحد الوفود من العرب إليه وأهدى له مصحفا عام ١٦٨٣م، حاول أن يتعرف على أحد ممن يفهمون القرآن الكريم ليترجم له، ولكنه لم يجد للمرة الثانية أحدا يقرأ ويفهّم ما في القرآن٢.

إن ندرة المؤلفات الإسلامية باللغة الصينية في ذلك الوقت جعلت الصينيين غير المسلمين لا ينظرون إلى الإسلام على أنه دين فكري ثقافي قط، وظل الإسلام دينا لفئة معينة من الناس في هذا البلد، يعتمد على استماع المسلمين إلى المواعظ الحسنة في حرم المساجد وعلى تلقي الأولاد التعاليم الدينية من الآباء في البيوت دون أن يجد أي دعم من السلطة العليا في كل العصور الغابرة بالمرة. وكان امتداد الإسلام في المناطق المأهولة بالمسلمين يعتمد على الكيفية المذكورة آنفا كما يعتمد أيضا على تعميم التعليم المسجدي الذي ظهر إلى حيز الوجود فيما بعد.

لقد كان من الضروري على المسلمين في ذلك الوقت البحث العلمي في دينهم، وترجمة الكتب إلى اللغة المحلية لأن انتشار الإسلام وتطوره في الصين كان في أزمة كبيرة جدا، وخصوصا إلى لغة هان (اللغة الرسمية في الصين) لإطلاع بني وطنهم من غير المسلمين على ماهية الإسلام بصورة عامة، ولإحاطة المثقفين علما بحقيقته بصورة خاصة، مما يحول دون الجهل بالإسلام وسوء فهمه. ولكن لم يكن هناك أحد صالح ليضطلع بهذه المهمة التاريخية على مر مئات السنين مع الأسف. معنى ذلك أنه لم يظهر إلى حيز الوجود علماء مسلمون متعمقون في الثقافة الصينية التقليدية والمتبحرون في علوم الدين في جنوب الصين ومقاطعة يونان (Yun Nan)من الصين إلا في أوائل القرن السابع عشر، وكان هؤلاء العلماء المسلمون يقتبسون ما هو مفيد لهم من أفكار الثقافة الصينية التقليدية ومفاهيمها، ويستفيدون من كيفية التفكير والتعبير التقليدي في تأليف الكتب وتوضيح نظرياتهم، حرصا منهم على نشر حقيقة الإسلام. وبفضل جهودهم صار الناس يعرفون بالتدرج أن الإسلام ليس فقط عقيدة دينية، بل هو نظام ثقافي وأيديولوجي غني بالمحتويات، يشمل المعتقدات المعنوية، وفلسفة الحياة، والمواصفات الأخلاقية، وأسلوب الحياة، والآراء البناءة. ونتيجة لذلك ارتقى الإسلام في الصين إلى مرتبة تكوين ثقافي بعد أن كان نوعا من العبادات الدينية البسيطة التي تمارس بصورة خاطئة. وجدير بالذكر أن تكوين الإسلام الثقافي كان يتفاعل مع الثقافة الصينية التقليدية ويبرز أحدهما جمال الآخر. وكانت جهود العلماء هذه تستهدف الدفاع عن عقيدتهم الدينية كما كانت تؤدي إلى تقديم المساهمات في التبادلات الثقافية بين الصين وبلاد العرب.

لقد أصبحت تلك المنجزات الدراسية لهؤلاء العلماء من التراث الثقافي الإسلامي، بل جزءا من كتر التراث الديني للأمة الصينية أيضا، ومن ضمن المنجزات الدراسية الرئيسة كان تأليف الكتب الدينية المتميزة بالسمات العصريةوتدوين الأسفار بلغة هان الكلاسيكية(اللغة الصينية الكلاسيكية)،وباستخدام ماورد في علم الكلام والفلسفة والفقه والأخلاق والتاريخ، مع الاستفادة من الثقافة الصينيةالتقليدية. هناك مجموعة من العلماء الذين ساهموا في هذا المضمار منهم:

١. الشيخ وانغ داى يوى (Wang Dai Yu حوالي١٥٨٤-١٦٥٧م) له مجموعة من الكتب، منها: (الأجوبة الصحيحة عن الحق) و(دائرة المعارف الإسلامية) و(توضيح الدين الحنيف).يركز الكتابان الأول والثاني على توضيح المعتقدات والتعاليم الإسلامية، والكتاب الأخير على الإجابة على أسئلة الناس عن الإسلام في زمانه.

١- تأليف:"هيئة التحرير لعلوم التاريخ والحضارة" و"مركز البحوث للديانات لمكتب شؤون الديانات التابع لمجلس الدولة"، الثقافة الإسلامية الصينية ، ص٤٤.

٢- المرجع السابق، ص٧٥.

٢. الشيخ ما تشو(Ma Zhuحوالي١٦٤٠–١٧١١م) صاحب كتاب(دليل الإسلام)الذي تبنى فكرة توضيح المعتقدات والتعاليم الإسلامية. والكاتب قد فهم الأوجه المختلفة والنطاق المشترك بين أنواع الديانات في الصين، فقام –بناء على هذا– بإيضاح قانون الحياة والموت واستقصى كيفية خلق الكون أولا،ثم شرح ضرورة تهذيب النفوس ثانيا،وأشار إلى حتمية حلول القيامة ثالثا.

٣. الشيخ ليو تشى (Liu Zhi حوالي ١٦٥٥- ١٧٤٥م) صاحب كتب (أركان الإسلام وأحكامه) و(حقائق التصوف في الإسلام) و(سيرة خاتم الأنبياء).

٤. الشيخ تشانغ تشونغ (Zhang Zhongحوالي ١٥٨٤- ١٦٧٠م) صاحب كتابي(الأحكام العامة للرجوع إلى الحق – علم العقائد) و(الفصول الأربعة – من القراءات الإسلامية التنويرية).

٥. الشيخ ما فوتشو(Ma Fu Chu ١٧٩٤-١٨٧٤م)صاحب(خلاصة الفصولالأربعة)و(الأقوال المأثورة لتوعية الناس) و(مقصد الحياة) و(أصول التقويم الهجري).

كما نقل أولئك العلماء الكتب الإسلامية المعتمدة من اللغتين العربية والفارسية إلى اللغة الصينية؛ لكي يعرف أهل الصين حقيقة الإسلام. وكانت ترجمة معاني القرآن الكريم من أهم ما ترجم من الكتب الدينية١.

دخل الإسلام الصين منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة، في الفترة الأولى للوجود الإسلاميبالصين لم يكن هناك مصحف مطبوع أو مصحف مترجم إلى اللغة الصينية، وكان نشر القرآنيعتمد على دراسة مضمونه مباشرة،أو من خلال الشروح الشفوية لرجال الدين، وكان تعليم القرآنمقتصرا على المساجد والأسر المسلمة. لم تبدأ ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الصينيةإلا في فترة أسرتي مينغ وتشينغ (١٣٦٨–١٩١١م)،قبل أكثر من خمسمائة سنة، من أجل نشر الإسلاموإبراز الثقافة الإسلامية للصينيين، شرع بعض العلماء المسلمين بترجمة معاني القرآنوترجمة الكتب التي تتناول العلوم الشرعية الإسلامية والتاريخ الإسلامي. في البداية كانوايترجمون معاني بعض الآيات للاستشهاد بها في كتبهم باللغة الصينية، وبعد ذلك، من أجلتلبية حاجات المسلمين لدراسة الكتب الإسلامية المكتوبة بالصينية، حاول بعض العلماءالذين يجيدون اللغة العربية ترجمة معاني سوركاملة من القرآن وبعض الآيات التييستخدمها المسلمون الصينيون دائما إلى اللغة الصينية، وجمعوها في كراسة وأصدروها،وذلك تيسيرا لقرائتها وحملها كما ذكر آنفا.

إن العائق اللغوي كان سببا بين المسلمين الصينيين وبين ترجمة موجزة لمعاني القرآن إلى اللغة الصينية حتى القرن التاسع عشر، حيث بدأت تظهر ترجمات لمعاني القرآن، فقد ظهر في ذلك القرن كتاب((تفسير ختم القرآن)) وهو تفسير لمختارات من آيات القرآن، ترجمه ما تشي بن (Ma Zhi Ben)، وكتاب((تفسير القرآن)) الذي ترجمه ما فو تشو(Ma Fu Chu)، لكن حتى في هذه الفترة لم تظهر ترجمة كاملةلمعاني القرآن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، ومع دخول الثقافات الغربية إلى الصين، وصلت إلىالصين ترجمات لمعاني القرآن باللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأوروبية، وصادفتهذه الفترة ظهور الحركة الثقافية الصينية الجديدة ، فبدأ بعض المثقفين والعلماء المسلمينمحاولة ترجمة معاني القرآن كاملا.

إن أقدم الترجمات الكاملة لمعاني القرآن هي ترجمة((كه لان جينغ (Ke Lan Jing))) لمعاني القرآن عن الترجمة اليابانية، وقد قام بها لي تيه تشنغ (Li Tie Zheng)، وهو غيرمسلم، وصدرت في بكين عام ١٩٢٧. وهناك عمل آخر يعتبر من أقدم الترجمات الكاملةلمعاني القرآن هو ((ترجمة القرآن باللغة الصينية)) الذي أصدرته دار النشر بشانغهايفي عام ١٩٣١، قام بالترجمة عن اللغة الإنجليزية جي جيويه مي (Ji Jue Mi)،وهو غير مسلم أيضا. غير أنهؤلاء المترجمين غير المسلمين كانت تعوزهم المعارف الإسلامية، و لم يكن أي منهم يعرفاللغة العربية، ولهذا جاءت ترجماتهم لمعاني الكتاب العظيم صعبة الفهم وبها أخطاءكثيرة، فلم تنتشر على نطاق واسع.

١– محمود يوسف لي هوا ين، التراث الثقافي والعلمي للمسلمين الصينيين، الجمعية الإسلامية الصينية، بكين، الصين،١٩٩٥م، مع التصرف.

في القرن العشرين، وعى المسلمون الصينيون بعمق أنه يجب أنتكون هناك ترجمة كاملة لمعاني القرآن إلى اللغة الصينية لنشر دينهم الحنيف، لأن ذلك لا يساهم في نشرالإسلام في الصين على نحو أفضل فحسب، بل يفيد في تعريف وتدريسالقرآن للمسلمينالصينيين، ومتابعة وتطوير الثقافة والتقاليد الإسلامية الطيبة. من هذا المنطلقاعتبر المسلمون الصينيون ترجمة القرآن "فريضة". ومن أجل تفادي وقوع الخطأ والزلل فيالترجمة كان على المترجمين أن يجيدوا اللغتين العربية والصينية، ليس هذا فحسب، بلأن يكونوا على معرفة جيدة بقواعد الإسلام. وكان عليهم أن يترجموا معاني القرآنالمترل باللغة العربية إلىاللغة الصينية مباشرة، وليس عبر لغة أخرى وسيطة. بعد ذلكالوعي بدأ في مدن بكين (Bei Jing) وتيانجين (Tian Jin) وشانغهاي (Shang Hai) وغيرها مد الترجمة الكاملة لمعاني القرآنالتي قادها العلماء المسلمون. في عام ١٩١٤م بدأ العالم الكبير الإمام الشيخ وانغ جينغ تشاي (Wang Jing Zhai١٨٧٩ – ١٩٤٩م) بهذا العمل، فقد كرس معظم حياته لترجمة معاني القرآن الكريموتفسيره، وقد طبعت ترجمته على الأكليشيهات الرصاصية في شانغهـــاي عام ١٩٤٦م، وذلك يعتبر أول عمل من نوعه باللغة الصينية في الصـــين. ومنالترجمات الأخرى في تلك الفترة ((القرآن باللغة الصينية وملحقاته))، الذي ترجمه ليوجين بياو(Liu Jin Biao)، وصدر في بكين عام ١٩٤٦، و((معاني القرآن)) للأستاذ يانغ تشونغ مينغ (Yang Zhongming)، الذيصدر في عام ١٩٤٧، وفي عام ١٩٤٦م صدر المجلدان الأول والثاني من ((معاني القرآن باللغةالصينية)) الذي ترجمه تشانغ بينغ دوه (Zhang Bing Duo) على طريقة الشعر النثري الصيني، وهو شكل أدبيفريد. وقد صدرتطبعة أولى ((ترجمة معاني القرآن)) باللغة الصينية للأستاذ محمد مكين(Ma Jian)١ فيعام ١٩٨١م في دار النشر للشؤون التجارية، ثم صدرت الطبعة الثانية لها في عام ١٩٨٦م في الكويت، وصدرت الطبعةالعربية الصينية لها في المملكة السعودية في عام ١٩٨٧م عن مطابع الملك فهد. إن ترجمة الأستاذ محمد مكين لمعاني القرآن الكريم تتميز بما هو أقرب الى نصوصه من لغة تجمع بين الإيجاز والسلاسة وأساليب تفيض عراقة وعذوبة، إضافة الى الدقة والأمانة في أداء المعنى، ولذلك لقيت إقبالا كبيرا وتقديرا عظيما من قبل المسلمين الصينيين، بصفتها أكبر ترجمة تأثيرا بين سائر الترجمات الشقيقة على وجه الأرض إلى الآن.

وعلى الرغم من أن مجموعات الأحاديث النبوية المشهورة لم تترجم إلى اللغة الصينية إلا أن بعض المختارات منها تم ترجمتها إلى اللغة الصينية، ومنها ((الخطب)) بتأليف ابن ودعان، وقد تم ترجمته على يد يي لي تشن (Yi Li Chen) في أوائل القرن العشرين. و((الأربعون)) المختارة على يد الإمام النووي قد تم ترجمتها على يد بانغ شي تشيان (Pang Shi Xian) وصدرت في بكين. و((صفوة صحيح البخاري)) (مادة الحديث لدراسة الطلاب الثانويين لجامعة الأزهر في الثلاثينات) وقد تم ترجمتها على يد ما هونغ يي (Ma Hong Yi) وصدرت في بكين أيضا. وإلى جانب ذلك قام هو سونغ شان (Hu Song Shan) بترجمة ((مشكاة المصابيح)) إلى اللغة الصينية ولكن الكتاب لم يطبع. أما ((التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)) المصنف على يد المحدث منصور علي ناصف المصري، الذي كتب الأحاديث المتنوعة فقد تم نقله إلى اللغة الصينية على يد الشهيد تشن كه لي (Chen Ke Li ١٩٢٣-١٩٧٠م)٢. علما أن

١محمد مكين (Ma Jian١٩٠٦-١٩٧٨م) هو أبرز علماء الإسلام في الصين في القرن الميلادي الماضي، حيث درس في الأزهر الشريف، وتفقَّه في أمور الدين الإسلامي، وحفظ القرآن، وأتقن علوم الحديث، وأجاد اللغة العربية، وهو الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى الصينية ترجمة قويَّة متقنة كلَّ الاتقان، تُعدُّ من أفضل ترجمات القرآن الكريم التي ترجم بها إلى اللغات الأخرى.

٢- ولد الشهيد شنغ كه لي (Chen Ke Li)-رحمه الله- عام ١٩٢٤م بقرية تشانغ قه (Chang Ge) ببلدة ينغ تشياو(Ying Qiao) من محافظة شيانغ تشن(Xiang Chen) لمقاطعة خه نان(He Nan) بالصين. ويعد من العلماء اللامعين وكبار المفكرين والمترجمين البارزين في منتصف القرن العشرين في أرض الصين، ويعتبر أيضا من أكثر الشخصيات تأثيراً في قلوب المسلمين في الصين بعد قيام دولة الصين بقيادة الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٤٩م. وهو الإمام والعالم المسلم الصيني الوحيد الذي جمع بين حبر العلماء ودماء الشهداء في سبيل الحق. وإن للشهيد تشن كه لي الإنجازات الضخمة من التأليفات والترجمات حول الحضارة الإسلامية، والفكر الإسلامي، والأحاديث النبوية. وفي مقدمات مؤلفاته كتاب «معرفة الإسلام عن طريق معرفة محمد–صلى الله عليه وسلم–»، وقد نشر هذا الكتاب عام ١٩٥١م في بكين، وتم ترجمته إلى العديد من اللغات الأجنبية – العربية والإندونيسية والأوردونية –. ومن أعماله الترجمية الأكثر تأثيرا بين المسلمين كتاب

ترجمته هذه أكثر من كل الترجمات المماثلة تأثيرا. وتلت ذلك ترجمة المؤلفات العربية والفارسية الخاصة بالفلسفة والمعتقدات والمعلومات التاريخية الإسلامية إلى اللغة الصينية، وكان ممن قاموا بترجمة هذا النوع من المؤلفات وو تصون تشي (Wu Zun Qi حوالي ١٥٩٨-١٦٩٨م) الذي له ترجمة كتاب ((المرصاد)) بقلم عبد الله أبوبكر الطهراني إلى اللغة الصينية.. وشه تشي لينغ (She Qi Ling حوالي ١٦٣٠-١٧١٠م) الذي تم له ترجمة ((أشعة اللمعات)) بقلم عبد الرحمن الجامي إلى اللغة ذاتها. وكان هذان الكتابان من المواد الدراسية المتميزة وفق المنهج الصوفي في المدارس المسجدية آنذاك. و بعد دوران عجلة التاريخ إلى القرن التاسع عشر بدأت الصين التجارة البحرية مع البلدان الأجنبية، مما أتاح لها فرصة استعادة الاتصالات مع بلاد العرب، وتأثرا بترعات الحركة الثقافية الجديدة أعد المسلمون الصينيون مجموعة من العلماء المتعمقين في الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الصينية. وكان من بينهم وان جينغ تشاي (Wang Jing Zhai) ومحمد مكين (Ma Jian) الذين لم يكن لهما نظير من حيث ضخامة مساهماتهما وكثرة مخلفاتهما. وقد تم للأول ترجمة ((مختارات من شرح الوقاية)) و((الإسلام والنصارى)) و((قانون الوراثة الإسمي)). وتم للثاني ترجمة ((العقائد)) بقلم عمر النسفي و((الإسلام والنصرانية مع العلم المدنية)) و((رسالة التوحيد)) بقلم محمد عبده و((تاريخ التعليم الإسلامي)) بقلم توتاه الأمريكي و((تاريخ فلسفة الإسلام)) بقلم بوير الألماني و((الرسالة الحميدة في حقيقة الديانة الإسلامية وحقية الشريعة الإسلامية)) بقلم حسين الجسر اللبناني، وكان هناك علماء آخرون قاموا بترجمة الكتب حول الإسلام مثل لي يي تشن (Li Yi Zhen) صاحب ترجمة ((تاريخ التقويم الهجري)) وعبد الرحمن نا تشونغ(Na Zhong) مترجم ((فجر الإسلام)) بقلم أحمد أمين، وبانغ شي تشيان(Pang Shi Xian) مترجم ((تاريخ التشريع الإسلامي)) بقلم الحضري العصري ١.

ولكن هذه الصحوة الدينيةلم تكن كافية على المستوى المطلوب إذا قورنت ذلك بنشاطات الديانات الأخرىكالطاوية والبوذية والمسيحية بالإضافي إلى الكنفوشيوسية، ولكن المصيبة الكبرى وقعت على المسلمين مع الثورة الثقافية عام ١٩٦٦م.

المبحث الثالث: المسلمون إبّان عهد الثورة الثقافية: إن الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التي قادها الزعيم الشيوعي الصيني سابقا ماو تيسى تونغ (Mao Ze Dong ١٨٩٣-١٩٧٦م)، كانت عصر القسوة والاضطهادللمسلمين في الصين، وتحت شعار ماو"حطموا المجتمع القديم وابنوا آخر جديدا "، كان المسلمون يواجهون اضطهادا شديدا مثله في ذلك مثلهم مثل أنصار الديانات الأخرى. كانت الثورة الثقافية تهدف إحداث تغيير كامل في المجتمع الصيني ثقافيا

«التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-للشيخ منصور علي ناصف»، ويعتبر هذا الكتاب فريدا من نوعه لشموله على جميع أبواب الفقه وهذا غير موجود في كتب الحديث في تاريخ المسلمين في الصين، ونشر الجزء الأول منه في بكين عام ١٩٤٥م. ومن اللطف الإلهي أن الشهيد تشن كه لي قد تعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتعمق فيها على أيدي العلماء الصينيين في الصين، دون السفر إلى البلاد الإسلامية والعربية لمواصلة الدراسة كبقية العلماء الذين تخرجوا من الجامعات الإسلامية والعربية، وبالأخص جامعة الأزهر الشريف في القرن العشرين.

وبسبب خلافاته مع السياسة التي طبقها الحزب الشيوعي الصيني ومع تصرفات الحزب على الشعب الصيني عامة، والمسلمين خاصة أيام الثورة الثقافية(١٩٦٦-١٩٧٩م)، قام بإرسال رسالة باسمه إلى قادة الدولة، وذكر فيها الأضرار التي أحدثتها الثورة الثقافية على الدولة والشعب، وطلب منهم الكف عنها، فقدم لهم اقتراحاته ذات الميول الإسلامية. فأدت تلك الرسالة إلى إلقاء القبض على الشهيد شنغ كه لي في ٢٦ فبراير١٩٧٠بتهمة جريمة عداء الثورة من خلال هجومه الشائن على الثورة الثقافية وعدائه للحزب والاشتراكية.وعانى الشهيد شتى أصناف التعذيب في السجن، فحُكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم في ٥ يوليو١٩٧٠م، فقتل ظلما. وهكذا سقط نجم من نجوم العلماء المسلمين الصينيين بعد أن قدّم دمه وفكره وعقله لدين الله -عز وجل- وهو في السادسة والأربعين من عمره، ووفى بقسمه "أفضل الموت واقفا على الحياة راكعا ". ونسأل الله أن يحشره مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

١- محمود يوسف لي هوا ين، التراث الثقافي والعلمي للمسلمين الصينيين، مع التصرف.

واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وتعليميا[١]. وجذور هذه الثورة ترجع إلىحركة ٤ مايو الواقعة عام ١٩١٩م. وهذه الحركة كانت عبارة عن الاحتجاج على مبادئ الكنفوشيوسية وسائر العقائد الدينية لكونها عامل تخلّفالمجتمع الصيني اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا على مدى قرون. وبهذه الحجّة دخل الفكر الشيوعي والنظام الاشتراكي كبديل لا بّد منه في الصين.

وفي أيام الثورة الثقافية، بدأ الرجال المتطرفون من الحزب الشيوعي ينفّذون المبادئ الشيوعية حرفا بحرف، ولاعتقاد الشيوعيين أن الدين أفيون الشعوب،كان همّ الثورة الثقافية الأول تنقية المجتمع الصيني من العقائد والديانات. وفي إبادة الديانات وإدخال الفكر الشيوعي في قلوب الناس سلكت الثورة الثقافية طرقا ووسائل عدة،فواجه الإسلام في الصين العديد من الصدمات حينما كانت هناك حملات شرسة تحاول اقتلاع كل الجذور الإسلامية، حيث أجبر المسلمون على التخلي عن عقيدتهم، وحرموا من أداء شعائرهم الدينية، وأجبروا على الدخول في مراكز "التصحيح" التابعة للحزب الشيوعي. ويريد الباحث أن يذكر فقط ما جنى الإسلام والمسلمون نتيجة هذه الثـــورة الثقافية:

١. إغلاق المدارس الدينية، ومصادرة الكتب الدينية من ضمنها المصحف الشريف.

٢. إغلاق المساجد والجوامع، ومنع أداء الشعائر الدينية.

٣. إهانة العلماء والأئمة، والقبض على زعماء المسلمين، وإيداعهم السجن، وإعدامهم [٢]إذا عارضوا الثورة الثقافية.

٤. هروب علماء الدين، وفرار العديد منهم إلى الخارج.

٥. إجبار المسلمين الغيورين على الإسلام على ارتكاب المحرمات مثل: تربية الخنازير والإفطار في رمضان.

وقد استمرت هذه الإجراءات القمعية والتعسفية باسم الثورة الثقافية حتى عام١٩٧٩م.ونتيجة هذه الإجراءات أضطّر المسلمون أن يخفوا عقيدتهم، ولكن الطامة الكبرى كانت في نشأة جيل جديد لا يعرف من الإسلام إلا الاسم، لأن هذا الجيل لم يجد التربية الإسلامية، ولميعرف أبجدية الإسلام، ولذلك أصبح المسلمون وبالأخص الجيل الجديد الذي تربى على الفكر الشيوعي لا يعرف الحلال والحرام، أو أركان الإسلام والإيمان،ولا قراءة القرآن وأداء الشعائر الدينية، ومع ذلك كانوا يعتبرون أنفسهم مسلمين.

المبحث الرابع:أهمالتحديات المعاصرة التي يواجهها المسلمون اليوم: الثورة الثقافية قد انتهت، والعهد الشيوعي قد تغير إلى حد ما،وأصبحنا نعيش الآن في عصر الانفتاح الاقتصادي والإصلاح السياسي، الأمر الذي أعطى للمسلمين أيضا نوعا من الحرية في ممارسة الشعائر الإسلامية، إلا أن هناك تحديات بعضها داخلية، والأخرى خارجية لا يمكن أن نتجاهلها، وإن هذه التحديات أتت مما يأتي:

أ- التحديات الداخلية:

١- أئمة المساجد وأفقهم الضيق: فمن المعروف أن معظم المسلمين في الصين يعتمدون منذ عهد طويل في تربية أبنائهم، وتعليمهم على المساجد، ولكن للأسف نجد أن معظم أئمة المساجد وكذلك من يقوم بإعطاء الدروس فيها بعيدون عن روح العصر الحديث، ولا يتقنون اللغة الصينية الفصحى—اللغة الأم-، ولا يقرؤون في الثقافة العامة، وفي المقابللم يتقنوا اللغة العربية، ولم يتعمقوا في العلوم الدينية، بل معارفهم الدينية سطحية جدا، ونتجت عن ذلك مشكلتان:

أ- اختلاف المسلمين وانقسامهم إلى طوائف وفرق: كل واحد يدعي أن ما هو عليه هوالحق والصواب، وأن ما عليه الآخر هو الخطأ والضلال. وهذا جعل المسلمين يتعمقون في خلافات جزئية، ويتعمقون في الانقسام والافتراق بسببها،

١- وو بن، ترجمة: الدكتور عبد العزيز حمدي، الصينيون المعاصرون-التقدم نحو المستقبل انطلاقا من الماضي،(الكويت:عالم المعرفة، ج١، ١٩٩٦م)، ص٢٧٣.

٢- قتل الشهيدتشن كه لي ظلما حيث حصلت للشهيد تشن كه لي (Chen Ke Li)ذلك العالم الهمام، والإمام الموقر، والمفكر البارز، والمترجم العظيم خلافات مع السياسة التي طبقها الحزب الشيوعي الصيني، ومع تصرفات الحزب على الشعب الصيني عامة، والمسلمين خاصة أيام الثورة الثقافية(١٩٦٦-١٩٧٩م)، فقبض عليه في ٢٦ فبراير١٩٧٠بتهمة جريمة عداء الثورة من خلال هجومه الشائن على الثورة الثقافية، وعدائه للحزب والاشتراكية، فحُكم عليه بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم في ٥ يوليو١٩٧٠م. لمزيد من التفصيل يُنظر، ص٢٤-٢٥.

وفيه ضياع للجهود الإسلامية، وإضعاف للقوى الإسلامية.ب – عدم مقدرة الأئمة في المساجد ورجال الدين على مواجهة تساؤلات الشباب المسلمين والمثقفين بالثقافة القومية بالإجابات المقنعة، وبالأساليب والوسائل العصرية، وهذا خلق نوعا من الانفصام بين طبقة الشباب والمثقفين وبين العلماء ورجال الدين.

٢– عدم وجود رابطة للعلماء المسلمين في الصين:لا ننكر وجود علماء بين المسلمين في الصين كأفراد تعلموا العلوم الدينية باللغة العربية في الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي من منابعها الأصيلة، ولكن بسبب عدم وجود رابطة تجمع هؤلاء الأفراد أصبحت جهودهم مشتتة، حتى ظن الناس بعدم وجود جهود لهؤلاء العلماء، وبسبب عدم وجود رابطة للعلماء أو هيئة دينية عليا للإفتاء وإبداء الرأي في القضايا العصرية المتجددة أصبح المسلمون في الصين بلا قدوة، أو منارة يقتدون ويسترشدون بها، وقد شجع ذلك الفراغ كل من له معرفة بالإسلام معرفة سطحية—وفي الغالب هذه المعارف أيضا محصّلة من الكتب الدينية الثانوية المكتوبة باللغة المحلية—على الحديث عن الإسلام، محللا تارة، وناقدا تارة أخرى، أو محاولا الجمع بين الإسلام والديانات الأخرى وخاصة الكنفوشيوسية والطاوية والبوذية، وقد وصل الأمر بالبعض إلى ادّعاء بنبوة كنفوشيوس مؤسس الكنفوشيوسية بحجة قوله تعالى:« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » (غافر:٧٨).

ب– التحديات الخارجية: نعني بالتحديات الخارجية ما يأتي من قبل غير المسلمين وهي تتلخص فيما يأتي:

١–التعليم والتربية: من المعروف أن جميع الطلاب لا بد أن يتقيدوا بالمنهج التربوي الحكومي في المراحل الدراسية من الابتدائية إلى الجامعة. والمناهج الدراسية الحكومية لا ترتبط بالمنهج الرباني، وليس فيها ما يدعو إلى الإيمان بالله، بل هي إلحادية وعلمانية. والطلاب سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين لابد من متابعة دراستهم في تلك المدارس، مقيدين بهذا المنهج الإلحادي، ولذلك قلما نجد طالبا مسلما يتخرج في الجامعات الحكومية وعنده وعي ديني عميق، أو إيمان قوي.

٢–النمو الاقتصادي والتنافس في تحقيق الرغبات الجسدية: إن التقدم السريع الذي تمر به الصين اقتصاديا وعلميا وتكونولوجيا فتح للشعب آفاقا جديدة وواسعة للاستمتاع بها، ومع دخول التقدم في هذه الجوانب أصبح المال وإشباع الرغبات النفسية محور الناس، وخاصة الشباب منهم، وكل واحد كان همه الاستمتاع بقدر الإمكان بالحياة بإشباع رغبة النفس قبل الموت، فالمسلمون وخاصة شبابنا الذين ليست لديهم حصانة دينية قوية، وثقافاتهم وتعليمهم أخذت من تلك المدارس والجامعات الإلحادية، فكان هؤلاء فريسة سهلة للتيار المادي الذي يعم البلاد. وإن إرشاد الشباب إلى سبيل الحق، وإبعادهم عن هذا التيار المادي ليس أمرا سهلا، بل يحتاج إلى تربية دينية وتوجيه وإرشاد من الطفولة ومن المنزل، وكيف يمكن ذلك؟ والآباء والأمهات هم أيضا لا يملكون هذه الحصانة الدينية، والوعي الإسلامي الجيد.

٣–العولمة والإعلام المفتوح: بعد أن أصبحت الكرة الأرضية قرية بحيث يمكن معرفة كل شيء من خلال الإعلام المفتوح، أصبح في متناول أيدي الناس وخاصة الشباب منهم كل ما يريدون معرفته، وقد أدى ذلك إلى انحراف الشباب أخلاقيا، والتأثر بأفكار وفلسفات لا أخلاقية.

٤–الإسلام والإرهاب: بعد حادثة "١١ سبتمبر" أصبح الإسلام والمسلمون في الإعلام العالمي مصدرا للإرهاب والتخلف. فضلا عن ما يحدث من تمزق وتقاتل بين الدول الإسلامية، ومن جانب آخر كراهية العالم للإسلام والمسلمين، فكل هذه الأمور قد انعكست على شكل كراهية وعداوة في نفوس الصينيين غير المسلمين أيضا، وليس لدى المسلمين والشباب منهم والشيوخ ما يقوّيهم من علم وإيمان لرفع رؤوسهم أمام هذه الدعاوي والإساءات.

٥–حركات التنصير والتبشير المسيحي: يعدّ التنصير من أبرز التحديات التي تواجه المسلمين في الصين، ويعمل المنصرون الغربيون على تنصير المسلمين بشكل مكثف عبر طرق عديدة، منها: الإذاعات الموجهة لهم من هونج كونج، وفرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، كما تقوم الجمعيات التنصيرية بتكثيف بناء الكنائس، فقد وصل عدد الكنائس في الصين

حوالي١٧ ألف كنيسة١، أما المساجد فقدوصلت حوالي ٣٥ألف مسجد،٢وكذلك هناك الفرق الهائل بين عدد المسلمين والنصارى، فقد بلغ عدد النصارى في الصين حوالي ١٦ مليون نسمة٣، وأما عدد المسلمين فهو بلغ ٢٠ مليون نسمة وأكثر٤. وتقوم الكنائس بالتنصير عن طريق الدعم المادي، وتوزيع المكافآت على من يعتقد بالمسيحية كما توزع الكنائس كتباً باللغات المحلية توضح فيها أوجه الاتفاق بين الإسلام والنصرانية للدخول إلى قلوب العامة من المسلمين. ومن الأمثلة التي يريد الباحث أن يثبت من خلالها مدى تغلغل التبشير المسيحي في الصين هو بناء الكنيسة الجديدة التي تتسع لـــ (٣٠٠٠) نصراني ، وارتفاعها يزيد على٤٠ مترا قد بدأ بناؤها في مسقط رأس كنفوشيوس بتاريخ ٢٧/٧/ ٢٠١٠ ٥، فبدأ العلماء الكنفوشيوسيون داخل الصين وخارجها يحتجون على هذا العمل المهين والمحتقر للحضارة الكونفوشيوسية، إحدى الحضارات الشرقية .

الخاتمة

١. إن نور الإسلام قد دخل أرض الصين في عهد مبكر من ظهور الإسلام وما زال باقيا على الرغم من التحديات والمضايقات والمحن التي مرت بها الأمة الإسلامية في الصين.

٢. محاولة الديانات المختلفة الآن استعادة مكانتها في قلوب الناس بعد الانفتاح السياسي والازدهار الاقتصادي وخاصة المسيحية والديانة الصينية الجديدة الباطلة، وإذا لم نهتم نحن المسلمين بديننا الحنيف وإخواننا المسلمين سنصبح حتما فريسة العقائد الأخرى، ولذ لابد من اتخاذ الإجراءات الآتية:

- تقويم المناهج الدراسية المتّبعة في المدارس الدينية التي أعادت نشاطاتها من جديد.
- جعل المدارس الإسلامية العربية في الصينمراكز لإشاعة نور الإسلام والتربية الإسلامية والتعليم الديني ورفع مستواه علميا، ومدّ يد العون المادي لزيادة الخدمة والعطاء، مع الإشراف والهيمنة علىكل المدارس الدينية.
- على المسلمين الصينيين الغيورين–وهم غير قلة–أن يتعاونوا لإنشاء معاهد عليا لتخريج الأساتذة، من أجل تقليل الاعتماد على الدراسة خارج الصين، الذي يسبب أحياناً بعد الطالب عن محيطه وثقافته، ويضعف فيه حسن التعامل مع مجتمعه.
- تقديم دين الإسلام لغير المسلمين بطريقة منظمة وأسلوب حكيم كما قال تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»(النحل:١٢٥).

المصادر والمراجع

–باللغة العربية:

أ–الكتب

- بدر الدين و.ل.حيّ، **تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر**(لبنان: دار الإنشاء والطباعة والنشر،١٣٩٤هـــ).
- الأمير شكيب أرسلان، **حاضر العالم الإسلامي** (دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٧٣م).
- ١فهمي هويدي، **الإسلام في الصين،** (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،١٩٨١م).
- محمود يوسف لي هوا ين، **المساجد في الصين،**(بكين–الصين:دار النشر بللغات الأجنبية،ط١، ١٩٨٩م).

١– المسيحية في الصين، العدد ل٢٨٣، الكاثولكية في الصين، العدد ل٢٨٣، لمحة عن الصين(بكين: دار شين شينغ للنشر)، ١٩٩٨م.

٢– الجمعية الإسلامية الصينية، الإسلام في الصين، ٢٦/٦/٢٠١٠م،http://test6.net189.cn/showList.asp?id=330

٣– موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، عدد المسيحيين في الصين،٢٧/١٢/٢٠١٠م.
http://www.zaobao.com/welcom.shtm1

٤– الجمعية الإسلامية الصينية، الإسلام في الصين، ٢٦/٦/٢٠١٠م،ttp://test6.net189.cn/showList.asp?id=330

٥– موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، بناء الكنيسة في مسقط رأس كنفوشيوس، ٢٧/٧/٢٠١٠م.
http://www.gospeltimes.cn/news/2010_07_30/14528.htm

ب-البحوث والمجلات(الإنترنت)

محمود يوسف لي هوا ين، **الحوار الحضاري الصيني العربي**، مجلة الصين اليوم، ٢٠٠٦/٩/١٧م. http://www.chinatoday.com.cn/Arabic/2007n/0701/p6.htm

- محمود يوسف لي هوا ين، **التراث الثقافي والعلمي للمسلمين الصينيين**، الجمعية الإسلامية الصينية، بكين، الصين،١٩٩٥م.
- المسيحية في الصين، العدد ل٢٨٣، الكاثولكية في الصين، العدد ل٢٨٣، **لمحة عن الصين**(بكين: دار شين شينغ للنشر)، ١٩٩٨م.
- الجمعية الإسلامية الصينية، **الإسلام في الصين**، ٢٠١٠/٦/٢٦م، http://test6.net189.cn/showList.asp?id=330

-باللغة الصينية:

أ- الكتب

- إبراهيم فنغ جين يوان(Feng Jin Yuan)، **الإسلام في الصين** (نينشيا (Nin Xia): الدار الشعبية للنشر والتوزيع بمقاطعة نينشيا، ١٩٩٣م)
- ما بينغ(Ma Ping)، **تاريخ الإسلام المختصر في الصين**(نينغشيا(Ning Xia):دار النشر الشعبية نينشيا بالصين،ط١، ٢٠٠٦م).
- وو يون قوي (Wu Yungui)، **علم الكلام**- من سلسلة الكتب الثقافية الإسلامية-، (بكين: دار النشر للعلوم الإجتماعية الصينية، ط١، ١٩٩٥م).
- تأليف:"هيئة التحرير لعلوم التاريخ والحضارة" و"مركز البحوث للديانات لمكتب شؤون الديانات التابع لمجلس الدولة"، **الثقافة الإسلامية الصينية** (بكين: دار تشونغهوا للنشر، ط١، ١٩٩٦م).

ب-الجرائد(الإنترنت)

موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، **عدد المسيحيين في الصين**،٢٠١٠/١٢/٢٧م. http://www.zaobao.com/welcom.shtm1

- موقع الشبكة للجريدة الصباحية الإتحادية (zaobao.com)، **بناء الكنيسة في مسقط رأس كنفوشيوس**،٢٠١٠/٧/٢٧م.

http://www.gospeltimes.cn/news/2010_07_30/14528.htm

- موجز عن تعريف معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية بلانتشو(LanZhou)- الصين الشعبية.

الوظيفة:المحاضر بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

العنوان:

Department of IRKHS
Centre for Foundation Studies
International Islamic University Malaysia
Jalan Universiti
46350 Petaling Jaya , Selangor
MALAYSIA

الهاتف: 012-6339430

رقم الفاكس:006-03-79570299

البريد الإلكتروني:yunusuia@yahoo.com

التأثيرات الصينية (التنين)على عمارة وفنون سلاجقة الأناضول

الدكتور / طلال بن محمد الشعبان

تُعد زخرفة التنين بأشكاله المتعددة من العناصر الزخرفية التي وجدت على فنون وعمارة سلاجقة الأناضول ، وأحد تأثيرات فنون الشرق الأقصى المنتشرة في الفن السلجوقي عامة .

فيوجد العديد من صور التنين في النقوش الحجرية والجصية ، والتحف الفنية المتنوعة تشكل أنماطاً لزخرفة التنين ، مفرداً أو مزدوجاً ، أو مشاركاً مع كائنات أخرى مثل الأسود وأبو الهول والنسور خاصة المزدوجة الرأس ، وأحياناً أتحادها مع رأس إنسان ورأس ثور أو مع شجرة الحياة المعروفة في الفن الساساني بهومة أو ثومة ، أو كحيوان تقويم أو رمز لكوكب سيار الشمس (١)

لقد ورد ذكر التنين في بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ، لو أن تنيناً منها نفخ على الأرض ما نبتت خضراً ".(٢)

إن علماء الآثار والفنون الإسلامية الذين قاموا بدراسة هذا النوع من الزخارف أشاروا في أبحاثهم على أنها نوع من الأفكار والعقائد غير الإسلامية كاليهودية والمسيحية وغيرها ، وأنها تسربت إلى الفن الإسلامي ، وكان لها معان رمزية وعقائدية لدى مستخدميها (٣) .

ومن خلال نماذج الدراسة يلاحظ أنماطاً لزخرفة التنين في الفن السلجوقي ، فمنها ذو الأجسام الممتدة إمتداداً طولياً معقداً تنتهي برأس واحد في كلا الطرفين ، وفي بعض النماذج يظهر تنينان بزوج من الرؤوس المتقابلة ، وأذن مستدقة ، وعيون لوزية ، وفك الأسنان ملتوية بشكل حلزوني صعوداً وهبوطاً داخل الفم المفتوح ، ذو الأسنان الحادة والألسنة مشقوقة ، وأحد الرأسين يقضم (يعض) الجسم عامة، والرأس الأصلي هو الذي لا يقضم الجسم ، والأجنحة تنتهي بحلزون في الأجزاء العليا منها ، وتحيط الأجنحة بعضلات الساق .

وهناك نمطاً عبارة عن بدن واحد ذو إطار ينتهي بشكل حلزوني خلف الرأس مباشرة ، يضاف إلى ذلك العنصر زخارف نباتية ملتوية المعروفة بالأرابيسك والتي انتشرت في فن السكيثيين (٤) . وهذه الأنماط المتنوعة من زخرفة التنانين السلجوقية إنتشرت أكثر وبدقة على نقوش العمارة الدينية والمدنية خاصة القلاع والخانات والبيمارستانات ، والتي يمكن تصنيفها كما يلي :

أولاً : التنانين المصورة بمفردها .

١- تنانين قلعة قونية 671هـ /١٢٢١م :

أ – نقش لتنين بالحفر البارز على لوح من الرخام الأبيض بمتحف مدرسة قونية برقم ٩٨٠ (لوحة ١) أبعاده ٩٠سم , ٦٠ سم وسمكه ٤٥سم ، ونقش التنين ممتلئ الجسم بأسلوب منحني ، وقد أتجه إلى اليسار ، وحول بدنه يوجد عقدة كبيرة وألتفاف صغير ، وينتهي طرفيه برأس واحد تتجه إلى اليمين وتقضم عقدة الذيل . وتتميز رأس التنين بأن لها أذن مستدقة وعين لوزية ، وفكي الأسنان مفتوحتين وتنتهي بشكل حلزوني إلى أعلى ، ويوجد جناح مزين بأوراق نباتية ملتوية خلف الرأس اليسرى للتنين وتمتد حتى الظهر والفخد . وللتنين أرجل خارجية من الجهة اليسرى تمتد للأمام بصورة

١- التنين ، جمعها تنانين ، وهو صنف من الحيات ، ابن منظور ، جمال الدين أبي الفضل ، لسان العرب ، تحقيق ، عامر أحمد حيدر ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، المجلد (١٣) ، ص٨٨ .

٢- الدميري ، حياة الحيوان الكبرى،جـ ٢، ط١ ، ص١٥١ .

٣- ياسين ، عبد الناصر ، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص١٨٩ .

4 - Rice , T.T., The Scythians , London , 1961 , Fig . 25-27, Pl.45.

ملتوية ، أما الأرجل الداخلية فمتراجعة تجاه الجسم ، وقد شغل اللوح الرخامي هذا من أعلى بزخارف نباتية قوامها أوراق عنب وعناقيدها .

ب- نقش بارز للوح رخامي تابع لنفس القلعة السابقة بمتحف مدرسة انجا منارة لي بقونية أيضاً تحت رقم ١٣٩٤ (لوحة ٢) أبعاده ٦٦سم , ٢٦ سم وسمكه ٣٠سم ، عليه صورة تنين على مهاد من الزخارف النباتية الملتوية والمعروفة بالأرابيسك ، وقد صمم رسم التنين بأسلوب منحني أو مائل القطع (١) .

وجسم التنين شُكل على هيئة عقدة كبيرة في القسم الأوسط من الحجر وينتهي برأس واحد يتجه إلى اليمين في كلا الطرفين ، والأذن مستدقة والفم مفتوح ويبدو اللسان طويل ذو شقين (مشقوق) والأسنان حادة ، وتوجد زخارف ملتوية في جزء من العنق كما هو موجود في تصوير الحيوان عن السكيثيين (٢). وأن تأثير طراز آسيا الوسطى واضح تماماً في رسم الجناح بنفس الشكل ، وقد امتدت الساق الخارجية إلى الأمام وتراجعت الساق الداخلية ناحية الجسم .

ومن الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب الفني من الزخرفة التي نفذ بها المثال السابق صار نمطاً في زخرفة التحف المعدنية والخشبية والعظمية السلجوقية في الأناضول ، وأن الأصول الأولى لهذا الأسلوب في الفن الإسلامي ترجع إلى الزخارف الجصية خاصة الطراز الثالث في مدينة سامراء ق٣هـ /٩م وفي زخرفة الأخشاب الطولونية بمصر . كما يمكن القول بأن رأس التنين المنفذة بنفس هذا الأسلوب الفني وجدت على قطع من الخشب الموجودة في مقبرة باشهادار Bashadar والتي ترجع إلى القرون ٤-٦ ق .م ، كما وجدت في نموذج على مقبض من العظم والخشب في المقابر التركية في قوراي تويوه من القرون ٧-٨م وهي تشبه بدرجة كبيرة بتلك النماذج السلجوقية السابقة . كما يوجد أربعة أقنعة لتنانين من الطين المحروق في ضريح جول تكين Gultekin في وادي أورخون Orhon وفي النصب التذكاري الذي أقيم في شرق أولانباتور Ulanbator على شرف طونيوقوق Tonyukuk حمى بيلجاكغان Bilgekagan (٣) .

ج- ويوجد نقش ثالث تابع لنفس القلعة السابقة بمتحف مدرسة انجا منارة لي بقونية تحت رقم ٨٨٩ (لوحة ٣) ، عبارة عن لوح من الرخام أبعاده ٩٦سم , ٣٢ سم وسمكه ٢٠سم ، نقش عليه رسم لتنين داخل إطار سميك مكسور طرفيه يظهر من خلاله نتوء بارز لمنظر جانبي بسيط وقد نفذ هذا النقش بالحفر البارز المائل المشطوف مثل ما هو الحال في النموذج السابق . وجسم التنين يُحدث عقدة في وسط الحجر وينتهي برأس ينظر إلى اليمين في كلا الطرفين ، وله رأس بأذن مستدقة وفم مفتوح ولسان طويل مشقوق يتدلى إلى الخارج ، ويحيط بجسم التنين زخارف نباتية ملتوية تشكل في مجموعها لنقش حيوان (٤) .

٢- تنين قلعة " آني " ترجع الى القرن ٦هـ /١٢م .

طبقاً لما هو منشور في كتب الفنون والآثار فأنه يوجد نقش لتنين يلتف إلى اليمين وله جسم ذو عقدة وفي الرأس أذن مستدقة وفم مفتوح وأسنان حادة وله أنف حلزوني ولسان مشقوق ، ولا يعرف أين يوجد هذا النقش الآن (٥) .

٣- تنيني قصر علاء الدين في قونية ٦١٦-٦٣٧ هـ / ١٢٢٠-١٢٣٧م .

يوجد نقش من الجص بمتحف مدرسة أنجا منارة لي بقونية تحت رقم ٥٨٠ (لوحة ٤) أبعاده ٣٠سم × ١٧سم وسمكه ٠.٠٣سم عليها رسم لتنينين ينظران إلى الداخل في وضع متماثل ومتقابل ، ربما ترجع إلى التجديدات والإضافات التي قام

---

1 - Inan, A., ALtey Daglarinda Bulunan Eski Turk Mezarlari , Belleten XI ,43 , Ankara, 1947, s , 569-570, Resim 3.

٢أنظر حاشية ٤ .

3 - Jisl,١L., Kultekin Anitinda 1958 de yapilan arkeoloje arashtirmalarnin sonuclari, Belleten .Nr.107,Ankara 1963 .

4 - Otta-Dorn,K,Die Kunst des Islam ,Baden, 1964, Fig .105,s,164.

5 - Marr, N. ,Ani Knizhnaya Istoria Goroda , Raskopki na Meste Gorodiht Iras , Leningrad , Moscov , 1943 , Resim 148, s, 71.

بها علاء الدين قيقباد (١) ، ويبدو الشكل العام للنقش على هيئة حزام العقد له زوج من الفصوص في الاتجاهين ، شغل التنينين رأسيا داخلها ، ولهما جسم كبير بعقدة واحدة ورأسهما في وضع جانبي بأذن مستدقة ولسان مشقوق داخل فم مفتوح ولهما شعر يتطاير حول الرأس في شكل خطوط رفيعة حول الصف ، وقد رسم هذا النقش على مهاد من الزخارف النباتية قوامها أفرع نباتية ومراوح نخيلية وأنصافها .

وهناك بعض الزخارف الجصية موجودة في نفس المتحف خاصة لمدرسة انجا منارة لي بقونية نقش عليها رسم تنانين أخرى على مهاد من الزخارف النباتية الأرابيسك ، ولكنها لا ترجع إلى عصر علاء الدين ، حيث يوجد لوحة جصية أبعادها ١٤سم × ٩ سم عليها رسم تنين بنفس الأسلوب السابق ، كذلك يوجد في متحف الآثار التركية والإسلامية بأسطنبول تحت رقم ٢٣٤٠ عليه رسم تنين من الجص ينتمي إلى نفس طراز التنينين السابقين لقصر علاء الدين بقونيه .

٤– تنانين قصر قوباد اباد في باي شهر 636هـ /١٢٣٦م .

يوجد في قصر قوباد اباد الكبير وهو مكان الاستراحة الصيفية لعلاء الدين قيقباد على ضفاف بحيرة باي شهر نقش لتنين على الحجر عثر عليها أثناء عملية التنقيبات سنة ١٩٦٦م (لوحة ٥) ، كما عثر في العام التالي ١٩٦٧م تنين بنفس الهيئة الزخرفية على تحفه لبلاطة خزفية نجمية الشكل من البريق المعدني (٢)

٥– نقش تنين بخان السلطان في مدينة قيصري٦٢٩–٦٣٦ هـ/١٢٣٢–١٢٣٦م .

يوجد داخل المسجد الذي يقع في وسط فناء خان السلطان الذي شيد في عهد علاء الدين قيقباد (٣) ، خاصة على زخرفة عقوده الجنوبية الشرقية نقش لمجموعة متنوعة من التنانين بأجسام متماثلة ومتقابلة على هيئة ملتوية تشكل هيئة قلب(لوحة ٦) و (لوحة ٧) وتقع رؤسها في وسط العقود تماماً وتنتهي أجسامها عند بداية أرجل العقود ونهايتها ، ويبلغ عرض العقد ٤.٣٥م وتبدو النقوش على هيئة جانبية لبدن التنانين بخط رفيع ، والرؤوس المزدوجة متقابلة تنظر إلى بعضها البعض في وسط العقد بفم مفتوح وأسنان حادة ، ويُحدث الفك العلوي حلزون من خلال الألتواء تجاه الخارج ، والعيون واسعة ولوزية الشكل ، والأذن مستدقة ، ومما يلفت الانتباه أن التنانين المنقوشة بالعقود الشرقية تتحد مع بعضها البعض في الوسط لتشكل هيئة قلب معاكس في الوسط (لوحة ٦) ، بينما التنانين المنقوشة في الجهة الجنوبية فلا تتحد في الوسط (لوحة ٧) ، والرؤوس تنظر إلى بعضها أيضاً والذيول التي تنتهي عند أرجل العقد تنتهي برأس تنين .

٦– تنانين مستشفى تشانقيري ٦٣٥هـ /١٢٣٥م.

يوجد على بوابة مستشفى تشانقيري نقش الحشو لتنين أبعاده ١م × ٢٥سم (لوحة ٨) (٤) ، يتميز جسم التنين في هذا النقش بأنه يرتبط بأربعة أزواج من العقد تنتهيان برأسين متقابلين في الطرف الأيسر من النقش ، والرأس التي إلى أعلى مكسورة ، أما الرأس التي إلى أسفل فيها أذن مستدقة وعين لوزية الشكل وأسنان حادة داخل فك مفتوح ، والجزء الطرفي من الفك العلوي غير موجود ، ويعتقد أن الطرف الأصلي ينتهي بشكل حلزوني مثل النماذج السابقة الخاصة بقونية. والجدير بالذكر أن مثل هذا النقش وجد على لوحة جصية في بلاد الرقة محفوظة الآن في متحف المتروبوليتان بنيويورك. (٥)

---

1 - Onder, M,Ein neugefunderenes Rumseldschukisches Drachenrelief, Sonderdruck aus Archaeologischer Anzeiger, Berlin 1961, s.70-71 Abb.3 .

٢– ياسين ، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ، ص١٨٦ .

3 - Erdman , K., Das Anatolische Karavansaray des 13 , J.H. Teil , Berlin 1962, No,26,Abb. 151.

4 - Onge,y, Cankiri Darussifasi , Vakiflar Dergisi V , Ankara 1962, Resim 5, Gabriel A., Voyages Archeolgiques dans la Turqui Ohientale , Paris 1940, S,166,Fig .13,137.

5 - E.T. Raqqa Keramil in der sammlung des Metropolitan Museums in New Yourk, Kunst des Orients IV, Wieshbaden 1963, Abb.15.

ومن نقوش هذه المستشفى التي خربها آتاباي جمال الدين فروح عام ١٢٣٥م ، نقش لتنين في حالة يرثى لها لدرجة أنه لن يمكن التعرف بشكل كامل ، ولكن يبدو من بقاياه أنه نقش من الجص كان موجوداً على عقد الرواق الموجود على يسار مستشفى كيكاوس بسيواس ٦١٣هـ / ١٢١٧م (لوحة ٩) ، ونقش التنين عليه يظهر فيه الذيل والسيقان التي تنتهي بحلزون .

٧- نقوش تنين خان قراطاي في قيصري ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م.

يوجد نقش لزوج من التنانين على وجه البوابة التي تطل على فناء خان القوافل الموجود في قرية قراطاي في شرق قيصرية بخمسين كيلو متر (١). ويرجع هذا النقش إلى الزيادات التي تقام بها غياث الدين كيخسرو الثاني في الخان ٦٣٧ هـ /١٢٤٠م ، ويبلغ طوله حوالي ٤م بصورة متماثلة ومتقابلة على العقد الرئيسي للبوابة الخارجية المطلة على الفناء (لوحة١٠) ، وأجسام التنانين تلتف على بعضها محدثة سلسلة ذات ثلاث حلقات تشبه الأشكال المجدولة التي تزين عقود العمارة السلجوقية المتأثر بها العمارة الأيوبية في سوريا ، كما أن هذه الأجسام تشكل شريطاً من ثلاثة خطوط تحدد وتزين بدورها الحواف الخارجية لهئية عقد البوابة ومحدثة في الوسط عقدة مستديرة . وللتنانين أذن صغيرة مستدقة وفم مفتوح وأسنان حادة ، ويمتد الفك العلوي إلى أعلى محدثاً إلتواء حلزوني .

٨- التنانين الموجودة في شواهد قبوربمدينة أخلاط نهاية القرن ٧هـ / ١٣م .

يوجد أربعة شواهد قبور في مقابر أخلاط في حالة متهالكة جزئياً (لوحة١١) ، عليها نقوش تنانين مزدوجة ومتقابلة على غرار الطراز السلجوقي في بلاد الأناضول. (٢)

٩- نقش تنين جامع آق (الأبيض) في آنامور ٦١٦-٦٣٧ هـ / ١٢٢٠-١٢٣٧م.

يوجد بالجهة اليسرى أسفل النص التأسيسي لجامع آق في آنامور من عصر علاء الدين قيقباد الأول نقش لتنين ينتهي جسمه برأس واحدة في كلا طرفيه (لوحة ١٢) وتتدلى من خمسة ألسنة وعيونه لوزية واسعة ، وقدم صمم هذا النقش بصورة بسيطة جداً وصغيرة الحجم .

ثانياً : التنانين المُقدمة مع الكوكب السيار.

١- تنانين بوابة خان صوسوز في بوردور منتصف القرن ٧هـ / ١٣م .

يوجد نقش لتنين يحيط بالدخلتين المعقودتين التي تكتنفا بوابة خان صوسوز في الطريق من أنطاليا إلى بوردور ، ويلاحظ أن النقوش اليمنى متهالكة أكثر من اليسرى ، وبالنقش رسم لملكان على قمة التنانين ينتظران تجاه بعضهما (لوحة ١٣) ، ويمسكان بشئ بأيديهما ، وتمتد أجسام التنانين محدثة ألتواءات حادة ودائرية وبالرؤوس أذن مستدقة تتقابل عند قمة عقد الباب ممسكة بأفواهها رأس إنسان وهذه النقوش في حالة سيئة من الحفظ ، ويظهر في النقش أجنحة التنانين وهي ملتوية إلى أسفل ، أما القسم الملتوي منها فيقع عند تيجان أعمدة الدخلتين المعقودتين السابقتين ، ويمكن القول بأن تصميم هذا النقش مع الكوكب السيار (الشمس) والذي يرمز إليه برأس إنسان وجد على نماذج كثيرة أخرى في الفن السلجوقي، مثل نقش منارة جامع أبو مظفر الدين في سليفان ٥١٢-٦٠٦ هـ /١١٩٩-١٢١٠م (٣) ، وعلى كوشتي عقد الإيوان الرئيسي في مستشفى كيكاوس بسيواس هـ/١٢١٧م (٤) كما يوجد نفس النقش والذي تبدو فيه رأسي إنسان يرمزان إلى القمر والشمس في بوابة جامع علاء الدين في نيغده ٦١٩ هـ /١٢٢٣م (٥) ، وفي بوابة مستشفى

---

1 - Erdmann,k,Ayni eser Teil I, No32, Abb.266,231,232,S.122 .

٢- يقوم أحد الباحثين الأتراك بعمل دراسة مستفيضة لهذه الشواهد يدعى Beyhan Karamagarali .

3 - Gabriel ,A,Ayni eser, S.228,pl.LXXX,3,5.

4 -Gabriel, A. Monuments Turcs d, Amtolie, Paris, 1931,S., 149,Fig.93

5 -Gabriel, A., Ayni eser , Pl. xxxv , S.121

مستشفى ديفرجي ٦٢٨هــ / ١٢٣١م (١) ، كما كان يوجد في باب الطلسم ببغداد (لوحة١٤)، وكذلك أحد أبواب قلعة حلب (٢) ، وكان النقش في الأول يمثل في الوسط رسم رأس إنسان يلبس قفطان وتاج يجلس متربعاً علــى الأرض ويمسك لسان التنانين بيداه ، كما وجد نفس النقش يزين واجهة المسجد الجامع بمدينة فرامين ، الذي شيده السلطان أبو سعيد سنة ٧٢٢هــ / ١٣٢٢م (٣) ، كما وجد في زخرفة القسم الأوسط من مئذنة الجامع الكبير بظفار الذي تم بناؤه في عام ٦٠٠هــ/١٢٠٣م(٤) .

ويمكن القول بأن هذه النقوش ترمز إلى مبدأ الضدين في نفس الشكل وأن النقش الذي في الوسط صار رمزاً للشمس في نفس الوقت ، كما يمكن القول بأن أحد العلماء خمن تاريخ إنشاء خان صوسوز قبل سنة ٦٤٣ هــــــــ / ١٢٤٦م بقليل في زمن السلطان غياث الدين كيخسرو الثاني (٥) .

٢- وبنفس الخان السابق

يوجد نقش لتنين صغير داخل وريدة على هيئة نجمية داخل الشريط الزخرفي الذي يتوج الجهة اليمنى للبوابة الرئيسية ، أبعادها ١٢×٦سم (لوحة١٥)، ونقش التنين هنا يستقر أسفل رأس الفم المفتوح ، وله زوج من السيقان الممتدة صـــوب الأمام ، الجناح والذيل يحدثان عقدة ملتوية ، ويتخلل هذا الرسم نقوش زهور متنوعة ونقش رأس إنسان متهدم كثيراً في أعلى تلك الزهور ومن الجهة اليسرى بالشريط الممتد السابق على جانبي البوابة يوجد نقش نباتي هندسي مماثل للسابق به رسم نقش لأسدين متقابلين (لوحة ١٦) أبعادها ١٥سم×١٠سم ، ولهذا يمكن القول بأن نقش الكواكب السيارة تنوعت كثيراً مع نقش التنانين وأصبح هناك رمز لكوكب سيار لها هو برج الأسد (٦) .

٣- التنانين ورأس الأسد لمقبض باب الجامع الكبير في جيرزة القرن ٦هــ /١٢م .

يحتوى مقبض باب من البرونز لجامع الكبير في جيزره والمحفوظ الآن بمتحف برلين (لوحة١٧) على رأس أسد منمنمة جداً مستقرة متماثلة ومتقابلة مع تنانين بصورة دوران خلف الرأس بشكل جانبي ، وبالرأس أذن مستدقة وعيون لوزيـــة واسعة وأسنان حادة في فم مفتوح ، وفي الفك العلوي منها إلتواء حلزوني صوب الخارج، ويلاحظ أن التنانين تقضـــم (تعض) أجنحتها ، وسيقالها تتصل ببعضها البعض والأجنحة تتوحد بخط واحد تنتهي عند الساق بأسلوب نمطي حلزوني وشكل أجسامها العام ذو عقدة واحدة ، ويحيطها زخارف مدببة ، كما تنتهي ذيولها برأس نسر له منقار حاد على نمـــط حيوان أوروآسيا (٧) وهذه الرؤوس تنقر الذيل أيضاً ، كما يلاحظ أن رؤوس التنانين والأسد والأجنحة صممت بأسلوب بأسلوب الحفر المشطوف والجدير بالذكر بأنه يوجد مقبض مماثل للمقبض السابق محفوظ في متحف دهلم في برلين تحت رقم ٢٢٤٢.١ (لوحة١٨) أبعاده ٢٧.٥سم ×٢٤سم .

والمعروف أن الأسد هو رمز السيادة والقدرة كما أنه في نفس الوقت رمز النور والشمس والبرج ، ونقش النسر يرمز إلى الشمس ، ووجوده مع التنانين في المقابض دلالة على مبدأ الضد وهو ما يرمز له بالقمر والظلام ، أي ما يعني الشمس والنور عند الأسد ، وعلى ذلك تأخذ رأس الأسد مكان رأس الإنسان التي تبدور واضحة في نقش خان صوسوز ، أما في

---

1 -Arel ,H.,Divrigi Darussifasi gotik portal , Vakifler, V., Ankara ,1962,S.,123, Resim 19.

٢- حسن, زكي محمد, الصين وفنون الإسلام, القاهرة ,ص٤٧ ،ياسين, الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ,ص١٨٧.

٣- ياسين ، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية ، ص ١٨٧ .

٤- أحمد, عربي محمد, تأثير الاتجاهات الفكرية والعقائدية علي الفنون الإسلامية في عصر الولاة العباسين والطولونيين في مصر, رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآثار جامعة القاهرة,١٩٨١,ص.٣٢٠,لوحة١٧٤.

5 -Erdmann ,K Ayni eser ,Teil I, S., 113, Abb.202, No.30.

6 -Oney, G., Anadolu Selcukulularinda Balik Figru , Istanubul ,1968, S.,142-168.

٧- من المعروف أن وجود نقش لحيوانات أو ما يشابها على نقش أو مع نقش حيوان آخر هو نمط عرفي في فن الســـكثيين , Rice, anyi eser, pl.5,9,24,S.,32

الذيول فتحدد رؤوس النسر (النور، الشمس)، والتنانين (القمر والظلام) وهذا النقش برمزيته وجد على مرآة من البرونز ترجع إلى أولاد أرطوق والتي يرى فيها النسر رمز النور والشمس نقش داخل وريدة وسط الأثني عشر برجاً (١) وفي أسيا الوسطى كان يوجد اعتقاد مشابه أيضاً خاصة عند الياقوتيين بأن النسر هو رمز الطبيب الساحر والخالق الأول للنور .(٢)

٤– نقش شاهد قبر بمتحف أفيون القرن ٧هـــ /١٣م .

يوجد بمتحف أفيون شاهد قبر أحضر من بويالي كوي بأفيون تحت رقم ٢١٣ (لوحة١٩) (٣) ، عليه نقش إنقضاض لنسر على أرنب وأسد على كبش ، وظبي هارب خارج وريدة كبيرة على هيئة الشمس ، ويحاط بهذه الوريدة زوج من التنانين تلتف أجسامهم على بعضها ، ورأسهما تنظران إلى بعضهما ، وفمهما يتحدان محدثين فيما بينهما زخرفة هندسية على هيئة المعينات . كما يوجد نقش لمجموعة من الأرانب بالجهة اليمنى من الشاهد تطار بعضها البعض ، والدلالة الرمزية لنقوش هذا الشاهد تتمثل في زوج التنين وهما القمر مع الشمس ، وانتصار الحيوانات المتعلقة بالشمس في حالة قتال النسر والأسد على الحيوانات المعلقة بالقمر وهي الأرنب والكبش .

ثالثاً : نقش التنانين المقدمة مع الأبراج الفلكية .

١– نقش قنطرة (جسر) جيزره ٥٥٩هـــ/١١٦٤م .:يوجد ثمانية نقوش داخل وحدات مستطيلة في القاعدة الغربيـــة لقنطرة (جسر) جزيرة بن عمار أو أبن عمر بسوريا جنوب جيزره، والذي قام بتشييده آرطوقلو سنة ١١٦٤م (٤) ، وهي وهي من الحجر الجيري الأبيض أبعادها ١.٢٠م × ١م (لوحة٢٠) على عمود مثمن الأضلاع ، وتمثل قنطور (فرس بوجه آدمي) وتنين ، وقد شد الأول القوس بالقسم الأعلى ذو جسم إنسان الذي يلتف إلى الخلف ويستعد لقذف سهم علـــى فم التنين ، الذي له جسم ذو عقدة كبيرة واحدة ومفتوح الفم ، والفك الأعلى يحدث إلتواء حلزوني تجـــاه الخـــارج ، ويتضح من هذا النقش تصوير ساجيتطاريوس أي برج القوس مع الكواكب السيار (الجوزهر Cauzehar)، وقـــد تم إغفال كوكب زحل وهو أول الكواكب السيارة المتعلقة بتعداد الأبراج الفلكية الثمانية .وقد وجد هذا النقش على مرآة من البرونز تنسب لآرطوقلوب وعلى نقودهم أيضاً(٥) .

٢– نقش مرآة من القرن ٧هـــ / ١٣م :يوجد بمتحف طوب قابي سراي باسطنبول مرآة من البرونز ترجع إلى القـــرن ٧هـــ/١٣م تحت رقم ١٧٨٩٢/٢ (٦) أبعادها ٤٥.٥سم، والقطر ٢١سم (لوحة٢١) نقش عليها رسوم لصياد يقـــوم بصيد صقر، إضافة إلى نقوش مختفلة لزوج تنين في أطرافها، كما يوجد في أعلى المرآة نقش زوج تنين متمـــاثلين وأيـــل وقنطور يشد القوس ويستعد لقذف السهم ، ودب وطيور وعنقاء ، ويلاحظ تقاطع عنق التنانين مع بعضها وأجسامها ذو عقدة واحدة ، ولا تختلف كثيراً أجزاء القدم والجناح . ويلاحظ في هذا النقش زوج التنين الكوكب الســـيار الجـــوزهر والأيل والدب حيوانات الصيد والقنطور برج القوس ، والعنقاء الموجودة في الخلف حارسة في الصيد وجالبة للحظ ، كما هو موجود في مناظر الصيد في الفن السلجوقي الإيراني حيث نقش أبو الهول والحورية قد قدمت مع حيوانات خرافية (٧) (٧) مع يوجد نقش زوج التنين مع حيوانات الأبراج المختلفة في الفنون السلجوقية بإيران ، وبالتالي يمكن القول بأن تكون

---

1 -Kuhnel ,E., Ayni Abb.131.

2 -Eliade, M., Shamanidmws and Archaische kstasetechnik.Zurich,1957,S., 80.

3 -Otto-Dorn ,k., Turkische Grabsteune mit Figurenreliefs aus kleinasien, Ars Orientalis 111, 1959,S.,63 Abb.1-4.

4 -Tuncdag, F., Artukoylu sanati, Anakrara,1963,Basilmamis doktora terzi.D,T.C. Fakultesi , Ankara, S., 109-113.

5 -Kuhnel,A., islamische Kleinkunst, Braunschweig 1963,S., 170, Abb.131.

6- Oney, G., Mounted Hunting Scenes in Anatolian Seljuks in Comparison with lranian Seljuks , Amatolia XI , Baskida , pl.32.

7 -Oney, G., Mounted Hunting, pl.35.

تكون هذه المرآة صنعت بقصد طلسم سحر (تعويذة) في الفن الإسلامي ،أو بقصد جلب الحظ للصيد في حماية الجوزهر Cauzehar(١)

٣- نقش بمدرسة أوباكوي بمدينة الآنيا القرن ٨هـ /١٤م :يوجد نقش تنينان متقابلان على عقد بوابة مدرسة أوباكوي الموجودة بالقرب من ألانيا (لوحة٢٢) (٢) ، حيث نقش التنينين حول بعضهما وفمهما مفتوحتان ينظران إلى بعضهما ، وحول هذا النقش يوجد زخرفة سمكتين وثلاث وريدات ، ويعتقد أن رسم الكوكب السيار الجوزهر Cauzehar في هذا المثال يعني برج الحوت لزوج التنين مع الكواكب السيارة الأخرى .

رابعاً : نقش التنانين المقدمة مع التقويم التركي الصيني ذو الأثنى عشر حيواناً

١- نقوش مدفن الأمير صالتوق في ارضروم القرن ٦هـ /١٢م :يوجد بالقسم العلوي بالدخلات المعقودة المجوفة في باطن قبة الأمير صالتوق في أرضروم نقش يمثل تقويم الحيوان التركي الصيني ، وهو عبارة عن رسم زوج تنين وزوج جديان وثور وطائر ونسر (٣) ورسم التنينين هنا في وضع رأسي وملتفة أجسامها مع بعضها البعض وأفواهها مفتوحة (لوحة٢٣) ، وتشبه هذه النقوش تلك الموجودة في قمة عقد الدخلة الموجودة في الجهة الجنوبية داخل كنيسة ست جريجور في آني ١٢١٥م (لوحة٢٤)، حيث تظهر الألسنة المشقوقة والأنوف التي بها حلزونات ونمط الرأس والأجسام ذات العقدة متأثرة بنمط نقش التنانين السلجوقية .

٢- نقش خان قراطاي في قيصري ٦٣٧هـ /١٢٤٠م :يوجد بالجهة اليسرى لبوابة الدخول الرئيسية لخان قراطاي في قيصري شريط زخرفي مقرنص طوله ٢.٥٠م (لوحة٢٥) نقش لحيوانات مختلفة من تقديم الحيوان التركي الصيني وهو لطائر يلتقط سمكة في فمه وكلب وختزير بري ودجاجة وطائر وثور وأرنب ونمر مع تنين له جسم ذو عقدة بتفصيل بأذن مستدقة وفم مفتوح (٤) . ويلاحظ على هذا النقش التكرار في بعض رسوم الحيوانات الخاصة بهذا التقويم ، وهي سمة من من سمات الفن السلجوقي ، كما يلاحظ أن هناك بعض الحيوانات لم تظهر من قبل في هذا الفن (٥) .

٣- نقش بوابة مدرسة جوك في سيواس٦٦٩-٦٧٠ هـ / ١٢٧١-١٢٧٢م:يوجد على جانبي عقد بوابة مدرسة جوك في سيواس نقش أبعاده ٤٥سم × ٤٠سم (لوحة ٢٦) عبارة عن رسم لرؤوس حيوانات تقع بصورة متناسقة تمثل التقويم التركي الصيني (٦) ، وذلك على مهاد من الزخارف النباتية الأرابيسك ، ويلاحظ أن رأس التنين يقع في مركز هذا هذا التشكيل الزخرفي وفمه مفتوح وفكه العلوي ملتوي وأذنه مستضقة وأسنانه حادة ولسانه مشقوق ، كما يلاحظ الانتقاء في نقش رؤوس الثعبان والحصان والخروف والنمر والأرنب والفأر والثور والكلب والفيل.

٤- نقش جامع سنجوربك في نيغدة ٧٣٥هـ / ١٣٣٥م .:يوجد نقش داخل إطار على هيئة نجمية في البوابة الشرقية لجامع سنجوربك في نيغده ، وبجواره شريط زخري آخر عرضه ١٤سم يضمان حيوانات التقويم السابق (٧) ، وهي عبارة عبارة عن رؤوس لحيوانات الجدي والحصان والنمر والظبي والثور والطائر والفأر والأرنب والقرد والكلب والأسود والخروف والأسماك ، أضافة إلى رسم تنين وذلك على مهاد من الزخارف النباتية الملتوية (لوحة٢٧) ، ويلاحظ في هذا

---

1 -Rice, D.S., Birselcuk aynasi ,I Milletler arasi Turk Sanatlari Kogrsi Amkaza, 1962, s.330-332.

2 -Oney, G., Anadolu Selcuklarinda Balik Figuru , Ayni ,Aynic a bak,Zozen , M.Oba Pazari Cerzest ve Oba Medresesi , lstanbul Sanat Tarihi yilligi , I,1964-65,S.,143-154.

3 -Otto-Dorn,k., Darstellungen oles Tuzco Chinesischen Tierzyklus in der Iskamische Kunst, Diez Armagani, Istanbul , 1963, S.,142.

4 -Otta, Darstellungen des Turco , S., 143,144,Resim 13-15.

5 -Erdmann,K., Das Anatolische Kzavansaray,No.32,S., 122, Abb.226,231.

6 -Otto, Darstllungen des turco, S. 146, Abb.16-17.

7 -Otta, Darstellungen des Turco,S.,148,Abb.18-20.

النقش تكرار السمك الذي ليس له علاقة بحيوانات التقويم (١) كما يلاحظ أن معظم رؤوس الحيوانات في حالة سيئة ، وأن التنانين أفكاكها ملتوية بشكل حلزوني .

خامساً : نقش التنانين المقدمة مع رؤوس الثور .

١- نقوش التنين والثور في قلعة آني ٤٦٥-٥٠٣ هـ /١٠٧٣-١١١٠م

توجد نقوش متماثلة ومتقابلة في الأبراج التي تقع على يمين ويسار الباب الأوسط الشمالي لقلعة آني ، بينما توجد نقش تنانين في أبراج أخرى للقلعة مع رأس ثور (لوحة٢٨) و(لوحة٢٩) (٢) ، وتقع على إرتفاع ثلثي الأبراج ، وتلتف أجسام التنانين حول جميع الأبراج بأجسامها المجدولة كحبل سميك ، ورؤوسها تستقر في الوسط ، وأفواها مفتوحة وأذن مستدقة ، وتمسك حلقة في فم رأس الثور المقدم من الواجهة .

ومن المعروف أن هذه الأبراج جددت على يد أبوشوجا مانوتشهر الذي استمر حكمه بأسم آل أصلان في آني سنة ١٠٧١-١١١٠م (٣) ، ويمكن تمثيل تلك الفترة للثور الذي هو رمز السيادة القديمة في هذه الأبراج ، بينما تمثل التنانين رمز الظلام والعدو الذي تحت الأرض في نفس الوقت . ويمكن أن يصير تمثيل النصر ضد نفس العدو بعد التهديد من طرف العدو أولاً بصفة بدون حلقة في أحد رؤوس الثور وبحلقة في آخر .

٢- نقوش التنين والثور والنسر في باب بقلعة دياربكر٥٧٨-٥٧٩ هـ /١١٨٣-١١٨٤م.

يوجد نقش لنسر يطأ رأس ثور مضافاً للنقش الكتابي الموجود على باب البوابة الغربية لقلعة دياربكر (لوحة٣٠) ونقش معه تنانين لها جسم ذو عقدة ولأجنحتها أطراف حلزونية ، وسيقانها الداخلية الأمامية تراجعت تجاه الجسم ، ويقع خط طرفه بشكل حلزوني مرة اخرى في المكان الذي يتحد فيه الفخد مع الجناح ، ونمط الرأس على غرار التنانين في الفن السلجوقي ، والنسر له رأس واحدة وقد صمم من الواجهة تماماً ، والجزء السفلي لرأس الثور الذي في حجم النسر في حالة تهدم ويرجع هذا النقش إلى عهد محمد بن آرطوق بن قره أرسلان ١١٨٣-١١٨٤م (٤) وطبقاً لفان برشم فقد دلل على على أن هذا النقش ما هو إلا انتصار أبناء آرطوق على أبناء إينال وذلك من خلال نقش الثور ذو الحلقة في فمه ، في نفس الوقت يمثل الانتصار على التنانين والنسر الذي هو رمز السلطة (٥) والتنانين هي رمز لتحت الأرض والظلام والقمر في نفس الوقت ، ويمكن أن يمثلوا العدو والذي هو مبدأ الضد في نفس النقش .

٣- نقوش التنين والثور في خان كسيككوبرو (الجسر القديم)٦٦٦ هـ /١٢٦٨-١٢٦٩م

بالنافذة اليسرى بواجهة خان كسيككوبرو الذي يقع على بعد ٣٠٠ متر من نهر قيزل إيرمق جنوب قيرشهر ، يوجد نقش لرأس ثور بين تنينين (لوحة ٣١) (٦) ، داخل نقش لآنية كبيرة ، أفواهها متماثلة ومفتوحة وتتجه إلى الخارج ، وأجسامها قصيرة وتنتهي عند فم الثور ، والجدير بالذكر أن الذي أنشأ هذا الخان هو نور الدين جبرائيل أمير قيرشهر أبن بهاء الدين جاجابي ، ويعتقد أنه يرمز بالثور الذي يلتهم التنانين ، كما هو في مثال آني في هذه النقوش والذي يعني السيادة والقدرة .

سادساً : نقش التنانين المقدمة مع شجرة الحياة .

---

1 -Oney, Amadolu Selcularinda, S., 157.

2 -Kirziogly , M,F, Kars Tarihi , Istanbul , 1953, S 359-362.

3 -Barthold, W, Islam Ansiklopedisi ,Ani maddesi , Cilt I , Istanbil 1965, S .436 .

4 - Van Berchem , M, Strzygowski , J,Amida Heidelberg 1910, S 78,82 Fig.28 .

5 - Erdmann,k,ibni bibi als Kunsthistorische Quelle , Nederlands Historisch Archeologisches Institut , Istanbul 1962, S 7k8 .

6 - Ermann, Das Antolische Karavansaray , Teil I , No, S 75-77.

نقش بمدرسة أرضروم نهاية القرن ٧هـ /١٣م :يوجد على جانبي واجهة مدرسة أرضروم نقش داخل إطار مستطيل يكتنف الواجهة لنسر ذو رأس فردوج في قمة شجرة الحياة وأبعاد هذا النقش ١.١٠م×٦.٦٠م (لوحة٣٢) (١) ، ويوجد من أسفل زوج تنين تتحد بجسم الشجرة ، ثم يتحدوا بزخرفة على هيئة الهلال ، ويتخلل أجسام التنانين زخرفة حراشف ذات عقدة واحدة ، بينما توجد زخرفة المراوح النخيلية أسفل الرأس فيما بين الأجسام . ويمكن أن يرمز إلى التنانين في شجرة الحياة هذه بتحت الأرض والظلام ضد النسر الذي يقع في قمة الشجرة ، ويمكن أن تكون التنانين مخلوقات حارسة للشجرة كما ظهر في رسوم الأسد بالمدرسة الياقوتية في أرضروم .

سابعاً : نقش التنانين في أطراف جناح أو ذيل نسور مزدوجة الرأس .

يوجد العديد من النماذج السلجوقية عليها نقش يمثل التنانين في أطراف جناح أو ذيل نسور مزدوجة على مهاد من الزخارف النباتية المعروفة بالأرابيسك تنتهي برؤوس تنين .

ومن هذه النماذج نقش لإتحاد التنين والنسر مزدوج الرأس على البوابة الجانبية بجامع الكبير في ديفرجي ١٢٢٨-١٢٢٩م (لوحة٣٣) ، وعلى الزخارف الجصية داخل قصر علاء الدين بقونية ١٢٢٠-١٢٣٦م (٢) وعلى قطعة من نسيج الحرير من عهد علاء الدين أياً ، وفي قبر خداوند خاتون في نيغده ١٤١١٢م (٣) وعلى درفة النافذة الخشبية بمسجد كيلاجي في آق شهر القرن الثامن الهجري / الخامس عشر الميلادي .

ثامناً التنانين المقدمة في أطراف جناح أو ذيل الأسد أو أبو الهول .

يوجد العديد من نماذج متنوعة تجمع التنانين مع الأسد وأبو الهول في الفن السلجوقي ، ومنها نقش لأزواج من الأسود على برج أولوبدن في ديش قلعة (داخل القلعة)في دياربكر ١٢٠٨-١٢٠٩م (لوحة ٣٤) (٤) ، والتي احضرت من جيزره وترجع إلى القرن ٦هـ /١٢م ، ومنها نقش التنانين التي نقشت على مهاد من زخرفة الأرابيسك في الزخارف الجصية لقصر علاء الدين في قونيه ١٢٢٠-١٢٣٧م (٥) ، ونقش ازواج الأسود الموجودة في مقبرة خداوند خاتون في نيدة ١٣١٢م (٦) ، وأزواج الأسود التي نقشت على بوابة مقبرة باتنوس من القرن ٩هـ /١٥م (لوحة ٣٥) ، وأزواج الأسود المنقوشة على بوابة خان بهرام باشا في سيواس من القرن ١٠هـ / ١٦م ، أي في عصر متأخر مما يشير إلى استمرارية هذه النقوش فيما بعد القرن ٧هـ / ١٣م

والسمة الموجودة على هذه النقوش هي أن الأسود التي تُقدم ثنائية عامة ما تتحد مع التنانين مع جسم الأسد في شكل الذيل ، وبالتالي يشكل جسم التنين ذيل الأسد في نفس الوقت . كما يلاحظ الأسود تجلس عامة على أرجلها الخلفية ، وقد قدمت الرأس من الواجهة والجسم من المنظر الجانبي ، أما التنانين فقد مثلت بأفواهها المفتوحة من الجانب كأنها تهدد الأسد وفي بعض النماذج تقضم (تعضد) الأسد من الخلف ، ويبدو جناح في الأسود كما هو الحال في مثال قلعة دياربكر أما أبو الهول فاتحاده مع التنين نماذجه قليلة جداً في النقوش الجدارية .وهناك نموذج فريد لتمثال من البرونز أحضر إلى متحف مدرسة زنجيرية في دياربكر من دنياسر يمثل أبو الهول في أطراف جناح وذيل تنين (٧) كما يوجد نماذج اخرى

---

1 - Bak One , G, Das Lebenshbaum Motive In Des Seldschukischen Kunst In Antolien , Belleten XXXII , Ankara 1968, pl.125.

٢- يمكن تأريخ هذه الزخارف الجصية لفترة حكم علاء الدين طبقاً للأعمال الجصية التي عثر عليها في تنقيبات قصر قوباء أباد سنى١٩٦٦م.

3 -oney, Die Figwernrliefs an der Hudavent Hatunim in Nigde ,Belleten xxxl, Ankara 1967, pl.122.

4 - Gabriel, A., Voyages azcheologiques ,pl.L718.

5 -Kuhnel ,S., Ogan ,A., lstanbul Mwzelerinde saheserler Berlin 1938,Abb.10.

6 -Oney, G., Figwernseliefs ,Abb.5a,b.

7 -yets, Bir Tunc sfenks, Tirk Kultwru, Ankara 1964, Sayi 16,S., 48-50.

اخرى قليلة تمثل أبو الهول وقد ضُمم مع نقوش غزال وطائر على حجر من المرمر مسجل برقم ٨٩٣ في متحف المدرسة ذات المنارة الرفيعة في قونيه القرن ٧هـ / ١٣م (١) (لوحة٣٦) .

وتظهر كثيراً جداً تصاوير أبو الهول ذو التنين في الفنون الإسلامية الصغرى خاصة في إيران وسوريا وهناك نماذج متعددة ترجع إلى القرن ٦-٧هـ /١٢-١٣م ، مثال صحن من الخزف يرجع إلى بلاد الرقة عليه رسم أبو الهول يملك جسم إنسان (< لوحة ٣٧) .

لقد كان تأثير بلاد الأناضول بهذا الموضوع قوياً ، وأن معظم النقوش المصممة به نفذت بالأسلوب الفني المائل مع إلتواءات للأجنحة والتاج ذو الثلاثة فصوص المستدقة لتماثيل أبو الهول وفي نفس الوقت يلاحظ أن تقديم التنين الذي صار رمزاً للمبدأ العكسي أي تحت الآرض والظلام والقمر مع الأسد وأبو الهول اللذان يرمزان إلى السيادة والقدرة والشمس والنور عامة هو أمر عجيب . مع الاعتقاد بأن ساحات القتال للحيوانات المنتشرة في الفن السلجوقي بهذه النماذج أكثر قدماً وبشكل مختصر للأسد وأبو الهول مرة أخرى بصفتهما في وضع مسيطر (٢) .

تاسعاً : نقش التنين في ساحة القتال .

نقوش قصر علاء الدين في قونية ٦٢٥-٦٣٤هـ / ١٢٢٠-١٢٣٧م :بمتحف الآثار التركية بأسطنبول نقش جصي عبارة عن لوحة أبعادها ٠.٢٩×٠.٥٨متراً وسمكها ٠.٠٤متر تحت رقم سجل ٢٩٠٢ كانت في قصر علاء الدين قونية (لوحة٣٨) عليها رسم مبارزة بين تنين في الناحية اليسرى وأسد في الناحسة اليمنى من فارسين متقابلين وذلك على مهاد من الزخارف النباتية الأرابيسك ، وبأعلى اللوحة شريط سميك حجري به زخرفة نجم ، وتم عمل مقبض لسيف طويل من فم مفتوح للتنين الذي يهجم من الأمام على فارس من الناحية اليسرى ، ويلاحظ أن جسم التنين مسنن مثل الثعبان الطويل والأذن المستدقة في الرأس ، والجدير بالذكر بأنه يوجد لوحة تصويرية مشابهة لهذا النقش ضمن زخارف سقف كنيسة الكابيلا بالاتينافي باليرمو المتأثر بالفن الفاطمي في مصر (لوحة ٣٩) (٣) ، كما ظهر أيضاً من قبل في المنمنمات الإيرانية والمغولية على شكل رسم يحارب التنين أو أبطال أخرين (٤) كما يذكر هذا النقش بتصاوير صراع سنت جورج جورج مع التنين في الفنون المسيحية . إن تقديم الصراع مع الأسد في نموذج قونية الذي نحن بصدده ، وتمثيل الفرسان في وضع مسيطر على التنين ما هو إلا رمز للقمر في التنين والشمس في الأسد ، ويعتقد بأنه تم تصوير هؤلاء الفرسان بصفتهم مسيطرين على الأرض والسماء .

عاشراً : نقش ميازيب مياه على هيئة رأس التنين

تميز الفن السلجوقي بالأناضول على وجود نماذج لميازيب تصريف مياه المنشآت المعمارية على هيئة رأس التنين ومنها:

١- جامع الكبير في ديفرجي ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م: ويقع هذا الميزاب بين الجامع والمستشفى في الجهة الشرقية وأبعاده ٠.٥٠×٠.٥٥متراً (لوحة٤٠) وهو على شكل رأس تنين منمنم جداً مغلق الفم ، وينتهي في طرف الفم ميزاب يمر مناخل الرأس ، وفي القسم الأعلى من الفم يلتوي صوب الأعلى بخفة ، وله تجويف على هيئة عين لوزية .

٢- مثال أخر في قيصري القرن ٧هـ /١٣م: ويظهر الميزاب في هذا البيت على شكل رأس تنين له عين لوزية الشكل ، والفك العلوي يلتوي في شكل حلزوني لأعلى ، على النمط السلجوقي (لوحة ٤١) .

---

1 -Sarre , F., Seldschukische Kleinkunst, leipzig, 1909, Abb.16.

2 -Gabriel, A., Voyages azcheologiques ,pl. Lxx11.

3 -Monnered de Villard U, Le Pitture Musulmane AL Saffito Della Copella Palatina, Palerno, Roma, 1950,Fig.153-155.

4 -Binyonl, L., Wilkimson, B., Persian Miniature Painting, PL.xxx11.

٣- جامع عرب زادة في كرمان ٧٧٥هـ / ١٣٧٤م: لهذا الجامع تسعة مزايب مياه ذو رأس تنين أبعـاد الواحـدة ٠.٣٥×٠.٢٥م وعرض ٠.٢٠ متراً ، وهي على نمط النقوش السلجوقية في الهيئة العامة لشـكل التـنين (لوحـة٤٢) ، ويلاحظ فيها رؤوس التنانين تتحد بالسقف بحلقة فم متسع قليلاً وأسنان حادة والفك العلوي الذي يحدث إلتواء حلزوني لأعلى وعيون كبيرة مستديرة مزينة من الداخل بزخارف دقيقة .

الرمزية على استخدام التنانين في النقوش السلجوقية بالأناضول

مما لا شك فيه أن استخدام رسم التنانين في الفنون السلجوقية صار أمراً معقداً وله وجهات كثيرة استخدام بغايـات رمزية متنوعة ، ويمكن القول بأن استخدام هذه النقوش حتى في نفس أماكنها الأثرية له مقاصد مختلفة ، ويمكن إيضـاح ذلك في النقاط التالية :

١- رمز التناغم (التوافق) والحركة وصفحة السماء والكون:طبقاً لاعتقاد أسيا الوسطى القديمة إن إدارة وتوافق قبة السماء مرتبطة بزوج تنين. وهذا الزوج يضبط الدورة السنوية للنجوم وأنثى وذكر هذه التنانين التي وجدت بعقدة علـى الأقل محور العالم تحت الكواكب السيارة السبعة في قبة السماء والأنثى والذكر يجعلون هذه الدورة تبدأ من جديد بنـداء الملاك . ومبدأي حركة زوج التنين اللذان يرمزان إلى القطبين المتضادين وقوتهما ذا صفة فلكية وفلسفية(١) ، ومن الممكن تمثيل توافق وحركة وحتى عالم أزواج التنانين التي تظهر في الفن السلجوقي أو التنانين التي تظهر مع رموز أبراج الكواكب السيارة وزوج التنين الموجود في القلاع والخانات والقصور والمستشفيات وحتى في شواهد القبور يمكن أن تصبح رمـزاً للحركة والتوافق والنظام أو الكون وصفحة المساء طبقاً لمكانها في هذا الوضع وزوج التنين اللذان حركا قبة السماء بنداء الملكين تم تمثيلهم برمز الشمس (القناع) فيما بين أفواهها وزوج الملائكة في القمة في "صوسـوزخان " في " بـوردور" ويخمن أنه أعطى رمز صفحة السماء أو الكون كيراً جداً في أحجار مقابر " أخلاط " و " أفيون " وتقوى الوريدة الكبيرة التي تقع في ظهر زوج التنين خاصة هذه الفكرة .

٢- رمز القتال مع الظلام والشر: من الممكن الرمز إلى القتال مع الظلام والشر برأس واحدة لأزواج نفـس التـنين أو رموزاً لكوكب السيار والبرج وزوج التنين يستخدم كرمز لمبدأ الضد والقمر والشمس في العصر الوسيط (٢) ، والعقـد التي في أجسام التنانين هي إشارات فلكية ترمز إلى المواضع المعينة للكواكب السيارة عند كسوف الشـمس وخسـوف القمر(٣) ، وطبقاً للميقولوجيا (علم الأساطير) يحدث كسوف الشمس وخسوف القمـر بـابتلاع التنـانين للقمـر والشمس(٤) ، وتحدث التنانين التي تتقابل أفواهها كما هو فيحجر قبر " أفيون " زخرفة شبه معين (سمبوكسه) التي هي رمز القمر النمطي(٥) ، وهكذا فقد صوروا بينما يبتعلون القمر، ويمكن أن يكون تمثيل أفواهها للقمـر رمـز الليـل إن تمثيلات الحيوانات مثل الأسد والنسر المتعلقة بوريدة الشمس الكبيرة والنور والشمس في موقف الغالب على الحيوانـات ذات القرون والأرنب المتعلقة بالقمر في نموذج حجر قبر " أفيون " تقوي هذه الفكرة والواقع أنه تم تصوير الخير بالتنانين في المباني مثل المستشفيات خاصة ويمكن القول أن التنين الذي صار رمز الشارة الطبية اليوم في تركيا صار رمزاً لإله الصحة منذ اليونانيين ومن الممكن القول أن يكون استخدام التنانين كطلسم مانع لدخول الشر والعـدو والمـرض في القـلاع والخانات والقصور .

---

1 -Zyjan, J.,Zur Geiswelt der Asiatischen k.ll Die verschlungenen Darchen. Artibus Asiea Vll,1-4.s.178.

2 - Hartner ,W.,The paseodoplaneary nodes…s.131 .

3 -lbid .

4 -lbid .

5 -Otta-Dorn, K. Tuische Grabstine Mit Figurenreliefs aus Kleinasien..Ars Orientalis lll,1959,s.75.

٣- رمز تحت الأرض والظلام: يمكن أن تصير نقوش التنين على عكس الأول تماماً رمز الظلام وتحت الأرض وجهنم ، يعني باختصار ما يسمى المبدأ العكسي السلبي والعدو والشر لو تم الاختصار وقد اتفق في العالم الإسلامي على وجود ثعبان باسم " فلك " تحت البحار وتحت النار(١) ، ولو أن " فلك " لا يخاف من الله يقدر على إلتهام كل شئ فوق ، وقد وضع الله جهنم على بطنه ، وهكذا يصبح " فلك " حارس تحت الأرض وجهنم في نفس الوقت .

وزوج التنين الذي يقع تحت شجرة الحياة كما حدث في بوابة المدرسة ذات المنارة المزدوجة في " أرضروم " هي رموز جنهم تحت الأرض في هذا الوضع ورموز حامية وحارسة لشجرة الحياة في نفس الوقت وتوجد شرائط زخرفية ترمز إلى ثعابين في ملابس شامان (طبيب ساحر) عند قوم " الطونجوز " في أسيا الوسطى في الشكل المماثل وهؤلاء هم ثعابين ترافق طبيب ساحر في رحلة تحت الأرض (٢).

وهكذا يرمز في نماذج (الأسد – التنين) و (النسر – التنين) و (الثور – التنين) و(الإنسان – التنين) إلى صراع القوى المتضادة الفلكية والأسطورية ورموز الخير والشر والنور والظلام والنهار والليل ، والشمس والقمر والوطني والعدو في حالة صراع وتظهر في موقف مسيطر دائماً على ثاني أول مجموعة ومجموعة الثور والتنين في قلعة " أبي " هي مثال نموذجي لهذا والثور رمز النصر الذي يمسك حلقة في فمه هو غالب التنانين التي هي رمز الظلام والعدو وتحت الأرض .

٤- رمز الجوزهر Cauzehar يعني الكوكب السيار: منذ بداية علم الفلك الهلينستي كان التنين يقبل على أنه (يأخذ اسم Cauzhar الكوكب السيار الثامن بعد الكواكب السيارة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد والقمر والشمس)(٣) ، وأحياناً كان يُعد ذيل التنين منفصلاً وزاد عدد الكواكب السيارة إلى تسعة أما ذيل التنين الذي يرفع رأسه في علم الفلك الحديث هو رمز عقدة القمر التي انخفضت وتمثل التنانين في النقوش المقدمة مع رموز الكواكب السيارة أو الأبراج المختلفة Cauzehar (كما صار في جسر " جيزره " وفي الوجه الخارجي لبوابة " صورسوزخان " وفي " أوباكوي " في " ألانيا " ، أو في المرآة السلجوقية) فقد صور كوكب Gauzehar لوقت طويل لأنه وجد تحت تأثير برج القوس وبرج القوس الذي يبدو في شكل قنطور يشد القوس ويقذف السهم حيث يستعد لقذف السهم على فم التنين المفتوح والتنين أي Gauzehar في نماذج كثيرة في الفن الإسلامي يكون في شكل ذيل قنطور ونرى هذا النظام الثنائي في نقش " جيزره " وفي المرآة السلجوقية من نماذجنا والتنين في " جيزره " يبدو بصورة منفصلة عن القنطور .

٥- سنة التنين في التقويم التركي الصيني ذو الاثنى عشر حيواناً: إن التنين والثعبان في التقويم التركي الصيني الذي استخدم في الصين ، والذي استخدمه المغول وأقوام كثيرة من الترك هو من حيوانات التقويم ويمثل التنين والثعبان سنة واحدة على الترتيب ويمطر مطر كثير في سنة التنين وتصير البركة الوفرة ، وتنشب الحروب ويهرق دم كثير(٤) ، وسنة الثعبان هي سنة سيئة يصير الشر والفتنة والمجاعة والبرد والمطر(٥) ، إن استخدامات هذا التقويم القديم للسلاجقة بحيواناته المختلفة في النقوش هو أمر لافت للنظر وإن تولد تأثيرات أسيا الوسطى التي تظهر في ساحة الطراز والتكنيك في فن الرسم أمامنا مرة ثانية يظهر مرة ثانية مدى وطأة التقاليد القديمة .

٦- رمز الماء: إن التنين في الصين يرمز إلى قوة الماء والسائل(٦) ، ويحتمل أن ميازيب المياه التي في شكل رأس تنين التي تظهر بعدة نماذج في الأناضول جعلت استمرار اعتقاد الشرق الأقصى هذا .

النتائج :

---

1 -Diez, E., Glaube und Welt des Islam, stuttgart 1941,s.61,62 .

2 -Eliade, M.,Schamanismus und Archaische Ekstasetchnik, Zurich 1957,s.151.

3 -H.Djawezar, Enzyklioadie Islam.A.-D.S.1075.

4 -Turan,O.On iki Hayvanli Turk Takvimi.istanbul 1941.s.93.

5 -lbid.

6 - Strzygowshi, J., Asiens Billdende kunsy. Augsburg 1930,s.295.

إن التنانين السلجوقية التي تظهر على نماذج كثيرة مختلفة من الأعمال المعمارية والفنية في الأناضول دائماً نفس الطراز ، ومما يلفت النظر وطأة تأثير طراز أسيا الوسطى كما صار في فن النقش السلجوقي عامة ، ويمكن أن تختصر هذه التأثيرات بأنها نفذت بأسلوب منحني أو مائل القطع ، وفي حلزونات أطراف الجناح والذيل ، وتزيين حلزوني طرفه يطوق الفخد ، ووجود رأسين مختلفين في نفس الرسم ، والرؤوس التي في أطراف الذيل والجناح ، وتتوازي مشاهد قتال الحيوان في رسم حيوان أوروأسيا في مشاهد قتال التنين أيضاً .

إن استخدام التنانين في التقويم التركي الصيني الذي جاء عن طريق أسيا الوسطى يطرح مرة ثانية ارتباط الســـلاجقة بتقاليد الشرق .

إن عالم رمزية التنين تحملنا إلى حد ما إلى اعتقادات أسيا الوسطى ، والاعتقادات الفلكية الأسطورية ، والاعتقـــادات المتعلقة بتحت الأرض والكائنات وأخيراً تقاليد شامان (الطبيب الساحر) تحدث عالم رمزي ثري ولكنه معقد .



لوحة [١]
التنين من قلعة " قونيه "



لوحة [٢]
التنين من قلعة " قونيه "



لوحة [٣]
التنين من قلعة " قونيه "

لوحة [٤]
تنينانمن قصر علاء الدين في " قونية "



لوحة [٥]
تنينانقصر " قوبادا باد "



لوحة [٦]
تنين " خان السلطان " في " قيصري "



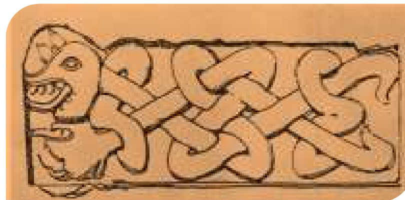
لوحة [٧]
تنين "خان السلطان " في " قيصري " وذيله



لوحة [٩]
بقية تنين في مستشفى كيكاوس في "سيواس" (H.karamagarali)



لوح [٨]
تنينان مستشفى " تشانقيري" (من Y.Onge)



لوحة [١٠]
نقوش تنين " خان قراطاي " في " قيصري "



لوحة [١١]
زوج تنين في شاهد قبر " أخلاط "



لوحة [١٢]

تصوير التنين تحت الكتابة من عصر علاء الدين " قيقباد " في جامع " آق " في " أنامور "



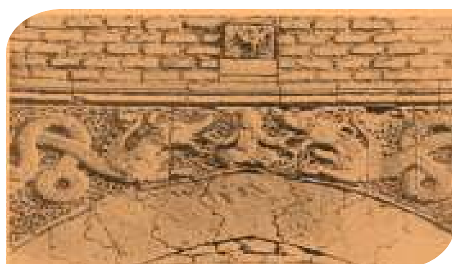
لوحة [١٣]

الملكان وزوج التنين في " صوسوزخان " في " بوردور "



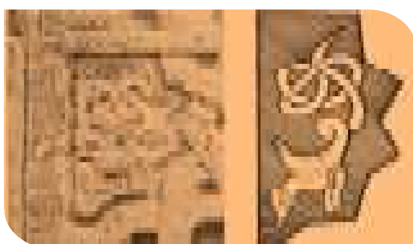
لوحة [١٤]

باب الطلسم " بغداد " (من E.Herzfeld)

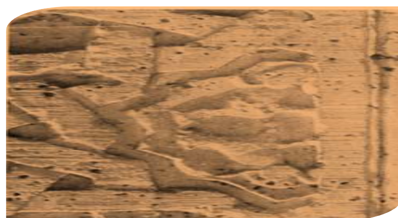


لوحة [١٥]

التنين في بوابة " صوسوزخان " في " بوردور "



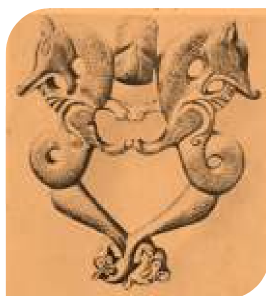
لوحة [١٦]
زوج أسد في بوابة " صوسوزخان " في " بوردور "



لوحة [١٧]
مقبض باب من البرونز ذو تنين في جامع الكبير " أولو " في " جيرزه "

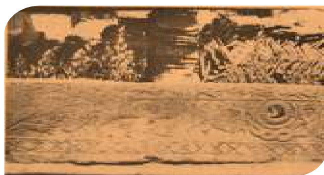


لوحة [١٨]



مقبض باب من البرونز في متحف دهلم " برلين "

لوحة [١٩]
صراع التنانين والحيوان في شواهد قبر " بويالي كوي " في " أفيون "



لوحة [٢٠]
القنطور والتنين في جسر " جيرزه "



لوحة [٢١]
مرآة من البرونز في متحف طوب قابي سراي باسطنبول



لوحة [٢٢]
تنينان مدرسة " أوبا كوي " في " ألانيا "



لوحة [٢٣]
تنانان في باطن قبة مدفن " أمير صالتوق "



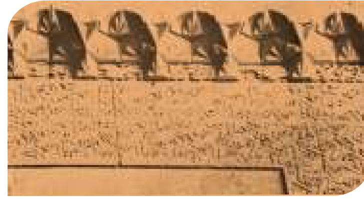
لوحة [٢٤]



تناانان كنسية " سنت . جيريجور " في " آني "

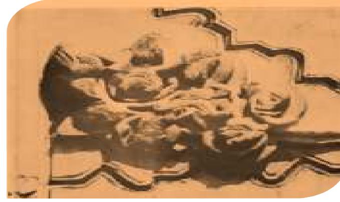
لوحة [٢٥]

حيوانات التقويم التركي الصيني والتنين في " خان قراطاي " في " قيصري "



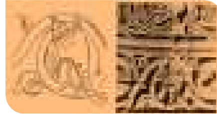
لوحة [٢٦]

حيوانات التقويم التركي الصيني والتنين في مدرسة " جوك " في " سيواس "



لوحة [٢٧]

التنين فيما بين حيوانات التقويم التركي الصيني في جامع " سونجور بك " في " نيغده "



لوحة [٢٨]

التنينان ورأس الثور ذو الحلقة في فمه في قلعة " آني "



لوحة [٢٩]

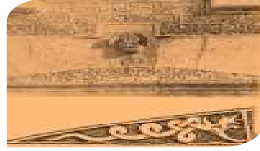


التنانين ورأس الثور بدون حلقة في قلعة آني

لوحة [٣٠]

أ – نقوش النسر ورأس الثور والتنين في باب " أورفه " في قلعة " ديار بكر

ب- تنين باب " أورفه " في قلعة " دياربكر "



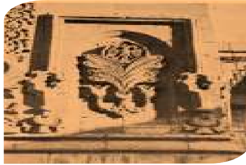
لوحة [٣١]

التنينان والثور في خان كسيككوبرو



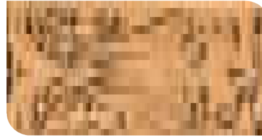
لوحة [٣٢]

التنينان تحت شجرة الحياة في المدرسة ذات المنارة المزدوجة في " أرضروم "



لوحة [٣٣]

رؤوس التنين في أطراف جناح النسر ذي الرأس المزدوج في بوابة جامع الكبير " أولو " في " ديفريجي "



لوحة [٣٤]

الأسد بذيل التنين من " جيزره " في متحف " ديار بكر "



لوحة [٣٥]أسود لها ذيل التنين في مقبرة " باتنوس "



لوحة [٣٦]الغزال والطائر وأبو الهول ذي ذيل التنين في المتحف ذي المنارة الرفيعة بـــ " قونية "



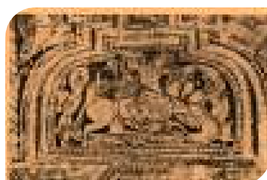
لوحة [٣٧]أبو الهول ذي ذيل التنين في طبق من لرقة (مجموعة Kopenhag David)



لوحة [٣٨]قتال الفارس والتنين والأسد من قصر علاء الدين في " قونيه "



لوحة [٣٩]قتال الفارس والتنين في كابيلا بالاتينا Capella Palatina



لوحة [٤٠]ميزاب مياه على هيئة رأس تنين في جامع الكبير " أولو " في " ديفريجى "



لوحة [٤١]ميزاب على هيئة رأس التنين من " قيصري "



لوحة [٤٢]ميزاب جامع " عرب زاده " في " قرمان "



دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للأقلية المسلمة في الصـــــين

دكتور.محمود أحمد محمد قمر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله بداية ونهاية، فلا فضل إلا فضله، ولا عطاء إلا عطائه، فله أصدق الحمد، وعلى رسوله ﷺ أفضل الصـــلاة والسلام.

من المعروف أن لكل أمة في دروب المجد خطوات موثقة، ولكل جيل في مسيرة الطموح إنجازات موفقـــة، تبقـــى في ذاكرة التاريخ صفحات مشرقة وسطور متألقة، فكيف بنا كأمة لها في أمجاد التاريخ جذورها، وأوغلت وامتدت مع الزمن أصولها، وترسخت حتى هيأ الله لها رسالة الإسلام، وغرس في نفوس العرب كلمة التوحيد فجددت الهمة وأشعلت العزائم، فخرج المسلمون الأوائل من الصحراء يحملون مبادئ سامية وقيم راقية ومُثل عالية، عمروا بها الأرض فكان لهم في كـــل شبر أثر، وفي كل كتاب خبر.

وأتناول في تلك الدراسة التي سميتها (دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين) للاشتراك بها في المؤتمر الدولي الرابع للعلاقات العربية الصينية المنعقد في الفترة ١٣ ـــ ١٤ مارس سنة ٢٠١٢م بمقر جامعة قناة السويس، وفيهـــا أحاول أن أبرز أهم المعالم الثقافية للأقلية المسلمة في الصين، في محاولة للتعرف على الوضع الثقافي لتلك الأقليـــة المســـلمة وجذورهم الضاربة في أعماق التاريخ رغم بعدهم عن ديار الإسلام.

وقد قسمت تلك الدراسة إلى مقدمة وخاتمة مع عدد من المباحث العلمية، لاسيما أن ذلك المؤتمر يعالج العديـــد مـــن الدراسات والقضايا التي تهم الأمة العربية والإسلامية، وفي محاولة من الباحث لتوضيح الرؤية وتحديد الملامـــح الإســـلامية لتلك الأقلية المسلمة التي تعيش على أرض الصين، حيث أن وضوح الرؤية وتحديد الملامح تعد من الشروط الأساسية لأي مساهمة فعالة في مسيرة الحضارة الإنسانية.

المبحث الأول : تناولت فيه التعريف بالصين: باعتبار أن تلك الدولة أحد الدول ذات المكانة الإستراتيجية في عالمنـــا المعاصر، وذلك في محاولة منا لتوضيح بعض المفاهيم الجغرافية والتاريخية التي تبدو بعيدة عن بعض الذين لا يـــدرون عـــن منطقة الشرق الأقصى (أو جنوب شرق آسيا) شيئا، حيث تحدثت الدراسة عن الموقع الجغرافي للصين، والسكان، واللغة، وكذلك الديانات التي سادت في الصين قبل الإسلام.

وفي المبحث الثاني تناولت الدراسة الإسلام إلى الصين وأثره على الحياة الثقافية: واستقرار المسلمين هناك وتأســـيس بعض المساجد كبداية للاستقرار الإسلامي في تلك البلاد.

وفي المبحث الثالث : تناولت الدراسة المؤسسات والهيئات الإسلامية وأثرها على الحركة الثقافية للأقلية المســـلمة في الصين: حيث لعب المسلمون سواء الذين هاجروا إلى الصين واستقروا بها أو الذين اعتنقوا الإسلام من أهل الـــبلاد دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، وذلك من خلال إنشاء المدارس والمعاهد العلمية الإسلامية، وكذلك دور المعلمين التي انتشرت في أنحاء المقاطعات الصينية، كما كان للجمعيات الإسلامية واتحاد المسلمين في الصين أثر فعـــال في إثراء الحركة الثقافية وتقوية الدور الثقافي للأقلية المسلمة في تلك البلاد، حيث حملت تلك الجمعيات والهيئات الإســـلامية مسئولية إنشاء العديد من المدارس والمعاهد العلمية، وإصدار العديد من المجلات والنشرات والكتب الإسلامية، واشتهرت بعض المدن الصينية بالعديد من العلماء المسلمين الذين ساهموا بقدر كبير في الحركة الثقافية للأقلية المسلمة.

وفي المبحث الرابع تناولت الدراسة دور المساجد في الحركة الثقافية: حيث انتشرت المساجد في أنحـــاء المقاطعـــات الصينية لاسيما في إقليم سينكيانج المسلم، وكانت تلك الساجد علاوة على أداء الشعائر الدينية تقوم بتعلـــيم المســـلمين الصينيين الفكر الإسلامي والثقافة الدينية، هذا بالإضافة إلى التعليم الديني بالمدارس الأولية التي ألحقت بتلـــك المســـاجد، وكذلك العمل على إعداد مجموعة من العلماء المسلمين البارزين الذين تفانوا في دراسة علوم الشريعة الإسلامية، وتأليف

الكتب الإسلامية باللغة العربية والصينية، وقد نالت بعض المساجد المنتشرة في أنحاء المقاطعات الصينية شهرة كبيرة لوجود القاعات الدراسية والمكتبات الملحقة بها.

وفي المبحث الخامس : تناولت الدراسة الثورة الثقافية أثرها على الحركة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين: فقد قامت الثورة الثقافية في الصين في الفترة (١٣٨٦ــ١٣٩٦هـ/١٩٦٦ــ١٩٧٦م)، وقد عطلت تلك الثورة مسيرة الحركة العلمية للأقلية المسلمة في الصين، وذلك من خلال بعض القيود العلمية والإعلامية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على المسلمين في الصين، وقد تضمنت تلك الدراسة تلك الأوضاع العلمية.

أما المبحث السادس فقد تناولت الدراسة الأوضاع الثقافية للأقلية المسلمة في الصين بعد الثورة الثقافية: فقد تغير الوضع العام والوضع الثقافي للمسلمين في الصين بعدما تم القضاء على الثورة الثقافية في الصين سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، حينما قامت الحكومة الصينية باتخاذ بعض الإجراءات التي من شأنها تحسين الوضع العام للمسلمين في الصين، وكان من أهمها تحسين الوضع الثقافي والإعلامي للمسلمين هناك، فضلاً عن تنظيم رحلات الحج للأراضي المقدسة، وتقديم الخدمات العلمية للأقلية المسلمة في الصين.

وعلى الرغم من الثورة العلمية الهائلة التي يشهدها العالم اليوم، ووجود العديد من الهيئات والمؤسسات العلمية المتخصصة في كثير من الدراسات التاريخية والحضارية، إلا أن هناك العديد من الأقليات المسلمة في العالم التي لا تزال إلى الآن لا يعلم البعض عنها شيئاً، وهم في حاجة ماسة للكشف عن تاريخهم ودورهم الحضاري وأمالهم وآلامهم ومشكلاتهم في أنحاء العالم، حيث يساهم هؤلاء في الرقي الإنساني والعالمي.

وسوف تظل مهمة الباحثين والمتخصصين في الدراسات التاريخية والحضارية صعبة للغاية، تلك المهمة التي تتمثل في ضرورة الكشف عن ألوان تاريخنا وحضارتنا الإسلامية وتقديمها لعالمنا المعاصر، والسعي العلمي المتبصر نحو المعطيات العلمية والحضارية الإيجابية لتلك الحضارة الإسلامية لتقديمها للأجيال الجديدة، ليعلموا أن الإسلام من أسمى أهدافه تنمية العقول وبناء الإنسان على أسس من الخير والحق والفضيلة والإيمان، وعلى أية حال تبقى تلك الدراسة بمثابة عمل أو مشروع مفتوح قابل للإضافة والإغناء من قبل الباحثين والمتخصصين على مر الأيام.

المبحث الأول

التعريف بالصين

أولاً ــ التعريف بالصين : قبل أن نبدأ تلك الدراسة كان لزاما علينا أن نعرف الباحثين والمتخصصين بتاريخ الصين حتى نتيح للقارئ والباحث فرصة للتعرف على تلك الدولة التي تضم بين سكانها أقلية مسلمة ولكن تلك الأقلية تعد بالملايين.

١ ــ الموقع والحدود : تعد الصين من البلاد القاصية(١) (حيث يعدها الكثير من المتخصصين أنها من بلاد الشرق الأقصى)، وهي تقع فى أقصى شرق قارة آسيا، يحدها من الشرق والجنوب الشرقي المحيط الهادي(٢)، ومن الجنوب وبعض الجنوب الشرقى شبه جزيرة الهند الصينية (فيتنام ولاوس ومابنمار وبوتان ونيبال)، ومن الغرب الهند وكشمير وأفغانستان وطاجيكستان وقرقيزيا ومن الشمال كازاخستان ومنغوليا وروسيا(٣).

---

(١) ابن بطوطة : عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي : رحلة ابن بطوطة ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٤٢.

(٢)أو الباسفيكي من الأصل اللاتيني بمعنى هادئ وقد أطلق هذه الكلمة ماجلان أثناء رحلته إلى منطقة الشرق الأقصى.

(٣) الزوكة : محمد خميس: آسيا دراسة فى الجغرافية الإقليمية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٢١٣ ، ٢١٤، على موسى ، محمد الحمادي : جغرافية القارات ، دار الفكر ، دمشق سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٣٣٥ ، فاخوري: مصطفى : الأقطار والبلدان ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص٢٦٧، المسند : عبد العزيز بن عبد الرحمن : الصين (يأجوج ومأجوج عالم مجهول) ، الطبعة الأولى ، بريدة ، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م ، ص١٤٧.
Trident Press International : The world Atlas, United Kingdom, without date. P. 490.

والصين كما يقول القزويني :" بلاد في المشرق واسعة ممتدة"(١)، وتعد الصين من أهم الدول الكبيرة المساحة، إذ تبلغ مساحتها قرابة (٩.٥٦١.٠٠٠) كيلو متراً مربعاً أي تزيد على خمس قارة آسيا(٢)، وهي ثالث دولة من حيث المســاحة بعد روسيا وكندا(٣)، والمســافة بين شرقيها وغربيها حوالي ٥٠٠٠ كيلومترا، وتمتد حدود الصين البرية قرابة ٢٣ ألف كيلومتر، هذا بالإضافة إلى المساحة البرية الشاسعة التي تطل بها الصين على السواحل البحرية الطويلة التي تبلغ قرابــة ٣٢ ألف كيلومترا، وتتناثر فى مناطقها البحرية الواسعة قرابة ٥٤٠٠ جزيرة تبلغ مساحتها الإجمالية أكثر من ٨٠ ألف كيلومتراً مربعاً، أكبرها جزيرة تايوان وعاصمتها تايبيه (دولة تايوان حالياً)، ثم تليها جزيرة هانيان(٤).

٢ ـــ **العاصمة** :عاصمة الصين اليوم هي بكين وتقع على النهر الأصفر، وكانت تُعرف باسم خان بالق، أي مدينة الخان، وكان يقال لها (دادو)، وقد اتخذها المغول لهم عاصمة لهم أثناء فترة حكمهم للصين(٥).

٣ ـــ **السكان** :تشكل الصين من حيث التعداد السكاني حوالي خمس سكان العالم، وتضم الصين حــوالي ٢٠ مقاطعــة تختلف من حيث المساحة والكثافة السكانية، ينتمون إلى ٥٦ قومية، وتعد قومية الهان الصينية هي القوميــة الرئيســية في االبلاد(٦)، ومن أكثر القوميات المسلمة بها قومية الهوي والأيغور، ويبلغ عدد سكان الصين قرابة مليار وثلاثمائة مليــون نسمة(٧)،منهم قرابة ١٣٠ مليون مسلم، حيث يمثل المسلمون قرابة ١٠% من عدد السكان(٨)، وهم يمثلون قرابة ٢١٪ ٢١٪ من تعداد السكان في العالم طبقاً لإحصاء سنة ١٩٩٢م(٩)، وتظهر في السكان المسلمين السحنات والملامح العربية العربية والتركية(١٠).

٣ ـــ **اللغة في الصين** :تعد اللغة الصينية ذات اللهجات المتعددة والمتباينة هي اللغة الرسمية في البلاد(١١)، وفي التبت يتكلم التبتيون اللغة التبتية، وفي سينكيانج يتكلمون اللغة الآسيوية القديمة، وفى بعض المناطق توجد أحيانــا اللغــات التركيــة والفارسية والعربية حسب المناطق التي يعيشون فيها وتكثر فيها تلك العناصر، ومعظم الكتب الدينية تكتب باللغة العربيــة والفارسية(١٢)، وهناك بعض اللغات الخاصة لبعض الأقليات الموجودة في الصين، وكذلك توجد بعض اللغات واللهجات

---

(١)القزويني : زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعة، بيروت سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص٥٣.

(٢) على موسى ، الحمادي : جغرافية القارات، ، ص٣٣٥ ، المصري : جميل عبد الله محمد : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، الطبعة الحادية عشرة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م ، ص٥٥٧.

(٣) المسند : الصين ، ص١٤٧.

(٤) على موسى ، الحمادي : جغرافية القارات ، ص٣٣٤ ، وزارة السياحة الصينية : كتاب تعريف بجمهورية الصين ، الطبعة الثانية ، بكين ، الصــين ، ســنة ١٩٩٧م ، ص ١ ــ ٣ ، Buxton: L. H. D: China, London, 1929, E. H : South Asia, London. 1958.

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص٥٩.

(٦) The world Atlas, p. 490.

(٧) هناك بعض الآراء التي تذكر أن عدد السكان يقترب من المليار وأربعمائة مليون نسمة ، المسند : الصين ، ص٤٠

(٨) وإن كان البعض يري أنه من المنتظر أن يصل عدد السكان في الصين في سنة ٢٠٢٥م إلى المليار وأربعمائة وواحد وثلاثون مليون نسمة ، للمزيد أنظر : رأفت الشيخ : المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا ، الطبعة الثانية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القــاهرة سنة ١٩٩٨م ، ص ١٦٠ ، محمود قمر : الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا ، الطبعة الأولى ، عين للدراســات والبحــوث الإنســانية والاجتماعية ، القاهرة سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ١٢ ، الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ، الكتاب السنوي ١٩٩٣ـــــ٢٠٠٠م ، القاهرة يونيو٢٠٠١ ، ص٣١٤ ، world population Data Sheet,Washington, 2000 .

(٩) على موسى ، الحمادي : جغرافية القارات ، ص٣٤٠. ، فاخوري : الأقطار والبلدان ، ص٢٦٧

(١٠) محمود شاكر : تركستان الصينية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، ص٥٧.

(١١) The world Atlas, P.493.

(١٢) رأفت الشيخ : المسلمون في العالم ، ص ١٦٠، المسند : الصين ، ص١٤٩ ، فاخوري : الأقطار والبلدان ، ص٢٦٧.

لبعض الأقاليم الصينية(١)، ففي الصين يتكلم المسلمون اللغة الصينية وكذلك كتابتهم، وإن كانت لهجتهم فيهـا بعـض الاختلاف، حيث يُعرف المسلم الصيني من الوثني الصيني، ويعيب على بعض المسلمين الصينيين عدم تعلم اللغة الصـينية لأنهم يعتبرونها لغة الكفرة، ويعتبر المسلمون أن اللغة العربية هي لغة الكتاب والسنة، وعلى كـل مسـلم أن يدرسـها ويقدسها، وهذا ما حدا ببعضهم أن يبتعد عن دراسة اللغة الصينية الرسمية فأضحوا جاهلين بها مما أبعدهم عن الوظـائف المهمة(٢).

٤ ـــ الديانات في الصين:: بتعدد القوميات والسكان في الصين تتعدد الديانات والعقائد، فعن الديانات فى الصين نجد أن الصين في العالم القديم والحديث أمة لا نظير لها فى ضخامتها وكثرة شعوبها وترامى أطرافها(٣)، وقد اعتقد الصينيون قديماً قديماً بوجود إله واحد لا تدركه الأبصار(٤)، وأضافوا إلى هذا الإله اكثيراً من مظاهر الطبيعة مثل الشمس والقمر والنجوم والنجوم والكواكب، كما جعلوا من مظاهر الطبيعة كالريح والمطر والرعد والبرق آلهة(٥).

وبعد تقـدم الصين فى مضمار الحضارة انتقلت إليها بعض العقائد من جيرانها، مثل العقيدة الكنفوشيوسية، ويعتنـق تلك العقيدة قرابة ٢٠.١ %من عدد السكان(٦)، ويعتنق البوذية قرابة ٦% من عدد السكان(٧)، والتاوية أو الطاويـة ويعتنقها قرابة ١٢ % من عدد السكان(٨)، وتوجد كذلك الوثنيـة، والمحور الأساسي الذى تدور حوله تلك العقائد هو

---

(١) مثل لغة المنادرين (أو مندرين)Mandarin ويسميها الصينية البكينية ويتحـدث بها أكثر من نصف السكان، ولغـة الصين الجنوبيـة الغربية، ولغة اليانجستي الأدنى ، واللغة الصينية الكنتونية بمقاطعة كانتون ، ولغة وو Wu، ولغة هونان، ولغة كيانجتسى وغيرها، وهناك لغـات غير صينية مثل اللغة المنغولية فى منغوليا ، واللغة التبتية في مقاطعة التبت ، واللغة التركية فى شمال غرب الصين، اللغة الكورية ، دولت صـادق وآخرون: جغرافية العالم (دراسة إقليمية) ، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٩٨٩م ، ص٢٠٥ ، ٢٥١، فـاخوري : الأقطـار والبلدان ، ص٢٦٧ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٥٧.

(٢) محمود شاكر : تركستان الصينية ، ص٥٧.

(٣)العقاد: محمود عباس: حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ، دار السلام ، القاهرة سنة ١٩٥٧م ، ص ٢٠.

(٤) المنوفى : محمود أبو الفيض الحسيني : الدين المقارن ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة سنة ١٩٩٠م ، ص ٨١.

(٥)الهاشمي : محمد فؤاد: الأديان فى كفة الميزان ، دار الحرية ، القاهرة سنة ١٩٨٦م ص ٣٠.

(٦) The worled Atlas, p . 493 ، والكنفوشيوسية Confucianism وهى عقيدة لبعض أهل الصين ، وترجع أصولها إلى الفيلسوف الحكيم كونفوشيوس الذى ظهر فـي القرن السادس قبل الميلاد، داعياً إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد الدينية الـتي ورثهـا الصـينيون عـن أجدادهم مضيفاً إليها من فلسفته وآرائه فى العادات والسلوك والمعاملات القديمة، وهذه العبادة تقوم على عبادة إله السماء أو الإله الأعظـم وتقـديس الملائكة وعبادة أرواح الآباء والأجداد ، الندوة العالمية للشباب الإسلامى: الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الندوة العالمية للطباعـة والنشـر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٨هـــ ، ص ٧٥٨.

(٧) البوذية عقيدة ظهرت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، أسسها رجل يدعى (سدهارتا جوتاما) الملقب ببوذا (٥٦٠ـــــ٤٨٠ قبـل المـيلاد)، وكلمة بوذا تعني العالم، ويلقب أيضا (بسكيا موني) التي تعني المعتكف، وقد نشأ بوذا في بلدة على حدود دولة نيبال الحالية، وكان أميراً مترفاً في النعيم، وتزوج في التاسعة عشرة من عمره، ولما بلغ السادسة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى حياة الزهد والتقشف والتأمل في الكون ورياضـة الـنفس، وقد اتبعه أناس كثيرون، وكانت آرائه تقوم أولا على التسامح ونبذ الترف والمناداة بالمحبة وفعل الخير، ولكن بعد موت بـوذا تحـولت البوذيـة إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، ولقد غالى إتباعها في مؤسسها حتى ألهوه، وتنتشر البوذية في أنحاء متفرقة من قارة آسيا حيث توجد في الهند وكمبوديـا وفيتنام وكشمير والصين وكوريا واليابان، وجنوب شرقي آسيا ، وإلى منطقة التبت، ومنغوليا، ثم انتقلت إلى أواسط آسيا، كما صـار لهـا أتباعـاً في الولايات المتحدة الأمريكية، للمزيد عن البوذية أنظر : حبيب سعد: أديان العالم الكبرى ، الطبعة الثانية ، دار الشرق والغرب ، القاهرة ، بدون تـاريخ ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ج٢ ، ص٧٦٨ـــ ٧٧٣، حسن عبد العزيز أحمـد : مدخل إلى الجغرافيا الحضارية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٤م ، ص١٦ـــ١٨،

Relign in south korea, from wikipedia, The free encyclopedi

Giles; H. A : Confucianism and its Rivals, London , 1915 -

(٨) The world Atlas, p. 493. والتاوية أو الطاوية : هي إحدى الديانات الصينية القديمة التي ما تزال موجودة إلى اليوم، وهي تعود إلى إلى القرن السادس قبل الميلاد، وتقوم فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية، والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية،، ويعتقد أن لوتس الـذي يعـود ميلاده إلى سنة ٥٠٧ قبل الميلاد هو صاحب مذهب الطاوية والتي ترجع معظم معتقاتها إلى زمن سحيق، وقد وضع كتابه (طـاو ـــ تي تشـينغ ـــ أي

هو حسن الخلق والزهد فى الحياة والإخلاص فى العمل، كما تطرقت إليها اليهودية والمسيحية (إذ تبلغ نسبة المسيحيين في الصين أقل من ١% من عدد السكان)(١).

وليس للدين سلطان كبير على نفوس الصينيين وبخاصة بعد انتشار مبادئ النظام الشيوعي، والصيني لا يجد تناقضاً بين اعتناقه لعقائد مختلفة لأنه ينظر إلى الدين كمبادئ أخلاقية وليس كعبادة أو عقيدة، وهذه الظاهرة تسود بين الشـــباب في العصر الحالي، حيث أن معظم الشبان الصينيين لا دين لهم(٢).

جمهورية الصـــــين



المبحث الثاني
الإسلام في الصين وأثره على الحياة الثقافية

أولاً ـــ الإسلام في الصين في عهد النبوة والخلافة الراشدة:كانت بلاد العرب قبل الإسلام تُعرف في السجلات الصينية القديمة هي البلاد الواقعة إلى الغرب من إيران، وكانت عند الصينيين تُعرف باسم (تاشيش)، التي أطلقت على (عرب قبيلة طي)، حيث كان الفرس يعتبرون قبيلة طي هي التي تمثل العالم العربي، فصارت كلمة (تازي وتاجيك) تطلق على كل عربي أو مسلم، ثم عُرفت الكلمة عند الصينيين باسم (تاشيش)(٣). كما تميز السجلات الصينية العرب في عصر الأمويين (١٤ـــ١٣٢هـــ/٦٦١ـــ٧٤٩م)، عن العرب في عصر العباسيين (١٣٢ـــ٦٥٦هـــ/٧٤٩ـــ١٢٥٨م)، فتطلق السجلات الصينية على الأمويين اسم (بين تاش) (٤) أي العرب ذوي الملابس البيضاء، وعلى العباسيين اسم (خي تاش)(٥) أي العرب ذوي الملابس السوداء إشارة إلى اللون الأسود الذي اتخذه العباسيون شعاراً لهم(٦). أما كلمة (هوي) فتطلق على المسلمين من أصول عربية أو فارسية، ويقال إن أول مجموعة من المسلمين وصلت من الصين واستقرت إلى جوار قبيلة تُعرف باسم (هوي شوي)، وكانوا يُعرفون باسم تلك القبيلة حتى انتقل الاسم إليهم، وارتبط بهم، وأصبح المسلمون في جنوب وسط الصين يعرفون ويميزون بأنهم (هويين أو من الهوي)(٧). كما أن لقب أمير المؤمنين يُعرف في السجلات

كتاب طريق القوة)،، للمزيد أنظر: عطار: أحمد عبدالغفور : الديانات والعقائـــد فى مختلـــف العصـــور ، الطبعـــة الأولى ، مكـــة المكرمـــة ســـنة ١٤٠١هـــ/١٩٨١م ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص٧٤٥ــــ٧٧٥، Encyclopedia Britannica, - VOL- 17 , PP. 1034-1054.

(١) فاخوري : الأقطار والبلدان ، ص٢٦٧. ، قيل إن نسبة المسيحية في الصين تبلغ حوالي ٠.٢ % من عدد السكان ، The world Atlas, p. 493

(٢) دولت صادق وآخرون : جغرافية العالم (دراسة إقليمية) ، ج١ ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢.

(٣) عبد الرحمن ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، معهد اللغات الأجنبية ، بكين ســـنة ١٩٧٨م ، ص١٣٠ ، في حـــين يذكر البعض أن السجلات الصينية أطلقت على العرب لقب (داشي) ومعناها بالصينية (التاجر) وأصبحت كلمة داشي لصيقة بالمسلمين فيمـــا بعد ، فهمي هويدي: الإسلام في الصين، عالم المعرفة، الكويت سنة ١٤٠١هـــ /١٩٨١م ،ص٣٦.

(٤)المسند : الصين ص١٠٣ ، (أو باي لي داشي) هويدي ا؟الإسلام في الصين ، ص٣٦ .

(٥)المسند : الصين ص١٠٣ ، (أو خي لي داشي)، هويدي : الإسلام في الصين ص٣٦.

(٦) عبد الرحمن : ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، ص١٣٠ ، المسند : الصين ص١٠٣.

(٧) تعد قومية الهوي من أكبر القوميات الإسلامية في الصين ، ويعيشون في أنحاء الصين ويكثرن في مقاطعة نينغيشيا إذ يشكلون قرابة ٦٨% من عدد سكانها، تشو يوان: القوميات المسلمة في الصين ، بكين سنة ١٩٨٨م ، ص٧ ، المسند : الصين ص١٠٣.

الصينية باسم (هنجي مومويي)، وأن الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ــ١٩٣هــ/٧٨١ــ٨٠٨م) يُعرف باسم (ألون)، لأن الراء تنطق عندهم لاماً في الصينية، وكلمة إبراهيم كانت تُعرف عندهم باسم (بوهيم)(١).

ومن حيث دخول الإسلام إلى الصين نجد أن الدين الإسلامي يوجد في كل ولاية صينية، حيث يكثر المسلمون بخاصة في المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية، وفي المناطق الساحلية حيث المراكز والمحطات التجارية التي يكثر بها المسلمون، وتبدأ نسبتهم بالتناقص كلما اتجهنا إلى الداخل، وتبلغ نسبة المسلمين هناك قرابة ١٠% من مجموع السكان في الصين، وبالصين حوالي ست وخمسون قومية منها عشر قوميات مسلمة هي قومية الهوي، والأيغور(٢)، والقازاق، والغزغز، والتتار، والأوزبيك، والطاجيك، والسالا، ورونغ شوانغ، وباوان، وتلك القوميات موزعة في أنحاء الصين تقريبا، ويكثرون بصفة خاصة في في مقاطعات كانسو وبوتان وهونان وشانتونغ وهابي، إضافة إلى منطقة التركستان الصينية (الشرقية أو سينكيانج)(٣) التي يعد معظم سكانها من المسلمين، وليس معنى هذا أن بقية المقاطعات تخلو من المسلمين، فهناك أعداد كبيرة منهم في مقاطعات شنسي وسشوان فلا تخلو مقاطعة صينية من المسلمين(٤).

وعن وصول الإسلام إلى الصين فيذكر البعض بأن وفداً من المسلمين وصل إلى الصين منذ عهد النبي ﷺ، وأن سعد بن أبي وقاص ومعه أربعين رجلاً قد وصلوا إلى الصين، وأطلق الصينيون على سعد كلمة (وقاص بابا)، وأن هؤلاء أسسوا مسجداً في كانتون أطلقوا عليه (جامع الذكرى) وكان ذلك في سنة ٦٢٠م، إلا أن البعض يشكك في تلك الرواية ويرى أن سعداً بن أبي وقاص كان مشغولاً آنذاك بأمر الجهاد مع المسلمين، ولعل الذي وصل إلى الصين رجلاً يدعى (وقاص)، أو أن أحد التجار المشهورين كان يحمل هذا الاسم، بينما هناك رأي يقول بأن شخصاً يدعى ابن حمزة كان قد وصل إلى

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٣٧ ، المسند : الصين ص١٠٣.

(٢) الأيغور أو الأيجور أسماء لشعب واحد، والصينيون يطلقون عليهم (هوي هو أو هسيونج نو وحاليا يُعرفون باسم واي – جور) أسلم رئيسهم بعد قدوم قتيبة بن مسلم الباهلي إلى كاشغر ، ويدعى (أويغور بن قراخان)، حيث أسلم سراً هو وأمه، فغضب أبوه لإسلامه وحشد جيشاً لمقاتلة ابنه، إلا أن أنصار أويغور الذين اشتهروا بعد ذلك بالأويغوريين، وهم من المسلمين السنيين الذي يتحدثون بلهجة (نيو اوجور) ، ويقطنون إقليم سينكيانج : غلام الدين باهتا : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين والمعروف باسم تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم آمالها وآلامها ، ج١ ، الطبعة الثالثة ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض — المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هــ/١٩٩٩م ، ص٤٥٧ وما بعدها ، المنسيون فى الأرض ، ترجمة: شيرين حامد فهمى ، إسلام أون لاين نت بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٤م ، موقع الأيغور باللغة العربية على شبكة الإنترنت www. Uggur.Org/arabcic/ abhor-21 . oktober 2002

(٣) تُعرف سنكيانج فى تاريخ الصين القديم (هس ــ جو)، ولوجود القبائل التركية عُرفت باسم التركستان، وفي سنة ١٨٧١م احتلت الصين هذا الإقليم وأطلقت عليه إقليم شنجانغ أويغور ، وهي تعني الأرض الجديدة أو الوطن الجديد، وفى سنة ١٩٥٥م قامت الصين بتعديل التسمية إلى (سنكيان ويورزيزهيق) وتعنى (إقليم أيغور المتمتع بالحكم الذاتى)، وسكانه من المسلمين الذين ينتمون إلى العنصر التركي ، ومساحة هذا الإقليم حوالي ١.٧١٠.١٧٤ كيلو متراً مربعاً ويسكنها حوالي ١٣ مليون نسمة، ويرى مسلمي هذا الإقليم أن عدد السكان حوالي ٢٥ مليون منهم ٩٥%مسلمون، ومعظم قبائل "الأويجورمن المغول، وقد استولى الصينيون على إقليم سينكيانج سنة ١١٧٣هــ/١٧٥٩م،ومن أهم مدنها أورمجي وهي العاصمة التي تسمى اليوم(تيهوا) وكاشغر (شوفو) ويارقند (سوجو) المسند : الصين ، ص٢٠٤ــ٢٠٥ ، فوزي درويش : الشرق الأقصى (الصين واليابان) ، الطبعة الثالثة، القاهرة سنة ١٩٩٧م ، ص٢٤ ، السرياني : محمد محمود : الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٧هــ/١٩٩٧م ، ص١٥٧ ، غلام الدين باهتا : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين والمعروف باسم تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم آمالها وآلامها ، ج١ ، ص٤٥٧، أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جــ٨، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٩٠م ، ص٦١٢ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج2 ، ص٥٥٨.

(٤) المسند : الصين ص١٦٠ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٥٧.

الصين سنة ١١هـ/٦٣٢م ومعه نسخة من القرآن الكريم، وفي صحبته عدد من الرجال فأكرم الإمبراطور الصيني وفادهم وسمح لهم بتشييد مسجداً يؤدي فيه المسلمون صلاتهم، ثم تتابع بعد ذلك وصول وفود المسلمين إلى الصين(١).

ويذكر بعض المؤرخين أن أول اتصال للمسلمين بالصينيين يرجع إلى أوائل القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، عندما وصلت مجموعة من التجار المسلمين إلى مدينة كانتون(٢) Canton في عهد أسرة تانج (أو تانغ) الصينية التي حكمت الصين قرابة ثلاثة قرون (٦١٨-٩٠٧م)، وكان هؤلاء التجار يعبدون الله وليس لهم في معابدهم تمثال ولا صنم ولا صورة، وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، ويعتبرون الذبائح التي لا يذبحونها بأيديهم طعاماً نجساً، ويعرفون باسم هوى – هوى Hui – Hui وقد استأذنت تلك الجماعة الإمبراطور الصيني وحصلت منه على إذن بالإقامة في كانتون، وبنوا الدور الجميلة، وأصبحت لهم ثروة عظيمة، ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم(٣).

ويذكر أن الإمبراطور الصيني (كاوتسنج) بعث إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٢٤-٣٥هـ/٦٣٥–٦٥٥م) سفيراً من عنده فأكرم الخليفة عثمان ﷺ هذا السفير، وأرسل الخليفة وفداً من العرب ليرافق السفير الصيني لدى عودته إلى بلاده وكان ذلك في سنة ٣١هـ/٢٥ أغسطس سنة ٦٥١م، فأكرم إمبراطور الصين وفادة أول سفارة إسلامية وصلت إلى عاصمة الصين (تشانجان مدينة شيآن اليوم)(٤)، وتحكى الرواية أن الإمبراطور الصيني سمح للمسلمين بإقامة مسجداً لهم في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ(٥)، وكان من نتيجة دخول الإسلام إلى الصين في سنة٣١هـ/٦٥١م، في عصر أسرة تانج الصينية الحاكمة (٦١٨ – ٩٠٧م) أن كثرت سفارات العرب المسلمين إلى الصين في عهد تلك الأسرة (٣٧ سفارة) امتدت فترة حكم الخليفة عثمان بن عفان ﷺوعلي بن أبي طالب ﷺ، وكذلك في العصرين الأموي والعباسي(٦)، وقد ترتب على تلك السفارات بأن انتشرت المساجد في الصين، وأدخلت اللغتين العربية والفارسية، ووجود مصاهرة بين العرب والمسلمين والنساء الصينيات، ونتج عن ذلك الزواج نوعاً جديداً من النسل لم يكن مألوفاً من قبل في الصين(٧)، ثم ثم تعاقب وصول الوفود والتجار من المسلمين من العرب والفرس إلى الصين(٨).

وعن الوضع الثقافي للأقلية المسلمة في الصين يكفى أن نقول كما قال ريسلر:" إن اسم الإسلام يمكن أن يؤخذ على ثلاثة معان مختلفة، الأول دين، والثاني دولة، والثالث ثقافة، وبالاختصار حضارة فريدة(٩).

ثانياً ــ الصين في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١ –٧٤٩م): في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١– ٧٤٩م) وأثناء حكم الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (٨٦– ٩٦ـ/٧٠٥–٧١٥م)، فتح القائد العربي الشهير (قتيبة بن مسلم

---

(١) بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة سنة ١٩٥٧م ، ص١٠٨،هويدي : الإسلام في الصين ، ص٤١ ، المسند : الصين ص١٥٧ـ١٦٠.

(٢) كانتون: كانت تعرف باسم خانقوا أو وخانقو وكانت مرفأ للسفن ومجمع للتجار العرب، سكنتها مجموعة كبيرة من التجار العرب والفرس، وتقع في الشرق من الصين على ساحل بحر الصين، المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، ص١٣٨.

(٣) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام)آرنولد : السير توماس : الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثالثة ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، القاهرة سنة ١٩٧٠م ، ص٣٣١-٣٣٢.

(٤) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام ، ص٣٣٢، هويدي: الإسلام في الصين، ص٤٣ ـ ص٤١٧، أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية جـ٨، ص٦٠٦، المسند : الصين ، ص١٠٥.

(٥) رضوان: طه عبد العليم: في جغرافية العالم الإسلامي، الطبعة الخامسة، القاهرة، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٢٢٠.

(٦) عبد الرحمن ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، ص١٣٠ ، هويدي : الإسلام في الصين ، ص٤٨.

(٧) فوزي درويش: الشرق الأقصى (الصين واليابان)، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة، سنة ١٩٩٧م، ص٢٥.

(٨) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامي، جـ٢، ترجمة: شكيب أرسلان، بيروت، سنة ١٩٧٣م، ص٢٨٨.

(٩) جاك ريسلر : الحضارة العربية ، ترجمة : غنيم عبدون ، الدار المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٦٧ .

الباهلي) مدينة كاشغر (من مدن التركستان الصينية)، في سنة ٩٦هـ/٧١٥م، وعم الإسلام تلك المنطقة(١)، وفي هذا العصر تتابعت السفارات والوفود التجارية إلى الصين رغبة في الإقامة والدعوة إلى الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية(٢).

ثالثاً ـ الصين في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م):تتابعت السفارات في عصر الدولة العباسية (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م)(٣)، وفي أواخر عهد الإمبراطور الصيني "هزوان تسنج – Hzwn Tsung" تنحى تنحى عن عرشه لابنه "سو تسنج - Su Tsung" سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م، حيث طرده الثوار، فاضطر الابن أن يستنجد بالخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٤٤)، فأجابه الخليفة العباسي وأرسل إليه قوة من الجيوش العربية، ونجح الإمبراطور بمساعدتهم في استعادة بعض المدن التي سلبت منه من أيدي الثوار(٤)، وبعد نهاية الحرب لم ترجع ترجع القوات العربية إلى بلادها، وتزوج العرب من النساء الصينيات واستقروا في الصين(٥).

رابعاً ـ أسرة سونغ والإسلام في الصين (٢٩٥ـ٦٦٩هـ/٩٠٧ـ١٢٧٠م): في عهد أسرة سونغ عظم الإسلام في بلاد الصين ووصل عدد السفارات العربية إلى بلاط الإمبراطور الصيني إلى (٤٩) سفارة، ولقيت تلك السفارات احتراماً كبيراً، وتحرك المسلمون بحرية في عاصمة البلاد آنذاك (بيانليانغ)(٦)، وقد نمت العلاقات الثقافية بين العرب والصينيين، ففي الكتابات الصينية أن أول مصنع للورق أقيم على أيدي العرب خارج الصين كان بمدينة بغداد (عاصمة العباسيين) سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م، ثم انتقلت تلك الصناعة إلى دمشق والإسكندرية والقاهرة فيما بعد ومنها إلى صقلية ثم أسبانيا وأوربا(٧).

وفي عهد تلك الأسرة كان اسم ابن سينا قد لمع في سماء العالم الإسلامي كعالم وطبيب طبقت شهرته الآفاق، وسرعان ما نقلت مؤلفاته ووصفاته الطبية إلى الصين، وأدخل معها الألفاظ الطبية والصيدلانية وتطورت صناعة الطب في الصين على نهج ابن سينا، ولم يكن غريباً أن تقيم الصين احتفالاً في سنة ١٩٥٢م في ذكرى مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا، قُدمت فيه العديد من الأبحاث العلمية التي تتناول أعماله وسيرته من بينها بحث بعنوان (ابن سينا والطب الصيني) ، ويرى بعض الباحثين الصينيين أن (خيال الظل) منقول إلى العرب عن الصينيين(٨)، كما نقل العرب إلى الصين علوم الطب والرياضيات والفلك، ونجحت الصين في زراعة الأعشاب الطبية المتداولة عند العرب، مثل روشيانج (اللبان العربي)، ودواء موياو من (المر العربي)، ويابلو من جذور الداتورة (من النباتات الطبية)، وخلوصبا (الحلبة)(٩).

---

(١) محمود شاكر: تركستان الصينية (الشرقية) الطبعة الثالثة، بيروت سنة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، ص١٣-١٤.

(٢) كانت السفارات العربية الإسلامية إلى بلاد الصين لم تنقطع ، فقد أرسلت السفارات إلى الصين في سنة ٣٥هـ/ ٦٥٥م، ٨٤هـ/٧٠٣م، ٩٣هـ/٧١١م، ٩٨هـ/٧١٦م، ١٠١هـ/٧١٩م، ١٠٦هـ/٧٢٤م، ١٠٧هـ/٧٢٥م، ١١٠هـ/٧٢٨م، ١١٥هـ/٧٢٩م، ١١٥هـ/٧٣٣م، ١٢٤هـ/ ٧٤١م، ١٢٧هـ/٧٤٤م، ١٢٨هـ/٧٤٥م، ١٣٠هـ/٧٤٧م ، آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٢-٣٣٣ ، الحسيني : علوي بن طاهر بن عبد الله : المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى ، القاهرة سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص١٠٦.

(٣) كانت تلك السفارات سنة ١٣٥هـ/ ٧٥٢م، ١٣٦هـ/٧٥٣م، ١٣٨هـ/٧٥٥م، ١٣٩هـ/ ٧٥٦م، ١٤١هـ/٧٥٨م، ١٤٣هـ/٧٦٠م، ١٤٥هـ/٧٦٢م، ١٥٢هـ/٧٦٩م، ١٦٥هـ/٧٨١م، ١٨٢هـ/٧٩٨م ، الحسيني : المدخل إلى تاريخ الإسلام بالشرق الأقصى، ص١٠٥.

(٤) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٣، شاكر : تركستان الصينية (الشرقية) ص١٧، هويدي: الإسلام في الصين، ص٥٠، وقيل إن هذه القوة بلغت حوالي ٢٠ ألف جندي ألف رجل (أو ٤ ألف رجل) ، فوزي درويش: الشرق الأقصى، ص ٢٤ ، المسند : الصين ، ص١٠٧.

(٥) تذكر الرواية بأن هؤلاء العرب أرادوا العودة إلى بلادهم ولكنهم اتهموا بأكل لحم الخنزير أثناء الحرب فعيرهم الناس، ولذلك رفضوا العودة إلى وطنهم حتى لا يعرضوا أنفسهم لخطر مثل هذه الاتهامات من قومهم، شاكر: تركستان الصينية ، ص١٧.

(٦)وهي مدينة كايفنغ بمقاطعة خنان حالياً، هويدي : الإسلام في الصين ، ص٥٢.

(٧) عبد الرحمن ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، ص١٣٣ ، هويدي : الإسلام في الصين ، ص٥٧.

(٨) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٥٨.

(٩) عبد الرحمن ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، ص١٣٣ ، هويدي : الإسلام في الصين ، ص٥٧.

رابعاً ـــ المغول والإسلام في الصين (٦١٢-٧٧٠هـ/١٢١٥-١٣٦٨): حقق الإسلام قفزة كبرى في بلاد الصين في عهد حكم المغول، في ظل مملكة يوان المغولية(٦١٢ـــ٦٦٧هـ/١٢١٥ـــ١٢٦٨م) التي تربعت على عرش الصين بعـــدما أطاح قوبيلاي خان بن جنكيزخان(٦٥٨-٦٩١هـ/١٢٥٩-١٢٩١م) بحكومة أسرة ســـونغ الصـــينية، فقـــد ذكـــر بارتولد(١) أن جنكيز خان أول خانات المغول(٢) استولى على بكين سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وعندما استفحل خطـــر المغول داهموا منطقة المشرق الإسلامي حتى وصلوا إلى بغداد واستولوا عليها وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي آخر الخلفاء العباسيين وأسقطوا الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(٣)، وقد تمخض عن ذلك حركة هجرة واسعة من المسلمين من عرب وفرس وأتراك وغيرهم إلى الصين واندمجوا مع أهلها معيشة وحضارة، وجاء بعضهم تجاراً وصـــناعاً وجنـــوداً وعلماءً وأسرى حرب، واستقر عدد كبير منهم هناك، ثم ما لبثوا أن تطوروا إلى طائفة كبيرة فقدت فيها جنســـها الأول شيئاً فشيئاً بالزواج من الصينيات والاختلاط بأهل البلاد الأصليين، واستقروا في المدن الصينية واتخذوا فيها أحياء خاصـــة بهم، واحتل بعضهم مناصب رفيعة في الدولة(٤).

وإذا كان المغول قد انصرفوا عن الإسلام في البداية، إلا أنه منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، أقبل بعض خانات المغول على اعتناق الدين الإسلامي ومعهم رعاياهم، وبسبب إقبال هؤلاء المغول على الإسلام حـــرص خانـــات المغول من المسلمين على تطبيق الشريعة الإسلامية(٥)، وأصبح للمسلمين ممثلين لهم في بلاط الدولة المغوليـــة، واكتســـبوا محبتهم، وأعفى رجال الدين المسلمين من دفع الضرائب(٦)، و لم يكتف المغول بذلك بل أقبلوا على المساهمة في بناء المدن والمساجد(٧).

وقد تطورت الناحية الثقافية للمسلمين في عهد أسرة يوان المغولية تقدما كبيراً، فقد ترجمت كتب علماء المسلمين إلى اللغة الصينية، ومعظمها يختص بالطب والصيدلة والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم، وأنشئت في سنة ٦٦٩هـ/١٢٧٠م (دار النعمة) وهي مؤسسة علاجية أشرف عليها طبيب عربي اسمه (يوسف)، وتبعها مؤسسة علاجية أخرى (دار الهويين للأدوية والمعالجة) في بكين، وأخرى في منغوليا سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م، وقد وجد في مكتبة جامع بكين بقايا موســـوعة

---

(١) و. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ســـنة ١٣٧٤هـــ / ١٩٥٨م، ص١٥٩.

(٢) المغول: قيل أنهم قبيلة من التتر أو التتار عاشوا في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي، وأخذوا يظهرون على مســـرح التاريخ منذ زعيمهم جنجيز خان بن بيسوكي (٥٥٠-٦٢٤هـ/١١٥٥ـــ١٢٢٦م) ودفن في منغوليا بعد أن ترك إمبراطورية واسعة لأبنائه من بعده، للمزيد انظر: الهمداني: رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ، المجلد الثاني، جـ١، جـ٢، تعريب: محمد صادق نشـــأت وآخـــرون، القاهرة، سنة ١٩٦٠م، ص٢٢٠؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد: تاريخ ابن خلدون، جـ٥، بيروت، سنة ١٩٧١م، ص٥٢٥-٥٢٩؛ الصياد: فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكو خان، دار العلم، سنة ١٩٦٠م، ص٨٩، طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص١٣١ وما بعدها، ١٥٥ وما بعدها.

- Gerard; Gengis-Khan, Paris, 1935, PP. 6-8, Cutin; J: The Mongols History, Boston, 1908, Sykes; sir Percy: A history of Persia, Oxford 1922, Harold; Lamb: The Crusdes, The Flam of Islam, London, Saunders: J.J: The History of the Mongol, London, (1971).

(٣) الهمداني: جامع التواريخ، المجلد الثاني، جـ١، ص٢٩٤، العيني: بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـــ١، تحقيـــق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص١٧٢.

Brown; Edward: A literary History of Persia, Vol. II, Cambridge, 1909-1939, PP. 460-466, Saunders; J.J.: A history of Medieval Islam, London, 1978, PP. 181-182.

(٤) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٥ ، المسند : الصين ، ص١١٢.

(٥) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٨٦م، ص٢٥٠.

(٦) بارتولد: تركستان، ص٦٨٦٣، ٦٨٧، ٦٩٢.

(٧) الرمادي: جمال الدين: الإسلام في المشارق والمغارب، مطابع الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٠، ص٨٠ وما بعدها، فامبري: أرمينوس: تاريخ بخاري، ترجمة/ أحمد محمود الساداتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٥، ص٢٥٣ وما بعدها.

طبية أُلفت في تلك الفترة من ٣٦ جزءاً لم يبق منها سوى ٤ أجزاء ورد فيها أسماء بعض الأدوية المنقولة إلى الصينية عن العربية(١).

ومن ناحية أخرى فإن العرب الذين استقروا في الصين في تلك الفترة تلقوا التعليم الصيني، واجتازوا الامتحان الرسمي للخدمة بالحكومة، وأصبحوا من كبار الموظفين، ومنهم شقيقان مسلمان هما (بوشوشنغ) الذي أصبح قاضياً ونظم ديوانا من الشعر الكلاسيكي، والثاني (شوقنغ) الذي كان مساعداً لرئيس وزراء قوبيلاي خان، وتشير بعض الوثائق أنه في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م حصل عشرة من الشبان المسلمين على الشهادة العلمية الملكية العليا بعدما اجتازوا الامتحان الشاق(٢)، ولذلك عملت الحكومة المغولية على إنشاء المدارس التعليمية في الصين لإعداد الموظفين الأكفاء وتأهيلهم لممارسة مسئولياتهم، وكان من شروط الالتحاق بتلك المدارس تعلم اللغة المغولية، وكان نظام الامتحان آنذاك على نوعين : امتحان للمغول والمسلمين وثان للصينيين، ولذلك ظهر الكثير من المسلمين بين صفوف المشاهير والمثقفين(٣).

كما برع العديد من الشخصيات الإسلامية في الجانب الثقافي في الصين آنذاك، أمثال المهندس (علي الدين الموصلي من الموصل بالعراق) و(إسماعيل الهروي من هراة بأفغانستان)، و(جمال الدين الفلكي) الذي برع في علم الفلك، و(سعد الله الشاعر) الذي أطلق عليه الصينيون (تيان شي أو تشي تشاي)، وكان شاعراً بارزاً ألف سبعة دواوين كلها تعبر عن آلام الناس وحياتهم البسيطة، وقد تقلد سعد الله أحد الوظائف العليا في الدولة المغولية بعد اجتياز الامتحان، ثم أصبح الرجل المسئول عن الإسكان والبلديات في جينكو (تشينجيانج الآن)، وكذلك الشاعر الأيغوري (يوسف خاس) صاحب ديوان الشعر المعروف باسم (جالب البركة)، والعالم (شمس الدين) الذي عُرف بتعمقه في الأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والفلك(٤).

ومن تلك الشخصيات الإسلامية ذلك الرجل المسمى (عمر شمس الدين الذي لُقب بالسيد الأجل)(٥)، التي طبقت شهرته الآفاق في الدولة المغولية(٦)، حيث قام السيد الأجل بالعديد من الأعمال التي عادت بالخير على الناس في مقاطعة يونان، دون تفرقة بينهم في العقائد أو الأديان، وأدت سياسته إلى إثراء الحركة الثقافية في تلك المقاطعة، إذ بنى في مدينة يونان معابد لأتباع الديانة الكنفوشيوسية بقدر ما بني فيها من مساجد إسلامية(٧)، ونشر العلم وبني المدارس التي قامت بنشر العلوم المتقدمة من الفلك والطب(٨)، وأدخل في طاعة الدولة ما لا يعد ويحصى من الأقوام(٩).

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٣.

(٢) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٤.

(٣) أسامة عبد السلام محمد منصور :التعليم الإسلامي في الصين تاريخه ودوره الحضاري في حياة المسلمين الصينيين ، رسالة دكتوراة ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية ، جامعة الزقازيق سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م ، ص٤١.

(٤) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٥.

(٥) قيل إن السيد الأجل كان من مدينة بخاري (بجمهورية أوزبكستان الإسلامية)، (ويرى البعض أنه كان من مكة المكرمة ومن آل البيت) ، عهد إليه الخان قوبيلاي عندما اعتلى العرش في سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م إدارة بيت مال الدولة المغولية، وولاه الاستخبارات ، ثم قلده الوزارة، ثم أصبح السيد الأجل حاكماً لولاية "يونان – Yunnan" الصينية سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، وقد توفى السيد الأجل في سنة٦٦٩هـ/١٢٧٠م فبكاه أهل يونان ، وأما لقب السيد الأجل فهو لقب اكتسبه لما عُرف عنه من النزاهة والكفاءة في العمل ، وقد خلع عليه الخان قوبيلاي المغولي في الصين الاسم الصيني (ساي تينتشعي وهي الترجمة الحرفية للقب السيد الأجل بالصينية)، كما منحه لقب التشريف (أمير حسين يانج) شاكر: تركستان الصينية، ص١٨، هويدي: الإسلام في الصين، ص٦٨ ، المسند الصين ، ص١١٣–١١٤ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٣ ، Howorth; sir Henry: History of the Mongols, part 1, London, 1880, P. 161.

(٦) المسند : الصين ، ص١١٤.

(٧) شاكر: تركستان الصينية ، ص١٨، هويدي: الإسلام في الصين، ص٦٨، المسند : الصين ، ص١١٤.

(٨) محمود يوسف لي خواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار الهلال الأزرق للنشر ، هونج كونج سنة ٢٠٠٣م، ص٤.

(٩) هويدي: الإسلام في الصين، ص٦٧ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٣.

وقد لعبت ذرية السيد الأجل دوراً هاماً في توطيد دعائم الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية في الصين، فقد ترك السيد الأجل خمسة أبناء و١٩ حفيداً، منهم ابنه (ناصر الدين) الذي كان وزيراً وحاكماً لمقاطعة شانسي(١)، كما عُين حاكماً لولاية يونان وظل بها إلى أن توفي سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٢م(٢).

وقد زار ابن بطوطة عدة مدن ساحلية في الصين، في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فزار مدينة كانتون (خانفوا أو خانفوا) وذكر أن بها حي خاص للمسلمين، ولهم فيها المسجد الجامع والزاوية التي كانت تتخذ كدور للعبادة وأداء الصلوات، ويرتب فيها الدروس للطلاب، وتلحق بها المكتبات التى بها الكتب وتوقف عليها الأوقاف، وكان بها أيضاً مساكن للصوفية(٣)، ولهم قاض وشيخ، وفي كل بلد من بلاد الصين شيخ للمسلمين تكون أمور المسلمين كلها راجعة إليه، وفي كل مدينة من مدن الصين حي للمسلمين يقيمون فيه، ولهم فيه المساجد، والمسلمون هناك معظَّمون محترمون(٤).

خامساً ــ الإسلام في الصين في عهد أسرة مينغ (٧٧٠-١٠٥٤هـ / ١٣٦٨-١٦٤٤):

كانت سياسة أسرة مينغ الصينية (٧٧٠-١٠٥٤هـ/١٣٦٨-١٦٤٤م) الجديدة تجاه المسلمين في الصين قد تمتعت بقدر معقول من الاعتدال والود، الأمر الذي انعكس على الامتيازات العديدة التي منحت للمسلمين في تلك الفترة(٥)، فلما تولى الإمبراطور "هنج وو – Hung Wu" قدم كثيراً من الامتيازات للمسلمين، حيث كثرت المساجد في عهد هذه الدولة(٦)، ونمى ملوك دولة مينغ في الصين صلاتهم الودية بأمراء المسلمين الذين كانوا يقيمون على حدود الصين الغربية، كما أكثروا تبادل السفراء مع أمراء الدولة التيمورية(٧).

وقد بلغ من التأثير الثقافي الإسلامي على الصينيين بأن أسلم الكثير منهم في عهد أسرة مينغ الصينية وحافظوا على التقاليد الإسلامية، وظهرت أسماء مسلمة صينية مثل (ما اختصارا لمحمد أو مسعود)، و(نا اختصارا لنصر الدين)، و(حا اختصارا لحسن) وهكذا، كما يذكر أن مؤسس تلك الأسرة (مينغ تاي) نظم قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح

---

(١) تقع شانسي إلى الشرق والشمال الشرقي من مقاطعة شنسي ومساحتها قرابة ١٥٧.٠٠٠ كيلو متراً مربعاً وسكانها ١٨ مليون نسمة منهم ٢٠% مسلمون، (وقيل في عاصمتها شيان ٥٠ ألف مسلم حسب الإحصاء الحكومي) ، وقد انتشر الإسلام في تلك المناطق بسبب التجارة، ومن المدن ذات التجمعات الإسلامية مدينة (لونغ شيان وشي شان)، شاكر : تركستان الصينية ، ص٨٢ ، المسند : الصين ، ص٢٠٣ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٠.

(٢) المسند : الصين ، ص١١٤.

(٣) الزاوية : كانت الزاوية تتخذ كدور للعبادة وأداء الصلوات، ويرتب فيها الدروس للطلاب، وتلحق بها المكتبات التى بها الكتب وتوقف عليها الأوقاف، المقريزي: أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، قسم (١) ، تحقيق / محمد مصطفى زيادة، القاهرة، سنة ١٩٥٦م – ١٩٥٧م، ص١٨٢، حاشية (٤)، الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٨٦م، ص١٦٦٧، مادة زوا.

(٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، الطبعة الأولى، شرح / طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص٦٣٠، ٦٣٥ ، باي شويي : تاريخ الإسلام في الصين ، دار الشعب ، نينغشيا ، الصين سنة ١٩٥٢م ، ص١٥١.

(٥) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٦.

(٦) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨١.

(٧) تنسب الدولة التيمورية إلى تيمورلنك الذي تمكن من أن يؤسس له ملكاً في سنة ١٣٦٤/٧٦٥م، واتخذ من مدينة سمرقند حاضرة لدولته، واتسعت فتوحاته حتى وصلت حدود الصين شرقاً وبعض الهند وآسيا الوسطى وإيران والعراق، وقد توفي في الحادية والسبعين من عمره في شهر شعبان سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م، ودفن بسمرقند وضريحه مقام هناك، للمزيد انظر: فاميري: تاريخ بخارى ، ص٢٠٥ وما بعدها، أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدولة الإسلامية والأسرات الحاكمة، جـ٣، دار المعارف، مصر سنة ١٩٧٢م، ص٥٥٩ وما بعدها، بطرس البستاني: دائرة المعارف الإسلامية، جـ٦، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٩٥-٢٩٩، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، سنة ١٩٨٧م، ثص٢٤٣.

الرسول ﷺ نقشها في سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م على جدار مسجد (نانكينغ) ومازالت موجودة إلى اليوم، كما استخدم حكام هذه الأسرة التقويم الهجري رسمياً في الدولة(١).

كما قام الإمبراطور (تاي تسوكاو هوانغ تي) بمراجعة تراجم وزراء الدولة السابقة (دولة يوان المغولية)، وقام بتسجيل سيرة السيد الأجل في كتاب خاص (عُرف باسم ين تشه شو) وأمر بأن يدرس هذا الكتاب للطلبة وينشر في أنحاء الصين، وفي سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٥م صدر أمر الحكومة الصينية بتأليف سيرة للسيد الأجل بقلم (تشينغ هو)، وقد تولى أبناؤه وأحفاده مناصب مهمة في الدولة كوزراء وحكاماً للمقاطعات وكُتاب وقادة للجيش وصار منهم من كان يُدعى بصاحب القلم الأعلى(٢).

وفي عهد أسرة مينغ لعب أحفاد السيد الأجل دوراً كبيراً في الحياة الثقافية للمسلمين في الصين، فقد حصل أحد أحفاد السيد الأجل (بايان فنتشان) من الإمبراطور الصيني سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م على تقرير صيني نصه بأن (الإسلام هو الدين الحق الخالص)، وأصبح وزيراً للعدل وواليًا على مقاطعة يونان(٣)، كذلك حفيده يوسف (عُرف عند الصينيين باسم ماشيوكونغ أو ماجو أو ماجد ١٠٤٠ــ١١٢٢هـ/١٦٣٠ــ١٧١٠م)، الذي كان فقيهاً وعالمًا فاضلاً ذهب إلى بكين في سنة ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م حيث استشاره الإمبراطور الصيني في بعض الأمور الدينية والعسكرية وصار مدرساً في الأكاديمية الإمبراطورية (قوتسيجيان)، ونشر في سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٥م كتاباً اسمه (بوصلة الإسلام)(٤)، وفي سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م أذن الإمبراطور الصيني لشخص آخر منهم بأن يبني مسجداً في مدينتي "سينانغ فو – Sik niag fu – و "نانكن Nan-Kin"(٥)، ومثل تلك المؤسسات الإسلامية تلعب دوراً كبيراً في ازدهار الحركة العلمية في الصين.

كما لمعت شخصيات إسلامية كبرى في الحياة الثقافية للمسلمين في الصين، منهم (هاي زوي) الذي دخل التاريخ الصيني باعتباره موظفاً نزيهاً وداعية للعدل والفضيلة، حتى قُدمت سيرته وأعماله كعمل مسرحي في السنوات الأخيرة، وكذلك أستاذ الأساتذة (خو دونغ تشو)(٦) مؤسس التعليم الإسلامي في الصين، حيث قبل الطلاب في منزله ليلقنهم علوم الدين، ويشرح لهم كُتب اللغة العربية والفارسية(٧)، وهو أول عالم مسلم حول المساجد إلى مدارس في القرن العاشر العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وأدخل التعليم الديني ضمن مسئولية الإمام ورسالة المسجد، وكان الشيخ (خو دونغ تشو) جمع فريقاً من الفتية والمسلمين في مقاطعة يونان الصينية ونظم لهم بأحد المساجد دروساً في العلوم الدينية، وكان الطالب إذا حصل على شهادة المسلمين الذين يترددون على المسجد مُنح قطعة من قماش الحرير بمثابة شهادة (إجازة) له، ويلبسه الشيخ (خو دونغ تشو) جبة خضراء من الحرير وهي لباس شرف للأئمة إعلاناً عن بدء ممارسته الرسمية للإمامة(٨)، وقد عُرف بكثرة تلاميذه الذين جاءوا إليه من أنحاء مقاطعات الصين(٩).

سابعاً ــ الإسلام في الصين في عهدة أسرة مانشو (١٠٥٤– ١٣٢٩هـ / ١٦٤٤ – ١٩١١م):

(١) المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٦.

(٢) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٨ــ٦٩.

(٣) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٩ ، المسند : الصين ، ص١١٤.

(٤) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٧٠ ، المسند : الصين ، ص١١١.

(٥) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٥.، هويدي : الإسلام في الصين ، ص٦٩ ، المسند : الصين ، ص١١٤.

(٦) ولد (خو دونغ تشو) سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م في بلدة (ويتشنغ) في ضواحي مدينة شيا تيانغ بمقاطعة شنسي وينتمي إلى قومية هوي ، كان سريع الحفظ راجح العقل توفي سنة ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م وهو أول من دعى إلى التعليم الديني في الصين ، أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٥٤ وما بعدها.

(٧) أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٥٩ــ٦٠.

(٨) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٢.

(٩)عن تلاميذ الشيخ أنظر أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٦٣ وما بعدها.

مع حكم أسرة "مانشو Manchu" بدأ المسلمون عصر المعاناة، فقد اضطهدت تلك الأسرة المسلمين فسماهم سوء العذاب، وصادرت أملاكهم، وانتهكت حرماتهم، على أن تلك المعاناة لم تستمر طويلاً، فهناك من أباطرة تلك الأسرة من احترم المسلمين واعترف بشعائرهم الدينية، مثل الإمبراطور "ينج تشن – Yung Chen"، الذي أطلق للمسلمين الحرية الدينية في إقامة شعائرهم، كما أظهر خليفته الإمبراطور "كين لنج – Kein Lung" دلائل واضحة على عطفه على المسلمين، وشيد مسجداً ليصلى فيه بكوات الأتراك الذين يزورون القصر الإمبراطوري، وكذلك أسرى الحرب الذي جاء بهم من كاشغر بالصين(١).

وفي عهد أسرة مانشو الصينية ظهرت قيادات فكرية من المسلمين رفيعة المستوى، فظهر علماء متخصصون في علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد، وخلف البعض منهم رصيداً رفيع المستوى من الكتب القيمة، وفي مقدمة هؤلاء الشيخ (وانغ داي يو ٩٦٨ـ١٠٧١هـ/١٥٦٠ـ١٦٦٠م)، والشيخ (ماتشو ١٠٥٠ـ١١٢٣هـ/١٦٤٠ـ١٧١١م)، والشيخ (ليوتشه ١٠٦٦ـ١١٥٨هـ/١٦٥٥ـ١٧٤٥م)، والشيخ (مافو تشو ١١٦٣ـ١٢٩٠هـ/١٧٩٤ـ١٨٧٣م)، وجلهم لهم كتب ومؤلفات كلها تدور حول الإسلام(٢).

كما طلب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني(٣) من مفتي بكين آنذاك بإرسال بعثة إسلامية إلى الصين، فأرسل اثنين اثنين هما حسن حافظ وعلي رضا فأسسا هناك مدرسة ضمت ١٢٠ طالباً وأقبل عليها وعليهما المسلمون من كل مكان، ونشرا الجرائد الإسلامية، ولكن الحكومة الصينية وقفت منهما موقف العداء فاضطرا إلى مغادرة البلاد، وعلى الرغم من ذلك ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم سنة ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، وأصبح الدين الإسلامي يمثل أحد أديان الصين الكبرى(٤).

سابعاً ـ الإسلام في الصين في عهد الجمهورية (١٣٣٠–١٣٦٩هـ/١٩١١–١٩٤٩م):

وعندما قامت الجمهورية الوطنية في الصين (١٣٣٠–١٣٦٩هـ/١٩١١–١٩٤٩م) وأطاحت بأسرة مانشو الصينية، أيد المسلمون هذه الجمهورية(٥)، فحفظت لهم السلطات الصينية هذا الجميل، واعتبرت الحكومة الصينية المسلمين أحد المجموعات السكانية الخمسة المكونة للدولة وهم الصينيون، والمانشو، والمغول، والمسلمون، والتبتيون، وجاء علم الجمهورية مؤلفاً من خمسة ألوان هي الأحمر، والأزرق، والأصفر، والأبيض، والأسود، كان اللون الأبيض خاص بالمسلمين(٦).

وقد أعطت الجمهورية للرعية حق الحرية الدينية وذلك بما فيها للمسلمين، فمال المسلمون إلى تأسيس الجمعيات الدينية والاجتماعية وإنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية، وزينوا جوامعهم بالكتابة العربية(٧)، ومن أهم الجمعيات التي أسسها المسلمون المسلمون في الصين آنذاك جمعيات لها صفات تعليمية أي تقوم بمهمة تعليم المسلمين مبادئ القراءة والكتابة وحفظ بعض سور القرآن الكريم ومبادئ النحو.. الخ، وكذلك جمعية التقدم الإسلامي، والجمعية الإسلامية الصينية في شنغهاي، والجمعية الإسلامية

---

(١) آرنولد: الدعوة إلى الإسلام ، ص٣٣٩ـ٣٤١ ، شاكر : تركستان الصينية ، ص٢٠ ، المسند الصين ، ص١١٨.

(٢) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٦ـ٨٧ ، وانظر حديثنا عن الكتب والمؤلفات الإسلامية بذات البحث.

(٣) تولى السلطان عبد الحميد الثاني في الفترة (١٢٩٣ـ١٣٢٦هـ/١٨٧٦ـ١٩٠٩م) وهو السلطان (٣٤) من سلاطين الدولة العثمانية ، وقد اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بالناحية العلمية والثقافية في أنحاء الدولة العثمانية ، الصلابي : علي محمد محمد : الدولة العثمانية ، دار ابن كثير ، بيروت سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، ص٤٤١ وما بعدها

(٤) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٠٥ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٦ ـ٥٧٦ .

(٥) تم القضاء على إمبراطورية المانشو في الصين في يوم ١٠ اكتوبر سنة ١٩١١م، آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٤٧، المسند : الصين ، ص١٢٨.

(٦) ياغي : تاريخ آسيا الحديث، ص٧٩، المسند : الصين ، ص١٢٨.

(٧) شاكر: تركستان الصينية ، ص٧٩.

في نانكن(١)، وجمعية الأدب الصيني، وقد عملت تلك الجمعيات على رفع شأن المسلمين في كافة المجالات(٢)، وإثـــراء الحياة العلمية في الصين.

وفي تلك الفترة تجدد نشاط المسلمين الثقافي في بلاد الصين، فتزايد عدد المدارس والمعاهد الإسلامية، كما قطعت الجمعيات الإسلامية في الصين شوطاً كبيراً في إيفاد مبعوثين صينيين للدراسة في الأزهر الشريف في مصر، وتم طبع المصحف الشريف باللغة العربية، كما أفرزت تلك المرحلة عدداً كبيراً من علماء وفقهاء المسلمين بذلوا جهوداً مضنيةً من أجل تعريف مســـلمي الصـــين بدينهم عن طريق التأليف والترجمة من اللغة العربية إلى الصينية، ومن هؤلاء العلماء الشيخ (وانغ جينغ تشاي) الذي عمل إمامـــاً ومعلماً ومحرراً لمجلة (نور الإسلام) التي أنشأها وساهم هو وأفراد عائلته في طبعها وتوزيعها، وله العديد من الترجمـــات أشـــهرها ترجمة القرآن الكريم، ثم الكتاب الفقهي الشائع في الصين منذ ثلاثة قرون(٣)،كمااشتهرت بعض المدن الإسلامية بالعلماء من المسلمين، مثل مدينة خُتن(٤)، ومدينة كاشغر(٥) التي نُسب إليها العديد من العلماء والأدباء.

ثم قامت الثورة الشيوعية (١٣٦٩هـــ/١٩٤٩م حتى الآن) في الصين، وفي أعقاب هذه الثورة عانى المسلمون كثيراً من الاضطهاد، فقد أزيلت معظم مساجدهم ومراكز علومهم، وتعرض المسلمون تحت تأثير الضغط والقهر، ومن ثم انخفـــض عدد المسلمين، فبعد ما كانوا يمثلون حوالي ١٠% من عدد سكان الصين قبل الثورة الشيوعية، انخفضوا إلى حـــوالي ٥% من عدد السكان، وربما يكون ذلك من أجل عدم الظهور(٦)، وقد بدأت السلطات الشيوعية تقوض الإسلام في الصين، فبدأت بالمساجد تقفلها مسجداً مسجداً، وأقامت المعسكرات لحشد الشباب المسلم مع الفتيات المسلمات بقصد إتلافهم وإفسادهم، وتقسيم العمل على الجميع وإلا فالموت، كما فرضوا على الجميع أكلاً واحداً في المعسكرات والمزارع فيه لحم الخنزير لتحريم ذبح البقر لفائدته للصينيين، وأمروا بدفن الموتى طبقاً للعادات والطقوس الصينية ودون صلاة وحرق جثث الموتى من المسلمين، بالإضافة إلى سجن الزعماء وتعذيبهم حتى الموت، ورفع الحجاب عن النساء، وإعطائهن حق الطلاق، ونزع الملكيات والمنازل الخاصة، وإسكان الجميع في ثكنات ضخمة للعمل في المزارع الواسعة(٧)، وقد كانت تلك الفترة الفترة بمثابة تعطيل المد الثقافي للأقلية المسلمة في الصين، وألقت الثورة الثقافية في الصين بظلالها علـــى الوضـــع الثقـــافي للمسلمين الذي سوف نناقشه في الصفحات التالية.

المبحث الثالث

المؤسسات والهيئات الإسلامية وأثرها على الحركة الثقافية

كان للمؤسسات التعليمية ـــ نظراً لطبيعة مهمتها الأساسية وهي بناء البشرية ـــ دوراً كبيراً لرفع المســـتوى الثقـــافي للأقلية المسلمة في المجتمعات غير المسلمة(٨)، وقد قامت العديد من المؤسسات التعليمية كالمدارس والمعاهد والجامعـــات

---

(١) المسند : الصين ، ص١٢٨.

(٢) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، جـــ٨، ص٦١٣.

(٣) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٢٨.

(٤) النرشخي : أبو بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية : أمين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف مصر سنة ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م، ص٦٧ ، ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٤٧ ، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤ ، القاهرة سنة ١٩٧٧م ، ص٤٤١ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص٥٣٠..

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٣٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج٤ ، ص٤٤٠ ، ماركو بولو : رحلات ، ص٧٩.

(٦) رضوان: في جغرافية العالم الإسلامي، ص٢٢٣ ، رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافياً، ص١٥٣.

(٧) رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي، ص٢٢٣.

(٨)سعيد إسماعيل علي : دور المؤسسات الإسلامية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ظروفهـــا المعاصرة آلامها وآمالها ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـــــ/١٩٩٩م ، ص١٢٦.

النظامية، وغير التعليمية كالجمعيات والهيئات والمساجد ووسائل الإعلام والأسرة والأفراد وغيرها من المؤسسات، بدور رائد في تنمية الوضع الثقافي للأقلية المسلمة في الصين.

أولاً ـــ المدارس الإسلامية وأثرها في النهضة الثقافية في الصين:

كان للمدارس الإسلامية التي انتشرت في الصين دوراً كبيراً في انتشار الإسلام والثقافة العربية والإسلامية، وكان تعليم أبناء المسلمين قبل إنشاء المدارس يتم في الكتاتيب المنتشرة في القرى، ثم من خلال المدارس الحكومية فيما بعد(١)، وقد انتشرت المدارس الإسلامية في أنحاء الصين، ففي كانتون كانت توجد مدارس لتربية أولاد التجار العرب، وكانت تلك المدارس تسمى (فان كسوي) أي مدارس الأجانب(٢)، وبالطبع كانت تلك المدارس تعمل على نشر الإسلام، وتعلم اللغة اللغة العربية، ومبادئ الدين الإسلامي، فضلاً عن انتشار الثقافة الإسلامية في الصين، وفي كاشغر بتركستان الشرقية (سينكيانج) أقيمت مئات المساجد والمدارس والمكتبات، وكان يوجد في كاشغر وحدها ٦ مدارس، وجاء إليها المئات من الطلاب من بلاد أجنبية ليدرسوا في هذه المدارس(٣).

كما كان فى كل مسجد من المساجد المنتشرة بالمقاطعات الصينية مدرسة دينية أولية، يدرس فيها الأطفال الأحرف العربية، والسور القصيرة من القرآن الكريم، وكذلك العبادات، كما كانت هناك مدارس خاصة بالمسلمين تدرس اللغة العربية، والنحو والصرف(٤)، وكانت تلك المدارس الأولية تقوم باستقدام المللمين الأكفاء ليقوموا بمهمة التعليم فيها، وقد وقد ارتفعت مكانة هؤلاء المعلمين لبراعتهم في علوم الدين(٥).

وهناك مجموعة من المدارس الإسلامية التي أثرت الحركة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين، منها المدرسة الإسلامية التى تأسست فى شنغهاى سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، ومدرسة تيهو الثانوية التي تأسست سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ومدرسة شمال الصين الغربي التي أقيمت لخدمة أبناء المسلمين فى بكين وتأسست سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ودار المعلمين التي تأسست فى مدينة نينغ هشيا سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١ـــ١٩٤٢م، وكذلك مدرسة الهلال للبنات التى تأسست فى بكين سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م(٦)، ومدرسة شنسي التي أقامها الشيخ (خو دونغ تشو) التي أصبحت فيما بعد ميداناً للعلوم ومنتدى للعلماء(٧)، وكانت تلك المدرسةهي المدرسة الأولى من نوعها في الصين التي تخصصت في علوم الدين، وهي الرائدة الأولى في التعليم المسجدي في الصين، وجاء تأثيرها واضحاً في شمال وجنوب غرب الصين وفي مقاطعات خونان وآنهوي وبعض المقاطعات الجنوبية، وبالتالي أصبحت قبلة للعلماء وطلاب العلم(٨).

ومن بين المدارس التي أسست في الصين المدرسة الإسلامية الابتدائية التي أسستها جمعية التقدم الإسلامية في مدينة يونان الصينية ثم المدرسة الثانوية، وفيهما تدرس العلوم الدينية والإسلامية والدراسات الإسلامية باللغتان العربية والفارسية إلى جانب اللغة الصينية، وكذلك العلوم العصرية المختلفة مثل التاريخ والثقافة الصينية، كما أنشأ الجنرال (مافو شيانغ وهو أحد كبار الضباط المسلمين) مدرسة المعلمين الإسلامية الثانوية في عاصمة مقاطعة شاندونغ، ونقلت بعد ذلك إلى العاصمة الصينية بكين(٩)، وكذلك مدرسة شاندونغ التي أسست في مدينة جينيغ بمقاطعة شاندونغ ومؤسسها الشيخ (تشانغ تشي

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٠٤.

(٢) ذانج هو: المعاملات بين ا لصين والعرب، مقال في حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد السادس، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص٣٦.

(٣)ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٦.

(٤)شاكر : تركستان الصينية ، ص ٥٧ .

(٥)أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٥٢ ، حاشية رقم (٤).

(٦) المسند : الصين ، ص٢٠٤.

(٧) إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين ، الطبعة الأولى ، تعريب : محمود يوسف لي هواين ، بكين سنة ١٩٩١م ، ص٢٢٨ .

(٨) أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٧٦ـــ٧٨.

(٩) هويدي : المسلمون في الصين ، ص١١١.

تشي مي) أحد تلاميذ الشيخ (خو دونغ تشو)، وكانت تلك المدرسة تقوم بتدريس العديد من المعارف وكــذلك اللغــة العربية والفارسية حتى يتمكن الطالب من دراسة علوم الفقه وعلم الكلام المؤلفة باللغتين(١)، كمـا أقيمـت في مدينـة شنغهاي الصينية مدرسة المعلمين الإسلامية، كما أنشأت مدرسة إسلامية للمعلمين في مقاطعة سيشوان الصينية(٢).

وتعد مقاطعة (ستشوان) الصينية من المقاطعات ذات الشهرة الثقافية، ففيها ما يزيد عن ربع مليون مسلم، وبها عدد من المراكز الإسلامية ذات الشهرة الثقافية، وأشهرها مدينة "سونج بان تينج"، وكذلك في بلدة "كيوشيا" التي بها عدد مـن الأئمة والعلماء المسلمين، وفي مقاطعة (كيانغ سو) الصينية ومركزها مدينة "تانج كينج" أو " تانكين"، عدد من المساجد والمدارس الإسلامية(٣).

ومن أهم العلوم التي كانت تدرس في تلك المدارس النحو والصرف، واللغة العربية والفارسية والتركية، وعلم الفقــه، والتفسير، والبلاغة، وغيرها من الدراسات الإسلامية والعلوم المختلفة.

وكان يعد للطالب الذي أتم دراسته حفلة للتخرج تليق به، ويمنح المتخرج شهادة ليست مكتوبة خطيــاً، فالشــهادة عبارة عن عمامة بيضاء وجُبة حريرية خضراء وذلك شرف له، ثم يُمنح الطالب بيرقاً حريرياً ـــ يعد دبلوماً له ـــ تكتب عليه عبارات تشير إلى موجز عن سيرة الطالب وكفاءته في علوم الدين، وتعبر عن أمل المسلمين فيه والدعوة للمتخـــرج بتقديم الخدمات للقضية الإسلامية(٤).

ثانياً ـــ المعاهد والكليات الإسلامية :

استطاع الشيخ (إلياس عبد الرحمن وانغ) إمام مسجد بكين أن يحصل من الحكومة الصينية على موافقة بإنشاء معهــد إسلامي في بكين سنة ١٣٢١هـــ/١٩٠٣م، وإنشاء أول مدرسة ابتدائية لتعليم أبناء المسلمين، وكانت تدرس لأول مـــرة اللغة العربية إلى جانب اللغة الصينية، بالإضافة إلى الترجمة الصينية للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة(٥)، ومن أهم أهم المعاهد في الصين المعهد الإسلامي فى هوتشو ـــ Hochow بمقاطعة " كانسو Kansu " الذي أقيم لتعليم الطلبة المسلمين هناك العلوم الدينية (كالتفسير، والحديث، والفقه، والتوحيد)، وكذلك اللغة العربية، والسيرة النبوية وغيرها، ثم يعودون إلى بلادهم إذا ما أتموا دراستهم، فإذا عادوا إلى بلادهم أخذوا ينشرون تعاليم الدين الإسلامي والثقافــة العربيــة والإسلامية، وذكر أنهم بدأوا أعمالهم فى عشر ولايات بالصين للترويج لهذا الدين(٦).

وكذلك المعهد الإسلامي الصيني الذي تأسس فى العاصمة الصينية (بكين) فى سنة ١٣٧٥هـــ/١٩٥٥م، كما يوجد في أنحاء الصين معاهد إسلامية متعددة، مثل المعهد الإسلامي فى إقليم سينكيانج الصيني، وفى هذا المعهد يتعلم الطلاب اللغــة العربية والدين الإسلامي، وملحق بالمعهد مكتبة قيمة بها كتب عربية جيدة، وعماد هذه المكتبة كتب ومؤلفـــات هديــة قدمتها حكومة جمهورية مصر العربية إلى الجمعية الإسلامية الصينية، وكذلك هناك قاعة للمطالعـــة وبهـــا كتب عربيـــة وصينية(٧).

---

(١) أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ص٨٠ـــ٨٢

(٢) هويدي : المسلمون في الصين ، ص١١١.

(٣) شاكر : تركستان الصينية ، ص٨٦ـــ٨٧، المسند : الصين ، ص٢٠٤.

(٤) محمود يوسف لي هواين : المساجد في الصين ، بكين سنة ١٩٨٩م ، ص١٢٧.

(٥) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٠٤.

(٦)آرنولد : السير توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤٣ .

(٧)إذاعة الصين الدولية : مقال بعنوان : الحياة الدينية فى الصين.

وفي مدينة نينغ هسيا(١) معهد إسلامي أفتتح في سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، وانتظم به حوالي ٥٦ طالباً، ويقيم المعهد دورات للأئمة والخطباء، وقد تخرج العديد من هؤلاء الطلاب للعمل في الدعوة الإسلامية، ويوجد بها سبع جامعات و٢٤ معهداً فنياً، و٢٥٠ مدرسة ثانوية، و٤٨٠٠ مدرسة إبتدائية(٢).

وكذلك دار المعلمين الإسلامية فى الصين الذي تم تأسيسها بمعرفة عدد من الزعماء المسلمين سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م فى ولاية شانتونج الصينية، ثم انتقلت إلى بكين فى سنة ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، وألحق بها مطبعتان صينية وعربية، ثم ألحقت بعد تسلم الشيوعيين السلطة بمعهد أقليات المسلمين فى بكين، وفى بعض الإحصاءات الرسمية عن الهيئات الإسلامية فى الصين، أنه يتم إنشاء العديد من المدارس الخاصة بتعليم القرآن الكريم، وكذلك الكليات الإسلامية، مثل الكلية الإسلامية بمدينة (أورومكى عاصمة التركستان الشرقية والتي تُعرف اليوم باسم تيهوا)(٣)، والكلية الإسلامية فى مدينة (شينينغ) عاصمة شنغهاى، وهى كلية إسلامية لتخريج العلماء المسلمين بعد خمس سنوات دراسة لعلوم الإسلام والاقتصاد الإسلامي(٤).

وكانت بعض مدن مقاطعة كانسو في شرق سينكيانج(٥) محط طلاب العلم والمثقفين من جميع أنحاء الصين، وأن المساجد التي أُحصيت في بعض مدن الولاية قد بلغت المئات، والمسلمون في كانسو يتميزون بأنهم يُعرفون باسم (كياومن – Kiawmen) أي أهل الدين(٦)، وفي مدينة بينج ليانج (أو بينغ ليانغ في الجنوب من كانسو) جامعة إسلامية(٧).

إسلامية(٧).

وفي مقاطعة يونان(٨) كان يعمل الأستاذ (عبد الرحمن نانونج)، الذي نال العالمية من الأزهر الشريف، وعاد سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م ليعمل مدرساً للغة العربية في مقاطعة يونان، كما عمل مدرساً للتاريخ في أكاديمية العلوم الصينية، وهو الذي قاد الفريق الذي كان يعمل في ترجمة مؤلفات الأستاذ أحمد أمين الذي كان أستاذه بكلية دار العلوم بالقاهرة في

---

(١) نينغ هسيا إقليم يتمتع بالحكم الذاتي منذ سنة ١٩٥٨م، مساحته ٦٦.٥٠٠ كيلومترا مربعا، وتبعد عن بكين قرابة ١٨٠٠ كيلومترا ، فُصلت عن كانسو بغرض تجزئة بلاد المسلمين، وعدد سكانها مليونان تقريباً ، منهم ٧٥% مسلمون من قومية الهوي ، ومدينة نينغ هسيا هي عاصمة الولاية وبها حوالي ألفي مسجد، ومن أهم مساجدها مسجد نانقون وهو في وسط العاصمة نينغ هسيا ومسجد جونق داس ، وان حاكم المقاطعة ونائبه يشترط أن يكونا من المسلمين لأن المسلمين بالمقاطعة يمثلون الأغلبية ، شاكر : تركستان الصينية، ص٦٤ـ٦٥ ، المسند : الصين ، ص٢٢ـ٢٨ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٠.

(٢) المسند : الصين ، ص٢٢ـ٢٨.

(٣) المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ٥٥٨.

(٤) عبدالفتاح إبراهيم: العالم الإسلامى في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ج١ ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص٥٨ ، ٥٩ ، إذاعة الصين الدولية : مقال بعنوان الحياة الدينية للصينيين

(٥) تعد مقاطعة كانسو من الأقاليم التي بها كثرة إسلامية ومساحتها قرابة ٣٦٧.٠٠٠ كيلو متراً مربعاً، وسكانها قرابة ١٤ مليون نسمة منهم ٧٥% (أو ٨٠%) مسلمون، وعاصمتها مدينة (لان تشو ويقال لها اليوم كاولان) وقد فصلت عنها مدينتي هوتشيو وسينينج وضمتا إلى إقليم التبت لتجزئة المناطق الإسلامية وإذابة المسلمين في مجتمعات غير إسلامية ، شاكر : تركستان الصينية ، ص٦١ ، محمود أبو العلا : جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الطبعة الخامسة، مكتبة الفلاح، الكويت، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص٧٧ ، المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، ص٥٦٠.

(٦) شاكر: التركستان الصينية، ص٦٢.

(٧) شاكر : تركستان الصينية ، ص٦٢، رضوان: طه عبد العليم : في جغرافية العالم الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة سنة ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٢٦.

(٨) تقع مقاطعة يونان بين منطقتي التبت ومقاطعة ستشوان في الشمال وبين دولة بورما في الغرب، وفيتنام ولاوس من الجنوب، ومقاطعتي "كوانج سي" و "كيوتشو" من الشرق، وكان ظهور الإسلام فيها على يد رجل يدعى السيد الأجل (عمر شمس الدين)، ويزيد عدد المسلمين بها عن المليون نسمة وعاصمتها مدينة يونان ، آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٣٣٥، شاكر : تركستان الصينية، ص٦٧، رأفت الشيخ: المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا، ص١٦١ ، Bromhall; op.cit.pp.127.

الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي، وللأستاذ عبد الرحمن نانونج كتاباً عن (تاريخ العرب في العصور الوسطى) يُدرس في معهد اللغات الأجنبية في بكين(١).

ثالثاً ـــ الجمعيات الإسلامية ودورها الحضاري في الحركة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين:

قامت الجمعيات الإسلامية بدور كبير في إثراء الحركة الثقافية للمسلمين ومن تلك الجمعيات:

١ ـــ جمعية التقدم الإسلامي(٢): لقد حققت جمعية التقدم الإسلامي نجاحاً كبيراً في إثراء الحركة الثقافية للأقلية المسلمة المسلمة في الصين، فقد عملت تلك الجمعية على إنشاء مقار لإدارات التعليم (المعارف) في مقاطعة يونان الصينية، وكذلك إرسال البعثات العلمية من شباب الصين المسلم لتلقي العلم في مصر، ففي سنة ١٣٥٠هـــ/١٩٣١م سافرت إلى مصر أول بعثة من أبناء مسلمي الصين لدراسة الإسلام فى الأزهر الشريف، منهم الأستاذ (عبد الرحمن ناجونغ) الذى تخصص فى التاريخ الإسلامي وعمل فى التدريس والترجمة بعد عودته إلى الصين(٣)، والأستاذ (محمد مكين) الذى قدر له أن يصبح من علماء المسلمين البارزين(٤) بعد عودته إلى الصين، فكتب عدة مقالات فى جريدة الفتح المصرية سنة ١٣٥١هـــ/١٩٣٢م، وقدمته الجريدة باعتباره صينياً من المجاورين بالأزهر الشريف، وهؤلاء من بين خمسة أشخاص سافروا فى هذا العام (١٣٥٠هـــ/١٩٣١م)، وفى سنة ١٣٥١هـــ/١٩٣٢م سافر خمسة آخرون لنفس الغرض، وثلاثة فى سنة ١٣٥٢هـــ/١٩٣٣م، وستة فى عام ١٣٥٣هـــ/١٩٣٤م، ثم ستة عشر دفعة واحدة فى سنة ١٣٥٦هـــ/١٩٣٧م وسميت باسم البعثة الفاروقية مجاملة لملك مصر السابق (الملك فاروق)، وحرصت أول بعثه صينية إلى الأزهر الشريف على مجاملة أبيه (الملك فؤاد)، فحملت إليه البعثة هدية من الشاي الصيني الذي لم يكن قد سمع به من قبل(٥).

كما قامت تلك الجمعية بإنشاء المدارس الإسلامية في الصين، فقد أنشأت هذه الجمعية مدرسة ابتدائية إسلامية فى عاصمة مقاطعة يونان الصينية، ثم أعقبتها بإنشاء مدرسة ثانوية تدرس فيها اللغتان العربية والصينية والعلوم الدينية والعصرية الحديثة واعترفت بها وزارة التعليم فى الحكومة المركزية الصينية، كما أنشأت فى مقاطعتي شنغهاى وسيتشوان مدرستان للمعلمين الإسلامية، وكان ذلك فى عهد الجمهورية الصينية (١٣٢٩ـــ١٣٦٩هـــ/١٩١١ـــ١٩٤٩م) حتى شهد مجتمع المسلمين فى الصين نهضة ثقافية وتعليمية كبرى تجسدت فى مجموعة من المعاهد والمدارس الأمر الذى أدى إلى دخول مدارس التعليم الإسلامي في كل منطقة تضم تجمعاً إسلامياً(٦).

كما قامت تلك الجمعية بإصدار المجلات ذات الصوت الإسلامي مثل إصدار مجلة (المنبه الإسلامي) فى مقاطعة يونان الصينية، والتى كانت تصدر باللغة الصينية وتمول عن طريق مساهمات المسلمين وزكاة أموالهم، وكذلك مجلة (نور الإسلام)

---

(١) المسند : الصين ، ص١٠٣ـــ١٠٤.

(٢) تأسست جمعية التقدم الإسلامي سنة ١٣٣٠هـــ/١٩١٢م ومقرها الرئيسى بكين، ثم انتقلت نشاطاها العملية إلى مقاطعة يونان فيما بعد حيث تمركزت هناك، وأنشأت لها فروعاً عديدة بلغت حوالى ثلاثة آلاف فرع فى مناطق المسلمين، كما امتدت نشاطاها حتى وصلت إلى رانجون عاصمة ماينمار المجاورة (بورما سابقاً)، وقيل إن عدد الفروع التابعة لهذه الجمعية بلغت حوالي ثلاثمائة فرع ، ياغى : إسماعيل ياغي ، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر، ج١، الطبعة الثانية، مطبعة العبيكان، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م، ص٣٥٨ ، هويدى: الإسلام فى الصين ، ص ١١٠، المسند : الصين ، ص١٢٨.

(٣) قيل إنه كان يعمل مدرساً للتاريخ الإسلامي والترجمة فى أكاديمية العلوم الصينية، المسند : الصين ، ص١٢٨ـــ١٢٩.

(٤) كان محمد مكين عضو أول بعثة درست الإسلام في الخارج وأكمل دراسته في الأزهر الشريف وكلية دار العلوم بمصر ، وبعد عودته من مصر عمل أستاذاً بجامعة بكين حتى توفي سنة ١٩٧٨م، ومن مؤلفاته (سيف محمد ﷺ) و (موجز شرح القرآن الكريم) و(ترجمة القرآن الكريم)، و(رسالة علم الكلام) و(تاريخ التعليم الإسلامي) و(منهاج التقويم الهجري) ، المسند : الصين ، ص١٣٥ـــ١٣٦.

(٥) هويدى: الإسلام فى الصين ، ص ١١١.

(٦) هويدى: الإسلام فى الصين ، ص ١١٠.

التي أصدرها الشيخ (شانغ وينغ تشاي) الذي عمل إماماً ومعلماً ومحرراً، وعمل هو وأفراد أسرته على طبع تلـــك المجلـــة وتوزيعها(١).

٢ ـــ جمعية الأدب الصيني:قامت جمعية الأدب الصيني ـــ التي تأسست سنة ١٣٤٥هـــ/١٩٢٦م فى مدينـــة شـــنغهاى الصينية على يد (هلال هاته) الذى أنهى تعليمه بمصر وكان يجيد اللغة الأوردية ـــ بوضع برنامج يقوم على ترجمة معـــان القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وإصدار مجلة إسلامية شهرية، وكذلك الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه فى أنحاء الـــبلاد، وإنشاء مدارس للتعليم الحديث، وكذلك العمل على نشر الثقافة بإيجاد مكتبات ودور للقراءة، وافتتاح مركـــز للطلبـــة المسلمين فى مدينة شنغهاى، والعمل على تقديم المنح الدراسية للطلاب المسلمين المتفوقين، هذا بالإضافة إلى افتتاح مدارس للتعليم الليلى(٢).

٣ ـــــ اتحاد المسلمين الصينيين:تأسس اتحاد المسلمين الصينيين في بكين بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ـــــ١٩٤٥م)، وقد عمل هذا الاتحاد على تقديم الخدمات الثقافية للمسلمين في الصين، حيث أقدم هـــذا الاتحاد على إصدار مجلة حملت اسم (الإسلام)، كما صدرت للمسلمين فى مدينة شنغهاى جريدة حملت اسم (نور الإسلام)(٣).

٤ ـــــ الجمعية الإسلامية الصينية:قامت الجمعية الإسلامية الصينية(٤) بدور كبير في النهضة الثقافية بالصين، فقد أنشأت أنشأت تلك الجمعية ملحقاً بمقرها ضم معهداً إسلامياً ومصلى ومكتبة ومعرضاً للكتب به العديد من المخطوطات المكتوبة باللغة العربية أبرزها مصاحف محفوظة قديمة، وكتب إسلامية باللغة الصينية وكتب تاريخية قيمة(٥).

وبدأت الجمعية الإسلامية الصينية تمارس نشاطها الثقافي في الصين حيث قامت بعقد عدد المؤتمرات الإسلامية، فكـــان أول مؤتمر للمسلمين الصينيين سنة ١٣٧٣هـــ/١٩٥٣م، والمؤتمر الثانى ســـنة ١٣٧٦هــــــ/١٩٥٦م، والثالـــث ســـنة ١٣٨٣هـــ/١٩٦٣م، والرابع سنة ١٤٠١هـــ/١٩٨٠م، بمقاطعة سينكيانج، وفى هذا المؤتمر تحقق الكثير مـــن الأهـــداف والنتائج من أهمها إعادة طبع المصحف الشريف باللغة العربية بعد توقف دام حوالى ١٥ سنة، فقد تم طبع حـــوالي ٢٠٠ ألف نسخة من القرآن الكريم(٦)، وكذلك تقديم العديد من الخدمات للمسلمين فى هذا الإقليم منها زيادة عدد المساجد، المساجد، فقبل الثورة الثقافية فى الصين بلغت المساجد حوالي ١٤١١٤ مسجداً، ارتفعت إلى حـــوالي ٢٢ ألفـــا و٩٤٠ مسجداً، كذلك تشجيع انتشار حلقات تحفيظ القرآن الكريم التي أقبل عليها الأطفال، وازدياد إقبال الشباب والنساء على المساجد، حتى أن بعض المساجد فى مدينتي خُتن وكاشغر(وهما من مدن إقليم سنكيانج المسلم)(٧) خصصـــت أمـــاكن

---

(١) ياغى ، شاكر: تاريخ العالم الإسلامى ، ج١ ، ص٣٥٨، المسند : الصين ، ص١٢٨.

(٢) ياغى ، شاكر: تاريخ العالم الإسلامى ، ج١ ، ص٣٥٨.

(٣) ياغى ، شاكر: تاريخ العالم الإسلامى ، ج١ ، ص ٣٥٨.

(٤) تأسست هذه الجمعية سنة ١٣٧٣هـــ/١٩٥٣م فى بكين، وعن نشأة هذه الجمعية الإسلامية أن بعض المسلمين وفى مقدمتهم الحاج برهان شهيدى والحاج نور محمد (دابو شنغ)، تقدموا باقتراح لإنشاء هذه الجمعية الإسلامية الجديدة، وتمت الموافقة على هـــذا الاقتـــراح ونفـــذ فى سنة١٣٧٣هـــ/١٩٥٣م، وقد قدر للحاج برهان شهيدى أن يكون رئيساً للجمعية منذ إنشائها حتى أوائـــل ســـنة ١٤٠١هـــــ/١٩٨٠م، ثم انتخب نائبه محمد على تشانغ رئيساً للجمعية بعد ما أقعدت الشيخوخة الحاج برهان شهيدى، وقيل إن مقر هذه الجمعية كانت بشارع يسمى شارع البقر فى بكين، هويدى : الإسلام فى الصين ، ص ١٣٧ ، ٢١٢، المسند : الصين ، ص١٩٥.

(٥) العبودى: داخل أسوار الصين ، ج١ ، الطبعة الأولى ، مطبعـــة الفرزدق ، الرياضـــ السعودية سنة ١٤١٢هـــ/١٩٩٢م ، ص١١٢.

(٦) المسند : الصين ، ص٢١٠.

(٧) عن ختن وكاشغر أنظر : النرشخي : أبو بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارى ، عربه عن الفارسية : أمين عبد المجيد بدوي ، ونصـــر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف مصر سنة ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م ، ص٦٧ ، ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، بيروت سنة ١٣٧٦هـــ/١٩٥٧م ، ص٣٤٧ ، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج٤ ، القاهرة ســـنة ١٩٧٧م ، ص٤٤١ ، فامبري : أرمنيوي : تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمود الساداتي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعـــة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٥م ، ص٤٥ ، حاشية رقم (١) ، كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الطبعة الثانية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م ، ص٥٣٠ .

للنساء، وكذلك العمل على ارتداء الحجاب للنساء، وزيادة عدد الحجاج إلى أكثر من ٤٠٠٠ حاج سنوياً، وتشجيع انتشار المدارس الدينية والإسلامية الخاصة للبنات، كما أصبحت كلمة العالم أو الإمام مسموعة ونافذة، وانتشرت الاجتماعات والندوات الثقافية الدينية التي أقبل عليها الشباب والمثقفون المسلمون، واتجه الدعاة إلى توضيح عقيدة الإسلام وأحكامه لعامة الجمهور والناس جهاراً(١)، كما تم فتح فصول مسائية لتعليم الكتابة والقراءة بالحروف الأبجدية العربية(٢).

وعملت الجمعية الإسلامية الصينية على استئناف إصدار المجلات مثل مجلة (المسلمون في الصين) التي صدرت في سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م ثم توقفت، وفتح معهد إسلامي في الصين سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ثم توقف قرابة ٢٠ عاماً، وكذلك طبع بعض الكتب مثل كتاب (تاريخ الإسلام في الصين)(٣)، كما تم طبع العديد من الكتب في السنوات الأخيرة الأخيرة مثل طبع القرآن الكريم، وطبع دعاء ختم القرآن، وترجمة معاني القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد مكين باللغة الصينية والإيغورية، وترجمة كتاب (جواهر البخاري مع شرح القسطلاني) باللغتين الصينية والتركستانية، وطبع كتاب (تفسير الجلالين)، وكتاب (اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان)، وكذلك طبع خطب الجمعة، وطبع كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين)(٤).

كما ساعدت الجمعية على اشترك المسلمين في مجلس النواب الصيني، حيث شهدت تلك الفترة اشتراك المسلمين في البرلمان الصيني، وفي مختلف المجالس الإقليمية الصينية(٥).

وعملت الجمعية على افتتاح عدد من الفروع التابعة للجمعية في أنحاء متفرقة من الصين، ووضعت خطة عمل لترجمة القرآن الكريم، وترجمة كتب الحديث من اللغة العربية إلى اللغات المحلية، وقد نشرت هذه الترجمات منذ فترة قريبة(٦)، وأصبحت الشهادة الإسلامية " لا إله إلا الله محمد رسول الله " أمراً دينياً و لم تعد أمراً سياسياً، وأصبح الدين للمسلم هناك جزء لا يتجزأ من الجنسية، فقد سأل أحد المراسلين رجلاً كان يتكلم باللغة الإنجليزية في الشارع " هل أنت أحد الأيغور فأجاب بكبرياء نعم أنا مسلم"(٧).

كما عملت الجمعية على إرسال البعثات التعليمية إلى الخارج، فقد أرسلت الجمعية بعض الطلاب إلى جامعة الأزهر الشريف في مصر، والبعض منهم إلى العراق لإتمام الدراسات الإسلامية(٨).

هذا بالإضافة إلى إقامة الدورات التعليمية للأئمة والخطباء لمدة شهر في مدينة أوروموسى(أو أورمجي) عاصمة تركستان الصينية (الشرقية) في منتصف سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ونظراً لاختفاء العديد من الأئمة والخطباء أثناء الثورة الثقافية تعمل الجمعية الإسلامية في الصين على إعداد كوادر جديدة من الأئمة والخطباء للمساجد الجديدة التي افتتحت وبنيت حديثاً في مقاطعة سنكيانج ونينغشيا(٩).

---

(١) الشبكة الإسلامية: مقال بعنوان مسلمو التركستان الشرقية ، بتاريخ الأحد ٢٠٠٢/٥/٢٦م.

(٢) ألبتكن: اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلحة في العالم، ج١ ، ص٤٨٢.

(٣) الشبكة الإسلامية: مقال بعنوان مسلمو التركستان الشرقية ، بتاريخ الأحد ٢٠٠٢/٥/٢٦م.

(٤) العبودي: داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص٢٧ ، المسند : الصين ، ص١٩٦، ٢١٠.

(٥) ياغي ، شاكر: تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، ج١ ، ص٣٥٩ ، هويدي: الإسلام في الصين ، ص٢٥ ، ٢٦ ، ١٤٠ ، ١٤١.

(٦) غلام الدين باهتا: وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين والمعروف باسم التركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم، ج١، ص٤٦٤.

(٧) غلام الدين باهتا: نفسه ، ص ٤٦٨ ، Los Angoles Times , 27 May , 1981

(٨) قامت الجمعية بإرسال عشرة طلاب إلى جامعة الأزهر وعشرة طلاب إلى جامعة بغداد بالعراق، المسند : الصين ، ص١٩٦.

(٩) المسند : الصين ، ص١٩٦ـ١٩٧.

كما قامت الجمعية الإسلامية الصينية بإرسال بعض الوفود إلى بعض الدول الإسلامية مثل مصر وباكستان والعــراق والجزائر والأردن والكويت، كما استقبلت وفوداً إسلامية استطلاعية من مصـــر ورابطـــة العـــالم الإســـلامي والـــيمن وماليزيا(١).

٥ ـــ الجمعية الإسلامية في مقاطعة نينغ هشيا:

أما الجمعية الإسلامية فى مقاطعة نينغ هشيا والتي يتبعها حوالي ١.٣٠٠.٠٠٠ مسلم، فقد عملت على إقامة المعهـــد الإسلامي بالمقاطعة، وإقامة مدرسة ابتدائية، ومدرسة متوسطة لتربية جيل جديد من المسلمين، وطبع القرآن الكريم وكتاب تفسير الجلالين (وهو كتاب في علم التفسير) وتوزيع هذه النسخ على المسلمين، والمساعدة فى تأسيس مدرسة إســـلامية بالتنسيق مع حكومة المقاطعة وتم اعتماد مبلغ كدفعة أولى ومقداره (٥٦ ألف ين صينى)، وكذلك عقد دورات تدريبيـــة للعلماء والأئمة لتدريبهم فى مجال الدعوة، والمساهمة في نشر سياسة حرية الأديان، والعمل على تطوير وتحسين مســـتوى الأداء لدى الأئمة والعلماء، والعمل على نشر روح التعاون بين المسلمين(٢).

و لم يكن غريباً على الصين أن يتوالى إنشاء جمعيات للمسلمين وإصدار صحف خاصة بهم، مثل الجمعيـــة الإســـلامية الصينية فى (شنغهاى)، والجمعية العامة للمسلمين فى (نانكن) عاصمة الصين آنذاك بإذن من الحكومة الصينية(٣).

رابعاً ـــ الكتب والمؤلفات الإسلامية:

كان للكتب والمؤلفات الإسلامية أثر كبير فى تحول الصينيين إلى الإسلام، وإثراء الحركة العلمية للمسلمين في الصين، فكان العديد من المكتبات يوجد بها الآلاف من الكتب، ففي مكتبة المسعودي بكاشغر قرابة ٢٠٠ ألف كتاب، كما ظهر مئات من مؤلفات علماء الإسلام الذين ذاع صيتهم في أنحاء العالم الإسلامي، وألفت المئات مـــن الكتـــب القيمـــة، وتم اكتشاف ١٥٠ مؤلفاً في مدينة كاشغر، ومن بين تلك المؤلفات كتاب كتبه العالم التركماني المسلم يوسف حاجب بعنوان (كوتات ـــ كوبليك)، وكتاب (ديوان لغات الترك) الذي كتبه محمود كاشجاري، وكتاب (أنا بيت الحقائق) الذي كتبه أحمد يوكنكي(٤)

ومن بين هذه المؤلفات أيضا كتاب (الهدايـــة إلى قواعـــد الـــدين الصـــحيح)، الـــذى نشـــر فى كـــانتون ســـنة ١٠٧٩هــ/١٦٦٨م، وهو كتاب يثنى على نشاط الدعوة إلى الإسلام، ويشير إلى هؤلاء الذين دخلوا الدين الإســـلامي حديثاً من الوثنيين الصينيين(٥)، ويتعلم حديثى العهد بالإسلام قواعد الدين الإسلامي بطريقة منظمة، وقد أسلم كثير من من الصينيين بسبب تأثير كتب المسلمين فى الصينيين(٦).

وكانت لغة المسلمين ولغة كتاباتهم في الصين هي اللغة الصينية، وإن كانت لهجتهم فيها بعض الاختلاف حيث يُعرف الصيني المسلم من الوثني، ويغيب عن بعضهم دراسة اللغة الصينية لاعتبارها لغة الكفرة، ويعتبرون اللغة العربية هـــي لغـــة القرآن والسنة، وعلى كل مسلم أن يدرسها ويقدسها، وهذا ما جعل بعضهم يبتعد عن دراسة اللغة الصـــينية فأضـــحوا جاهلين مما أبعد المسلمين عن الوظائف(٧) الهامة.

---

(١) العبودي : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص٢٧ ، المسند : الصين ، ص١٩٦.

(٢) العبودي : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص٢٧ وما بعدها ، المسند : الصين ، ص١٩٦.

(٣) هويدى : الإسلام فى الصين ، ص ١١١.

(٤)ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٦.

(٥) العبودى : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص ١١٤ .

(6) Bramhall Marshal: Islam In China, London, 1910, pp.231 -232
- Smith. W. J: The Present phases of The Mohommeda question, The
- Churchman, London, 1880, p. 175 .

(٧) شاكر: تركستان الصينية ، ص٥٧.

وفي سيكيانج استخدم التركمان المسلمون الكتابة العربية، وكان الإمام (حسين حالف) هو أول تركماني مسلم قـام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة التركمانية(١).

المبحث الرابع

المساجد الإسلامية وأثرها على الحركة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين

تعد المساجد ضرورة دينية وسياسية واجتماعية بالنسبة لكل مسلم على حده وبالنسبة لجماعة المسلمين عامة(٢)، كما تعد ضرورة ثقافية وتعليمية وإعلامية أيضا، وقد لعبت المساجد الصينية دوراً كبيراً فى التعليم الدينى الذى كان يتم داخل تلك المساجد، وكذلك نشر وتنمية الإسلام في الصين، وقد قام المسلمون فى الصين ببناء العديد من المساجد منـذ فتـرة مبكرة من وصول الإسلام إلى تلك البلاد، فأقاموا المساجد فى تركستان الشرقية (سـينكيانج) ومقاطعـات تشـانغان، وقواتغتشو، وتشيوانتشو، وهانغتشـو، وقد زُينت تلك المساجد بالكتابات العربية(٣).

أولاً ــ دور المساجد في الحركة العلمية في الصين:

قامت المساجد بالرسالة الإسلامية في إثراء الحركة الثقافية فى تلك البلاد منها:

١ ــ إقامة الشعائر الدينية: فيقول ابن بطوطة عن المساجد فى عهد المغول " وفى كل مدينة من مدن الصـين حـي للمسلمين يقومون فيه، ولهم فيها المساجد لإقامة الشعائر الدينية، والمسلمون معظمون محترمون"(٤).

٢ ــ تعليم المسلمين الصينيين: للفكر الإسلامي الذى كان يجرى عن طريق التلقين الشفوى، فكان في بعض المساجد أروقة للإدارة والتدريس، وسكن للطلبة والمسافرين(٥).

٣ ــ التعليم الدينى: الذى بدأ فى المساجد مع أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، وقد بدأ فى مقاطعة شنشى، ومن هنا صار فى كل مسجد عدة طلاب يتعلمون من إمام المسجد القرآن الكـريم، والحـديث، والفقـه، والتوحيد، وكذلك اللغة العربية والفارسية، وكان في كل جامع مُكتب (أو كُتاب) يعلم فيه الإمام (الذي يقـال لـه آهونغ)(٦) الأولاد الصغار العقيدة الإسلامية واللغة العربية(٧).

٤ ــ التوسع فى نشر الدين الإسلامي: فى الصين.

٥ ــ إعداد مجموعات من العلماء الإسلاميين البارزين: الذين مكنهم تفانيهم في دراسة الشريعة الإسلامية من تأليف العديد من الكتب الإسلامية باللغتين العربية والصينية، ومن أشهرهم :

الشيخ وانغ داى يو: وهو أول من ألف عن الدين باللغة الصينية، وله مؤلفات أخرى في التوحيد والفقـه وأحكـام الدين، صاحب كتاب (الأجوبة الصحيحة على الدين الحق)، وكتاب (حقيقة الإسلام)(٨).

---

(١) ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٦ــ٤٧٧.

(٢) حلاوي : محمود مصطفى : دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة آلامها وآمالها ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـــ/١٩٩٩م ، ص٣٢٧.

(٣) محمود شاكر : تركستان الصينية، ص٧٩.

(٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٣٠ ــ ٦٣٥ .

(٥) المصري : حاضر العالم الإسلامي ، ج١ ، ص٥٦٨.

(٦) يعرف الإمام في الصين وفي مقاطعة يونان خاصة باسم (آهونغ) وهي كلمة صينية مكونة من مقطعين (آ) و (هونغ) وهي مـأخوذة مـن الكلمة الفارسية (آخوند) بمعنى المعلم وهو بمثابة القائد الأعلى للشئون الدينية في المسجد ومهمة الآهونغ إمامة المصلين في المسجد ويلقي خطبة الجمعة والعيدين، والتدريس في المسجد ، ويقال للأستاذ في علم التوحيد (هوليفو) وإذا ارتقي يقال له (أهونغ) ، وأحياناً يقال لـه (أوسـوتو) بمعنى الأستاذ وهؤلاء الذين نالوا العلم في مدن كانسو أو الأزهر الشريف ، وإذا ذهب إلى الحج يقال له (أولتش) ، ويقال للشـيوخ الكبـار (سوفو) ، محمود شاكر : تركستان الصينية، ص٧٧ ، أسامة منصور : التعليم الإسلامي في الصين ، ١٠١ــ١٠٢.

(٧) محمود شاكر : تركستان الصينية، ص٧٧.

(٨) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٧.

ـــ والشيخ ماتشو: صاحب كتاب (إرشاد الإسلام)(١).

ـــ الشيخ ليوتشه: صاحب كتاب (حقائق الإسلام)، وكتاب (سيرة خاتم الأنبياء)(٢).

ـــ الشيخ مافوتشو: صاحب كتاب(خلاصة أصول الدين الأربعة)، وكتاب (مقصد الحياة)(٣).

ولم تكن تلك المؤلفات الدينية الإسلامية تتناقلها أيدي الجموع الفقيرة من المسلمين الصينيين جيلاً بعد جيل فحسب، بل فتحت لغير المسلمين نافذة على تعاليم الإسلام هى الأخرى.

ثانياً ـــ أهم المساجد في الصين :

من بين المساجد الصينية التى لعبت دوراً كبيراً فى نشر الإسلام وتأكيد الدعوة الإسلامية فى الصين:

١ ـــ مسجد نيوجيه أو جامع نيوجيه :ويقال له مسجد شارع البقـــر(٤)، وقـــد أســـس هـــذا المســـجد في ســـنة ٣٥٦هــ/٩٦٦م بالعاصمة الصينية بكين، ويعد من أقدم وأفخم المساجد الإسلامية، وقد خرب فى عهد عصابة الأربعـــة إبان فترة الثورة الثقافية فى الصين (١٣٨٦ــ ١٣٩٦هــ/١٩٦٦ــ ١٩٧٦م)، حيث أغلقت أبوابه الأربعـــة، فى الفتـــرة ١٩٦٦ـــ١٩٧٦م، وبعد رحيل عصابة الأربعة أعيد ترميمه وإصلاحه وافتتاحه سنه ١٩٧٩م، ومساحته الكلية حـــوالي ٥٧٠٠ متراً مربعاً، ومساحة المصلى ٦٠٠ متراً مربعاً تقريبا، ويسع لألف مصل، وبه مئذنة وبرج لرؤية هـــلال الشـــهر العربي كما كانت العادة من قبل، وفى شماله وجنوبه قاعات واسعة لتعليم الدين الإسلامي ونشر تعاليمه، وبه عدد مـــن القاعات الواسعة التى تخصص لإقامة الحفلات(٥).

٢ ـــ مسجد خواتشى :ويقع فى شارع " خواتشى " ولذلك نسب إليه من حى جونغ دينغ جو وهذا الحى من أحياء بكين القديمة، وعلى مدخله كتبت الآية الكريمة " وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً "(٦)، ويرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد من خمسمائة سنة، وقد نالـــه ما نال أكثر المساجد فى الصين من أضرار خلال الثورة الثقافية، وبقى مغلقاً إلى ما بعد سقوط عصابة الأربعة، وقد تم افتتاحه أواخر سنة ١٩٨٣م، وملحق بالمسجد عدة غرف أعدت أحداها لاستقبال الضيوف، وثانية لإقامة الإمام، وأخرى للمؤذن، وأخرى لخدم المسجد، وعلاوة على تأدية المسلمين بالمسجد الشعائر الدينية، يتعلم البعض من المسلمين الصغار والكبار تعاليم الدين الإسلامي.

٣ ـــ جامع بكين :هو الجامع الوحيد فى بكين الذى لم يغلق إبان الثورة الثقافية، وقيل إن الحكومة الصينية أبقت عليـــه بتدخل من رئيس وزراء الصين السابق (شوان لاى) وذلك مـــن باب الدعاية أمام سفراء الدول العربية والإسلامية الذين يعملون فى الصين حيث كان بعضهم يصلي فيه الجمعة وصلاة العيد(٧). وكان يطلق عليه اسم مسجد "دونغ سى" بمعنى بمعنى المسجد الشرقى، لوقوعه فى الحى الشرقى من مدينة بكين القديمة، وقد بنى هذا المسجد سنة ٨٥١هــ/١٤٤٧م على يد قائد عسكرى كبير مسلم في الجيش الإمبراطوري إسمه "تشن يو" وكان رجلاً صالحاً ويرجع أصله إلى العرب الـــذين سكنوا بكين منذ أمد بعيد، وهناك صندوقاً للتبرعات لأعمار المسجد وإبقائه على مظهره الصينى، وملحق بالمسجد مجموعة من الغرف التى يوجد بها العديد من المخطوطات أكثرها باللغة العربية ومصاحف كريمة مخطوطة فى فترات تاريخية مختلفة،

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٧.

(٢) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٧.

(٣) هويدي : الإسلام في الصين ، ص٨٧.

(٤) سمي بمسجد شارع البقر لأن المسلمين كانوا يقومون بذبح كميات كبيرة من البقر والغنم في هذا الشارع وتباع اللحوم لعامة المســـلمين ، شيو يوان : المسلمون الصينيون (أسئلة وأجوبة) ، الطبعة الأولى ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين سنة ١٩٩١م ، ص٤٢.

(٥) العبودي : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص٦٥ ،٦٦ ، ١٢١ـــ١٢٤.

(٦) سورة آل عمران : آيه ٩٧ .

(٧) العبودى : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص ١٩٦ ـــ١٩٨ ، ٢٠٧ ـــ ٢١١ ، المسند : الصين ، ص١٦٥ـــ١٦٦.

وتوجد مكتبة ملحقة بالمسجد بها مجموعة من الكتب المطبوعة باللغة العربية والصينية، منها كتاب " أسمـــاء الله الحســـنى" باللغة العربية والصينية، وكذلك مدرسة ملحقة بالمسجد لتعليم أصول الدين الإسلامي واللغة العربية(١).

٤ ـــ **المسجد الكبير**: ويسمى مسجد " شي جن دونغ " ويقع على الشارع العام المسمى " جن دونغ " فى مدينة لانجو بمقاطعة كانسو فى حى يقال له " لى خه " بالمدينة، ويعود بناؤه إلى سنة ١٤٠١هـــ/١٩٨١م، وهو معلم إسلامي واضح فى ذلك الحى من مدينة لانجو(٢). وقد قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـــ المنطقة الشرقية ـــ بالمملكـــة العربيـــة السعودية، بتشييد ثلاث مساجد بالصين، يتسع كل مسجد ل ٥٠٠ مصل، ويزود كل مســـجد بملحقاته التي تتكـــون مـــن فصـــل دراسي (مدرسة إسلامية)، وسكن للإمام والمؤذن، وقاعة للنساء لتأدية الصلاة، وقد فتحت هذه المســـاجد ليعلو فيها ذكر الله ويعمرها المسلمون بالصلاة، وهذه المساجد تدعم الوجود الإسلامي لأبناء الأقلية المسلمة فى الصين(٣). الصين(٣). وفى بعض الإحصاءات الرسمية عن الهيئات الإسلامية فى الصين أن عدد المساجد فى الصين: طبقاً لإحصائية سنة سنة ١٤٠٩هـــ/١٩٨٨م كانت حوالي ٢٣.٠٠٠ مسجداً، وقيل ٣٥.٠٠٠ مسجداً، منهـــا حوالي ٢٢.٩٤٠ مسجدا فى سيكيانج، وكذلك فتح مساجد فى بكين، وشنغهاى، وجوانجزهو (كانتون) من أجل الدبلوماسيين المســـلمين والـــزوار والطلاب(٤).



مسجد نيوجيه أحد المساجد القديمة فى بكين العاصمة



مسجد تونغشين فى مقاطعة نينغشيا الصينية



مسجد كوتشة الكبير فى مقاطعة سينكيانغ



أحد المساجد في الصين

المبحث الخامس

الثورة الثقافية وأثرها على الحركة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين

عندما قامت الثورة الثقافية في الصين (١٣٨٦-١٣٩٦/١٩٦٦-١٩٧٦م) أنزلت بعض المتاعب بالمسلمين، وحرمتهم من بعض الامتيازات التي كانت قد منحت لهم من قبل، ولقد شكلت تلك الثورة منذ قيامها مجموعـــة ثوريـــة لمقاومـــة الإسلام، وإصدار العديد من الإجراءات ضد المسلمين هناك مما أثر على الجانب الثقافي للأقلية المسلمة في الصين منها:

---

(١) العبودى : داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص ١٩٦ ـــ١٩٨ ، ٢٠٧ ـــ ٢١١ ، المسند : الصين ، ص١٦٥ـــ١٦٦.

(٢) تقع مقاطعة كانسو فى شمال غرب الصين وبها ١٤ جمعيـــــة إسلامية فرعية و ١٤ محلاً لبيع الكتب الإسلامية ، وحوالى ٢٥٠٠ مسجداً ، وفى مدينة لانجو أكثر من ٥٠ مسجداً ، العبودى ، داخل أسوار الصين ، ج١ ، ص ٢١٧ ، ٢٥٠.

(٣) الندوة العالمية للشباب الإسلامى تنفذ (١٧) مسجدا فى الصين وكمبوديا ونيبال ، مقال على موقع :
www .Shohood . Net.. ٢٠٠٥/٦/١م، بتاريخ

(٤) Islam behind The Curtain" Arabia, The Islamic world Review, September 1981, (no-1).

أولاً ـــــ إغلاق المساجد في جميع أنحاء الصين:تعد المساجد من أهم المؤسسات التعليمية عند المسلمين، وعندما قامت الثورة الثقافية زعم الشيوعيون بأن المساجد والتجمعات الإسلامية وتلاوة القرآن الكريم تعوق التقدم، فقاموا بغلق جميع المساجد في أنحاء الصين(١)، ماعدا مسجد واحد فى بكين هو مسجد " تونج سى بالو" فى بكين ليصلى فيه الدبلوماسيون العرب والمسلمون فى المناسبات والأعياد، وذُكر أن أحد الدبلوماسيين ذهب إلى هذا المسجد لأداء صلاة الجمعة فلم يجد أحد سوى الإمام ومساعده والمؤذن وخادمان بالمسجد، كما تم هدم العديد من المساجد وحولت إلى ورش ومخازن ومحال تجارية وثكنات عسكرية وإسطبلات ومجازر..إلخ، حتى أنه من كان يريد الصلاة كان عليه أن يتخفى فى ركن فى منزله ليؤديها بينما هناك من يحرسه ليحذره من أي قادم يضبطه متلبساً بالوقوف بين يدي الله، وشمل ذلك بالطبع إقليم سينكيانج وكانسو ونينغ هشيا(٢)، كما تم انتهاك العديد من الأماكن المقدسة للمسلمين(٣).

ثانياً ـــــ القبض على علماء الدين المسلمين:أثناء الثورة الثقافية تم إساءة معاملة العلماء من المسلمين، حيث عذبوا وأجبروا على تنظيف المجاري وتربية الخنازير، وطولب العلماء وشيوخ الإسلام بالعمل في معسكرات العمل(٤)، كما تم القبض على علماء وفقهاء المسلمين والدفع بهم إلى المزارع والمصانع فجأة، وقد أدى ذلك إلى تفريغ المساجد من الأئمة وتعطيل إقامة الشعائر فيها، بل وتعرض العلماء وغيرهم للضرب والإهانة من قبل رجال الحرس الأحمر الصيني آنذاك، مثل الحاج محمد على تشانغ رئيس الجمعية الإسلامية الصينية الذي تعرض للضرب من شباب الحرس الأحمر، (وكان يقول إن ما جرى معي لا يمكن وصفه)، وقد ذكر هذه الواقعة نائبه الحاج إلياس، كما اعتقل الكثير منهم واقتيدوا إلى السجون، والذين لم يسجنوا ضربوا في الشوارع أو اقتيدوا وسط تهليل الجماهير وسخريتهم، وقد عُلقت على ظهورهم كلمات مثل الشياطين والأشباح والغيلان(٥).

وكان إجمالي ممن قبض عليهم أكثر من ٥٤ ألف إمام وعالم تم تعذيبهم وتشغيلهم بالسخرة في تنظيف المجارى وإجبارهم على العناية بأمور الخنازير وأكل لحومها، وظلت أعداد كبيرة من علماء المسلمين حبيسة في بيوتهم شهوراً طويلة خشية الخروج إلى الشوارع والتعرض للإهانة والسخرية، ورغم ذلك لم يسلموا من ذلك المصير المؤلم، فقد كانوا يُنتزعون من منازلهم، وتوجه إليهم الشتائم والسباب وكلمات التجريح باعتبارهم رمزاً للرجعية(٦).

ثالثاً ـــــ القضاء على التراث الإسلامي:في أثناء الثورة الثقافية بالصين مُزقت نسخ القرآن الكريم والحديث وغيرها من الكتب الإسلامية(٧)، وتم مصادرة الكتب والمخطوطات الإسلامية، فقد اقتحم رجال الحرس الأحمر بيوت المسلمين، وأخذوا ما لقوه من مصاحف وكتب وأحرقوها علناً في الشوارع، وكان ذلك خسارة فادحة للمسلمين خاصة وأن علماء المسلمين كانوا يحتفظون بعشرات المخطوطات المتوارثة منذ قرون مضت التي كان يلجأ المسلمون إلى كتابتها بخط اليد نظراً لتعذر طباعتها، ومن هؤلاء الأستاذ (عبد الرحمن ناجونغ) أستاذ التاريخ الإسلامي في معهد اللغات الأجنبية في بكين

---

(١) غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣ ، وقيل إن عدد المساجد التي أغلقت في تركستان الشرقية (سينكيانج) وحدها بلغ قرابة ٢٩ ألف مسجد وتم تحويلها إلى ثكنات وإسطبلات ومجازر : ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٩ ،

- Clyde. Ahmed Winters : Islam in The Peoples Republic of China, Hong Kong, 1979

(٢) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٧ ، The Los Anglos Times, 1983, p. 12.

(٣)غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣.

(٤)غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣.

(٥) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٦.

(٦) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٥ـــ١٤٦ ، وقيل إن عدد من أعدموا في تركستان الشرقية في الفترة ١٩٥٠ـــ١٩٧٢م حوالي ٣٦٠ ألف شخص، وشرد إلى البلاد المجاورة حوالي ١٠٠ ألف شخص، وسيق حوالي ٥٠٠ ألف شخص إلى معسكرات للأعمال الشاقة من بين ١٩ معسكراً ، ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٧٩ـــ٤٨٠ ، The Arab news, 22-9-1981.

(٧)غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣.

الذي أفنى حوالي ثلاثين عاماً في تكوين مكتبته الخاصة، فقد أخذت كتبه وألقيت مراجعه حيث أحرقت، ولم ينقذ من تلك الكتب سوى بعض المراجع التي تعد على أصابع اليدين(١).

رابعاً ـــ إغلاق المعاهد والمنظمات الدينية الإسلامية: في سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م تم إغلاق المنظمة الإسلامية الصينية، ومع الثورة الثقافية بالصين تم إلغاء المنظمات الدينية(٢) والتعليمية، وتم إغلاق المعهد الإسلامي التابع للجمعية الإسلامية الصينية، وتوقف هذا المعهد عن استقبال الدارسين منذ سنة ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م أي بعد أربع سنوات من افتتاحه، وهذا المعهد على الرغم من تواضعه كان بمثابة النافذة الوحيدة المتاحة أمام مسلمي الصين لدراسة القرآن الكريم والحديث والفقه واللغة العربية، وبالتالي لم توجد كوادر إسلامية تقوم بمهام الإمامة والخطابة ووعظ الناس، ولم يعد أمام المسلمين في المناطق ذات الكثافة السكانية الإسلامية مثل يونان وسينكيانج، إلا أن يتبادلوا نسخ الكتب والمخطوطات العتيقة لقراءتها وتوزيعها بين بعضهم البعض(٣). كما نجد أن حوالي ٢٦% فقط هم من المدرسين العاملين في المعاهد التعليمية العالية في تركستان الشرقية من التركمان المسلمين والباقي من الصينيين، وكل الكتب الدراسية المستخدمة في هذه المعاهد مكتوبة باللغة الصينية، ولذلك يجد خريجو المدارس الإقليمية صعوبة في اجتياز امتحانات المعاهد العالية لأن أسئلة الامتحانات تكون مكتوبة باللغة الصينية، ولذلك يضطر كثير من الآباء من المسلمين الذين يرغبون أن يلحقوا أبناءهم بالمعاهد العالية أن يدخلوهم منذ البداية في مدارس يكون التدريس فيها باللغة الصينية، ولسوء الحظ فإن هؤلاء الطلاب الذين يكملون دراستهم في المدارس الصينية يعجزن عن التحدث بلغتهم القومية، وعندما يتحدثون بها فإنهم لا يستطيعون تبليغ المعنى المراد ولذلك يضطرون لاستخدام كلمات صينية للتعبير عما يريدون، ومن ثم ينسى هؤلاء الشبان من المسلمين عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ويسلكون سلوك الصينيين(٤) ومن ثم يتم إبعاد الطلبة المسلمين عن لغتهم الأصلية لمحو الثقافة الإسلامية. الإسلامية.

وفي تركستان الشرقية تم إغلاق كل المدارس الملحقة بالمساجد، وعملت الثورة الثقافية على تحويل الطلبة المسلمين إلى المدارس الابتدائية الأخرى التي تقوم بتدريس تعاليم ماركس ولينين وماو(٥).

خامساً ـــ توقف البعثات العلمية إلى الأزهر الشريف :إمعانا في التضييق الثقافي على المسلمين في الصين تم إيقاف البعثات الدراسية المقرر إرسالها إلى الأزهر الشريف في مصر، وكانت آخر بعثة للمسلمين الصينيين في سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م، وظلت مثل هذه البعثات متوقفة لفترة طويلة (من سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م وحتى سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وبالتالي لم تتاح الفرصة لمن يدرسون عن الإسلام إلا قلة قليلة حوالي مائة شخص تقريبا في تلك الفترة(٦).

سادساً ـــ إيقاف بعثات السفر لأداء فريضة الحج :فقد تم إيقاف بعثات السفر إلى الحج للأماكن المقدسة بعد عام ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، إلا أنه مع سنة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م سمح لحوالي ألف شخص من سكان التركستان الصينية تأدية فريضة الحج(٧)، ومن المعروف أن الحج تعد من أحد الوسائل للالتقاء الحضاري والثقافي بين الشعوب.

سابعاً ــ تهجير المسلمين من أراضيهم :في بداية الستينيات من القرن العشرين الميلادي (الرابع عشر الهجري) تم نقل آلاف الأسر الصينية من قومية الهان (القومية اللادينية ذات الأغلبية الساحقة) إلى سينكيانج، ونقلت آلاف الأسر المسلمة

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٦.

(٢)غلام الدين: وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٢ـ٤٦٣ .

(٣) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٣ ، فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت .

(٤) ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٨١ـ٤٨٢.

(٥) ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٩ ، The Arab news, 22-9-1981.

(٦) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٣ ، فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت .

(٧) فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت .

من يونان وغيرها إلى مختلف مقاطعات الصين، وكان من نتيجة ذلك تغير التوزيع السكاني، فبعد أن كان المسلمون في سينكيانج يشكلون حوالى ٩٠٪ من عدد السكان سنة ١٩٤٢م، أصبحوا يشكلون حوالي ٤٠٪ من السكان سنة ٢٠٠١م(١)، ومعنى ذلك محاولة القضاء على الثقافة الإسلامية في تلك المناطق.

ثامناً ـــ توقف الإعلام الإسلامي :حيث توقف إصدار مجلة (المسلمون فى الصين)، ومجلة (بولاج أى المصدر أو الربيع)، التى ظهرت فى سنة ١٩٨٠م (١٤٠٠هـ)، وتوقفت عن الصدور فى سنة ١٩٨٤م (١٤٠٤هـ)(٢).

تاسعاً ـــ منع إستخدام الحروف العربية في الكتابة :مُنع المسلمون من استخدام اللغة القومية (مثل العربية والتركية) الخاصة بهم، وقيل إن اللغة التركية بالنسبة للمسلمين كانت تستخدم فقط في السنوات الأولى من التعليم، وفي أحد التقارير الصادرة سنة ١٩٦٩م قيل بأنه لا يوجد مدارس تستخدم اللغة القومية(٣)، كما مُنع المسلمون فى إقليم سينكيانج المسلم من استخدام الحروف العربية التي كان يستخدمها المسلمون الأيغور، وأجبروا على استخدام الحروف الصينية، واستخدمت حروف الهجاء اللاتينية لتلائم صوتيات اللغة الصينية، واتخذت خطوات لإدخال كلمات وتعبيرات صينية(٤)، كما فرضت فرضت الثورة الثقافية بأن الأعمال المكتبية لا تتم إلا باللغة الصينية فقط(٥).

عاشراً ـــ إتلاف الكتب العربية:في أثناء الثورة الثقافية وتحت شعار (مخلفات الماضي) تم عن عمد القيام بحملات لإتلاف كل ما هو إسلامي، فقد مزقت الكتب الخاصة بالقرآن الكريم وكتب الحديث وغيرها من الكتب الإسلامية، وأتلف نحو ٧٣٠ ألف كتاب باللغة العربية، وذكر البعض أن حرية الكتابة الأدبية ممنوحة للجميع، ولكن المسلمين حرموا من وجود أدب حديث خاص بهم، وأن حوالي ١٦% فقط من مطبوعات التركستان الشرقية مكتوبة بلغة التركمان المسلمين(٦).

إحدى عشر ـــ إجبار المسلمين على التزوج من الصينيين :تم إجبار المسلمين التركمان على الزواج من عائلات صينية، ويعد حوالي ٣٠ـــ٤٠٪ من الأطفال المولودين فى إقليم سينكيانج (تركستان الشرقية) هم نتيجة هذا الزواج المختلط، كما تم إجبار الفتيات المسلمات تحت التهديد بالموت على الزواج من الصينيين(٧)، لمحاولة طمس معالم الثقافة الإسلامية.

إثنى عشر ـــ إغلاق المدارس الدينية والإسلامية:تم إغلاق المدارس الدينية والإسلامية، ومحاولة الانقضاض على كل ما هو إسلامي، ومنع الطلاب في المدارس والجامعات من تأدية الصلاة، وصيام شهر رمضان، ومنعهم من حمل المصاحف أو امتلاكها(٨).

ثلاثة عشر ـــ تشريد آلاف المسلمين:قامت الثورة الثقافية بتشكيل مجموعات ثورية لمقاومة الإسلام، حيث تم تشريد آلاف المسلمين من محل إقامتهم، وإجبار النشطاء من الأيغور على احتساء الخمر قبل تنفيذ الحكم النهائي عليهم(٩).

---

(١) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٩ ، فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت .

(٢) قيل إن سبب توقف مجلة بولاج كان بسبب أنها كانت تتعمق فى سبر أغوار التاريخ: غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة فى إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتى ، بحث كتاب الأقليات المسلمة فى العالم ، ج١ ، ص٤٧٠.

(٣)غلام الدين: وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣.

(٤) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٤٨ ، ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٨ ، فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت .

(٥)غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة، ج١ ، ص٤٦٣.

(٦) غلام الدين: وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣ ، ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٨ـــ٤٧٩ ، The Arab news, 22-9-1981.

(٧)غلام الدين : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي، بحث بكتاب الأقليات المسلمة، ج١ ، ص٤٦٣، ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث في كتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٧٨.

(٨) فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت.

(٩) فهمي هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٥٠ ، فيصل قطى: مسلمو الأيغور .. المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت.

أربعة عشر ـــــ فرض الهيمنة والسيطرة الصينية: لم ينته الأمر عند هذا الحد بل تطور الأمر حتى صار (الهان الصينيون) هم الذين يسيطرون على المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لا سيما في إقليم سينكيانج المسلم، وقد تم ذلك من خلال خطط مدروسة منها إلغاء اللغة الأويغورية، وتوفير الخدمات المتميزة لمجتمع الهان الصيني، ومنع الأويغوريون من العمل في الشركات الصينية الأمر الذي يصعد من أزمة البطالة عند المسلمين في هذا الإقليم، واطرد المسلمين من كافة مناصبهم الإدارية والقبض عليهم وإرسالهم إلى معسكرات العمل(١).

خامس عشر : محاولة القضاء على مظاهر الحضارة الإسلامية:لقد تم فرض العديد من القيود على كافة مظاهر الحضارة الإسلامية، حيث فُرض على المسلمين أن يشتركوا مع الصينيين في صالات الطعام التي تقدم أكلات تحتوي علـــى لحـــم الخنزير، وتم إلغاء المطاعم التي تقدم الوجبات الإسلامية، كما تم إلغاء الأماكن الخاصة بالمسلمين مثل أمـــاكن الوضـــوء والاستحمام، وكذلك إلغاء إقامة الاحتفالات والأعياد الإسلامية، وحرق جثث الموتى المسلمين وعدم دفنـــهم حســـب الشريعة الإسلامية(٢)، ومثل تلك الأمور من شأنها طمس الهوية والثقافة الإسلامية عند الأقلية المسلمة في الصين.

المبحث السادس

الأوضاع الثقافية للأقلية المسلمة في الصين بعد الثورة الثقافية

في شهر يوليو سنة ١٩٧٩م، أصدرت حكومة الصين تعليماتها بالسماح للمسلمين أن يقوموا بتأدية شعائرهم الدينية، وإعادة فتح المساجد للعبادة وإقامة صلواتهم، بعد أن كانت قد حولت إلى متاحف للعبادة، وكانت ذلك نتيجـــة اتجـــاه حكومة "ماوتسي تونج" لتخفيف إجراءات ما يسمى بالثورة الثقافية ومحاولتها تحسين العلاقـــات مـــع الـــدول العربيـــة والإسلامية(٣)، وهناك العديد م الإشارات التي توضح تغير الوضع العام والثقافي للمسلمين فى الصين الآن، فقد اتخـــذت بعض الإجراءات لتحسين وضع المسلمين في الصين منها:

أولا ـــ تحسين الوضع العلمي للمسلمين في الصين: فقد ذكر "مايونغا" رئيس الرابطة الإسلامية فى الصين أن أكثر مـــن ٢٣ ألف مسلم فى الصين يدرسون اللغة العربية والمعلومات عن الإسلام فى حوالى ١٠ مساجد ومؤسســـات إســـلامية كبرى، كما أضاف أن حوالى ٣ آلاف من أئمة المساجد يقومون بتدريس القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي فى ٣ آلاف مسجد فى منطقة نينغيشيا الصينية، وأشار رئيس الرابطة الإسلامية فى الصين أن "لينشوان" عاصمة مقاطعة نينغيشيا الصينية بدأت فى إعداد دورات لتدريس اللغة العربية تتراوح مدتها من ٣ـــ٤ سنوات، بالإضافة إلى فصول تدريبية تضم حـــوالي ٣٠٠ طالب سنويا، كما قامت جامعة " نينغيشيا " بإنشاء قسم " اللغة العربية "، فضلاً عن وجود بعض المدارس الخاصة لتعليم اللغة العربية التي تجذب عدداً كبيراً من الشباب الصينيين، وذكرت " آن شاترين " عميدة قسم اللغات الأجنبيـــة فى جامعة نينغيشيا أن الكثير من الشباب المسلم فى الصين يقبلون على دراسة اللغة العربية وذلك حتى يتمكنوا مـــن حفـــظ القرآن الكريم(٤)، كما سُمح لحوالي ١٥ ألف إمام بتلقين تعاليم الإسلام، وتم طبع حوالي ١٥٠ ألف نسخة من القـــرآن الكريم، وقد تم ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، كما فُتحت المعاهد الإسلامية، حيث تم فتح المعهد الإسلامي ببكين(٥).

ثانياً ـــ تحسين الوضع الإعلامي للمسلمين في الصين:شهدت تلك المرحلة أيضاً ظهور العديد من المجلات الإسلامية التي أصبح لها دور كبير في العمل الإسلامي في الصين منها: مجلة (نضارة الهلال) فى بكين، ومجلة (نور الإسلام) فى تينجـــان،

---

(١)غلام الدين باهتا : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣ .

(٢)غلام الدين باهتا : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة ، ج١ ، ص٤٦٣.

(٣) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، جـــ٨، ص٦١٤.

(٤) وكالة الأنباء الإسلامية : مسلمو الصين ، مقال بتاريخ ١١ المحرم سنة ١٤٢٢هـــ/٥أبريل سنة ٢٠٠١م.

(٥) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٥٢ ، ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المســـلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٨٣.

ومجلة (العلوم الإسلامية) فى كانتون، ومجلة (العلوم الإسلامية) فى يونان، ومجلة (المنبه الإسلامى) فى يونان(١). وقد اعتمدت الحكومة الصينية مبلغا وقدره ١.٥ مليون يوان صينى (١٨١ ألف دولار أمريكى) لحماية أقدم مخطوطة للقرآن الكريم فى البلاد، وقال مسئول في مصلحة الآثار بمقاطعة (تشينغهاى) فى شمال غرب الصين، وقد تأكد خبراء من مصلحة الدولة للآثار، ومصلحة الدولة للشئون الدينية فى شهر سبتمبر للعام ٢٠٠٤م (١٤٢٥هـ) من أن هذه المخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن ١٣ (لم يذكر المصدر القرن الهجري أو الميلادي) على الأقل، وتعتبر هذه المخطوطة هي أقدم المخطوطات للقرآن الكريم فى الصين، وذكر أحد الأئمة فى مسجد (جيه تسى) التابع لمحافظة (شيوهوا) الذاتية الحكم لقومية (سالار المسلمة) بهذه المقاطعة، أن هذه المخطوطة قد عرضت فى المعرض الدولي السوري في عام ١٩٥٤م، وقد أثارت اهتماما كبيرا، ولكنها تتعرض للتسوس والتآكل بسبب عدم توفر إجراءات وفنون الحماية اللازمة، وإلى جانب هذا الدعم الحكومي الصيني، قدم المواطنون المحليون من المسلمين تبرعات خاصة آملين بناء متحف لحفظ وعرض هذه المخطوطة التى تعتبر مقدسة بالنسبة للمسلمين في الصين(٢).

ثالثاً ــ تنظيم رحلات الحج للمسلمين الصينيين للأراضي المقدسة:تقوم الآن الحكومة الصينية بتنظيم رحلات الحج، فقد أستؤنفت بعثات الحج منذ سنة ١٩٧٩م(٣)، وسمحت الحكومة الصينية لحوالي ألف شخص من المسلمين من تركستان الشرقية بتأدية فريضة الحج(٤)، وذكر مسئول بمصلحة الشئون الدينية الصينية فى مقاطعة نينغشيا أن وفد نينغشيا (فى شمال غرب الصين) للحج من قومية (الهوى) المسلمين، ومعظم الحجاج من الأئمة والفلاحين المسلمين، وكثير من المسلمين هناك لديهم قدرة اقتصادية على أداء فريضة الحج، حيث تقوم الصين بتوفير بيئة مناسبة إليهم وفى نفس الوقت تتحسن ظروف معيشتهم، ويذكر أن منطقة نينغشيا تعد إحدى المناطق التى تتمتع بالحكم الذاتى لقوميات الأقلية الصينية، وبتلك المنطقة حوالي ١.٩٢ مليون مسلم من قومية (هوى هوى ــ Hui Hui) الذين يمثلون حوالي ٣٣.٣ % من أصل عدد السكان فى هذه المنطقة(٥).

رابعاً ــ السماح بتقديم الخدمات الثقافية للمسلمين في الصين:قامت الحكومة الصينية بتقديم الخدمات الثقافية للمسلمين حينما أعادت جسور الاتصال المختلفة مع العالم الإسلامي، مثل تبادل الزيارات وحضور المؤتمرات والندوات العلمية الإسلامية، (وكان أول مؤتمر إسلامي حضره وفد من المسلمين الصينيين هو الملتقى الإسلامي الذي عُقد بالجزائر في سبتمبر سنة ١٩٧٩م)، كما أعيد فتح حوالي ١٩٠٠ مسجد في مقاطعة سينكيانج(٦)، ومعنى ذلك إعادة الشعائر الدينية والثقافية والثقافية للمسلمين، كما قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي بتقديم المساعدات لبعض الطلبة الصينيين، وتتمثل تلك المساعدات فى دفع مصاريف الدراسة لحوالي عشرة من الطلاب الجامعيين، واثنين وستين طالبا بالمرحلة دون الجامعية، وذلك لرفع المستوى العلمي للطلاب المسلمين فى الصين(٧).

---

(١) فهمي هويدي : الإسلام في الصين ، ص١١١ ، وكالة الأنباء الإسلامية : مسلمو الصين ، مقال بتاريخ ١١ المحرم سنة ١٤٢٢هـ/٥أبريل سنة ٢٠٠١م.

(٢) وكالة الأنباء الإسلامية : مسلمو الصين ، مقال بتاريخ ١١ المحرم سنة ١٤٢٢هـ/٥أبريل سنة ٢٠٠١م ، الصين تعتمد (١٨١) ألف دولار أمريكى لحماية أقدم مخطوطة للقرآن الكريم ، مقال على موقع : www . Shohood . Net ، بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١١م .

(٣) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٥٢.

(٤) ألبكتين : اضطهاد المسلمين التركمان في تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، ص٤٨٣ ، The Arab news, 21-9-1984.

(٥) مسلمو نينغشيا يتوجهون لأداء فريضة الحج ، مقال على موقع : www Shohood. Net ، بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١١م .

(٦) هويدي : الإسلام في الصين ، ص١٥٢.

(٧) الندوة العالمية للشباب الإسلامى تنفذ (١٧) مسجدا فى الصين وكمبوديا ونيبال ، مقال على موقع : www . Shohood .Net ، بتاريخ ٢٠٠٥/٦/١.

سادساً ــ محاولة تخفيف المعاناة عن المسلمين الصينيين: نحن نعلم مدى المعاناة التي عاش فيها المسلمون الصينيون إبان الثورة الثقافية، التي أنزلت المتاعب بالمسلمين وحرمتهم من بعض الامتيازات التي كانت قد منحت لهم من قبل، ولكن فى سنة ١٩٧٩م (١٤٠٠هــ)، أصدرت حكومة الصين تعليماتها بالسماح للمسلمين أن يقوموا بتأدية شعائرهم الدينية، وإعادة فتح المساجد للعبادة وإقامة صلواتهم، بعد أن كانت قد حولت هذه المساجد إلى متاحف، وكان ذلك نتيجة اتجاه حكومة (ماوتسى تونج) لتخفيف إجراءات ما يسمى بالثورة الثقافية، ومحاولة تحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية(١)، ومعنى ذلك تحسن الأوضاع الثقافية للمسلمين في الصين.

الخاتمة

إذا أردنا فعلا النهوض بعقيدتنا وهويتنا وثقافتنا الإسلامية، لاسيما في الصين وهي موضوع الدراسة، وفي مجال التوصيات الخاصة بذلك المؤتمر التي ينبغي العمل بها في ظل تطورات العلاقات العربية والإسلامية مع جمهورية الصين الشعبية والتي أصبحت في حالتها الجيدة في تلك الفترة يجب:

أن تقوم المنظمات والمؤسسات الإسلامية العالمية، مثل رابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ومنظمة الدعوة والإغاثة، وهيئة الإغاثة الإسلامية، وغيرها من المنظمات والهيئات الإسلامية(٢)، أن تسعى جاهدة لشرح مفهوم الإسلام وتعاليمه والحضارة الإسلامية التي تواكب حركة السلام العالمي، وذلك من خلال النهضة الثقافية للأقلية المسلمة التي تشهدها الصين في السنوات الأخيرة، ومن خلال المؤتمرات واللقاءات الثقافية التي تحضرها تلك المنظمات بصفة رسمية أو بصفة مراقب، وأن تستعين بالنخبة من العلماء والمفكرين والمبدعين المسلمين الذين لهم دراية وخبرة بالعمل الإسلامي، في الدعم الثقافي للأقلية المسلمة في الصين.

الدعم المادي المتواصل لكافة المؤسسات والهيئات الإسلامية بما فيها من جمعيات، واتحادات، ومراكز، ومساجد، ومؤسسات علمية وغيرها، وهى مسئولية الدول والحكومات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية العالمية، حتى تتمكن تلك المؤسسات والهيئات الإسلامية من القيام بواجباتها وتقديم الخدمة الثقافية للأقلية المسلمة على أكمل وجه وفق برامج كل هيئة ومؤسسة.

تدعيم المراكز الإسلامية في الصين والتوسع في إنشائها، ودعم هذه المراكز بما يلزمها من العلماء في كافة العلوم والدراسات الإسلامية لتتمكن تلك المراكز الإسلامية من تأدية رسالتها الثقافية والاجتماعية، ولتتمكن أيضا من الرد على الاستفسارات والتساؤلات للأقلية المسلمة، وعقد الندوات والمؤتمرات الإسلامية التي تهدف إلى زيادة الوعي الثقافي عند المسلمين.

محاولة تزويد المؤسسات العلمية من المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الإسلامية بالصين، بعدد من العلماء وأعضاء هيئات التدريس بالجامعات، فعن طريق هؤلاء يتم تدريس العلوم الشرعية والدراسات الإسلامية والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، بطريقة أكاديمية بما يثرى ويوفر قدر لمستوى عال من التعليم الإسلامي، والرقى بالثقافة الإسلامية.

العمل على إنشاء دار نشر إسلامية في الصين، تتولى ترجمة وطباعة كافة الكتب والمؤلفات الإسلامية بكافة اللغات واللهجات السائدة في الصين، وطبع وإصدار الصحف والمجلات الإسلامية، وتزود بها السفارات والمكاتب الدبلوماسية،

---

(١) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج٨ ، ص٦١٤.

(٢)مثل الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم، والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمركز العالمي للتعليم الإسلامي، والاتحاد العالمي للمدارس العربية الإسلامية الدولية، ومكاتب توعية الجاليات الإسلامية بالدول العربية والإسلامية، للمزيد عن هذه المنظمات والهيئات الإسلامية أنظر : رأفت الشيخ : المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا ، ص ١٠٧ ــ ١٤٤ ، تاج السر أحمد حران : حاضر العالم الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الرشد ، الرياض ــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٨هــ/٢٠٠٧م ، ص١٢٠ وما بعدها.

والمساجد، والمراكز الإسلامية، والمؤسسات العلمية وغيرها من الأماكن التي يتردد عليها المسلمون، حتى يكون الكتاب أو المجلة أو الصحيفة الإسلامية سفيراً علمياً في متناول الأقلية المسلمة هناك.

ضرورة الاهتمام بالمساجد على مستوى المقاطعات والمدن الصينية في إطار العلاقات العربية الإسلامية الصينية، لما للمساجد من رسالة سامية في ترقية الوعي الديني والثقافي خاصة للمسلمين الجدد الذين يفرحون عند دخولهم المسجد لأول مرة ورؤية المسلمين وهم يؤدون الصلاة، وتعد المساجد عاملًا راسخاً وفاعلًا على مدى خمسة عشر قرناً من الزمان تقود عملية التعليم الديني خارج ديار الإسلام وذلك من خلال المدارس الإسلامية الأولية والكتاتيب التي تلحق بالمساجد.

ضرورة الاهتمام بالإعلام الإسلامي والتواصل الثقافي، وذلك عن طريق إيجاد إذاعة إسلامية تغطى تلك البلاد لتبصير المسلمين وغير المسلمين بصحيح تعاليم ومفاهيم الإسلام، وأن تكون البرامج المعدة على مستوى علمي راق، وتزود تلك الإذاعة بنخبة راقية من علماء المسلمين ومثقفيهم.

العمل على تنمية الوعي الثقافي عند المسلمين عن طريق البرامج التليفزيونية الهادفة، فأصبحت القنوات الفضائية الآن رافداً من روافد الثقافة العالمية، ولكن منها الغث والثمين، ويجب على تلك القنوات أن تعمل على تنمية الوعي الثقافي للأقليات المسلمة، من خلال بث فضائي راق يرقى بالذوق الإسلامي في مجال الفكر والإبداع والتعريف بتاريخ الإسلام وحضارة المسلمين وتراثهم الأصيل.

العناية بالمطبوعات والصحف الدورية الإسلامية الصادرة في الصين، فالمسلمون هناك لا يزالون في حاجة إلى مثل هذه الصحف الإسلامية، التي تعمل في نطاق الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية، وطرح المشكلات والقضايا الإسلامية وكيفية معالجة هذه القضايا بالحكمة والرأي المستنير.

العناية بالأسرة المسلمة والعمل على تحصينها دينياً وثقافياً واجتماعياً، وذلك من خلال المؤسسات والهيئات الإسلامية مثل إلحاق الأبناء بالمدارس الإسلامية لتعليمهم اللغة العربية، والقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة وغيرها من العلوم الإسلامية.

العمل على تربية الأجيال القادمة تربية إسلامية صحيحة، وتنمية الروح الإيمانية في النفوس، وترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتعزيز روح المحبة والتعاون والتكافل عند الأقلية المسلمة هناك، لمجابهة الغزو الفكري بكافة أشكاله وصوره المتعددة(١).

الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة التخاطب، ولغة التعليم والدراسات الإسلامية، وهي اللغة التي ترافق انتشار الإسلام في كل مكان يحط فيها رحاله، فلا يدخل قوم في دين الله إلا بعد معرفة العربية، وتبدأ المدارس العربية بالانتشار من أجل تعليم القرآن الكريم وفهم رسالة الإسلام(٢).

وفي النهاية أتوجه بالشكر والتقدير والامتنان لجامعة قناة السويس وللقائمين بتنظيم هذا المؤتمر لتلك الجهود الخلاقة والمبنية على الجوانب العلمية والأكاديمية السامية وهو تأكيد على رسالة الجامعات في تنمية الإبداع والفكر لدى الشعوب.

وهكذا يصبح الإسلام بالنسبة للمسلم في تلك البلاد هو واحة العقيدة، ودوحة العبادة، ومنار الشريعة، وينبوع الأخلاق، ومصدر النظام، وموئل الثقافة، ومهد الحضارة، وأصل التراث، وأريج التاريخ، وهو الذي يغذى العقول الظمأى برحيق الطهارة الحسية والخلقية والروحية حتى يتقبل الإنسان رسالة الإسلام والإيمان بأن الله هو الواحد الأحد ولا إله

---

(١) الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الوحدة الإسلامية الإطار النظري وخطوات التطبيق ، ص٦٤٤ .

(٢) الندوة العالمية للشباب الإسلامي : الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم ، أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في مدينة الرياض ــ المملكة العربية السعودية (٢٠ ــ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩هــ/١٨ ــ ٢٥ مارس سنة ١٩٧٩م)، المجلد الأول ، الطبعة الثالثة ، ص٣٢٦ ــ ٢٣٠ .

سواه، وأتمنى أن تكون الأمة الإسلامية كما قال عنها ربها عز وجل (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـــالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)(١).

قائمة بالمصادر والمراجع العلمية

أولاً ـــ المصادر العلمية:

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة، الطبعة الأولى، شرح : طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٧هـــ/١٩٨٧م ، وطبعة سنة ١٤٢٣هـــ/٢٠٠٢م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد: تاريخ ابن خلدون، جـــ٥، بيروت، سنة ١٩٧١م.

العيني: بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـــ١، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب، القاهرة سنة ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧م.

الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة ١٩٨٦م.

القزويني : زكريا بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت للطباعـــة والنشـــر ، بـــيروت ســـنة ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م.

القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤ ، القاهرة سنة ١٩٧٧م.

ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ســـنة ١٩٧٧م.

المقريزي: أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـــ١، قسم (١)، تحقيق / محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ســـنة ١٩٥٦م — ١٩٥٧م.

النرشخي : أبو بكر محمد بن جعفر : تاريخ بخارى، عربه عن الفارسية : أمين عبد المجيد بدوي ، ونصر الله مبشـــر الطرازي ، دار المعارف مصر سنة ١٣٨٥هـــ/١٩٦٥م.

الهمداني: رشيد الدين فضل الله:جامع التواريخ، المجلد الثاني، جـــ١، جـــ٢، تعريب: محمد صادق نشأت وآخرون، القاهرة، سنة ١٩٦٠م.

ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، بيروت سنة ١٣٧٦هـــ/١٩٥٧م.

ثانياً ـــ المراجع العلمية:

أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جـــ٨، الطبعة الثانية ، دار النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٩٠م.

بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة سنة ١٩٥٧م.

تشو يوان : القوميات المسلمة في الصين ، بكين سنة ١٩٨٨م.

حبيب سعد: أديان العالم الكبرى ، الطبعة الثانية ، دار الشرق والغرب ، القاهرة.

حسن عبد العزيز أحمد : مدخل إلى الجغرافيا الحضارية ، ط١ ، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٤هـــ/٢٠٠٤م.

دولت صادق وآخرون: جغرافية العالم (دراسة إقليمية) ، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة.

رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، سنة ١٩٨٦م.

الرمادي: جمال الدين: الإسلام في المشارق والمغارب، مطابع الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٠.

الزوكة : محمد خميس: آسيا دراسة فى الجغرافية الإقليمية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، الإسكندرية ، بدون تاريخ.

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠

السرياني : محمد محمود : الوجيز في جغرافية العالم الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الشيخ : رأفت غنيمي : المسلمون في العالم تاريخيا وجغرافيا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة سنة ١٩٩٨م.

الصلابي : علي محمد محمد : الدولة العثمانية ، دار ابن كثير ، بيروت سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

الصياد: فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكو خان، دار العلم، سنة ١٩٦٠م.

طه ندا: فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، بدون تاريخ.

عبد الرحمن : ناجونغ : مختصر تاريخ العرب في العصور الوسطى ، معهد اللغات الأجنبية ، بكين سنة ١٩٧٨م.

عبد الفتاح إبراهيم إبراهيم : العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، ج١ ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

العبودى: محمد بن ناصر داخل أسوار الصين ، ج١ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الفرزدق ، الرياض السعودية سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

عطار: أحمد عبدالغفور :الديانات والعقائد فى مختلف العصور ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

العقاد: محمود عباس: حقائق الإسلام وأباطيل خصومة ، دار السلام ، القاهرة سنة ١٩٥٧م.

على موسى ، محمد الحمادي : جغرافية القارات ، دار الفكر ، دمشق سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

فاخوري: مصطفى : الأقطار والبلدان ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

فهمي هويدي:المسلمون في الصين، عالم المعرفة، الكويت سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص١١١.

فوزي درويش : الشرق الأقصى (الصين واليابان) ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٩٧م.

قمر : محمود أحمد محمد : الإسلام والمسلمون في جنوب شرق آسيا ، الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

محمود أبو العلا: جغرافية العالم الإسلامي واقتصادياته، الطبعة الخامسة، مكتبة الفلاح، الكويت، سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

محمود شاكر : تركستان الصينية ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

محمود يوسف لي خواين : الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار الهلال الأزرق للنشر ، هونج كونج سنة ٢٠٠٣م.

المسند : عبد العزيز بن عبد الرحمن : الصين (يأجوج ومأجوج عالم مجهول) ، الطبعة الأولى ، نادي القصيم الأدبي ، بريدة ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

المصري : جميل عبد الله محمد : حاضر العالم الإسلامي ، ج٢ ، الطبعة الحادية عشرة ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

المنوفى: محمود أبو الفيض الحسيني: الدين المقارن ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة سنة ١٩٩٠م.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٨هـ.

الهاشمى : محمد فؤاد: الأديان فى كفة الميزان ، دار الحرية ، القاهرة سنة ١٩٨٦م.

وزارة السياحة الصينية : كتاب تعريف بجمهورية الصين ، الطبعة الثانية ، بكين ـــ الصين ، سنة ١٩٩٧م.

ياغى : إسماعيل ياغي ، محمود شاكر: تاريخ العالم الإسلامى الحديث والمعاصر ، ج١ ، الطبعة الثانية ، مطبعة العبيكان ، الرياض، المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ثالثاً ـــ المراجع المترجمة :

إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين ، الطبعة الأولى ، تعريب : محمود يوسف لي هواين ، بكين سنة ١٩٩١م.

آرنولد : السير توماس : الدعوة إلى الإسلام ، الطبعة الثالثة ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وآخرون ، القاهرة سنة ١٩٧٠م.

بارتولد: و : تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

جاك ريسلر:الحضارة العربية ، ترجمة: غنيم عبدون ، مراجعة دكتور: أحمد فؤاد الأهواني ، الدار المصرية ، القاهرة بدون تاريخ.

باي شويي : تاريخ الإسلام في الصين ، دار الشعب ، نينغشيا ، الصين سنة ١٩٥٢م.

فامبري : أرمنيوي : تاريخ بخارى ، ترجمة : أحمد محمود الساداتي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٥م.

كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، الطبعة الثانية ، ترجمة : بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

رابعاً ـــ المراجع الأجنبية:

- *Bramhall Marshal:*
- *Islam In China, London, 1910*
- *Buxton: L. H. D:*
- *China, London, 1929, E. H : South Asia, London. 1958.*
- *Clark Abel:*
- *Narrative a Journey in the interior of China, London, 1818.*
- *Clyde. Ahmed Winters :*
- *Islam in The Peoples Republic of China, Hong Kong, 1979.*
- *Cutin; J:*
- *The Mongols History, Boston, 1908.*
- *Encyclopedia Britannica:*
- *Encyclopedia Britannica, VOL- 17.*
- *Gerard:*
- *Gengis-Khan, Paris, 1935.*
- *-Giles; H. A*
- *Confucianism and its Rivals, London , 1915.-*
- *Harold; Lamb:*
- *- The Crusdes, The Flam of Islam, London,*
- *Howorth; sir Henry:*
- *History of the Mongols, part 1, London, 1880, P. 161.*
- *Saunders: J.J:*
- *The History of the Mongol, London, (1971). -*
- *Smith. W. J:*
- *The Present phases of The Mohommeda question, The Churchman, London, 1880, Sykes; sir Percy:*
- *A history of Persia, Oxford 1922. -*
- *The islamic world Review:*
- *Islam behind The Curtain" Arabia, The Islamic world Review, September 1981, (no-1).-*

- The Los Anglos Times, 1983.
- Trident Press International :
- The world Atlas, United Kigdom, without date.
- *Wikipedia:*
- *Relign in south korea, from wikipedia, The free encyclopedia.*
- *world population Data Sheet,Washington, 2000 .*

خامساً ـــ الرسائل العلمية

أسامة عبد السلام محمد منصور :التعليم الإسلامي في الصين تاريخه ودوره الحضاري في حياة المسلمين الصينيين ، رسالة دكتوراة ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية ، جامعة الزقازيق سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

سادسا ـــ الدوريات العلمية:

ألبتكن: محمد أركن:اضطهاد المسلمين التركمان فى تركستان الشرقية ، بحث بكتاب الأقليات المسلحة فى العالم ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

حلاوي : محمود مصطفى : دور المساجد والمراكز الإسلامية في مجتمع الأقلية المسلمة ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

ذانج هو: المعاملات بين الصين والعرب، بحث في حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد السادس، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

سعيد إسماعيل علي : دور المؤسسات الإسلامية في رفع المستوى الثقافي للأقلية المسلمة ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

غلام الدين باهتا : وضع الأقلية المسلمة في إقليم أوجور المتمتع بالحكم الذاتي في الصين ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم، ج١ ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

محمدين : محمد محمود : دراسة إحصائية عن الأقليات الإسلامية في العالم ، بحث بكتاب الأقليات المسلمة في العالم ، ج١ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ـــ المملكة العربية السعودية سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي: الإسلام والحضارة ودور الشباب المسلم، أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في مدينة الرياض ـــ المملكة العربية السعودية(٢٠ـــ ٢٧ ربيع الثاني سنة ١٣٩٩هـ/١٨ـــ ٢٥ مارس سنة ١٩٧٩م)، المجلد الأول ، الطبعة الثالثة.

سابعاً ـــ المقالات العلمية:إذاعة الصين الدولية :

- مقال بعنوان : الحياة الدينية فى الصين. -الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء :
- الكتاب السنوي ١٩٩٣ــ٢٠٠٠م ، القاهرة يونيو٢٠٠١ . -الشبكة الإسلامية:
- مقال بعنوان مسلمو التركستان الشرقية بتاريخ الأحد ٢٦/٥/٢٠٠٢م.-شيرين حامد فهمى:
- المنسيون فى الأرض ، إسلام أون لاين نت بتاريخ ٤/٢/٢٠٠٢م ، موقع الأيغور باللغة العربية على شبكة الإنترنت www. Uggur. Org/arabcic/ abhor-21 oktober 2002 .-فيصل قطي :
- مسلمو الأيغور ، مقال بالأنترنت.-الندوة العالمية للشباب الإسلامي :
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي تنفذ (١٧) مسجدا فى الصين وكمبوديا ونيبال ، مقال على موقع : www Shohood . Net. ، بتاريخ ١/٦/٢٠٠٥م.

ثامناً ـــ دوائر المعارف :بطرس البستاني: ، دائرة المعارف الإسلامية، جـــ٦، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ،

دور ميناء عدن في النشاط التجاري البحري بين الصين و مصر
في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي

أ.د/ محمد عبده السروري

المقدمة:

موضوع البحث: يعالج البحث دور ميناء عدن في النشاط التجاري البحري فيما بين الصين والبلدان العربية وأهمها مصر العربية خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. ويذكرفيه أهم الموانئ التجارية في كل من الصين ومصر وأهم المحطات التجارية الواقعة فيما بين البلدين.

أسباب اختيار البحث: سبب اختيار البحث هو دور ميناء عدن التجاري والبحري فيما بين البلاد العربية ودول جنوب شرق آسيا ومنها الصين. وللمشاركة في مؤتمر العلاقة العربية الصينية التاريخ والحضارة.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث أنه يعالج النشاط التجاري البحري بين الصين والبلدان العربية وهو النشاط الذي ظل مزدهراً لعدة قرون. وكان له الأثر الكبير في زيادة الدخل المالي للدول العربية ودول جنوبي شرق آسيا.

الهدف من البحث: يهدف البحث الى رسم العلاقة التجارية فيما بين البلدان ودور العرب والموانئ التجارية في النشاط التجاري البحري لأنواع البضائع التجارية المستوردة والمصدرة بما بين البلدان العربية والصين وما بينهما من موانئ.

مقدمة البحث: يتناول هذا الموضوع دور ميناء عدن في النشاط التجاري والبحري فيما بين الصين ومصر، وفيه يذكر أهمية النشاط التجاري والبحري ودور الرياح في تسير السفن التجارية، كما أنه سيذكر الطرق التجارية البحرية الموصلة بين البلدين. كذلك يستحدث عن دور ميناء عدن التجاري البحري بين الصين ومصر والسبب في ذلك يرجع الى أن نمط الملاحة البحرية آنذاك كان لا يتم سيرها بطريقة مباشرة بين الصين ومصر وإنما عبر محطات تجارية تعمل كوسيط تجاري منها ميناء عدن. كما أن البحث سيتحدث عن عناصر التجار مثل العرب والفرس، وأهم السلع التجارية المستوردة من الصين والمصدرة إليها وكذا سيذكر البحث أثر الصراع السياسي والعسكري على النشاط التجاري البحري بين الصين والبلدان العربية.

أهمية النشاط التجاري: يرتبط النشاط التجاري ارتباطا كبيرا بالنشاط الزراعي والصناعي، إذ أن التجارة آنذاك كانت تشمل منتجات زراعية مثل التوابل و الأفاوية والأعشاب الطبية و الأخشاب و أنواع الحبوب و الفواكه، ومنتجات صناعية مثل العطور و الملبوسات والأواني المترلية مثل الغضار و الفخار، والمصنوعات المستخرجة من الطبيعة مثل الزجاج والرخام والياقوت والذهب والفضة وغيرها. وكلما كانت البلدان مليئة بالمحاصيل الزراعية والصناعية، كلما كانت أكثر البلدان جذبا للنشاط التجاري. ونظرا لما تزخر بها بلدان جنوب شرق آسيا (الصين والهند وما جاورهما من جزر وبلدان) من محاصيل زراعية متنوعة وصناعات، فقد كانت من أهم البلدان التي كان التجار المسلمون يفدون إليها لجلب ما بها من السلع الصالحة للتجارة.

وقد عملت التجارة على خلق علاقات تجارية بين العديد من البلدان، وذلك عن طريق جلب السلع التجارية المتوفرة بكثرة في بلد ما وبيعها في البلد الآخر التي لا تتوفر فيها هذه السلع. كما علمت التجارة على خلق علاقات ثقافية وفكرية بين عدة بلدان، وذلك عن طريق نشر العادات والمعتقدات الدينية والفكرية، منها نشر الدين الإسلامي عن طريق التجارة في جنوب شرق آسيا وجنوب شرق أفريقيا.

وقد تميزت بعض البلدان بأهمية كبيرة في نشاطها التجاري، ومن أهمها مصر واليمن وعمان وذلك ما وضحه المقدسي بقوله: (من أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر)١، والسبب في ذلك يرجع إلى ما بهذه البلدان من سلع تجارية، وإلى

١- المقدسي، ابو عبد الله محمد بن احمد ابي بكر ت(٣٨٠ هـ): احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار احياء التراث، العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٤٣،أدم متز، الحضارة الإسلامية في القران الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٣٦٠هـ/١٩٤١م،ص ٣٢٢.

أن هذه البلدان كانت تعمل وسيطا تجاريا بين عدة بلدان. فمثلا كانت عدن تعمل كوسيط تجاري بين الصين والهند وعمان وكانت عمل تعمل كوسيط تجاري بين عدن والبصرة وسيراف والهند والصين وغيرها. كذلك كانت مصر تعمل كوسيط تجاري بين الحجاز وعدن والشام وبلدان الروم والمغرب والسودان، ولذلك أصبحت هذه البلدان من أهم البلدان التي أزدهر فيها النشاط التجاري في العصور الإسلامية والوسيطة.

أهمية الرياح: كان للرياح أهمية كبيرة في تسير السفن أو المراكب التجارية وغيرها في جميع بحار العالم. ولذلك من الضروري معرفة مواسم هبوب الرياح الصالح للسفر البحري في جميع البحار. وذلك ما يوضحه ابن ماجد بقوله: (والمعلم الماهر لا تخفى عليه جميع الأرياح، ومواسم (أسفار) جميع الدنيا لأنها مرتبة على الأرياح)١.

والموسم الصالح لسفر المراكب التجارية وغيرها من ميناء عدن ومسقط إلى الهند والصين وما حولهما من بلدان، هي الرياح الموسمية الجنوبية الغربية، وهي الرياح المتجه نحو الشرق. و ذلك خلال فترتين إحداهما من شهر إبريل إلى مايو والثانية من شهر أغسطس إلى سبتمبر، أما شهر يوليو فهو موسم غلق السفر من وإلى عدن.

في حين أن الموسم الصالح لسفر المراكب التجارية وغيره من الصين والهند وما حولهما من بلدان إلى ميناء عدن ومسقط فهي الرياح الموسمية الشمالية الشرقية، وهي الرياح المتجهة نحو الغرب، وهي الرياح التي تهب في منتصف أكتوبر حتى مارس٢.

وعن هذه المواسم يحذر ابن ماجد من السفر في الأيام القليلة الباقية من موسم الرياح التي لا تكفي لوصول المراكب التجارية وغيرها إلى المراسي المطلوب الاتجاه إليها٣.

الطريق التجاري البحري: تنوعت طرق سير المراكب التجاري من عدن إلى الهند والصين وما حولهما من دول والعكس. فقد كانت السفن والمراكب التجارية التي تريد السفر من ميناء عدن نحو تلك البلدان تسلك طريقين هما الآتي:

الأولى:الطريق المحاذي للسواحل: وهو من ميناء بمحاذاة السواحل إلى موانئ عمان ثم فارس، ثم السند ثم الهند ثم ماليزيا ثم إندونيسيا ثم الهند الصينية ثم موانئ الصين. ولا يتطلب السير في هذا الطريق الوصول إلى الصين من عدن بمركب واحد، ولكنه قد يصل المركب التجاري إلى عمان أو فارس أو الهند ثم يعود منها بما جلبه من سلع. ومن الهند قد تذهب مراكب تجارية أخرى إلى الصين والعكس. وما يميز هذا الطريق أنه يسلك بمحاذاة السواحل. والسير بهذا الطريق له عدة أسباب، منها صغر حجم المراكب التجارية، وعدم سماح موسم الرياح لسفر هذه المراكب في أي وقت وسط البحر، ومنها التعامل التجاري بين المدن المتعددة، عن طريق شحن وتفريغ أو بيع وشراء أنواع البضائع التجارية في الموانئ المختلفة٤، ويمكن السفر بهذا الطريق في جميع أوقات السنة. وفي هذا الطريق يجب أن تسير المراكب التجارية أو السفن بعيدة بقدر كافي عن سواحل البحر حتى لا تصطدم بالرؤوس الخطرة أو الدخول في الخلجان الداخلة في البر فيصيبها الضرر أو التلف٥.

الثاني:الطريق وسط البحر: في هذا الطريق تسير المراكب التجارية وغيرها من عدن أو عمان مخترقة وسط البحر حتى تصل إلى موانئ الهند والصين وما حولهما من جزر وبلدان. والسير في هذا الطريق إلى موانئ هذه البلدان قد يكون بطريقة مباشرة دون التوقف، أو عبر التوقف في محطة أو عدة محطات. ويتلاءم هذا الطريق مع كبر حجم المراكب التجارية، فقد كانت بعض المراكب التجارية في بداية القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي تحمل كمية كبيرة من البضائع التجارية، و أعداد من

١- حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت، نشر مركز الدراسات اليمني، ط١، ١٩٨٢م، عن الفوائد لابن ماجد، ص١٨٧،نقلاً عن الفوائد لأبن ماجد،ص ٣٢٥.

٢- مجموعة: عُمَان و تاريخها البحري، ط٢، ١٤٢٣هــ، ٢٠٠٢م، ص٨٩.

٣- شهاب: فن الملاحة عند العرب،ص ١٩٢.

٤- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، العصر العباسي الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج٢،ط٩، ١٩٨٠م، ص ٣١٥.

٥- شهاب: فن الملاحة عند العرب،ص ٢٢٥.

التجار منها ثلاثة مراكب كانت: (في نهاية الكبر وفي المركب ألف ومائتا رجل من التجار والنواخذة والبانانية والتجار وغيرهم من صنوف الناس وفيها من الأموال والأمتعة ما لا يعرف مقداره الكثير١.

أهم المحطات التجارية: ومن أهم المحطات التجارية التي يتم فيها التبادل التجاري بين عدن وعمان وبين بلدان جنوب شرق آسيا هي كولم (كوبلين) في الهند، و (كله بار) في ماليزيا، و (صندل فولات) في الهند الصينية، وخانفو (كانتون) في الصين٢. وكان زمن سير الرحلة بين المحطة والأخرى من هذه المحطات آنذاك يستغرق شهرا قمريا، بخلاف أوقات التوقف للتزود بالمياه والمواد الغذائية، أو العملية التجارية من بيع وشراء للبضائع التجارية.

وعلى ذلك قد تستغرق الرحلة من عدن أو عمان إلى الصين والعودة منها سنة كاملة لمن أراد الالتزام بمواسم السفر، وقد تستغرق سنة ونصف أو سنتين لمن أراد المكون أو الانتظار لعملية البيع والشراء ومواعيد مواسم السفر الأخرى.

أهم المراكز التجارية: سيتناول هذا الموضوع أهم المراكز التجارية في كل من الصين وماليزيا والهند ومصر، بالإضافة إلى ميناء عدن بالآتي:

ميناء عدن: برز دور ميناء عدن في النشاط التجاري خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، عندما تأثر النشاط التجاري للبصرة، بعد قتل الخليفة المتوكل العباسي سنة ٢٤٧هـ وظهور ثورة الزنج في البصرة فيما بين سنة ٢٥٥هـ حتى ٢٧٠هـ /٨٦٩-٨٨٣م. وآنذاك وصف اليعقوبي تـ (٢٨٤هـ/٨٩٧م) ميناء عدن بقوله: (وبها مرفأ مراكب الصين وسلاهط)٣. وهذه إشارة واضحة على أهمية نشاط عدن التجاري مع الصين وبلدان بحر سلاهط وهو البحر الغربي لتايلاند وبورما. ثم أتسع نشاط ميناء عدن التجاري في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فشمل الكثير من البلدان، وأصبحت عدن أحد المرافئ الدولية الكبيرة التي يتعامل معها التجار رغم عدم توفر المياه والمزروعات بها. وذلك ما وصفه ابن خرداذبة تـ(٣٠٠هـ/٩١٣م) بقوله: (عدن... من المرافئ العظام ولا زرع بها ولا ضرع، وبها العنبر والعود والمسك ومتاع السند والهند والصين والزنج والحبشة وفارس والبصرة وجدة والقلزم)٤، وهكذا شمل نشاط ميناء عدن التجاري أواخر ق٤هـ/٩م عدة بلدان. ثم أزداد نشاط ميناء عدن التجاري خلال القرن الرابع الهجري وما بعده، ولذلك جاء وصف نشاطها التجاري البحري بأنها: (دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب)٥ ، كما وصفها آدم متز بقوله: (وكانت عدن المركز التجاري الكبير بين افريقية وبلاد العرب، ونقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر)٦. وذلك لعدة أسباب منها الآتي:

١-كبر حجم الحمولة التجارية للمراكب، والتي كان المركب الواحد يحمل الكمية الكبيرة من الأموال والأمتعة، والعديد من التجار قد يصل عددهم إلى ألف ومائتين رجل٧.

٢-قرب المسافة للتجارة البحرية عن التجارة البرية، حيث كانت المراكب التجارية تسير من عدن إلى أطراف الصين وتعود منها في سنة واحدة.

٣-وجود الحروب والصراعات السياسية والعسكرية على طرق التجارة البرية، منها تعرض الخلفاء العباسيين إلى القتل منهم الخليفة المتوكل، العباسي الذي قتله الأتراك سنة ٢٤٧هـ وظهور ثورة الزنج في البصرة منذ سنة ٢٥٥هـ إلى

١- بزرك بن شهريار الناخذاه: عجائب الهند بره وبحره، جزائره، دار صادر ، بيروت، د.ت، ص ١٦٥.

٢- جورج فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة:يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص٢١٩، مجموعة: عُمَان و تاريخها البحري، ص٩١.

٣- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب ، ت(٢٨٤) ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م،ص٨٠.

٤- ابن خرداذبة، ابو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت(٣٠٠هـ) المسالك والممالك، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م، ص ٦١،بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،ط١٣٧٠،١هـ-١٩٥٠م،ص١٠٩.

٥المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٨٥.

٦ آدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٣٧١/٢.

٧- بزرك، عجائب الهند بره وبحره، ص ١٦٥.

٢٧٠هـ، بالإضافة إلى الحروب التي دارت في المشرق في عهد الصفارين والسامبين والبوهيين و الغزنويين، فأثرت تلك الحروب على نقل البضائع التجارية على الطريق البري عبر بغداد ونشطت التجارية عبر عدن.

٤-ظهور دول مستقلة عن الخلافة العباسية في مصر والشام واليمن منها ظهور الدولة الفاطمية في مصر والشام منذ منتصف القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي والتي عملت على تشجيع النشاط التجاري البحري عبر عدن إلى مصر والشام ومنها إلى أنحاء الدولة البيزنطية.

دور ميناء عدن التجاري: وعن دور نشاط مدينة عدن التجاري في القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي نورد الآتي:

أولا:أنها ميناء تستخدم لتجار البحر: وهم التجار الذين ينقلون البضائع التجارية من بلد إلى آخر أو من مرسي إلى آخر بواسطة المراكب التجارية. وذلك ما يوضحه الاصطخري تـ(٣٤٠هـ/٩٠٢م) وابن حوقل تـ(٣٦٧هـ/٩٧٧م) بقولهما: (وعدن مدينة صغيرة وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر)١. وهذه من أهم الصفات التي اتصفت بها عدن آنذاك أنها محطة تجارية للتجارة العابرة في البحر إلى عدة بلدان.

ثانيا: أنها محطة تجارية يتم فيها بيع وشراء أنواع السلع التجارية القادمة إلى عدن من عدة بلدان: فقد كانت عدن تشكل مركزاً رئيسيا للتجارة القادمة من الصين والتجارة الذاهبة والقادمة من المغرب. بالإضافة إلى أنها كانت مركزا رئيسيا للتجارة القادمة من أنحاء اليمن والذاهبة إليها. كما اتصفت عدن بكثرة النشاط التجاري و بكثرة منازلها وسكانها وكثرة التجارة فيها. فضلا عن أنها أصبحت مدينة جذب بلد تجاري لكل التجار، وذلك ما يصفه المقدسي تـ(٣٨٠هـ/٩٩٠م)، بقوله: (عدن بلد جليل عامر آهل حصين خفيف، دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة لمغرب ومعدن التجارات كثيرة القصور، مبارك على من دخله مثر لمن سكنه). وهكذا جاء هذا الوصف مدللا على زيادة النشاط التجاري لمدينة عدن في ق ٤هـ/٩م.

ثالثا:أنها مدينة تميزت بكثرة الأرباح التجارية: وهذا ما وصفه المقدسي بقوله: (وأحشى إن أنت دخلت عدن فسمعت أن رجلا ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار، وأخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة، وأخر بكندر فرجع بمثلة كافورا طلبت نفسك التكاثر). كما وصفها بأنها إحدى المدن (التي تشد إليها الرحال)٢.

رابعا:أنها مصدر رئيسي للأموال للدول الحاكمة لليمن أو عدن: فقد كانت أموال العشور التجارية التي تصل إلى ميناء عدن تشكل مورداً مهماً لحكام عدن واليمن وذلك ما يوضحه المقدسي بقوله: (وقد رووا أنه يصل إلى خزانة السلطان ثلث أموال التجارة)٣، وربما يعني ذلك أن ثلث أموال خزانة السلطان تأتيه من التجارة، ولا أعتقد أن العشور التجاري تبلغ ثلث أموال التجار. كما أوضح ذلك ابن حوقل أثناء ما كانت عدن تابعة لحكام زبيد وهم حكام الدولة الزيادية، وذلك خلال حكم أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم الذي حكم هذه الدولة في منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بقوله: (ويصل إليها من جباية عدن عن المراكب العشرية مما لا يقع بموافقة وضمان، ويعمل بالأمانة، فربما زادت المراكب ونقصت والمرتفع له في السنة عن هذا المكان على التغريب مائتا ألف دينار عثري)٤.

أهم مراكز الصين التجارية مع عدن وعمان وسيراف: تعددت موانى الصين التجارية الواقعة على الأنهر التي تصب في البحر، والتي تصل إليها المراكب التجارية مثل لوقين (هانوي) و خانقو (كانتون) وخمدان أو الزيتون (لاجوان شو) نصف ذلك بالآتي:

١- الاصطخري، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد ت(٣٤٠ هـ): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل ١٩٣٧م، ص٢٥، ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط، ١٩٧٩م، ص٤٤.

٢- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٨٤ ،٩٢،٧٣.

٣- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٨.

٤- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٣٢.

١-لوقين (هانوي): أو توكين وهي أول مرافئ الصين١، والتي يصل إليها التجار المسلمون وفيها أنواع السلع التجارية.
٢-خانقو (كانتون): وهي من أهم الموانئ التجارية في الصين والتي يفد إليها التجار العرب والمسلمون. وقد وصفها المسعودي تـــ(٣٤٥هـــ/٩٥٧م) بقوله: (وهي مدنية عظيمة على نهر أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين ... تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند و جزائر الزابج والصنف وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز)، كما ذكر المقيمين بها بأنهم: (خلائق من الناس مسلمون ونصارى و يهود ومجوس)٢.
٣-خمدان أو الزيتون (جوان شو): وهي من أهم المرافئ في الصين لأنها مقر ملك الصين، وقد اتصفت بنظام تخطيطها وهي أنها مقسومة إلى قسمين يفصل بينهما شارع طويل وعريض، وفيه من الجهة الشرقية الملك ووزيره وجميع أجهزة دولته من قضاة وجنود ودواوين، ولا يسمح فيه بإقامة بالأسواق أو تواجد العامة، وفيه من الجهة الشرقية الملك ووزيره وجميع أجهزة دولته من قضاة وجنود ودواوين، ولا يسمح فيه بإقامة الأسواق أو تواجد العامة، وفي الجهة الغربية من الشارع الأسواق والتجارة والرعية والميرة٣.

بالإضافة إلى ذلك هناك عدة مدن تجارية أخرى مثل خانقو (تشوان) وقانطو (هانج تشو) أو خانكو وسوسة أو سوجة، وصين الصين أو الصين الكبيرة. وكما يبدو أن خمدان هي صين الصين أو صين كلان لأنها كانت عاصمة الدولة. كما يبدو أن قانطو هي قانصور التي كانت تقع أخر الصين٤. وقد اتصفت جميع مواني الصين أنها تقع على الأنهر التي تصب في البحر، ولكل ميناء خور يسمح بقدوم المراكب التجارية اليه، كما تتميز كل مدينة أو ميناء بأسواق تجارية وحركة للمراكب التجارية القادمة إليه، كما تميزت بالأمن والنظام والعدل، وهذا بدوره أدى إلى اتساع النشاط التجاري لأهل الصين وحصولهم على الأموال الكثيرة، فسهل ذلك عليهم تشيد العمائر وتحسين أحوالهم وأحوال بلادهم٥. وعن مدن البلدان التي تقع شرق الصين مثل سيلا أو السيلي وهي كوريا وجزيرة الواق واق وهي اليابان فإن النشاط التجاري للعرب والمسلمين لم يصل إليها إلا نادراً وذلك ما ذكره المسعودي عن السيلي بقوله: (لم يصل إليها من العرب أحد من العراق ولا غيره ... إلا النادر من الناس)٦. وأوضح ابن خرداذبة بلاد الشيلا بقوله: (فيها الذهب الكثير ومن دخلها من المسلمين استوطنها لطيبها)٧.

ومن البلدان والجزر التي تقع بين الصين وشبه جزيرة الملايو (ماليزيا) والتي كانت لها علاقة تجارية مع البلدان العربية والإسلامية منها (عدن وعمان وسيراف والبصرة) وهي في شبه جزيرة الهند الصينية والتي كان يوجد بها مرفأ (صندر فولان) وهي من المحطات المهمة الموصلة إلى الصين، وكذلك جزر اندونيسيا من أهمها جزيرة الرامي(سومطرة)،وجزيرة الزابج(جاوة) والتي كان يوجد بها الكثير من السلع التجارية، وعن اتساع نشاط الزابج (جاوة) التجاري يوضح برزك أن أحد التجار شاهد فيها مالا يحصى من الأسواق العظيمة، كما شاهد في سوق الصيارف وحده ما يصل إلى ثمانمائة صيرفي عدا صيارف بقية البلد٨. كله بار: يمثل ميناء (كله بار) في ملقا أو الملايو أو ماليزيا أهم مواني التجارية بين البلدان العربية العربية والإسلامية وبلدان جنوب شرق آسيا والصين. وذلك لما تتميز به من موقع جغرافي فهو يقع على منتصف الطريق

١- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٦٧.
٢- المسعودي، ابو الحسن على بن الحسين بن علي ت ٣٤٥هـــ، مروج الذهب، تحقيق محمد محي الدين، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٣٩٣هـــ، ١٣٧٣م، ص١٣٨/١.
٣- المسعودي، مروج الذهب، ١٤٥/١-١٤٦، الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص ١٣٠.
٤- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٦٨، الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص ١٣٠، جورج فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة:يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢١٥.
٥- الإدريسي: محمد بن محمد إدريس.ت (٥٦٠ هـــ): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٩م، ٩٠/١.
٦- المسعودي،، مروج الذهب،١٥٦/١.
٧- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٦٨.
٨- بزرك، عجائب الهند بره وبحره، ص ١٣٧.

التجاري بين الصين وبين عمان وسيراف وعدن. وإليه يتم وصول المراكب العربية والمراكب الصينية ويتم فيها عملية التبادل التجاري وذلك ما يوضحه المسعودي بقوله: (بلاد كله، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك وإليها ينتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت [أي في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م] فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم).

وقد جاء تحول مدينة كله بار إلى مدينة رئيسية للتبادل التجاري بين العرب والمسلمين وبين تجار الصين منذ سنة ٢٦٤هـ /٨٧٧م،وحتى نصف القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي. وذلك نتيجة للصراع السياسي والعسكري الذي حدث في الصين والذي أسفر عن قتل الكثير من تجار العرب والمسلمين، كما أسفر عن عدم السماح للمراكب التجارية الصينية من الوصول إلى البلاد العربية والإسلامية الوصول إلى الصين. أما قبل سنة ٢٦٤هـ /٨٧٧م وفيما بعد سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م فقد كانت المراكب التجارية لأهل الصين تصل إلى عمان وعدن وسيراف، والمراكب التجارية لأهل الإسلام تصل إلى الصين١.

وعن علاقة (كله بار) في ماليزيا أو الملايو بكل من عدن وعمان فقد ذكرت المصادر أن بعض التجار (ساروا من كله وسلموا إلى عدن)٢. كما سار أحد التجار أيضا (من كله إلى أن دخل بكلاء عمان) في زمن قدره ٤٨ يوما٣.

الهند: تعد بلاد الهند من أهم البلدان التي لها علاقة تجارية كبيرة مع بلدان المسلمين مثل عمان وسيراف والبصرة وعدن. وإذ أعطينا وصفا قصيرا لأهم مواني الهند التجارية فهي الآتي:

ميناء كجرات بعد من أشهر مواني الهند ومن أهم المراكز التجارية مع المسلمين. وميناء كمباي الذي يوجد على خور يسمح بدخول المراكب التجارية، وكانت السفن العربية تحمل إليها الخيول وتعود منها بأنواع السلع، وميناء ديو الذي يوجد به أنواع البضائع التجارية٤، بالإضافة إلى مرسي منجرور (مانجلور) ويقع على أكبر خور ببلاد المليبار بالهند وإليها يفد معظم تجار فارس واليمن وميناء (هيلي)، (لها خور عظيم تدخله المراكب الكبار) القادمة من الصين وبلاد المسلمين والذاهبة إليها. ومدينة (قالقوط) يعد (مرساها من أعظم مراسي الدنيا) ويقصده التجار من الصين وجاوة وسيلان والمهل واليمن وفارس (ويجتمع بها تجار الأفاق)، وميناء كولم (كيلون) وهي من أحسن بلاد المليبار بالهند وأسواقها حسان وبها جماعة كثيرة من التجار المسلمين٥.

أهم المراكز التجارية في مصر: يشكل نهر النيل أهمية كبيرة لحركة النشاط التجاري لمصر، كما تشكل مدينة الفسطاط أهم مدينة تجارية فيما بين مدن مصر، وذلك ما ذكره المسعودي بقوله: (تؤتي هذه المدن والكور كلها في الماء ويحمل ما يكون من الطعام والأمتعة إلى فسطاطها، فتحمل السفينة الواحدة حمل مائة بعير أو أقل أو أكثر)٦.

كما تحتل سواحل مصر أهمية كبيرة في النشاط التجاري الدولي فيما بين مواني مصر وبين دول العالم مثل مواني الشام والدولة البيزنطية وإيطالية و فرنجة (فرنسا) والأندلس والمغرب والحجاز واليمن والحبشة. وذلك ما أورده السيوطي عن مصر وموانيها بقوله: (ومصر فرضة الدنيا تحمل خيرها إلى من سواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه إلى الحرمين واليمن

١- المسعودي،، مروج الذهب،١/١٤٠.

٢- بزرك، عجائب الهند بره وبحره، ص ٩٧.

٣- السيرافي، أبي عمران موسى بن رباح الأوسي،الصحيح من اخبار البحار وعجائبها، تحقيق يوسف الهادي،دار إقراء،بيروت- دمشق،ط١،١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م. ص،١٥٩.

٤- شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ٤١- ٩٠٤ هـ- ٦٦١ – ١٤٩٨ م ، عالم المعرفة ، الكويت ، العدد ١٥١، ص ١٨٦-١٨٧، وانظر نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية و محطاتها بين الشرق و الغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م، ص ١٧٠-١٧٤.

٥- ابن بطوطه، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ت (٧٧٩ هـ): رحلة ابن بطوطه، دار صادر، بيروت، د.ت،ص ٥٦٠-٥٦٨،٥٦١، د/ حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل: دار المعارف: القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٧٧،١٧٣.

٦- المسعودي، التنبيه والإشراف، دار التراث، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ ،١٩٨٦م، ص ١٩- ٢٠.

والهند والصين وعمان والسند والشحر، وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما فرضة بلاد الروم والأفرنج وسواحل الشام والثغور إلى حدود العراق، وثغر الإسكندرية فرضة اقريطس وصقلية وبلاد المغرب، ومن جهة الصعيد تحمل إلى بلاد الغرب والنوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن)١. وفي هذا الموضوع سنذكر أهم المراكز التجارية المصرية التي لها علاقة تجارية مع عدن باليمن بالآتي:

١- **عيذاب**: تظهر أهمية ميناء عيذاب أنها كانت مقصدا لتجار الذهب التي كان يوجد في وادي العلاقي وما حوله من مناطق٢، وعندما تعرضت مصر والشام لهجمات الدولة البيزنطية في منتصف القرن ٣هـ/٩م، أصبحت عيذاب من الموانئ التجارية الهامة في مصر بالإضافة إلى أنها كانت محطة لعبور الحجاج إلى مكة. وعن أهمية مرسى عيذاب التجاري يوضح اليعقوبي تـ(٢٨٤هـ/٨٩٧م) ذلك بقوله: (عيذاب على ساحل البحر المالح يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن، وتأتيه التجار فيحملون التبر والعاج وغير ذلك في المراكب)٣.

وعن أهمية النشاط التجاري فيما بين عيذاب وعد يوضح ذلك ياقوت الحموي تـ(٦٢٦هـ/١٢٢٨م) بقوله: (عيذاب بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد)٤. كما يوضح العمري أهمية بحر القلزم في العلاقة التجارية بين مصر واليمن بقوله: (ومن هذا البحر مسالك التجار إلى عدن ثم إلى ما أرادوا من الهند واليمن والحبشة)٥. وبذلك تشكل عيذاب من أهم المراسي التجارية فيما بين مصر واليمن.

٢- **قوص**: تعتبر قوص حلقة وصل تجاري بين مرسى عيذاب ومدينة الفسطاط، بالإضافة إلى أنها ملتقى الحجاج وصفها ابن جبير بقوله: (قوص... حفيله الأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار أرض الحبشة لأنها محط أنظار الجميع، ومحط للرحال ومجمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين والإسكندريين ومن يتصل بهم، ومنها يفوزون بصحراء عيذاب)٦، كما يصفها العمري بقوله: (وقوص مدينة على شرق النيل في أعلى الصعيد... وهي أول محطة ركاب تجار الهند والحبشة واليمن والحجاز الواصلون من البحر المالح من صحراء عيذاب وبها المكاسب)٧، وبذلك تعد قوص وسيط تجاري بين عيذاب والفسطاط.

٣- **الفسطاط**: تعد الفسطاط أهم مدينة لها نشاط تجاري مع الكثير من بلدان ومدن المشرق والمغرب، فهي (مدينة عظيمة)٨. وصف المقدسي نشاطها التجاري بقوله: (هو مصر في كل قول لأنه قد جمع الدواوين وحوى أمير المؤمنين... أؤجل من مدنية السلام خزانة المغرب ومطرح المشرق عامر الموسم ليس في الأمصار آهل منه...ولا أكثر مراكب من ساحله... وكنت يوماً أمشي على الساحل واتعجب من كثرة المراكب الراسية والسائرة... يجيء أبدا إليه ثمرات الشام والمغرب، وتسير الرفاق إليه من العراق والمشرق، ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم، تجارته عجيبة ومعايشته مفيدة وأمواله كثيرة)٩، هذا الوصف يبين النشاط التجاري للفسطاط مع عدة بلدان.

١- المقريزي، تقي الدين أبي العباس احمد بن علي، ت(٨٤٥هـ)، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ٢٨/١.

٢- ابن حوقل، صورة الأرض، ص٥١، نقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات، دار الكتاب اللبناني المصري، ١٩٨٧ م، ص ٥٥.

٣- اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب ، ت(٢٨٤) ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص ٩٤، عبد العزيز سالم ،

٤- ياقوت بن عبد الله الحموي ت(٦٢٦ هـ) : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤م، ١٧١/٤.

٥- العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله ت(٧٤٩ هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد ، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهره، د،ت، ص ٨٧.

٦- ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص

٧- العمري،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٨٦.

٨- ابن رستة، ابو على احمد بن عمر ت(٦٣٠ هـ): الاعلاق النفيسة، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص ١١١.

٩- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٧-١٦٩.

٤- **القُلْزُم**: يعتبر القلزم من الموانئ المصرية القديمة وقد سميت باسم بحر القلزم أو القلزم سمي بها، وهذا دليل على قدمها. وهي قريبة من السويس، ونتيجة لأنها تقع في مكان قريب من أهم مدن مصر وهي الفسطاط و الإسكندرية والفرما، فقد كانت لها علاقات تجارية كبيرة مع الحجاز واليمن، وقد وصف اليعقوبي نشاط القلزم التجاري بأنها (مدينة على ساحل البحر فيها التجار الذين يجهزون الميرة من مصر الى الحجاز واليمن، وبها مراسي المراكب وأهلها أخلاط من الناس تجارها أهل يسار)١. كما أوضح الأصطخري و ابن حوقل نشاطها التجاري بقولهما: (وأما القلزم فإنها مدينة على سفير البحر... وهي تامة العمارة بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل حمولات الشام ومصر واليمن وسواحل البحر)٢. كذلك وصف المقدسي نشاط القلزم التجاري بقوله: (بلد قديم على طريق بحر الصين... وبها قصور جليلة ومتاجر مفيدة، هي خزانة مصر وفرضة الحجاز ومؤتة الحاج)٣. وعلى ذلك فقد كان نشاط القلزم التجاري معظمه مع مواني الحجاز واليمن ومنها مواني الصين والهند.

٥- **الفرما**: هي من أهم الموانئ المصرية التي كانت السلع التجارية تنقل منها إلى بلدان الدولة البيزنطية بالإضافة إلى الشام والمغرب. وقد كانت البضائع التجارية التي تصل إلى القلزم من مواني اليمن والحجاز والصين والهند، تنقل منها على ظهور الجمال إلى الفرما٤. ومنها تنقل إلى سائر البلدان، وهي تشكل حلقة وصل تجاري بين عدة بلدان. وقد وصف المسعودي نشاطها التجاري بقوله: (يحمل إليها جميع الممالك المحيط بهذين البحرين من أنواع الأمتعة والطرائف، والتحف من الطيب والأفاوية والعقاقير والجواهر والرقيق وغير ذلك من صنوف المأكل والمشارب والملابس، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها)٥. كما وصفها المقدسي بأنها (مجمع الطرق)، وعلى ذلك تعمل الفرما وسيطا تجاريا بين القلزم ومصر والدولة البيزنطية والشام.

٦- **تنيس**: من المراسي الهامة في مصر والتي ترسو فيها (السفن المراكب العظام)٦، كما يتميز بأنها (متجر الشرق والغرب)٧. إليها تصل البضائع التجارية من القلزم والفسطاط تحمل إلى سائر مواني الدولة البيزنطية والشام والمغرب.

٧- **الإسكندرية**: هي من أهم الموانئ المصرية التي لها نشاط تجاري واسع مع بلدان المشرق والمغرب منها مواني الشام ومواني الدولة البيزنطية وإيطاليا وفرنسا والأندلس والمغرب. وقد أوضح العمري نشاطها التجاري بقوله: (والإسكندرية هي فرضة الغرب والأندلس وجزائر الفرنج وبلاد الروم إليها ترد شوانيها وتجلب بضائعها ومنها تخرج أغراضها) كما وصف حركتها التجاري بقوله: (وإليها تهوى ركائب التجار براً و بحراً من كل فج عميق ومكان سحيق)٨. بالإضافة إلى إلى ذلك وصفت أسواق الإسكندرية بأنها فسيحة ومبنية من الرخام أرضها وحيطانها وأنها نظيفة لا تتسخ فيها الثياب٩.

عناصر التجار: يشكل التجار العامل المحرك للنشاط التجاري، إذ بواسطتهم يتم معرفة أنواع السلع الصالحة للعملية التجارية، والتي لها فائدة أو مردود مالي، كما يتم التعرف على البلدان التي توجد بها أنواع السلع والبلدان التي تحتاج لهذه السلع، وقد اشتركت عدة عناصر في السفر للعمل التجاري إلى عدة بلدان، من أهمهم العرب، الفرس، والبيزنطيين،

١- اليعقوبي، كتاب البلدان ، ص ٩٨.

٢- الاصطخري، ابو إسحاقإبراهيم بن محمد ت(٣٤٠ هـ): مسالك الممالك، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، ١٩٣٧م، ص ٣٣،ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥٣.

٣- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٧.

٤- الاصطخري،مسالك الممالك، ص ، أدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٣٩١.

٥- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٩.

٦- اليعقوبي، كتاب البلدان ، ص ٩٦.

٧- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٢٠٣.

٨- العمري،مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ٨٨-٨٩.

٩- ابن رستة،الاعلاق النفيسة، ص ١١٣.

والصين واليهود. أما من حيث ديانة هذه العناصر فكانوا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس. وسنذكر أهم النشاط التجاري لهذه العناصر بالآتي:

١- **العرب**: اشتهرت بعض العناصر العربية في السفر للعمل التجاري إلى أنحاء العالم الإسلامي مشرقه ومغربه، وأكثر من كانت لهم مهارة في هذا العمل التجاري آنذاك هم أهل العراق واليمن وذلك ما وصفه ابن الفقيه بقوله: (وقالوا: أبعد الناس نجعة في الكسب بصري وحميري ومن دخل فرغانة القصوى، والسوس الأقصى، فلا بد أن يرى فيها بصريا أو حميريا)١. كما ذكر ابن حوقل أن الكثير من تجار سجلماسة بالمغرب كانوا من أهل العراق من البصرة والكوفة وبغداد٢. وبغداد٢. وكما هو معروف أن الكثير من سكان البصرة والكوفة كانوا من أهل اليمن.

أما عن نشاط العرب التجاري فيما بين الصين والبلاد العربية، فقد كان العرب أكثر من عمل في التجارة فيما بين هذين البلدين. فقد ذكرت المصادر أن أكثر من عمل في التجارة بين هذين البلدين. فقد ذكرت المصادر أن الكثير من تجار العرب كانوا يقصدون (كانتون) في الصين للعمل التجاري. كما كان بها (مجمع تجارات العرب)٣. وعن كبر حجم النشاط التجاري للبلاد العربية مع الصين يوضحه القول التالي (إن مملكة العرب لا يقومها بلدا آخر من البلدان الأجنبية في كثرة ما يدخر بها من البضائع المتنوعة الغالية)٤، كما كان للعرب من أهل عمان وسيراف والبصرة واليمن نشاط تجاري تجاري مع الهند والصين.

٢- **الفرس**: كما اشتهر الفرس في السفر للعمل التجاري، فقد كان الكثير من تجار الفرس من أهل سيراف يقصدون (كانتون) في الصين للتجارة، وأيضا كانوا يعملون في التجارة في جدة٥، وزيلع٦، وعدن وغيرها من البلدان.

٣- **العرب والفرس**: وعن النشاط التجاري للعرب والفرس معا فقد كانوا يشتركون في السفر التجاري إلى عدة بلدان من ذلك أن مدينة خانقو (كانتون) في الصين كانت (أكثر من يقصدهم التجار الفرس والعرب). وكان (الفرس يركبون المراكب إليهم من سيراف والعرب من البصرة)٧.

وعن سيطرة التجارة المسلمين على النشاط التجاري للكثير من بحار العالم آنذاك أوضحه المسعودي بقوله: (ووجدت نواخذة بحر الصين والهند والسند والزينج واليمن والقلزم والحبشة من السيرافيين والعمانيين)٨. وقد اعتاد التجار المسلمون المسلمون في البلدان التي يتاجرون معها أن (لا يقبلون ان يحكم عليهم الا مسلم منهم)٩.

٤- **عناصر عدة بلدان**: نشطت عدة عناصر أخرى في السفر للعمل التجاري بين العديد من المدن والبلدان، من أهمهم أهل الأندلس ونصارى الدولة البيزنطية وكان أكثر نشاطهم مع بلدان العالم الإسلامي في الشام ومصر والمغرب والأندلس١٠. كما نشط تجار الصين في التجارة مع العرب والمسلمين فكانت مراكبهم تصل إلى عمان وسيراف والبصرة١١.

١- ابن الفقيه، ابو بكر احمد بن محمد (٢٩٠ هـ): دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١ ، ١٩٨٨م، ص ٥٣، أدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٣٢٢.

٢- ابن حوقل، صورة الأرض، ص٦٥.

٣- السيرافي، الصحيح من اخبار البحار وعجائبها، ص ١٢١.

٤- أدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٣٧٧، عن احد كتاب الصين.

٥- الاصطخري،مسالك الممالك، ص ،

٦- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٨.

٧- ، نقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات، ص ٢٣٤، نقلاً عن المروزي، ص ١٠.

٨- المسعودي، مروج الذهب، ص ١٢٨.

٩- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٧٧، أدم متز، الحضارة الإسلامية، ص

١٠- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٦، ١٨١.

١١- المسعودي، مروج الذهب، ص١٤٠.

٥- **اليهود**: يعتبر اليهود آنذاك من أهم العناصر التي عملت في النشاط التجاري بين بلدان المشرق والمغرب. وقد لقي التجار اليهود ترحيبا وتسهيلا كبيرين في العمل بالنشاط التجاري من بلدان ومدن الخلافة الإسلامية وبلدان ومدن الدولة البيزنطية. والسبب في ذلك يرجع إلى كون اليهود آنذاك تجارا فقط وليسوا قوة محاربة تتصف بالحالة العدائية. في حين أن التجار المسلمين كانوا أحيانا لا يستطيعون الذهاب للعمل التجاري إلى مدن وموانئ الدول البيزنطية في حالة اشتعال الحرب بين الخلافة الإسلامية والدولة البيزنطية، تجنبا للتعرض للأسر أو مصادر الأموال والعكس. كان التجار العرب البيزنطيون لا يستطيعون الذهاب للعمل التجاري إلى بلدان وموانئ الخلافة الإسلامية عند اشتعال الحرب بين الدولة البيزنطية والخلافة الإسلامية خوفا من وقوعهم في الأسر أو مصادرة الأموال. ولذلك تحاشى التجار المسلمون والبيزنطيون من العمل التجاري عند استمرار الحرب بين بلدانهم. وهذا قلل من نشاطهم التجاري، وجعل التجار اليهود هم الأكثر نشاطا في التجارة بين بلدان الخلافة الإسلامية ومدن الدولة البيزنطية. وتصف التجاري لليهود بالآتي:

الطريق الأول: يسافر التجار اليهود بتجارتهم في المراكب في البحر المتوسط من أنحاء الدولة البيزنطية من القسطنطينية وإيطاليا وفرنجة (فرنسا)، ويسيرون إلى الفرما بمصر ومنها يحملون بضائعهم التجارية على ظهور الجمال إلى مرسى القلزم ثم يحملون تجارتهم في المراكب ويسيرون إلى مرسى الجار أو جدة في الحجاز أو ميناء عدن باليمن، ثم يسيرون منها إلى السند والهند والصين. ومن هذه البلدان يجلبون أنواع السلع التجارية ويعدون بحرا إلى عدن ثم إلى القلزم ومنها إلى الفرما ثم إلى أنحاء موانئ الدولة البيزنطية مثل القسطنطينية وأمالفي في إيطاليا وإقليم بروفانس بفرنسا.

الطريق الثاني: يتجهون من موانئ الدولة البيزنطية عبر البحر المتوسط إلى إنطاكيا في الشام ومنها برا إلى الجابية ثم إلى بغداد عبر نهر الفرات ومنها يسافرون إلى عمان ثم إلى السند والهند والصين، ومن هذه البلدان يعدون بأنواع البضائع التجارية بهذا الطريق عبر عمان وسيراف والبصرة وبغداد إلى أنطاكيا ومنها بحراً إلى مدن الدولة البيزنطية أو يتجهون الى مرسى عدن ثم الى القلزم بمصر ومنها الى مدن الدولة البيزنطية١. وهكذا سير التجار اليهود من نشاطهم التجاري بين بلدان العالم آنذاك.

السلع التجارية: تمثل السلع أو البضائع التجارية المستوردة والمصدرة أهم الدعامات الرئيسية التي ساهمت في إبراز النشاط التجاري البحري فيما الصين والهند وبين ميناء عدن والموانئ المصرية. وأهم السلع التجارية المستوردة من الصين والهند وما بينهما من جزر وبلدان هي الآتي:

القسط، القنا، الخيزران، الساج، الأبنوس، البقم، النارجيل، الكافور، الصندل، السنبل، الكركدن، العبر، المسك، الزبادي، الفلفل، القرفة، القرنفل، الحديد، الرصاص، الذهب، العود القماري، العود الهندي، العود الصنفي وهو أفضل الأعواد، الحجر الصيني، الغضارة الصيني الجيد، الحرير الصيني، الياقوت، الدار صيني. بالإضافة إلى وجود سلع أخرى مثل الحنطة والشعير والأرز وقصب السكر٢.

- السلع التجارية المستوردة من اليمن وعمان هي اللؤلؤ، والعنبر، والورس، والبغال والحمير، واللبان والخيول والياقوت.
- السلع التجارية المستوردة من الدولة البيزنطية هي الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخز وجلود الثعالب والأسود والفراء والسمون والسيوف٣. كما كان يجلب من جزيرة قبرص المصطكي الجيد والميعة الكثيرة والحرير

١- ابن خرداذبة، ابو القاسم: عبيد الله بن عبد الله ت(٣٠٠ هـــ) المسالك والممالك، دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط١، ١٩٨٨م، ص ١٣١-١٣٢، أدم متز، الحضارة الإسلامية، ص ٣١٢-٣١٤.

٢- المسعودي، مروج الذهب، ص ١٥٢-١٥٥، ابن خرداذبة،المسالك والممالك، ص ٦٢-٦٧، الإدريسي: محمد بن محمد إدريس.ت (٥٦٠ هـــ): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، بيروت، ط١ ١٩٨٩م، ص ٧٣-٨٠.

٣- ابن خرداذبة،المسالك والممالك، ص ٦٩، ١٣١.

والكتان١.كما تجلب الجلود من جزيرة دهلك وباضع، والزمرد والذهب و العاج من النوبة٢. ومن أهم السلع المستوردة من مصر أنواع الثياب والأردية الملونة٣.

ومن السلع التجارية الرائجة آنذاك (ماء الورد) وأفضل أنواعه تجلب من فارس إلى أنحاء البلدان إلى كل من المغرب وبلاد الروم (الدولة البيزنطية) والأندلس وفرنجة (فرنسا) ومصر واليمن والصين والهند٤.

وتظهر أهمية السلع التجارية أنها تشكل إيرادا ماليا للمدن والموانئ أو المراكز التجاري التي تصل إليها هذه السلع والمتمثلة في الحصول على ضرائب ورسوم وعشور تجارية عن هذه السلع من ذلك الآتي:

كانت السفن التجارية المتجه نحو الصين تدفع رسوما في مرسى كولم في الهند تبلغ ألف درهم٥. وفي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م ورد مركب تجاري إلى عمان من الصين بلغت عشوره التجارية ألف ألف درهم٦.

كذلك كانت المراسي المصرية تتقاضى ضرائب كثيرة منها التي تؤخذ في مرسى تنيس بمصر تبلغ ألف دينار يوميا. كما كان مرسى الإسكندرية يتقاضى ضرائب كثيرة على المركب القادمة من الغرب وكان مرسى الفرما ايضاً يتقاضى ضرائب كثيرة على المراكب القادمة من الشام٧. كما كانت مواني الدولة البيزنطية مثل إنطاكيا وطرابزندة تحصل على ضرائب تجارية كثيرة وذلك ما يوضحه ابن حوقل بقوله: (ومن أعظم جباياتهم وأكثر وجوه أموالهم ضريبية بلد أطرابزندة وأنطاكيا المرسومة من أخذ ما يرد من بلد الإسلام). وذلك يرجع إلى كثرة النشاط التجاري بين الدولة البيزنطية وبلاد الإسلام. كما كانت لهم غنائم كثيرة، تتحصلها المراكب الحربية البيزنطية من سواحل الشام. فضلاً عن ذلك فقد كان القيم على تحصيل هذه الأموال يستأثر (بما يزيد على مال الملك من أثمان الأمتعة والمراكب والمسلمين)٨.

أثر الصراع السياسي والعسكري على التجارة بين الصين والبلاد العربية:كان للصراع السياسي والعسكري الذي حدث في الصين سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م أثره على النشاط التجاري بين البلاد العربية والصين نختصر توضح ذلك بالآتي:

في سنة ٢٦٤هـ /٨٧٧م حدث نزاع سياسي وعسكري بين ملك الصين وبين أحد الصينيين والمسمي (يانشو) والذي تمكن تجميع الكثير من الصينيين حوله، حتى صار له جيشا عظيما وقوة كبيرة، فاتجه لشن الغارات المتعددة على ملك الصين (هي جونغ) وعلى المدن التابعة له. ومن أهم هذه المدن هي مدينة (خانقو) والتي حشد إليها جيشا كبيرا وحاصرها حصارا شديدا، أسفر عن تمكنه من الاستيلاء عليها بالقوة. وقد أدى ذلك إلى قتل مائتي ألف شخص ممن كانوا في المدينة من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس. ومنهم الكثير ممن كانوا يعملون في النشاط التجاري بين الصين والبلاد العربية. كما أدت هذه الحرب إلى قطع غابات تجار دود القز التي كانت حول مدينة خانقو (كانتون) فأسفر ذلك (عن انقطاع الحرير الصيني وجهازه إلى ديار الإسلام). وبعد ذلك سار (يانشو) بجيوشه لإكمال محاربة ملك الصين والاستيلاء على مدن الصين الأخرى، فتمكن من هزيمة الملك وحصره في إحدى المناطق المتاخمة للتبت. وآنذاك أضطر ملك الصين إلى الاستنجاد بملك الترك ابن خافان، فانجده بنحو أربعمائة ألف فارس. فسار هذا الجيش لمحاربة (يانشو). وبعد سنة من الحرب انتهت بهزيمة (يانشو) وقتله، وإعادة ملك الصين إلى حكمه للصين. أدى هذا الصراع إلى تغيير شرائع الصين السياسية والقانونية منها استقلال كل حاكم ولاية بولايته، مع إعلان ولائهم الأسمى لملك الصين دون إرسال الأموال له،

١- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٥.

٢- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٥٥.

٣- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٧٠.

٤- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٦٠-٢٦١.

٥- جورج فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة:يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ٢١٢.

٦- بزرك، عجائب الهند بره وبحره، ص ١٠٧.

٧- المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٨١.

٨- ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٧٩.

فقبل ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك. كما أدت إلى أن كل ولاية صاغت لها أنظمة وقوانين بحسب سيطرتها على الأرض وقوتها وحاجة حكامها المستقلين بعيدة عن القوانين العامة للملك التي كانت تخضع جميع الولايات لها١. كذلك أدت أحداث الصين هذه إلى زيادة فرض الضرائب والرسوم على التجار العرب والمسلمين مما أدى إلى امتناعهم عن الذهاب إلى الصين، وذلك ما يوضحه أبو زيد السرافي بقوله: (وامتدت يد حكام الصين إلى ظلم من قصدهم من التجار من نواخدة العرب وأرباب المراكب فألزموا التجار مالا يجب عليهم وغلبوهم على أموالهم واستجازوا ما لم يجز الرسم به قديما في شيء من أفعالهم، الأمر الذي أدى إلى امتناع السفن والربانية والأدلاء بسيراف وعمان عن الذهاب إلى بلادهم)٢. بلادهم)٢. وكذلك أدت هذه الأحداث إلى أن تصبح مدينة (كله بار) ملتقى التجارة العربية والصينية، كونها تقع في منتصف الطريق الموصلة بين عمان والصين، وذلك ما أشار إليه المسعودي بقوله: (بلاد كله بار، وهي النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، وإليها تنتهي المراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعمانيين في هذا الوقت [أي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٣م] فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم).

وبذلك أصبح لا يسمح للتجار العرب والمسلمين الوصول إلى الصين إلا في مراكب الصين والعكس لا يسمح للتجار الصينيين الوصول إلى عمان وسيراف وعدن، بينما كان قبل سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م يسمح بوصول إلى عمان وسيراف والبصرة ومنها إلى عدن وذلك ما أشار إليه المسعودي بقوله: (وقد كانوا في بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة. وكذلك المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ها هناك). وفيما بعد سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م عادت العلاقات التجارية العربية الصينية إلى سابق عهدها بوصول المراكب التجارية العربية إلى الصين والعكس٣. وهكذا كان تأثر الصراع العسكري والسياسي على النشاط التجاري.

الأثر السياسي والعسكري على النشاط التجاري بين الروم (البيزنطيين) والعرب والمسلمين:منذ بداية القرن الرابع الهجري/التاسع الميلادي وبالتحديد سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م بدأ الضعف السياسي والعسكري للقوى الإسلامية، كما بدأ الروم (البيزنطيين) يعملون على الاستفادة من النشاط التجاري، وذلك بإرسال التجار الروم إلى البلدان الإسلامية لنقل الأخبار من جميع المدن والأمصار الإسلامية التي كانوا يتعاملون معها تجارياً. وقد تكن هؤلاء التجار الروم من استقطاب تجار بعض البلدان الإسلامية وحكامها مقابل منح التجار المسلمين السماح للعمل في التجارة في بلاد الروم. أسفر ذلك عن بداية شن الروم الغارات المتعددة على المدن الثغرية الإسلامية والاستيلاء عليها. وذلك ما يوضحه ابن حوقل عندما تحدث عن الروم بقوله: (وأنفذوا مراكبهم بالتجارة إلى بلد الإسلام ورجالها يجوسونه ويتفقدونه ويستنبطون أخباره، ثم يرجعون وقد علموا حاله إليهم بالخبرة فيتحكمون في مضاره، ويصلون بذلك إلى دواخله وسهله وأوعاره بمرأى من سلاطين الإسلام ومنظر، ومساعدة من أكثرهم على ما يجبونه وتقوية للعدو بفاخر السلاح ونفيس المتاع، ورغبة في يسير من الحطام يعود عليهم من تجارة يعملونها إلى بلد الروم، فتعود بخسيس من الأرباح والنار تحت ذلك تضرم عليهم والبلاء يفتل فيما يأخذونه، والشؤم يبرم عليهم فيما يأتونه). أدت هذه الاستفادة للروم من النشاط التجاري لتجارهم في البلدان الإسلامية إلى سقوط بعض المدن التابعة للمسلمين مثل طرسوس. كما أدت إلى استمرار الروم في شن الغارات المتعددة على سواحل البلدان الإسلامية منها سواحل الشام وسواحل مصر. وذلك ما يوضحه ابن حوقل بقوله: (وقد ألح الروم في هذا الوقت [أي منتصف ق ٤هـ/١٠م] على سواحل الشام بالفارة ونواحي مصر، فهم يختطفون مراكبهم من كل أوب ويأخذونه من كل جهة ولا غياث ولا ناصر، ومن للمسلمين بناظر). وكذلك تمكن البيزنطيون أو الروم من الاستيلاء

١- المسعودي، مروج الذهب، ص١٣٨-١٣٩،الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ص ١٣٣.

٢- عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، نشر دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص ٦١، عن اخبار الصين والهند، ٦٧/٢.

٣- المسعودي، مروج الذهب، ص ١٤٠.

على الكثير من جزر البحر المتوسط التي كانت تابعة للمسلمين مثل صقلية ومالطا وكريت وقبرص١. وبذلك استفاد الروم من النشاط التجاري في توظيفه لخدمة العمل السياسي والعسكري.

الخاتمة:

مما سبق يتضح أن القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي كان فيه النشاط التجاري البحري أكثر اتساعاً وازدهاراً من النشاط التجاري البحري، وذلك لكبر حجم التجارة المحملة على السفن التجارية. كما أن النشاط التجاري البحري بين الصين والبلدان العربية كان أكثر تميزاً عن غيرها من البلدان. وكان هذا النشاط التجاري البحري يسير عبر محطات تجارية تعمل كوسيط تجاري بين بلد وأخر لاعتماد السفن التجارية في سيرها على حركة الرياح الموسمية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية. وهي التي تحدد مواقيت سير السفن من ميناء الى آخر.

١- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٨٤،١٨٠-١٨٥.

أحوال الأقلية المسلمة فى الصين وموقف المسلمين منهم

أ.د/ عبدالغنى عبدالفتاح زهرة

إن من يتابع موضوع الأقليات المسلمة في قارة آسيا بصورة عامة حيث تتجمع معظم الأقليات المسلمة هناك، يدرك أبعاد المحنة العظيمة التي تحيط بكثير من هذه الأقليات، لأنهم جماعات مستضعفة قليلة الحيلة, وليس لهم أي نفوذ, فهي بعيدة عن كل مواطن السلطة, كما أن إمكاناتها المادية صغيرة ولا تؤهلها للقيام بأي دور سياسي أو اقتصادي، فتظل مستضعفة مغلوبة على أمرها كما هو في الصين, خصوصًا بعد أن كشرت فيهاقوة الأغلبية عن أنيابها، وبدأت تهاجم تلك الأقليات المسلمة, وتضغط عليها وتضطهدها, مستغلة ضعفها وحاجتها, لإخراجها عن دينها بالقوة دون رحمة أو هوادة.

والصين أول دول العالم سكاناً, وثالثها مساحة بعد روسيا وكندا, وقد وصل الإسلام الصين بطرق ثلاث:

١- طريق الفتح, وهو ما يخص تركستان الشرقية التى تقع فى غرب الصين, ومع أنها وما حولها من مقاطعات تقع ضمن العالم الإسلامى إلا أنها اليوم تخضع لاحتلال الصين, لذلك يعتبر سكانها اليوم أقلية ضمن دولة الصين.

٢- طريق الدعوة والانتقال فى المناطق الداخلية, وخاصة المناطق المجاورة لتركستان الشرقية, وكان العهد المغولى من أكثر العهود لانتشار الاسلام فى المناطق الداخلية من الصين.

٣- طريق التجارة البحرية والدعوة فى المناطق الساحلية الشرقية١.

أولاً : الفتح الإسلامى غرب الصين: اتجهت الفتوحات الإسلامية إلى غرب الصين منذ القرن الأول الهجرى, عندما عبر القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلى "نهر سيحون"، وفتح الممالك السيحونية الثلاث: "الشاش" و"أشروسنة" و"فرغانة" ثم دخل أرض الصين، وأوغل في مقاطعة تركستان الشرقية، ووصل إلى إقليم "كاشغر" وجعلها قاعدة إسلامية، وتهيأ لفتح باقى بلاد الصين لولا أن وفاة "الحجاج بن يوسف الثقفي" والى العراق والمشرق "سنة ٩٥هـــ"، والخليفة الأموى "الوليد بن عبد الملك" "سنة ٩٦هـــ" —وكانا أكبر مؤيدين لهذا الفتح– جعلته يتوقف عند هذا الحد، لكنه أجبر ملك الصين على دفع الجزية٢. ثم دانت لحكم العباسيين بعد سقوط الخلافة الأموية, وفي فترات ضعف الخلافة العباسية قامت في المنطقة مجموعة من الدول المستقلة، وتوطد الإسلام في تركستان الشرقية، سنة (٣٢٢هـــ – ٩٣٤ م)، بعد ما اعتنق الخان "ستاتول بوجرا"، الذي أصبح حاكمًا للإقليم الإسلام، وأسلم لإسلامه معظم السكان، وبمرور الوقت أصبح شرق تركستان مركزًا رئيسيًا من مراكز الإسلام في آسيا,ثم حكمها المغول بعد قضاء جنكيز خان على الدولة الخوارزمية سنة (٦٢٨هـــ = ١٢٣١م)٣.

ثانياً: طريق الدعوة والتجارة البرية:بدأ المسلمون من تركستان الشرقية يدخلون الصين تجاراً ودعاة, حتى وجدت جاليات إسلامية كبيرة فى بعض المدن مثل مدينة يانغ شو, وحقق الإسلام قفزة واسعة فى الصين بصفة عامة فى عصر مملكة يوان المغولية (١٢٧١– ١٣٦٨م)٤, التى تربعت على عرش الصين بعدما أطاح قوبلاى خان بحكومة أسرة سونغ.١.

١محمود شاكر– الأقليات الإسلامية (المكتب الإسلامى ببيروت سنة ١٩٩٥م)– ص١٣٦.

٢راجع: تفاصيل الحروب والمعارك التي خاضها قتيبة في بلاد ما وراء النهر: البلاذرى– فتوح البلدان (دار الهلال ببيروت سنة ١٩٨٨م) ص٥١٦، ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٢, تاريخ اليعقوبي (بيروت سنة ١٩٨٠م) ج٢ ص ٢٨٧, تاريخ الطبري (دار التراث ببيروت سنة ١٣٨٧هـــ)ج٦ص ٤٢٥، ٤٣٢، ٤٣٦–٤٣٧، ٤٥٥، ٤٦٣، ٤٧٠، ٤٧٣، ٤٨٠، ٥٠٣، ٥٠٤.

٣الذهبى– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (دار الكتاب العربى ببيروت سنة ١٩٩٣م) ج٤٤ ص٢٢.

٤يقسم الصينيون تاريخهم إلى سبع مراحل حسب الأسر الحاكمة أو الأنظمة القائمة، وهي:

١– عهد تانغ: التاريخ القديم. (٦١٨– ٩٠٧م).

٢– عهد سونغ: ٣٠٨ – ٦٧٥هـــ. (٩٢٠ – ١٢٧٦م).

٣– عهد يوان "العهد المغولي": ٦٧٥ – ٧٦٩هـــ. (١٢٧٦ – ١٣٦٧م).

٤– عهد منغ: ٧٧٠ – ١٠٥٢هـــ. (١٣٦٨ – ١٦٤٢م).

٥– عهد تسونغ "العهد المانشوري": ١٠٥٤ – ١٣٢٩هـــ. (١٦٤٤ – ١٩١١م).

أما أسرة مينغ (١٣٦٨– ١٦٤٢م) فقد تميزت سياستها تجاه المسلمين بقدر معقول من الاعتدال والود أحياناً, الأمر الذى انعكس على امتيازات عديدة منحت للمسلمين, وأعداد كبيرة من المساجد بنيت فى ظل تلك الأسرة, وظهور العديد من العلماء المسلمين أشهرهم خوونغ تشو الذى يلقبونه بأستاذ الأساتذة لأنه أول عالم مسلم فى الصين حول المساجد إلى مدارس فى القرن السادس عشر, وأدخل التعليم الديني ضمن مسؤولية الإمام ورسالة المسجد٢. وجاءت أسرة المانشو إلى الحكم في الصين سنة (١٠٥٤هـ – ١٦٤٤م) ، وكانت الأوضاع المستقرة للمسلمين في الصين قد أفرزت علماء متخصصين في علوم القرآن والحديث والفقه والتوحيد، بالإضافة إلى قيادات فكرية رفيعة المستوى، مثل: الشيخ "وانج داي يو" الذى يعتبر أول من كتب عن الدين باللغة الصينية، و"مافوتشو" الفقيه المرموق، الذى كان يقوم بالتدريس والتأليف معاً. وبدأ عهد أسرة مانشو بداية لا تبشر بخير؛ إذ بدأت حملة من الاضطهاد والعذاب للمسلمين في الصين، اضطر المسلمون خلالها إلى رفع السلاح –لأول مرة في تاريخ الصين– سنة (١٠٥٨هـ – ١٦٤٨م) مطالبين بالحرية الدينية، وهو ما كلفهم الكثير من الدماء والأرواح، وقتل مئات الآلاف من المسلمين، وقُمعت ثورات المسلمين بقسوة شديدة وصلت إلى حد المذابح والإبادة الجماعية، وكانت هذه الفظائع تجري خلف أسوار الصين، دون أن يدري بها أحد في العالم الإسلامي٣.

ثالثاً: طريق التجارة البحرية: وصل المسلمون الى الصين فى بداية الأمر عن طريق البحر, واتجهوا إليها تجاراً ودعاة, وكانت أول مدينة استقروا فيها هى مدينة كانتون, ومنها اتجهوا إلى الداخل, فوصلوا إلى مدن تشوان تشوا, ويانغ تشو، وهانغ تشو على ضفاف نهر يانغ تسى. وتذكر المصادر الصينية أن أول مندوب عربى وصل إلى الصين فى ٢٥ أغسطس سنة ٦٥١م (٣١هـ) مبعوثاً من الخليفة عثمان بن عفان, والتقى بإمبراطور الصين فاوتسنغ, ولكنها لم تذكر الأسباب التى دعت خليفة المسلمين عثمان بن عفان لإرسال وفده للقاء الإمبراطور٤, بينما تذكر المصادر العربية أن ملك الصين هو الذى بادر بإرسال مبعوثيه إلى خليفة المسلمين, بعد أن استنجد به يزدجرد ملك الفرس بعد هزيمته فى معركة نهاوند أمام المسلمين, فأراد إمبراطور الصين أن يقف على حقيقة هذه القوة الصاعدة, فأرسل مبعوثيه, وإزاء ذلك بعث الخليفة عثمان برسله إلى ملك الصين للتحية, والتبليغ بالدين الجديد٥. كما بلغ عدد البعثات الإسلامية إلى الصين أيام الأمويين ست عشرة بعثة, وأيام العباسيين اثنتى عشرة بعثة, وكان للمسلمين فى كانتون حياتهم الاجتماعية والسياسية الخاصة بهم, حيث كانت لهم محلة خاصة بهم غربى المدينة, ولهم شيخ منهم يتولى أمورهم باسم ملك الصين, كما وجدت جالية إسلامية فى مدينة تشوان تشو, وبنى بها المساجد, والتقى ابن بطوطة أثناء زيارته للصين بعلماء المدينة, ومنهم شرف الدين التبريزى, وبرهان الدين الكازرونى, كما زار ابن بطوطة مدينة هانغ تشو, وزار المساجد والمدارس التى بناها المسلمون بها٦.

احتلال الصين لتركستان: بعد ضعف المغول وزوال حكمهم من تركستان بعد وفاة تيمور لنك سنة ١٤٠٥م, قامت عدة دول إسلامية فى منطقة تركستان, ثم استولى الصينيون على تركستان الشرقية سنة (١١٧٤هـ – ١٧٦٠م) بعد أن ضعف أمر المسلمين بها، وقتلت القوات الصينية وقتها مايزيد عن مليون مسلم،ونفى ٢٢٠٠٠عائلة تركية إلى داخل الصين, وألغى الصينيون نظام البكوات الذي كان قائمًا بها، ووحدوا أقسام تركستان في ولاية واحدة، كما اتبعت

٦- العهد الجمهوري: ١٣٢٩ – ١٣٦٩هـ. (١٩١١ – ١٩٤٩م).
٧- الحكم الشيوعي: ١٣٦٩هـ– ٠٠٠٠. (١٩٤٩م– ٠٠٠٠).
محمود شاكر– الأقليات الإسلامية– ص١٣٧.
١توماس أرنولد– الدعوة إلى الإسلام– ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرون (القاهرةسنة ١٩٤٧م).ص٣٣٥.
٢فهمى هويدى– الإسلام فى الصين (عالم المعرفة– العدد٤٣) ص٦٤.
٣فهمى هويدى– الإسلام فى الصين– ٧٢.
٤فيصل السامر– الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية فى الشرق الأقصى– ص١١٢.
٥تاريخالطبرى– ج٤ ص١٧٢.
٦ابن بطوطة– تحفة النظار فى غرائب الأمصار (دار الشرق العربى) ج٢ ص٤٧٧ وما بعدها.

الصين سياسة استيطانية في تركستان الشرقية؛ حيث عملت على نقل كتل بشرية صينية إلى هذه المنطقة، وهذا ما يسمى بسياسة "تصيين تركستان الشرقية"١.

وقام المسلمون بثورات عنيفة، منها: ثورةجهانكير سنة (١٢٤٢هـ – ١٨٢٦م)، واستمرت سنتين، وتمكن من دخول كاشغر, ولكنه هزم فى معركة نهر الخون, وسيق إلى بكين حيث لقى مصرعه٢. ومنها: ثورة سنة (١٢٧٢هـ – ١٨٥٥م) التي استمرت عشرين عامًا، بقيادة "يعقوب بك"، وانتصر على الصينيين فى عدة معارك, وقد تمكن المسلمون أثناءها من الاستقلال بتركستان الشرقية سنة (١٢٨٢هـ – ١٨٦٥م)، وذلك أثناء الصراع مع أسرة مانشو، و لم تجد هذه الدولة الوطنية تأييدًا ولا اعترافًا من العالم، وتمكنتالصينفى آخر الأمر من هزيمته والقضاء عليه وعلى أفراد أسرته, وإعدام مايزيد على ألف من أنصاره فى وقت واحد سنة ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٦م٣. وتم تحويل تركستان إلى مقاطعة صينية فى مرسوم صدر فى ١٨ نوفمبر سنة ١٨٨٤م, وتسميتها سنكيانج- أى الوطن الجديد- وجعل أورمجى عاصمة لها٤.

المسلمون فى العهد الجمهورى: كانت هذه السنوات بمثابة التقاط الأنفاس بالنسبة للمسلمين (١٩١١- ١٩٤٩م), فتزايدت خلالها معاهدهم ومدارسهم, وتجددت صلاتهم بالعالم الإسلامى, فعادت وفود الحجاج إلى بيت الله الحرام, وتم إيفاد مبعوثين صينيين للدراسة فى الأزهر, وبلغ مجموع الصينيين الذى درسوا فى الأزهر خلال هذه الفترة خمسة وثلاثين شخصاً, ولكن واجهتهم مشكلة عدم اعتراف حكومة الصين بشهاداتهم٥. ورغم هذا لم يستسلم شعب تركستان للاحتلال الصيني مهما تغيرت مسميات نظم الحكم فيه, فقامت ثورة عارمة في تركستان الشرقية ضد الصين سنة (١٣٥٠هـ – ١٩٣١م)، كان سببها تقسيم الحاكم الصيني المنطقة التي يحكمها "شاكر بك" إلى وحدات إدارية، فبدأ التذمر، ثم وقع اعتداء على امرأة مسلمة من قبل رئيس الشرطة، فامتلأ الناس غيظًا وحقدًا على الصينيين، وتظاهروا بإقامة حفل على شرف رئيس الشرطة, وقتلوه أثناء الحفل مع حراسه البالغ عددهم اثنين وثلاثين جنديًا.لقد كانت ثورة عنيفة، اعتصم خلالها بعض المسلمين في المرتفعات، و لم تستطع القوات الصينية إخمادها، فاستعانوا بقوات من روسيا لم تُجْدِ نفعًا مع بركان الغضب المسلم، فانتصر المسلمون عليهم، واستولوا على مدينة "شانشان"، وسيطروا على "طرفان"، واقتربوا من "أوروجي" قاعدة تركستان الشرقية. وأرادت الحكومة الصينية تهدئة الأوضاع فعزلت الحاكم العام؛ غير أن المسلمين كانوا قد تمكنوا من الاستيلاء على "أوروجي"، وطردوا الحاكم العام قبل أن تعزله الدولة، وتسلم قادة المسلمين السلطة في الولاية، ووزعوا المناصب والمراكز على أنفسهم، فما كان من الحكومة الصينية إلا أن رضخت للأمر الواقع، واعترفت بما حدث، وأقرّت لقادة الحركة بالمراكز التي تسلموها. وقد امتدت الثورة إلى منطقة تركستان الشرقية كلها، وقام عدد من الزعماء بالاستيلاء على مدنهم، ثم اتجهوا إلى "كاشغر" واستولوا عليها، وكان فيها "ثابت داملا" أي الملا الكبير، فوجدها فرصة, وأعلن قيام حكومة "كاشغر الإسلامية"، أما "خوجةنياز" أو "عبد النياز بك"، فقد جاء إلى الثائرين في كاشغر ليفاوضهم وينهي ثورتهم، إلا أنه اقتنع بعدالتها، فانضم إليهم, وأعلن قيام حكومة جديدة باسم "الجمهورية الإسلامية في تركستان الشرقية" -وكان ذلك في (٢١ رجب ١٣٥٢هـ – ١٢ نوفمبر ١٩٣٣م)- على المبادئ الإسلامية، وقد اختير "خوجةنياز" رئيسًا للدولة، و"ثابت داملا" رئيسًا لمجلس الوزراء٦. و لم تلبث هذه الحكومة طويلاً، فقد تحالفت روسيا مع الصين ضدها خشية قيام دولة إسلامية فى تركستان الشرقية تهدد مصالحها الاستعمارية فى تركستان الغربية, وتمكن الجيش الصيني الروسي من هزيمة خوجةنياز بك" مع جيشه البالغ (٨٠) ألف جندي، بعدما استشهد "خوجة نياز" في (٦ جمادى

١التركستاني- حقائق عن التركستان المسلمة (المؤسسة العربية للطباعة- جدة ١٣٨٤هـ) ص١٥.

٢محمود شاكر- الأقليات الإسلامية- ص١٣٨.

٣محمود شاكر- الأقليات الإسلامية- ص ١٣٩.

٤رحمة الله رحمتى- التهجير الصينى (سلسلة دعوة الحق عدد٩٣ الصادر سنة ١٤١٠هـ) ص٥٣.

٥فهمى هويدى- الإسلام فى الصين- ص١٠١.

٦محمود شاكر- الأقليات الإسلامية- ص١٥٦.

الآخرة ١٣٥٦هـــ - ١٥ أغسطس ١٩٣٧م)، وبذلك أسقط التحالف الصيني الروسي هذه الجمهورية المسلمة، وقام بإعدام أعضاء جميع أعضاء الحكومة مع عشرة آلاف مسلم, وحصل الروس مقابل مساعدتهم للصين على حق التنقيب عن الثروات المعدنية، واستخدام عدد من الروس في الخدمات الإدارية في تركستان الشرقية١. ونتيجة لما عاناه المسلمون فى تركستان من مظالم وتعذيب من رجال الحكومة المزدوجة من الصينيين والروس قامت ثورة أخرى بقيادة عالم الدين "علي خان" في عام (١٣٦٤هـــ - ١٩٤٤م)، وأعلن استقلال البلاد، غير أن روسيا والصين تعاونتا على إحباط هذا الاستقلال، وقام الروس وعملاؤهم باختطاف قائد هذه الثورة الإسلامية، وتم إرغام الوطنيين على قبول صلح مع الصين مقابل الاعتراف بحقوقهم في إقامة حكومة من الوطنيين, وإطلاق يد زعمائهم في شؤونهم الداخلية٢. وقد حصلت تركستان الشرقية على الاستقلال الذاتي سنة (١٣٦٦هـــ - ١٩٤٦م)، وتم تعيين "مسعود صبري" رئيسًا للحكومة، فاتبعت الحكومة الوطنية الجديدة سياسة حازمة لإضفاء الصفة الوطنية على كل المؤسسات، وقد استطاع المسلمون في تركستان الشرقية أن ينظموا أنفسهم أثناء الحرب العالمية الثانية، فأنشئوا مطبعة وعدداً من المدارس، وأصدروا مجلة شهرية باللغة التركية، وبعد انتهاء هذه الحرب اجتاحت القوات الصينية الشيوعية هذه المنطقة سنة (١٣٦٨هـــ - ١٩٤٩م)، بعد قتال عنيف متواصل مع المسلمين، استمر في بعض المعارك عشرين يوما متواصلة.

المسلمون تحت الحكم الشيوعي: عندما سيطر الشيوعيون على الصين كان يقدر عدد المسلمين فيها بأكثر من ثمانية وأربعين مليوناً٣, فى الوقت الذى كان عدد سكان الصين يقدرون بأربعمائة وثمانين مليوناً, وهذا يعنى أن المسلمين يشكلون ١٠% من السكان, بالإضافة إلى وجود عدةآلافمنالمساجد, منها فى تركستان وحدها ما يزيد على ألفى مسجد٤. وقام الشيوعيون منذ احتلالهم بارتكاب مذابح رهيبة، أعقبها استقدام مهاجرين صينيين بأعداد ضخمة في عملية عملية احتلال استيطاني واسعة؛ وذلك للتقليل من عدد أهل البلاد المسلمين، وألغى الصينيون الملكية الفردية، واسترقوا الشعب المسلم، وأعلنوا رسميًا أن الإسلام خارج على القانون، ويعاقب كل من يعمل به، ومنعوا خروج التركستانيين الشرقيين خارج البلاد، كما منعوا دخول أي أجنبي إليهم، وألغوا المؤسسات الدينية وهدموا أبنيتها، واتخذوا المساجد أندية لجنودهم. وغيروا الأبجدية الوطنية بحروف لاتينية، وجعلوا اللغة الصينية اللغة الرسمية، واستبدلوا بالتاريخ الإسلامي تعاليم "ماوتسي تونج"، وأرغموا المسلمات على الزواج من الصينيين، ولم يتوقف هذا الحقد الأسود الدفين تجاه المسلمين الذين تعرضوا لجهود دولة كبرى لاسترقاقهم, وطمس الإيمان في قلوبهم، ولما قامت الثورة الثقافية في الصين (١٩٦٦-١٩٧٦م) زاد الأمر سوءا، وزادت حدة اضطهاد المسلمين، وكان ضمن شعارات الثورة: "ألغوا تعاليم القرآن"٥. وتم إغلاق معهد بكين الإسلامى سنة ١٩٥٩م بعد أربع سنوات فقط من افتتاحه, وهو المنفذ الوحيد أمام جميع مسلمى الصين لتعلم الفقه والحديث وعلوم القرآن واللغة العربية, ولم يبق أمام المسلمين فى كل أنحاء الصين منفذ واحد يستطيعون من خلاله إعداد كوادر إسلامية تقوم حتى بتلك المهام البسيطة, من الإمامة والخطابة ووعظ الناس, ولم يعد أمام المسلمين سوى نقل نشاط تعليم الدين إلى البيوت. ثم حدث فى بداية الستينات ما هو أشد خطراً, فقد تمت عملية تهجير واسعة من وإلى منطقة تركستان (سنكيانغ), فنقلت آلاف الأسر الصينية من قومية الهان اللادينية إلى تركستان, ونقلت آلاف الأسر المسلمة منها إلى مختلف مقاطعات الصين٦. ورغم هذا الكبت والاضطهاد فقد استمرت ثورات المسلمين العنيفة التي تعمل الصين على الصين على إخفاء أبنائها عن العالم، ومنها ثورة (١٣٨٦هـــ - ١٩٦٦م) في مدينة "كاشغر"، التي حاول فيها المسلمون

١رحمة الله رحمتي- التهجير الصيني- ص٥٣.

٢محمود شاكر- الأقليات المسلمة- ص١٥٨.

٣تصر السلطات الرسمية الصينية على أن عدد المسلمين فى الصين حتى سنة ٢٠٠٠م لم يتعد ثلاث عشرة مليوناً. فهمى هويدى- الإسلام فى الصين- ص ١٢٩.

٤جى, بدر الدين- تاريخ المسلمين فى الصين فى الماضى والحاضر (بيروت ١٣٩٤هـــ) ص١٠٤.

٥رحمة الله رحمتي- التهجير الصيني- ص٥٩.

٦فهمى هويدى- الإسلام فى الصين- ص١١٦.

أداء صلاة عيد الأضحى داخل أحد المساجد، فاعترضتهم القوات الصينية, وارتكبت في حقهم مذبحة بشعة، وانتشرت الثورة في الإقليم، وقام المسلمون بحرب عصابات ضد الصينيين، واستشهد في هذه الثورة -خلال أحد شهورها- حوالي ٧٥ ألف شهيد، ولا تكف الأخبار عن تناقل أنباء انتفاضات للمسلمين في تركستان الشرقية ضد الاحتلال الصيني الدموي اللا إنساني١. ونتيجة لتلك المعاناة المستمرة – وحتى يدافع المسلمون عن وطنهم ويحافظون على دينهم وهويتهم – قام شعب تركستان الشرقية بحوالى خمس وأربعين ثورة وتمرد ضد الشيوعيين في الفترة من عام ١٩٤٩م إلى ١٩٦٨م، أعدم منهم ما يقارب ٣٦٠ ألف مسلم من تركستان الشرقية..ونجح أكثر من ٢٠٠ ألف في الهجرة إلى الدول المجاورة، بينما اعتقل ونقل نحو٥٠٠ ألف إلى ١٩ معسكر أشغال شاقة في تركستان الشرقية

مرحلة ما بعد ماوتسي تونغ: بدأت فترة المعاصرة بعد وفاة ماو في عام ١٩٧٦م، وبعد أن ثبّت الشيوعيون أقدامهم في تركستان الشرقية, وذلك عبر القضاء على الزعماء الوطنيين, والعلماء, ورجال الدين, ورجال الأعمال بشتى الأساليب, وبعد القضاء على التعاليم الإسلامية والحضارة التركية والمعالم الوطنية, وبعد فرض سياسته التصيين الثقافي والتعليمي.. وتتميز هذه الفترة بتحول الشيوعيين الصينيين من تطبيق سياسة الإرهاب المكشوف إلى ممارسة سياسة تطبيق الشيوعية العلمية والتصيين الثقافي.٢. ورغم بعض الانفتاح الذى عاشه المسلمون بعد عصر ماو, ومحاولة إعادة جسور الاتصال بالعالم الإسلامى, وسماح الحكومة بافتتاح بعض المساجد المغلقة فى تركستان, إلا أن القوانين ظلت تشجع الإلحاد, وتدعو لنشره, والقانون الذى يفترض أنه يحمى المسلمين من الاضهاد تمت صياغته بأسلوب مثير للغرابة والدهشة, ففى قانون العقوبات تقول كلمات النص التى أضيفت إليه سنة ١٩٧٩م: "يعاقب الذين يفرطون فى تجريد المواطنين من حريتهم فى العقيدة الدينية, والذين ينتهكون أعراف وتقاليد الأقليات القومية على نحو غير شرعى". وذلك معناه أن النص لا يجرم تجريد المواطنين من حرية العقيدة من حيث المبدأ, ولا يعارض انتهاك تقاليد الأقليات من الأساس, أى أن التجريد إذا تم من غير إفراط, والانتهاك إذا تم على نحو شرعى فإنه يصبح قانونياً, ومقبولاً, وربما كان مطلوباً٣. ولذلك استمرت الضربات الموجعة لمسلمى تركستان, ففي يوم ٥ أبريل ١٩٩٠م أراد أهل قرية بارين في منطقة آقتو في جنوب كاشغر بناء مسجد جديد في قريتهم، فاعترضت السلطات الشيوعية وبدأ الاشتباك معهم، وقصفت القوات الصينية تلك القرية بالمدافع والطائرات، بل ازدادت وحشيتهم بإلقاء القنابل اليدوية على البيوت لإجبار النساء والأطفال على الخروج منها، فمن لم تقتله القنابل قتله رصاص الجنود الصينيين, وذهب ضحيتها أكثر من ستين مسلماً حسب إعلان الحكومة، واعتقل أكثر من ألف شخص ولا يزال بعض من ألقي القبض عليهم في السجون حتى اليوم..وقد ألقى سونغ هان ليانغ – رئيس الحزب الشيوعي للمقاطعة – تقريراً عن هذه الواقعة في اجتماع اللجنة المركزية لأعضاء الحزب الشيوعي لمقاطعة شينجيانغ (تركستان الشرقية) في ٢١ أبريل١٩٩٠م، واتخذت السلطات الصينية على إثره عدة إجراءات تم تنفيذها من تاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٩٠ م وتضمنت ما يلي:

أ – إجبار جميع رجال الدين على حمل تصاريح رسمية تمنح لهم على ضوء تقارير الجهات الأمنية التي تؤكد على مدى تعاونهم ومؤازرتهم لرجال السلطات والحزب الشيوعي، وتجدد لهم سنويا حسب التقارير التي ترفع عنهم

ب – إرسال الأئمة ورجال الدين إلى معسكرات عمل لإعادة تأهيلهم وفق المبادئ الشيوعية وتعاليم السلطات الصينية في التعامل مع شؤون المسلمين الدينية والاجتماعية

ج – استدعاء رجال الدين إلى المراكز الأمنية والمباحث وإجبارهم على توقيع تعهدات بالامتناع عن تعليم أبناء المسلمين أحكام دينهم الحنيف في المنازل أو في المساجد.

١فهمى هويدى- الإسلام فى الصين- ص١١٩.

٢محمود شاكر الأقليات الإسلامية — ص ١٦٤.

٣فهمى هويدى- الإسلام فى الصين- ص١٢٣.

د – الاكتفاء بالمساجد القائمة بحجة أنها كثيرة, وأنها تسبب إزعاجاً لسكان الأحياء الجديدة، وحظر استخدام مكبرات الصوت إلا في المساجد الرئيسية في المدن المفتوحة التي يتردد إليها السياح الأجانب، وأن يكون استخدامها لصلاة العيدين وصلاة الجمعة فقط, وقد أدت هذه الإجراءات إلى إيقاف بناء ٢٣٥ مسجداً وإغلاق خمسين مدرسة في كاشغر فقط

هـ – منع أفراد الشعب التركستاني من ممارسة حقوقهم الإنسانية المشروعة, كالتعليم وحرية التعبير, إلى جانب الاعتداء على تلك الحقوق بالمطاردة والاعتقال، بل والقتل كما أثبتت ذلك منظمة العفو الدولية.

وإذا كان التعليم الإسلامي لا يسمح له بالانتشار بين مسلمي تركستان الشرقية، فالتعليم الفني لم يكن أفضل منه:

مجلة النشرة الاقتصادية للشرق الأقصى التي تصدر في هونغ كونغ أشارت – في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/١/٢٩م– إلى أن نسبة المسلمين الأتراك تصل إلى ٦٠ % في تركستان الشرقية، ولكن نسبتهم في المدارس الابتدائية ٥٢.٩ %، وفي المدارس الثانوية ٣١.٥ % من إجمالي الطلاب..وأما الجامعات والمعاهد العلمية فلا يدخلها إلا ١٠ % من طلاب المسلمين خريجي الثانوية العامة، ولا يزيد نسبتهم فيها عن ٤٠ %.. ولا يزيد نسبة الأساتذة الجامعيين التركستانيين عن ٢٦ % من جملة أساتذة الجامعات في تركستان الشرقية, وهذا ما أدى إلى انخفاض نسبة المتعلمين إلى ٩٤ شخص في كل ألف شخص

كما أن الكتب التي تدرس في المعاهد العليا والفنية فكلها باللغة الصينية. ويعاني خريجو المدارس المحلية الصعوبات أثناء تأدية اختبارات المعاهد التعليمية, لكون أوراق أسئلة الامتحانات باللغة الصينية، حيث يمكنهم فيما بعد دخول المعاهد العليا دون مواجهة مشاكل لغوية. إلا أن الطلاب المسلمين الأتراك بعد تخرجهم من المعاهد العليا يواجهون صعوبات في التحدث بصورة صحيحة بلغتهم الأم, فهم يلجؤون إلى استخدام الكلمات الصينية في حديثهم, كما أنهم ينسون عاداتهم وتقاليدهم, ويسلكون المسلك الصيني, مما يسبب ردة فعل سلبية بين أبناء جلدتهم. وفي مقال نشرته صحيفة الشرق الأوسط تحت عنوان (تركستان الشرقية ليست صينية وتاريخها شاهد كبير)١، ذكر الكاتب التركستاني – توختي أخون أركين – أنه وعقب الاحتلال الصيني المانشوري الأول لبلاد تركستان في عام ١٧٦٠م أطلق الصينيون عليها اسم بلاد الأويغور خوي جيانغ .Hui Chiang وبعد الاحتلال الصيني المانشوري الثاني لتركستان الشرقية في عام ١٨٧٧م، صدر مرسوم إمبراطوري بتاريخ ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٤م بتحويل تركستان الشرقية إلى مقاطعة، وتسميتها سنكيانغ Sinkiang أو شنجانغ.Xinjiang . إن الوجود الصيني، أيا كان نوعه، لم يكن مستمرا كما يؤكده الرحالة الصينيون أنفسهم. وتقول الباحثة الصينية وان شوي يو – Wan Xueyu التي تعمل أستاذة مشاركة في معهد دراسات آسيا الوسطى في جامعة شنجانغ–: عندما احتلت عائلة جنغ المالكة هذه البلاد بالقوة العسكرية في عام ١٧٥٩م، لم يكن هناك أي أثر للاستيطان الصيني في شنجانغ، ما عدا جماعات صغيرة قليلة العدد في الجزء الشمالي من شنجانغ. وهكذا في عام ١٩٤٤م، قبْل الحكم الشيوعي كانت نسبة الصينيين ٥.٧% إلى ٧٦% من الأويغور، أكثرهم من أفراد الجيش الصيني والموظفين، إلى جانب عوائلهم وبعض رجال الأعمال والتجارة. وفي عام ١٩٩٠م أصبح عدد الصينيين ٥.٦٩٥.٦٢٦ نسمة بنسبة ٣٧.٥٩%، وعدد الأويغور ٧.١٩٤.٧٦٥ نسمة أي نسبة ٤٧.٤٩%، وفي الوقت الذي بلغ عدد القوميات الأخرى ١١ قومية، ونسبتها ١٨.٣%..في عام ١٩٤٤م صار عددها ١٨ قومية ونسبتها ١٤.٩٢%، ومنها فقط ست قوميات أصيلة، وهي القازاق والقيرغيز والتاجيك والاوزبك والتتار والمغول.

وفي رده على السفير الصيني في السعودية – الذي قال في مقال صحفي–: "وفي سنة ٦٠ ق.م. أسست الحكومة المركزية لأسرة الهان الغربية ولاية المنطقة الغربية الإدارية في شنجانغ, وبنت المدينة, وأرسلت جيشا إليها, وتم جمع الضرائب فيها وذلك دليل على كون منطقة شنجانغ جزءاً من أراضي الصين رسميا"– قال توختي: لم يشأ السفير أن يتحدث حول استمرار ذلك الاحتلال، بدون انقطاع، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، وكم مرة احتلت قوات الأتراك لويانغ وشيان عاصمة الصين القديمة, وفرضت الضرائب على الصين؟, هنا لا بد من الإشارة إلى معاهدة هو تشين–Ho

١جريدة الشرق الأوسط في عددها الصادر بتاريخ ١٤٢٢/١٢/٦هـ.

Hu ch"in، التي جرى توقيعها بين ملك الهون قوغوشار، الذي يعرف في المصادر الصينية باسم هومان يه شان يو Han-yeh Shan-yu، مع الإمبراطور الصيني هسوان تي Hsuan-ti في شيان Xi"an عاصمة الصين في عام ٥١ ق.م، أي بعد تسعة أعوام من التاريخ الذي يشير إليه السفير.

وتتضمن هذه المعاهدة التي تجددت مرات عدة على الشروط التالية:

-جزية سنوية تشمل الحرير والحبوب والخمر إلى ملك الهون.

-يقدم البلاط الصيني أميرة صينية إلى ملك الهون.

-دولتا الهان والهون متكافئتان ولكل منهما السيادة في مملكتهما.

-كلتا الدولتين تقبلان أن يكون سور الصين الحد الفاصل بينهما.

والواقع أن مثل هذا الاستدلال التاريخي في الادعاء بأرض الغير، ليس غريبا على حكومة الصين الشعبية- والكلام لا زال لتوخي- إذ لا يزال التاريخ يذكر بجلاء، عندما عممت حكومة الصين الشعبية على طلاب المدارس الثانوية كتاباً مدرسياً بعنوان) :مختصر تاريخ الصين الحديث (Chung-kuo chin-tai chien shih في عام ١٩٥٦م، ادعت فيه السيادة على الممالك التي استقلت في ما بين ١٨٤٠ - ١٩١٩م، منها نيبال وبوتان وماليزيا وتايلاند وبورما وكوريا وانام، وكذلك أراضي أسام وسيكيم وسخالين، وارخبيل سولو وريو كيو، وأجزاء من قزاقستان وقيرغيزستان وتاجيكستان، ولا يزال خلافها مع الهند على الأراضي التي احتلتها مستمرا إلى يومنا هذا.

وحول الانتهاكات الصينية ضد المسلمين في تركستان الشرقية أشار مقال الكاتب إلى تقرير منظمة العفو الدولية عن انتهاك حقوق الإنسان في شنجيانغ (تركستان الشرقية) رقم ASA١٧/١٨/٩٩ ، وتقرير اللجنة الدولية بمراقبة حقوق الإنسان Human Right Watch الصادر في ٧ ديسمبر عام ٢٠٠٠م. وكذلك إلى ما نشرته جريدةساوث جاينا مورنينغ بوست (South China Morning Post التي تصدر في هونغ كونغ التي نشرت تقريرا بتاريخ ١٩٩٨/٢/٣ أكد أن دخل الفرد الأويغوري المسلم هو أقل الدخول في الصين، إذ يبلغ سنويا ١١٣٦ يوان، أي ما يعادل ١٥٠ دولارا أمريكيا، بينما دخل الفرد في المدن الصينية يبلغ أكثر من ٤٠٠٠ يوان..ودخل الفرد الصيني في الأرياف ١٩٢٦ يوان، وأن متوسط عمر الأويغوري المسلم هو الأقل في الصين وهو ٦٣ عاماً، بينما متوسط عمر الفرد الصيني في الصين ٧٠ عاماً..إضافة إلى ذلك فقد اعتقلت ١٧٠٠٠ شخص في شنجيانغ, ووضعتهم في وحدات العمل الإجباري ومزارع الجيش، هذا عدا المعتقلين في السجون, كما هدمت السلطات الشيوعية ١٣٣ مسجدا، وأغلقت ١٠٥ مدارس، ولا يزال مسلسل هدم المساجد مستمرا إلى الآن.

انتهاكات أخرى: يبدو أن معاناة الشعب التركستاني من الاحتلال الصيني الشيوعي تزيد أكثر فأكثر وجرحه لا ينـدمل منذ حوالي ستة عقود مضت..فبعد أن احتلت الصين الشيوعية تركستان الشرقية, وأغلقت الحدود والمنافذ الخارجية نهائيا للخارج والداخل, وأصبح الشعب التركستاني في سجن كبير بما يسمى شنجيانغ المتمتع بالحكم الذاتي لقومية أويغور، والذين كانوا خارج البلاد لم يستطيعوا العودة، كانت هناك مأساة الأسر التي وصلت - أو كانت في طريقها إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج - اضطرت في البقاء في أماكن وجودها تنتظر فرصة العودة إلى بلادها منذ ستين عاما، ولكن طال الانتظار، حتى أن بعض التركستانيين أقاموا في بلاد الحرمين منذ أكثر من ستين سنة آملين العودة إلى بلادهم في يوم من الأيام[١]. وبعد هلاك الزعيم الصيني الشيوعي ماو تسي تونغ سنة ١٩٧٦م حدثت تغيرات طفيفة في السياسة الخارجية للصين وبدأ ما يسمى الانفتاح من الداخل إلى الخارج دون العكس، وسمح لبعض التركستانيين الذين لهم أقارب في الخارج السفر خارج الصين لزيارة الأقارب..وأول ما فكر المسلمون في السفر إلى الخارج كان سفر الحج إلى الأراضي المقدسة، والبداية كانت مع موسم حج عام١٩٨٣م وكان عدد الحجاج التركستانيين لا يتجاوز ١٥ شخصا، وزاد العدد في السنة التالية إلى ٣٠٠ حاجا تقريبا.

١موقع مركز تركستان الشرقية للأخبار على شبكة المعلومات الدولية.

ومنذ ذلك الحين كان يتراوح عدد الحجاج التركستانيين كل عام بين ٥٠٠- ١٠٠٠ حاج. وكانت معاناتهم قاسية جدا حيث كانوا يلجأون إلى عدة دول للحصول على تأشيرة العمرة أو الحج من دول مجاورة لتركستان الشرقية مثل باكستان، وقازاخستان،وتركيا، والإمارات العربية المتحدة, لأن الصين كانت تمنع من يحمل تأشيرة عمرة أو الحج منمغادرة البلاد..وإحساسا بمعاناة مسلمي تركستان الشرقية والصين أمرت حكومة خادم الحرمين الشريفين منذ عام ١٤٢٥ه ولثلاثة أعوام متتالية بالسماح لهم بالقدوم إلى المملكة العربية السعودية في رمضان, والجلوس بجوار الحرمين الشريفين إلى أن يحين موسم الحج, وكان هذه المكرمة سببا في تخفيف معاناتهم القاسية والطويلة ولو نسبيا, وكذلك زاد عدد الحجاج من ألفي شخص إلى خمسة آلاف. ومع اقتراب موسم رمضان والحج لعام ١٤٢٨هـ نشطت السلطات الصينية في تركستان الشرقية لمنع تدفق مسلمي تركستان والصين إلى باكستان, وتكرار ما حدث في رمضان الذي قبله..وفي العاصمة التركستانية أورومجي أقيمت ندوة خاصة برئاسة الحاكم الصيني العام, وسكرتير الحزب الشيوعي في تركستان (وانغ لي تشوان) بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٨م, لاتخاذ إجراءات صارمة لمنع وصول مسلمي تركستان الشرقية في الأراضي المقدسة[١]. وقال وانغ – خلال حديثه في الندوة –: "علينا اتخاذ إجراءات صارمة لمنع وصول مسلمي تركستان الشرقية إلى المملكة العربية السعودية باستثناء حجاج البعثة الصينية في موسم الحج، والطريقة المثلى لمنعهم سحب جوازات السفر من قومية الأويغور بدون استثناء"..منذ تلك اللحظة نفذت السلطات المحلية – بتهديد السلاح – أوامر الحاكم الصيني وانغ لي تشوان بحذافيرها, وبدأت حملة سحب جوازات سفر التركستانيين على مستوى المنطقة كلها، وأي شخص يرفض تسليم جواز سفره تفرض عليه غرامة مالية كبيرة, وقدرها ٥٠٠٠٠ يوان (ما يعادل ٦٥٠٠$) باسم التأمين، وإذا ثبت أن أحداً ذهب إلى العمرة أو الحج يحرم من المبلغ المذكور.. علما بأن الدخل السنوي للأسرة الواحدة في القرى لا يتجاوز مائتي دولار أمريكي..بينما الصينيون الذين يعيشون في تركستان الشرقية من قومية الهان يستطيعون الحصول على جواز سفر خلال أيام, ويستطيعون أن يسافروا إلى أي دولة شاؤوا.

اضطهاد خاص بالمسلمين:وإذا كانت الأقليات في الصين تعاني من الحرمان والظلم بصفة عامة إلا أن المسلمين هم أكثر الأقليات تعرضاً للاضطهاد..فقد نشرت جريدة الشرق الأوسط[٢] مقالاً لأحد الكتاب الإيرانيين قال فيه : "إن سكان التيبت ليسوا المواطنين الوحيدين الذين لا تحترم بكين حريتهم. ففي الواقع، إن سكان التيبت أفضل حالا من بعض المواطنين الآخرين الذين يعيشون تحت الحكم الشيوعي، فهم وحدهم المعفيون من قانون (طفل واحد للعائلة الواحدة).. وعلى مدى العقود الثلاثة الماضية ارتفع عدد سكان التيبت أسرع من متوسط الارتفاع في الصين بمقدار أربعة أمثال.. كما سمح للتيبتيين بالاحتفاظ بمعظم مدارسهم والعديد من الأديرة، حيث يقوم العديد من الرهبان بما يفترض أن يقوم به أي راهب.. وحتى الاضطرابات الأخيرة التي صاحبت الشعلة الأولمبية، كانت التيبت مفتوحة الأبواب أمام الزوار الأجانب والصحافيين، وهي ميزة لا تمنحها الصين لكل المناطق فيها."

وأضاف – في مقاله الأويغور المسلمون.. الشعب المنسي في الصين –قائلاً: "وقد تحدث ريتشارد غير – وهو نجم هوليوود اعتنق البوذية– عن (الشعب المنسي) في التيبت. ولكن، في حقيقة الأمر، فإن الأويغور هم (الشعب المنسي) في الصين. وقد دمج موطن الأويغور (تركستان الشرقية) في جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩م، وتغطي تركستان الشرقية مساحة تساوي مساحة إيران تقريبا. (حوالي ١.٦ مليون كيلومتر). وعلى مدى خمسة عقود، كانت هذه المنطقة مسرحا لأكبر عملية استعمار في العالم، وما زال هناك سبعة ملايين من الهان، وهي أكبر مجموعة عرقية في الصين وقد غيرت حركة الاستعمار الكبيرة الوضع الديموغرافي في المنطقة بطريقتين

أولا: الأويغور وهم أتراك لا علاقة لهم بالصين. في عام ١٩٤٩م كانوا يمثلون ٩٢ في المائة من السكان، وقد أصبحوا في الوقت الحالي ٤٦ في المائة. وهذا ليس شيئا مفاجئا..وكان عدد الأويغور عام ١٩٤٩م يصل إلى نحو ١٨ مليون نسمة

---

[١]موقع إذاعة آسيا الحرة على شبكة المعلومات الدولية.

[٢]العدد الصادر في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٤٢٩هـ

وفي الوقت الحالي يبلغ عددهم أكثر من ٨ ملايين. ومن ثمّ فإن الخسارة الديموغرافية للأويغور في موطنهم أكبر من الأرقام المناظرة الخاصة بالشيشانيين في روسيا.

ثانيا: للمرة الأولى منذ القرن الثامن الميلادي، لم تعد تركستان الشرقية أرضا إسلامية حصراً. فقد خضع المسلمون الذين يعيشون في هذه المنطقة إلى قاعدة (طفل واحد), وتم إحضار الكثير من الهان تحت زعم أن السكان الأصليين لا يستطيعون توفير العدد اللازم من العمال..وفي نفس الوقت نقل الكثير من المسلمين الذين يعيشون في شينجيانغ، لاسيما النساء اللواتي يمكن أن ينجبن أطفالا، إلى الكثير من المناطق الأخرى في الصين بزعم التغلب على مشكلة نقص العمالة هناك!، وفي الوقت الحالي يمثل المسلمون ٥٤ في المائة من مجمل السكان. ولا تعد شينجيانغ هي المنطقة الوحيدة في العالم التي تم تقليل عدد المسلمين فيها مقابل سكان آخرين."

كما أشار الكاتب أيضاً إلى تقارير حقوق الإنسان الدولية من بينها "وثيقة مهمة ترجع إلى منظمة العفو الدولية نشرت عام ١٩٩٩م، ووثيقة أخرى أعدها عدد من أعضاء البرلمان الكنديين عام ١٩٩٨م. وتتهم الوثيقة الكندية بكين بتلفيق تهم بالإرهاب للأويغور، ومن بين التهم تفجير حافلة في أوروبجي عاصمة الإقليم. كما اتهمت الوثيقة بكين باستخدام ألفاظ شائعة دولياً مثل "الأصوليين الإسلاميين" و"الإرهابيين الإسلاميين" و"الانفصاليين" لوصف الأويغور، الذين لا يطيقون الاضطهاد الصيني, ويقومون ببعض المقاومة ضد الأعمال غير الآدمية وانتهاكات حقوق الإنسان التي يقوم بها الشعب الصيني"..وأكدت الوثيقة أن الأويغور لم يكونوا يوما مسؤولين عن أي من الأعمال "الإرهابية"، بل على العكس هم من يعيشون تحت سيطرة إرهابية خطيرة من قبل الحكومة الصينية.وختم الكاتب كلامه بالقول: "وأقل ما يمكن أن يقوله المرء هو أن مطالبة الأويغور بحقوق قومية تستحق اهتماماً مثل الذي حظيت به مطالب الدالاي لاما الخاصة بمساحة أكبر من الحكم الذاتي في التيبت. وحقيقة أن الأويغور وإخوتهم الكازاخ والطاجيك والقيرغيز والتتار والمغول الذين يعيشون في تركستان الشرقية ويدينون بالإسلام، لا تعني أنهم يجب أن يصنفوا كـ- "إرهابيين إسلاميين" وأن نتركهم يواجهون الاضطهاد من دون قدرة على الدفاع"..لكن كلام الكاتب هذا لا يلقى آذاناً صاغية من المجتمع الدولي، ففي الوقت الذي يستقبل زعماء عالميون الدالاي لاما في قصورهم - كما فعل ذلك مؤخراً الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي- نجد لهؤلاء الزعماء آذناً صماء وأعيناً عمياً تجاه ما يحصل للمسلمين في تركستان الشرقية، بل الذي يحدث هو العكس.

أمريكا والصين.. تخاصم في كل شيء إلا في المسلمين:في لقاء جمع بين الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش والرئيس الصيني السابق جيانغ زيمين - يوم الجمعة ٢٠٠٢/١٠/٢٥م اعترف بوش بمخاوف بكين مما أسماه "التطرف" في الصين، وذلك بإضافة الحركة الإسلامية في تركستان الشرقية إلى القائمة الأمريكية للتنظيمات "الإرهابية".. وفي ٢٠٠٩/٤/٢٠م أعلنت الحكومة الأمريكية أنها جمدت أصول عبد الحق زعيم حزب تركستان الشرقية الإسلامي بزعم الارتباط بتنظيم القاعدة, والسعي إلى تنفيذ هجمات "إرهابية" في الصين.. واتخذت وزارة الخزانة الأمريكية إجراءات ضد الذي يؤيد إقامة دولة مستقلة في جزء من الصين..وقال وكيل وزارة الخزانة الأمريكية لشؤون الإرهاب والتمويل - ستيوارت ليفي - إن "عبد الحق يقود جماعة إرهابية سعت إلى زرع العنف وشق الوحدة الوطنية في الألعاب الأولمبية عام ٢٠٠٨م في الصين. واليوم إننا نقف سوياً مع العالم في إدانة هذا الإرهابي الوحشي وعزله عن النظام المالي العالمي."وجاء هذا الإجراء بعد قرار اللجنة (١٢٦٧) التابعة لمجلس الأمن الدولي بإدراج اسم عبد الحق على قائمتها للأشخاص المرتبطين بأسامة بن لادن وتنظيم القاعدة وحركة طالبان, ويخضعون لعقوبات من جانب الدول الأعضاء في الأمم المتحدة..ويعتقد أن عبد الحق قد تولى قيادة الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية بعد مقتل حسن معصوم القائد السابق للحزب, والمعروف باسم أبي محمد التركستاني على يد الاستخبارات الباكستانية في أكتوبر ٢٠٠٣م وبدورها سارعت الصين إلى الترحيب بهذا القرار في ٢٠٠٩/٤/٢٦م، وتعهدت - على لسان المتحدثة باسم وزارة خارجيتها - بتعزيز الجهود الدولية لمكافحة "الإرهاب" على أساس التعاون المتكافئ والمنفعة المشتركة. معتبرة: "أن محاربة الحزب الإسلامي في تركستان الشرقية يعد جزءاً مهماً في الحرب على الإرهاب" وفق وصفها

وأضافت: "إن المدعو عبد الحق هو الزعيم الرئيسي, وأحد القيادات المهمة في الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية, وقد أدرج في قائمة الأمم المتحدة للشخصيات الإرهابية بعد أن ثبت تورطه في تجنيد إرهابيين, والتخطيط لأنشطة إرهابية أدت إلى وقوع ضحايا في صفوف المدنيين الصينيين, وتدمير ممتلكات عامة خاصة قبيل وخلال دورة الألعاب الأولمبية التي استضافتها الصين في أغسطس سنة ٢٠٠٨م.ويعلق مراسل قناة الجزيرة في الصين عزت شحرور على ذلك بقوله: إن الصين نجحت – في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر, وانخراطها في الحرب على ما يسمى "بالإرهاب" – بإدراج حركة تحرير تركستان الشرقية ومنظمات أخرى على قائمة الأمم المتحدة للمنظمات "الإرهابية", الأمر الذي جنبها انتقادات منظمات حقوقية دولية، ومنحها فرصة لتشديد قبضتها على إقليم شنجيانغ ذي الأغلبية الأويغورية المسلمة، حيث تطالب بعض منظماته بالاستقلال والانفصال عن الصين, لإعادة تأسيس جمهورية تركستان الشرقية.

ونقل عن محللين صينيين مهتمين بشئون الجماعات الإسلامية أن الحزب الإسلامي ما هو إلا اسم آخر يستخدم كغطاء لحركة تحرير تركستان الشرقية, بعد إدراج الأخيرة على قائمة الأمم المتحدة للمنظمات الإرهابية..هذا وفي ظل خشية دول كثيرة من استفزاز الصين يبقى أكثر من أحد عشر من مواطني الإقليم المفرج عنهم من معتقل غوانتانامو ينتظرون مصيراً مجهولاً, حيث تصر السلطات الصينية على ضرورة عودهم إلى الصين لمحاكمتهم بتهمة الإرهاب".

وقبل ذلك وفي أكتوبر ٢٠٠١م ذكرت مصادر دبلوماسية صينية مطلعة أن بكين قد توافق على تأسيس مكتب لإدارة التحقيقات الفيدرالية الأمريكي (إف بي آي) بالعاصمة بكين, بهدف تشديد الخناق على سكانها المسلمين.

ونقل موقع الإسلام أون لاين عن هذه المصادر – التي لم تذكر اسمها – في٢٠٠١/١٠/٢١ "أن واشنطن وبكين قد يتوصلان في نهاية اجتماعات منتدى التعاون الاقتصادي لآسيا والمحيط الهادي (أبك) لاتفاق مبدئي بتأسيس مكتب ل-(إف بي آي) ببكين، ولكن الأخيرة ما تزال تراوغ أمريكا, رغبة منها في الحصول على بعض الامتيازات والتنازلات من واشنطن، لاسيما فيما يتعلق بالأقلية المسلمة الموجودة في إقليم شينجيانج"..وأشارت المصادر إلى أن هذا المكتب يهدف بالأساس لتسهيل التعاون بين البلدين في الحملة الأمريكية ضد ما تسميه بالإرهاب، لاسيما بعد ظهور التأييد الصيني الحذر لما تقوم به واشنطن..ولذلك فإن الصين قد تطلب من (إف بي آي) – بحسب المصادر– التعاون مع الاستخبارات الصينية؛ لملاحقة مصادر تمويل من تتهمهم "بالإرهاب" وتدبير تفجيرات في أقاليمها، كما قد تطالب بكين الحكومة الأمريكية بعدم إطلاق العنان للمعارضين الآخرين من الديمقراطيين غير المسلمين من أن يجعلوا من الولايات المتحدة منطلقا لهم لمهاجمة حكومة بكين١.

عنف يولد عنفاً: لقد ولد العنف الذي مارسته السلطات الصينية ضد مسلمي تركستان الشرقية عنفاً مضاداً من قبل حركات إسلامية صينية على رأسها الحزب الإسلامي التركستاني الذي أعلن مؤخراً عن انتهاجه للجهاد ضد الحكومة الصينية، ويعد ذلك تحول نوعي في علاقة الحزب بالحكومة, كما أن العنف والعنف المضاد يمثل بيئة خصبة لأطراف دولية تستغلها لمصالحها الخاصة، وقد وجدنا ذلك في قرارات الولايات المتحدة السابق ذكرها. ومن المستفيدين أيضاً إسرائيل التي لم تدع الفرصة تفوتها في استغلال الصراع القائم بين الحكومة الصينية ومسلمي تركستان، فقد سعت إلى تأسيس علاقات مميزة مع الصين للمرة الأولى بذريعة محاربة الإرهاب الإسلامي، ويأتي هذا التوجه ضمن النشاط الإسرائيلي في آسيا الذي شمل الهند وروسيا أيضاً مستخدمة نفس الذرائع٢.

أبرز المشكلات التي تواجه المسلمين في الصين:

أولاً: حملات التنصير:يعدّ التنصير من أبرز المشكلات التي تواجه المسلمين في الصين، ويعمل المنصِّرون الغربيون على تنصير المسلمين بشكل مكثف عبر طرق عديدة، منها: الإذاعات الموجهة لهم من هونج كونج، وفرنسا، وبريطانيا، وأمريكا، كما تقوم الجمعيات التنصيرية بتكثيف بناء الكنائس، فقد وصلت عدد الكنائس في الصين إلى (٣٠ ألف كنيسة)، أما

١موقع الإسلام أون لاين على شبكة المعلومات الدولية.

٢مجلة الوطن العربي اللبنانية العدد رقم ١٦٧٨ الصادر بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢٩م.

المساجد فهي (٥٠ ألف مسجد)، رغم الفرق الهائل بين عدد المسلمين الصينيين والنصارى، وتقوم الكنائس بالتنصير عن طريق الدعم المادي، وتوزيع المكافآت على من يدخل الكنائس، كما توزع الكنائس كتباً باللغات المحلية توضح فيها أوجه الاتفاق بين الإسلام والنصرانية للدخول إلى قلوب العامة من المسلمين. ويشير بعض المسلمين إلى أن الحكومة الصينية بدأت تلتفت إلى حركات التنصير المكثفة واعتقلت بعض القسس.

ثانياً: غياب الهوية الإسلامية للبارزين من المسلمين: رغم وجود العديد من المسلمين الذين يتولون مناصب مهمة في الدولة، ووجود بعضهم في وظائف التدريس في التخصصات العلمية، إلا أنه لا يوجد لكثير منهم أي مظهر من مظاهر الإسلام أو العمل الإسلامي.

ثالثاً:غياب القيادات الإسلامية:ففي ظل القمع الذي تم في عهد "ماو"، فقَد المسلمون العديد من قياداتهم السياسية والدينية التي قُتل بعضها، وسُجن البعض الآخر، كما أن تغييب الهوية الإسلامية في نفوس الأطفال، وإيقاف التعلم الديني للمسلمين ساهم في غياب القيادات الإسلامية الشابة.

رابعاً: دعوات التشيّع: وتنشط الدعوات إلى التشيّع في المناطق ذات الأكثرية المسلمة في الصين، وذلك بدعم من الحكومة الإيرانية التي تقوم بابتعاث مئات الطلاب سنوياً إلى إيران لتدريسهم العلوم الشرعية على المذهب الشيعي، ويشير أحد المسلمين إلى أنه تلقى دعوة من السفارة الإيرانية في الصين، للدراسة في إيران، ووصل العرض إلى توفير سكن خاص بالطالب داخل إيران، وتوفير سيارة خاصة, وزوجة يختارها من إيران. ويمكن لأي صيني الحصول على بعثة للدراسة في إيران عن طريق تقديم طلب لدى السفارة الإيرانية، إذ يأتي الرد دائماً بالموافقة والدعم.

خامساً:الفقر النسبي: ويلاحظ الزائر للصين وجود أكثرية من المسلمين الصينيين تحت خط الفقر، وذلك يرجع لاشتغال أكثرهم بالزراعة والرعي وصيد الأسماك، وعزوفهم عن التعليم العام والتخصصات العلمية.

سادساً: الإعلام الإسلامي في الصين: رغم كثرة عدد المسلمين في الصين إلا أنه لا توجد لديهم أي صحيفة يوميـــة أو إذاعة فضائية، ولا يوجد للمسلمين في الصين سوى بعض المجلات الإسلامية التي تصدر بشكل شهري، وتُعد مجلة أخبـــار المسلمين "مسلم بونشونغ" أشهر المجلات الإسلامية، وتوزع نحو مليوني نسخة شهرياً، كما توجد بعض المجلات الشهرية مثل: مجلة الفتح، ومجلة المسلمين في قانصوه.

أين العالم الإسلامي من ذلك؟ في الوقت الذي يعاني مسلمو تركستان الشرقية من مأساة وأزمة انشغل العالم الإســـلامي بملهاته المغلفة بالغفلة، وهمومه المشمولة بالقسوة..فالعالم الإسلامي – للأسف – في مثل هذه القضايا غير موجود، فعلـــى مستوى الحكومات هناك تجاهل تام تجاه ما يحصل للمسلمين في الصين..

فالنسبة للدول العربية لم تعلق على الاضطهادات المتكررة, والأحكام الظالمة بإعدام المئات من شـــعب تركســـتان, لا بالإدانة ولا بالقبول, واكتفى أمين عام جامعة الدول العربية عندما سئل مرة عن رأيه فى هذه الأحداث فقال: "إننا نؤكد على أهمية اتخاذ خطوات عاجلة لإيجاد حل لهذه المشكلة.. ونحث الأطراف المتنازعة على التوصل إلى اتفاق. كما أن معظم الحكومات العربية تكتفى بتصديق الروايات الصينية الرسمية عما يجرى فى هذا الإقليم المسلم. أما الدول الإســـلامية فلـــم تختلف كثيراً عن البلاد العربية, بل إن دولة مثل باكستان كثيراً ما أيدت الصين فى مواقفها ضد هذا الشعب المسلم, بحجة محاربة الإرهاب, بينما نجد أن تركيا هى الدولة الوحيدة تقريباً التى انتقدت الصين, ووصف رئيس الوزراء التركى رجب طيب أردوغان ما تقوم به الصين ضد شعب تركستان بأنها ترتكب إبادة جماعية, وذهب أردوغان فى غضبه إلى درجة أن قال: إن بلاده ستطلب من مجلس الأمن الدولى سبل إنهاء العنف العرقى فى إقليم تركستان الشرقية, مضيفاً أن الأحـــداث التى تشهدها الصين لا تعدو كونها أعمال إبادة جماعية, لا فائدة من وصفها بوصف آخر, ودعا الســـلطات الصـــينية إلى التدخل لمنع سقوط مزيد من القتلى[١]. واهتمت بعض المنظمات الإسلامية بأحوال المسلمين فى تركستان والذين يعرفـــون حالياً فى وسائل الإعلام بالإيغوريين, مثل منظمة المؤتمر الإسلامى التى انتقدت الاستخدام غير المتكافئ للقوة من جانـــب

[١]موقع شبكة الألوكة على شبكة المعلومات الدولية.

الصين ضد المسلمين, ولكن لم تتعد هذه المساندة المناشدة والمساندة المعنوية التي لن توقف محنة هؤلاء المسلمين, ولعل هذا ما دعا بعض العلماء المسلمين إلى إصدار بيان يعرف ببيان مكة المكرمة للفت انظار المسلمين إلى محنة هذا الشعب المسلم, وفيما يلي نص هذا البيان:

بيان مكة المكرمة بشأن مأساة المسلمين في تركستان الشرقية:١

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن إخواننا المسلمين في تركستان الشرقية وهم أكثر من ثلاثين مليون مسلم يتعرضون لاضطهاد مستمر منذ سنوات طويلة على يد الحكومة الصينية ومن ذلك قهرهم والتنكيل بهم والتمييز الظالم ضدهم ، وسجن العلماء والدعاة والناشطين منهم ، ومنع إظهار الشعائر التعبدية، ومحاولة تصفية المؤسسات والمظاهر الإسلامية، والعمل على تذويب هوية المسلمين، وتغيير التركيبة السكانية ليصبح أهل تركستان الشرقية أقليـــة في بلادهم. ومن صنوف التضييق والقهر التي تقوم بها الحكومة الصينية إجبار الفتيات التركستانيات المسلمات على الهجرة إلى الصين بذريعة تشغيلهن كعاملات في المصانع وهناك يواجهن من المآسي ما يعجز اللسان عن وصفه مع منع الزواج قبـــل سن اثنين وعشرين سنة, وحرمان الأزواج من الإنجاب قبل مضي خمس سنوات من الـــزواج, بالإضـــافة إلى غرامـــات وعقوبات لمن ينجب أكثر من طفل.ومع ما تزخر به أرض تركستان الشرقية من ثروات كبيرة مثل الـــنفط, والثـــروات المعدنية, والأراضي الخصبة, فإن إخواننا من شعب تركستان يعيشون في فقر مدقع وعوز شديد.ولقد نقلت لنا وســـائل الإعلام وشاهد الناس جميعهم ما جرى مؤخرا من مجزرة قامت بها الحكومة الصينية في حق إخواننا هناك بعـــدما أبـــدوا مطالباتهم بمحاكمة من اعتدى عليهم من أبناء القومية الصينية حين قتلوا منهم العشرات دون وجه حق . وهذا وما سبقه ذلك يعد خطباً جليلاً ونازلة عظيمة توجب على المسلمين حكوماتٍ وشعوباً أن يتداعوا لتفريج هذا الكرب, وكشف هذا الظلم بكافة الوسائل الشرعية المتاحة، استجابة لأمر الله تعالى القائل عز وجل: {وَإِن اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الـــدِّينِ فَعَلَـــيْكُم النَّصْر... } الآية، وقوله عز من قائل: {وَالمؤمِنُونَ والمؤمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض...} الآية، وقوله تعالى: {إِنَّمَا المؤمِنُونَ إِخْوَةٌ... } الآية، ولقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما صح عنه: ((المسلم أخو المســـلم لا يظلمـــه ولا يســـلمه...)) الحديث، وقال – صلى الله عليه وسلم – : ((ما مِن امرئ مسلمٍ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب في نصرته، وما مِن امرئٍ ينصر مسلماً في موضعٍ ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته)).

وإن الموقعين على هذا البيان، وانطلاقاً مما أوجبه الله على أهل العلم من تبيين الحق وعدم كتمانه ليودوا إيضاح الحقـــائق الآتية:

أولاً: أن نصرة إخواننا مسلمي تركستان ودعمهم واجب شرعيٌّ، ، على عموم المسلمين حكومات وشعوباً، كل بحسبه، بشتى أنواع الدعم السياسي والإعلامي والاقتصادي . ومن ذلك التعريف بقضيتهم وكشف ما يتعرضون له مـــن ظلـــم وتنكيل، في المحافل العالمية ولدى المنظمات الدولية، وأن تبذل الحكومات الإسلامية قصارى جهدها للضغط على الحكومة الصينية عبر الوسائل الدبلوماسية وغيرها؛ لرفع الظلم والتمييز عنهم ، والعمل على إعطائهم حقوقهم وحفظ كرامتـــهم، والتوقف عن اضطهادهم وتذويب هويتهم الإسلامية.

ثانياً: على المسلمين عامة ومسلمي تركستان الشرقية خاصة أن يفطنوا لخطط الأعداء التي تسعى جاهده إلى تحويل قضية تركستان الشرقية من قضية إسلامية إلى قضية عرقية إثنيه للايغور في مقابل عرقية الهان وفي ذلك مشابهة لقضية فلســـطين التي بدأت إسلامية ثم تحولت إلى عربية لينتهي بها الحال قضية فلسطينية.

ثالثاً: وإننا إذ نثمن لمنظمة المؤتمر الإسلامي ما قامت به من جهد في هذا الشأن، لنأمل منها أن تبذل المزيد مـــن الجهـــد للوصول إلى حل عبر توصل المنظمة إلى اتفاقية مع الحكومة الصينية لإعطاء مسلمي تركستان الشرقية جميع حقوقهم وأن تبادر المنظمة إلى فتح مكتب لها في تركستان الشرقية وتحث دول المنظمة على بذل المزيد من الدعم والنصـــرة لإخواننـــا

١موقع سعوديون على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٣/٩/ ٢٠٠٩م.

هناك. ونناشد بقية المؤسسات والمنظمات والاتحادات والمجالس الإسلامية الحكومية والشعبية؛ أن تبذل قصارى جهدها في نصرة هؤلاء المستضعفين، ومن ذلك تثبيتهم على دينهم، ونشر الدعوة بينهم عبر الوسائل المتاحة كـــالقنوات الفضـــائية والمواقع الإلكترونية التي تخاطبهم بلغتهم وكفالات الدعاة وتيسير قبول الطلبة في الجامعات الإسلامية ، وأن تبادر هيئـــات الإغاثة ببدء عملها الإغاثي والإنساني لمواساقم وسد حاجتهم في برامج لكفالة الأيتام والطلبة وإنشاء المدارس والمساجد ؛ ولاسيما وأنهم يمرون بظروف معيشية بالغة الصعوبة ، كما نناشد عموم المسلمين ولاسيما الموسرين وأصحاب الدثور؛ أن يخصصوا جزءاً من زكواقم وصدقاقم لهؤلاء المسلمين، على أن يتم إيصالها عبر القنوات الإغاثية الإسلامية المأمونة.

رابعاً: قد يكون من الخيارات المطروحة في حال عدم كف الحكومة الصينية عن ممارساقما القمعية ضد إخواننا مســـلمي تركستان الشرقية، تفعيل سلاح المقاطعة الاقتصادية للبضائع والمنتجات الصينية، ولاسيما وأن حجم التبادل التجاري بين الصين والدول الإسلامية لا يستهان به، ولذا فإننا نناشد علماء المسلمين أن يكون إصدار فتوى جماعية بهذا الشأن قيـــد الدراسة والنظر، وأن يتم تفعيل هذا الخيار في الوقت المناسب بما يحقق مصلحة المسلمين إذا اقتضى الأمر ذلك.

خامساً: أن من أعظم أسباب كشف الكروب وتفريج الهموم ودفع البلاء؛ تقوى الله تعالى والتوبة وصـــدق اللجـــوء والضراعة إليه سبحانه، ولذا فإننا نوصي إخواننا مسلمي تركستان بتقوى الله تعالى والصبر والمصابرة، وليعلموا أن النصـــر مع الصبر، وأن الفَرَجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، كما نوصي عموم المسلمين بالإلحاح على الله تعـــالى بالـــدعاء لكشف الضر عن المسلمين بعامة، ونوجه نداء إلى إخواننا في تركستان الشرقية بمعالجة أمورهم بالحكمة واللين والبعد كل البعد عن اللجوء إلى العنف وتحاشي استفزاز الحكومة الصينية لقوله تعالى: {ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين} وقوله تعالى: {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}، ونوصيهم بالتفقه في الدين. نسأل الله تعالى أن يرفع عنهم الضر والـــبلاء، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلـــه وصحبه أجمعين.

لموقعون على البيان:

د/ سليمان بن وايل التويجري	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى سابقاً
د/ ناصر بن سليمان العمر	المشرف العام على موقع المسلم
أ.د/ أحمد بن سعد الحمدان	أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى
د/ محمد بن صامل السلمي	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى سابقاً
د/ عبد الله بن عمر الدميجي	عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى سابقاً
د/ أحمد بن عبد الله الزهراني	عميد كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية سابقاً
د/ محمد بن سعيد القحطاني	أستاذ العقيدة المشارك بجامعة أم القرى سابقاً
أ.د/ غالب بن محمد الحامضي	رئيس قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى سابقاً
د/ ستر بن ثواب الجعيد	رئيس قسم القضاء بجامعة أم القرى سابقاً
د/ عبد الله بن عبد الكريم الحنايا	أستاذ الفقه بجامعة أم القرى
د/ خالد بن عبد الله الشمراني	أستاذ الفقه المشارك بجامعة أم القرى
د/ عبد الله بن علي المزم	أستاذ أصول الفقه المساعد بجامعة أم القرى
د/وليد بن عثمان الرشودي	رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين جامعة الملك سعود
الشيخ/ بدر بن إبراهيم الراجحي	القاضي بالمحكمة العامة بمكة المكرمة
د/ خالد بن عبدالرحمن العجيمي	الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً
الشيخ/ صالح بن عبدالله الدرويش	القاضي بمحكمة القطيف
د.محمد بن موسى الشريف	الأستاذ المتعاون بجامعة الملك عبدالعزيز
د.محمد السعيدي	رئيس قسم الدراسات الإسلامية بالكلية الجامعية بجامعة أم القرى

د.عبدالحي يوسف	نائب رئيس هيئة علماء السودان
الشيخ/ عبدالجليل كاروري	إمام وخطيب جامع الشهيد بالخرطوم – السودان
د/وليد الطبطائي	عضو مجلس الأمة الكويتي
الشيخ عادل المعاودة	رئيس لجنة العلاقات الخارجية والدفاع بمجلس النواب البحريني
د .محمد بن عبدالله الهبدان	المشرف العام على مواقع شبكة نور الإسلام
د علي القره داغي	الأستاذ بكلية الشريعة بقطر ومسئول الأقليات بالأمانة العامة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

ولكن غيرة أفراد معدودين قد تزيدهم ثواباً عند الله, لكنها لن تغير شيئاً من واقع مسلمى الصين, بينما المطلوب تحرك ثقل سياسى واقتصادى للدول العربية التى ترتبط بمصالح اقتصادية متنامية مع بكين يستطيع أن يثمر الكثير, وخاصة أن الصين أصبحت لها مصالح ومشروعات ضخمة فى البلاد العربية, وكل مانطلبه فقط فى هذا الوقت أن يتساوى المسلمون بغيرهم من القوميات التى تعيش فى الصين, وأن يتاح لهم معرفة دينهم.

توصيات:

فى ختام هذا البحث نوصى بأن تعمل الدول والهيئات الإسلامية على مساعدة مسلمى الصين بصفة عامة وتركستان بصفة خاصة فى توفير هذه المتطلبات:

- منح دراسية للطلاب الصينيين تمثل فيها مناطق المسلمين بالصين وتغطي مختلف التخصصات الإسلامية المطلوبة للمسلمين الصينيين. وتوزع على الجامعات الإسلامية.
- وضع خطة دراسة مبنية على احتياجات المسلمين في الصين، مع إدخال مناهج التعليم المهني لتأهيل الطلاب لخدمة المجتمع الصيني في مجال الدعوة, خصوصاً بعد ضعف البوذية والديانات الوثنية الأخرى.
- القيام بمسح شامل للمساجد في الصين، وذلك بهدف إعمارها وتلبية احتياجات المسلمين.
- القيام باستطلاع الاحتياجات في هذا المجال، وذلك بالاتصال بالمنظمات أو الهيئات الإسلامية في الصين، والتخطيط لإقامة مشروع لنشر وطبع الكتب الإسلامية محلياً، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار اللغة المحلية في حركة ترجمة الكتب الإسلامية، واستغلال العلاقات الطيبة بين حكومة الصين والدول الإسلامية لدعم المسلمين في الصين.
- تنظيم قطاع الدعوة وتغذيته بالدعاة، مع ملاحظة إشراك المسلمين الصينيين الذين حصلوا على جانب وفير من العلوم والثقافة الإسلامية، ووضع خطة إستراتيجية للمستقبل البعيد، وذلك بإعداد دعاة من الصين مع دقة الاختيار لهؤلاء.
- إنشاء مؤسسات إغاثة إسلامية، ومؤسسات تحويل تعاونية إسلامية تبين معاني التآلف والتعاضد والمسؤولية المشتركة والجسد الواحد.
- إنشاء مدارس إسلامية، وتوحيد مناهج المدارس السابقة، ونشر مراكز تحفيظ القرآن الكريم في جميع مقاطعات الصين.
- العمل على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية، ووضع خطط كفيلة بتطويرها إلى جامعة بمختلف التخصصات، وفتح فروع لها في المناطق الإسلامية.
- إنشاء دور نشر إسلامية باللغة الصينية تراعي اللهجات المحلية تقوم بطباعة الكتب الشرعية بعد ترجمتها.
- إنشاء محطة إذاعية إسلامية موجهة إلى المسلمين في الصين باللغات التي يستعملونها على غرار الإذاعات التنصيرية، ويوضع لها البرامج والدورات الإذاعية بشكل مدروس يتولى إعداده هيئة متخصصة من الخبراء والدعاة، ويجري التركيز على تعليم مبادئ الإسلام، والتركيز على مفاهيم الأخوة الإسلامية، وربطهم بأخبار إخوانهم المسلمين في العالم.
- الاهتمام بنشر أخبار مسلمى الصين فى وسائل الإعلام العربية والإسلامية, وتخصيص برامج أسبوعية للتعريف بهم وبمشاكلهم, فكم من المسلمين يعرف قضية تركستان, ومشاكل المسلمين بها, بسبب هذا التقصير الواضح فى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

استخدام نهج التميز في تحقيق الإبداع والابتكار في العقود المصرفية " دراسة مقارنة مع الاقتصاد الصيني "

الباز فوزي الباز أحمد قابيل

المقدمة وطبيعة المشكلة : يمر العالم بتغيرات سريعة في جميع المجالات، ولا يمكن لأي دولة أو منظمة أن تعيش بمعزل عن هذه التطورات، فالمطلوب هو استيعاب التطورات الحديثة بخاصة في مجال الإدارة ، للوصول إلي المبادئ التي تتحقق بها أهداف الإدارة الإستراتيجية ، مما لا يترك مجالاً لهيمنة المنظمات والدول الغنية علي مقدرات الدول الأقل فقراً تحت مسمي العولمة ، فلم يعد هناك مجال لاختراق هذا الجدار إلا من خلال دعم التميز في كافة المجالات لاسيما المجالات المصرفية التي تشكل بلا شك عصب الحياة الاقتصادية . حيث ينظر إلى الإبداع والتميز على أنه القدرة على خلق وإيجاد الأفكار الجديدة القابلة للتطبيق والتي يمكن أن تسهم في تطوير العمليات الإدارية المختلفة، وبالتالي فعملية التفرد والتميز في كل المجالات هي وسيلة الإدارة لتجاوز حصار العولمة للدول النامية وللمنشآت عموما .

وتتلخص مشكلة هذه الدراسة بان النظام المصرفي الإسلامي العربي لديه الكثير من معايير التميز والإبداع في مجال العقود المصرفية لا يمكن لأي نظام عالمي أن يجاريه ، سواء كان رأسمالي ، أو نظام اشتراكي . وإذا ما تكاملت وسائل التميز والإبداع مع احد الأنظمة المصرفية الفتية والمعني بها النظام المصرفي في دولة الصين الشعبية ، يستطيع النظام الإداري العربي أن يطور وسائل التميز والإبداع بذلك التكامل الإستراتيجي. وهذا الأمر يترك نواة لإمكانية الاستفادة ولو جزيئاً من قبل القائمين علي التخطيط المصرفي الصيني للأخذ بمجالات عقود مصرفية غير معروفة في نظمهم مثل المرابحة والمشاركة والتخلي عن عقود الربا وسعر الفائدة الثابت الذي يأخذ به النظام الإسلامي.

أهمية البحث : تنبع أهمية الدراسة من النقاط الآتية :

١-هناك ضرورة حتمية للتعامل مع مخاطر العولمة والاتفاقات الدولية علي النظام المصرفي العربي.

٢-إن نهج التميز والإبداع يشكل الأداة التي من خلالها القضاء علي السيطرة الأجنبية علي مقدرات وأموال الشعوب النامية من خلال دعم التميز وفي نظم العقود المصرفية .

٣-انه لا يوجد مانع من الاستفادة من النظم المصرفية في دولة الصين كدعم لعمليات التميز والإبداع في العقود المصرفية العربية.

أهداف البحث : تهدف هذه الدراسة إلي :

١-التعرف علي نهج التميز ومدي ارتباطه بتحقيق متطلبات الإبداع والابتكار.

٢-التعرف علي متطلبات التميز في العقود في النظام المصرفي العربي الإسلامي.

٣-التعرف علي متطلبات التميز والإبداع في العقود في النظام المصرفي لدولة الصين بما يمكن من خلاله تبادل معايير ومتطلبات التميز بين الأنظمة المصرفية العربية والصينية.

افتراضات البحث: للمساعدة في إيجاد حل للمشكلة البحثية يفترض الباحث الافتراضات الآتية:

١-يمثل نهج التميز المعبر عن الإبداع والابتكار ؛ وسيلة الخروج من مخاطر العولمة والاتفاقات الدولية.

٢-يوجد في النظام المصرفي الإسلامي من متطلبات التميز والإبداع لا نظير له في الأنظمة المصرفية العالمية.

٣-يمكن الاستفادة بمؤشرات التطوير والتميز في النظام المصرفي لدولة الصين يساعد علي تكامل معايير التميز المصرفي العربي.

منهج البحث: يقوم منهج البحث علي أساس الدراسة التحليلية لحقيقة مخاطر العولمة علي العقود المصرفية في الوطن العربي ، وذلك لمحاولة إيجاد وسيلة مناسبة للتعامل معها من خلال البحث عن معايير للتميز والإبداع في تلك الأنظمة المصرفية ، ومحاولة التكامل بينها وبين النظام المصرفي لدولة الصين في هذا الشأن ، بغرض التوصل إلي مجال للتحقق من خلاله من افتراضات هذه الدراسة والخروج بنهج كامل للتميز يمكن الأخذ به في التعامل مع العقود المصرفية.

تنظيم البحث: يتم تناول مشكلة الدراسة من الآتي : **المبحث الأول** : نهج التميز ومديارتباطه بمتطلبات بتحقيق الإبداع والابتكار، **المبحث الثاني:** مؤشرات التميز في تحقيق الإبداع والابتكار في العقود المصرفية ،**الخلاصة والنتائج والتوصيات**

قائمة المراجع

المبحث الأول

نهج التميز ومديارتباطه بمتطلبات بتحقيق الإبداع والابتكار

تمهيد : يتم تناول هذا المبحث من خلال الآتي :

أولاً : نهج التميز كأداة تدعم إستراتيجية المنافسة والتطوير ، ثانياً : متطلبات الابتكار والإبداع.

ويتعرض الباحث لكل نقطة من خلال العرض الآتي:-

أولاً : نهج التميز كأداة تدعم إستراتيجية المنافسة والتطوير: اذا كانت العولمة تعرف بأنها الفتح القسري لأسواق الدول النامية والفقيرة لمنتجات الدول الغنية المتقدمة ، بحيث تزداد هذه الدول غني ؛ إذ أنها تضمن لمنتجاتها أسواق دائمة ، توفر لها الأرباح الطائلة علي الدوام ، وهي بسببها تزداد الدول الفقيرة حاجة وتخلف وذلك ما نتج عن عدم قدرة منتجاتها علي منافسة المنتجات الأجنبية ، مما أدي إلي خروجها من السوق وأصابه أبنائها بالبطالة واقتصادها بالشلل .

وهذا المفهوم يمثل المفهوم الحقيقي لما يسمي العولمة ، وان كان الكثير من المغرضين وأصحاب المصالح يعرّفونها بأنها السبيل الأوحد للحاق بركب الدول الغنية والمتقدمة ، وأين كان التعريف سواء الحقيقي والظاهري ؛ فقد تركت العولمة فجوة اقتصادية هائلة بين الدول الغنية والدول الفقيرة لم يكن هناك من سبيل للقضاء عليها غير سبيل وحيد هو إتباع نهج التميز ، والذي نعني به ببساطة أحد مهمات التواجد في السوق(١)

إذا أن العميل دائما يبحث عن الخدمة أو المنتج الذي يحقق له مزايا أكبر بتكلفة أقل ، ويتحقق نهج التميز بشكل عام في أي منظمة عن طريق تقديم ما يلي(٢):-

١- الاختيار الجيد للقطاع التسويقي المستهدف .
٢- تقديم الخدمة أو المنتج بأقل الأسعار.
٣- تقديم خدمات إضافية تبرر ارتفاع الأسعار عن المنافسين.

ومن ثم يصبح التميز وسيلة هامة لتحقيق الميزات التنافسية وإتباع الإستراتيجيات التي تحقق ذلك:-

التميز عن طريق المنتج: ويعني به ضرورة أن يكون المنتج متميزاً عن سائر المنتجات المنافسة ، سواء في الكم أو الكيف.

التميز عن طريق الخدمة : ويتم بسببه توفير الخدمة الجيدة من ناحية الدقة والسرعة الكفاءة بالتوقيت المناسب وجودة عالية.

التميز عن طريق الأفراد : أي الاهتمام بالطاقات البشرية ذات التميز وسرعة الانجاز المدعمة بالوعي والعلم.

ويعبر البعض(٣) عن المعايير الهامة التي يتحتم الأخذ بها بتحقيق نهج التميز وبناء الميزات التنافسية ، والتي تعدل من المعايير التقليدية التي أصبحت لا تتفق متطلبات المخاطر الناتجة عن العولمة ووسائل الاتصال ، وتشتمل هذه المعايير علي الآتي :-

المعايير التقليدية للتميز المعايير المتطورة للتميز: (رضاء العملاء- فتنة وسحر العملاء. - توجيه الطاقات تجاه العملاء.- توجيه الطاقات مع كل المتعاملين.-التوجه بالربحية- تحقيق المصلحة الاجتماعية مع الربحية.-الاعتماد علي قيم

١- الكلمة الافتتاحية لكوفي عنان في قمة سياتل ، واشنطن ١٩٩٩م

٢د. كوثر الأبجي ،(٢٠٠٥) ." إستراتيجية التطوير في القطاع المصرفي العربي في مواجهه تحديات العولمة " المؤتمر العلمي الرابع ، الريادة والإبداع ، كلية العلوم الإدارية والمالية ، جامعة فيلادلفيا ، مارس ، ص٤-٥

٣- Nickles,(1996)." Understanding Business, 4th .Ed., Erwin N.Y.

وأخلاقيات رد الفعل- الاعتماد علي اخلاقيات الوقاية.-التوجه بالمنتج- التوجه بالمنتج والعملاء. التركيز علـــي الإدارة- التركيز علي العملاء) فمن خلال تلك المعايير التي تؤكد علي تحول الإستراتيجية التقليدية بالنسبة للمعيار الأول علي إبهار وجذب بل وفتنه العملاء، وهي مصطلحات تعبر عن مبادئ الجودة الشاملة.

أما المعيار الثاني فهو يعني تحقيق كافة الرغبات التي تتعامل مع المجتمع سواء كانوا مرؤوســـين ، أو مســـتثمرين ، أو مودعين ، فيما يمثل المعيار الثالث إلي حتمية تحقيق الربحية مع مراعاة الجانب الاجتماعي الذي يهتم بكافة جوانب المجتمع ؛ ويمكن ملاحظة أهمية هذا العنصر بالنسبة لتوقعات المتعاملين من منشأة يفوق توقعاتهم مع منشأة أخري .

ويشير المعيار الرابع إلي ضرورة إتباع الأساليب الوقائية ، وهي تعني تجنب حدوث المشكلات وذلك بتوقع المشـــكلة ومحاولة توفير حل مناسب لها. ويتناول كل من المعيارين الخامس والسادس توجيه الاهتمام إلي المنتج أو الخدمة مرتبطـــة بالعميل ، وليس الاهتمام بالمنتج بشكل منفصل عن مستوي الإشباع الذي يريده العميل من تلك الخدمة أو ذلك المنتج ، وبذلك تتم الإدارة عن طريق العميل، ومهمة الإدارة الناجحة الإنصات لرغبات العملاء .

ثانياً : متطلبات الابتكار والإبداع : ينظر البعض إلى الإبداع على أنه القدرة على خلق وإيجاد الأفكار الجديدة القابلـــة للتطبيق ، والتي يمكن أن تسهم في تطوير العمليات الإدارية المختلفة ، وبالتالي فإن استخدام تقنية المعلومات يمكن أن يلعب دورا هاما في إبراز الملكات الإبداعية لدى الأفراد لا بل ويعمل على تعزيزها ، على اعتبار أن هذه التقنية ستوفر لهـــؤلاء الأفراد كل ما يحتاجونه من الوسائل والأدوات والإمكانات اللازمة لتجربة وتطبيق أفكارهم على أرض الواقع.(١)

وهناك تعريف أخر للابتكار والإبداع حيث أنه توظيف أمثل للقدرات العقلية والفكرية التي تتميز بأكبر قـــدر مـــن الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات والقدرة على تحليلها بما يؤدي إلى تكوين ترابطات ، واكتشاف علاقات أو أفكار أو أساليب عمل جديدة داخل المنظمات الإدارية. كما يعرف بأنه عملية ذات مراحل متعددة ينتج عنها فكرة أو عمل جديد يتميز بأكبر قدر من الطلاقة، والمرونة، والأصالة، والحساسية للمشكلات، وهذه القدرة الإبداعية من الممكن تنميتها وتطويرها حسب قدرات وإمكانات الأفراد والجماعات والمنظمات.(٢).

والإبداع عبارة عن وحدة متكاملة من العوامل الذاتية والموضوعية تقود إلى تحقيق إنتاج جديد وأصيل ذو قيمة مـــن الفرد والجماعة ، يسهم في إيجاد الحلول الجديدة للأفكار والمشكلات والمناهج. فهو عملية تحسس للمشكلات والـــوعي لمواطن الضعف والثغرات وعدم الانسجام والنقص في المعلومات والبحث عن حلول والتنبؤ بها، ونقل أو توصيل النتـــائج للآخرين.(٣). فالإبداع هو: العملية التي يتميز بها الفرد عندما يواجه مواقف ينفعل لها ويعايشها بعمق ثم يستجيب لها بما يتفق وذاته ، فتجيء استجابته مختلفة عن استجابات الآخرين وتكون منفردة وتتضمن هذه العملية منتجات أو خدمات أو تقنيات عمل جديدة، أو أدوات وعمليات إدارية جديدة، كما تشمل الفكر القيادي المتمثل في طرح أفكار جديدة (٤).

١- د. فراس الشلبي ، د. خالد بني حمدان(٢٠٠٩) " اثر تقانة المعلومات في الإبداع ألمنظمي شركة توليد الكهرباء المركزية – دراسة حالة"المؤتمر العلمي الثالث لكلية الاقتصاد والعلوم الادارية جامعة العلوم التطبيقية الخاصة، أبريل ، ص ٢.

٢-يرجع في ١لك الي :

- فهيد عايض الشمري ، (٢٠٠٢م)." المدخل الإبداعي لإدارة الأزمات والكوارث" الرياض : شركة نجد التجارية.

- عبد الرحمن بن أحمد هيجان ، (١٩٩٩م). "معوقات الإبداع في المنظمات السعودية" . مجلة الإدارة العامة ، م(٣٩) ع(١) ، الرياض : معهد الإدارة العامة.

٣- يرجع في ذلك الي :-

- طارق محمد السويدان ، محمد أكرم والعلوني ، (٢٠٠٤م). " مبادئ الإبداع " الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع.

Torrance, E.P.(1993).The nature of creativity as manifest testing.New York: Press - Syndicate of the university of Cambridge

٤- Soo, Christine; Timothy Devinney; David Midglers; Anne Deerin, 2002, Knowledge Management: Philosophy, Processes, and Pitfalls, California Management Revie, Vol. 44, No.4, PP: 129-150.

حاجة المنظمات إلى الإبداع:وتظهر أهمية الإبداع في سبل التميز والعمل بصورة أفضل من خلال تحسين التنسيق والرقابة الداخلية والهيكل التنظيمي ، كما يؤدي إلى تسهيل العمليات الإبداعية التي تمكن المنظمة من الاستمرار ومواصلة عملها وإيجاد الحلول الإبداعية للمشكلات التي تواجهها بكفاءة وفاعلية ، والى إحداث تغييرات ايجابية في بناء المنظمة وفي عملياتها الإدارية ، ويساعدها على التكيف ، و التفاعل مع كافة المتغيرات البيئية المحيطة بها، وتحسين إنتاجيتها، والارتقاء بمستوى أدائها وأداء العاملين فيها، وإيجاد اكتشافات ومقترحات وأفكار لوضع أنظمة ولوائح وإجراءات وأساليب عمل جديدة مبدعة وخلاقة ، الأمر الذي ينجم عنه بروز برامج وخدمات خارج أنشطة المنظمة الرئيسية، وتحسين جودة المنتجات والخدمات التي تقدمها للجمهور المستفيد من الخدمة وزيادة مدخلاتها المالية(١).

عناصر الإبداع التميز: تعددت تصنيفات الكتاب والعلماء لعناصر الإبداع ، وأفضل تصنيف هو ما قدمه جيلفورد ومعاونوه للعناصر المختلفة المكونة للإبداع المتمثلة في الطلاقة والمرونة والأصالة والتوسيع والكم والكيف، وفي ما يلي شرح لهذه العوامل :(٢).

١- **عنصر الطلاقة**: إن الطلاقة تقاس وتحدد بعدد وكمية ما يعطي الشخص من نوع معين من المعلومات في وحدة زمنية معينة، وقد وجد أنه في الاختبارات الكلامية وحدها توجد ثلاثة عوامل متميزة للطلاقة وهي الطلاقة الفكرية (Ideational Fluency) : وجل هذا النوع من الطلاقة مرتبط بالقدرة العقلية لشخص كالقدرة على التخيل والتشبيه والاستنباط وسعة الإدراك والحدس ، والطلاقة الترابطية (Associational Fluency) : وتعني بعملية إكمال العلاقات وذلك تمييزاً لها عن النوع السابق من الطلاقة، والطلاقة التعبيرية والتي لها علاقة بسهولة بناء الجمل، وهكذا.

٢- **عنصر المرونة**: أما المرونة في التفكير فتعني تغييراً من نوع معين ورؤية المشكلة من زوايا مختلفة والتغيير في المعنى، أو التفسير، أو الاستعمال، أو فهم المهمة ،أو إستراتيجية العمل ، أو تغييراً في اتجاه التفكير الذي قد يعني تفسيراً جديداً للهدف.

٣- **عنصر الأصالة**: وتعني إنتاج ما هو غير مألوف، وما هو بعيد المدى،وما هو جديد وغير عادي، وما هو ذكي و حاذق من الاستجابات.

٤- **عنصر التوسيع**: ويظهر هذا العامل مقدرة الفرد على الإضافة ذات القيمة على فكرة أو أسلوب قدمها غيره بحيث تكتمل الفكرة بشكل أفضل ، أو يصبح تطبيقها أكثر فائدة وسهولة.

٥- **عنصر الكم والكيف**: إن ثمة فرضية تقول إن الكمية تولد الكيفية حيث أنه إذا كان شخص ينتج عدداً أكبر من الأفكار ؛ فإنه لا بد أن ينتج هذه الأفكار بنوعية جيدة وفي وقت محدد ، في حين أن هناك فرضية أخرى تقول بأنه إذا صرف الإنسان وقته في إعطاء عدد كبير من الأفكار فإن الأفكار الجيدة بينها ستكون قليلة.

الإبداع الابتكاري:يمكن استخدامه في الرقابة أو تحسين الإنتاجية.(٣) ومن ذلك :-

١- الإبداع التجديدي: يشير إلى قدرة المبدع على اختراق قوانين ومبادئ ومدارس فكرية ثابتة وتقديم منطلقات وأفكار جديدة، ويتطلب هذا المستوى من الإبداع تمتع المبدع بقدرة قوية على التصوير التجريدي للأشياء ، مما ييسر تحسينها وتعديلها ، حيث يسهم هذا المستوى في زيادة قدرة المبدع على تقديم منتج جديد أو نظرية إدارية جديدة (٤).

٢- الإبداع التخيلي: يمثل الإبداع التخيلي أعلى مستويات الإبداع وأندرها، حيث يتحقق فيه الوصول إلى مبدأ أو نظرية أو افتراض جديد كلية ، ويترتب عليه ازدهار أو بروز مدارس وحركات بحثية جديدة كما ظهر في أعمال "

١حسين حريم، (٢٠٠٤) "السلوك التنظيمي – سلوك الافراد والجماعات في منظمات الاعمال " مرجع سبق ذكره

٢- رفعت الفاعوري (٢٠٠٥)" إدارة الإبداع الإداري، المنظمة العربية للتنمية الإدارية "بحوث ودراسات" جمهورية مصر العربية.

٣طارق محمد السويدان ، محمد أكرم والعلوني ، (٢٠٠٤م). " مبادئ الإبداع " مرجع سبق ذكره

٤ فتحي عبد الرحمن جروان، (٢٠٠٢م). " الإبداع" ، عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

أينشتاين" " Einstein" وفرويد "Freud" (Taylor,1993) أو إيجاد وإبداع وفتح أفاق جديدة لم يسبق المبدع إليها أحد(١).

تنمية الإبداع الإداري: يعد تنمية الإبداع الإداري وسيلة المنظمات لتحقيق التميز والتفوق والسبق في مجال عملها، وذلك من خلال العمل على تنمية الكوادر البشرية وزيادة قدراتها وصقل خبراتهـــا علميـــا ، فضـــلا عـــن تطـــوير الخطـــط والاستراتيجيات اللازمة لتحقيق أهداف المنظمة، وأساليب وطرق العمل ، مع توفير البيئة التنظيمية التي تشجع الإبـــداع والتجديد لأن إغفال عنصر من هذه العناصر يقلل نسبيا من فرص الإبداع والتميز.(٢).

فالإبداع لا يحدث بشكل عفوي ، ولكن يتطلب إحداثه توفر مناخ تنظيمي وبيئة عمل تشجع على ذلك ، حيث تمثل بيئة العمل الظروف المادية والمكانية المحيطة بالفرد في عمله ، إذ أن هذه الظروف هي أول ما يواجه الفرد عند دخوله مكان العمل، وتتضمن مساحات المكتب، مستوى النظافة ، مستوى الصيانة، الإضاءة، التهوية، التكيف، الرطوبـــة، وســـائل الاتصال من أجهزة الهاتف والفاكس، ولوازم العمل المكتبية، ووسائل السلامة، وغير ذلك من الوسائل التي تجعل بيئة العمل مواتية ومريحة مما يسهم بفاعلية في تخفيف العبء والملل والتوتر والإرهاق، وبالتالي ارتفاع مستويات الرضا لـــدى العاملين وتهيئة الفرص للإبداع والابتكار، بينما الظروف المكانية غير المريحة تؤدي إلى حالة من التوتر لـــدى العـــاملين، فالحرارة الشديدة والضوضاء وانخفاض مستوى النظافة والازدحام والافتقار إلى الخصوصية وعدم توافر الوسائل المساعدة لأداء العمل تعتبر بمثابة ظروف مادية ضاغطة تقلل الرضا الوظيفي وتخنق فرص الإبداع والابتكار(٣).

المبحث الثاني : مؤشرات التميز في تحقيق الإبداع والابتكار في العقود المصرفية

يتم تناول تلك المؤشرات من خلال الآتي:– أولاً :مؤشرات التميز والإبداع في العقود المصرفية لدولة الصين.، ثانيا : مؤشرات التميز والإبداع في العقود المصرفية الإسلامية .

والباحث خلال العرض التالي يتناول كل نقطة من المؤشرات ببعض التفصيل.

أولاً :مؤشرات التميز والإبداع في العقود المصرفية لدولة الصين.:في نهاية عام ١٩٩١، وجه انهيار الاتحـــاد الســـوفيتي صفعة مصيرية للمحافظين، لأنه أدى إلى قناعـــة القادة الصينيين قناعة تامة بأن شرعية الحكومة في الصين تقـــوم علـــى ازدهار الاقتصاد وتحسين مستـــوى معيشة الصينييـــن. فقد تطـــور توازن القـــوى في اللجنـــة المركزيـــــة في شـــهر نوفمبر ١٩٩١ لصالـــح الإصلاحيين.(٤). وتسارع تحرير الاقتصاد ، وتغلبت الأسعار الحرة (في نهاية عام ١٩٩٢، طالت ٨٠% من تجارة الجملة). وفي شهر نوفمبـــر ١٩٩٣، استأنفـــت لجنة الحـــزب المركزية إصلاح منشآت القطاع العام ، حيث قررت التنوع في أشكال ملكيتها مع التأكيد دوماً على دور القطاع العام الرئيســـي. وفي عـــام ١٩٩٤، هـــدفت الإصلاحات المؤسساتية إلى إنشاء نظام مصرفي حقيقي، ونظام ضريبي، ونظام صرف العملة. أخيراً، في شـــهر ديســـمبر ٢٠٠١، أدى دخول الصيـــن إلى منظمة التجارة العالمية إلى انفتاحها انفتاحاً أوسع على السوق العالمية، وشـــكل هـــذا الانفتاح وسيلة بيد القادة الصينيين للحفاظ على ديناميكية الإصلاحـــات. وفي الوقت نفسه الذي ظهرت فيـــه التكلفـــة الاجتماعية لهذه التغييرات، أوجب تحديث المنشآت العامة وجهاز الدولـــة بعض "الخاسرين". وظهر أن تنفيذ إجـــراءات تحرير الأسعار واللامركزية في هذه المرحلة أصعب مما كان عليه الحال في المراحل السابقة (٥).

١طارق محمد السويدان ، محمد أكرم والعلوني ، (٢٠٠٤م). " مبادئ الإبداع " مرجع سبق ذكره

٢– شبلي إسماعيل السويطي (٢٠٠٩)،" واقع الإبداع الإداري لدى إدارات المصارف العاملة في الضفة الغربية مرجع سبق ذكره ، ص ١٥

٣– غزيل سعد عبد الله العيسى ، (١٩٩٦م)." المناخ التنظيمي وأثره على الرضا الوظيفي" . رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض : جامعة الملك سعود.

٤المرجع السابق ص ١٣

٥فرانسوا لوموان ، ترجمة د. صباح كعدان (٢٠١٠) " الإقتصاد الصيني بحث منشور علي شبكة الإنترنت www.almgid.com/vb، ص ١٤ وما بعدها.

تأسيس النظام المصرفي الصيني: مر النظام المصرفي الصيني بالمراحل الآتية :

١- في عام ١٩٨٣، استبدل الاحتكار المصرفي بنظام مصرفي على مستويين: المصرف المركزي (مصرف الصين الشعبي) المسؤول عن وظائف الاقتصاديات العامة(نسب فائدة، قرض سياسي)، ومصارف من الدرجة الثانية وهي المصرف الزراعي والمصرف الصناعي والتجاري ، ومصرف الصين، ومصرف الإنشاء والتعمير؛ وهي مصارف القطاع العام الكبرى، ومتخصصة حين انطلاقها، لكن، بدءاً من عام ١٩٨٦، سمح لها بالتنافس في مختلف ميادين النشاط الاقتصادي.

٢- وعزز إصلاح عام ١٩٩٤ سلطة المصرف المركزي، وخاصة قدرته على فرض احترام سياسته الاقتصادية العامة أمام السلطات المحلية، التي غالباً ما دفعت إلى تجاوز خطط الإقراض. لكن حافظ على تبعيته للحكومة. وعينت الحكومة لجنة السياسة النقدية، مدتها ست سنوات ولها سلطة وحيدة تتعلق بسياسة المصرف؛ حددت السلف لتمويل العجز في الميزانية بنسبة ١٠% على الديون الضريبية.

٣- حول القانون المصرفي لعام ١٩٩٥ مصارف القطاع العام الأربعة الكبرى إلى مصارف تجارية مسئولة عن أرباحها وخسائرها ، وعليها تطبيق المعايير الاحترازية الدولية. كما أنشئت ثلاثة مصارف تنموية مهمتها تمويل المشاريع الحكومية التي لم تعد تقع على عاتق المصارف التجارية ، وهي مصرف التنمية الزراعية ،ومصرف الاستيراد والتصدير ومصرف التنمية. وفي الوقت الحاضر، يتكون النظام المصرفي الصيني من أربعة مصارف كبرى للقطاع العام، وثلاثة مصارف تنمية، واثنا عشرة مصرفاً تجارياً بتغطية قومية، والعديد من مصارف المدينة وتعاونيات إقراض ريفية وحضرية وفروعاً للمصارف الأجنبية.

قوة المصارف وهشاشتها: يملك النظام المصرفي الصيني سيولة نقدية غزيرة بفضل موجودات الادخار العائلي. وهذا الادخار هو ادخار جاء نتيجة عدم وجود توظيفات بديلة: في عام ٢٠٠٤، كانت مصارف القطاع العام لا تزال تتمتع بموقف مالي مسيطر مع ما يزيد عن نصف الودائع والقروض.

١- لكن النظام المصرفي فقد حصصاً في السوق لصالح المؤسسات المالية الأخرى ، وتواصل تمويل المنشآت العامة بخاصة ، التي من المفترض أنها تتمتع بضمان ضمني من الدولة ، وقليلاً ما تسهم نسبياً في تمويل القطاع الخاص، رغم أنه شكل القسم الأكثر حيوية من الاقتصاد خلال تسعينيات القرن العشرين.

٢- وانتهت السياسة الإقراضية لمنشآت القطاع العام التي كان معظمها في وضع مالي حرج ، إلى تراكم مكثف للقروض المشكوك فيها، أي غير القابلة للتسديد أو التي تسديدها غير مؤكد.

٣-لهذا السبب توجب على السلطات الصينية القيام بعمليات باهظة التكلفة لإنقاذ مصارف القطاع العام. ففي عامي ١٩٩٨ و٢٠٠٥، خصصت الدولة (وزارة المالية والمصرف المركزي) ما يعدل ٤٣٠ مليار دولاراً، أو ما يعدل ٣٠% من الناتج المحلي الإجمالي الصيني، لإعادة رسملة هذه المصارف أو الخلاص من ديونها المشكوك فيها. ومع الأخذ بالحسبان لما بقي من الواجب فعله ، فإن قيمة فاتورة الإنقاذ تقرب من ٦٠٠ مليار دولار، أي ما يعدل ٤٠% من الناتج المحلي الإجمالي الصيني.

٤-بالتأكيد تحسنت كثيراً أوضاع المصارف الكبرى. فقد مثلت الديون المشكوك فيها ١٠% من قروضها المستحقة في شهر حزيران/يونيو ٢٠٠٥، مقابل ٢٦% أيضاً في عام ٢٠٠٢. لكن ليس من المؤكد أن هذا التحسن سوف يدوم. فمنذ عام ٢٠٠٣، منحت المصارف بشكل مكثف قروضاً لتمويل استثمارات صناعية وعقارية. ويوشك أن يحصل زيادة جديدة للعجز عن التسديد أو التأخر فيه في السنوات القادمة.

المستثمرون الأجانب من أجل إنقاذ المصارف الصينية

١-تم تدريجياً تحرير نسب الفوائد على القروض، وألغيت سقوف نسب الفوائد كلياً منذ شهر أكتوبر٢٠٠٤. وسوف يتوجب على المصارف تنويع شروط الإقراض وفقاً للمجازفة، وتسهيل تمويل المنشآت الخاصة. يبقى أن هذه

الأخيرة غالباً ما تعوز إدارتها الشفافية الأمر الذي لا يسهل تقدير مدى ملاءته(١)، وأن مصارف القطاع العام لا تزال بعيدة عن اكتساب ثقافة إدارة المخاطر، ثقافة المصارف في اقتصاد السوق.

٢-من أجل توفير رؤوس الأموال، والخبرة والتأهيل التي تحتاجها المصارف الصينية، تعتمد الحكومة الصينية من الآن فصاعداً على المستثمرين الأجانب. فمنذ عام ٢٠٠٢، أصبحت الشركات الأجنبية تتمتع بحق الإسهام المباشر في المصارف الصينية بنسبة ٢٥% من رأس المال (٢٠% بالنسبة للمساهم نفسه). وفي نهاية عام ٢٠٠٥، استثمر فيها ما يزيد عن ٢٠ مليار دولار.

وأسهم المستثمرون الأجانب إسهامات مباشرة في مصارف القطاع العام الكبرى (باستثناء المصرف الزراعي)، وفي ١٥ مصرفاً أخرى، والقائمة تطول دائماً. وفي ٢٥ يونيو ٢٠٠٥، أدرج مصرف الاتصالات، خامس المصارف الصينية في سوق هونغ كونغ للأوراق المالية، ويحظى المساهمون الأجانب بلا شك بما يزيد عن ٣٠% من رأسماله. كما أدرج مصرف الإنشاء والتعمير أيضاً في سوق هونغ كونغ في شهر أكتوبر٢٠٠٥، وحصد ٩ مليارات دولار، وتبعه مصرف الصين في عام ٢٠٠٦، وحصد مبلغاً مماثلاً.

٣-تفسر سلوكيات المصارف الصينية والمصارف الأجنبية هذه، بواقع افتراض زوال معظم القيود على نشاط المصارف الأجنبية في الصين بدءاً من شهر يناير ٢٠٠٧، طبقاً لتعهدات الصين من أجل دخولها إلى منظمة التجارة العالمية. فبالنسبة للمصارف المنجذبة باحتياطي الادخار الصيني الضخم وبالنمو الاقتصادي الاستثنائي للصين، يعني الاستثمار في أحد المصارف المحلية الحصول على بطاقة دخول إلى السوق الصيني الذي يؤدي إلى الوصول إلى موارد مالية بالعملة المحلية. أما بالنسبة للمصارف الصينية، فهي بحاجة إلى هؤلاء المستثمرين الاستراتيجيين استعداداً لمواجهة المنافسة بدءاً من عام ٢٠٠٧.

إذن تتنازل الصين عن جزء من سيطرتها على المصارف مقابل التمهيد للارتقاء بهذا القطاع إلى مستوى السيطرة على المخاطر وعرض المنتجات المصرفية. لكن عدم شفافية حسابات المصارف الصينية وقواعد إدارتها الحالية، وضعف المشاركة المسموح بها تجعل من استثمارات المصارف الأجنبية رهاناً حقيقياً حيث من الممكن أيضاً جني مصدر ثراء بقدر إمكان ضياع المبالغ المستثمرة.

مؤشرات التميز في النظام المصرفي الصيني(٢).

١-الاستثمار المباشر فى الشركات فى مجالات مختلفة من الموصلات إلى الأجهزة الإلكترونية المترلية وأجزاء السيارات والمعدات الطبية .

٢-الخدمات المصرفية للشركات وذلك بتقديم القروض والضمانات وخدمات القروض المشتركة وتمويل عمليات الاندماج والاستحواذ للشركات وإعادة هيكله الديون.

٣-نظرا لتغير ظروف السوق واحتياجات العملاء فان المصارف قامت بتطوير خدماتها فى مجال التمويل العقارى والتوريق .

٤-تقوم البنوك الصينية بإعداد دراسات جدوى للمشروعات الضخمة ويقوم بتمويلها والاستثمار فيها ، ويعد البنك أحد المؤسسات المالية التى تقدم النصح للحكومة فى مجال مشروعات النقل ، ويقيم البنك المشروعات لأغراض الاندماج ويرتب لعمليات الاستثمار أو التمويل للمشروعات ويستثمر البنك فى خمس مشروعات قطاع خاص لتوليد الطاقة ، ويعد البنك أحد اللاعبين الرئيسيين فى سوق القروض المشتركة .

١- مدى قدرتها على السداد – كلمة من النص المعرب

٢تقرير بعثة وزارة المالية الي دولة الصين ، مقدم من الباحث عن تطول الاقتصاد المصرفي الصناعي في دولة الصين الشعبية، السنة ٢٠١١

٥-هذا ويمارس بنك الشعب الصيني وظائف البنك المركزي ويمارس السيطرة التامة والمراقبة على الأوساط المالية الوطنية. أما بنك الصناعة والتجارة الصيني وبنك الصين وبنك الزراعة الصيني وبنك التعمير والإنشاء الصيني فهي بنوك تجارية مملوكة للدولة.

٦-كما تأسست على التوالي ثلاثة بنوك منفذة للسياسات هي بنك التنمية الزراعية الصيني وبنك التنمية الوطني وبنك الاستيراد والتصدير الصيني. أصدرت الصين قانون البنوك التجارية في عام ١٩٩٥، مما هيأ ظروفا لتشكيل نظام البنوك التجارية والدوائر التنظيمية المختصة، كما هيأ أساسا قانونيا لتحول البنوك المتخصصة الوطنية إلى بنوك تجارية مملوكة للدولة.

٧- منذ عام ١٩٩٦ اكتملت تدريجيا القواعد التنظيمية للقطاع المصرفي ، وتحولت البنوك التجارية المملوكة للدولة إلى مؤسسات مالية حديثة تمارس التعاملات النقدية، وتم تنظيم أكثر من مائة وعشرين بنكا تجاريا مساهما صغيرا ومتوسطا، وتحديد وتطوير الدوائر المالية في قطاع الأسهم وقطاع التأمين.

٨-مجلس مراقبة وإدارة القطاع المصرفي الصيني هو هيئة مراقبة وإدارة البنوك الصينية. وبدأ ممارسة أعماله رسميا في الثامن والعشرين من إبريل عام ٢٠٠٣. وهو مسؤول عن وضع قواعد ولوائح مراقبة الدوائر المالية في القطاع المصرفي وتنفيذ مراقبة مباشرة أو غير مباشرة على الدوائر المالية وممارسة الفحص وفرض العقوبات ضد التصرفات المخالفة حسب القوانين.(١).

٩-يرتبط نجاح النظام المصرفي الصيني بتطوير استخدام تكنولوجيا ، وهذا ما يفرضه ظروف الحال وسرعة تدفق المعلومات المهمة للتحقيق القروض المصرفية، وتشكل الإمكانيات المادية والكفاءة التدريبية عامل مهم يستحوذ علي اهتمامات الحكومة المركزية.

١٠-يمثل الأخذ بمبادئ الجودة الشاملة التركيز علي مشاركة العاملين ، وتحقيق متطلبات العميل حسب تخصصه ، وعمليات التحسين المستمر.

ثانيا : مؤشرات التميز والإبداع في العقود المصرفية الإسلامية : لا أحد ينكر أن القطاع المصرفي العربي يتفرد بما لا يستطيع القطاع المصرفي العالمي بصفة عامة ، والقطاع المصرفي الصيني علي وجه الخصوص أن ينافس فيه . وهذا التميز وتلك الخصوصية تفرد بها القطاعات المصرفية الإسلامية ، حيث التصاق العقود المصرفية بإجراءات سماوية فيها الصالح العام لكل البشر. ولقد اثبتت المصارف الإسلامية علي ساحة الاقتصاد العربي تواجدا وفعالية لا يقل قدرها علي المصارف المعتادة بل يزيد كثيرا؛ اذ تواجه مخاطر تزيد عن تلك التي تواجهها المصارف التقليدية من حيث أنها تشارك علي عقود المشاركة والمضاربة في الأرباح والخسائر، بالإضافة الي أنها تواجه أحيانا كثيرة تحديات من النظم المصرفية والرسمية القائمة ، إلي جانب معاناة البعض منها بسبب ضغوط سياسية (٢).ولقد أدرك النظام الاقتصادي في كل من ماليزيا والمملكة العربية السعودية بوجه عام ، وكافة الأنظمة المصرفية الإسلامية في مصر وسائر العالم العربي ؛ أهمية عنصر التميز والإبداع المصرفي ، فكان التميز الأساسي عدم الأخذ بقواعد الربا في العقود المصرفية أخذا وعطاء ، وهو ما يعتبر نموذجاً متميزا يجب أن يحتذي به ، وهو ما يكفل خصوصية يصعب إن لم يكن مستحيلاً علي المصارف الصينية أن تقلده ، حتي وان حدث بغرض المنافسة فسوف تنقصها المصداقية ، حيث تقوم المصارف الإسلامية علي تبني فكر يستمد قوته وأسسه من التشريع الإسلامي الحكيم.(٣).

ويشير الباحث إلي أن النظام المصرفي العربي يتميز بالأسس الآتية :

1http://arabic.cri.cn/chinaabc/chapter3/chapter30701.htm

٢. كوثر الأبجي ،(٢٠٠٥) .، مرجع سبق ذكره ، مارس ، ص٤-٥

٣المرجع السابق ص ٦

١-المعاملة مع المودعين علي أساس مبدأ المشاركة في ناتج الأعمال من عائد فعلي متحقق لا علي أساس استخدام الفائدة الثابتة .

٢-استثمار الأموال فيما أحل الله دون ما حرم ، حيث نقي العقود المصرفية من شبهات غسيل الأموال والتجارة المحرمة

٣-الالتزام باستثمار الأموال مع قطاعات الأعمال علي أساس العقود المبنية علي العمل والإنتاج الفعلي دون شبهات الربا والفائدة المحرمة .

٤-تجنب العقود المصرفية المحرمة مثل الاحتكار ، التطفيف ، التدليس ، الظلم بكل أنواعه وإشكاله وأكل أمــوال النــاس بالباطل.

٥-القيام بتزويد قطاعات الأعمال باحتياجاتها لإقامة استثمارات حقيقية منتجه تفيد المجتمع ، مع مراعاة الأولية الشرعية قدر الإمكان (البدء بالاستثمار في الحاجات الأساسية للمجتمع).

٦-هناك تمايز ذهني من خلال ما يترسب في ذهن العملاء من انطباع المصرف من سمعة جيدة علامات مميزة.

مدي الحاجة إلي معايير التميز من الاقتصاد الصيني:

ومع ذلك فالعقود المصرفية في النظام العربي تحتاج إلي تحقيق كثير من المعايير العالمية والتي يأخذ بها النظام المصــرفي في دولة الصين ومنها :

١-استخدام نظم المعلومات في تخطيط المحفظة الإستراتيجية ، حيث يحتاج ذلك إلي أفضل مزيج من الاستثمارات لخدمــة الأهداف الإستراتيجية.

٢-المطالبة بتحقيق معايير الجودة الشاملة العالمية في العقود والمنتجات المصرفية أو في تعاملها مع الكفاءات البشرية ، وهذا ما تناولته مقررات بازل وتركيزها علي معايير كفاية رأس المال في المصارف التجارية.

٣-رفع كفاءة العنصر البشري ، فهو منفذ الإستراتيجية المطلوبة بالتالي لابد من الاهتمام بالنواحي الفنيــة والســلوكية والإدارية والفكرية لذلك العنصر.

٤-المهارات الفنية ، وذلك علي المستويات الإدارية سواء الإدارة العليا أو الوسطي أو التنفيذية ، وهو ما يدعم النمو التعلم والابتكار.

٥-الأخذ بالتخصص في أعمال البنوك لغرض التنمية في مجالات محددة زراعية أو صناعية أو تصديرية وتنموية أخري.

٦-الاستفادة من النظام المصرفي في دولة الصين في ضرورة تحديد أولويات العقود المصرفية بما يواكب التوجهات التنموية للمجتمع ، فلا يعقل أن تركز المصارف العربية علي العقود الاستهلاكية دون الاستثمارية.

٧-العمل علي توسعة نطاق الخدمات المعطاة للعملاء مثل خدمات دراسات الجدوي وخدمات الاندماج الاستحواذ.

٨-توسعة نطاق الأعمال والعقود المصرفية بما يشمل التطور العصري من عقود التوريق والتمويـــل العقـــاري والتـــأجير التمويلي وغيرها .

الخلاصة والنتائج والتوصيات :تمثلت فكرة البحث في أن النظام المصرفي العربي الإسلامي يحتوي علي كثير من مؤشرات ومعايير التميز والإبداع في مجال العقود المصرفية منعدمة النظير في أي نظام رأسمالي أو اشتراكي ، فكانت المشــكلة هــي محاولة الاستفادة بهذه المعايير والعمل علي دعمها بوسائل الإبداع والابتكار في النظام المصرفي الصيني ، حتي يمكن للنظــام المصرفي العربي أن يطور الخدمات المصرفية المتعلقة بكل أنواع العقود ويمكن بذلك مقاومة تداعيات العولمة والأزمات المالية العالمية .

لهذا انطلق الباحث من افتراضات أساسية تقوم علي وجود مؤشرات من الإبداع والابتكار، تتمثل في نهج التميــز في العقود المصرفية وفقاً للنظام الإسلامي العربي ، والنظام المصرفي في دولة الصين الشعبية . وانتهج الباحث سبيلاً علمياً يقوم علي المنهج التحليلي لحقيقة مخاطر العولمة علي العقود المصرفية في الوطن العربي ، محاولاُ الوصول الي وسيلة مناسبة ينمي بها جوانب التميز والإبداع بوسائل التقدم التكنولوجي والعلمي ومنهج التخصص في النظام المصرفي الصيني . ولقــد قســم الباحث دراسته إلي مبحثين تعرض في الأول منه إلي مفهوم نهج التميز ومدي ارتباطه بتحقيق الإبداع والابتكار، من خلال

عدة معايير تبني علي جذب العميل وتحقيق رغبات المجتمع سواء كانوا مستثمرين أو مودعين ، إلي العمل علـــي تنميـــة الأساليب الوقائية والتي تتمثل في تجنب المشكلات بتوقعها وتوقع طرق بدائل لحلها ، إلي الاهتمام بالخدمة المصرفية بشكل متكامل مع الاهتمام بالعميل سعياً لإرضائه وتحقيق متطلباته. وفي المبحث الثاني تناول الباحث مؤشرات التميز في تحقيـــق الإبداع والابتكار في العقود المصرفية ؛ حيث استعرض الباحث في الجزء الأول من هذا المبحث مؤشرات التميز والإبداع في العقود المصرفية بدولة الصين الشعبية ، وأكد أنها تشتمل في جملتها علي دعم الاستثمار المباشر ، والتخصص المصـــرفي سواء كان زرعي أو صناعي أو استثماري وعقاري.... الخ ، وأيضا علي تقديم الخدمات الإضافية مثل دراسات الجدوي والنصائح المالية ، وأيضا ما يتميز به النظام المصرفي الصيني باستخدام تكنولوجيا المعلومات المصرفية ومبادئ الجودة الشاملة وهذا ما يعوذ النظام المصرفي العربي. وفي القسم الثاني من المبحث تناول الباحث مؤشرات التميز والإبـــداع في العقـــود المصرفية الإسلامية كأحد الأنظمة المصرفية العربية ؛ حيث تمثل في التعامل علي أساس مبدأ المشاركة في نتائج الأعمـــال وفقاً لعائد فعلي وليس سعر فائدة ثابت ، وكذلك التأكيد علي أن الارتكاز علي المنهج الإسلامي في المعاملات المصرفية يوفر الاستثمار الهادف في المشروعات التي تخدم المجتمع حسب أولويات معينه ، بعيداً عن التجارة المحرمة وعمليات غسيل الأموال ، والاحتكار والغش ، هذا بالإضافة إلي التمايز الذهني من خلال ما يترسب في وجدان العملاء من الانطباع عن المصرف بأنه ذو سمعه طيبة

وختم الباحث دراسته بالتوصية بممارسة التكامل بين مؤشرات التميز والإبداع والابتكار العربي والصـــيني في إبـــرام وتحقيق العقود المصرفية ، من أجل تحقيق تقدم مهم لكلا النظامين الاقتصاديين .

قائمة المراجع :

أ- المراجع العربية:

١. الباز فوزي قابيل، (٢٠١١) "تقرير بعثة وزارة المالية إلي دولة الصين " عن تطور الاقتصاد المصرفي الصناعي في دولة الصين الشعبية.

٢. الكلمة الافتتاحية لكوفي عنان في قمة سياتل ، واشنطن ١٩٩٩م

٣. رفعت الفاعوري (٢٠٠٥)" **إدارة الإبداع الإداري**"،المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، بحوث ودراسات، جمهورية مصر العربية.

٤. طارق محمد السويدان ، محمد أكرم والعلوني ،(٢٠٠٤م). " **مبادئ الإبداع** " الرياض: قرطبة للنشر والتوزيع.

٥. عبد الرحمن بن أحمد هيجان ، (١٩٩٩م). "معوقات الإبداع في المنظمات السعودية" . مجلة الإدارة العامة ، م(٣٩) ع(١) ، الرياض : معهد الإدارة العامة.

٦. غزيل سعد عبد الله العيسى ، (١٩٩٦م)." المناخ التنظيمي وأثره على الرضا الوظيفي" . رسالة ماجستير غير منشورة ، الرياض : جامعة الملك سعود.

٧. فتحي عبد الرحمن جروان، (٢٠٠٢م). " **الإبداع**" ، عمان : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨. د. فراس الشلبي ، د. خالد بني حمدان(٢٠٠٩) " اثر تقانة المعلومات في الإبداع ألمنظمي شركة توليـــد الكهربـــاء المركزية – دراسة حالة" **المؤتمر العلمي الثالث لكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية جامعة العلوم التطبيقية الخاصة.**

٩. فرانسوا لوموان ، ترجمة د. صباح كعدان (٢٠١٠) " الإقتصاد الصيني بحث منشـــور علـــي شـــبكة الإنترنـــت www.almgid.com/vb.

١٠. فهيد عايض الشمري ، (٢٠٠٢م)." **المدخل الإبداعي لإدارة الأزمات والكوارث**" الريـــاض : شـــركة نجـــد التجارية.

١١. د. كوثر الأبجي ،(٢٠٠٥) ." إستراتيجية التطوير في القطاع المصرفي العربي في مواجهه تحديات العولمـــة " **المـــؤتمر العلمي الرابع** ، **الريادة والإبداع** ، كلية العلوم الإدارية والمالية ، جامعة فيلادلفيا ، مارس.

ب- المراجع الأجنبية

1- Nickles,(1996)." Understanding Business, 4th . Ed., Erwin N.Y .

2- Torrance, E.P.(1993).The nature of creativity as manifest testing.New York: Press Syndicate of the university of Cambridg

3- Soo, Christine; Timothy Devinney; David Midglers; Anne Deerin,2002, Knowledge Management: Philosophy, Processes, and Pitfalls, California Management Revie, Vol. 44, No.4.

4-http://arabic.cri.cn/chinaabc/chapter3/chapter30701.htm

الاعتراف المصرى بالصين الشعبية مايو ١٩٥٦

الباحثة/زينب عيسى عبد الرحمن

كان من أهم نتائج الحرب العالمية الثانية خروج كل من فرنسا وبريطانيا من دائرة التأثير الفعال فى المحيط الدولى، وتبلور ظاهرة الاستقطاب الثنائى الحاد، حيث برز الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية كتلة سياسية واقتصادية ذات مصالح مشتركة فى جانب، وفى الجانب الآخر برزت الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية كتلة ذات مصالح متناقضة مع أهداف الكتلة الشرقية(١)،وهو ما خلق تنافسا بين الكتلتين على باقى مناطق العالم، ولكنه اتخذ شكلاً جديداً، حيث أدت الحرب العالمية الثانية إلى تطور الأسلحة النووية، وهذا ما أدى إلى تطور الصراع وفق ظروف ما بعد الحرب، فكانت مرحلة الحرب الباردة The Cold War التى شكلت التحدى الرئيسى للاستقرار والسلام الدولى لجيل بأكمله(٢).

و لم تكن نتائج الحرب العالمية الثانية على شعوب العالم الثالث أقل سخونة، فقد شهدت السنوات التالية للحرب تعاظم دور الحركات التحررية والاستقلالية، ومن مخاض تلك الحركات تولدت ثورتان كان لهما الأثر الكبير الذى لم يقتصر على حدود دولتيهما فقط، بل امتد ليشمل منطقتيهما والعالم بأكمله.ففى الأول من أكتوبر عام ١٩٤٩م تأسست جمهورية الصين الشعبية ، وذلك بعد انتصار الشيوعيين على القوميين فى الحرب الأهلية الصينية (١٩٤٥-١٩٤٩م)،وعلى الجانب الآخر وفى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢م أحدث تنظيم الضباط الأحرار ثورة على الحكم الملكى فى مصر وإعلان الجمهورية فى الثامن عشر من يونيه عام ١٩٥٣م،وقد تشابهت ظروف الدولتين فى معاناتهما من الاحتلال الغربى واستغلال مواردهما، وقد عملت كلتا الثورتين على إحداث تغيرات فى بلديهما، وكما كانت طموحاتهما الداخلية قوية لم تقل طموحاتهما الخارجية قوة عنها. وتشاء الأقدار أن يتلاقى قادة الدولتين بانعقاد مؤتمر باندونج الذى يعد أول مؤتمر من نوعه يضم قادة أكثر من أربع وعشرين دولة أفروأسيوية(٣) ؛بهدف خلق قوة ثالثة؛ لمواجهة الاحتلال ومناهضة النفوذ الغربى والشرقى بكل أشكاله(٤).

مؤتمر باندونج باندونيسيا (ابريل ١٩٥٥م) وأثره فى التقارب بين الدولتين:

كانت مصر فى البداية من الدول الراغبة فى عدم حضور الصين الشعبية خوفاً من أن يتهم المؤتمر بأنه ينحاز إلى إحدى الكتلتين(٥)، أو أن يصدر المؤتمر أية قرارات تخص قضايا الصين الشعبية، كتمثيلها بالأمم المتحدة، أو الاعتراف بها بدلاً من الصين الوطنية،خاصة أن مصر كانت حينذاك تقيم علاقات دبلوماسية مع الصين الوطنية التى كان سفيرها عميداً

---

(١) صلاح هادى علوان، نظرة إلى مركزى الاستقطاب العربى الصينى (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م)، ص١٣ – ١٤.

(٢) صلاح هادى علوان، مرجع سابق، ص١٥؛ أمين السيد شلبى ، الوفاق الأمريكى السوفيتى ١٩٦٣م – ١٩٧٦م(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م)، ص٣.

(٣) نشأ التضامن الأسيوى الأفريقى عندما انعقد مؤتمر دلهى الجديدة فى العشرين من يناير عام ١٩٤٩م بناء على دعوة "نهرو" وحضره ١٩ دولة منهم مصر لبحث قضية إندونيسيا وساعد هذا التضامن على انتصار هذه القضية،

وقد تشكلت المجموعة الأفرواسيوية بداية من مصر والسعودية والعراق ولبنان وسوريا والباكستان وإيران وتركيا وتايلاند وأفغانستان وبورما والفلبين والهند ثم انضمت إليها أثيوبيا وليبريا.

حسين فهمى مصطفى، سياسة عدم الانحياز فى المجتمع الدولى، (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت)، ص٦٥.

(٤) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٤٤٠) ملف ٤/ ١٤٢/ ٢٥، بشأن (المؤتمر الأفريقى الأسيوى أو العربى الأسيوى)، تقرير من وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك إلى وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة، بشأن الخطوات التمهيدية للمؤتمر والدول الداعية له والدول المدعوة إليه والمبادئ التى وضعتها الدول الداعية لتكون أساساً لأعمال المؤتمر، سرى، د. ت.

(٥) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٤٤٠)، ملف ٤/ ١٤٢/ ٢٥، بشأن (المؤتمر الأفريقى الأسيوى أو العربى الأسيوى بجاكرتا)، تقرير من السفير فهمى العمروسى سفير مصر بجاكرتا إلى السفير وكيل وزارة الخارجية بالقاهرة، بشأن المؤتمر الأفريقى الأسيوى ، سرى، بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٩٥٤م.

للدبلوماسيين الأجانب بالقاهرة، فكان من الصعب قبول الصين الشعبية فى المؤتمر، فى الوقت الذى لم تدع فيـــه الصـــين الوطنية المعترف بها من مصر(١). و قبيل المؤتمر بدأت مصر تنتهج سياسة مرنة تجاه اشتراك الصـــين الشـــعبية فى مـــؤتمر باندونج، فبعد أن كانت ترى أن انضمام الصين للمؤتمر سيصبغه بالصبغة الشيوعية، عدلت عن رؤيتها ؛ بسبب وجـــود عدة دول مشتركة فى المؤتمر ترتبط باحلاف عسكرية غربية مثل: الباكستان وتركيا و العراق مرتبطة بأحلاف عســكرية غربية؛ لذا فلا يمكن القول أن للمؤتمر صبغة شيوعية أو ميلا نحو الكتلة الشيوعية(٢). ولعل من أهم أسباب تغير الموقـــف المصرى أنه بعد توقيع اتفاقية الجلاء (١٩/ ١٠/ ١٩٥٤) اتخذت مصر سياسة الحياد الإيجابى(٣) منهجا أصيلا لهـــا فى سياستها الخارجية(٤) قابلة التعاون مع دول العالم كافة على قدم المساواة وبلا شروط ضمانا لاستقلالها، إلا أن ذلـــك لم يكن يرضى دول الغرب التى أرادت إدخال مصر فى حظيرة الأحلاف الغربية(٥)التى رفضتها مصر بشدة ؛ لانهـــا تعـــد صورة من صور السيطرة الغربية، فما كان من الغرب إلا أن اتخذ شدة حاجة مصر للسلاح وسيلة من وســـائل الضـــغط

---

(١) مصدر سابقمحفظة (١٤٤٠)، تقرير وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بنيويورك إلى وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة بشأن الخطـــوات التمهيدية للمؤتمر والدول الداعية له والدول المدعوة إليه والمبادئ التى وضعتها الدول الداعية لتكون أساسا لأعمال المؤتمر

(٢) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٤٣٨)، ملف ٤/ ١٤٢/ ٢٥، جـــ٢، "بشأن (المؤتمر الأفريقـــى المنعقـــد فى أندونيسية)، تقرير من مفوضية جمهورية مصر لدى الفاتيكان، الوزير المفوض على فوزى مرعى" إلى السفير وكيل وزارة الخارجيـــة بالقـــاهرة بشأن المؤتمر الأفريقى الأسيوى ، سرى، بتاريخ ١٤ إبريل ١٩٥٥.

(٣) الحياد الإيجابي: تعبير هندى فى الأصل ويعنى عدم الانحياز إلى أحد المعسكرين وتكوين شخصية مستقلة فى المجال الدولى لذا عُرف بسياسة عدم الانحياز أو الاستقلال الدبلوماسى، وهو يختلف عن سياسة الدول المحايدة السابقة والتى كانت تتجنب الاشتراك فى حرب قائمـــة مهتمـــة بشئونها وحدها، وفى عام ١٩٥٦م ربط جمال عبد الناصر بين فكرة الحياد الإيجابى والتعايش السلمى وفيما بعد طوّر من تلك السياسة وضـــم إليها فكرة التحرير وحق الشعوب فى تقرير مصيرها ورد العدوان الذى تتعرض له، وسياسة عدم الانحياز أو الحياد الايجابى فى رأى عبد الناصر هى أن يكون لنا رأينا المتحرر من أى التزام فى كل مشكلة تواجه عالمنا، ورأى يستهدف السلام ويجعل ميثاق الأمم المتحدة نصا وروحا طريقا إلى هذا السلام.

وقد قوبلت تلك السياسة فى الغرب بعدم الترحاب والفهم فرأى البعض أن عبد الناصر قد اتخذها كوسيلة لتحقيـــق أهدافـــه – تقويـــة الاقتصاد المصرى، تسليح الجيش، بناء إمبراطورية عربية – فالتمس المساعدات العسكرية والاقتصادية من كلا المعسكرين مستغلاً تنافسهما على دول العالم الثالث ليعمل على تطوير وتجديد بلاده.

حسين فهمى مصطفى ، مرجع سابق، ص٩، ١٢، ٣٩ وما بعدها؛ محمد أنيس ، المؤتمر الأسيوى الأفريقى، (سلسلة اخترنا لك – عـــدد٤٤)، (القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٩٥٧) ص٣٢؛

William R. Keylor, The Twentieth- Century World : On International History (New York, Oxford University Press, 1996), p.297.

ولمزيد من التفاصيل عن ذلك السياسة انظر: لورنس مارتن، الحياد وعدم الانحياز: الدول الحديثة فى مجالات الشئون العالمية، ترجمـــة وتعليـــق: خيرى حماد (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.

(٤) بدأت مصر سياسة الحياد فى الصراع بين المعسكرات الغربية من الناحية الرسمية بالموقف الذى اتخذته حكومة على مـــاهر عـــام ١٩٣٩م بعدم التزام مصر بالاشتراك فى الحرب، وامتناعها عن إعلان الحرب إلى جانب بريطانيا بموجب معاهدة عام ١٩٣٦م، غير أن أول اتجاه حقيقى نحو الحياد وعدم الانحياز فى الحرب الباردة قد ظهر خلال موقف مصر فى مجلس الأمن عند امتناعها عن التصويت إلى جانب الـــدول الغربيـــة وقرارها بتدخل الأمم المتحدة فى كوريا وقد أعرب مندوب مصر فى المنظمة أن الصراع الحالى فى كوريالا يعدو أن يكون إحـــدى حلقـــات الخلاف بين الكتلتين وهو الخلاف الذى يهدد السلم والأمن الدولى وبقيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢م اتخذت سياسة الحياد وعدم الانحيـــاز بـــين الكتلتين مذهبا سياسيا واضحا ووجهة نظر ثابتة ذات أهداف محددة.

حسين فهمى مصطفى، مرجع سابق، ص٤٤، ٤٧.

(٥) سارعت دول الغرب الكبرى لإقامة سلسلة من الأحلاف والقواعد العسكرية، لتطويق الكتلة الشرقية وفرضـــت نوعـــاً مـــن الحصـــار الاستعمارى – السياسى والاقتصادى – حول مناطق نفوذها السابقة التى حصلت على الاستقلال.

عائشة راتب (ج.ع.م وسياسة عدم الانحياز)السياسة الدولية، العدد الخامس (يوليو ١٩٦٦م)، ص١٥٣.

المهمة عليها(١) ؛ لإخضاعها لرغبته المحمومة ، وهو ما أدى إلى توتر العلاقات بينهما(٢)فكان للمماطلة الغربية فى تزويد مصر بالسلاح أثره فى تغير موقف جمال عبد الناصر من مسألة الدعوة لاشتراك الصين الشعبية فى المؤتمر، ولعل ذلك يرجع لرغبته فى معرفة رد فعل السوفيت(٣) فى طلبه لشراء السلاح منهم ؛ نظراً للصلة الوثيقة بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى آنذاك، بعدما فشل فى تلقى ردٍ شافٍ من السفير السوفيتى بالقاهرة على طلبه هذا(٤).وقد طرأ من الأحداث ما لم يستدع فقط انتهاج مصر لسياسة مرنة تجاه اشتراك الصين الشعبية فى المؤتمر، بل التقرب منها أيضا، وعقد عدة لقاءات مع رئيس وفد الصين الشعبيةشواين لاى Zhou Enlai – رئيس وزراء الصين ووزير خارجيتها آنذاك– فى المؤتمر، ففى الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٥٥م أعلن رسميا قيام حلف بغداد(٥) ،وبعد مرور أربعة أيام وفى الثامن والعشرين والعشرين من فبراير اخترقت إسرائيل الحدود المصرية وشنت أشنع غارةعلى قطاع غزة(٦) ،بدعوى الانتقام من الفدائيين اسفرت عن جرح العديد من الضباط والجنود المصريين وقتل بعضهم الآخر، وقد هزت تلك الحادثة عبد الناصر، وأدت التهديدات الإسرائيلية(٧) وقلة ما لديه من سلاح(٨) إلى تصميمه على جلب السلاح(٩)، فكثف جهوده للحصول فورا

(١) تنوعت وسائل الضغط الغربية – خاصة الأمريكية – على مصر بمنع المساعدات الاقتصادية ورفض تمويل بناء السد العالى فى يونية عام ١٩٥٦م، ومنع الحكومة الأمريكية تصدير الأدوية لضحايا العدوان الثلاثى وامتناعها عن صرف ١٤.٠٠٠ دولار من أرصدة مصر المجمدة لديها لشراء هذه الأدوية وبيع فائض القمح الأمريكى لمصر، كما أوقفت برنامج "كير" الخاص بالأطفال المصريين.

عزالدين فودة، "أبعاد سياسة القاهرة الخارجية" مجلة الطليعة، العدد الثالث (مارس ١٩٦٥م)، ص٦٨.

(٢) بطرس بطرس غالى، (الناصرية وسياسة مصر الخارجية) السياسة الدولية، العدد ٢٣ (يناير عام ١٩٧١)، ص١٣؛ عزالدين فوده، المرجع السابق، ص٦٨.

(٣) لم يكن الرئيس عبد الناصر أول من يتجه بفكره، لطلب سلاح من السوفيت، فقد سبق أن هددت الحكومة المصرية عام ١٩٥٠م بعد مفاوضات راكدة لشراء السلاح بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية باللجوء لشراء السلاح وعقد ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى.

محمد أنيس، مرجع سابق، ص٤٥.

(٤) نظام شرابى، أميركا والعرب: السياسة الأميركية فى الوطن العربى فى القرن العشرين (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩٠) ص١٠٨.

(٥) تكون الحلف من العراق، تركيا، بريطانيا، باكستان، إيران أما الولايات المتحدة فرغم وجود موظفين لها فى لجأن الحلف بالإضافة لمساعداتها العسكرية والاقتصادية التى تقدمها لأعضائه فأنها لم تصبح عضوا كاملا به إلا بعد انتقاله إلى تركيا بعد قيام ثورة العراق فى عام ١٩٥٨م وانسحابهمن الحلف.

Soviet Foreign Policy: A brief Review 1955 – 65 (Moscow: Progress Publishers, 1967), p.124; Ronald E. Powaski, The Cold War: The United States and The Soviet Union 1917-1991 (New York: Oxford University Press, 1998), p.117.

لمزيد من التفاصيل عن الحلف وتكوينه وما آل إليه من نتائج انظر:عزيز شريف، شعوب أسيا وأفريقيا ضد حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور (القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٨)؛ محمد عزيز شكرى، الأحلاف والتكتلات فى السياسة العالمية، (الكويت: المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، رجب ١٣٩٨هـ/ يوليو ١٩٧٨م)، ص٦٤ – ٧١.

(٦) أصبح قطاع غزة تحت السيطرة المصرية وفق بنود الهدنة المعقودة بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩م.

الموقع الاليكترونى:http://uk:geocities.com/balestinegaze-strib.htm

(٧) أوضح د/ محمود فوزى (وزير خارجية مصر الأسبق) فى مذكراته أن العدوان على غزة كان فى رأى الحكومة المصرية بداية لاعتداءات أخرى على كافة الجبهات العربية.

نقلاً عن: نظام شرابى، مرجع سابق، ص١٠٥.

(٨) لم يكن لدى الجيش المصرى وقتئذ أكثر من ست طائرات صالحة للخدمة، وذخيرة لمدفعية الدبابات لا تكفى لمعركة مدتها ساعة واحدة.

المرجع السابق، ص١٠٥

(٩) لم تقتصر محاولات عبد الناصر لشراء السلاح على الغرب فقد أرسل بعثات لكلا من اليابان والهند.

محمد أنيس، مرجع سابق، ص٤٩.

فورا عليه من الولايات المتحدة مخبراً المسئولين الأمريكيين بأن هذه التجهيزات كفيلة بتهدئة الرأى العام المصرى الداعى للانتقام، وقد حاول هؤلاء المسئولون إظهار حاجة مصر الشديدة للسلاح، وحرج موقف عبد الناصر(١) لدى الإدارة الأمريكية(٢) بواشنطن، لكن جهودهم ذهبت أدراج الرياح(٣).

وإزاء هذا الصدود الغربى قويت شكوك عبد الناصر تجاه الغرب رابطا بين مولد حلف بغداد والغارة الإسرائيلية ، خاصة أنه أصبح معروفا أن إسرائيل تحصل على السلاح من فرنسا وبريطانيا، والولايات المتحدة، برغم التزام الدول الثلاث بما جاء بالإعلان الثلاثى(٤) عام ١٩٥٠م، وجاءت تهديدات تركيا – العضو فى حلفى الأطلنطى وبغداد –لسوريا لسوريا فى ربيع عام ١٩٥٥م لتقوى من شكوكه، متوصلا إلى أن الغرب يعمل على تقويض حكمه وإضعاف مركزه بين العرب، كل ذلك جعل عبد الناصرمستعداً للتعاون مع من يمد له يد المساعدة فى سبيل أن تكون الأسلحة بحوزة الجيش المصرى(٥)، وتزامن ذلك مع التصريحات السوفيتيةبمساعدة أى دولة من دول الشرق الأوسط تقع تحت ضغط أو ترهيب سياسى غربى؛ لحماية استقلال تلك الدول(٦). وبالرغم من الصعوبات(٧) التى سيواجهها عبد الناصر من جراء شراء

---

(١) كان عبد الناصر فى حاجة شديدة للسلاح لدعم مكانته الداخلية وتهدئة القلاقل المتزايدة فى الجيش، وتلبية لاحتياجاته للدفاع المشروع، ففى لقائه مع السفير الأمريكي (بايرود)، ذكر أنه سيتحالف مع الشيطان للحصول على السلاح.

رضا أحمد شحاته، تطور واتجاهات السياسة الخارجية الأمريكية نحو مصر منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ حتى انتهاء حرب السويس ١٩٥٦ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م).، ص٣١٨؛ محمد الطويل، لعبة الأمم وعبد الناصر(القاهرة: المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٦)، ص٤١٦؛ ليونارد بايندر، الثورة العقائدية فى الشرق الأوسط، تعرب: خيرى حماد (القاهرة: دار القلم، ١٩٦٦م) ص٣٤٧.

(٢) كان الشغل الشاغل للإدارة الأمريكية وقتذاك هو ضم مصر لحلف غربى، إضافة للضغوط الإسرائيلية التى كانت سياساتها تستهدف عرقلة أى اتفاق مصرى أمريكى لشراء السلاح، إضافة لتصميم وزير الخارجية الأمريكية دالاس على حرمان عبد الناصر من السلاح عقابا له على انتهاجه لسياسة عدم الانحياز والتى وصفها بأنها سياسة غير أخلاقية.

نظام شرابى، مرجع سابق، ص١٠٧؛ رضا أحمد شحاته،مرجع سابق، ص٣١٩.

(٣) نظام شرابى، مرجع سابق، ص١٠٥؛ لطيفة سالم، أزمة السويس ١٩٥٤ – ١٩٥٧م – جذور – أحداث – نتائج (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٦م) ، ص٧١ – ٧٢؛

M. Sayed. Ahmed, Nasser and American Foreign Policy 1952- 1956 (Cairo: The American University in Cairo Press, 1989), p.109; Robert Stephens, Nasser (Apolitical Biography), (Australia: Penguim Books, 1962) p.189; Jean La Coutune, Nasser (a biography), (New York: Alfred A. K Nope, 1994) p.165.

(٤) صدر الإعلان الثلاثى فى ٢٥/ ٥/ ١٩٥٠م وقد وقعت عليه كلُ من الولايات المتحدة، بريطانيا، فرنسا ويقضى بالمحافظة على الأوضاع العربية الإسرائيلية الراهنة سواء بالنسبة لخطوط هدنة عام ١٩٤٩م أو للتوازن فى التسلح بين الطرفين، وكان هذا التصريح الورقة التى لعبت بها الدول الثلاث وفقا لهواها.

لطيفة سالم، مرجع سابق، ص٧١.

(٥) لطيفة سالم، مرجع سابق، ص٧٢؛ M. Sayed. Ahmed, op.cit, pp.108- 109

(٦) تدفقت تلك التصريحات للاتحاد السوفيتى فى ١٦ إبريل ١٩٥٥م نتيجة للضغوط الغربية على دول الشرق الأوسط وقد نادت تلك التصريحات بالاستقرار القائم على مبادئ التعايش السلمى، حيث رغبت القيادة السوفيتية الجديدة خلال عامى ٥٤ – ١٩٥٥م فى مد يدها للأنظمة العربية التى تخلت عن المشاركة فى الأحلاف العسكرية التى كان يخطط لها الغرب وكان التعامل مع مصر بشكل خاص لكونها أكثر البلاد العربية نفوذاً وكثافة سكانية يعنى مجالات واسعة للاتحاد السوفيتى.

البكس فاسيلييف، روسيا فى الشرقيين الأدنى والأوسط: من الرسولية إلى البراجماتية، ترجمة: المركز العربى للصحافة والنشر موسكو، مراجعة: حمدى عبدالحافظ (القاهرة: مكتبة مدبولى، د ت ، ص٥٩؛ Soviet Foreign Policy: A brief Review 1955 – 65 (Moscow: Progress Publishers, 1967), p.125.

(٧) تمثلت تلك الصعوبات فى عدم رغبة عبدالناصر فى فتح الباب الشرقى لما سيترتب عليه من سلبيات، وعدم معرفة الجيش المصرى للسلاح السوفيتى حيث اعتاد على استخدام الأسلحة الإنجليزية

نظام شرابى،مرجع سابق، ص١١٩؛ لطيفة سالم، مرجع سابق، ص٧٣.

السلاح من الاتحاد السوفيتي، فإنه بدأ يفكر فى الأمر بجدية(١)، ولما كانت الصين فى ذلك الوقت الحليف الأول للاتحاد السوفيتي، كان لابد من إثارة تلك المسألة فى أول لقاء يجمعه بقادتها، وهو اللقاء الذى حدث فى عاصمة بورما "رانجون" أثناء توجه عبد الناصر إلى مؤتمر باندونج.

وبدأ اللقاء بينهما باستعراض عام للموقف الدولى ، وعندما تطرق الحديث لمسألة الاعتراف المصرى بالصين الشعبية، لم يبد شواين لاى إلحاحا فى تلك المسألة، واظهر لعبد الناصر إدراكه للمرحلة الدقيقة التى تمر بها علاقة مصر بالغرب، وأنه لا يتصور إحراجها بطلب هذا الأمر، وقد أجابه عبد الناصر بأن الظروف لا تسمح بتحقيق ذلك وتفهم شواين لاى هذا الأمر(٢).

شرح عبد الناصر له الوضع فى الشرق الأوسط وسياسة الأحلاف ومحاولة تمزيق الوطن العربى وسياسة إسرائيل العدوانية، وهنا سأل عبد الناصر شواين لاى مباشرة: هل يقبل السوفيت أن يبيعوا لمصر سلاحاً؟ شارحاً محاولاته العديدة مع الغرب؛ للحصول على السلاح وأهميته فى صد السياسة العدوانية لإسرائيل (٣)،فأجابه شواين لاى بعدم استطاعته الرد، ووعده بنقل طلبه للسوفيت(٤) متوقعا أن يكون الرد عليه بالإيجاب(٥).

ولم يكد شواين لاى ينتهى من مقابلته هذه حتى كتب تقريراً عنها إلى ماوتس تونج الذى بدوره أرسله إلى موسكو، وفيه تناول شواين لاى النتائج التى خرج بها من لقائه مع عبد الناصرالذى يمثل تياراً وطنياً جديداً فى منطقته، مؤمناً بسياسة عدم الانحياز، وطالب شواين لاى فى تقريره بمد يد العون لعبد الناصر؛ لكون تياره القوة المقبلة فى الشرق الأوسط، موضحاً ما سوف يجنيه المعسكر الشرقى من وراء هذا الدعم وعرقلته لمحاولات الغرب؛ لإكمال تطويق المعسكر الشرقى، ولأن التقرب من هذا التيار الوطنى والمساعدة على تحقيق أهدافه سيحقق مزايا للمعسكر الشرقى لا يمكن الإقلال من قيمتها(٦).

لقد خرج الرجلان من ذلك اللقاء وكل منهما يحمل مكسباً خاصاً به، فقد اطمئن عبد الناصر إلى قرب تحقيق هدفه بشراء الأسلحة من السوفيت، وأن الصين ستكون وسيطا جيداً لتلك المهمة دون أن يحمله ذلك وعداً بالاعتراف بها، فى حين نجح شواين لاى فى إظهار حقيقة السياسة الصينية والتقرب من الرئيس المصرى وكسب وده (٧).

واستكمالا للمسلك الصينى الودى جاءت سياسة الصين الشعبية فى مؤتمر باندونج ،لتسهم فى التقارب بين البلدين،حيث كانت مشاركة الصين الشعبية إيجابية، وأسهمت بدرجة كبيرة فى نجاح المؤتمر، فقد كان مؤتمر باندونج فرصة لا تعوض(٨) انتهزها زعماء الصين الشعبية؛ لتوثيق علاقاتهم مع قادة الدول الأخرىومحاولة إزالة سوء الفهم الذى كان يمنع بعضهم من تدعيم الصلة بين بلادهم والصين الشعبية وتقويض الدعاية الأمريكية المضادة لهم وإظهار الجانب

---

(١) لطيفة سالم، مرجع سابق، ص٧٣.

(٢) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس: حرب الثلاثون سنة (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦م.)، ص٣٤٤ – ٣٤٥؛ Donald. Neff, op.cit, p.77.

(٣) نظام شرابى، مرجع سابق، ص١٠٥؛ Donald. Neff, op.cit, p.78.

(٤) تذكر بعض المراجع إلى أن شواين لاى بادر بسؤال عبدالناصر عن إمكانية أخذ السلاح من السوفيت، انظر: سعد الدين وهبه، مرجع سابق، ص٢٦ – ٢٨؛ Wilton Wynm, Nasser of Egypt: The Search For dignity (USA: Arlington Books, inc Cambridge, 1959), p.105.

(٥) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، ص ٣٤٥ – ٣٤٦؛ Robert Stephens, op.cit, p.158.

(٦) محمد حسنين هيكل، "شواين لاى يكتب تقريراً عن مقابلته للرئيس عبد الناصر فى رانجون"،الأهرام،العدد٢٦٢٩٨(١٣/١٢/١٩٥٨م) ص٣.

(٧) الأهرام،١٤/ ٤/ ١٩٥٥م، ص١.

(٨) كانت محاولات الصين وجهودها للاتصال بالعالم الخارجى بمثابة مسألة حياة أو موت للخروج من نطاق العزلة عن الأمم المتحدة – الذى فرضته الولايات المتحدة – إلى الدول الأفروأسيوية.

عمر على عامر، (الصين والمنظمات الدولية والشعبية) السياسة الدولية، العدد ٢٧ (يناير عام ١٩٧٢م)، ٩٥ – ٩٦.

المعتدل فى سياستهم، و أراد شواين لاى من خلال خطبه إقناع الدول الأفروأسيوية بأن الصين الشعبية شـريكة لهـم فى النضال..

وحظيت قضية العرب الأولى (القضية الفلسطينية) بتأييد الصين التى لم تلتفت إلى الرجاء الإسرائيلي لحكومتها بعـدم إثارة تلك القضية بالمؤتمر ما دامت إسرائيل غير مشتركة فيه(١).كما أيدت كفاح مصر لاستكمال سيادتها علـى قنـاة السويس، وأظهرت حماساً لتأييد حركات التحرير الوطنى ودعمها فى الجزائر والمغرب وتونس، وكانت تلك القضايا هى نفسها التى جاء عبد الناصر لباندونج من أجل البحث عن دعم لها(٢).

وعلى أية حال لم يكن ما سبق فقط هو الذى زاد من تقارب قادة الدولتين، بل كان تقارب وجهات نظرهم حيـال القضايا الدولية التى وضحت من خلال خطبيهما دافعاً جديداً لزيادة تقاربهما، فقد اتفقت وجهات نظرهمـا فى محاربـة الاحتلال والأحلاف العسكرية ونصرة الشعوب المُضطَهدة والتعاون بين الدول الأفروأسيوية(٣)، وكان هذا التنسيق العالى العالى بين الزعيمين واللقاءات المنعقدة بينهما خلال المؤتمر وقبول عبد الناصر دعوة شواين لاى لزيارة الصين الشعبية، فى الوقت الذى اعتذر عن تلبية دعوة لزيارة الصين الوطنية قد دعا العديد من المحللين السياسيين إلى التوقع بـاعتراف مصـر بالصين الشعبية وتكوين رابطة تجمعهما معًا(٤).

وفى آخر جلسات المؤتمر دعا شواين لاى الوفود المشتركة فيه إلى زيارة الصين على نفقة الحكومة الصينية؛ لـيروا أن الصين الشعبية مع أنها دولة علمانية لا صلة لها بالدين، فإنها تحترم العقائد الدينية وتكفل حرية العقيدة، ناكراً وجود الستار الحديدي بالصين ولائماً الغرب بقوله: ".. ولكن بعض الناس ينشرون سحب الدخان بيننا؛ لكي لا يرى بعضنا بعضا.." ولبى عبد الناصر النداء، فأرسل وزير الأوقاف المصرى آنذاك الشيخ أحمد الباقورى لزيارة المسلمين فى الصين بوصفه رجلاً من رجال الإسلام والأزهر(٥).

وبانتهاء مؤتمر باندونج (٦) زاد التقارب المصرى الصينى، وأضحت العلاقة بينهما تقوم على مبادئ باندونج. وكـان لهذا التقارب صدى طيبُ لدى الاتحاد السوفيتى الذى شعر بنجاح حليفته الأولى فى التقرب من الدول العربيـة وخاصـة

---

(١) تخوفت الحكومة الإسرائيلية من قيام جبهة أفروأسيوية ضدها؛ لذا اتصلت تلك الحكومة بعدة دول منها الصين الشعبية راجية منـهم أن يحولوا دون إثارة القضية الفلسطينية فى المؤتمر لكون إسرائيل حُرمت من الاشتراك فى المؤتمر.

وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٤٣٨)، ملف ٤/ ١٤٢/ ٢٥، جـ٣، بشأن (المؤتمر الأفريقى الأسيوى المنعقـد فى باندونج بإندونيسيا)، مذكرة من الأمانة العامة بجامعة الدول العربية (القاهرة) إلى وزارة الخارجية المصرية (القاهرة)، سرى، بتـاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٥٥م.

(٢) مصدر سابق، محفظة (١٤٣٨)، مذكرة من الأمانة العامة بجامعة الدول العربية إلى وزارة الخارجية المصـرية؛ مصـدر سـابق: محفظـة (١٤٣٨)، بشأن (مؤتمر باندونج فى الصحف اليابانية)؛ محى الدين فوزى، إبراهيم عارف كيره، مرجع سابق، ص٢٤؛ جعفر أحمـد كـرار، مرجع سابق، ١٤٦؛ حنان قنديل، "العلاقات المصرية الصينية (القاهرة: مركز الدراسات الأسيوية بجامعة القاهرة، ٢٠٠٠م) ص٢٠٢.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن خطاب كلٍ من عبد الناصر وشو اين لاى. انظر: عبد الرحمن الشرقاوى، باندونج والسلام العالمى؛ محى الـدين فوزى، وإبراهيم عارف كيره، شواين لاى وقفزة الصين للأمام(القاهرة: الدار القومية للطباعـة والنشـر، ١٩٦٤م)؛ الموقـع الالكتـرونى. www.Nasser.org

(٤) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٤٣٨)، ملف ٤/ ١٤٢/ ٢٥، جـ٢، بشأن (المؤتمر الأفريقى الأسيوى المنعقد فى إندونيسية)، من المفوضية المصرية ببلجراد (سكرتير ثان سعد مرتضى) إلى وكيل وزارة الخارجية المصرية، بشأن مؤتمر باندونج فى الصحف اليوجوسلافية، سرى، بتاريخ ٣٠ إبريل من ١٩٥٥؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٤٣٨)، ملـف ٤/ ١٤٢/ ٢٥ بشأن (المؤتمر الأفريقى الأسيوى المنعقد فى إندونيسية)، من السفارة المصرية بلندن (الملحق الصحفى يعقوب عثمـان) إلى وكيـل وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة، بشأن مجمل تعليقات الصحافة البريطانية على ما دار فى المؤتمر الأفريقى الأسيوى المنعقد فى مدينة باندونج بإندونيسيا فى إبريل عام ١٩٥٥، سرى، بتاريخ ٢٨ إبريل ١٩٥٥م؛ الأهرام، ٢١، ٢٤/ ٤/ ١٩٥٥م، ص٢، ص١ علـى التـوالى؛ الأهـرام، ١/ ٥/ ١٩٥٥م، ص٦.

(٥) نعم الباز، الباقورى: ثائر تحت العمامة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ص١١٦.

(٦) عن مؤتمر باندونج وما أسفر من قرارات ونتائج انظر:

مصر، فى حين أثار ذلك قلق الدوائر الغربية وترقبها، خاصة بريطانيا والولايات المتحدة،حيث أدركت الأولى زيادة أهمية الصين الشعبية وتقاربها من دول المؤتمر، فى الوقت الذى اهتمت فيه الأخيرة بالتقرير الذى سيضعه الباقورى نتيجة لزيارته إلى الصين الشعبية، وما يمكن أن يكون له من تأثير على موقف عبد الناصر وبقية الدول العربية(١).

و لم تعترف مصر بالصين الشعبية كما توقع الكثيرون، ولكنها قدمت بعد انتهاء المؤتمر مقترحات؛ لإيجاد روابط اقتصادية وثقافية بين البلدين، و رحبت الصين الشعبية بهذه الخطوة على أساس كونها ستؤدى حتماً لإيجاد روابط أخرى تدعم بينهما أواصر المودة والصداقة(٢).

ومن جهة أخرى واصل شواين لاى وساطته لدى السوفيت؛ لإنجاح صفقة السلاح لمصر(٣)،التى رأى فى نجاحها خدمة جليلة تقدمها الصين الشعبية إلى مصر، ولكونها من ناحية أخرى صفعة قوية للغرب بإدخال النفوذ الشيوعى إلى تلك المنطقة التى يسيطر عليها (٤). وقد رحب السوفيت بالطلب المصرى نظراً للمكاسب العظيمة التى سيجنونها من وراء ذلك. وعلى الفور أرسل شواين لاى برسالة إلى عبد الناصر بعد عودته من باندونج يبلغه موافقة السوفيت واستعدادهم لعقد تلك الصفقة(٥)،وبذلك شاركت الصين فى نجاح تلك الصفقة التاريخية،التى أعلن عنها الرئيس عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٥٥موالمعروفة بصفقة الأسلحة التشيكية(٦).

وبالرغم من التعاون الصينى فى المجالات الاقتصادية والثقافية، فأن الحكومة المصرية كانت فى ذلك الوقت حريصة على الفصل بين مسألة التعاون الاقتصادى والثقافى ومسألة الاعتراف السياسى بالصين الشعبية ومعرفة أن هذا التعاون لا يعنى بالتبعية الاعتراف بالصين الشعبية(٧)،وفى الوقت نفسه نجد أن الصحف المصرية قد اتخذت سياسة جديدة تجاه الصين الشعبية فبعد أن كانت توصف بالصين الشيوعية أصبحت تعرف بالصين الشعبية، وأصبحت أخبارها تشغل اهتمام

محمد أنيس، المؤتمر الأفريقى الأسيوى، ص١١٦ – ١٣٢.

(١) مصدر سابق: محفظة (١٤٣٨)، بشأن (الدوائر البريطانية ومؤتمر باندونج) بتاريخ ١٣/ ٦/ ١٩٥٥م؛ الأهرام، ١٤/ ٥/ ١٩٥٥م، ص٦.

(٢) الأهرام، ٢١/ ٥/ ١٩٥٥م، ص٦.

(٣) Peter Wood Ward, Nasser (London: Longman, 1992), p.45 ؛ محمد الطويل، مرجع سابق، ص٤١٧.

(٤) محمد عبد الوهاب الساكت، محمد السيد سليم: ،"العلاقات العربية الصينية (رؤى مقارنة)"، أوراق آسيوية، مركز الدراسات الأسيوية بجامعة القاهرة، العدد ٢٩ (ديسمبر١٩٩٩م) ، ص٢٦.

(٥) هيكل، عبد الناصر والعالم(بيروت: دار النهار، ١٩٧٢)، ص٧٧.

(٦) بلغ قيمة الصفقة حوالى ٢٠٠ مليون دولار ، وتآلفت من أسلحة دفاعية وهجومية كطائرات قتال روسية وقاذفات قنابل ودبابات، بالإضافة إلى خبراء عسكريين لتدريب الجيش المصرى، وقد اتفق على دفع ثمنها حاصلات زراعية كالقطن ومنتجات أخرى حيث أراد الاتحاد السوفيتى أن يكون شبه اتفاق تجارى حتى لا يشاع عنه فى ميدان الحرب الباردة أنه تشجع التسليح للحرب، وقد تسببت تلك الصفقة إلى تشيكوسلوفاكيا حيث فضلت موسكو ألا تكون هناك مواجهة مع الغرب ورغبتها فى الحفاظ على حالة الانفراج بين القطبين، ومن جانبه أراد عبد الناصر أن يبدو أمام العالم أقل ميلاً لليسار حيث أن إسرائيل كانت تحصل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا أثناء حرب ١٩٤٨م.

Soviet Foreign Policy, op.cit, p.12 ؛ لطيفة سالم، مرجع سابق، ص٧٣؛ محمد الطويل، مرجع سابق، ص٤١٧.

ذكرت بعض المراجع: أن قيمة الاتفاقية ٣٢٠ مليون دولار بشروط سهلة

J. P. DunBabin, The post-Imperial Age, The Great Powers and The Wider World (New York: Longman, 1994), p.277.

(٧) أعدت الإدارة القانونية بوزارة الخارجية المصرية مذكرة بخصوص تلك المسألة تتلخص فى أنه من الممكن إنشاء علاقات مع الصين الشعبية، وأن إنشاء مكتب تجارى مصرى فى الصين الشعبية– لرعاية مصالح التجارة المصرية والعمل على استغلال الأسواق هناك لصالح مصر – ليس فى ذلك ما يفيد الاعتراف ما دامت أن نية الحكومة المصرية لا تنصرف إلى الاعتراف، وليس من اللازم لإنشائه أن تعترف الحكومة المصرية أولاً بحكومة الصين الشعبية، على أنه ليس من الممكن التسليم بإمكان عقد معاهدة تجارية بين البلدين دون أن يكون فى ذلك دلالة كافية على اعتراف الحكومة المصرية بحكومة الصين الشعبية.

وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٣٣٤)، ملف ١٣٠/ ٤/ ١٤١ بشأن (العلاقات التجارية بين مصر والكتلة الشرقية)، مذكرة من مدير الإدارة القانونية إلى السيد وكيل وزارة الخارجية، سرى جداً، بتاريخ ١/ ٤/ ١٩٥٤م .

الصحف المصرية، كما لم يقل اهتمام صحف الصين الشعبية بأخبار مصر، فعندما صدر دستور يناير عام ١٩٥٦م فى مصر، اهتمت الصحف الصينية سواء الكبرى منها أو المحلية بالتعليق والإشادة بخطوات عبد الناصر داخلياً وخارجياً(١).

ولعل هذا المسلك المصرى يرجع إلى عدم استعدادها للاعتراف بالصين الشعبية فى تلك الفترة التى لم ترد فيها زيادة الغضب الغربى ضدها بعد صفقة الأسلحة التشيكية، ولكونها على علاقة رسمية مع الصين الوطنية ذات المقعد الدائم فى مجلس الأمن، ومن جهة أخرى جاء هذا التغيير الإعلامي الإيجابي نحو الصين الشعبية نوع من إظهار الود تجاهها، نتيجة للعلاقات الاقتصادية بينهما، أو ربما لسبب داخلى، وهو تمهيد الشعب المصرى وتهيئته لتقبل الاعتراف بالصين الشعبية.

قرار الاعتراف المصرى مايو عام ١٩٥٦م وأسبابه:-

فى السادس عشر من مايو عام ١٩٥٦م أصدر مجلس الوزراء المصرى قراراً تاريخياً بالاعتراف بالصين الشعبية وسحب الاعتراف(٢) بحكومة الصين الوطنية؛ لتصبح مصر الدولة الثالثة والعشرين المعترفة بالصين الشعبية.

وقد عللت الحكومة المصرية هذا القرار بالأسباب التالية:-

١-إدراك الحكومة المصرية أن حكومة الصين الشعبية الحالية هى الحكومة الشرعية فى الصين، وأنها تمثل بلداً عدد سكانه ٦٠٠ مليون نسمة، أى ربع سكان العالم ،منهم خمسون مليون مسلم، ولا يمكن تجاهلها فهى دولة قائمة لا يمكن إنكارها.

٢-كفاح هذا الشعب لنيل حريته، ومن مبادئه العمل على تحرير الشعوب الأخرى المستعبدة.

٣-اشتراك الصين فى مؤتمر باندونج الذى كان من أهم قراراته تصفية الاحتلال ومنح الشعوب حق تقرير المصير.

٤-اعتراف أكثر من عشرين دولة بها،منها دول غربية؛ كبريطانيا التى تبيع لها مواد إستراتيجية بغير رضا حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية وكذلك إسرائيل ربيبة الأخيرة(٣).

٥-وقوف الصين موقفاً عدائياً ومعارضاً لكل الأحلاف والتكتلات العسكرية،وهى الأهداف نفسها التى تسعى إليها مصر(٤).

ورغم موضوعية الأسباب التى أوردتها الحكومة المصرية بشأن قرارها بالاعتراف بالصين الشعبية،فإنه توجد عدة اسباب كانت وراء قرار الاعتراف لعل أهمها:

١- القلق المصرى من صدور قرار من الأمم المتحدة يحظر تصدير الأسلحة للمنطقة. ففى أثناء زيارة خروشوف للندن وبعد إعلان صفقة الأسلحة التشيكية اقترح إيدن رئيس وزراء بريطانيا حينذاك توقف السوفيت عن تمويل مصر بالأسلحة بعد تنفيذ هذه الصفقة الوحيدة وأن تتعاون الدول الكبرى على تخفيف التوتر بالشرق الأوسط بأن تكون خطوة هذه الدول الأولى هى الاتفاق بينها على تحديد صادرات السلاح للشرق الأوسط، وبدا لعبد الناصر أن السوفيت لا يرفضون الفكرة،وهو ما يؤدى إلى حرمان مصر من مصدر السلاح الذى فتحته أخيراً لنفسها، وترجع البلاد مرة أخرى لاستجداء السلاح من الغرب الذى سيستمر فى تسليح إسرائيل سراً؛ لذا فكر عبد الناصر فى التحايل على مثل هذا الحظر فى حالة تطبيقه، وذلكبأن يأتى بالسلاح السوفيتى عن طريق الصين الشعبية؛ لكونها ليست عضواً فى الأمم المتحدة، وأن

---

(١) روز اليوسف، العدد١٤٤٢، (٣٠ يناير ١٩٥٦م) ص٤.

(٢) يعد هذا الحدث الأول من نوعه فى تاريخ مصر الدبلوماسي وهو سحب اعتراف الحكومة المصرية بقيام دولة، ويعنى السحب فى العرف الدبلوماسى أثراً أقوى من قطع العلاقات الدبلوماسية.

الأهرام، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٥.

(٣) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩)، بشأن (اعتراف مصر بحكومة الصين الشعبية) بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٥٦م؛ حمدى حافظ، ثورة ٢٣ يوليو (الأحداث، الأهداف، الإنجازات) (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥م) ص٤١١.

(٤) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من المفوضية المصرية بصوفيا (القائم بالأعمال محمد على بشأن تعليقات الصحف البلغارية على اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٥٦م؛ محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٨٩- ٩٠؛ محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، ٣٤٦.

الحظر لا يلزمها، أو على الأقل شراء السلاح منها ،خاصة بعدما أعطى شواين لاى وعداً لعبد الناصر باستعداد بلاده لتسليح مصر، ويذكر البعض أن هذا الاعتراف جاء بناء على نصيحة من الاتحاد السوفيتى؛ لتكون الصين الشعبية مصدراً بديلاً للأسلحة(١). وقد وضح ذلك من قرار مجلس الوزراء المصرى الخاص بالاعتراف بالصين الشعبية، حيث اشتمل على إرسال بعثة عسكرية من مصر لزيارة الصين الشعبية، وقد رحب بقدومها شواين لاى أثناء تبليغه نبأ اعتراف مصر بالصين الشعبية؛ لكونها ستزيد من الروابط بين البلدين، كما أن هذا السبب يتماشى مع ما صرح به جمال عبد الناصر بعد اعترافه بالصين الشعبية بأيام قلائل، حيث خطب قائلاً : "إننا أحرار فى أن نحصل على السلاح كيفما نشاء، ومن أية دولة نشاء وبأية كمية نحتاجها، لن نسمح لأية دولة أو أية مجموعة من الدول أن تجتمع وتقرر مصيرنا .. "(٢).

٢- يلاحظ أيضاً أنه منذ إقامة العلاقات الاقتصاديةوفتح المكتب التجارى المصرى ببكين، توالت المحاولات الصينية بمطالبة مصر بالاعتراف بها وتبادل العلاقات الدبلوماسية معها،حيث قال الممثل التجارى المصرى فى بكين فى تقرير مؤرخ بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٥٦م :"... أما من جهة الرسميين الصينيين الذين قابلتهم فى وزارة التجارة الخارجيةأو فى المنظمات التجارية أو فى وزارة الخارجية لا يخلو من الإشارة بصداقة مصر والمصريين .. وأملهم الكبير فى توثيق عُرى الصداقة بين البلدين وكنت أرى وأسمع تلميحات عن سفارة مصر المستقبلية بالصين الشعبية وانتظارهم وشغفهم الشديد لاعتراف مصر بالصين" كما ذكر نائب ممثل مصر التجارى فى تقريره المؤرخ فى ٢٦/ ٣/ ١٩٥٦م بأن نائب مدير إدارة التصدير بوزارة الخارجية تحدث إليه بصراحة فى أمر اعتراف مصر بالصين الشعبية ملمحا إلى محاولات إسرائيل التقرب من الصين وإقامة علاقات معها، وقد أرجعت الوزارة أمر الاعتراف للرئيسعبد الناصر(٣).وأصبحت تلك المسألة القاسم المشترك فى أحاديث مسئولى المكتب التجارى المصرى ورجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ببكين(٤).

٣- تناولت تقارير السفارات المصرية المرسلة للخارجية معلومات تتحدث عن قرب اعتراف بعض الدول العربية بالصين الشعبية، ففى مارس عام ١٩٥٦م وصلت لمصر معلومات من نائب الممثل التجارى لها ببكين أن السودان ستعترف بالصين الشعبية قريبا جداً، وقبل ذلك بشهرين (١٠ يناير) أذاع راديو دلهى أن السودان يعتزم الاعتراف بالصين الشعبية وتبادل التمثيل معها، فكان أساس هذا الخبر برقية أرسلها شواين لاى عقب استقلال السودان لإسماعيل الأزهرى مقدماً التهانى ومقترحاً تبادل التمثيل الدبلوماسى بينهما، فرد الأزهرى على برقيته بالشكر مرحباً بإقامة علاقات بينهما، وقد أبدت مصر قلقها من تلك الأنباء ،خاصة بعدما وضح التقارب السودانى الهندى وقد عرف عن الأخيرة تحمسها الشديد

---

(١) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من وكيل الخارجية الدائم بالقاهرة إلى السيد القائم بأعمال سفارة مصر (جده) بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى للغاية، بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٥٦م؛ محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٨٩ – ٩٠؛ هيكل، ملفات السويس، ص٣٤٦؛ فؤاد المرسى، العلاقات المصرية السوفيتية ١٩٤٣م – ١٩٥٦م (القاهرة: دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٦)، ص١٩١؛ نظام شرابى، مرجع سابق، ص١٣٤؛ جيفرى ارونسون، العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٤٦م – ١٩٥٦م، ترجمة وتعليق: السيد أمين شلبى (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٦م)، ص٢٥١؛ فطين أحمد فريد، العلاقات المصرية الأمريكية من ٢٣ يوليو ١٩٥٢م إلى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣م (القاهرة: مطابع الدار الهندسية، ٢٠٠٠)، جـ١، ص١٥٣؛ Lillian Craij Harris,China Considers The Middle East (London:L.B.Tauris &Coltd, 1993), p.92; M. Sayed – Ahmed, op.cit, p.229; W. Wynn, op.cit, pp.144, 145.

(2)F. O 371/ 11831, From British embassy (Cairo) to Foreign Office, Confidential, May 17, 1956.

(٣) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٠، جـ٢، بشأن (الأحداث السياسية الأخيرة فى الصين) من نائب الممثل التجارى فى بكين إلى السفير وكيل وزارة الخارجية بشأن ما دار من أحاديث بين السيد نائب الممثل التجارى لمصر ببكين وبين بعض رجال السلك السياسى، سرى، بتاريخ ١١ مارس ١٩٥٦م؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة "١٥٨٩"، ملف (٣٧/ ٥٧/ ١٠)، جـ٢، (الأحداث السياسية الأخيرة فى الصين) أى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية بالقاهرة من نائب الممثل التجارى فى بكين بشأن الحديث الذى دار بين Chin-tgn- ching نائب مدير إدارة التصدير بوزارة التجارة الخارجية وبين السيد نائب الممثل التجارى المصرى ببكين، سرى، بتاريخ ٢٦ مارس ١٩٥٦.

(٤) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) بشأن ما دار من أحاديث بين السيد نائب الممثل التجارى لمصر ببكين وبين بعض رجال السلك السياسى، بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٩٥٦م.

للاعتراف بالصين الشعبية، كذلك فأن نقص صادرات السودان من القطن وإقدام الصين بصفتها عميلا جديدا لشراء القطن المصرى كان سببا لمبادرتها إعلان اعترافها بالصين حتى تتمكن من تصريف قدر كبير من أقطانها الواسعة،وهو ما يجعلها منافساً لمصر بل تزيد عليها فى الاعتراف بالصين الشعبية.

كذلك تقدم نحو ستة وثلاثين نائباً يمثلون مختلف الكتل والاتجاهات اقتراحاً إلى مجلس النواب السورى يتضمن النقاط التالية:

أ- أن تعترف سوريا بالصين الشعبية دولةً حرة مستقلة ذات سيادة.

ب- أن تتبادل معها التمثيل الدبلوماسى.

جـ- أن تقيم معها علاقات اقتصادية؛ نظراً للكفاءات الاقتصادية المتنوعة التى تمتاز بها الصين، وقد وعدت الحكومة النواب بعرض الأمر على مجلس الجامعة العربية؛ لأخذ رأى موحد فى الأمر،ونجد أيضا أن البرلمان اللبنانى أوصى حكومته عام ١٩٥٥م بالاعتراف بالصين الشعبية، لكن الحكومة لم تتخذ قرارًا فى هذه التوصية(١).وقد كان ذلك سبباً وحافزاً قوياً على إقدام مصر على تلك الخطوة؛ لأن معنى حدوث هذا يسبب لمصر إحراجا فى موقفها،حيث تربطها علاقات اقتصادية وثقافية مع الصين الشعبية،وهو ما يجعل عدم اعترافها بالصين الشعبية محل تساؤل؛ لذا أرادت مصر الفوز بهذا السبق؛حتى لا تسبقها إحدى الدول العربية،وهو ما يضطرها للاعتراف بالصين خاصة بعدما أصبحت صديقة لها،ولكنه لا يقع الوقع نفسها اذا كانت مصر هى البادئة .

٤- تمثل الاعتراف بالصين الشعبية فى كون مصر جزءا من كيان قومى يمتد بين القارتين الأسيوية والأفريقية، هذا الكيان القومى ليس شعاراً سياسيا؛ بل حقيقة واقعة، لاسيما أن الفترة التالية لمؤتمر باندونج قد شهدت تعاوناً وتضامناً وثيقين بين الحكومات الأفريقية والأسيوية فى مجال العلاقات الدولية (٢).

٥- أرادعبد الناصر بهذا القرار تأكيد استقلاله عن الغرب وتحرره من سلطانه بإلحاق لطمه جديدة على وجه الغرب بعد نجاح صفقة الأسلحة التشيكية(٣)،يضاف إلى ذلك عامل نفسى، فعندما تعامل عبد الناصر مع الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية كان أساس المعاملة الندية؛ بعكس الغرب الذى نظر له باستعلاء(٤).

٦- الصداقة القوية التى جمعت بين كلٍ من عبد الناصر ونهرو الذى كان من أشد المتحمسين للصين الشعبية لاعتراف دول العالم بها، ومن جهة أخرى أراد نهرو أن تقف مصر والدول العربية الأخرى بثبات على سياسة الحياد حتى لا تقف الهند وحيدة أمام الغرب، ففى أحد اللقاءات التى جمعت بين عبد الناصر ونهرو، قال الأخير: "... إن الصين مثل جبال الهيمالايا ولا يسع أحدُُ أن يقول إن الهيمالايا غير موجودة فى آسيا، وإذا تجاهلت وجودها فأنك تتجاهل قبل أى شى حقيقة واقعة، ثم إنك ثانياً – تحرم نفسك – من اكتشاف ما يكمن وراءها .." وبالفعل فقد كان للهند دور كبير فى

---

(١) وثائق وزارة الخارجية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٠، جـ٢، بشأن (الأحداث السياسية الأخيرة فى الصين) من نائب الممثل التجارى لمصر ببكين إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية بشأن اعتراف السودان بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٩٥٦م؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (٣٦٦) ملف ٢٣٠/ ٧/ ١، بشأن (تقارير بكين السياسية) من مكتب مصر التجارى ببكين إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية، بشأن زيارة السيد عبد المجيد رستم عضو البرلمان السورى الذى يزور الصين بدعوة من العلاقات الخارجية، سرى، بتاريخ ٢٦ يونيه ١٩٥٦؛ مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) من السفارة المصرية بدمشق (المكتب الصحفى) بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م؛ الأهرام، ٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٥.

(٢) صلاح الشاهد، ذكرياتى بين عهدين (مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م) ، ص٣٤٧.

(٣) ويلتون واين، جمال عبد الناصر:قصة البحث عن كرامة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٩)، ص٧٣.

(٤) فى حديث لعبد الناصر مع الصنداى تايمز عام ١٩٦٢م. تحدث عن مقابلته السريعة مع إيدن الذى كان يتحدث إليه كمسئول صغير لا يتوقع منه فهم السياسة الدولية. Peter Mansfield, op.cit, p.98.

تقريب العلاقات بين مصر والصين الشعبية، حيث كانت المقابلة بين عبد الناصر وشواين لاى فى رانجون قد اتفق عليها فى نيودلهى،وكانت الدوائر السياسة بالهند متتبعة لسير الخطوات بين البلدين حتى أعلن عن اعتراف مصر بالصين الشعبية(١).

٧- جاء الاعتراف تطورا طبيعيا لما أسفر عنه مؤتمر باندونج من علاقات اقتصادية وثقافية وتبادل للبعثات، ووفقا للمصلحة المصرية وتطبيقاً لمبدأ عبد الناصر الذى يقول فيه: ".. أننا نعادى من يعادينا ونسالم من يسالمنا" والذى أعلنه عقب الاعتراف بالصين الشعبية(٢)، إضافة لكونه اختبارا لسياسة مصر الجديدة نحو الحياد الإيجابى الذى يعنى النظرة المتساوية فى المعاملة مع دول الكتلتين، وكان طبيعيا أن يتمخض الإيمان بالحياد الإيجابى عن هذا الاعتراف.

صدى الاعتراف المصرى بالصين الشعبية فى:

أ- الصحف المصرية:لاقى الاعتراف المصرى بالصين الشعبية تأييداً قوياً من قِبل الصحف المصرية، فوصفت الاعتراف بأنه خطوة تتفق مع الخطوط الأساسية للسياسة الخارجية المصرية ومع قرارات مؤتمر باندونج التى أقرها مصر واستكمالا للعلاقات التى قامت بين الدولتين، وركزت الصحف على الدول الكبرى المعترفة بالصين الشعبية خاصة الغربية، كبريطانيا، بل اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية ضمنياً بها بإجرائها مباحثات معها فى جنيف منددة بعدم اعترافها الصريح بها وبتجاهل الأمم المتحدة لتلك الدولة التى تمثل ثقلا سكانياً وسياسياً فى العالم، كما رأت فى الاعتراف تدعيم الصلات الروحية مع أمة بها خمسون مليون مسلم(١).وقد كان أكثر ما شغل الصحف المصرية فى تلك الفترة هو تأثير هذه الخطوة على مواقف الدول العربية تجاه الصين، وتأثيرها على قبول الصين فى الأمم المتحدة، فرددت لعدة أيام بعد الاعتراف شائعات واعتقادات بأن دولاً عربية ستحذو حذو مصر فى الاعتراف بالصين مثل: سوريا، السودان، لبنان، السعودية (٢).

ب-الصين الشعبية:استقبلت الصين الشعبية القرار المصرى بترحاب وفرح شديدين، فها هى ذى اللحظة قد حانت لها لجنى ثمار جهودها التى زرعتها فى مؤتمر باندونج وطوال العام الذى تلاه. و كان شواين لاى أول من استقبل هذا القرار، فى يوم إعلانه فى القاهرة ورحب به أجمل ترحيب مظهراً الشكر والتقدير من قِبل حكومته وشعبه إلى حكومة مصر وشعبها، مؤكداً أهميته فى توثيق الروابط بين الدول الأفروأسيوية وأثره فى خدمة التقدم والسلام العالمى(٣)،ومن جهة أخرى وفى القاهرة تحدث "لينج سى" رئيس المكتب التجارى للصين الشعبية بها قائلا: "أنه خبرٌ سيقابله الشعب الصينى بكل سعادة، وإنه سيدعم أواصر الصداقة بين البلدين ويساعد على تدعيم السلام العالمى"(٤). وبعد إعلان النبأ فى صباح اليوم التالى توالت التهانى بوسائل الإعلام الصينية على مكتب مصر التجارى ببكين، وخصص راديو بكين فى إذاعته للعالم الخارجى بيانا من وزارة الخارجية خُتم بإبداء الرغبة فى الإسراع فى تبادل التمثيل الدبلوماسى(٥)،وقد رحبت الصحف الصينية الشعبية بالاعتراف المصرى ونشرت مقالات افتتاحية عن مصر بهده المناسبة ، ورأت أنه خطوة فى سبيل زيادة التعاون بين مصر والصين (٦). جـ- الصين الوطنية(تايوان):كانت أول بادرة صدرت عن حكومة الصين الوطنية إثر هذا القرار قطع علاقتها الدبلوماسية مع مصر، و كان هذا القرار مفاجئاً لها رغم ما تظهره لنا الوثائق المصرية من القلق المبكر الذى أبدته حكومة الصين الوطنية من محاولات رئيس الوزراء الهندى (نهرو) التأثير على الموقف المصرى تجاه الصين الشعبية(٧).وقد زاد ذلك القلق إثر مؤتمر باندونج وإقامة علاقات اقتصادية وثقافية بين مصر والصين الشعبية، وحاول سفير الصين الوطنية إفشال هذا التقارب بتحذير المسئولين المصريين من خطر التغلغل الشيوعى فى مصر نتيجة لتلك العلاقات(٨). وقد حملت صحف الصين الوطنية سفيرها فى مصر مسئولية الأمر؛ لغفلته عن معرفة اتجاه الحكومة المصرية،

---

(١) وثائق الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٠، جـ٢، بشأن (الأحداث السياسية الأخيرة فى الصين) من سفارة جمهورية مصر بمدينة دلهى (السفير مصطفى كامل) إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، بشأن ما أُذيع فى الصحف هنا من اعتراف المملكة السعودية بالصين الوطنية ومقابلتى لوكيل وزارة الخارجية لشئون أسيا فى هذا الموضوع، سرى، بتاريخ ١٩ مارس ١٩٥٦م؛ محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٣٨٧؛ الأهرام، ١/ ٥/ ١٩٥٥م، ص٦. .

(٢) حسن صبحى، ، اليقظة القومية الكبرى يوليو ١٩٥٢، أصولها وأبرز مظاهرها وإنجازاتها (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م)، ص١٤٠؛ الأهرام، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٣.

مظهرة أن اعتراف مصر جاء كالقنبلة على حكومة تايوان، فى الوقت الذى أوضح فيه وزير خارجية الصين الوطنية (جورج بيه) فى البرلمانعدم دهشة حكومته من القرار المصرى متوقعا أن تحذو دول عربية أخرى حذو مصر، موضحاً أنّ الاعتراف جاء نتيجة لفشل دبلوماسية حكومة تايبية(٩). وفى محاولة لإصلاح ما يمكن إصلاحه عملت الصين الوطنية على حث الدول العربية بعدم الاعتراف بالصين الشعبية، والضغط عليها من قِبل الدول الغربية ،خاصة الولايات المتحدة الأمريكية؛ لمنعها من إتباع المثال المصرى(١٠). ء- بقية دول العالم:قوبل القرار المصرى بالاعتراف بالصين الشعبية بصدى عالمى واسع وردود أفعال متباينة تراوحت مابين التأييد والرفض له،وأهم هذه الردود ظهر بوضوح فى الدول الاتية:-

١- الولايات المتحدة الأمريكية: تبوأت مسألة الاعتراف بالصين الشعبية مركز الصدارة بين المسائل التى احتضنتها الولايات المتحدة الأمريكية فى حماس ظاهر وغيره لا تعادلها إلا الغيرة على المسائل الأمريكية، فكانت الصين الشعبية تمثل لها عدواً يجب القضاء عليه وحصاره بجميع الوسائل مع حرمانه من كل تمثيل دولى(١١)؛ لذا فقد رأت الولايات المتحدة أن القرار المصرى عمل لا يغتفر لدولة اعتقدت أنها دولة شبه مستقلة تقع ضمن النفوذ الغربى وتأكيد لتحالف مصر مع

---

(١) الأهرام، ١٧، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٧، ص١ على التوالى

(٢) مصدر سابق، محفظة (١٥٨٩) من المفوضية المصرية ببودابست، بشأن (اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية، بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٥٦م؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من (إبراهيم محمود) القائم بالأعمال بالنيابة (سفارة مصر بجدة) إلى السفير وكيل وزارة الخارجية المصرية الدائم (القاهرة)، د. ع، سرى، بتاريخ ١٦ يونيو ١٩٥٦؛ الأهرام، ١٩/ ٥/ ١٩٥٦م، ص١.

(٣) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣ بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من الممثل التجارى المصرى ببكين إلى السفير الوكيل الدائم لوزارة الخارجية، بشأن اعتراف مصر بحكومة الصين الشعبية، سرى، بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٤) الأهرام، ١٩/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦.

(٥) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣ بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية)، من الممثل التجارى المصرى ببكين إلى السفير الوكيل الدائم لوزارة الخارجية بشأن صدى اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى، تاريخ ١٨ مايو ١٩٥٦م.

(٦) نقلاً عن الأهرام، ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٧.

(٧) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) من المفوضية المصرية بمدينة بودابست بشأن اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية، بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٥٦م؛ وثائق الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٣/ ٥٧/ ٢٠ جـ٢ بشأن (الأحداث السياسية الأخيرة فى الصين)، تقرير القائم بأعمال وفد الصين الوطنية الدائم المفوض لدى الأمم المتحدة بشأن اعتراف مصر والدول العربية بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ٢٠/ ٧/ ١٩٥٣م.

(٨) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٣٣٤)، ملف ١٣٠/ ٤/ ٥٧ بشأن (مذكرة عن مقابلة سفير الصين الوطنية).

To: His Excellency Monsieur Hassan Ismail Assistant Under – Secretary of State, for Economic Affairs, Ministry of foreign Affairs. From: His Excellency Dr Feng – Shan Ho, Ambassador of the Rebublic of China. Subject: Conversation on March 1, 1956, with reference to the illegal actives of the Chinese Communist Trade Mission in Egypt, Confidential, March 2, 1956.

(٩) نقلاً عن الأهرام، ٢٣/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦.

(١٠) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) بشأن تعليقات الصحف البلغارية على اعتراف مصر بالصين الشعبية، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٥٦؛ نقلاً عن الأهرام، ٢٢/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦.

(١١) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩)، تقرير القائم بأعمال وفد مصر الدائم لدى الأمم المتحدة بالنيابة بشأن مقابلته للمستر كيانج، فى ١٩٥٣/٧/٢٠

معسكر العدو(١). وبينما كانت السفارة الأمريكية فى القاهرة ملتزمة الصمت(٢) مظهره عدم اهتمامها بالأمر كان رد رد فعل الإدارة الأمريكية عنيفا، خاصة من جانب وزير خارجيتها (دالاس) الذى عُرف عنه العداء الشديد للشيوعية وكذلك لسياسة عبد الناصر الحيادية ،فاستدعى السفير المصرى بواشنطن أحمد حسين ووضح له ما تبذله الإدارة الأمريكية من جهود، لتحسين العلاقات بينهما رغم الضغوط القوية عليها من قِبل المؤيدين لإسرائيل لدعمها ضد مصر، فكانت النتيجة انقلاب مصر على أمريكا لتعترف بالصين الشعبية جاعلة بهذا الوضع صعوبة شديدة فى تكوين علاقات جيدة بين البلدين، وتساءل دالاس هل يريد عبد الناصر حقاً إجبار الولايات المتحدة على دعم إسرائيل(٣)؟،وأعلنت الخارجية الأمريكية بعد يوم واحد من اعتراف مصر بالصين الشعبية إعادة النظر فى العلاقات المصرية الأمريكية(٤)،وفى الثانى والعشرين من مايو أصدر دالاس بياناً أعلن فيه "أن واشنطن كانت متعاطفة مع أعمال عبد الناصر؛ لتقوية استقلال بلاده، لكنه يتخذ إجراءات يبدو فيها ترويج لمصالح الاتحاد السوفيتى والصين وأنه مضطر أن يعبر عن أسفه العميق لاعتراف الحكومة المصرية بالحكومة غير الشرعية فى بكين، وأن الولايات المتحدة تعد هذا الاعتراف عملا غير ودى تجاهها"(٥)، كما صرح الرئيس الامريكىايزنهاور بأن من رأيه أن مصر أخطأت باعترافها بالصين الشعبية ،إلا أنه استدرك قائلاً: إن ما حدث لا يؤدى إلى القضاء على الصداقة بين أمريكا ومصر مشبها الموقف بأنه "خلاف بين أفراد أسرة واحدة ولكنه لا يؤدى إلى انفصال أفراد تلك الأسرة الواحدة" (٦).ومن جهة أخرى تخوف الأمريكيون من أن يتبع هذا الاعتراف عقد مصر لصفقات أسلحة مع الصين الشعبية(٧)، وبالفعل فقد انتشرت شائعات تحققت الخارجية الأمريكية منها بأن مصر فى طريقها للحصول على كمية جديدة من الأسلحة السوفيتية عن طريق الصين الشعبية، وهو ما يعنى إدخال عنصر خطر جديد على الموقف فى الشرق الأوسط ونسفاً للجهود الأمريكية بوضع حد لسباق التسلح فى المنطقة وتهدئة الحالة بين العرب وإسرائيل(٨)؛. لذا عملت الولايات المتحدة من خلال لقاءات مسئوليها مع المسئولين المصريين على لفت انتباه مصر فى أن تكون حذره فى التعامل مع الدول الشيوعية؛ لأنهم لا يمكن الاعتماد أو الركون إليهم(٩)، ونتيجة للقلق الأمريكي من تأثير القرار المصرى على الدول العربية للاعتراف بالصين الشعبية، عملت الولايات المتحدة الأمريكية ومن

---

(١) محمد إبراهيم فضة، سياسة الصين الخارجية والعالم الثالث، (عمان: مطابع وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، ١٩٨٠)، ص١٠٦؛ جيفرى أرنسون، العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٤٦م – ١٩٥٦م، ترجمة وتعليق السيد أمين شلبى (القاهرة: مكتبة مدبولى،١٩٩٦م)، ص٢٥١.

(٢) يرجع البعض عدم اهتمام السفارة الأمريكية بالقرار لاحتمال علمها المسبق بهذه الإجراءات. راجع: فطين أحمد فريد على، العلاقات المصرية الأمريكية، ص١٥٤.

(٣) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ٣١، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من السفير العراقى بالقاهرة إلى وزارة الخارجية العراقية، بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى للغاية، بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٩٥٦م؛
Donald Neff, op.cit, p.253.

(٤) جيفرى آرونسون، مرجع سابق، ص٢٥١.

(٥) محمد حسنين هيكل، ملفات السويس، ص٤٤٤؛ ممدوح محمود منصور، الصراع الأمريكى – السوفيتى فى الشرق الأوسط (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩٥م)، ص١٧٥؛ Donald Neff, Warriors At Suez (New York: The Unden press (Simon & Schuster, 1981), p.77. p.253؛ الأهرام، ٢٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٧.

(٦) الأهرام، ٢٤/ ٥/ ١٩٥٦م، ص١.

(٧) اعتقد دالاس أن أحد أسباب اعتراف قادة مصر بالصين الشعبية عدم شعورهم بالثقة فى حصولهم على ما يريدونه من أسلحة بشكل غير محدود من الروس مضيفاً أنه مجرد تخمين..Donald Neff, op.cit, p.253.

(٨) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) من الوزير المفوض ديمترى رزق إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم، بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م؛ صلاح الشاهد، مرجع سابق، ص٣٤٧؛ الأهرام ١٩/ ٥/ ٥٦ ، ص١.

(٩) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١١٨٣)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من السكرتير الأول لسفارة مصر بدمشق (أمين حلمى) إلى السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم مذكرة عن مقابلة السكرتير الأول بالسفارة مع مستر فرنون كاش الملحق المتولى لأعمال السياسة بالسفارة الأمريكية بدمشق، سرى ، بتاريخ ٢٦/ ٥/ ١٩٥٦م.

ورائها الدول الغربية على إثارة العرب ضد القرار المصرى؛ لاستنكار موقفها وعدم أخذ رأيها قبل الاعتراف، بالإضافة إلى الآثار السيئة التى تترتب على اعتراف مصر بالصين الشعبية لكون الاخيرة دولة ذات عقيدة شيوعية تعمل على نشرها(١)،فى حين نادى أعضاء الكونجرس الأمريكى باتخاذ إجراءات من شأنها منع باقى الدول الأسيوية والأفريقية من اتخاذ الخطوة نفسها ملمحين لشك دالاس فى أن ترى الولايات المتحدة الأمريكية أنه من العملى أن تستغل أموالها فى بناء السد العالى(٢).

٢-بريطانيا: رغم اعترافها بحكومة بكين (٦/ ١/ ١٩٥٠م) فأنها لم تنظر لقرار مصر بعين الارتياح(٣)، وربما يرجع ذلك ذلك إلى إدراك بريطانيا لحساسية هذه المسألة بالنسبة للولايات المتحدة، فرأى المسئولون البريطانيون أنهم ليس لديهم أدنى اعتراض على اعتراف مصر بالصين الشعبية؛ لكونها هى نفسها معترفة بها، ولكن هذا الاعتراف سيكون له وقع شديد لدى الأمريكيين الذين يعدون كل ما يمس الصين من الأمور الحساسة للغاية، فقد رأوا أن اعتراف دولة كمصر غير ذى أهمية لولا الموقف الأمريكى الذى جعل الاعتراف بحكومة الصين الشعبية حدثا دولياً(٤)،ومن ناحية أخرى أبدت بريطانيا قلقها قلقها من تغلغل الشيوعيين داخل مصر مظهرة أنه رغم اعترافها بحكومة الصين الشعبية فأن فهم الشعب البريطانى ومتانة نظامه الاجتماعى يجعلانه بمنأى عن الشيوعية بعكس الحال فى مصر(٥).

٣- فرنسا: لم يكن القرار المصرى مفاجئاً للدوائر السياسية الفرنسية، فقد توقعت فرنسا هذه الخطوة، لكنها لم تتصور أن يتم ذلك بتلك السرعة، وقد أوضح المسئولون الفرنسيون من خلال لقاءاتهم برجال السفارة المصرية بباريس أن لمصر مطلق الحرية فى اختيار الوقت الذى يناسبها، لكنهم فى الوقت نفسه لم يخفوا تخوفهم من أن يكون الاعتراف راجعاً لميل الحكومة المصرية للمبادئ الشيوعية، وهو ما نفاه مسئولو السفارة فى هذه اللقاءات(٦).

٤-الاتحاد السوفيتى: رحب الاتحاد السوفيتى ترحيبا عظيما بالخطوة المصرية، ففى القاهرة اجتمع السفير السوفيتى (يوجين كسيليف) مع عبدالناصر بعد يومين من قرار الاعتراف، ووصفه عقب انتهاء لقائه بأنه قرار تاريخى يعمل على تدعيم السلم العالمى وتوطيد الصلات بين البلدين، وفى موسكو ركزت وسائل الإعلام على موقف الغرب من هذا الاعتراف،

---

(١) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من الوزير المفوض ديمترى رزق (براج) إلى السيد وكيل وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، بشأن الاعتراف بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية، من القائم بالأعمال بالنيابة بسفارة مصر بجدة (إبراهيم محمود) إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، بشأن مقابلة السيد القائم بالأعمال بالنيابة جلالة الملك سعود، سرى للغاية، فى١٣/ ٦/ ١٩٥٦م؛ فؤاد المرسى، مرجع سابق، ص١٩٢؛ الأهرام،١٨/٥/١٩٥٦م، ص١.

(٢) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩)، بشأن تعليقات الصحف البلغارية على اعتراف مصر بالصين الشعبية، بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٥٦م؛ F. O 371/ 118863, From Foreign Office Cairo, Confidential, June 7, 1956; ؛ أحمد فطين، العلاقات المصرية الأمريكية، ص١٥٤.

(٣) محمد عبد الوهاب الساكت، إجراءات القسر فى السياسة الدولية وتطبيقها على الصين الشعبية (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م)، ص٤٢٢؛ الأهرام، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص١.

(٤) مصدر سابق: محفظة (١٤٣٨)، بشأن مجمل تعليقات الصحافة البريطانية على ما دار فى المؤتمر الأفريقى ...، بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٥٥م؛ وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من سفارة مصر بلندن (السفير سامى أبو الفتوح) إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ١٨ مايو ١٩٥٦م.

(٥) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من السفارة المصرية وارسو (السفير اميرالاى حسين شريف) إلى السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، بشأن تقرير سياسى عن الاعتراف بالصين الشعبية، سرى، بتاريخ ٢١ مايو ١٩٥٦.

(٦) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) تقرير من السكرتير الأول بالسفارة المصرية بباريس (عثمان أرناؤوط) إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم عن صدى اعتراف مصر بحكومة الصين الشعبية فى الأوساط الرسمية، سرى جداً، بتاريخ ١٩/ ٥/ ١٩٥٦م.

وما يمارسونه من وسائل ضغط بعدم تقديم المعونة لمصر،وهو ما يــثير امتعــاض العــرب لســوء التصــرف الإنجلــو أمريكى(١).وقال راديو موسكو فى تعقيبه:إن الاعتراف سيساعد على تخفيف حدة التوتر الدولى وإقرار السلام العــالمى، كما يعد دليلا على وحدة الكتلة الأفروأسيوية وقوتها، وإن القرار يتفق ومصالح مصر القومية التى تقضى بزيادة التبــادل التجارى مع الصين ودليلا على مركز مصر الدولى المهم(٢)ولم تختلف مواقف باقى دول الكتلة الشرقية كبولندا ،والمجــر ،وبلغاريا ،وتشيكوسلوفاكيا مع موقف الاتحاد السوفيتى فى اشادتها بالقرار المصرى.

مواقف الدول العربية: فى اجتماع مجلس الوزراء المصرى الذى أقرت فيه مصر اعترافها بالصين الشعبية، وافق المجلس على أن يحمل وزير الخارجية المصرى (محمود فوزى) كل هذه الحقائق لمؤتمر وزراء الخارجية العرب فى دمشق، وأن يطلب من الدول العربية الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية(٣)،كما ارسلت مصر مذكرات للدول العربية تشرح فيها أسباب إقدامها على الاعتراف ولترد على محاولات الغرب لإثارةالعرب ضد مصر لعدم أخذ رأيهم فى هذا الشأن. وبررت مصر ســرية الأمر؛ لاستبعاد أى ضغط دولى عليها محتمل(٤). وفى ذلك الوقت كانت كلتا الكتلتين الغربية والشرقية تترقب ما سيتبع اعتراف مصر بالصين الشعبية من آثار على مواقف الدول العربية الأخرى.

أ- سوريــا:أثار قرار مصر بالاعتراف بالصين الشعبية ضجة كبيرة على المستوى الرسمى والشعبى، فمن الناحية الرسميــة ورغم تصريح رئيس وزراء سوريا ووزير الخارجية (سعيد غزى) بأن لمصر مطلق الحرية فى الاعتراف بدولة يبلــغ عــدد سكانها ٦٠٠ مليون نسمة، وتسير فى سياسة تنسجم مع السياسة التحررية التى تتبعها مصر والدول العربية، فأن الحكومة السورية شعرت بالإحراج الشديد لانفراد مصر بهذا القرار وعدم إخطارها مسبقاً حتى تتخذ الحكومتان موقفاً موحداً فى الوقت نفسه ، وفى محاولة لتدارك هذا الموقف اقترح أحد المسئولين السوريين أن تصدر الحكومة السورية بيانا توضح فيــه أن إبرام سوريا لاتفاقية تجارية مع الصين الشعبية بمنزلة اعتراف رسمى بها، خاصة أن سوريا لم تتبادل أى نوع من التمثيــل مع حكومة الصين الوطنية، ولكن تم التراجع عن هذا الاقتراح(٥). وفى الوقت نفسه طالب بعض الــوزراء الســوريين بوجوب اعتراف سوريا بالصين الشعبية، ولكن رئيس الوزراء السورى رأى التريث فى الأمر؛ لعدم إثارة الغــرب إثــارة تدفعه لاتخاذ إجراءات عدائية ضد سوريا، وفى الحقيقة كان السبب الأقوى لهذا التريث هو عدم ظهور سوريا بمظهر التابع لمصر فى سياستها الخارجية، كذلك دعت بعض الأوساط السياسية لعقد البرلمان لجلسة استثنائية لإثارة الموضوع به، خاصة وقد سبق أن تقدم ستة وثلاثون نائباً باقتراح للاعتراف بالصين الشعبية(٦).أما على المستوى الشعبى، فقد رأت الصحف السورية أن فكرة الاعتراف نبعت من سوريا أولاً، ومع ذلك لم تنفذها الحكومة السورية، فى حين أقدمت مصر على هذه الخطوة الجريئة الموفقة موضحة ما قاله شواين لاى فى خطابه بباندونج: "إن الصين الشعبية تؤيد العرب فى كفاحهم ضــد الاستعمار، وتؤيد حقهم فى استرداد فلسطين" وكان الجواب الطبيعى لهذا الكلام أن تعترف الدول العربية المتحررة بالصين

---

(١) نقلاً عن: الأهرام، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦من ص١؛ نقلاً عن: الأهرام، ٢٣/ ٨/ ١٩٥٦من ص٨.

(٢) نقلاً عن: الأهرام، ١٨/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٥.

(٣) روز اليوسف، العدد (١٤٥٨) ، (٢١/ ٥/ ١٩٥٦م)، ص٦.

(٤) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر الصين الشــعبية) مــن القائم بالأعمال بالنيابة (إبراهيم محمود) سفارة مصر بجدة، إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم (القاهرة) تقرير عن مقابلــة جلالــة الملك سعود بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية، سرى للغاية، بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٥) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشــعبية) مــن السفارة المصرية بدمشق من السفير (محمود رياض) إلى السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم، بشأن اعتراف سوريا بحكومة الصــين الشــعبية، سرى، بتاريخ ٢٣/٥/ ١٩٥٦م.

(٦) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩)، بشأن اعتراف سوريا بحكومة الصين الشعبية، بتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٥٦م.

الشعبية(١)، مناشدة الحكومة السورية الاعتراف بها أسوة بمصر ومهاجمة تردد مجلس الوزراء السوري فى اتخاذ تلك الخطوة(٢)،وقد سار الرأي العام السورى فى جانب المؤيدين للقرار المصرى مشكلا ضغطاً قوياً لحث حكومته على الاعتراف بالصين الشعبية وتأييد حقها فى الأمم المتحدة(٣). **ب–العراق:** لم تقابل الحكومة العراقية القرار بالارتياح ؛ نظرا لارتباطها الوثيق بالعالم الغربى ممثلاُ فى حلف بغداد، وصرحت حكومة العراق أنها لا تنوى الاعتراف بحكومة الصين الشعبية ناظرة الى قرار مصر أنه يخصها وحدها(٤).وقد انتهزت العراق القرار المصرى لتظهر للغرب أنها الدولة العربية الوحيدة التى تؤازر الغرب، وتكافح التغلغل الشيوعى فى منطقة الشرق الأوسط(٥).وقد انعكست وجهة النظر الحكومية على الصحف العراقية التى ركزت على انفراد مصر بهذا القرار خارج إطار جامعة الدول العربية، وهو ما يترتب عليه عدم توحيد موقف العرب تجاه هذه القضية برغم الدعوات المتكررة للوحدة وتنسيق السياسة، متمنية أن يكون الاعتراف خدمة لمصالح العرب القومية لا على أساس مشاكسة أو عاطفة(٦)،أما على الصعيد الشعبى فقد استقبل شعب العراق القرار بالتأييد وعده معبراً عن الاستقلال والتحرر بعكس حكومته التى يقيدها النفوذ الغربى، فوصف نقيب المحامين العراق حسين جميل القرار بأنه خطوة طبيعية اتخذت فى الوقت المناسب ولمصلحة العرب منتقداً الاعتراف بحكومة تعمل تحت حماية الولايات المتحدة فى إشارة للصين الوطنية (٧). **جـ – السودان**:رحبت الحكومة بالخطوة المصرية وصدرت تصريحات تصريحات تعلن أن الحكومة السودانية تدرس مسألة الاعتراف بالصين الشعبية ورهنتها بدخول السودان الأمم المتحدة(٨)، المتحدة(٨)، أما على الصعيد الإعلامي فقد أشادت الصحف السودانية بتلك الخطوة واصفه عبد الناصر بالواقعية والشجاعة، فى الوقت الذى مازالت دول أكثر عراقة تتردد فى الاعتراف بالأمر الواقع خوفا من الولايات المتحدة، فى حين وصفت جريدة صوت السودان القراربأنه ضربة موجهة لحلف الأطنلطى المحتضن لإسرائيل على حساب العرب، واصفة الخطوة المصرية بأنها مستوحاة من واقع مصالح مصر والعرب غير متأثرة بعوامل أخرى(٩). **د–السعودية**:عكف الملك سعود بعد قرار مصر على الاجتماع بمستشاريه للتشاور فى الأمر والاتفاق على السياسة الواجب اتباعها فى هذا الصدد، وبعد اجتماعه بأحد مسئولى السفارة المصرية بجدة أعلن الملك سعود اقتناعه بالأسباب التى حملت مصر على الاعتراف بالصين الشعبية وتأييد هذه الخطوة، ولكنه برر عدم استطاعته الإقدام على الاعتراف بالصين الشعبية نظراً للمؤامرات الإنجليزية ضده داخل بلاده وإحاطتهم به من كل جانب – قطر ، عدن – ولا يقف معه ضدهم إلا أمريكا، وأنه فى حالة

---

(١) مصدر سابق: محفظة (١٨٥٩)، المكتب الصحفى بالسفارة المصرية بدمشق بشأن صدى اعتراف مصر بالصين الشعبية بتاريخ ١٩٥٦/٥/١٨م.

(٢) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٨٥٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من القنصل المصرى العام بمدينة حلب إلى السفير المصرى فى دمشق، بشأن صدى اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية، سرى، بتاريخ ١٩٥٦/٥/٣١م.

(٣) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٨٥٩)، ملف ٢٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) القنصلية العامة لجمهورية مصر بمدينة حلب بشأن تأييد الحزب الوطنى فى سوريا للاعتراف بالصين الشعبية، سرى جداً وعاجل، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٤) وثائق الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٨٥٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من السفير إسماعيل قطامش (بغداد) إلى وكيل وزارة الخارجية الدائم بالقاهرة، د.ع، سرى جداً، بتاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٥) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد، محفظة (١٥٨٩)، ملف ٥٧/ ٣٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من مدير إدارة غرب أوربا للشئون السياسية بالخارجية المصرية إلى مدير مكتب مجلس الوزراء للشئون السياسية بشأن زيارة الملك فيصل لمدريد، سرى جداً، بتاريخ ٣٠/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٦) مصدر سابق: محفظة (١٥٨٩) بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية، سفارة مصر ببغداد، بتاريخ ١٩٥٦/٥/١٩م.

(٧) الأهرام، ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦.

(٨) الأهرام، ٢٢، ٣١/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦، ص٦ على التوالي.

(٩) نقلاً عن: الأهرام، ٢١/ ٥/ ١٩٥٦م، ص٦.

اعترافه بالصين سيخسر القوة الوحيدة التى تؤيده ضد الإنجليز وتسانده سياسيا وعسكريا، ومن الممكن أن يقف الاثنـان ضده، وفى النهاية أوضح الملك أن إبقاءه على علاقات جيده مع الولايات المتحدة الأمريكية سيضمن الإمدادات العسكرية منها فى حال تقصير المعسكر الشرقى والعكس صحيح، وهو ما يعنى خدمة العرب فى النهاية(١).

أهم نتائج الاعتراف المصرى بالصين الشعبية:حمل الاعتراف المصرى بالصين الشعبية العديد من النتائج كان أهمها.

أولاً: أن القرار شكل هزيمة أخرى للدبلوماسية الغربية، خاصة الأمريكية، فقد اتخذه دالاس برهانا على الاتجاه المعـادى للغرب فى سياسات عبد الناصر، وكان أحد الأسباب التى سحبت من أجلها الولايات المتحدة عرض تمويل السد العـالى، ومن جهة أخرى سمح دالاس للفرنسيين بتزويد إسرائيل بالمزيد من الأسلحة من طائرات (المستير) المتطورة بزعم الحفـاظ على توازن السلاح فى الشرق الأوسط، وتنفيذاً للبيان الثلاثى عام١٩٥٠م، وقد رد عبد الناصر على ذلك بأن طلب مـن السوفيت تزويده بطائرات (ميج ١٧) بدلا من (ميج ١٥س) والتى كانت تؤلف العمود الفقرى لصفقة السلاح(٢).**ثانياً**: أن الاعتراف قوض المحاولات الغربية لكبح تأثير المعسكر الشيوعى فى المنطقة ،فباعتراف عبد الناصر بالصين الشيوعية تجاوز محور القاهرة – موسكو حلف بغداد عملياً ،وجعل الاتحاد السوفيتى و معسـكره موضـع قـدم فى منطقـة الشـرق الأوسط(٣).**ثالثاً**: أن القرار قد شكل تحولا فى سياسة الجامعة العربية الخاصة بمسألة الاعتراف بالصين الشعبية، فبعـد أن كان هناك قرار موحد من الجامعة بخصوص تلك المسألة، قررت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ترك الحرية لكل بلد عربى فى انتهاج السياسة التى يراها بخصوص هذه المسألة(٤).**رابعاً**: أن الاعتراف المصرى بالصين الشعبية فتح الطريق أمام العديد من الدول العربية؛ للتقدم للأمام لتطوير علاقاتها مع الصين، فبعد شهرين من الاعتراف المصرى أعلنت كـل مـن سوريا، اليمن فى يوليو وأغسطس عام ١٩٥٦م على التوالى اعترافهما بالصين الشعبية، وإقامة علاقات دبلوماسية معهـا، والملاحظ أن قرار الدولتين اتخذ بعد مشاورات مسئولين لهما فى القاهرة(٥) ، كما كان القرار المصرى فاتحة الطريق أمام الصين لأفريقيا، فحتى عام ١٩٥٥م لم تكن الصين ممثلة دبلوماسيا فى أية دولة أفريقية، حيث كانت الصين الوطنية تستأثر بهذا التمثيل فكان اعتراف دول عربية وأفريقية بالصين الشعبية سببا أدي لكسر الحصار الغربى الذى فرضه على الصـين الشعبية(٦)..**خامساً**: أن الاعتراف المصرى بالصين الشعبية وتبادل التمثيلالدبلوماسى معها جاء ضربة قاضية للمشـروع الذى عملت إسرائيل على تنفيذه، وهو إقامة سفارة لها فى بكين واسـتغلال تلـك السـفارة للدعايـة ضـد مصـر والعرب(٧).**سادساً**: أن إقامة علاقات دبلوماسية ناجحة مع مصر حينذاك يعنى للصين إقامة علاقات مع أهم الدول المؤثرة

---

(١) مصدر سابق: محفظة (١٨٥٩)، من القائم بالأعمال بالنيابة إبراهيم محمود تقرير عن مقابلته جلالة الملك سعود بشأن اعتـراف مصـر بالصين الشعبية إلى السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم بجده ، سرى جدًا، بتاريخ ٢٥/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٢) محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص٩١؛ فؤاد المرسى، المرجع السابق، ص١٩١؛ عبد العظيم عرفه، العلاقات العربية السـوفيتية: دراسة حالة عن السياسة السوفيتية تجاه العراق ١٩٥٨م–١٩٦٨م (رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلـوم السياسـية، جامعـة القـاهرة، ١٩٨٣م)، ص٩٥؛

Keith Wheelock, Nasser New Egypt: A Critical Analysis (London: Stevens & Sons United, 1966), p.19.

(3)M. Sayed- Ahmed ,op.cit, p. ; R. E. Powaski, op.cit, p.118.

(٤) مصدر سابق: محفظة (١٨٥٩)، بشأن تعليقات الصحف البلغارية على اعتراف مصر بالصين الشعبية، صوفيا، بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٥) جعفر كرار أحمد، العلاقات المصرية الصينية الواقع والمستقبل ، السياسة الدولية العدد ١٣٢ ، (إبريل ١٩٩٨م).، ص١٤٦؛ الأهرام، ٣/ ٧/ ١٩٥٦م، ص٦؛ الأهرام، ٢٢/ ٨/ ١٩٥٦م، ص٦.

(٦) الأهرام الاقتصادى، العدد ١٨٦ (١٥/ ٥ /١٩٦٣م) ص٢٧؛ محمد نعمان جلال "ثورة الصين وثورة ٢٣ يوليو فى مصر" الصين اليوم، العدد العاشر (أول أكتوبر ٢٠٠٢م)، ص٢٦.

(٧) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٣٧٨) ملف ١٠٢/ ٣٩/ ٢٤، بشأن (أراء بعثات التمثيل المصرى فى السياسة المصرية الخارجية) بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٥٧م.

المؤثرة فى العالمين العربى والأفريقي، فمنذ بداية الخمسينات كانت الصين تسعى لإقامة علاقات مع الحركات والمنظمات الثورية فى أفريقيا والشرق الأوسط، وكانت مصر وقتئذ زاخرة بمكاتب لعدد كبير من حركات التحرير الوطنى العربية والأفريقية، وهو ما أتاح للصين فرصة لإقامة علاقات مع هذه الحركات، وبالفعل فقد أصبحت السفارة الصينية بالقاهرة مركز بكين الثورى الأكثر نشاطا لخدمة قضايا التحرر الوطنى وحركاتها فى العالمين العربى والأفريقى . (١).تاسعاً: واجهت بعض البعثات الدبلوماسية المصرية بالخارج مشكلة التعامل مع بعثات الصين الوطنية فى الدول المعترفة بالأخيرة، فتوالت رسائل هذه البعثات لوزارة الخارجية لمعرفة كيفية التعامل مع بعثات الصين الوطنية، وقد رُد عليها بعدم إقامة أية علاقة رسمية مع هذه البعثات، والملاحظ أن المشكلة نفسها واجهت بعض البعثات الدبلوماسية المصرية الموجودة لدى دول كانت حكوماتها معترفة بالصين الشعبية وقت عدم اعتراف مصر بها(٢). عاشراً: زاد القرار المصرى من شعبية عبد الناصر فى المنطقة العربية، فقد جاء اعترافه بالصين الشعبية فى وقت كانت الدولة تعيش فى شبه عزلة، دفعتها إليها الولايات المتحدة، و لم تستطع دولة كبرى أو صغرى اختراقها بعد حرب كوريا، فكانت مصر أول دولة تعترف بالصين الشعبية بعد هذه الحرب(٣).وقبل نهاية شهر مايو عام ١٩٥٦م كان البلدان قد أعلنا تبادل التمثيل الدبلوماسى بينهما، وذلك فى الثلاثين من مايو عام ١٩٥٦م، وحدث هذا من خلال إعلان مشترك أذيع فى القاهرة وبكين فى وقت واحد كان نصه: "تحقيقا للرغبة المشتركة بين حكومتى جمهوريتى مصر والصين الشعبية، قد تقرر إنشاء علاقات دبلوماسية وتبادل التمثيل الدبلوماسى بينهما بإيفاد مندوب بدرجة سفير لدى كل منهما"(٤).جاء الاعتراف المصرى بالصين الشعبية فى وقت كانت فيه الصين إلى حد ما فى شبه عزلة دولية، فكان القرار المصرى بمنزلة طوق نجاه لهذه الدولة، ولا مغالاة فى ذلك إذا أدركنا أن مصر كانت أول دولة فى الشرق الأوسط وأفريقيا تقيم علاقات رسمية مع الصين الشعبية(٥)، متحدية فى ذلك الوقت السياسة الأمريكية الرامية لعزل الصين والقضاء على نظامها الشيوعى، ففتحت مصر للصين بذلك باباً واسعاً للتعامل مع دول هاتين المنطقتين، لم يكن هذا القراروليد عاطفة أو مشاغبة سياسية كما يذكر البعض، كما لم تكن سياسة الحياد الإيجابي هى المحرك الأساسي لإقدام مصر على تلك الخطوة، بل جاء هذا القرار وفقا للمصالح المصرية أولاً سواء السياسية أو الاقتصادية أوالعسكرية، فكان إنشاء علاقات دبلوماسية كاملة مع الصين حينذاك يعنى لمصر كسبا لدولة ذات ثقل فى منطقتها، وسندا قويا لمصر فى حال احتياجها للسلاح ،وهو ما يعد من أهم الأسباب التى دفعت مصر للاعتراف بالصين الشعبية، فكانت موافقة الصين بوجود ملحق عسكرى ومساعدٍ له بالسفارة المصرية بها رغم اقتصار هذا النظام على سفارات الكتلة الشرقية فقط دليلا قويا على علو شأن هذه المسألة وعمقها فى العلاقات بين الدولتين(٦)،كما كانت كانت مساندة حركات التحرير واستقلال دول العالم الثالث نقطة مشتركة فى السياسة الخارجية للدولتين، فكان

---

(١) John. W. Garver, Foreign Relation of the People's Republic of China (New Jersey: Prentic Hall, Englewood Cliffs, 1993), p.139. ؛ محمد إبراهيم فضة، مرجع سابق، ص١٠٥؛ يوسف ميخائيل يوسف، دور الحزب الشيوعى الصينى فى صنع القرار السياسى الخارجى (رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م) ، ص٢٧٢؛ جعفر كرار أحمد، مرجع سابق، ١٤٦.

(٢) وثائق الخارجية المصرية: الأرشيف السرى الجديد محفظة (١٥٨٩)، ملف ٣٧/ ٥٧/ ١٣، بشأن (اعتراف مصر بالصين الشعبية) من سفارة جمهورية مصر بمدينة أثينا (السفير أحمد جلال الدين عبد الرازق) إلى السفير وكيل وزارة الخارجية الدائم (إدارة المراسم) بشأن موقف السفارة من ممثل باثينا، سرى، بتاريخ ٢٤/ ٥/ ١٩٥٦م.

(٣) جان النشتاين، الصراع على العالم ١٩٥٠م – ١٩٨٨م العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السلام البارد، ترجمة: موسى الزغبى "دمشق: د . ن، ١٩٩١، ص٢١٧؛ محمد حسنين هيكل، تحية له (جمال عبدالناصر) بتاريخ ١٠/ ١/ ١٩٦٠م؛ سى دى : مقالات بصراحة (القاهرة: بيت العرب للتوثيق العصرى والنظم، ٢٠٠٠م).

(٤) أرشيف جريدة الأهرام، العلاقات المصرية الصينية، جـ١، ٣١/ ٥/ ١٩٥٦م.

(5)John. W. Garver, op.cit, p.139.

(٦) مصدر سابق: محفظة (١٣٤٧)، من السفير المصرى فى بكين (حسن رجب) إلى وكيل وزارة الخارجية بالقاهرة بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٥٧م.

الاعتراف المصرى بالصين الشعبية يعنى التقاء سياسة تلك الدولتين وتعاونهما؛ لتحقيق هذا الهدف،اضف لذلك ان القـــرار تماشى مع المنهج الثورى المصرى، وأكثر ما يدل على ذلك ما قاله عبد الناصر: "إن مصر تتبع سياسة مســـتقلة أساســـها المصلحة الوطنية، وإنها لن تسمح لدولة أو مجموعة دول بوضعها ضمن منطقة نفوذها، تحكمها وتهيمن عليهـــا وتفـــرض سياستها، وتقرر ما يجب على مصر أن تفعله، أو ما ستكون عليه سياسة مصر(١).

---

(١) محمد إبراهيم فضة، مرجع سابق، ص١٠٧.

ملحق رقم (١) : مجموعة من الوثائق تبين بعض الأسباب التى دفعت مصر إلى الاعتراف بالصين الشعبية.

(أ) وزارة الخارجية – ١٧مايو ١٩٥٦ – سرى للغاية – اعتراف مصر بالصين الشعبية ، السيد القائم بأعمال الســـفارة المصـــرية بجـــده : أتشرف برجائكم التفضل بإبلاغ حضرة صاحب الجلالة الملك سعود أن الحكومة المصرية قد قررت الاعتراف بالصين الشعبية بعـــد الموقـــف العدائى لدول الغرب بشأن تسليح إسرائيل وبعد مساعى تلك الدول فى الاتفاق مع روسيا على حظر تصدير الأسلحة لمصر والشرق الأوســـط رغم استمرارها فى تسليح إسرائيل سراً، وهو ما جعل مصر تقر الاعتراف بالصين الشعبية التى ليست عضواً فى الأمم المتحدة والتى أعطت على لسان رئيس وزرائها – العام الماضى – وعداً للرئيس جمال عبد الناصر استعدادها لتسليح مصر وبذلك تقضى على أية محاولة مستقبلة لاحتكار السلاح، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام، وكيل الخارجية الدائم

(ب) بكين فى ٢٨ مارس ١٩٥٦م ، السيد السفير وكيل وزارة الخارجية :أتشرف بإفادة سيادتكم انى قابلت مساء أمس ٢٧ مارس المنـــدوب التجارى لحكومة استراليا فى هنج كنج – والذى يزور الصين الآن – فى حفلة أقامها وزير بريطانيا المفوض فى بكين تكريماً له.وقد صـــرح لى أنه علم أن حكومة السودان ستعترف بجمهورية الصين الشعبية قريباً جداً، وستكون أسبق من مصر فى الاعتراف بهذه الدولة. وقـــد أجـــاب السكرتير الأول بسفارة بريطانيا المختص بالشئون الاقتصادية بأنه إذا حصل واعترفت السودان بالصين بدون استشارة مصر أو لم تنتظر حـــتى تعترف مصر بها أولاً. فسيكون عملاً غير لائق ومحرج فى الوقت نفسه للحكومة المصرية. وربما تضطر مصر إلى الاعتراف بالصـــين الشـــعبية بسبب هذا الموقف الدقيق وخصوصاً بعد أن أصبحت مصر صديقه للصين و لم تعترف بها بعد. ،وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،، نائب الممثـــل التجارى

(جـــ) وزارة الخارجية القاهرة فى ٢٩ إبريل سنة ١٩٥٦م. إدارة الشئون السياسية الإدارة الأسيوية، مذكرة للعرض على السيد نائب الوزير بصدد ما جاء بالبرقية الرمزية للممثل مصر التجارى ببكين المؤرخة – ٢٦/ ٤/ ١٩٥٦م أما عن الفقرة الثانية من البرقية والتى جاء فيها."العلاقات التجارية والثقافية تمهد وتستتبع عادة قيام علاقات دبلوماسية لكن يبدو أن صعاباً حتمت الاقتصار على هذا الوضع غير العادى ولذا يقبلونه ناقص الشكل خاصة وجوهر العلاقات (كلمة غير واضحة) وفى ازدهار.ربما تكون هذه الفقرة عبارة ذكرها رئيس وزراء الصين الشعبية لممثل مصر التجارى خلال مأدبة العشاء التى أقامها تكريما لوصوله إلى بكين وإذا صح هذا الاستنتاج فإن المقصود بهذه العبارة ولا شك هو أن رئيس الوزراء يود لو أن مصر اعترفت سياسيا بحكومة الصين الشعبية. وقد يؤيد هذا المعنى ما سبق أن ورد فى تقارير نائب ممثل مصر التجارى ببكين منها المؤرخ فى ٢٤ مارس ١٩٥٦ كما جاء فى تقرير لسيادته مؤرخ ٢١ مارس سنة ١٩٥٦ ما يلى:"أما من جهة الرسميين الصينيين الذين قابلتهم فى وزارة التجارة والخارجية أو فى المنظمات التجارية" فقد كان حديثهم لا يخلو من الإشارة بصداقة مصر والمصريين وأملهم الكبير فى توثيق العربى بين البلدين. وكنت أرى واسمع تلميحات عن سفارة مصر المستقبلة فى الصين الشعبية وانتظارهم وشغفهم الشديد لاعتراف مصر بالصين. وذكر نائب ممثل التجارى فى تقريره المؤرخ ٢٦ مارس سنة ١٩٥٦ بأن نائب مدير إدارة التصدير بوزارة التجارة الخارجية قد تحدث صراحة إليه صراحة فى أمر اعتراف مصر بحكومة الصين الشعبية. وقد قامت الإدارة بإبلاغ صور هذه المكاتبات إلى الرئاسة فى حينها وترى إدارة أسيا أن مسألة اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية هى مسألة تتعلق بالسياسة العليا للدولة واتجاهاتها فى هذا الشأن وتوصى الإدارة فى ذلك. أولاً: إرسال برقية رمزية إلى ممثل مصر التجارى فى بكين ليوضح فيها ما غمض برقيته الأولى. ثانياً: عرض الأمر على السيد الرئيس لاستطلاع رأيه فيما إذ كان الوقت قد حان للاعتراف بجمهورية الصين الشعبية.مدير إدارة أسيا، المصدر: دار الوثائق القومية بالقاهرة: أرشيف وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السرى الجديد، محفظة "١٥٨٩".

ملحق رقم (٢) إبلاغ مكتب التمثيل التجارى المصرى فى بكين وزارة الخارجية الصينية قرار مجلس الوزراء المصرى بسحب مصر اعترافها بحكومة تايوان والاعتراف بجمهورية الصين الشعبية والرغبة فى تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما.

The office of commercial Representative of the Republic of Egypt present their complimente to the Ministry of foreign affairs of the people Republic of China and, further to their Note dated 17th May, 1956, have the honour to communicate the full decisions of the government of Egypt.

On Wednesday evening the 16th of May 1956 the government of Egypt by a decision in council decided to with draw their recognition from the taiwan government and at the same

time to Recognize the people Republic of China to gather with the express wish of establishing diplomatic relations and exchanging diplomatic envoys.

The office of the commercial Representative of the Republic of Egypt avail themselves of this opportunity to renew to the Ministry of foreign affairs of the people's Republic of China the Assurance of their highest consideration.

Peking, May 18th , 1956 Ministry of Foreign Affairs Peking

المصدر: دار الوثائق القومية بالقاهرة، أرشيف وزارة الخارجية المصرية الأرشيف السرى الجديد، محفظة ١٥٨٩.

التخطيط اللغوى لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين

د.محمد محمود عبد القادر على

د.محمود حسان سعيد حسان

مقدمة: لقد شهدت العلاقات العربية الصينية تطورًا كبيرًا ، وبخاصة فى العلاقات الثقافية والتى من أهم وسائلها اللغة. حيث تبادلا بروتوكولات التعاون لنشر اللغتين العربية والصينية، وفى الآونة الأخيرة شهدت قضية تعليم اللغة العربية فى الصين نموًا ملحوظًا، بدا واضحًا فى تنامى عدد الأساتذة الصينيين المتخصصين والمهتمين باللغة العربية وتعليمها، وتزايد الإقبال الشديد من الصينيين الراغبين فى تعلم اللغة العربية مع اختلاف أغراضهم ودوافعهم، وتواجد المؤسسات التربوية الصينية.

مع تصاعد وتطور اقتصاد الصين خاصة بعد دخول القرن الحادي والعشرين، والذي يتوجه إلى العالم الخارجي كأحد المحاور الرئيسية، بدأ تعليم اللغات الأجنبية في الجامعات الصينية ينتشر بسرعة. ومن تلك اللغات التي تلقي إقبالا شديدا اللغة العربية، فقد ازداد عدد أقسامها وعدد الدارسين لها نظرا لأسباب عديدة منها: الصداقة التقليدية بين الصين والدول العربية، وتوثق العلاقات السياسة والاقتصادية والثقافية بين الجانبين، الذي يوفر سوقا كبيرا للعمل باللغة العربية. وعلى الرغم من ذلك فقد تدنت نوعية تعليم اللغة العربية إلى حد بعيد. (١) ومن هنا فإن الأمة التي تهمل لغتها، أو تتقاعس عن عملية نشرها هي أمة تحتقر في الواقع ذاتها، وتفرض على نفسها العزلة والتبعية الفكرية والثقافية لغيرها من الأمم الأخرى، لأن اللغة ليست إحدى العناصر المكونة للحضارة فحسب، ولكنها هي الأداة المعبرة عن تلك الحضارة، وتناقلها وحفظها وانتشارها.

وقد أثبتت اللغة العربية حيويتها، وقدرتها على التطور والتجديد، ومواكبة التطورات في مختلف العصور، وهى لغة عالمية، ورسمية في الهيئات والمنظمات الدولية. وعلى الرغم من ذلك فإن تعليم اللغة العربية فى الصين يفتقد إلى تخطيط لغوى فعال؛ يوجه حركة تطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، ويرسم سيناريوهاتها المستقبلية، ويكشف عن بدائلها الاستراتيجية، ويضع خططها الإجرائية وآلياتها التنفيذية.

المحور الأول:"الإطار العام للدراسة:ويتناول صياغة مشكلة الدراسة وأهدافها، وبيان أهميتها والكشف عن مبرراتها، وتحديد مصطلحاتها، وعرض الدراسات السابقة ذات الصلة بها، وخطواتها الإجرائية.

مشكلة الدراسة :إن تعليم اللغة في الصين به جوانب قصور عديدة من بينها: غموض السياسة اللغوية لنشر العربية في الصين، وافتقاد التخطيط اللغوي الفعال الذي يضع آليات لنشر اللغة العربية في الصين، مما نتج عنه غياب الخطة الإستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية للصينيين، وتبع ذلك قصور في توافر الخبراء المتخصصين في تعليم اللغة العربية للصينيين، وقصور في مناهج وطرائق التدريس لهم، وضعف إعداد وتأهيل معلم اللغة العربية للصينيين، وعدم وجود كيان مؤسسي يهتم بالبحث في مشكلات تعليم العربية للصينيين وتقديم المقترحات للتغلب عليها وبخاصة في الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية.

أهداف الدراسة:

١-تعرف واقع تعليم اللغة العربية في الصين، عن طريق الكشف عن الجهود العربية والوضع الراهن.

٢-استشراف مستقبل تعليم اللغة العربية في الصين عن طريق الرؤى المستقبلية وطموحات التطوير.

٣-رسم الرؤية الإستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية في الصين من خلال التحليل الاستراتيجي ووضع البدائل الإستراتيجية.

---

(١) بشار تشن جي(٢٠١١). إيلاء اهتمام كاف للغة الصحافة في عملية تدريس اللغة العربية. المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص ١١٢-١٢٥.

مبررات الدراسة :

١-تدعيم العلاقات العربية الصينية وبخاصة العلاقات الثقافية في مجال تعليم اللغات.

٢-الكشف عن واقع تعليم اللغة العربية في الصين والتي تعد من أكبر أسواق تعلم اللغات الأجنبية في العالم واستشراف مستقبلها.

٣-معاونة المؤسسات التربوية الصينية والجهات المعنية بتعلم اللغة العربية في الصين عن طريق تقديم الإستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية للصينيين. ووضع معايير لاختيار الخبراء المتخصصين في تعليم اللغة العربية والمعلمين لها.

مصطلحات الدراسة:

١-التخطيط :هو مجموعة التدابير المعتمدة والموجهة بالقرارات والإجراءات العلمية لاستشراق المستقبل، و تحقيق أهدافه من خلال اختيار بين البدائل والنماذج الاقتصادية والاجتماعية لاستغلال الموارد البشرية والطبيعية والفنية المتاحة إلى أقصى حد ممكن لإحداث التغيير المنشود.(١)ويعرف التخطيط الاستراتيجي بأنه تخطيط يتحرك في أفق زمني معلوم يتراوح بين خمس سنوات وعشر سنوات أو ما يزيد قليلا، وينتهي بخطة إستراتيجية تتضمن عددا من الخطط الإجرائية والتنفيذية، يسير وفق عملية معقلنة تستهدف تحقيق المهام والغايات الطويلة الأجل للنظام بالاستعانة باستراتيجيات معينة لاستخدام كافة الموارد البشرية وغير البشرية المتاحة والمتوقعة. (٢).والتخطيط اللغوي هو الاجراءات والقرارات التي يتخذها مجتمع ما لتحقيق أهداف وأغراض تتعلق باللغة التي يستخدمها، وتحقق حمايتها من المفردات الدخيلة والمعربة أو إصلاحها أو تحديثها أو تنميتها.(٣) وتتبنى الدراسة إجرائيا مفهوم التخطيط بكونه تخطيطا استراتيجيا لمجال تربوى وهو تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. اما الرؤية الإستراتيجية: هو مصطلح يشير للتصورات الفكرية لتحقيق الاهداف التي يتعذر تحقيقها في ظل الامكانيات والظروف الحالية الا ان من الممكن بلوغها على المدى الطويل. وهو بلوغ يقتضي وضوح الرؤية الاستراتيجية كونها الاساس النظري الذي تبنى عليه الخطط الاستراتيجية الهادفة لتحقيق هذه الاهداف على المدى الاطول.هذا وتعتمد الرؤية الاستراتيجية مبدأ التقسيم الزمني للاهداف وتوزيعها على مراحل زمنية تتسم بالمرونة التي تعطي الرؤى الاستراتيجية قدرة التكيف مع المتغيرات غير المنتظرة والمفاجآت. وهي عوامل تؤدي لتأجيل تطبيق الاستراتيجية دون ان تلغيها.(٤)

٢-التطوير: هو تخطيط الفرص التعليمية التى تستهدف احراز تغيرات بعينها فى الشيء المستهدف وتقدير المدى الذى حدثت به هذه التغيرات.(٥) وتقصد الدراسة به تطوير نظام تعليم اللغة العربية فى الصين لاستهداف احداث تغيرات مرغوبة مستقبلية على المدى الزمنى البعيد.

٣-تعليم اللغة العربية: تقصد الدراسة به تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها وهم الصينيون، والذي يشمل المناهج والطرائق والمعلومات والتقويم.

من أهم الدراسات السابقة: دراسة بان شيجى ١٩٩٥ (٦): هدفت إلي فتح ملف واقعي لأحوال المسلمين في الصين من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية عبر التاريخ. واستقصاء خصائص نشر الثقافة الإسلامية في الصين. والبحث عن الطرق والوسائل لنشر اللغة العربية في الصين.

---

(١) البوهي، فاروق شوقي (٢٠٠٠). التخطيط التربوي :عملياته – مداخله، الإسكندرية: دار المعرفة، ص ١١.

(٢) زاهر، ضياء الدين زاهر(١٩٩٣) . تعليم الكبار منظور استراتيجي، القاهرة: مركز ابن خلدون، ص٢٠.

(٣) القحطاني سعد بن هادي(٢٠٠٢). التعريب ونظرية التخطيط اللغوي: دراسة تطبيقية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٧.

(٤) mostakbaliat (2012). مصطلحات استراتيجية المركز العربى للدراسات المستقبلية

FROM:http://www.mostakbaliat. com/?p=16701 ACCSSE 5/3/2012

(٥) مجدى ابراهيم عزيز (٢٠٠٠). موسوعة المناهج التربوية، القاهرة: الانجلو المصرية، ص ٩٥١.

(٦) بان شيجي(١٩٩٥). اثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين تاريخا ودارسة ،أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة بشاور.

ومن اجل تحقيق أهدافها حاولت إلقاء الضوء على الإطار العام لنشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في الصين عبر التاريخ الذي يبدأ منذ دخول الإسلام الصين في منتصف القرن السابع حتى نهاية القرن العشرين، وفي ظل هذا الإطار عرضت صورة عامة لجهود العلماء المسلمين الصينيين لنشر الثقافة الإسلامية وتطور اللغة العربية في الصين.

الخطوات الإجرائية : أجريت الدراسة وفقا للمحاور الآتية:

المحور الأول:"الإطار العام للدراسة":ويتناول صياغة مشكلة الدراسة وأهدافها، وبيان أهميتها والكشف عن مبرراتها، وتحديد مصطلحاتها، وعرض الدراسات السابقة ذات الصلة بها، وخطواتها الإجرائية.

المحور الثانى:"واقع تعليم اللغة العربية فى الصين" :يتناول اللغة العربية فى الصين منذ دخول الإسلام إلى العصر الحديث، وموقف الصين من انتشار اللغة العربية ودوافع تعلمها، والجهود العربية فى نشر اللغة العربية فى الصين، والوضع الراهن لتعليم اللغة العربية .

المحور الثالث:"مستقبل تعليم اللغة العربية فى الصين":يدور هذا المحور حول الطموحات المستقبلية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، فيتناول الرؤى المستقبلية لرسم السياسة اللغوية لتعليم العربية فى الصين، بما تتضمنه من تطوير المناهج واستراتيجيات التدريس، وتأهيل معلمى اللغة العربية للصينيين، وأبعاد التطوير المنشودة فى تعليم اللغة العربية فى الصين .

المحور الرابع:"التخطيط لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين":ويتناول التحليل الاستراتيجى لأهم العوامل الاستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، من خلال تعرف فرص انتشارها، وتحديات نشرها، وجوانب الضعف والقوة فى نظم تعليمها. ويتناول البدائل الاستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، وأخيرًا يضع الرؤية الاستراتيجية للتخطيط لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين. وفيما يأتى عرض مفصل لهذه المحاور :

المحور الثانى:"واقع تعليم اللغة العربية فى الصين": يبحث هذا المحور الواقع من خلال الوقوف على وضع اللغة العربية فى الصين والجهود العربية فى نشرها ، وما بذله الصينيون أنفسهم من جهود فى تعليم اللغة العربية ، والكشف عن موقف الدولة الصينية من تعليم اللغة العربية.

١-٢ اللغة العربية في الصين : بدأ الاتصال بين الأمتين العربية والصينية منذ عصر عثمان بن عفان- رضى الله عنه - فى الثاني من شهر المحرم سنة ٣١ هجرية، حيث ورد في "سجل التاريخ" الصيني أن دولة داشي - كان الصينيون قديما يشيرون إلى بلاد العرب باسم داشي- بدأت بإرسال مبعوث إلى الصين (١)، وذلك في عصر قاو تسونغ من أسرة تانغ الملكية، وتحديدا في ٢٥ / ٨ / ٦٥١ م. وهى أول بعثة أوفد العرب فيها مبعوثا لزيارة الصين في التاريخ، وبعد ذلك توالت البعثات العربية مبعوثين إلى أسرة تانغ الملكية الصينية مرات عديدة، فخلال ١٤٨ سنة ابتداء من سنة ٦٥١ إلى سنة ٧٩٨ الميلادية، سجّلت المصادر التاريخية أن العرب أوفدوا نحو ٣٩ مبعوثا إلى أسرة تانغ الملكية٢، واستمر مثل هذا الاتصال في أسرة سونغ الملكية الصينية. وبناء على ما توصل إليه باي شو يي في دراسة له فإن دولة داشي قد أوفدت ٤٩ مبعوثا إلى الصين بمعدل مبعوث واحد كل أربع سنوات خلال ٢٠٠ سنة من السنة الأولى من كاي باو (سنة ٩٦٨ م) إلى السنة الرابعة من تسيان داو (سنة ١١٦٨ م) (٣).وإلى جانب المبعوثين العرب الرسميين في أسرتي تانغ وسونغ الملكيتين قدم عدد كبير من التجار العرب إلى الصين، حتى يمكن القول بأن بعضهم قد وصل إلى الصين قبل المبعوث العربي الرسمي. فقد دخل التجار العرب إلى الصين لأول مرة عن طريق الحرير البحري من المدن الصينية التي بها مواني تجارية مثل قوانغتشو (كانتون) وتشيوانتشو ومينغتشو(نينغبوه حاليًا) ويانغتشو، ومنها توغلوا إلى المدن التجارية المختلفة في المقاطعات الصينية الداخلية عبر الطرق البرية، وقد بقي عدد كبير من هؤلاء التجار العرب في الصين.

---

(١)ما ييبو(٢٠٠٠). سجل تاريخ الاسلام في الصين. دار النشر لأهل نينغ شيا، ص ص ٩١-١٠٢.

(٢) يانغ هوايتشونغ ويو تشنقوي(١٩٩٥). الإسلام والثقافة الصينية، دار النشر لأهل نينغ شيا، ص ص ٤٨ — ٥٢.

(٣) باي شويي (١٩٨٢). المخطوطات لتاريخ الإسلام الصيني، دار النشر لأهل نينغ شيا، ص ١٢٨.

كان معظم العرب الزائرين للصين في أسرتي تانغ وسونغ مبعوثين أو تجارا. ولكن الحالة في أسرة يوان الملكية اختلف عما كانت عليه في الأسرتين السابقتين. فقد قام المغول بالزحف إلى الغرب، وأسروا عددا لا يحصى من المسلمين (معظمهم فرس وعرب)، وجعلوهم جنودا، وإلى جانب ذلك أسروا عددا كبيرا من الحرفيين من غربي آسيا (حوالي مائة ألف فرد). وعاد الجيش المنغولي بهؤلاء المسلمين إلى الشرق، ومن ثم خاضوا معارك في أنحاء الصين، (١). و بدأ المسلمون الصينيون يعيشون متفرقين في أنحاء الصين ، والتجمع في بعض أمكان معين، ثم اندمجوا مع القوميات المحلية الأخرى تدريجيا حتى شغل بعضهم مناصب كبيرة منها رئيس مجلس الوزراء. وظهر في أسرة تانغ أول حارة سكنية للمسلمين سميت "بانفانغ"، و تم بناء بعض المساجد. وكان أول مسجد في الصين هو مسجد هوايهوا في كانتون تم بناؤه في السنة الأولى من تشن قوان لأسرة تانغ (سنة ٦٢٧ م)(٢). وكانت المساجد في البداية أماكن لأداء الفرائض الدينية ونشر القرآن والأصول الإسلامية، ثم أصبحت مدارس لتعليم اللغة العربية ونشر المعارف الإسلامية. وهكذا دخلت اللغة العربية إلى الصين مع وصول المسلمين العرب إليها وانتشرت مع انتشار الإسلام فيها حتى يومنا هذا ، ثم انتشرت المعاهد والجامعات والكليات المتخصصة فى تعليم اللغة العربية، وازداد إقبال الصينيين على تعلمها فى العصر الحديث.مع دخول الدين الإسلامي إلى الصين في القرن السابع الميلادي، أتت اللغة العربية معه تلقائيا إلى الصين، فقبلها المسلمون الصينيون أولا، ودرسوها واستخدموها، ثم اهتمت بها بلاد الصين حكومة وشعبا. وإلى يومنا هذا، قد شهدت أعمال تعليم اللغة العربية ودراساتها في الصين تقدما كبيرا، فتلعب دورا إيجابيا هاما في سبيل دعم التبادل والاتصال بين الصين والدول العربية وتقوية روابط الصداقة والتعاون بين الشعبين الصيني والعربي.

ومن ثم انتشرت اللغة العربية في الصين شيئا فشيئا. ومن جراء احتياج الحياة والتبادل وخاصة لزوم نشر الإسلام وفرائضه ومراسمه صار تعلم اللغة العربية أمرا ضروريا. و كان تعليم اللغة العربية في زمنه الأول يجري في المساجد، ويجمع هذا الأسلوب التعليمي بين التعليم التقليدي في المساجد لدى الدول العربية والإسلامية والتعليم الصيني التقليدي في الكتاتيب. فكانت المساجد مفتوحة للطلبة المسلمين، فمن يحضر إليه للدراسة يتمتع بمجانية الأكل والسكن وبدون رسوم التعليم، وكان الأئمة يلقون محاضرات بلا مقابل. و لم يطرأ تغير جذري إلا في الأربعينات من القرن العشرين. ومن ذلك الوقت أدرجت اللغة العربية لأول مرة إلى نظام التعليم العالي في الصين. وفي عام ١٩٤٣، بدأ الأستاذ عبد الرحمن نا تشونغ – الذي أكمل دراسته في جامعة الأزهر بمصر وهو الأستاذ في جامعة الدراسات الأجنبية ببكين – لأول مرة تعليم اللغة العربية في جامعة صينية، حيث ألف كتابا منهجيا لتعليم اللغة العربية في الجامعة الصينية، وفي عام ١٩٤٥، بدأ لأول مرة يلقي على الطلبة في الجامعة المركزية محاضرات حول التاريخ والثقافة العربية الإسلامية. وفي عام ١٩٤٦، استقدمت جامعة بكين السيد محمد ماكين زميل وصديق الأستاذ نا تشونغ عبد الرحمن والذي عاد من مصر أيضا بعد إكمال دراسته في جامعة الأزهر، استقدمته كأستاذ وكلفته بإنشاء شعبة للغة العربية في قسم اللغات الشرقية بجامعة بكين. (٣).وفي الخمسينات والستينات من القرن العشرين، وافقت الحكومة الصينية على إنشاء شعبة اللغة العربية في كل من جامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، والمعهد الدبلوماسي، وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين، ومعهد اللغات الأجنبية لجيش التحرير الشعبي الصيني، وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي، وجامعة اللغات ببكين، وجامعة الدراسات الدولية ببكين، وفي التسعينات من القرن العشرين، فتحت جامعة يون نان شعبة للغة العربية، وفي السنة الأولى من القرن الحادي والعشرين، أعلن معهد اللغات الأجنبية بتيان جين بدء قبول طلبة للتعليم العالي المهني في سنة ٢٠٠٢م. وبعد ذلك أنشئ عدد كبير من أقسام اللغة العربية في كثير من الجامعات الصينية مثل: جامعة هيلونغجيانغ، وجامعة نينغشيا، وجامعة

---

(١) شبكة الصين (٢٠١٢).اللغة العربية في الصين.
FROM:http://arabic.china.org.cn/news/txt/2005-08/05/content_2188103.htm ACCESS 6/3/2012

(٢) ها تشوجيون (١٩٩٩). مسجد دا شيو سي سيانغ في مدينة شي آن، مجلة المسلمون الصينيون، العدد٥.

(٣) كلية اللغة العربية، نبذة عن الأستاذ نا تشونغACCESS 3/3/2012- FROM: www.bfsu.edu.cn

القوميات في شمال غربي الصين، وجامعة نانكين، وجامعة اللغات الأجنبية بشيآن، وجامعة تشونغشان، وجامعة اللغات الأجنبية والتجارة الخارجية بقوانغدونغ، ومعهد اللغات الأجنبية بداليان، ومعهد اللغات الأجنبية بسيتشوان والمعاهد العالية الصينية الأخرى.وأصبحت اللغة العربية لغة أجنبية عامة كسائر اللغات في الصين منذ النصف الأخير من القرن العشرين، حيث إن بعض الجامعات الرسمية المشهورة كجامعة بكين ومعاهد اللغات الأجنبية في بكين وشانغهاي وغيرها فتحت أقسام اللغة العربية باعتبارها لغة مهمة من اللغات الأجنبية في العالم حتى حظيت اللغة العربية إقبالا كبيرا من طلاب الجامعات عاما بعد عام. أما التطور الملموس للغة العربية في الجامعات الصينية فقد حدث عام ١٩٤٩، حيث وجد في الصين تسع جامعات أنشأت أقساما وكليات للغة العربية إبان الخمسينات والستينات بعد إعلان جمهورية الصين الشعبية، واهتمت الحكومة بنشر اللغة العربية اهتماما كبيرا لإقامة العلاقة الودية بين الصين والعالم العربي، ومنذ بداية الثمانينات شهد تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية تطورا ملحوظا. ويوجد في الصين ثلاث جامعات فيها دراسات عليا للغة العربية وهي جامعة بكين وجامعة اللغات الأجنبية في بكين وجامعة اللغات الأجنبية في شانغهاي، لمرحلتي الماجستير والدكتوراه. إن المقررات في كليات اللغة العربية في الجامعات الصينية ترمي إلى تدريب الطلاب على استيعاب مهارات للغة العربية: وهي مهارة الاستماع والمحادثة والقراءة والكتابة والترجمة ، ولم يظهر منهج موحد إلا في بداية التسعينات في القرن العشرين، حيث كونت فرقة اللغة العربية عام ١٩٨٦ التابعة للجنة الوطنية لتوجيه أعمال تدريس اللغات الأجنبية في الجامعات للقيام بوضع منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية عام ١٩٩١، ثم بعد ذلك ظهر منهج تعليم اللغة العربية للصفوف المتقدمة عام ١٩٩٧ ، ومن الأحداث المهمة في مجال اللغة العربية في الصين إنشاء مجمع اللغة العربية للتدريس والدراسات بالصين في بكين عام ١٩٨٥ (١)

٢-٢ من الجهود العربية في نشر اللغة العربية في الصين :تحرص دول العالم على نشر ثقافتها وعاداتها وقيمها عبر العالم، وذلك عن طريق نشر لغتها ، ومن ثم فإن الدول الكبرى تبذل جهودا كبيرة في نشر لغاتها وثقافتها. واللغة العربية إحدى أهم اللغات الحية، وحسب تقرير جورج وايبر (George Weber) فإن اللغة العربية تحتل المرتبة الرابعة بعد اللغة الصينية والإنجليزية والأسبانية، كما تحتل المرتبة الثانية بعد اللغة الإنجليزية في كثرة عدد المتحدثين بها كلغة ثانية.(٢) وهي من اللغات الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة، وفي منظمة اليونسكو، وغيرها من المنظمات الدولية. ومما يزيدها أهمية عدد الدول التي تتحدث بها فالدول الأعضاء في جامعة الدول العربية ٢٢ دولة، وتحتل موقعا متميزا بين قارات العالم، ولها أهمية تجارية واقتصادية كبرى ففيها اكبر أسواق إنتاج النفط، وهي من أكبر الأسواق المستوردة للسلع والبضائع من الشرق كالصين واليابان وكوريا ومن الغرب كدول أوربا وأمريكا. ونظرًا لانتشار التعليم على نطاق واسع فى البلاد العربية، وزيادة الإقبال على تعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها فقد أصبحت الحاجة إلى تعلم اللغة العربية أمرًا ضروريًّا، وخاصةً وقد زادت أعداد الجاليات الأجنبية في القطاعات الدبلوماسية وقطاع التجارة والأعمال والخدمات وظهرت أعداد كبيرة منهم ترغب في دراسة اللغة العربية؛ مما دفع المؤسسات الأكاديمية العربية إلى تعليم اللغة العربية كلغة ثانية لغير الناطقين بها، ففي مصر بدأ الأزهر الشريف بعقد دورات في اللغة العربية للناطقين بغيرها رسميا من عام ١٩٦٣م لإعداد الطلاب وتأهيلهم لغويا للالتحاق بالدراسات الجامعية وذلك من خلال معهدين أحدهما للطلاب والآخر للطالبات، وتم استخدام أسلوب التدرج من السهل إلى الصعب وتطبيقاته والبداية بكلمات تكون حروفها موجودة في لغة الطالب الأساسية، وإعطاء كلمات قليلة الأحرف وذات معنى محسوس كقلم وكتاب.. ثم الانتقال إلى الجمل الاسمية القصيرة.. وهناك أسلوب متبع في تعليم الحركات في اللغة العربية والتنوين، وتوظيف بعض المعلومات التي يحتاجها الطالب كأحكام الوضوء.

---

(١) عمار تشانغ هونغ (٢٠٠٥). نشر اللغة العربية في الصين، مجلة بيت العرب، بعثة جامعة الدول العربية لدى جمهورية الصين الشعبية، ص:٤٩-٣٧، بكين.

FROM: http://www.arableague-china.org/arabic/publication/magazine/magazine.htm ACCESS 4/3/2012
(2) George Weber(2012).TOP LANGUAGES :The World's 10 most influential Languages FROM :http://www.andaman.org/BOOK/reprints/weber/rep-weber. htm ACCESS 2/3/2012

كما أنشئ المركز الثقافي للدبلوماسيين بالقاهرة عام ١٩٦٥م لتقديم الخدمات الثقافية للدبلوماسيين ونشر اللغة العربية بينهم. وبعد ثورة ٢٥ يناير٢٠١١ أعلن الأزهر عن إنشاء مركز لكلية متخصصة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .(١).وكان الأزهر الشريف أول الجامعات الإسلامية العالمية التي يختارها أبناء العلم الصينيون الذي ظل طوال ألف سنة قبلة للعلوم الإسلامية في العالم الإسلامي. فقدم الشيخ يوسف روح الدين ما ديسين (١٧٩٤-١٨٧٤) إلى مصر بعد أداء فريضة الحج عام ١٨٤١م مباشرة حيث التحق بالأزهر الشريف ودرس فيه نحو سنتين. (٢)والشيخ عبد الرحمن وانغ كوان (١٨٤٨-١٩١٩) الذي قدم إلى مصر لالتحاق بالأزهر الشريف بعد أداء فريضة الحج عام ١٩٠٦م، والبعثة الرسمية إلى الأزهر الشريف بدأت في ثلاثينات القرن العشرين،.(٣) وقد بدأت الجهود السعودية فى تعليم اللغة العربية بظروف مشابهة لما كان في الأزهر، فحينما أنشأت الجامعة الإسلامية واللغة العربية لأبناء المسلمين كافة، فقد أنشئ معهد تعليم اللغة العربية في العام الجامعي (١٩٦٦/١٩٦٧م)، ثم توالى إنشاء معاهد تعليم اللغة العربية في الجامعات السعودية حتى بلغت ست معاهد في كبرى الجامعات السعودية(٤). وقدمت المملكة العربية السعودية المنح الدراسية للطلبة الصينيين المسلمين؛ ليدرسوا في جامعاتها في مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض العاصمة لمواصلة دراساتهم العالية في اللغة العربية والثقافة الإسلامية وعلوم الدين الإسلامي ، بلغت عدة مئات من المنح الدراسية منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والمملكة، فكانوا النواة النشطة للدعوة الإسلامية بالصين والقوة المحركة لقضايا المسلمين فيها.(٥).وفى جامعة النجاح في فلسطين أنشئ معهد لتعليم اللغة العربية، تتم الدراسة فيه في سبعة فصول دراسية من خلال ثلاثة مستويات الأول منها في ثلاثة فصول دراسية، والمستويان الآخران لكل منهما فصلان ، يؤهل خريجيه من غير العرب للدراسة في كليات الآداب، وتشمل مقرراته على دراسة الأصوات في اللغة العربية وكتابتها مع التركيز على الكلمات الشائعة، كما يدرس الطالب تركيب الجمل، والتعرف على أركان الجملة، مع دراسة بعض النصوص النثرية والشعرية. إضافة إلى دراسة تاريخ وحضارة فلسطين، وفي المستويين الثاني والثالث يدرس الطالب ٢٠ نصا مختارا في كل منها عن جغرافية الوطن العربي وحضارته، وعن إسهامات علماء العرب في المجالات العلمية المختلفة.(٦) .أما سلطنة عمان فقد أقامت تعاونًا علميا وبحثيا فى مجال تعليم اللغة العربية للصينيين بجمهورية الصين الشعبية من خلال كرسي جلالة السلطان قابوس للدراسات العربية بجامعة بكين، الذي يهدف إلى تطوير هذه العلاقات وتوطيدها، بهدف نشر الوعي عن اللغة العربية وآدابها وثقافتها في الصين، وكذلك تشجيع البحوث العلمية في مجال اللغة العربية وآدابها وثقافتها، وتشجيع التبادل الثقافي بين مؤسسات التعليم العالي بالسلطنة ونظيراتها الصينية ذات الاهتمام المشترك لاسيما العلاقة باللغةالعربيةوآدابها.وفي الإطار نفسه ينظم رئيس الكرسي بجامعة بكين الحلقات الدراسية وحلقات العمل لنشر اللغة العربية، والحصول على الدعم المالي وقيادة برامج البحوث العلمية في اللغة العربية، ودعوة الأساتذة الزائرين والباحثين في مجال اللغة العربية من المؤسسات العلية العمانية، ورفع تقرير

---

(١) جريدة الأهرام (٢٠١٢) جامعة الأزهر تفتتح أول مركز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
Fhttp://gate.ahram.org.eg/News/31940.aspx ACCESS 2/3/2012.

(٢)بانغ شيكيان تواضع (١٩٨٨) تسع سنوات في مصر، دار النشر للجمعية الإسلامية الصينية، بكين، ص ١٦.

(٣)حامد ليو كايقو (١٩٩٥م) .تاريخ تطور اللغة العربية، شانغهاي : دار النشر لتعليماللغات الأجنبية ، ص ١٣٨.

(٤)عبد اللطيف بن عبد العزيز الرباح(٢٠١١) . معهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها فى المملكة العربية السعودية: دراسة مقارنة في البرامج والمناهج. المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص٢١٨-٢٣

(٥) محمد يانغ هواي جونغ ، وعلي يوي تشن قوي(١٩٩٥م).الإسلام والحضارة الصينية، دار نشر شعب نينغشيا، ص ٥٢.

(٦) موقع جامعة النجاح الوطنية:ACCESS 3/3/2012http://www.najah.edu/ar/page/4502

سنوي عن أعمال الكرسي وأنشطته الحالية والمستقبلية، وإنشاء موقع للكرسي على شبكة المعلومات الدولية بجامعة بكين.(١)

٣–٢ الجهود الصينية فى تعليم اللغة العربية و موقف الحكومة من انتشارها: اهتمت حكومة الصين الجديدة منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية بتطوير العلاقات الصينية العربية. ففي عام ١٩٥٦، تم اختيار دفعة من الطلبة الممتازين وإيفادهم إلى مصر لدراسة اللغة العربية والثقافة العربية؛ إلى جانب ذلك أنشأت الحكومة تدريجيا في بعض الجامعات تخصص اللغة العربية، فمنذ عام ١٩٥٨، أنشئ تخصص اللغة العربية في كلية الشئون الخارجية (في سنة ١٩٦٢ انضمت إلى جامعة الدراسات الأجنبية ببكين)، وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية، وجامعة الدراسات الأجنبية ببكين، ومعهد اللغات الأجنبية لجيش التحرير الشعبي الصيني، وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي، وجامعة اللغات ببكين، والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين. ولذا فتح تعليم اللغة العربية في الصين صفحة جديدة ووضعا جديدا للنمو والازدهار.(٢) وبفضل عناية الحكومة الصينية وتأييدها لنشر اللغة العربية فى الصين والجهود التي قام بها الأساتذة الصينيون المتخصصون فى اللغة العربية ، أعدت الجامعات والمعاهد العالية الصينية آلافا من الأكفاء الذين يعملون في المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية والتعليمية والصحفية والسياحية والعسكرية وغيرها ويساهمون مساهمة كبيرة في تطوير العلاقات الصينية العربية، فمنهم وزراء وسفراء وجنرالات وأساتذة وباحثون وعلماء ومديرون في الشركات وغيرها، وتنفيذا لسياسة الإصلاح والانفتاح في الصين حققت الجامعات الصينية طفرة جديدة في تعليم اللغة العربية، فمنذ الثمانينات من القرن العشرين، بدأت الدراسات العليا لتخصص اللغة العربية والأدب العربي على التوالي في جامعة الدراسات الأجنبية ببكين وجامعة بكين وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي وجامعة الاقتصاد والتجارة الخارجية ومعهد اللغات الأجنبية لجيش التحرير الشعبي الصيني والمعهد الثاني للغات الأجنبية ببكين، كما صار لجامعة الدراسات الأجنبية ببكين وجامعة بكين وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي الحق في منح درجة الدكتوراه لتخصص اللغة العربية والأدب العربي.ومنذ التسعينات من القرن العشرين، ومع ازدياد التبادل الاقتصادي والتجاري والاتصالات الثقافية بين المقاطعات الصينية والدول العربية، بدأت المقاطعات الصينية تهتم بإعداد أكفاء يجيدون اللغة العربية، ففتحت جامعة نينغشيا وجامعة يونان وجامعة القوميات في شمال غربي الصين ومعهد اللغات الأجنبية في تيانجين وجامعة هيلونغجيانغ على التوالي تخصص اللغة العربية لدرجة الليسانس وقبلت طلبة يتخصصون بالعربية.(٣).تحترم الحكومة الصينية الاعتقاد الديني، ومن أجل تنفيذ سياسة حرية الاعتقاد، وإعداد علماء الدين والمتخصصين فيه، وافقت الحكومة في عام ١٩٥٥،على إنشاء معهد العلوم الإسلامية بالصين، وفي التسعينات من القرن العشرين وتمشيا مع تعمق الإصلاح والانفتاح في الصين، وتنفيذا كاملا لسياسة الدولة الخاصة بالأقليات القومية والديانات، وإعدادا لعدد أكبر من أكفاء متخصصين بالدين من الدرجة العالية ومحبين للوطن والدين، أنشئت تسعة معاهد محلية للعلوم الإسلامية على التوالي في بكين، وشين يانغ، وأورومتش، وسي نينغ، وبين تشوان، ولان تشو، وتشينغ تشو، وكون مينغ، وشي جيا تشونغ .(٤) ومع تأسيس جمهورية الصين الشعبية

---

(١) بدون مؤلف،كرسي السلطان قابوس لدراسات اللغة العربية في بكين

FROM : http://www.qaboos-oman.com/university-chairs/sultan-qaboos-chair-of-arabic-language-studies-in-beijing.html ACCESS 3/3/2012

(٢) ليلى تشي ميغمين(٢٠١١). اللغة العربية في اللغة الشفوية لقومية هوي الصينية. المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص ٥٧٥–٥٨٣.

(٣) لي شينغهوا(١٩٩٨).تاريخ الإسلام في الصين، دار النشر الاجتماعية الصينية، ص ص ٧٢٠– ٧٢٥.

(٤)ما تشونغ جيه وتشانغ قوانغ لين (١٩٩٧):أسلوب التدريس البسيط وتجربة التعليم الناجحة. مجلة " المسلمون الصينيون" . العدد الـ٦ ص٢٠

واستمرار تطور الصين وزيادة التبادل مع بلدان العالم، شهد تعليم اللغة العربية في الصين تغيرا كبيرا فصارت في الصين **أشكال عديدة من تعليم اللغة العربية منها: (١)**

١- تعليم العربية في الجامعات والمعاهد العالية : حيث يدرس الطلبة اللغة العربية تخصصًا رئيسيًّا، ويدرسون الثقافية الإسلامية، ويتدربون على مهارات معينة، فيحصلون على مؤهلات دراسية ودرجات أكاديمية مختصة.

٢- تعليم العربية في المدارس الإعدادية والثانوية: وضعت بعض المدارس الإعدادية والثانوية وخاصة المدارس الواقعة في مناطق يعيش فيها عدد كبير من المسلمين الصينيين، مقررات خاصة لدراسة اللغة العربية إلى جانب إكمال المقررات الثقافية اللازمة التي تحددها الدولة.

٣- تعليم العربية في المساجد: تعد اللغة العربية من المقررات الضرورية إلى جانب المقررات الدينية والثقافية الأخرى .

تعليم العربية في دورات مختلفة : حسب أغراض خاصة بقصد الزيارة أو العمل في بلد عربي معين، أو من أجل إجراء دراسات لقضايا العربية أو الشرق أوسطية، أو بسبب حاجة التدين.

واقع مناهج تعليم اللغة العربية فى الصين: شهدت العقود الأربعة الأخيرة إقبال الصينيين على تعلم اللغة العربية لأسباب اقتصادية وثقافية وسياسية ودينية وغيرها، الأمر الذي فرض على أساتذة كلية اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين أشهر جامعة صينية في تعليم اللغة العربية فرض عليهم إعداد سلسلة من الكتب لتعليم اللغة العربية للجامعيين الصينيين واستجابة لهذه الرغبة في المجتمع الصيني، قامت كلية اللغة العربية بجامعة الدراسات الأجنبية ببكين بصياغة المنهج ووضع الخطط وتنظيم الندوات وجمع الخبرات بشأن تأليف سلسلة متكاملة من الكتب المدرسية لمادة "القراءة والنصوص" التي تعد من أهم المواد لتأهيل الطلبة لغويا، فأصدرت في ثمانينات القرن الماضي سلسلة من الكتب المنهجية ومجموعة من القواميس والمعاجم، والكتب العلمية ، والأعمال المترجمة، والمجلات المختصة بالشأن العربى والقنوات القضائية الأخبارية والمواقع الالكترونية عبر الشبكة العنكبوتية " الانترنت " وتمثلت هذه الجهود فى المنهجين القديم والحديث . (٢)

المنهج القديم :بدأ مشروع منهج تعليم اللغة العربية منذ عام ١٩٨٦، عندما كون فريق العمل من جامعة اللغات الأجنبية في بكين وجامعة بكين وجامعة اللغات الأجنبية في شانغهاي والجامعة الثانية للغات الأجنبية في بكين بموافقة إدارة التعليم من وزارة التربية والتعليم الصينية عام ١٩٨٨ حتى انتهى من المشروع في سنة ١٩٩١، (٣) .يعتبر هذا المنهج أول منهج علمي موحد لتعليم اللغة العربية في تاريخ الصين، وما إن نشر هذا المنهج حتى لقي إقبالا كبيرا وواسعا من الجامعات الرسمية والمعاهد الإسلامية والمدارس العربية الأهلية على حد سواء حتى أصبح الآن منهجا شائعا في الصين، ويتكون المنهج القديم من ثلاث أقسام، القسم الأول: النصوص، التي تتناول جهة التعليم واهداف التعليم ومحتوى التعليم وترتيب التعليم ومتطلبات العليم ومبادئ التعليم والامتحان، القسم الثاني: الملاحق التي تتناول خمس ملاحق وهي جدول النطق والنحوى وأساليب التعبير المختلفة والمهارات اللغوية وجدول الامتحانات وقائمة المفردات الأساسية، أما القسم الثالث فهو توضيح للمنهج. كما حدد المنهج كل قسم بالتفصيل في المستويات الثلاث.

المنهج الجديد :منذ التسعينات من القرن العشرين بدأت مدة الدراسة في كليات اللغة العربية تتغير حيث تحولت من خمس سنوات إلى أربع سنوات تسايرا مع كليات اللغات الأخرى في الجامعات الصينية، فلابد من تغيير المنهج، ومن ثم بدأ مشروع المنهج الجديد منذ عام ١٩٩٣ حتى تم عام ١٩٩٧، ثم رفع إلى إدارة التعليم للجنة التربية والتعليم العالية الصينية.

---

(١) المرجع السابق ص ١٩.

(٢) سين جيانتسيانغ وحو نا (١٩٩٧):اللغة العربية فى الجامعات الصينية بعثة جامعة الدول العربية لدى لكبن. مجلة "بيت العرب" العدد الــ١٣ص١٤

(٣) زملاء التأليف للمنهج(١٩٩١). المنهج الموحد لتدريس اللغة العربية في المرحلة التعليمية الأساسية بالجامعات والمعاهد العالية في الصين، بكين: دار النشر للتعليم السياحي في ، مطبعة أكاديمية العلوم الصينية، ص ٦٣٦.

(١) هذا المنهج الجديد وضع بناء على أساس المنهج القديم حيث حذا حذو المنهج الأول من الأسلوب والموضوعات والمنوال. يقع هذا المنهج في مجلد واحد يتناول قسمين: القسم الأول للمرحلة الأساسية يحمل اسم (منهج تعليم اللغة العربية للمبتدئين في الجامعات الصينية)، مدتها المقررة سنتين في أربع مستويات، أي كل فصل يعتبر مستوى، أما القسم الثاني فهو للمرحلة العالية يحمل اسم (منهج تعليم اللغة العربية للصفوف المتقدمة في الجامعات الصينية)، مدتها المقررة سنتين أيضا على أربع مستويات، بيد متطلبات التعليم من المنهج الجديد للمبتدئين تناول المستوى الثاني والمستوى الرابع فقط، كما أن متطلبات التعليم من المنهج للصفوف المتقدمة تناول المستوين أيضا، وهما المستوى السادس والمستوى الثامن.وفي الحقيقة أن هذين المنهجين يعتبران منهجا واحدا على المستوى الجامعي في الجامعات الصينية، إذ لا يوجد هناك حد فاصل بين المرحلتين في الجامعة من حيث أن كلية اللغة العربية في أي جامعة بالصين لم تفرق بين المرحلتين فرقا واضحا وإنما تتقدم المستويات مع التقدم السنوي حسب الفصول الدراسية كسلم يتعالى كل فصل وكل سنة، ومن ثم فلا داعي لتسمية المنهجين للمرحلتين.

المحور الثالث:"مستقبل تعليم اللغة العربية فى الصين":يدور هذا المحور حول الطموحات المستقبلية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، فيتناول الرؤى المستقبلية لرسم السياسة اللغوية لتعليم العربية فى الصين، بما تتضمنه من تطوير المناهج واستراتيجيات التدريس، وتأهيل معلمى اللغة العربية للصينيينوأبعاد التطوير المنشودة.

١-٣ الرؤى المستقبلية لرسم السياسة اللغوية لتعليم العربية في الصين :السياسَةُ اللغويةُ هي التدابيرُ التي يّتخذُها بَلدٌ منَ البُلدانِ إزاءَ لغتِه، وتخضعُ السياسةُ الّلغويةُ لبلدٍ ما للتَّخطيط أو الخُططِ المَرسومةِ مِنْ قِبَلِ فَعالياتٍ مُتعدّدةٍ من أبناءِ هذا البَلدِ ومنَ الناطقين بهذِهِ اللغة المخطَّط لَها .(٢) وتقصد الدراسة برسم السياسة اللغوية تدخل السياسيين والزعماء وقادة الحركات القومية وكافة المهتمين بالأمور اللغوية في التأثير على استعمالات الآخرين للغة المتداولة في المجتمع، وفي تحديد الوظائف التي تؤديها تلك اللغة بما يخدم غاياتهم وأهدافهم السياسية. و من ثم ينبغى اعتماد سياسة لغوية تستجيب للاحتياجات الصينية- العربية، نظرا لتطلعاتها المستقبلية في تحقيق التنمية المستدامة وتدعيم العلاقات بينهما. ومن المبادىءالضرورية فى رسم السياسة اللغوية لتعليم اللغة العربية للصينيين التسلح بجميع الوسائل والآليات التي ستمكن الصين من الاندماج الناجح في المجتمعالعربى والتى ذكرتها الدراسة فى توصياتها.

٢-٣ الطموحات المستقبلية لتطوير تعليم اللغة العربية في الصين : (٣)

١- إرساء المفاهيم الايجابية لتعلم الأصوات العربية : لتسهيل تعليم الطلبة المبتدئين ينبغي إرساء أهم المفاهيم اللغوية مثل: اللغة صوتا، اللغة تقليدا، اللغة قابلة للتصحيح، مفهوم "اللغة صوتا" يساعد الطلبة على زيادة اهتماماتهم بدراسة الأصوات باعتبارها أساس تعلم اللغة. ومفهوم "اللغة تقليدا" يساعدهم على زيادة التمرينات على تقليد الأصوات؛ لأنهم يتخذونه أسلوبا ضروريا في مسيرته الدراسية الكاملة. مفهوم "اللغة قابلة للتصحيح" يساعدهم على المبادرة بتصحيح نطقهم وتحسينه لإتقان الأداء النطقي، خاصة الطلبة القادمين من مناطق اللهجات المحلية الصينية التي تمتاز بعدم التمييز بين الأصوات كنطق "السين" و"الشين" فى الشمال الشرقي و"اللام" و"النون" فى الجنوب ومشكلة النفس الطويل فى الجنوب الشرقي والمد في النغمة الزائدة فى بكين وغيرها من الاختلافات المحلية عن الفصحى الصينية أو الموانع لدراسة اللغة الأجنبية.

٢- استخدام نظريات علم الأصوات الحديث فى تعليم اللغة العربية : تدريس المعلومات الصوتية باستخدام علم اللسانيات للطلبة المبتدئين، و يجب أن تدرس المعلومات الأساسية للتمييز بين الصوتين المختلفين في اللغة العربية. ويطلق

---

(١) زملاء تصنيف المنهج(٢٠٠٠). منهج تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية، بكين، دار النشر لجامعة بكين، ص ٢١٦.

(٢) جميس طوليفسن (١٩٩٥). السياسة اللغوية وتعلم اللغة ، ترجمة محمد خطابى ، وزارة الثقافة، المملكة المغربية، ص ١٦.

(٣) مكتب التعريب (٢٠١٢) الندوة الدولية مستقبل اللغة العربية في سوق اللغات،الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،المجلس الأعلى للغة العربية،

عليها صفات التمييز. وبإمكان الطلبة استيعاب وإتقان صفات تمييز الأصوات العربية بعد تدريسها لهم. وهذه المعلومات تسهل مسيرة التدريس تسهيلا كبيرة.

٣- تفعيل السياسة اللغوية لتعليم العربية في النظام التربوي،وفي مختلف مجالات التواصل، بما تشهده اللغة العربية من انتشار في المجتمع الصيني، والالتزام السياسي فى نشر اللغة العربيةكلغة ثانية وإحدى المكونات الرئيسية لدعم العلاقات الثقافة بين الصين والعرب.

- التصحيح بطريق إبدال الأصوات ذات المخارج المتقاربة : الأصوات ذات المخارج المتقاربة تسمى في علم اللغة أو الصوتيات "الأزواج المتقاربة" أو "الجزئيات الصغرى" و المراد بها كلمتان أو أكثر لا تختلفان إلا في صوت واحد، وهذا الاختلاف وظيفي حيث إنه يغير المعنى بما يدل على أن كلا المتبادلين صوت أصلي مستقل عن غيره، وهذا المفهوم يكون على أساس المعلومات الصوتية لمستوى النظام الصوتي، ويتم مسيرة التصحيح من خلال استماع المتعلم إلى المعلم وهو ينطق كل زوج، ثم يميزها المتعلم للتدريب على إتقان المتعلم لصفات التمييز لكل الأصوات المتقاربة.

٤- تسجيل الأصوات وتحليلها : تصحيح المعلم لأصوات الطلاب يتم من خلال طرق كثيرة منها تكرار التقليد للطالب بعد الاستماع إلى نطق المعلم وتكرار التقليد للطالب بعد الاستماع إلى صوت التسجيل وتقديم عرض بأخطاء الطالب للمعلم والتسجيل يمر بمرحلتين اثنتين "التسجيل من الطالب" و"التحليل من المعلم" . أما التحليل فهو من أهم المهام التعليمية، لأنه مدخل إلى معرفة عوامل قيام الطالب بأخطاء صوتية. و كيفية اكتشاف الأخطاء، لذا فمن الضروري الاستعانة بالبرامج العلمية خلال القيام بتحليل الأصوات.

- اختبار الأصوات الشامل: إن اختبار الأصوات هو نتائج تجربة تعليم المرحلة الصوتية ومدخل إلى مرحلة القواعد النحوية والأساليب اللغوية، ويجب الاهتمام به بعد تعليم الأصوات. فالأصوات اللغوية أساس اللغة وإتقانها بشكل صحيح يساعد الطلبة على تعجيل دراستهم للغة وتعمقها. (١) .

لعلاج مشكلات النطق يمكن رعاية الأمور الآتية في عملية تدريس التحدث عن طريق النطق الصحيح للأصوات العربية:

١- تزويد الطلاب ببعض المعلومات حول أجهزة النطق التي يوظفها الإنسان في عملية إخراج النطق في بداية مرحلة تدريس الأصوات العربية مع تمكينهم من توضيح للخلاف والتباين القائم بين الأنظمة والعادات الصوتية التي يتصف بها كل من العرب والصينيين بشكل عام، والهدف من ذلك أن يستعد الطلاب استعدادا نفسيا وسلوكيا للبدء بدراسة الأصوات.

٢- تزويد الطلاب بخطة وطريقة صحيحة يتم العمل على أساسها خلال التمرن على النطق وهي: الاستماع إلى نطق الأستاذ بانتباه. والنظر إلى وضعية شفتي الأستاذ بدقة. وتقليد ومحاكاة نطق الأستاذ قدر الإمكان. واستماع الطالب إلى نطقه ونطق التسجيل والمقارنة بينهما خارج وقت الدرس. والإكثار من التدريب على النطق. والبدء بدراسة الجمل القصيرة .

٣- اتباع خطة تقديم الحروف العربية في عملية التدريس حسب مخارج أصواتها أي يكون ترتيب الحروف في البرامج التدريسية من الأصوات الشفوية إلى الأصوات الحلقية من الشفاه إلى أقصى الحلق حتى يبدأ الطلاب بالأصوات السهلة النطق ثم يتدرجون إلى الأصوات الصعبة النطق.

٤- من أجل التفريق بين نطق الحروف المتقاربة المخارج يمكن استخدام الأزواج المتقارنة من الكلمات التي تشترك في جميع الأصوات إلا صوتا واحدا يراد تمييزهن ويبدأ التدريب على هذه الأصوات بأن يستمع الطلاب أولا إلى نطق الأستاذ لكل زوج ثم يكلف الطلاب التمييز بين الكلمتين.

---

(١)منصور هو يو شيانغ (٢٠١١). مشكلات تعليم الأصوات العربية للطلبة الصينيين ومعالجتها: المرحلة الجامعية المبدئية نموذجا المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين ، ص ص٧٢٨-٧٣٩.

إن نطق بعض الحروف العربية تكتنفه صعوبات معينة تقابل الطلاب الصينيين عند توظيفها حيث يصعب عليهم التأكد من مخارجها بشكل صحيح ونطقها على نحو سليم وفي هذه الحالة يحتاج الطلاب إلى تدريب متواصل وإرشاد صحيح حتى يجود نطقهم ويتخلصوا من هذه الصعوبات الصوتية. (١)

المحور الرابع:"التخطيط لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين": يتناول التحليل الاستراتيجى لأهم العوامل الاستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، من خلال تعرف فرص انتشارها، وتحديات نشرها، وجوانب الضعف والقوة فى نظم تعليمها. ويتناول البدائل الاستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين، وأخيرًا يضع الرؤية الاستراتيجية للتخطيط لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين. إن الوظيفة الأولى والأساس في التخطيط حلٌّ المشاكل اللغوية، وإيجاد معالجة ملائمة تكون الأفضل والأحسن، بالمقارنة مع غيرها. أي إن ما يُحدد اختيار خطة أو أخرى قيمتها وفعاليتها. وغالبا ما يُعرّف المشكل اللغوي باعتبار الاختيار اللغوي: حاجة بعض قطاعات الحكومة إلى تقرير اللغة أو التنوعات اللغوية التي ستُستعمل في المنظومة التربوية وسيطاً للتعليم، أو الإعلام، أو العدل، أو غير ذلك. وقد يُعرّف المشكل باعتبار تغيير نسق لغوي، أو تعديله بهدف عصرنة المعجم، مثلا، أو النحو أو النطق أو الخطاب. كما قد يتحدّد بالنظر إلى الحاجات المجتمعية، والأهداف السوسيواقتصادية من نوع نشر معلومات تتصل بقضايا التصنيع أو الفلاحة أو التخطيط العائلي.تطرح اللغة نفسها لدى أصحاب السلطة ـــ إن في الحاضر أو المستقبل ـــ كمشكلة سواء على المستوى المحلي أو الوطني، لاسيما وأن فئات مجتمعية مختلفة تسعى إلى الحفاظ على هويتها ومصالحها اللغوية وتجند نفسها بفعالية ـــ أحياناً بوسائل غير سلمية ـــ من أجل نيل الاعتراف بمساعيها. وهنا فأي دولة هي مدعوة للتعامل بشكل مباشر أو غير مباشر مع مثل هذه التحديات، فهي إما أن تحرص على تحقيق تعايش بين اللغات المتداولة فوق ترابها أو أن تنتهج سياسة تهميشية.لا يمكن دائما الاعتماد في حل الكثير من التوترات على التطور الطبيعي للغة وذلك بسبب التغيرات المتسارعة وتنامي ظاهرة اللاتجانس في المجتمع وكذا زيادة الوعي بتشابك العلاقات الدولية، لهذا تتوخى الكثير من الدول إيجاد حلٍّ لهذه المشاكل عن طريق تخطيط لغوي واعٍ٢

١-٤ مقترحات التطوير المنشودة فى تعليم اللغة العربية فى الصين: وفي سبيل رفع مستوى تعليم اللغة العربية في الصين، يمكن طرح بعض مقترحات التطوير: (٣)

١- تفهم أهمية اللغة العربية في القرن الحادي والعشرين من قبل الجانبين الصيني والعربي. تعتبر كل من اللغة العربية واللغة الصينية جسرا مهما للتبادل بين الأمتين الصينية والعربية، فيجب على حكومات الجانبين والجهات الوظيفية المعنية أن تعطي قضية تعليم اللغة العربية مزيدا من العناية والتأييد وتمول فيه أكثر، وتوسع الطرق المؤدية إليه.

٢-دعم التبادل والتعاون: يجب على حكومات الجانبين والجهات الوظيفية المعنية والجامعات والمعاهد الصينية والعربية دعم التبادل والتعاون فيما بينها، وبخاصة تفعيل وتنفيذ البنود المختلفة في الاتفاقيات.

٣-تطوير برامج السوفت وير لتعليم اللغة العربية ودراساتها، خاصة ما يتعلق بالمدرسين والكتب. وعلى الدول العربية أن تؤيد وتمول المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وتكلفها بالتنسيق والتعاون مع الجهات الصينية المعنية لتزويد الجامعات والمعاهد الصينية المعنية بالمواد والبرامج اللازمة، وإيفاد أساتذة أكفاء إلى الصين وتدريب وتأهيل المدرسين الصينيين، وتطوير البرامج المالتميديا التعليمية وتأليف الكتب المنهجية.

٤-إنشاء صندوق المكافأة لتعليم اللغة العربية ودراساتها. لتشجيع الأساتذة الصينيين الذين قدموا مساهمات بارزة في تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة العربية في الصين.

---

(١)ذكية لي نيغ (٢٠١١) مشكلة ضعف التعبير الشفوي باللغة العربية لدى الطلاب الصينيين: تشخيص وعلاج تدريسي. المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص٢٤٩-٢٦٠.

(٢) القحطاني سعد بن هادي(٢٠٠٢). التعريب ونظرية التخطيط اللغوي: دراسة تطبيقية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص٢٠.

(٣) تشن جى(٢٠١١).تدريس اللغة العربية في الصين الشعبية: مشاكل وحلول. جامعة الدراسات الدولية بشانغهاى ،الصين، ص ٨٧.

٥-المشاركة في المؤتمرات والندوات العلمية الدولية أو إقامتها. يجب تأييد ومساندة الأساتذة الصينيين للمشاركة في مختلف المؤتمرات والندوات العلمية الدولية، وينبغى أن تقام في الصين ندوة علمية دولية حول تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وذلك لاستعراض وبحث طرق التعليم ودعم التنسيق والتعاون بين الجانبين. فمع استمرار تطور وتعزز العلاقات الصينية العربية في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والاجتماعية وغيرها، تلقي اللغة العربية إقبالا أكبر في الصين، ومن ثم يستقبل تعليم اللغة العربية ودراساتها في الصين فرصا جديدة ويشهد تطورا جديدا. (١)

٦- تفعيل دور لجنة بحث تدريس اللغة العربية لعموم الصين: بإقامة مؤتمرات وطنية أو دولية بشكل منتظم لبحث طرق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، وإقامة اختبارات لغوية، وتقييم مستوى تدريس اللغة العربية لكل جامعة سنويا، والتقدم بالمقترحات أو الحلول للمشكلات التي تواجه تدريس اللغة العربية في الصين.

٧- البحث عن قنوات التمويل لضمان استمرارية تدريس اللغة العربية في الصين: فإذا توفرت مبالغ التمويل، بإمكان أقسام اللغة العربية أن تقوم بالبحوث العلمية، وإصدار المجلات الخاصة بطرق تدريس اللغة العربية، وبناء المختبرات اللغوية وإرسال المعلمين إلى الدول العربية في إطار مشروع بحث وتنظيم اختبارات لمستوى اللغة العربية.

٨- زيادة الاتصالات مع سفارات الدول العربية لدى الصين وكسب دعمها : لزيادة التبادلات الثقافية بين الجانبين. بدعوة السفراء العرب أو المستشارين لإلقاء محاضرات على الطلاب في الجامعات حول موضوعات عديدة من بينها كيفية دراسة اللغة العربية وثقافتها فهذا سيرفع معنوية الطلاب في التعمق في دراسة اللغة العربية.

٩- إرسال معلمين إلى الجامعات العربية للتعمق في دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها: بدأ ينخرط في سلك تدريس اللغة العربية أيضا معلمون شبان، وهم تنقصهم الخبرات الكافية في التدريس، ومستوى لغتهم مازال يحتاج إلى التقدم. فربما يكون أفضل خيار هو إرسالهم إلى الجامعات العربية بصفتهم باحثين زائرين. فخلال تعايشهم مع العرب، سوف يعيشون حقيقة المجتمع العربي ويستطيعون أن ينقلوا إلى الطلاب

٢-٤ التحليل الاستراتيجي لتطوير تعليم اللغة العربية في الصين (فرص انتشارها/ تحديات نشرها/ جوانب الضعف/ والقوة في نظم تعليمها)

فرص انتشار اللغة العربية في الصين : في ظل الاعتبارات الإستراتيجية يحاول العرب رسم مستقبل أفضل لعلاقاتهم مع الصين وفقا المصالح العربية التي يتوقع العرب أن تقوم الصين بدعمها، وتساعدهم على تحقيقها على مختلف المستويات وفي مختلف المجالات. والمصالح الصينية التي يعتقد العرب أنهم قادرون على التعاون مع الصين لتحقيقها على مختلف المستويات وفي مختلف المجالات. ومن أبرز المنافع العربية في السنوات العشر القادمة : تتمثل فيما يأتى:

١- تشجيع التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما يحقق استقرارا سياسيا ويعالج نسبة كبيرة من مشاكل الفقر والبطالة في معظم البلاد العربية.
٢- تطوير دور العرب في رسم مستقبل الشرق الأوسط وسياسات النظام الدولي، لبناء نظام دولي يتمتع بالنزاهة والعدالة، وأن يتحقق للعرب مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي.
٣- دعم الموقف العربي والفلسطيني تجاه الأزمة في الشرق الأوسط.
٤- تطوير التعاون العربي — الصيني في مجالات الأمن بما يحقق التوازن مع التواجد الأمريكي والأوربي، ويحافظ على حماية مصادر الطاقة فيه لحماية الحضارة الإنسانية والتطور الصناعي الدولي، وبما يحقق النماء والاستقلال.
٥- الاستفادة من تطور القوة الاقتصادية الصينية ونفوذها السياسي في تحجيم اتجاهات الهيمنة في السياسة الأمريكية المعاصرة، خاصة في سياسات النظام الدولي تجاه الشرق الأوسط.

---

(١)عمار تشانغ هونغ(٢٠١١). تعليم اللغة العربية في الجامعات الصينية. المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص ١٥٨-١٧٤.

٦- المساعدة في تطوير الصناعة والتكنولوجيا في الوطن العربي، بما يحقق اقتصادا صناعيا متناميا، ويطور استخدامات التكنولوجيا فيها، ويوطن الصناعات التكنولوجية.

٧- الاستفادة من تجربة الصين في تحقيق معدلات مرتفعة للتنمية الاقتصادية ومعالجة مشكلتي الفقر والبطالة في الوطن العربي.

٨- الاستفادة من القدرات والخبرات العسكرية الصينية في تطوير القدرات العسكرية العربية التقليدية منها وغير التقليدية لدعم اتجاه التوازن الإستراتيجي للعرب مع إسرائيل وكذلك في مجال تكنولوجيا التصنيع العسكري.

٩- تطوير التعاون العربي — الصيني لبلورة سياسة حكيمة في التعامل مع ظاهرة الإرهاب الدولي، ووضع إستراتيجية مشتركة مع العرب لإقرار هذه التوجهات في الأمم المتحدة.

ومن المنافع الصينية التي يمكن للجانب العربي أن يعمل على تحقيقها:

١-التعاون الاقتصادي على صعيد فتح الأسواق العربية وتطبيق أنظمة الإعفاءات الجمركية المتبادلة مع الصين.

٢-استفادة الصين من النفط والغاز العربي "الطاقة" دون المرور عبر معبر السياسة الأمريكية أو الغربية.

٣-دعم الصين كقوة دولية اقتصاديا وسياسيا في منظومة النظام الدولي خاصة في ظل النفوذ الهائلة لتكتل الدول الصناعية الثمانية في التجارة والاقتصاد والسياسة الدولية التي ليست للصين فيها أي دور.

٤-فتح المجال للتبادل والتلاقح الثقافي بين الصين والعرب وتحقيق الإسهام المشترك لمنع اندلاع ما يسمى بصراع الحضارات، ودفع العالم نحو توفير قواعد التنافس والتعاون والحوار الحضاري بعيد المدى كإستراتيجية إنسانية عامة.

٥- فك العزلة الثقافية للصين في النظام الدولي في ظل هيمنة الحضارتين الأمريكية والأوربية "الحضارة الغربية" على السياسات الثقافية والتعليمية والاجتماعية للنظام الدولي ومؤسساته المختلفة.

مشكلات وتحديات تعليم اللغة العربية فى الصين: إن تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، هي عملية ذهنية واعية لاكتساب السيطرة على الأنماط الصوتية والنحوية والمعجمية عبر دراسة هذه الأنماط وتحليلها. فتعلم اللغة يستند إلى الفهم الواعي لنظام اللغة كشرط لإتقانها، فالكفاية المعرفية سابقة على الأداء اللغوي وشرط لحدوثه. (١) فالطالب يلزم بحفظ وترجمة المفردات. فيهتم بحفظ ما في الكتب من كلمات وجمل وتراكيب، دون الاهتمام بتوظيفها في مواقف عملية. ومن ثم تمثلت أغلب هذه الصعوبات فى مناهج تدريس اللغة العربية للصينيين وما تشتمل عليه من طبيعة المعلم والمتعلم والمحتوى التعليمى وطرائق التدريس وسبل التقويم . وقد انعكست هذه الصعوبات على أداء مهارات اللغة العربية عند الصينيين ، وفيما يأتى بحث واقع هذه الظاهرة . (٢). مشكلات تعلم نطق الأحرف العربية للطلبة الصينيين:أولا: تأثيرات اللهجات المحلية الصينية في تعلم نطق الأحرف العربية: تشتهر الصين بترامي الأطراف ووفرة القوميات، فيتكلم أهالي المناطق المختلفة باللهجات المتباينة ذات الخلافات الشاسعة، مما يجعل الطلبة المتقدمين من أنحاء البلاد يحيطون بالمشكلات المختلفة في دراسة نطق الأحرف العربية. فتجلب هذه الصفة مشاكل كبيرة لتعلم نطق الأحرف العربية للطلبة الصينيين، وتؤدي إلى مشكلات الخلط بين الأحرف المتشابهة النطق. ثانيا: مشكلات في تعلم نطق بعض الأحرف العربية الصعبة : في المجال النفسي، ما إن سمع بعض الطلبة الصينيين النطق الغريب الذي يندر أو لا يوجد في اللغة الصينية حتى شعروا بعجزهم عن تقليدها وإجادتها، مما يثير المشكلة من النفس. مثلا، عندما يسمع الطلبة الصينيون الراء والقاف والغين، يشعرون بأن ألفاظ هذه الأحرف الثلاثة ألفاظ غريبة. فيظنون أنهم لا يستطيعون أن يلفظوا هذه الأحرف، الأمر الذي يترك حاجزا في دراسة نطق اللغة العربية، ويؤثر على التعليم والدراسة. ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى، توجد المشكلات من العناصر الجسمية. لأن بعض الأحرف العربية الصعبة لا يوجد في اللغة الصينية، فتنقص بعض الطلبة خبرة وإحساس لفظها، مما

---

(١)طعيمة، رشدي أحمد ، (٢٠٠٣)، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ، منشورات الإيسسكو، الرباط ، المغرب ص ١٣٩.

(٢) أياد عبد الله، باشا أبو بكر، وأحمد باغدوان(٢٠١١). تعليم وتعلم اللغة العربية في ماليزيا بين التحديات والطموح.المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية آفاق وتحديات ماليزيا والصين، كلية اللغة العربية، جامعة الدراسات الأجنبية ببكين، الصين، ص ص ٧٤-٩٦.

يجعلها يعجزون عن تدريب أعضاء النطق للفظها. ثالثا: التأثيرات السلبية للألفاظ الصينية في تعلم نطق الأحرف العربية : تمتاز تأثيرات اللغة الأم بوجهين: التأثيرات الايجابية والتأثيرات السلبية. وإذا يوجد نطق احد أحرف اللغة الأم المتشابهة مع حرف عربي ما يختلف نطقه عن ذلك الحرف الصيني قليلا، فيشوش ذلك حرف اللغة الأم نطق الحرف العربي الأصلي. على ذلكن فلا تستطيع اللغة الصينية أن تتخلص من التأثيرات السلبية في تعلم نطق الأحرف العربية. بينما تظهر تأثيرات الانجليزية السلبية في السنوات الأخيرة، إذ أن الطلبة الصينيين في العصر الحديث الذي يتخصصون بالعربية يلتحق بالجامعة عن طريق الامتحانات الصارمة، ومن بينها الامتحان الانجليزي، وقد درس الطالب اللغة الانجليزية قبل ذلك للفترة الطويلة التي تتراوح بين ست سنوات وعشر سنوات، فوضع المهارات الانجليزية الجيد. وفي ظل هذه الخلفية، فتتأثر دراسة اللغة العربية بالألفاظ الانجليزية المماثلة.

أ- اختلاف النطق بين اللغة العربية واللغة الصينية الأم: إن اللغة العربية ذاتها معروفة بلغة الضاد، وهذا يدل من جهة على صعوبة النطق بالأحرف العربية. بالنسبة إلى المبتدئين الصينيين في تعلم اللغة العربية، يصعب عليهم أن يتقنوا النطق بالأحرف العربية كلها بالطريقة الصحيحة رغم بذلهم جهودا بالغة، فنطق بعض الحروف العربية مثل "ض"، "ط" أصبح متعسرا عليهم، مما اثر تأثيرا سلبيا في نفسيتهم وجعلهم لا يجرؤون على مجابهة الصعوبة، وذلك يتجسد في خجل التعبير وعدم الرغبة في مواصلة عملية التعلم.

ب- اختلاف تركيب الجملة بين اللغة العربية واللغة الصينية الأم: هناك شئ آخر هو أن تركيب الجملة بين اللغتين مختلف إلى حد كبير، فاللغة العربية تميل إلى المبادرة إلى التعبير عن المركز المقصود في ترتيب الكلمات، فيتقدم المضاف على المضاف إليه. والموصوف على الصفة، صاحب الحال على الحال، لكن نجد اللغة الصينية الأم عكس ذلك، فعلى سبيل المثال، اللغة العربية تقول: "ذهب إلى ميدان الجامعة"، لكن أصبحت ترجمة هذه الجملة إلى الصينية، ما يتبادل إلى ذهنه هو أن هذا الرجل ذهب إلى الجامعة. ومن هذا يتضح الاختلاف في تركيب الجملة في اللغتين. وقد يرجع السبب إلى تباين عقلية الشعبين الصيني والعربي. فالمدرسون لابد أن نجعلهم يتعودون على التحول والتنقل بين هاتين العقليتين عبر طرق معينة، لكن هذا صعب ولاسيما في بداية عملية التعلم. ومعظم المدرسين يحاولون إنجاح ذلك من خلال خبرتهم المتراكمة، لكن تنقصهم الطرق العلمية المدروسة.

ج- عدم كفاءة الخبراء العرب : الخبراء العرب المتواجدون في أقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية تنقص بعضهم كفاءة التدريس. وهذا يتمثل في جوانب، الأول انهم لا يعرفون طرق التدريس الحديثة، ولاسيما كيفية تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، حتى أن بعضهم ليست لديهم ممارسات تدريسية في المدرسة، بل الخبرة التدريسية وفن التدريس. الثاني أن الخبراء العرب يفتقرون إلى الحماسة وحب مهنة التدريس وحب الطلاب ونية التبادل معهم بعد الدرس ومساعدتهم على حل المشاكل اللغوية المتنوعة. الثالث أن دائرة معارفهم ضيقة، لنأخذ قسم اللغة العربية في جامعة الدراسات الدولية بشانغاي .

د- نقصان المعامل اللغوية : نظرا لمحدودية المخصصات لأقسام اللغة العربية في الجامعات الصينية، فلا تتوافر الموارد المالية لإنشاء المعامل اللغوية الكافية لغرض تمرينات الطلاب اللغوية، مما أفضى إلى تدني مستوى الطلاب اللغوي متجسدا في ضعف الاستماع والحوار. فأصبحت كيفية بناء معامل لغوية كافية تمشيا مع متطلبات الطلاب المتزايدة مشكل تجدر بالبحث.

هـ - تنقصان المساعدات المادية والمعنوية من قبل الحكومات العربية :هناك برامج تعاون ثنائية بين الحكومة الصينية والحكومات العربية في تبادل الطلاب الوافدين، ونفذ بعضها بشكل منتظم وقد أتت بالنتائج المرجوة منها، لكن بعضها الآخر يبقي حبرا على ورق ولم يترجم إلى فعل. والسبب الرئيسي وراء ذلك أن بعض الوزارات العربية المعنية لم تول اهتماما لازما له، حتى أن هناك وزارة خليجية وضعت شروطا صارمة في عملية اختيار الطلاب الوافدين، مثل فرض شرط الحصول على درجة في اختبار "TOFEL" الانجليزي، فالمساعدات المقدمة من جهة الحكومات العربية لأقسام اللغة

العربية في الجامعات الصينية ضئيلة جدا ولا تليق بمكانة اللغة العربية في الجامعات الصينية ضئيلة جدا ولا تليق بمكانة اللغة العربية بين لغات العالم بصفتها لغة عاملة في هيئة الأمم المتحدة.

و- نقصان الترتيبات بين مختلف أقسام اللغة العربية في الصين في تأليف الكتب المدرسية فرصدت كل من جامعة بكين وجامعة الدراسات الدولية ببكين وجامعة الدراسات الدولية بشانغهاي موارد لتأليف كتبها المدرسية بمفردها. تكون هذه الجهود محمودة، لكن لكونها متناثرة، قد لا تأتي بالنتائج المرجوة، فبقية أقسام اللغة العربية في الصين إما تستخدم الكتب المؤلفة من قبل جامعة بكين، وإما الكتب المؤلفة من قبل جامعة الدراسات الدولية ببكين، وإما الكتب المؤلفة من قبل جامعة الدراسات الدولية بشانغهاي، مما يزيد من صعوبة تنظيم الاختبار اللغوي .

ويمكن إجمال أهم عوامل التحليل الاستراتيجى فى النقاط التالية:

الفرص المتاحة لتعليم اللغة العربية فى الصين:هناك العديد من الفرص المتاحة لتعليم اللغة العربية فى الصين ، ويمكن إجمالها فيما يأتى :- انتشار الإسلام فى الصين وكثرة عدد المسلمين بها.- توافق رغبة الحكومة الصينية والدول العربية فى انتشار اللغة العربية، تدعيما للعلاقات العربية الصينية .- كثرة عدد السكان فى الصين وزيادة اقبال الصينين على تعلم العربية.- توا فر الخبراء والمعلمين العرب والصنيين فى مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.- وجود هيئات صينية كالمؤسسات التربوية و لجنة بحوث تدريس اللغة العربية ومجمع اللغة العربية بالصين.

التحديات التى تواجه تعليم اللغة العربية فى الصين:- قلة المواد المالية الصينية.- قلة المساعدات المادية والدعم المعنوى من الدول العربية.- تنافس اللغات الاجنبية الاخرى،وكفاءة برامجها.- غموض السياسة اللغوية لنشر اللغة العربية فى الصين.- ضعف تنفيذ التبادل والتعاون الثقافى بين الصين والعالم العربى . - الافتقاد للتخطيط اللغوى الفعال وغياب استراتيجية التطوير.- نقص البحوث والدراسات العلمية فى مجال التقابل اللغوى بين العربية والصينية.

نقاط القوة فى نظام تعليم اللغة العربية فى الصين: يمكن رصد نقاط القوة فى تعليم اللغة العربية فى الصين فيما يأتى: - زيادة عدد أقسام اللغة العربية ومؤسساتها بالصين-زيادة إقبال الطلاب الصينيين الملتحقين ببرامج تعليم اللغة العربية بالمؤسسات التربوية فى الصين-منح الجامعات الصينية درجة الدكتوراه فى اللغة العربية وآدابها-الاتفاقيات بين الدول العربية والصين فى مجال تعليم اللغات-تنوع مؤسسات تعليم اللغة العربية فى الصين-توافر المناهج الدراسية بالمؤسسات التربوية فى الصين.

جوانب الضعف فى نظام تعليم اللغة العربية فى الصين:لا يخلو نظام تعليم اللغة العربية فى الصين من جوانب الضعف يمكن حصرها فيما يأتى:-ضعف التنسيق والتكامل بين المؤسسايت التربوية الصينية فى تعليم اللغة العربية.- قلة توافر المعلمين الكفء ، وضعف تأهيلهم-ندرة مسايرة المناهج الدراسية للعصر الحديث وحياة الدارسين،وتلبية رغباتهم واحتياجاتهم.- قصور نظام التقويم ، وافتقاده لاختبار قياسى معيارى-قصور توافر المعامل اللغوية.- صعوبة تعلم الأصوات العربية للصينيين.- ندرة برامج تعلم مهارة استماع العربية للصينيين.- ندرة برامج تعلم مهارة التحدث للصينيين.والتدريب على النطق العربى السليم.

٣-٤ الرؤية الإستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية في الصين:وضعت الدراسة أبعادًا محددة لعرض الرؤية الإستراتيجية لتطوير تعليم اللغة العربية فى الصين يمكن حصرها فيما يأتى:-وجود كيان مؤسسى بالصين للتخطيط والتطوير لتعليم اللغة العربية بها.- ايجاد مصادر بديلة للتمويل مشروعات تعليم العربية للصينيين.- اجراء بحوث فى مشكلات تعلم الصنيين اللغة العربية.- تصميم برامج فى مهارات اللغة العربية للصنيين.- انشاء دبلوم اعداد معلم اللغة العربية للصنيين فى الجامعات الصينية.- تجديد نظم التقويم لبرامج تعليم العربية للصينيين.- ابتكار سياسات تحفيزية للمتميزين من الصنيين المتقنين للعربية.

البعد الأول: وجود كيان مؤسسى بالصين للتخطيط والتطوير لتعليم اللغة العربية من خلالنموذج التخطيط اللغوي المقترح التالى: **أولا: الجانب الإداري** للسياسة اللغوية في تعليم اللغة العربية وتشمل المنفذين والمهتمين بالعربية والتعريب

من مثل: النخبة، وأصحاب النفوذ، ورجالات الدولة، ومجس الوزراء، وصانعي القرارات، وراسمي السياسات، والجامعات، والمدارس، والقطاع العام والخاص. **ثانيًا: الجانب التسويقي لتعليم اللغة العربية**. ويشتمل هذا الجانب على ما يأتي:

١- المنتج : اللغة العربية.٢- الترويج : إظهار أهمية اللغة ودوافع تعلمها.٣- المكان: الصين. ٤- الثمن والتكلفة: الخطة المالية. ٦- الأشخاص: الطلاب الصينيين.

ثالثًا:الجانب السياسي للخطة اللغوية لتعليم اللغة العربية: وتشتمل على من يربح ومن يخسر في استعمال العربية وشيوعها؟ ومتى يربح ومتى يخسر؟ ولماذا يربح ولماذا يخسر؟ من يؤثر ومن يتأثر؟ ومن ينفر ومن يجيب بمشروع تعليم اللغة العربية. كيف نكسب الدعم المادي والمعنوي لتعليم اللغة العربية؟.

رابعًا: الجانب المتعلق بوضع القرار المتعلق بالعربية ويشمل هذا الجانب: على من يصنع القرار اللغوي، مـاذا يصنع؟ وكيف يقرر؟ ومتى يخالف ومتى يوافق في السياسات اللغوية؟ وما وسائل القوة والإقناع عند رسم السياسة اللغوية المتعلقة بالعربية والتعريب؟ وما النتائج المترتبة على مشروع تعميم العربية والتعريب؟ وما الكلفة والفائدة للأمة والأوطان؟

البعد الثاني: إيجاد مصادر بديلة للتمويل مشروعات تعليم العربية للصينيين:

.الاهتمام بنشر الثقافة العربية خارج العالم العربي عن طريق دعم تدريس اللغة العربية: إن الحكومات الطموحة في العالم تنجح من خلال تطوير اقتصادها ونشر ثقافتها عالميا كإستراتيجية ثقافية من منظومة استراتيجياتها، فالدول الغربية – وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية– تهتم بتصدير ثقافتها العصرية ومع أن هذه الثقافة ينقصها العمق التاريخي، وتهتم كوريا الجنوبية بتصدير ثقافتها المتميزة إلى الخارج من خلال أفلامها وأغانيها التي تعطى أنحاء العالم. وتهتم الصين أيضا — خلال السنوات الأخيرة — بنشر ثقافتها الباهرة في العالم، فأسست الحكومة الصينية العديد من معاهد كونفوشوس. أما الحكومات العربية فليس لها أي مجهودات تذكر في هذا المجال. فربما يشغل بالها إحلال السلام في منطقة الشرق الأوسط أو تطوير الاقتصاد والتجارة على حساب الاهتمام بنشر الثقافة العربية خارج العالم العربي. انطلاقا من هذا ، نتساءل: هل يمكن وضع تخطيط لغوي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من خلال منظمة مكلفة من قبل الجامعة العربية أو تلك الدول التي لها إيرادات وافرة مثل الخليجية منها بتحمل مسؤولية نشر الثقافة العربية في العالم؟ أو تقوم الدول العربية بالتنسيق والتعاون بهذا الصدد، فالغني منها يقوم بالتمويل، والآخر يقوم بإرسال أكفاء متخصصين لتنفيذ الإستراتيجية؟ إذا صممت الدول العربية على القيام بهذه المسؤولية المجيدة، فأول خطوة يجب اتخاذها هي القيام بدعم تدريس اللغة العربية خارج العالم العربي، لأن اللغة حاملة الثقافة، ومن ثم فيجب أن تهتم الدول العربية كأمة ذات لغة واحدة ودين واحد وثقافة واحدة بنشر ثقافتها الباهرة في الخارج.

البعد الثالث: إجراء بحوث فى مشكلات تعلم الصنيين اللغة العربية:

إن عدد الأبحاث والدراسات حول مجال تعليم اللغة العربية للطلاب الصينيين ينبغى ان تركز اهتمامات البـاحثين علـى طرائق التعليم من حيث هيكل علم اللسانيات والمهارات اللغوية. ويعني هيكل علم اللسانيات تركز الدراسات التعليمية على أساس فروع علم اللغة أو اللسانيات مثلا الألفاظ أو التصريف والقواعد وغيرها من مواضيع علم اللغة.

البعد الرابع : صميم برامج فى مهارات اللغة العربية للصنيين:إن المهارات اللغوية هي القدرات اللازمة لاكتساب اللغة أو تعلمها وإتقانها مثل: الاستماع أو المحادثة أو القراءة أو الإنشاء أو الترجمة الكتابية والشفوية، وينبغى في الصين ان تتوجه الأبحاث العلمية في مجال تعليم مهارات اللغة العربية الى وضع برامج الكترونية لتعليم المهارات بطريقة تفاعلية باستخدام المنهج التواصلى.

البعد الخامس: إنشاء دبلوم اعداد معلم اللغة العربية للصنيين فى الجامعات الصينية:خلق فرص العمل لمن يتقن اللغة العربية في الميادين المختلفة مثل الدبلوماسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والدينية ، فالطلاب الجامعيون الذين يتعلمون اللغات الأجنبية وآدابها كتخصص دائما يأملون في الحصول على فرص العلم التي تستخدم اللغة العربية. فمدى تحقيق ذلك يعتبر مقياسا لآفاق تدريس اللغة العربية في الصين. إذا وجد طالب جامعي ما في الصف الرابع عملا يستخدم فيه العربية كوسيلة للرزق، فهذا بمثابة تشجيع لطلاب الصف الثالث حتى طلاب الصف الأول. إذا لقى تخصص اللغة العربية في سوق

العمل برودا، فها بمثابة صدمة للطلاب في قسم اللغة العربية. من حسن الحظ أن تخصص اللغة العربية يتزايد الإقبال عليه في سوق العمل الصينية، ومعظم طلابها ينخرطون في سلك الدبلوماسية والتجارة الخارجية والعمالة المصدرة والصحافة بعد تخريجهم، لكن من المؤسف أنه يتبقى منهم طلاب آخرون نسبتهم إلى الكل حوالي ٤٠% حسب إحصاءات قسم اللغة العربية بجامعة الدراسات اللغوية بشنغهاي. لدى يجب أن تخلق لهؤلاء الطلاب فرص عمل كافية للدلالة على قيمة تعلم اللغة العربية، وليس العكس ويبدو الأمر أكثر إلحاحا في ظل الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية.

البعد السادس: تجديد نظم التقويم لبرامج تعليم العربية للصينيين:

تنظيم اختبارات موحدة عالميا للمستوى اللغوي لغير الناطقين بها وعلى درجات مختلفة: هل من الضروري تنظيم اختبارات موحدة عالميا للمستوى اللغوي لغير الناطقين بها؟ الجواب هو "نعم". لتمتد أنظارنا إلى لغات العالم الأخرى. فالانجليزية واليابانية والألمانية والفرنسية والصينية كلها لها اختبارات موحدة عالميا. بعيدا عن المكاسب المادية، فالاختبارات الموحدة يمكن أن تحقق أهدافا سامية مثل رفع مكانة اللغة العربية في العالم ، ونشر الثقافة العربية الإسلامية، وبالتالي زيادة التبادلات والاتصالات من خارج العالم العربي.

البعد السابع: ابتكار سياسات تحفيزية للمتميزين من الصنيين المتقنين للعربية:

إنشاء صندوق بين مختلف الدول العربية لدعم تدريس اللغة العربية في الصين والاهتمام بإرسال خبراء أكفاء لتحمل مهمة تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، فمع ازدياد التعاون بين الصين والدول العربية في جميع المجالات، لقيت اللغة العربية رواجا بين الجامعات الصينية، فأقبل الطلاب على تعلمها، بل ويتدرج بعضهم إلى درجة الدكتوراه في اللغة العربية أو آدابها أو الدراسات الشرق الأوسطية. نظرا لهذا الإقبال وهذه الحماسة في تعلم العربية في الصين، هل يصبح من الواجب أن تفكر الحكومات العربية في إنشاء صندوق لدعم تدريس اللغة العربية؟ الواقع أن بعثة جامعة الدول العربية تهتم اهتماما بالغا بالتبادلات بين الطرفين، وقد اتخذت بعض الترتيبات، لكن، أظن شخصيا أن هذه الاهتمامات لا تكفي والترتيبات لا تفي بالحاجات المتزايدة، ويجب أن تترجم حسن النية في توسيع التعاونات الثقافية بين الطرفين إلى أفعال عملية مثمرة. فإنشاء صندوق لدعم تدريس اللغة العربية ربما يكون أجدى وأفيد. أضف إلى ذلك الاهتمام بإرسال خبراء أكفاء لتحمل مهمة تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، والسبب قد سبق توضيحه.

الآليات التى توصى الدراسة بتطبيقها:

١- الدعوة إلى إنشاء مجلس أعلى للغة العربية لدى جامعة الدول العربية. لتنسيق سياسات الأقطار العربية وجهودها في النهوض باللغة العربية.

٢- دعوة الدول العربية إلى اتخاذ قرار ملزم باستخدام اللغة العربية في كل المجالات ومخطط مرحلي لا يتجاوز عشر سنوات.

٣- دعوة الحكومة الصينية والمنظمات والهيئات والاتحادات أهمية تعلم وسائر مكونات المجتمع المدني إلى العمل الجاد على اللغة العربية للصينيين من أجل التواصل مع الدول العربية وتنمية الاقتصاد الصيني وتحسين العلاقات السياسية، وذلك بكل الوسائل والنطق الممكنة بما فيها المهرجانات ورفع الشعارات والتوعية عبر المدارس والجامعات ووسائل الإعلام ونوادي الشباب والثقافة.

٤- دعوة الجامعات ومراكز البحوث العربية إلى مزيد العناية باللسانيات الحاسوبية بحثا وتطبيقا وتدريسا وتأهيلا، بما يساعد على تعليم اللغة العربية للناطقين بغيها.

٥- دعوة الجامعات الصينية لرفع مستوى الاتفاقيات مع الجامعات العربية في مجال تعلم اللغة العربية وتوثيق العلاقات الثقافية.

٦- دعم الجهود التي تبذلها المجامع والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأجهزتها المختصة في مجال نشر اللغة العربية للأجانب.

٧- ضرورة تطوير طرائق تدريس اللغة العربية للأجانب وأساليبها وذلك في اتجاه جعل المتعلم محور العملية التعليمية، وإكسابه المهارات اللغوية الأساسية متكاملة، وتنمية قدراته على استخدام اللغة أداة طيعة للتعبير الوظيفي والإبداعي تحدثا وكتابة.

٨- بعث فريق عربي متخصص في تدريس اللغة العربية للأجانب من مهامه رصد التجارب الصينية الرائدة والتعريف بها وتأمين تعاون تربوي فعال بين الأقطار العربية والصين في مجال تدريس اللغة العربية للأجانب.

٩- تنظيم العلاقات العربي الصينية في مجال تدريس اللغة العربية أدوار كل الأقطار العربية في وضع المناهج والتخطيط اللغوي.

١٠- دعوة الجهات الوطنية والإقليمية المعنية — وفي مقدمتها الجامعات والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة — إلى الاهتمام بنشر اللغة العربية بين الناطقين بغيرها وخاصة في الصين.

١١- ضرورة دراسة جهود المسلمين الصينيين في نشر اللغة العربية، وثقافتها في الصين.

١٢- ضرورة الكشف عن الأغراض والدوافع الصينية في تعلم اللغة العربية وتنميتها.

١٣- ضرورة وضع خطة إستراتيجية قابلة للتنفيذ، لنشر اللغة العربية وثقافتها في الصين تسايرا مع تطور العصر الجديد ونمو العلاقات العربية الصينية.

١٤- إن تعليم اللغة العربية في الصين لا مازال يحتاج إلى التطوير، ومعاونة الدول العربية لدعم الجهات والمنظمات التربوية في علاج مظاهر الضعف اللغوي في معلم اللغة العربية للصينيين. وتزويدهم الجهات والمنظمات التربوية في الصين بالمناهج والحديثة والخبراء والمتخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والدعم المادي والمعنوي لها.

١٥- ضرورة دعم مشاريع التأليف والترجمة في حقل الثقافة الإسلامية واللغة العربية سواء في الجامعات الرسمية أم في المدارس العربية الإسلامية الأهلية.

١٦- ضرورة دعم مشاريع البحوث العلمية في معالجة صعوبات تعلم اللغة العربية في الصين.

١٧- ضرورة دعم كليات اللغة العربية في الجامعات الصينية والمجامع الأكاديمية بإنشاء مراكز تعلم اللغة العربية وثقافتها حيث أن دعم العرب لهذه الجهات ضئيلة جدا بالنسبة إلى الدول الأخرى مثل الغرب واليابان في دعم مشروع نشر لغاتهم.

١٨- ضرورة إنشاء صندوق الثقافة الإسلامية واللغة العربية لتشجيع المساهمين البارزين مسلم أو غير مسلم على القيام بالبحوث والتطوير في حقل نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية.

١٩- ضرورة القيام بالدورات وفتح مواقع الإنترنت لنشر الثقافة الإسلامية وتعليم اللغة العربية للناطقين باللغة الصينية بأحسن طريقة.

سعد بن أبي وقاص في الصين

أ. د. محمد بهجت قبيسي(*)

نبأٌ لم يأتِ عليه الإخباريون العرب لا من قريب ولا من بعيد، وهو أنّ قبر سعد بن أبي وقاص في مدينة كـــانتون في أقصى شرق الصن. نبأٌ أتانا من الصين نفسها أنّ قبر سعد بن أبي وقاص في الصين(١)، وكذلك ابنه. إذن، فإنّ هجرة سعد بن أبي وقاص إلى الصين أصبحت حقيقة لا مراء فيها، ولا سيّما أنّه لا يوجد قبر معروف لسعد بن أبي وقاص في المدينـــة المنوّرة، أو مكّة، أو الكوفة، أو أراضي العراقين، أو بلاد الشام، أو إيران.



منظر عام لضريح قبة ابن سعد بن أبي وقاص

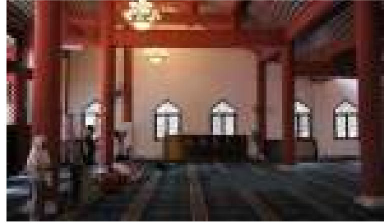


داخل ضريح سعد بن أبي وقاص

وفي شبكة الأنترنت نجد المقال التالي والمؤرّخ في ١٤ سيتمبر (أيلول) ٢٠١٠:

الصين ترمم قبر سعد بن أبي وقاص لأهميتهالتاريخية

أعيد افتتاح قبر الصحابيالجليل سعد بن أبي وقاص يوم الاثنين وسط مراسماحتفالية دينية مهيبة بعد أن استغرقت أعمال ترميمه ستة أشهر في مدينة قوان جيتشو (اسمها القديم كانتون)جنوبي شرق الصين(٢).



وحضر الحفل وانغ ون جيه رئيس الجمعية الإسلامية في قوان جيتشو، الذي قال أنترميم هذه القبر التاريخي يلعب دوراً ايجابياً في تجسيد الصداقة الصينية – العربيةالتي تضرب جذورها في عمق التاريخ وفي تقديم افضل الخدمات الدينية لعشرات الآلاف منالمسلمين المشاركين في الألعاب الآسيوية التي ستنطلق فعالياتها في المدينة يوم ١٢نوفمبر المقبل. وسعد ابـــن أبي وقاص أحد صحابة الرسول محمد ﷺ وهو أول داعية عربي مسلم معترف به عند المؤرخين الصينيين، ومن هنا يمكن القول أنّهمؤسس الإسلام في الصين وصاحب الفضل الكبير في نشر الدعوة الإسلامية في البلاد. ويعدّ القبر، الذي يعود تاريخه إلى ما قبل ١٣٥٠ عاماً، أثراً مهماً على امتدادطريق الحرير البحري الذي بدأ من قوان جيتشو، ويجتذب المسلمين الصينيين والأجانب يومياًلزيارته والدعاء لهذا الصحابي الجليل والداعية العظيم. وبفضل أعمال الإصلاحوالترميم توسّعت مســـاحة القبر إلى ١٠٧٧ متراً مربعاً مع بلوغ مساحته البنائية ١٩٩٥ متراًمربعاً، وبنيت قاعة صلاة جديدة في القبر من أجل الوفاء باحتياجات المسلمين أثناءفعاليات الألعاب الآسيوية.

(*) المدير العام لمؤسسة شمأل للدراسات اللغوية والتاريخية.

(١) محمد علي مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير (تدمر)، ص٢٤. وفيليب حتي، تاريخ العرب، ص ٤١٢. وهما من أهم المراجع التي وصلتنا منذ عام ١٩٩٠ وذلك قبل ذهاب مجلة العربي للتحقيق بذلك في بدايات القرن الواحد والعشرين الحالي.

(٢) جاء على الشابكة (الأنترنت): مدينة كانتون (Canton) والتي تسمى اليوم (كانزو)، والموجودة جنوب شرق الصين في مقاطعة اسمها (Guangdong). ويقطن المدينة ثلاثة ملايين نسمة، وتعتبر مركزاً تجارياً وصناعياً كبيراً.

وذكر وانغ قوان شيويه الإمام ونائب رئيس الجمعيةالإسلامية في قوان جيتشو أنّ القاعة تتسع لثلاثـــة آلاف مصـــلّ، مضيفاًأنّ " العدد اليومي للمصلين هنا يتراوح بين ثمانية آلاف وعشرة آلاف شخص، وبناء هذه القاعة يسهل علينا تقـــديم الخدمة الدينية للمسلمين، لاسيما في فترة الألعاب الآسيوية". وأفاد خه وي نائب رئيس مصلحة الشؤون القومية بالمدينـــة بأنّهسيتم تخصيص أماكن خاصة للنشاطات الإسلامية في قرية الرياضيين، مؤكداًأنّ المدينةتولي بالغ اهتمامها بتقديم الخدمة الدينية للمسلمين الصينيين والأجانب الذين سيتدفقكثيرون منهم إليها أثناء فعاليات الألعاب الآسيوية.

وورد في مجلة العربي في العدد ٥١١ تاريخ ١/٦/٢٠٠١:

جنوب الصين:العرب كانوا هنا: عدسة: وي خاي دونغفي رحلة طويلةوممتعة, ذهبت (العربي) لتجوب مدن وقرى الصين باحثة ومنقبة عن مآثر العرب التيتركوها خلفهم, منارات مساجد وقباب لرجال صالحين وشواهد قبور ومراصـــد فلك, تشهد كلهاعلى عراقة هذه الأمة وحيويتها ودليلاً رائعاً لقرون من التواصل والصداقة مع أهلالصين, مســـطّرين في كتب التاريخ أول حوار للحضارات والثقافات عرفته البشرية لتنهضشامخة مساجد العرب وقباب أوليائهم جنباً إلى جنب المعابد البوذية والطاوية المهيبةمتأثرين ومؤثرين في البنى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية, بل والسكانية فيالصين .

وفي محاولة لمتابعة وتغطية حوار عربي إسلامي – صيني امتد أكثر من ألفعام تاركاً خلفه الكثير من الشـــواهد الأثريـــة والمخطوطات والوثائق التاريخية, قررتالعربي الدخول إلى هذا العالم الغامض المعبق برائحة التاريخ وسحر الأســـاطيرتعريفاً بعظمة العرب وتذكيراً للناس بضرورة الوعي بتاريخهم وأهمية الحفاظ عليهوإسهاماً في تسليط الضوء على حوار الحضارات والثقافات القديمة في زمن قديم وصديق .إذن كان العرب هناك, بل كانوا هناك قبل ظهور الإسلام, وقبله بكـــثير ,فقـــد سهل موقع جزيرة العرب الفريد الذي يربط الطريق التجاري القديم بين بلاد البحرالمتوسط والشرق الأقصى الاتصـــالات بين الشرق والغرب, كما ساعد فتح طريق الحريرالقديم في حوالي القرن الثاني قبل الميلاد على زيادة الاتصالات بين الصين وبلادالعرب .

ونستدل من المصادر الصينية ككتاب تاريخ أسرة هان (٢٠٦ق.م –٢٢٠م) وكتابالســـجلات التاريخيـــة (٩١ ق.م) وكذلك المصادر العربية – لمروج الذهب لأبي الحسنالمسعودي, أن هنالك اتصالات بين الصين والعرب قبل الإسلام, وإن مدنا كمدن عمانوالحيرة قد ذكرت في المصادر الصينية القديمة, كما رصد وفد من بلاد العراق في البلاطالصيني في حوالي عام ١٢٠م, وقد قدم الوفد طائر ببغاء هدية للإمبراطور, وكانت المرةالأولى التي يرى فيها الصينيون هذا الطائر ولا يزالون يطلقون عليه اسم (باباغا) . وكان تجار عمان واليمن – سادة البحار في ذلك الوقت – قد أقاموا محطاتللاسترشاد علـــى طول الطريق البحري من موانئ شبه الجزيرة العربية وموانئ الصينالجنوبية, بل إن جالية عربية كانت موجودة في مدينـــة قوان جيتشو في جنوب الصين في وقتسابق لعام ٣٠٠م . ويؤكد عدد من المصادر التاريخية الصينية والعربية مثل مـــروج الذهب لأبيالحسن المسعودي أن سفن العرب كانت تقوم برحلات مباشرة إلى الصين, كما يعتقد أنهبنهاية القرن الرابـــع وبداية القرن الخامس الميلاديين كانت سفن الصين تصل إلى مصبنهر الفرات وعدن, بل إن أعداداً كـــبيرة مـــن العـــرب والفرس والهنود كانت تقيم في بعضالمدن الصينية إبان فترة مملكـــة وي الشـــمالية ٣٨٦–٥٥٧م, بالإضـــافة إلى جاليـــة عربيةكبيرة في منطقة لويانغ المعروفة الآن بمحافظة هونان, كما كان هناك رعايا عرب ضمنرعايا أســـرة تـــانغ (٦١٨–٩٠٧م) وكانت لهم نشاطات تجارية بالإضافة إلى صناعات صغيرة حيثأقاموا مصنعاً بمدينة قوان جيتشو وذلك في حـــوالي عام ٦٢٢م أي سنة ١ هـــ.

وهنا لا بدّ لنا من السؤال، التحليل والاستقراء:

١–سعد بن أبي وقاص صاحب وقائد معركة القادسيّة في العراق ما بين العرب المسلمين والفرس(١) عـــام ١٦ هـــــ = ٦٣٧ م. (راجع الحاشية في تفصيل معركة القادسية).

---

(١) ورد في كتاب محمد باقر الحسيني، بانوراما معركة القادسية، ط٢، بلغراد، ما يلي: لقد استمرت أحداث المعركة أربعة أيـــام مـــن عـــام ١٦هـــ /٦٧٣م, ثلاثة أيام منها فاصلة عرفت على التوالي (أرماث وأغواث وعماس) أما اليوم الرابع وهو (القادسية) فكان قاصـــماً للظهـــر,

حيث انهزم الفرس, وانتصر الحق, وهذه الأسماء الثلاثة لها علاقة بأيام المعركة, وحوادثها, وإمداداتها العسكرية حيث أنها جاءت من (الرمث والغوث والعمس). وبعد تعيين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [سعد بن أبي وقاص] قائداً في الجيش قال له:[يا سعد لا يغرنك من الله, إن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله عز وجل, لا يمحو السيئ, ولكنه يمحو السيئ بالحسن, فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته, فالناس شريفهم, ووضيعهم في ذات الله سواء, الله ربهم وهم عباده, يتفاضلون بالعافية, ويدركون ما عنده بالطاعة, فانظر الأمر، فعتاد الخير الصبر]. وكان سعد قائداً ممتازاً له قابلية ظاهرة في إعطاء القرارات السريعة, له مخيلة تحسب حساب كل شيء.

القيادة الفارسية:وكان الفرس يقودهم القائد المخضرم رستم, وقد عينه ملكه الجديد يزدجر الذي عقد العزم على محاربة العرب. وكان سعد قد تسلم القيادة من المثنى بن حارثة الشيباني الذي توفي متأثراً من جراحه التي أصابته يوم معركة الجسر, وكان المثنى قد بعث بوصية قيمة إلى سعد قبل وفاته شرح فيها موجز تجاربه. وبعد أن نظم جيشه تنظيماً عسكرياً هائلاً ووزع المهام, جعل خليفته [خالد بن عرفطة]. وقد اتبع سعد نظام الأعشار (عشرة عشرة). وكان الخليفة عمر بن الخطاب بعث إلى الجيش الأطباء, وقاضياً, ومسؤولاً عن الوعظ والإرشاد, ومترجماً, كما أمّن بقية الخدمات, منها الأمور المعاشية للجيش وعوائلهم. ومع وصول الجيش العربي إلى القادسية من العذيب (أربعة أميال عن القادسية) نزل قديس (قادس) [وردت في المصادر (قادس) أما القادسية فهي مدينة بناها العرب بعد معركة القادسية] وأرسل مفرزة حامية بقيادة (زهرة بن عبد الله) إلى قنطرة نهر العتيق [وهو فرع من الفرات] (موضع القادسية اليوم) كما أرسل رجالاً إلى الحيرة (ثمانية أميال عن القادسية) لاستطلاع حركات, وحالة الجيش الفارسي. حيث ظلت القوات العاملة تحت أمرة سعد موزعة مدة أكثر من ثلاثة شهور على منطقة فسيحة تقدر مساحتها بحوالي ٢٠٠ ميل مربع, وجاء هذا العمل تنفيذاً لأوامر الخليفة عمر بتوزيع قواده في المنطقة بكتابه الموجه إلى سعد جاء فيه: [.. والقادسية باب فارس في الجاهلية, وهي أجمع تلك الأبواب, لمادتهم, ولما يريدونه من تلك الأصل, وهو منزل رغيب خصيب حصين, دونه قناطر وأنهار ممتنعة فتكون مسالحك (معسكرات قواته) على أنقابها ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات الحجر وحافات المدر].

أحداث المعركة: **اليوم الأول (أرماث)**:لقد استعد الفريقان للحرب, وعبّأ رستم جيشه الذي قدر بحوالي ١٢٠ ألف مقاتل, وحمل راية الفرس مدعياً بأهميتها, ورتّب فيلقه المدرع, المكون من ٣٣ فيلاً (ثمانية عشر في القلب وخمسة عشرة في الجنبتين) وعليهما الصناديق والرجال كي تقوم بالهجوم, كان القائد سعد في هذا الوقت مريضاً, ولكن لم يمنعه المرض من الإشراف على القتال, وقد اتخذ مقره العسكري في قصر قديس, على مقربة من ميدان المعركة, يوجه منه جيشه, فكان يرمي بالرقاع من مكانه المرتفع (أرماث), وفيها أوامره إلى مساعديه من قادة الجيش لينفذها. وأرسل سعد إلى سادة العرب من ذوي الرأي والنجدة ومنهم (عمرو بن معد يكرب), ومن الشعراء (الحطيئة).كانت المعركة يوم الاثنين عام ١٦هـ بعد صلاة الظهر, بعد أن طلب سعد من جميع الفصائل المقاتلة تلاوة آيات الذكر الحكيم من سورة الأنفال (الآية ٦٣): [يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين* وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون]. كان سعد في قصر قديس يراقب القتال من علٍ. **اليوم الثاني (أغواث)**:كان الخليفة عمر رضي الله عنه أمر قائد قواته في الشام, أبا عبيدة بن الجراح, أن يرسل إليه (ليغيث) أهل العراق من الجند, وكان عدده ستة آلاف فارس, فأرسله بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص, وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو. **اليوم الثالث (عماس)**:وصلت هذا اليوم بقية النجدات من الشام, وأمرهم القعقاع أن يتقدموا إلى الناس (مائة مائة), ومع كل مائة راية, وهذا التدبير ضرورياً لهم ذلك اليوم, لتجديد الهمم في الجند العربي الذي مضى عليه يومان وهو في قتال مستميت مع الفرس.كان القتال شديداً بين الجيشين, وقد عادت الفيلة ثانية إلى ميدان ا لمعركة, وأحاطها الفرس بالرجال يحمونها من الأذى, ووجهوها إلى قلب الجيش العربي لتقسيمه كي يسهل عليه تدميره, ويقود الفيلة فيلان, أبيض والآخر أجرب, لذلك طلب سعد إلى القعقاع وأخيه عاصم أن يعالجا هذين الفيلين, فتقدما نحو الفيل الأبيض وطعناه في عينيه برمحين فأعمياه (في يوم عماس), وقطعاً مشفره, وكذلك تقدم الربيل وحمال من قبيلة أسد إلى الفيل الأجرب وأعمياه وقطعا مشفره, فصار يجول بين الجيشين بدون توجيه له, فيدفعه الفرس بالنخس لمقاتلة العرب, فأتجه نحو العتيق (المتفرع من الفرات) فوقع فيه وتبعته الفيلة الباقية, وخلت الساحة منها. واستمر القتال طوال النهار إلى أن اشتد الظلام, وسميت تلك الليلة بـ (الهرير).**اليوم الرابع (القادسية)**:اشتد القتال واستمر, وصاح القعقاع بالناس أن يصبروا, وقد تمكن العرب من خرق الجيش الفارسي وتشتيتهم, وقد اقتدى الجيش بكتبة القعقاع للوصول إلى مقر رستم, في ذلك الوقت هبّت رياح جنوبية قلبت مرصد رستم وجرفته إلى العتيق ورمته فيه, وحاول ستر نفسه فاستظل بظل أحد البغال فرآه [هلال بن علقمة] فضربه بالسيف , فجرحه, فحاول الهروب فقتله ونادى (قتلت رستم ورب الكعبة). وأثناء المعركة كان الجيش العربي يدوون بالقرآن, إذا جنّ عليهم الليل دوي النحل.وقد بقي الجيش العربي في القادسية بعد انتصارهم على الفرس حوالي الشهرين, ثم جاءت الأوامر إلى سعد بالتوجه إلى المدائن لإتمام التحرير, فوصل الغزاة الفرس إلى بابل, وما جاورها حيث تجمعت فلول القادسية ورؤساء الفرس, فهزمهم العرب من جميع هذه الأماكن, ثم توجهوا إلى مدينة (بهرسير) الواقعة على ضفة دجلة الغربية, والمقابلة لطيسفون عاصمة الفرس, فسقطت هي الأخرى بيد العرب, وبعدها توجه سعد إلى المدائن فحررها عام ١٧هـ /٦٣٨م, ثم زحف إلى جلولاء فاحتلها في العام نفسه.

٢-هل حضر سعد بن أبي وقاص الفتنة الأولى لمقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺعام (٣٥ هـ = ٦٥٧ م). (راجع الحاشية للتعريف عن مقتل عثمان)(١).

٣-وهل حضر سعد بن أبي وقاص الفتنة الثانية ما بين علي بن أبي طالب ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ، والتي كان ذروتها معركة صفّين (عام ٣٧ هـ = ٦٥٨ م) على نهر الفرات والتي كانت بعد معركة القادسية (١٦ هـ = ٦٣٧ م).

٤-وفي هذه الفتنة نتصوّر أنّه فضّل الاعتزال عن هذه الفتنة عملاً بالتربية التي أحاطت بكيانه الإيماني (القاتل والمقتول في النار).

٥-لا شكّ أنّ الأديان (كالبوذية) كانت معروفة في الصين. والسؤال المطروح: لِمَ لَمْ يُحارب سعد بأفكاره الإسلاميّة حين كان له أتباعٌ في الصين؟.

هذا الأمر يحملنا على أنّ الأديان في الصين كانت متفتّحة في أفكارها، بعيدة عن العصبيّة. وهل بوذا أو كنفوشيوسكانا من الأنبياء. فقد جاء في القرآن الكريم، في سورة النساء، الآية ١٦٤:{ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما}، كما جاء في القرآن الكريم، في سورة فاطر، الآية ٢٤: {إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراًوإن من أمة إلا خلا فيها نذير}، وجاء في القرآن الكريم، في سورة الإسراء، الآية ١٥: {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}.كما نتصوّر أنّ سعد حاول الإصلاح وفشل، لذلك فضّل الاعتزال، فكان أول معتزل حقيقي ينطبع عليه مدلول هذه الكلمة. لذلك فضّل الرّحيل.

والسؤال المطروح: هل كانت هجرته إلى إقليم كانتون براً أم بحراً؟.كلا الاحتمالين قائم، حيث لا نملك وثائق عن رحيله. فأمّا طريق البر فكان معروفاً بما يسمّى اليوم (طريق الحرير) قبل الإسلام، وأمّا عن طريق البحر فلدينا وثائق مكتوبة عن صلة الص



(١) استلم عثمان ﷺ الخلافة عام (٢٣ هـ = ٦٤٥ م)، وقتل عام (٣٥ هـ = ٦٥٧ م) بسبب فتنة بدأت قبل عام من مقتله. ومن أهم الفتوحات في خلافته: الإسكندرية، وإفريقيا، وقبرص، وفارس.

وتقول المراجع: بدأت الفتنة لإثارة الشبهات حول سياسة عثمان ﷺ، وحرّضوا الناس على الثورة في (مصر، والكوفة، والبصرة)، أي مصر والعراق. وثاروا للمدينة وطالبوه بالتنازل، فاجتمع عثمان بهم في المسجد وفَنَّدَ مفترياتهم، وأجاب على أسئلتهم، وعفى عنهم. فرجعوا إلى بلادهم، لكنّهم أضمروا الشرّ وتواعدوا على الحضور ثانيةً إلى المدينة لتنفيذ مؤامرتهم التي زيّنها لهم عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل. ورجعت الفرقة التي أتت من مصر وادّعوا أنّهم وجدوا في البريد كتاباً بقتل زعماء أهل مصر. وقد أنكر عثمان الكتاب، لكنّهم حاصروه في داره (٢٠ أو ٤٠ يوماً)، ومنعوه من الماء والصلاة في المسجد، إلى أن تسلّقوا الحائط ودخلوا عليه، فقامت زوجته نائلة بحمايته، لكنّهم ضربوها بالسيف فقُطعت أصابعها، وتمكّنوا منه وقتلوه وهو يقرأ القرآن.

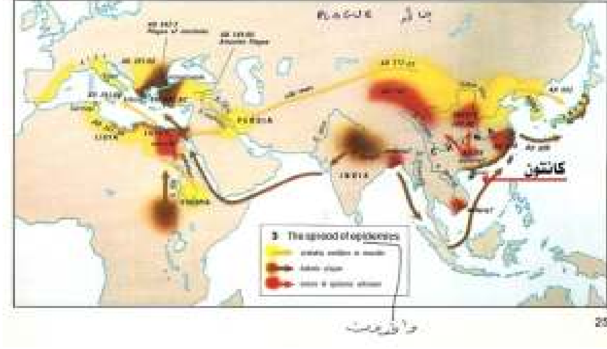
ومن الجدير بالذكر أنّ بعض المراجع تقول أنّ عليﷺ أرسل الحسن والحسين ومعهم ماء وسيفان، وأرسل الزّبير ابنه، وبعث طلحة ابنه، وبعث عدد من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس من أن يدخلوا على عثمان.

وهنا نقف وقفة العابر لنقول أنّ اسم سعد بن أبي وقاص لم يظهر بين أسماء الصحابة كـ: علي والزبير على سبيل المثال. إلاّ أنّ هذه الوقفة لا تقف دليلاً قاطعاً على عدم اشتراك سعد بالدّفاع عن عثمان، لكن رحيل سعد إلى الصين لا بدّ أنّه كان سبباً لاعتزال هذه الفتن.

ومن الغريب أن نجد ابن أبي بكر الصدّيق يتسلّق الحائط ويدخل على عثمان (معارضاً)، إلاّ أنّه رجع بعد سماع ردّ عثمان.

من أطلس العالم التاريخي (Concise Atlas Of World History)

يُظهر فيها طرق المواصلات البحرية منذ عام ٢٠٠ بعد الميلاد وهي تصل شبه الجزيرة العربية بالهند، والهند الصينية، والصين



من أطلس العالم التاريخي (Concise Atlas Of World History)

خريطة تبيّن صلات العالم العربي مع توضعاته السكّانية الوافدة

وتظهر مدينة كانتون في الخريطة

ونحن نعلم جميعاً أنّ الإسلام انتشر في شرق آسيا عن طريق التجّار الدّعاة. وفي هذا النبأ أنّ سعد بن أبي وقاص وصل إلى كانتون داعياً، نستطيع أن نقرّر أنّ سعد بن أبي وقّاص كان:

١- أول معتزل للفتنة(١)، وهو شيخ (معتزلي الفتنة). (راجع الحاشية في تعريف المعتزلة).

٢- أنّه أول داعية للإسلام متسلّحاً بالقرآن والقدوة الحسنة.

أخيراً، أقول أنّ هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة على مستوى رسالة ماجستير أو دكتوراه لنقف على حقائق أكثر واقعية وبعيدة عن الظن والاستقراء كما كان هذا البحث.

---

(١) المعتزلة أنواع: أ- القدريّة، ب- الوعيديّة، ج- العدليّة، وغيرهم. لكن هذه الكلمة فقدت مدلولها، بل ما لبثت هذه الآراء ومعتقديها أن فقدوا مدلول الاعتزال ودخلوا في صراعات لا طائل لها، فكثر الضرب والوجع ما بين أتباع هذه الآراء الفكرية (وليس المذاهب) ومناصريهم ومنتقديهم. والمعتزلة جميعاً يُنسبون إلى [واصل بن عطاء]وقد تميّزوا بتقديم العقل على النقل.

وكون أنّ المصطلح أساسي في مدلوله، لذلك اخترنا:

١- إبقاء مصطلح المعتزلة كما هو معروف: الوعيدية، والعدلية، واللا أدرية.

٢- إيجاد مصطلح (معتزلي الفتنة) و(معتزل الفتنة) للتفريق بينهما. أي إضافة كلمة الفتنة للمصطلح.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- محمد باقر الحسيني، بانوراما معركة القادسية، ط٢، بلغراد.

٣- محمد علي مادون، تفاعلات حضارية على طريق الحرير (تدمر).

٤- مجلة العربي، ع/ط الشابكة (الأنترنت).

٥- Geoffrey Barraclough, Concise Atlas Of World History, Times Books Limited, 1982, London.

موقف الصين الشعبية من القضية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٦٧

د. محمد عبد المؤمن محمد عبد الغني

تعتبر الصين الشعبية بكل ثقلها البشري والاقتصادي والسياسي إحدى أهم القوى المؤثرة في العالم. وكان ظهورها على الساحة الدولية في ظل حالة استقطاب أيديولوجي شديد غلب على الأوضاع الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فرض عليها حالة من الحصار من جانب الولايات المتحدة. وفي هذا الإطار كانت منطقة الشرق الأوسط تحتل مكانة هامة لدى الصينيين، وذلك استنادا إلى نظرية ماوتسي تونج الشهيرة التي أطلقها في عام ١٩٤٦، وهي نظرية "المنطقة الوسيطة"، والتي اعتبر فيها أن التناقض الرئيس، في مرحلة ما بعد الحرب ليس بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وإنما بين المعسكر الإمبريالي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وبين البلدان الأفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية من جهة أخرى. وأن أي هجوم أمريكي على الاتحاد السوفيتي لن يتم قبل أن تسيطر الولايات المتحدة سيطرة تامةعلى هذه المناطق الوسيطة. من ثم كان تزايد اهتمام الصينيون بمنطقة الشرق الأوسط بصورة تدريجية. وخاصة القضية الفلسطينية لكونها إحدى القضايا المحورية في هذه المنطقة. وسوف تتناول الدراسة النقاط الآتية:

أولا – الصين وموقفها من قضية فلسطين قبل عام ١٩٤٩.

ثانيا – قيام الصين الشعبية وتطور علاقاتها بإسرائيل ٤٩–١٩٥٥.

ثالثا – مؤتمر باندونج ١٩٥٥واقتراب الصين الشعبية من قضية فلسطين.

رابعا – التقارب الصيني – العربي في أعقاب مؤتمر باندونج ٥٦–١٩٥٧.

خامسا – مرحلة توتر العلاقات العربية– الصينية ٥٩–١٩٦٣ .

سادسا – تطور الموقف الصيني من القضية الفلسطينية خلال الفترة ٦٤–١٩٦٧.

أولا – الصين وموقفها من قضية فلسطين قبل عام ١٩٤٩:قبل قيام الصين الشعبية في أكتوبر ١٩٤٩، كانت هناك عدة ملامح تتعلق بموقف الصين الرسمية سواء فيما يتعلق بعلاقاتها بالعالم العربي ، أو بموقفها من قضية فلسطين التي كانت تناقش في الأمم المتحدة في ذلك الوقت أو علاقاتها بإسرائيل بعد قيامها. أما فيما يتعلق بعلاقات الصِّين بالعالم العربي، فلم يكن للصين علاقات دبلوماسية مع الدول العربية قبل عام ١٩٣٦، وكان أول قنصل للصين في المنطقة العربية قد وصل إلى جدة في عام ١٩٣٩. وفي مارس عام ١٩٤٢ وقّعت الصِّين اتفاقية صداقة مع العراق، كما اعترفت بها مصر في نفس العام. وبعد أكثر من عامين ونصف وبالتحديد في ١٤ أكتوبر عام ١٩٤٤، أعلنت الحكومة الصينية اعترافها بسوريا ولبنان(١).وعلى الرغم من وجود أقلية إسلامية صينية– والتي كان عددها يقدر بعشرة ملايين نسمة– إلا أن اهتمام هذه الأقلية بالقضية الفلسطينية كان محدودا، واقتصر على إرسال وفد حضر المؤتمر البرلماني العالمي للبلاد العربية والإسلامية للدفاع عن فلسطين الذي عقد في القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٣٨. حيث طالب الوفد في هذا المؤتمر بإلغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان استقلالها. كما كان بالصين أقلية اليهودية ، وإن كان عددها أقل من عدد الجالية الإسلامية بكثير، إذ كانت التقديرات تشير إلى أن عددها خلال الحرب العالمية الثانية حوالي ٣٦ آلف نسمة، وأخذ عددها في التراجع، فبلغ في يناير ١٩٤٨ حوالي ١٥ ألف يهوديا، وفي ظل الصراع الداخلي بين الشيوعيين والكومنتانج، تذرع اليهود بذلك وطلبوا من بريطانيا السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين، وطالبوا بأن تكون الولايات المتحدة هي البديل لفلسطين في حالة رفض الحكومة البريطانية (٢). وبالفعل هاجر معظمهم إلى إسرائيل والولايات المتحدة، وذلك عن طريق القنصلية الإسرائيلية العامة التي افتتحتها الوكالة اليهودية في شنغهاى سنة ١٩٤٨ والتي أغلقت بعد الانتهاء من

---

(١) هاشم بهبهاني، سياسة الصِّين الخارجية في العالم العربي، ترجمة سامي مسلم، ط ١، بيروت ١٩٨٤، ص ١٠؛ Masannat, G. S., Sino – Arab Relations, In: Asian Survey, Vol. 6, No., 4(Apr., 1966), P. 216.

(٢) New York Times, January 4, 1947.

مهمتها(١).أما فيما يتعلق بموقف الصين من القضية الفلسطينية خلال مناقشتها في الأمم المتحدة. ففي خلال الدورة الخاصة التي عقدتها الأمم المتحدة في أبريل سنة ١٩٤٧، اعترضت الصين على مشروع القرار العربي الذي يطالب بإنهاء الانتداب ووقف الهجرة اليهودية وإعلان استقلال فلسطين. كما اعترضت على مشروع القرار البولندي- التشيكي الذي يطالب بحضور الوكالة اليهودية اجتماعات الجمعية العامة. وكان موقف الصين يقوم على أن حل الموقف يتأسس على رضاء الأطراف المعنية مباشرة، وأن كل الجهود يجب أن توجه لتحقيق التعاون والتوفيق بين العرب واليهود لكي يصلوا إلى تسوية. ولذلك امتنعت الصين عن التصويت في لجنة فلسطين التابعة للأمم المتحدة في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٧ على مشروع القرار العربي بشأن جعل فلسطين دولة واحدة، كما امتنعت عن التصويت على مشروع تقسيم فلسطين وهو المشروع الذي فاز بأغلبية الأصوات في ظل اتفاق الدول الغربية والشرقية على مبدأ التقسيم، حيث وافق عليه ٣٣ عضوا من بين ٥٦ عضوا بالجمعية العامة للأمم المتحدة، بينما عارضته ١٣ دولة ، وامتنعت عن التصويت عشرة أعضاء (٢). وعندما حاولت الولايات المتحدة في ديسمبر ١٩٤٧ جس نبض الحكومة الصينية لمعرفة موقفها من المشاركة في إرسال قوات دولية إلى فلسطين، إذا تطور القتال الدائر هناك بصورة خطيرة، لم تبد أي رد الحكومة الصينية. وكان المقترح الأمريكي يتضمن أن ترسل الصين ما بين ٢٠٠٠- ٣٠٠٠، جندي (٣). وفي ١٩ مارس ١٩٤٨ اعترض مندوب الصين في مجلس الأمن على تدخل الأمم المتحدة عسكريا لفرض قرار التقسيم على العرب بالقوة أو أن تُعطى بعض الدول حق القيام بمثل هذا التدخل. وعندما عدلت الولايات المتحدة عن تأييد فكرة التقسيم، واقترحت في اللجنة السياسية للجمعية العامة قيام الأمم المتحدة فرض وصاية مؤقتة على فلسطين، وافقت الصين وحدها على دعم المقترح الأمريكي(٤). واستمر مجلس الأمن في مناقشة القضية الفلسطينية على أساس الوصاية بعيدا عن قرار التقسيم، إلى أن انتهى شهر ابريل ١٩٤٨، وحل شهر مايو الذي بدأت فيه التصريحات العربية تتحدث عن دخول الجيوش العربية إلى فلسطين لمقاومة التقسيم، والحفاظ على الأمن والسلام في فلسطين وإنقاذ الفلسطينيين من الإرهاب اليهودي(٥). وفي ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أعلن المندوب الصيني أسفه لاعتراف الولايات المتحدة بإسرائيل لان ذلك قد زاد من المصاعب التي يتعذر معها على مجلس الأمن إيقاف النزاع القائم في فلسطين كما أن الاعتراف الأمريكي قد افقد لجنة الهدنة وسيلتها الوحيدة للسيطرة على النزاع، وهى حيادها التام(٦). كما اعترض الوفد الصيني في الأمم المتحدة على الاقتراح الأمريكي الذي يطالب بإصدار أوامر للقوات المتحاربة في فلسطين بوقف القتال والتهديد بفرض عقوبات إذا لم يتحقق ذلك، على أساس أن الاقتراح الأمريكي لا يقدم للعرب حلا غير الحرب فقد أعطى أحد الفريقين كل شيء، بينما لم يعط العرب أية وسيلة لاستخلاص حقوقه من ثم أعلن تحبيذه لمشروع القرار السوري بشأن استشارة محكمة العدل الدولية في عدم مشروعية إعلان الدولة اليهودية(٧).إلا أن هذا الأمر تغير بعد ذلك مع اقتراب الشيوعيين من السيطرة على كل الأراضي الصينية، فقد أقدمت حكومة شيانج كاي شيك على الاعتراف بإسرائيل في مارس ١٩٤٩، وعندما قدمت إسرائيل طلبا للأمم المتحدة للحصول على عضويتها، صوت الوفد الصيني لصالح قبول هذا الطلب. وعلى الرغم من ذلك فقد ترددت إسرائيل في إقامة علاقات دبلوماسية معها، و لم تبد اهتماما كبيرا بحكومة فقدت السيطرة على معظم أراضيها(٨).

---

(١) محمد السيد سليم، الصين الشعبية والقضية الفلسطينية، السياسة الدولية، عدد ٢٥، يوليو ١٩٧١، http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=213316.

(٢) محمد نصر مهنا، مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي ١٩٤٥-١٩٦٧، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص١٦٨.

(٣) New York Times, December 6, 1947.

(٤) Ibid. , April 18, 1948.

(٥) أحمد الشقيري ، الجامعة العربية ... كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، الطبعة الإلكترونية الأولى ، ٢٠٠٥، ص ٢٥٧-٢٦١.

(٦) New York Times, May 16, 1948.

(٧)محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(8)Dunner, J. Israel and People's Republic of China, In: Southeast Asian Perspectives, No. 8(Dec., 1972), P. 9.

ثانياً – قيام الصين الشعبية وتطور علاقاتها بإسرائيل ٤٩–١٩٥٥.في أعقاب انتصار الشيوعيين، كانت الصين منهكة من النزاع الداخلي ومن أثار الحرب العالمية الثانية ، وتعاني من التفكك الاقتصادي والاجتماعي ومن الفوضى (١). كما كانت المنطقة التي تحيط بالصين تموج بالمخاطر التي تهددها ، فكان من الطبيعي أن يكون تركيزها منصبا في المقام الأول على تلك الأمور. ومن ثم لم تكن القضية الفلسطينية محل اهتمام بارز لدى الصين خلال تلك الفترة ، إلا من خلال رؤية عامة لها وللنزاع العربي الإسرائيلي، فقد كان الصينيون يرون أن هذا النزاع إنما هو نتيجة تدخل القوى العظمى الخارجية المتمثلة في بريطانيا والولايات المتحدة، بهدف الحفاظ على نفوذهما وسيطرتهما على المنطقة. وأن الإمبرياليين البريطانيين والأمريكيين حرضوا على الحرب بين العرب واليهود في فلسطين. كما ألقى الصينيون باللوم على الجامعة العربية التي رفعت شعار "الجهاد المقدس"، ودعت العرب للاشتراك في الحرب ضد اليهود. وأن العرب حاولوا استغلال الحرب لتحويل كراهية شعوبهم العميقة للمستعمرين الأجانب والإقطاع في بلادهم، ومن ثم يتاح لحكامهم زيادة الضرائب وبناء القوات المسلحة الحديثة. وكان الصينيون يرون أيضا في تلك الفترة أن حل هذا النزاع لا بد أن يتم من خلال الطرق السلمية والتفاوض المباشر، دون تدخل خارجي، والالتزام بتنفيذ قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، واعتبروا كذلك أن العرب مسئولون عن عدم إقامة الدولة الفلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية(٢).ومن ثم فقد كان الصينيون يحملون العرب العرب جانبا من مسئولية ما وصلت إليه القضية الفلسطينية ، وربما كان ذلك يعود إلى عدم وجود موقف إيجابي لأي من الدول العربية تجاه الصين الشعبية، فلم تعترف بها أية دولة عربية في تلك الفترة، بل ووقفت كل الدول العربية موقفا عدائيا منها إلى حد أدى ببعض هذه الدول إلى نقل سفاراتها من بكين إلى تايوان، والاعتراف بحكومة تايوان ممثلا شرعيا للصين (٣). وبينما أغلقت السعودية مقر بعثتها الدبلوماسية في تايوان، أبقت مصر والعراق وسوريا ولبنان وباقي دول الجامعة العربية على علاقاتهم مع تايوان. وعندما طرحت مسألة تمثيل الصين في الأمم المتحدة لأول مرة في عام ١٩٥٠، كانت مصر من بين الدول التي صوتت ضد الاقتراح السوفيتي بطرد الوفد التايواني من مجلس الأمن. وفي أغسطس ١٩٥٠ صوتت اللجنة السياسية في الجامعة العربية لصالح الاعتراف بتايوان ممثلا شرعيا للشعب الصيني (٤).أما إسرائيل فعلى الرغم من أن أن ماوتسي تونج حدد أهداف السياسة الخارجية للصين الشيوعية بأنها تقوم على التحالف مع الكتلة السوفيتية ضد الولايات المتحدة وكلاب الصيد الاستعماريين التابعية لها(٥)، إلا أنه حتى هذه اللحظة لم يكن ماوتسي تونج يرى إسرائيل إسرائيل ضمن هذا الإطار التابع للولايات المتحدة. ومن ثم كان الطريق ممهدا أمام الإسرائيليين للتحرك تجاه الصين (٦)، تطبيقا لسياستهم التي كانت تقوم في ذلك الوقت على الارتباط بكل القوى الدولية – خاصة الكبرى منها – للحصول على الاعتراف بوجودها، ولمواجهة الحصار العربي المفروض عليها. و لم يكن هناك ما يعوق ذلك فقد اتفقت الكتلتين الشرقية والغربية على قيام إسرائيل ، واحتفظت إسرائيل بعلاقات وثيقة مع الكتلتين على الرغم من تصاعد الحرب الباردة بينهما(٧).ولذا كانت إسرائيل أولى دول منطقة الشرق الأوسط، وسابع دول العالم غير الشيوعية– بعد بورما، وسيلان ،

---

(1)Lindbeck, J. M. H., The China Problem Today, In: Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 321, P. 9.

(٢) رباب يحيى عبد المحسن: الصين الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية، مجلة رؤية، العدد ٢٨، مارس ٢٠٠٤.
http://www.idsc.gov.ps/sites/STATE/arabic/roya/28/page9.html

(3)Cooley, J. K., China and the Palestinians, In: Journal of Palestine Studies, Vol. 1, No. 2(Winter, 1972), P. 21.
(4)Du, Xianju, China and Israel: Five Decades of Relations, Faculty of the Graduate School of Arts and Sciences, Brandeis University 1998, P. 50.
(5) Ibid..P. 21.

(٦) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(٧)محمود صبري، إسرائيل والحليف الإستراتيجي الجديد.. الصين (دراسة).
http://www.turkistanweb.com/?p=1047

، والهند، وباكستان، والنرويج، وبريطانيا – التي تعترف بالصين الشعبية. ففي ٩ يناير ١٩٥٠ أرسل موشيه شاريت Moshe Sharett وزير الخارجية الإسرائيلي برقية اعتراف بالصين الشعبية إلى تشوإن لاي Zhou Enlai رئيس الوزراء ووزير خارجية الصين(١). وعندما سُئل بن جورين عن سبب هذا الاعتراف ، أجاب بأنه لا يوجد ما يمنع ذلك ، وأنه لا يستطيع أن ينظر إلى تايوان ذات العشرة ملايين نسمة مثلما ينظر إلى الصين بتعداد سكانها البالغ ٦٠٠ مليون نسمة(٢).وعلى الرغم من ذلك لم يصحب الاعتراف الإسرائيلي بالصين طلب إقامة علاقات دبلوماسية معها. وكانت أول إشارة في هذا الاتجاه من الصين وليست من إسرائيل، وكان ذلك في ٢٠ يونيو ١٩٥٠، حيث أرسل أرييه ليفافي Arieh Levavi السكرتير الأول في سفارة إسرائيل بموسكو رسالة إلى حكومته يبلغهم فيها بأن أحد مسئولي السفارة الصينية في موسكو قام بزيارة السفارة الإسرائيلية وسأل عن موقف الحكومة الإسرائيلية من إرساله بعثة دبلوماسية إلى بكين، وأنه أجابه بأن العائق أمام ذلك الإجراء ، ينحصر فقط في الصعوبات المالية(٣).وبالفعل اتخذ مجلس الوزراء الإسرائيلي قرارا بإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين في ٢٨ يونيو ١٩٥٠، إلا أن اندلاع الحرب الكورية جعلها تبقي على هذا القرار سريا ، انتظارا لانتهاء تلك الحرب التي توقع الإسرائيليون أن تكون سريعة (٤). ولكن تلك الحرب فرضت على إسرائيل أن تتخذ موقفا واضحا تجاه الحرب حيث اضطرت إلى إظهار دعمها للولايات المتحدة العدو الأول للصين الشعبية، فبعد أن قررت الولايات المتحدة إرسال قواتها لمساعدة كوريا الجنوبية ضد الغزو الذي شنته كوريا الشمالية بعبور قواتها خط عرض ٣٨ الفاصل بين الكوريتين، اتخذ مجلس الوزراء الإسرائيلي قراره بتأييد الموقف الأمريكي في ٢ يوليو ، وتبع ذلك إرسال مساعدات إسرائيلية لكوريا الجنوبية بمبلغ ١٠٠ ألف دولار، وعلى الرغم من أن إسرائيل حرصت على أن تقتصر مساعداتها على المساعدات الغذائية والطبية، بهدف عدم اكتساب عداء الصين وكوريا الشمالية، إلا أن أحد رجال المخابرات الإسرائيلية في الشرق الأقصى يدعى يوحانان راماتي Yohanan Ramati أرسل تقريرا إلى بلاده يفيد بأن المعونات الإسرائيلية لكوريا الجنوبية جعلت من إسرائيل في نظر الصينيين أحد كلاب الصيد الأمريكية(٥). وعلى الرغم من ذلك لم تستطع إسرائيل عن تتراجع عن مساندة الموقف الأمريكي ، حيث أوضحت الولايات المتحدة لإسرائيل أن إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين ليس عملاً غير لائق فحسب، وإنما سيعتبر بمثابة مساعدة لدولة معادية(٦). ومن ثم اضطرت إسرائيل إلى محاولة استرضائها، فصوتت في الأمم المتحدة بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩٥٠ لصالح مشروع قرار غربي يسمح بأن تتجاوز قوات الأمم المتحدة التي تقودها الولايات المتحدة في مواجهة القوات الكورية الشمالية والقوات الصينية خط الهدنة. كما صوتت إسرائيل على قرار يدين الصين. كما صوتت كذلك في مايو ١٩٥١ على قرار يحظر توريد الأسلحة إلى الصين(٧). كما أن إسرائيل ما لبثت أن التزمت بالقرار الأمريكي الصادر في ١٨ مايو مايو ١٩٥١ بفرض الحصار التجاري على الصين. فضلا عن أن كانت إسرائيل قد تقدمت باقتراح "عقد هدنة" ضد رغبة الصين التي تمثلت في عقد مؤتمر دولي سباعي لحل المشكلة الكورية. وقد فسرت الصين الاقتراح الإسرائيلي بأن القصد من وراءه إعطاء الولايات المتحدة مهلة لإعادة تنظيم قواتها. وهاجمت الصحف الصينية إسرائيل (٨). وعلى الرغم من تلك

---

(1)Dunner, J., Op. Cit.,, P. 11.

(2)Du, Xianju, Op. Cit., P. 21.

(٣)سامي حكيم ، إسرائيل والدول الشيوعية ، القاهرة د.ت، ص ٢٤٩.

(٤) حذرت المخابرات الإسرائيلية من رد فعل الرأي العام والمجتمعات اليهودية في الولايات المتحدة من إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين ، وحذرت من انعكاس ذلك على الأموال التي تتدفق إلى إسرائيل من هناك

.Melman, Y., and Sinai, R., Israeli – Chinese Relations and their Future Prospects from Shadow to Sunlight, In: Asian Survey, Vol. 27, No. 4(Apr., 1987), P. 398, 400.

(٥) Du, Xianju, Op. Cit., P. 33.

(٦)محمود صبري، المرجع السابق.

(٧) Du, Xianju, Op. Cit., P. 35-37.

(٨)سلافة حجاوي، الصين والنزاع العربي – الإسرائيلي. http://www.sulafahijjawi.ps/Studies.aspx?ID=6

الإجراءات، إلا أن إسرائيل حرصت على عدم خسارة الصين كليا ، ففي ١٩ سبتمبر صوتت لصالح تمثيل الصين الشعبية في الأمم المتحدة. كما حرص موشيه شاريت من خلال مشاركته في مؤتمر الأحزاب الاشتراكية الأسيوية والذي عقد في رانجون في يناير ١٩٥٣ ممثلا عن حزب الماباي (العمال) الحزب الحاكم في إسرائيل ، على إظهار إسرائيل بأنها ليست كيانا غربيا ، وأنها جزءا من قارة أسيا (١).وعلى الرغم من ذلك فقد شهدت تلك الفترة أمرين ، زادا من المصاعب اهتمام إسرائيل بتطوير علاقاتها مع الصين ، تمثل الأول في أن الموقف الصيني من إسرائيل في تلك الفترة كان متوافقا مع الموقف السوفيتي ومتأثرا به. فعندما تدهورت العلاقات السوفيتية الإسرائيلية في عام ١٩٥٣ بسبب ما عرف باسم "مؤامرة الأطباء" والتي أدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي وإسرائيل ، أخذت صحف الصين تنشر مقالات ضد إسرائيل تصفها بأنها قاعدة متقدمة للولايات المتحدة، وبأنها أخطر تلك القواعد بعد تركيا. وانعكس ذلك على موقف إسرائيل من الصين في الأمم المتحدة، فعلى الرغم من أن الأولى كانت قد صوتت ثانية في عام ١٩٥٢ إلى جانب قبول الصين في الأمم المتحدة، فقد امتنعت في عام ١٩٥٣ عن التصويت على قرار مماثل (٢).أما الأمر الثاني فقد كان يتمثل في نمو العلاقات التجارية بين مصر والصين، ففي يناير عام ١٩٥٣قامت الصين بشراء ٤٥ ألف طن من القطن المصري، وبلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين في هذا العام حوالي ١١ مليون دولار أمريكي، مقارنة مع ١,٧ مليون دولار أمريكي فقط عام ١٩٥١ و٨٠٠ ألف دولار عام ١٩٥٠. وفي عام ١٩٥٤ قبل الجانب الصيني اقتراحا مصريا بوجود ممثل تجاري مصري يقيم في الصين بصفة غير رسمية(٣).إلا أن تلك الأوضاع لم تقطع الطريق كليا بين إسرائيل والصين ففي عام ١٩٥٤ جرت لقاءات متعددة في رانجون، عاصمة بورما، بين السفير الإسرائيلي ديفيد هاكوهين David Hacohen والسفير الصيني ياتشونج مينج. الذي أعرب عن استعداد الصين لإقامة علاقات تجارية مع إسرائيل، دون التطرق الي إقامة علاقات دبلوماسية. وفي ٢٩ يونيو ١٩٥٤ اجتمع تشوإن لاي نفسه بالسفير الإسرائيلي هاكوهين في رانجون، ووعده بالنظر في إقامة ممثليه تجارية إسرائيلية في بكين(٤). وتبرع السفير السوفيتي في رانجون وعرض أن تكون بلاده الوسيط بين البلدين ، بحيث يتم التبادل عبر الموانئ السوفيتية في أوديسا لتجنب المعارضة الأمريكية لوجود مثل هذا التبادل، وبالفعل تسلمت إسرائيل في ١٤ سبتمبر ١٩٥٤ دعوة رسمية لإرسال بعثة تجارية إلى الصين(٥).وانتهزت الحكومة الحكومة الإسرائيلية الفرصة ، فقررت قبول الدعوة الصينية، وأرسلت وفدا يغلب عليه السياسين برئاسة ديفيد هاكوهين السفير الإسرائيلي في بورما، ودانيال ليوان Daniel Lewin رئيس قسم أسيا بالخارجية الإسرائيلية ، حيث وصل الوفد الإسرائيلي إلى الصين في يناير ١٩٥٥ ، إلا أن الوفد الإسرائيلي لم يجد في بكين ما كان يتوقعه، فقد استقبله نائب وزير التجارة الصيني لي جن مين Li Jen-Min ، الذي أصر على أن تقتصر مهمة الوفد الإسرائيلي على الجوانب التجارية دون الجوانب السياسية(٦). و لم يتمكن الوفد الإسرائيلي من مقابلة المسئولين الصينيين الكبار(٧).وكل ما حصل حصل عليه هو تصريح من لي جن مين نص على أن "الشعب الصيني وحكومته أصدقاء الشعب اليهودي" ، بينما رفض

---

(١) Dunner, J.,Op. Cit., P. 11.

(٢)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(٣) الهيئة العامة الاستعلامات، العلاقات المصرية الصينية .

http://www.sis.gov.eg/ar/LastPage.aspx?Category_ID=1128

(٤)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(٥) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 22.

(٦) Du, Xianju, Op. Cit., P. 50.

(٧) زاد من مصاعب إسرائيل مع الصين قبيل وصول الوفود التجاري الإسرائيلي إلى الصين، قيام الولايات المتحدة بتوقيع معاهدة دفاع مشترك مع الصين الوطنية في ٢ ديسمبر ١٩٥٤.

FRUS, 1955-1957, Vol. XV, Arab-Israeli Dispute, Memorandum of Conversation, Washington March 2, 1956.

الصينيون الالتزام بوعد بإرسال وفد مماثل إلى إسرائيل(١).ومما سبق يتضح أن ملامح تلك الفترة كانت تمثـــل محـــاولات اقتراب متبادلة بين الصين وإسرائيل. وأن عدم قدرة إسرائيل على توثيق علاقاتها بالصين في تلك المرحلة لم يكن عائدا بأي حال من الأحوال إلى موقف الصين من القضية الفلسطينية أو لقدرة العرب على التأثير على هذه العلاقة ، وإنما كان يعود في المقام الأول والأخير إلى العداء بين الصين والولايات المتحدة وارتباط إسرائيل بالأخيرة.

ثالثاً – مؤتمر باندونج ١٩٥٥واقتراب الصين الشعبية من قضية فلسطين:كانت الدعوة إلى مؤتمر باندونج موجهة مـــن مجموعة دول اجتماع كولومبو والتي طرحت فكرة اللقاء الأسيوي الأفريقي. وكانت إسرائيل مشكلة من المشاكل الـــتي سبقت انعقاد المؤتمر، فقد وجُهت الدعوة لإسرائيل للاشتراك في المؤتمر، وكان رئيس الوزراء الهندي نهرو صاحب هـــذه الفكرة. وكان المنطق وراء هذا الاتجاه، يقوم على أن إسرائيل دولة معترف بها في الأمم المتحدة، ولها علاقات دبلوماســـية مع عدد من الدول الإفريقية والآسيوية. ومن ثم فمن الأفضل حضورها ليجري الحوار بينها وبين الدول العربية أمـــلا في الوصول إلى تسوية سلمية لهذه المشكلة العالمية(٢).غير أن جمال عبد الناصر تصدي لتلك المحاولات ، فاتصـــل بنـــهرو ، ورئيس وزراء بورما أونو أوضح لهما أن حضور إسرائيل للمؤتمر يعني أن تقاطعه الدول العربية كلها، واقتنع نهرو بينما لم يقتنع أونو، فأرسل إلى عبد الناصر يبلغه أنه لا يستطيع أن يسحب الدعوة من بلد في أسيا أرسلت لها الـــدعوة بالفعـــل، فأرسل له عبد الناصر خطابا يشرح له طبيعة إسرائيل ودورها في خدمة الاستعمار في المنطقة ، فعاد أونو يبلغ عبد الناصر أن بقية الدول قد تطلب مبررات محددة لمنع إسرائيل من الحضور، وأنه من غير الملائم أن يفرض العرب صـــراعهم مـــع إسرائيل على أصدقائهم في أسيا وأفريقيا ، وتساءل عن الأساس الذي يمكن أن يرتضيه العرب لحـــل الصـــراع العـــربي الإسرائيلي ، فأبلغه عبد الناصر أن العرب على استعداد لقبول قرار التقسيم ، إذا ما قبلته إسرائيل. وأخيرا اقتنع أونو وأبلغ عبد الناصر أنه بالتشاور مع نهرو ومع بقية مجموعة كولومبو قرر سحب الدعوة الموجهة لإسرائيل للاشـــتراك في مـــؤتمر باندونج(٣). وهو الموقف الذي وافقت عليه الصين(٤).وكانت الصين تعقد على مؤتمر باندونج أمالا كبيرة لإحداث نقلة نقلة في علاقاتها الخارجية، وخاصة مع العالم العربي، ولذا كان تشوإن لاي حريصا على أن يبدأ محاولاته مع مصر، وبدأ تلك المحاولات قبل بداية المؤتمر، حيث كان من المقرر أن يمر الوفد المصري في طريقه إلى اندونيسيا بمطار العاصمة البورمية رانجون ، فحرص تشوإن لاي على أن يكون في استقبال عبد الناصر في المطار، وفي المقابل كان عبد الناصر حريصا أيضا على لقاء تشوإن لاي ، فرفض العرض الذي طرحه نهرو بإمكانية تفادي اللقاء بينه وبين تشـــوإن لاي مباشـــرة تجنبـــا للحساسية وحفاظا على علاقات مصر مع الولايات المتحدة، التي كانت تضغط من أجل عدم اعتراف أية دولة بالصـــين، بل إن عبد الناصر أعرب عن سعادته بذلك اللقاء، وبالفعل التقى به واتفق معه على أن يلتقيا بعد ذلك في اجتماع ثنـــائي في فندق الإقامة. وأثناء هذا الاجتماع عرض تشوإن لاي على عبد الناصر تفاصيل الحرب الكورية والحرب الـــدائرة في فيتنام والحصار الأمريكي على الصين الشعبية، ومحاولات الولايات المتحدة لإقناع العالم بأن شيانج كاي شيك المحاصر في تايوان هو الممثل الشرعي للصين. وفي المقابل شرح له عبد الناصر الوضع في الشرق الأوسط وسياسة الأحلاف وسياســـة إسرائيل العدوانية. وكان لهذا اللقاء أثره المهم في توجه الصين نحو القضية الفلسطينية ، كما أكد تشوإن لاي اتفاق المواقف الصينية مع المواقف العربية فيما يتعلق بمعاداة الاستعمار والإمبريالية، وظهر ذلك الأثر جليا خلال هذا الاجتماع حيـــث طلب عبد الناصر من تشوإن لاي مفاتحة السوفيت لمعرفة رأيهم بشأن حصول مصر على أسلحة سوفيتية(٥).ومع بـــدء جلسات لجان المؤتمر لإعداد جدول الأعمال، اقترح رؤساء الوفود– ومن بينهم نهرو– أن يقتصر جدول الأعمال علـــى

---

(١) Dunner, J., Op. Cit., P. 12.

(٢) أحمد الشقيري ، أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، الطبعة الإلكترونية ٢٠٠٥، ص ٦٨٥.

(٣) محمد حسنين هيكل ، ملفات السويس ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٢٤٣.

(٤)محمود صبري، المرجع السابق.

(٥) محمد حسنين هيكل ، المرجع السابق، ص ٣٤٥ ، ٣٤٦.

المبادئ لا القضايا. وكان معنى ذلك تجنب إدراج قضية فلسطين. ودار نقاش وجدال حول هذا الموضوع، وانضم رئـــيس وفد سيلان لنهرو وأعلن انه لا يرى داعيا لبحث قضية فلسطين، وأنّ المؤتمر لم يجتمع لدرس قضايا إقليمية، ولكن لمعالجة مشاكل عالمية أوسع نطاقا. وبعد مشادات مع الأطراف العربية ، وإصرار من نهرو على عدم مناقشـــة قضـــية فلســـطين وإسرائيل غائبة عن المؤتمر. حسم الموقف تدخل تشوإن لاي عندما أعلن أن مناقشة قضية فلسطين سيتم تحت مبدأ عـــام وهو مبدأ تقرير المصير(١).وكان لهذا الموقف الوسطي من شوإن لاي ما يبرره، فقد كانت مهمته في المؤتمر كسب التأييد للصين، فمن بين ٢٨ دولة مشاركة المؤتمر كانت ١٦ دولة لا تعترف بالصين، بل وتعتمد بصورة أو بأخرى على الولايات المتحدة أو مرتبطة بها. وكان من بين تلك الدول تسع دول عربية هي مصر و العراق و الأردن و لبنان و ليبيا و المملكـــة السعودية و السودان، و سوريا واليمن. وكان من الطبيعي أن تتعرض الصين خلال المؤتمر للهجوم وكـــذا الأيديولوجيـــة الشيوعية. إلا أن تشوإن لاي نجح بمهارة أيضا في تجنب المواجهة المباشرة. وأعلن عن مبادئه الخمسة عن التعايش السلمي كأساس للحوار مع باقي الدول المشاركة. كما نجح في اكتساب ثقة المسلمين من خلال مشاركة أحد الشيوخ الصـــينيين المسلمين ضمن الوفد الصيني للتدليل على عدم تحيز الصين ضد الإسلام.وعندما تحدث تشوإن لاي في المؤتمر في ١٩ أبريل لم يرد بخطابه ذكر لإدانة إسرائيل، كما اقتصر ذكر قضية فلسطين على إشارة للصراع العـــربي — الإســـرائيلي تتضـــمن "ضرورة حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين". وكان واضحا خلال المؤتمر أن قادة الوفد الصيني لم يكونـــوا علـــى صـــلة بالحقائق الرئيسية للقضية الفلسطينية. ومن الشواهد على ذلك أن تشو ان لاى صرح خلال انعقاد المؤتمر بأنه لم يـــدرس قرارات الأمم المتحدة بصدد فلسطين(٢).إلا أن تشوإن لاي عقد على هامش المؤتمر العديد من الاجتماعات مع الوفـــود العربية، حرص خلالها على دعوة أغلب الوفود العربية لحفلات خاصة أقامها لتوطيد العلاقات الصينية مع الأطراف العربية، فاجتمع مع الوفد المصري، كما اجتمع أيضا مع الوفد السوري برئاسة وزير الخارجية خالد العظم بحضور أحمد الشقيري، الذي شرح للصينيين أبعاد قضية فلسطين، ومع نهاية الاجتماع تعهد تشـــوإن لاي بتأييـــد القضـــايا العربيـــة وقضـــية فلسطين(٣)، كما جرت اتصالات بين تشوإن لاي وبين الحاج أمين الحسيني (ممثلا عن اليمن في المؤتمر) مفتي القـــدس، وكان لتلك اللقاءات أثرها، حيث أعلن تشوإن لاي أثناء المؤتمر إدانته لما تعرض له الشعب الفلسطيني، وأن محنة اللاجئين العرب عمل عنصري(٤).كما أعلن تشوإن لاي تأييده لقضية فلسطين، أمام اللجنة السياسية لمؤتمر باندونج، في وجـــه معارضة مستترة من نهرو، ومعارضة سافرة من قبل رؤساء سيلان والفلبين(٥). وظهر ذلك أيضا من خلال تأييده للاقتراح للاقتراح الأفغاني الذي كان ينص على "أنه نظرا لحالة التوتر القائمة في الشرق الأوسط بسبب الحالة في فلسطين، ونظرا لما ينطوي عليه من خطر على السلام العالمي، يعلن المؤتمر الآسيوي – الأفريقي تأييده لحقوق عرب فلسطين، ويطلب تنفيـــذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين". وقد عقب تشو إن لاى على مشروع القرار الأفغاني مؤيدا إياه من حيث المبدأ، وألح على تبني صيغة أقوى منه، على الرغم من أن الدول العربية أيدته، واقترح توجيه نداء عالمي بشأن اللاجئين العـــرب بدلا من الاعتماد على بحث قرارات الأمم المتحدة، كما اقترح إضافة الجملة التالية إلى مشروع القرار الأفغـــاني وهـــي "بشرط استبعاد كل تدخل من الخارج" ، مشيرا بذلك إلى أن مشكلة فلسطين ناجمة عن التدخل الأجنبي وكانت وجهـــة نظره هي انه مادامت الوفود قد أقرت بأن تدخل بعض الدول الكبرى هو الذي تســـبب في الكـــوارث الـــتي لحقـــت بالفلسطينيين، فمن المعقول أن ينص القرار على أن تأتى التسوية السلمية لمشكلة فلسطين دون تدخل من الخارج(٦). إلا

---

(١) أحمد الشقيري ، أربعون عاما ، ص ٦٩٠.

(٢) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

(٣) احمد الشقيري ، أربعون عاما ، ص ٦٩٤.

(٤) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

(٥) أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، الطبعة الإلكترونية الأولى، عام ٢٠٠٥، ص ٢٦٥.

(٦)محمد أنيس: المؤتمر الآسيوي الأفريقي، القاهرة ١٩٥٧،ص ٧٩، ٨٢

أن هذا الاقتراح قد رفض، واقتصر البيان الختامي على إضافة فقرة " وتحقيق التسوية السلمية للمشكلة الفلسطينية". وفي الخطاب الذي ألقاه تشو إن لاى في الاجتماع الختامي لمؤتمر باندونج في ٢٤ إبريل، أكد على أن الشعب الصيني يشمل بعطفه الكامل وتأييده نضال الشعب العربي في فلسطين من اجل الحقوق الإنسانية. بينما لم ترد في الخطاب الرئيسي لتشو ان لاى الذي وزعه وفد الصين في الاجتماع الموسع للمؤتمر في ١٩ أبريل سوى المطالبة بحل مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين بغير حل. وهذا دليل على التحول في الموقف الصيني خلال المؤتمر، والفرق واضح بينما قاله تشو ان لاى في بداية المؤتمر وما قاله في ختامه ، فقد اقتصر في البداية على مجرد المطالبة بحل قضية اللاجئين ولكنه أعلن في ختامه تأييده لنضال الشعب الفلسطيني(١).وإزاء الموقف الصيني الجديد، اعتبرت مصر ذلك مكسبا هاما للقضية الفلسطينية في ذلك الوقت ، حيث صرح صلاح سالم وزير الإرشاد القومي وشئون السودان آنذاك، بأن مصر ممتنة للغاية من موقف تشوإن لاي فيما يتعلق بمسألة اللاجئين الفلسطينيين، وحقوق شعوب شمال أفريقيا (٢).وفي أعقاب المؤتمر، ظهرت آثار التحول في الموقف الصيني تجاه العالم العربي وقضية فلسطين، ومن بين الشواهد على ذلك التغيير؛ التقرير الذي كتبه تشوإن لاى بعد انتهاء مؤتمر باندونج بعنوان "مقابلة مع جمال عبد الناصر" أورد فيه تحليلا لطبيعة حركة التحرر العربية وأوصى بضرورة مساندتها لسببين، هما: أن انتصار القوى الوطنية في الشرق الأوسط هو في مصلحة المعسكر الاشتراكي ، لأنه سوف يعرقل محاولة الاستعمار الغربي لتطويق المعسكر الاشتراكي بالقواعد الذرية، كما أن التيار الوطني هو القوة المقبلة في الشرق الأوسط ويجب أن تتقارب معه الصين على الفور. وكرر تشوإن لاي موقفه مرة أخرى في تقريره إلى اللجنة الدائمة لمؤتمر الشعب الوطني عن مؤتمر باندونج في ١٣ مايو سنة ١٩٥٥، حيث أعلن تأييده لقرار المؤتمر بصدد حقوق شعب فلسطين(٣).وكان من الطبيعي أن تراقب إسرائيل تحولات الموقف الصيني من قضية فلسطين ، حيث اختلفت تقديرات مسئوليها تجاه قدر هذا التحول، فبينما قال هاكوهين أنه حتى بعد مؤتمر باندونج كانت الصين ما تزال راغبة في علاقات صداقة مع إسرائيل، إلا أنه أرجع عدم سعي إسرائيل لإقامة علاقات دبلوماسية مع الصين، إلى الضغط الشديد الذي تمارسه الولايات المتحدة والذي تعرض لجانب منه من وزير الخارجية الأمريكي دالاس أثناء زيارة الأخير لرانجون في أعقاب مؤتمر باندونج، حيث حذره من إقامة علاقات مع نظام على وشك الانهيار، وعلق هاكوهين على ذلك بأنه إذا كان الضغط الأمريكي وصل إلى هذا المستوى في رانجون فكيف يكون الحال في إسرائيل ذاتها(٤). بينما كانت تقديرات المخابرات الإسرائيلية والتي جاءت في تقرير أحد رجالها ويدعى ياكوف شيموني Yaakov Shimoni ، تقول بأنه حتى لو كانت هناك علاقات دبلوماسية بين الصين وإسرائيل، فإن سياسة التقارب الصينية – العربية التي بدأت مع مؤتمر باندونج كانت ستؤدي حتما إلى قطعها(٥).

رابعاً – التقارب الصيني – العربي في أعقاب مؤتمر باندونج ١٩٥٦– ١٩٥٧: لم تستسلم إسرائيل لتحولات السياسة الصينية تجاه القضية الفلسطينية في أعقاب مؤتمر باندونج، فقد طار السفير الإسرائيلي في موسكو في يوليو ١٩٥٥ إلى بكين في زيارة سرية، لمحاولة إقناع الصين بإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، إلا أن الصينيين أبلغوه بأن "الوقت لم ينضج بعد لإقامة علاقات دبلوماسية" . وعلى الرغم من ذلك، فهناك ما يشير إلى أن الصين كانت ما تزال حريصة على المحافظة على علاقات حسنة مع إسرائيل، ويرجع ذلك إلى اعتبارها أن عدم انضمام إسرائيل إلى أي من الأحلاف العسكرية الأمريكية كان يعد عاملا إيجابيا (٦).وكان التحرك المصري تجاه الصين خلال تلك الفترة عاملا مهما في عرقلة نجاح المساعي

(١) محمد السيد سليم، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) Khalili, Joseph, Sino-Arab Relations, In: Asian Survey, Vol. 8, No. 8(Aug., 1968), P. 682.

(٣) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(٤) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 23.

(٥) Du, Xianju, Op. Cit., P. 21.

(٦)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

الإسرائيلية ، وقد مر ذلك بعدة مراحل متدرجة بدأت في أعقاب مؤتمر باندونج. ففي مايو ١٩٥٥، زار الصين احمد البكري وزير الأوقاف المصري، حيث وقع مع الجانب الصيني اتفاقا حول التعاون الثقافي، نص على إيفاد كل طرف مدرسيه وطلبته للطرف الأخر للقيام بمهام التدريس والدراسة. وفي أغسطس من العام نفسه زار الصين محمد أبونصير وزير التجارة والصناعة المصري، حيث وقع مع الجانب الصيني على اتفاقية وبروتوكول تجاري نصا على إقامة كل طرف لمكتب تجاري تمثيلي يتمتع بقدر معين من الحقوق والصلاحيات الدبلوماسية لدى الطرف الأخر. وفي مطلع يناير ١٩٥٦ وصلت البعثة التجارية الصينية إلى القاهرة برفقة بعثة ثقافية مكونة من مدرس وطلبة صينيين. وفي فبراير من العام نفسه تم إقامة البعثة التجارية المصرية في بكين، كما أوفدت مصر عددا من الطلبة المصريين إلى بكين(١).وفي تلك الفترة كانت علاقات مصر بالغرب تموج بتقلبات عنيفة، وامتدت الخلافات إلى قضايا عديدة، فساهم ذلك في مزيد من التقارب بين مصر والصين. حيث قرر مجلس الوزراء المصري في ١٦ مايو ١٩٥٦، قطع العلاقات مع حكومة تايوان، والاعتراف بجمهورية الصين الشعبية، كما أعرب عن رغبة مصر في إقامة علاقات دبلوماسية معها وتبادل المندوبين المقيمين فيما بينهما. ومن ثم قام الجانب المصري بإبلاغ الجانب الصيني هذا القرار عبر البعثات التجارية لدى العاصمتين. وفي اليوم التالي، أصدرت وزارة الخارجية الصينية بيانا رحبت فيه بالقرار المصري، معربة عن أملها في سرعة إقامة العلاقات الدبلوماسية وتبادل المبعوثين. وفي الثامن عشر من مايو أرسل تشوإن لاي رسالة إلى عبد الناصر أعاد التأكيد فيها على ما جاء في بيان وزارة الخارجية الصينية. وفي الثلاثين من مايو أصدرت الحكومتان الصينية والمصرية بيانا مشتركا تضمن الاتفاق على إقامة علاقات دبلوماسية وتبادل المندوبين الدبلوماسيين على مستوى السفراء(٢).ورغم تعرض مصر لضغوط أمريكية لإثنائها عن تدعيم علاقاتها مع الصين، إلا أنها تجاهلت تلك الضغوط. حيث التقي وزير الخارجية الأمريكي دالاس مع أحمد حسين السفير المصري في واشنطن، وأبلغه أن تصرف مصر لم يكن له ما يبرره ، وأن ذلك التصرف أثار حفيظة الكونجرس ، وهدده بأن ذلك قد يؤدي إلى اتخاذ قرار بتسليح إسرائيل بصورة مباشرة(٣). و لم يفت إسرائيل هي الأخرى أن تستغل الاعتراف المصري بالصين من أجل الحصول على فوائد من جراء ذلك، حيث اتهم موشيه شاريت عبد الناصر بأنه مستعد للتحالف مع الشيطان من أجل السيطرة على المنطقة من الخليج إلى المحيط ، وأن جذور اعترافه بالصين تعود إلى مؤتمر بكين حيث أخُذ عبد الناصر بصورته ضمن القادة الثلاثة مع نهرو وتشوإن لاي (٤).إلا أن ذلك لم يمنع مصر من المضي قدما في تطوير علاقاتها مع الصين ، ففي شهر يوليو من نفس العام وصل تشن جيا كانج إلى القاهرة ليكون أول سفير للصين الشعبية لدى مصر. وفي السابع عشر من سبتمبر من نفس العام وصل حسن رجب، أول سفير لمصر لدى الصين(٥).وكان الصين(٥).وكان التقارب المصري–الصيني فاتحة الطريق أمام الصين لإقامة علاقات مع عدد من الدول العربية، فتوافدت البعثات الثقافية والتجارية على سوريا ، ثم إلى الأردن وغيرها من الدول العربية (٦).وساهمت الأحداث التي شهدتها تلك تلك الفترة في تهيئة الفرصة للصين للدخول إلى المنطقة بصورة أكبر من خلال تأييد الجانب العربي، ففي أعقاب تأميم مصر

---

(١)محمود صبري، المرجع السابق.

(٢) كان محمد نجيب الرئيس المصري الأول بعد ثورة عام ١٩٥٢ قد أفضى بان مصر كانت في الحقيقة قد استعدت ومنذ فترة للاعتراف بالصين الجديدة، ولكنها عدلت عن ذلك بسبب التحذيرات الأمريكية . وعندما استقبل عبد الناصر ممثل البعثة التجارية الصينية في الرابع والعشرين من مايو ١٩٥٦ قال " ان الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية كان قد تقرر منذ زمان، وان عدم الإعلان عن ذلك جاء بسبب تفكيرنا في تقليل دعم الدول الغربية الكبرى لإسرائيل كي تنعم المنطقة بشيء من الهدوء والاستقرار. إلا إن هذه الدول الكبرى لم تكن تفكر في صداقة مصر، بل استمرت في تزويد إسرائيل بكميات هائلة من الأسلحة" . نفسه.

(3) FRUS, 1955-1957, Vol. XV, Arab-Israeli Dispute, Memorandum of Conversation, Washington May 17, 1956.

(4) Ibid., Telegram from the Embassy in Israel to the Department of State, Tel Aviv, May 30, 1956.

(٥) الهيئة العامة للاستعلامات ، المرجع السابق.

(6) Harris, L. G., China Considers the Middle East, London 1993, P. 90.

لقناة السويس، رحبت الحكومة الصينية في ١٥ أغسطس بذلك، واعتبرته خطوة ضد الإمبريالية، وامتدحت التحرك المصري واعتبرته تحديا للهيمنة الغربية على طريق التجارة بين الشرق والغرب. وإن كان تشوإن لاي قد أعلن أن القناة يجب أن تكون مفتوحة أمام الجميع، إلا أن وزارة الخارجية الصينية سارعت وأعلنت أن ذلك لا يعني قبول تشوإن لاي بتدويل القناة(١).وفي سبتمبر ١٩٥٦ عقد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني، وخلال هذا المؤتمر أثيرت القضية الفلسطينية والصراع العربي – الإسرائيلي، وكان من بين الوفود المشاركة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، والذي ألقى رئيسه ماير فلنر كلمة في المؤتمر، أدان فيها الإمبرياليين الذين يحاولون استغلال إسرائيل للقيام بمغامرة ضد مصر بهدف تمكينهم من استعادة سيطرتهم على قناة السويس، كما أيد تأميم مصر لشركة قناة السويس ، وطالب بالتفاوض الحر بين إسرائيل والبلاد العربية كوسيلة وحيدة لإقرار السلام في الشرق الأوسط وبالاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب العربي في فلسطين.
أما ماوتسى تونج فقد ركز في خطابه أمام المؤتمر على تأييد العمل المشروع الذي قامت به مصر بتأميم شركة قناة السويس وشجب أي محاولة للتدخل المسلح في مصر من جانب بريطانيا أو فرنسا، كما جاء في التقرير السياسي الذي قدمه ليوتشاوتشى الرئيس الصيني إلى اللجنة المركزية للحزب في المؤتمر الثامن في ١٥ سبتمبر (٢).وفي نفس الشهر جددت الصين تأكيد موقفها بالنسبة لتأميم قناة السويس في مذكرة جديدة سلمتها للحكومة المصرية، وأضافت رفضها واستنكارها لمحاولات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة شن حرب ضد مصر لإجبارها على الرجوع عن قرارها والسيطرة بالقوة على القناة . وأكد ماوتسي تونج في ١٧ سبتمبر ١٩٥٦ أثناء استقباله للسفير المصري حسن رجب أن الصين ستدعم بكل ما في وسعها كفاح الشعب المصري من أجل حماية سيادته على قناة السويس. وأشار تشوإن لاي في ٢٠ سبتمبر في تقرير حول قضية قناة السويس أثناء الدورة السادسة والأربعين لاجتماع اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني، إلى أن الشعب المصري سيحصل على الدعم المطلق من الشعب الصيني في كفاحه لحماية الاستقلال الوطني وسيادة الدولة، بل وبعث تشوإن لاي ببرقية إلى الرئيس عبد الناصر أشار فيها إلى تبرع الحكومة الصينية بعشرين مليون فرنك سويسري للحكومة المصرية(٣).وبعد أن شنت قوى العدوان الثلاثة، إنجلترا وفرنسا وإسرائيل، عدوانها على مصر في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦، أصدرت الحكومة الصينية في الأول من نوفمبر بيانا أدانت فيه هذا العدوان، ووصفته بأنه وحشي همجي، وأكدت على دعم مصر من أجل حماية سيادة الدولة والاستقلال الوطني. وفي ٣ نوفمبر قدم ماوتسي تونج اقتراحات لمصر حول إستراتيجية مقاومة العدوان، وقد تولى تشوإن لاي تسليمها إلى الحكومة المصرية(٤).كما فتحت الحكومة الصينية باب التطوع أمام الصينيين للمشاركة في الدفاع عن مصر ورد العدوان، وقدر عدد المتطوعين بحوالي ٢٨٠ ألف متطوع، كما أعلنت الحكومة الصينية وضعأرصدتها من الجنيه الإسترليني تحت تصرف مصر، وأصدرت عدة بيانات تشجب فيها العدوان البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر، وأهم ما ورد في هذه البيانات أن موقف الصين من الصراع العربي– الإسرائيلي الحذر تغير، فقد تخلت الصين عن موقف المهادنة مع إسرائيل، حيث وصفتها لأول مرة من خلال العدوان الثلاثي بأنها "أداة الإمبريالية الغربية"، وبأن القوى الأجنبية إنما تحاول إعادة تثبيت أقدامها في الشرق الأوسط بالتعاون مع إسرائيل(٥).وكما أدانت الصين العدوان، أدنت كذلك قرار الأمم المتحدة الداعي إلى وجود قوات طوارئ دولية على الأراضي المصرية. وقالت أن الأمم المتحدة ليس لها الحق في أن تحتل تلك القوات بوصة واحدة من

---

(1) Shichor, Yitzhak, The Middle East in China's Policy 1949-1977, Cambridge University Press 1979, P. 49.

(٢) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(٣)الهيئة العامة للاستعلامات، المرجع السابق .

(٤)الهيئة العامة للاستعلامات ، المرجع السابق.

(٥)سلافة حجاوي، المرجع السابق .

الأراضي المصرية بالنيابة عن القوات المعتدية الفرنسية والبريطانية والإسرائيلية (١).ونتيجة للسياسة الصينية المؤيدة للمواقف العربية، شهدت تلك الفترة توالي اعتراف الدول العربية بالصين الشعبية، ففي عام ١٩٥٦ اعترفت بها كل من سوريا واليمن، وفي عام ١٩٥٧ اعترفت المغرب بالصين، كما اعترف العراق والسودان بها في عام ١٩٥٨(٢).وأدى ذلك إلى زيادة النشاط الصيني في المنطقة العربية، خاصة بعد تأسيس منظمة تضامن الشعوب الأفرو- أسيوية في القاهرة في عام ١٩٥٨ ، حيث أصبح موقف الصين من القضية الفلسطينية جزءا من سياسة صينية تسعي للحصول على الاعتراف الدولي بالصين الشيوعية كحكومة شرعية، فضلا عن رغبتها في استخدام العالم العربي كجبهة ثورية مهمة ضد الغرب والإمبريالية الأمريكية (٣). وظهر ذلك من خلال معارضة الصين لنزول القوات البريطانية والأمريكية في كل من الأردن ولبنان على الترتيب في صيف عام ١٩٥٨، وحذرت الأمم المتحدة من أن تصبح غطاءا لاستخدام العدوان(٤). وكانت لتلك السياسة أثرها في المقابل في العالم العربي، فقد وجه عبد الناصر انتقادات شديدة للولايات المتحدة بسبب سياستها تجاه الصين، واتهم الأمريكيين بإتباع سياسة عدوانية تجاهها (٥).

خامسا – توتر العلاقات العربية– الصينية ٥٩–١٩٦٣ .خلال عام ١٩٥٨ اتخذت سياسة الصين الخارجية موقفا متشددا من معظم دول العالم، وتسبب ذلك في حدوث تراجع في علاقات الصين مع عدد من دول العالم. وكان ذلك يرجع في الواقع إلى أن الصين كانت تمر في هذه الفترة بمرحلة خطيرة من مراحل الصراع الداخلي، بين جناح المعتدلين من ناحية وجناح المتشددين من ناحية أخرى، حيث استطاع جناح المتشددين منذ أواخر عام ١٩٥٨ أن يتغلب على الجناح الأول المعتدل. ونتيجة لذلك تعددت خلافات الصين في كافة الاتجاهات في ذلك الوقت؛ فشهدت تلك الفترة قيام خلافات وأزمات بينها وبين الهند ومصر والاتحاد السوفيتي وغيرها من دول العالم(٦).وكانت مرحلة عدم الاتفاق في العلاقات بين الصين والعالم العربي قد بدأت مع تدخل الصين في الشئون الداخلية لعدد من الدول العربية ، من خلال علاقاتها بالأحزاب الشيوعية فيها، وهو ما تسبب في استياء عدد من الدول العربية. وكان عبد الناصر على الرغم من معاداته للإمبريالية وتحالفه مع الصين، يرفض الشيوعية ، وانزعج من تدخل الصين الشيوعية في الشئون الداخلية للعالم العربي(٧).وقد بدأ الخلاف بين مصر والصين بسبب قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا، فقد خشيت الصين الصين من أن تؤدي السيطرة المصرية على سوريا، إلى القضاء على قاعدة الحزب الشيوعي السوري، خاصة بعد قرار عبد الناصر إلغاء الأحزاب السياسية في سوريا، وكان الحزب الشيوعي السوري أكبر الأحزاب الشيوعية في المنطقة. ومع مطلع عام ١٩٥٩ أُغلق المركز الصحفي الصيني في القاهرة، ومُنع طبع المطبوعات والنشرات الصينية والسوفيتية على حد سواء في القاهرة ودمشق (٨).كما ساهم في تردي العلاقات المصرية الصينية ، التقارب الصيني مع العراق بعد ثورة عبد الكريم قاسم، خاصة مع الدعم الصيني للحزب الشيوعي العراقي، وتورط هذا الحزب في قمع انتفاضة وقعت في كركوك والموصل في ذلك الوقت. حيث تبادلت البلدان الاتهامات التي انتهت باستدعاء الصين لسفيرها من القاهرة في يونيو ١٩٥٩. يضاف إلى ذلك قيام الصين بقمع تمرد حدث في إقليم التبت في عام ١٩٥٩ ضد السلطات المركزية ، وهو ما أدانته مصر، وصدر على إثر ذلك نشرة من ٦٠ صفحة أصدرتها وزارة الإرشاد القومي في مصر عن انتهاكات الصين خلال قمع هذا التمرد

---

(١) Shichor, Y. China and the Role of the United Nations The Middle East Revised Policy , In: Asian Survey, Vol. 3, No. 3(Mar., 1991). P.256.

(٢)وكان من بين المواقف التي اتخذتها الحكومة الصينية والتي أكسبتها مكانة في العالم العربي، أنها كانت أول دولة تعترف بالحكومة الجزائرية المؤقتة في عام ١٩٥٨. Cooley, J. K., Op. Cit., P. 24.

(٣) Khalili, Joseph, Op. Cit., P. 682.

(4) Shichor, Y., China and the Role of the United Nations The Middle East Revised Policy. P. 256.

(5) FRUS, 1958-1960, Vol. XLLL, Arab-Israeli Dispute, Memorandum of Conversation, Washington, September 4, 1958.

(٦)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(7) Du, Xianju, Op. Cit., P. 65.

(8) Harrison. Op. Cit. 102.

(١). وردت الصين على ذلك بأن سمحت للمعارض الشيوعي السوري خالد بكداش بحضور الاحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس جمهورية الصين الشعبية ، وإلقاء كلمة في هذا الاحتفال في حضور ماوتسي تونج، حيث هاجم بكداش عبد الناصر واتهمه بالميل إلى الغرب(٢). كما وصف النظام الناصري في سوريا بالنظام الاستبدادي والدكتاتوري الذي يدار بتكتيكات فاشية. وهو ما أثار غضب مصر ، واعتبرته تدخلا في شئونها الداخلية ، وانتهاكا لروح مؤتمر باندونج. فقامت بسحب القائم بالأعمال المصري من بكين – وكان السفير قد غادر بكين قبل ذلك لأسباب شخصية– وأغَلقت القنصلية الصينية في دمشق، ووجهت مذكرة للحكومة الصينية بأنها لن تسمح بقبول التطاول عليها(٣).وكان رد الفعل المصري قويا لدرجة أن الحكومة الصينية سارعت بتقديم اعتذار للحكومة المصرية ، وأبلغ تشوإن لاي عبد الناصر أن هذه هي المرة الوحيدة التي سمحت الصين لنفسها بتقديم اعتذار لأي دولة (٤).ولم تكن مشاكل الصين قاصرة على علاقاتها بمصر والمنطقة العربية ، بل امتدت تلك المشاكل إلى علاقاتها مع أكثر من دولة، خاصة الاتحاد السوفيتي، الذي بدأت الخلافات معه لعدم مساندته للصين في الهجوم الذي شنته قواتها في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٥٨ على جزيرتي كيمودى وماتسو، بهدف السيطرة على تايوان(٥).وتصاعد الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي بعد تصاعد النزاع الصيني مع الهند في ذات التوقيت، على خلفية اتهامات الصين للهند بمساندة ثورة التبت (٦). حيث أظهر الاتحاد السوفيتي حيادا تجاه هذا النزاع، فقد صدرت تأكيدات من موسكو، منذ بداية القتال على الحدود الهندية الصينية، بأن الاتحاد السوفييتي سيقوم بتنفيذ اتفاقية مع الهند بخصوص إمدادها بطائرات الميج(٧).وتسببت كل تلك الأوضاع في تراجع نشاط الصين فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. ولم تنجح في لعب دور ملموس ، فقد تحول الاعتدال الذي اتسم به موقف وفد الصين في المؤتمر الأول لمنظمة تضامن الشعوب الأفريقية– الآسيوية (القاهرة ديسمبر ١٩٥٧ ـــ يناير ١٩٥٨)، إلى مواقف متشددة خلال المؤتمرات التالية وفي اجتماعات الأجهزة المختلفة للمنظمة، واتضح ذلك في معارضتها لنزع السلاح ووقف التجارب الذرية.وتبلور موقف الصين في الاجتماعات المذكورة في رغبتها في أن تتبنى الوفود المختلفة وجهة نظرها في مجال تحرير المستعمرات(٨).ونتيجة لكل تلك الأوضاع والتطورات لم تصدر خلال الفترة من ١٩٥٨ – ١٩٦٣ أية تعليقات صينية تجاه قضية فلسطين تعبر عن سياسة واضحة، بل أن هناك بعض الوقائع حدثت في هذه الفترة يمكن أن تكون ذات دلالة معينة، ومن ذلك معارضة تاوسى تشين رئيس وفد الصين الشعبية في مؤتمر الحقوقيين الآسيويين الأفريقي المنعقد في دمشق

---

(1) Du, Xianju, Op. Cit., P. 65, 66.
(2) Masannat, G. S., Op. Cit., P. 216.
(3) Slawechi, L., The tow Chinas in Africa, In: Foreign Affairs, January 1963.
(٤) Du, Xianju, Op. Cit., P. 66.

(٥)بطرس بطرس غالى، النزاع الصيني السوفيتي (سنة ١٩٥٩– سنة ١٩٦٩) ، السياسة الدولية ، عدد ٣٦ ، أبريل ١٩٧٤ ، http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=213690

(٦) يوميات الثورة الثقافية ، السياسة الدولية ، العدد ١٦ ، يناير ١٩٦٨ ، .http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=212731

(٧)بدأ الخلاف الصيني السوفيتي، عقب وفاة ستالين، عام ١٩٥٣، حينما بدأ الحزب الشيوعي السوفييتي في انتهاج سياسة جديدة تجاه المعسكر الغربي، وذلك بمحاولة التقارب مع هذا المعسكر، وكان رأي الصين، في ذلك الوقت، أنه لابد أن يسبق التقارب بين المعسكرين، الغربي والشرقي، تقوية الروابط بين أعضاء المعسكر الشرقي أولاً، لأن التقارب بين المعسكرين سوف يكون على حساب الحركات التحررية والثورية في عدد من الدول الآسيوية والأفريقية، وأن مصلحة المعسكر الشرقي تفرض عليه الوقوف إلى جانب هذه الحركات وتأييدها، كسباً لصداقة شعوبها أولاً، ومجابهة لنفوذ الغرب فيها ثانياً . لم يكن الخلاف، في ذلك الوقت، من الحدة بحيث يخلق القطيعة بين الدولتين، وإنما كان مجرد تعارض في الاتجاهات. رباب يحيى عبد المحسن، المرجع السابق.

(٨)كانت الصين ترى أن خبرتها في التحرير جديرة بأن تحتذي، وأن الحزب الشيوعيالصيني قام بمحاربة قوات الاحتلال اليابانية للصين، ثم محاربة قوات شيانج كاى شيك، واتبع في ذلك تعاليم ماوتسى تونج، وهى مجموعة من القواعد والنظريات مستقاة من كتابات ماركس ولينين، أدخل ماو عليها من التعديلات ما يلائم الواقع الصيني ولقد اعتقدت الصين بأن على ممثليحركات التحرير إتباع هذه التعاليم، نظرا لوجود أوجه شبه كثيرة بين الأحوال في الصين أيام احتلال اليابان لها، والأحوال فيالمستعمرات. فالمستعمر يقيم عادة في المدن، ولذلك يجب إنشاء قواعد للتحرير في الريف وبأتباع تعاليم حرب العصابات يتم لحركات التحرير السيطرة على الريف ثم الزحف على المدن لتحريرها، وهو ما قامت به قوات به قوات ماوتسي تونج. عمر علي عامر، الصين والمنظمات الدولية الشعبية، السياسة الدولية ، عدد ٢٧ ، يناير ١٩٧٢ ،

http://digital.ahram.org.eg/Policy.aspx?Serial=213379.

في نوفمبر سنة ١٩٥٧ لإصدار أي قرار مؤداه استنكار نوايا إسرائيل العدوانية ووجودها في قلب العالم العربي كقاعدة للعدوان وكانت معارضته معارضة شديدة . كذلك فان ليو تشاو تشى في تقريره عن عمل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المقدم للدورة الثانية للمؤتمر الوطني الثامن في ٥ مايو سنة ١٩٥٨ اكتفى بالإشارة إلى نجاح كفاح مصر وسوريا ضد العدوان بمساعدة الاتحاد السوفيتي وقوى السلام في العالم دون الإشارة إلى إسرائيل أو القضية الفلسطينية.
كما أوضحت بعض المصادر الغربية في هذه الفترة أن هناك تبادلات تجارية بين الصين الشعبية وإسرائيل تقوم خلالها الأولى بشراء البيض من الثانية مقابل تزويدها بسكر كوبا(١) . كما ظل الحزب الشيوعي الصيني على موقفه الإيجابي تجاه الحزب الشيوعي الإسرائيلي الماكي (MAKI) ، وكانت الصين تنظر إليه على أنه قوة ممكن أن تغير السياسة الإسرائيلية، ويعارض الإمبريالية وينبذ النزاع بين إسرائيل والشعوب العربية(٢).ومن ثم لم تكن للصين مواقف عدائية تجاه إسرائيل، بل بل أن الأخيرة هي التي اتخذت مواقف معادية من الصين تمثلت في قيامها بتزويد الهند بالأسلحة خلال نزاعها مع الصين في عام ١٩٦٢(٣). وفي الواقع كانت أوضاع القضية الفلسطينية ذاتها تعاني حالة من الخمول لانشغال العرب أنفسهم في نزاعات أخرى فيما بينهم تتعلق بالصراعات بين النظم الثورية والنظم الرجعية، وكذلك المنافسة داخل المعسكر الثوري ذاته. من ثم واجهت جهود مصر في تلك الفترة لإعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وإبراز كيانه شعبا موحدا لا مجرد لاجئين- صعوبات داخل الجامعة العربية ذاتها(٤). فقد عارض الأردن ذلك متهما مصر بالسعي إلى إيجاد هيئة تمثيلية فلسطينية بهدف استخدامها في إضعاف الملك حسين خاصة في ظل حالة الانقسام العربي، وأيضا رغبة من عبد الناصر في نقل بعض المسئولية عن القضية الفلسطينية عن عاتق مصر إلى طرف أخر(٥). ومن ثم تسببت تلك المواقف في عدم اتخاذ إجراءات فعلية لإيجاد مثل هذا الكيان. خاصة مع دخول عبد الكريم قاسم مع عبد الناصر واستخدامه مسألة إنشاء كيان فلسطيني في إطار المنافسة مع مصر. فقد اقترح في ديسمبر ١٩٥٩ إنشاء جمهورية فلسطين العربية في الضفة الغربية وغزة على أن يكون لها حكومة تمثل الفلسطينيين وجيش يتحمل مسئولية العمل على إنجاز مهمة تحرير الأراضي الفلسطينية، وعلى أن يتحمل الفلسطينيون الأمر كاملا باعتبارهم النموذج الجزائري واستنادهم إلى قواهم الذاتية في الأساس(٦)، واتخذ واتخذ عبد الكريم قاسم من هذا الاقتراح وسيلة للتشكيك في مشروعية ضم الضفة الغربية إلى شرق الأردن وغزة للإدارة المصرية. وبطبيعة الحال عارضت كل من مصر والأردن ذلك المقترح على اختلاف أهدافهما ، فقد وصف عبد الناصر هذه الفكرة بأنها مناورة دنيئة (٧) ، إذ لم تكن الظروف التي تمر بها القضية الفلسطينية تتشابه في أي من جوانبها مع القضية الجزائرية، أما الأردن فقد انتهز الفرصة وقام بمنح الجنسية الأردنية لكل الفلسطينيين الذين يعيشون في الأردن ، كما عرض الجنسية على أي فلسطيني لاجئ في البلاد العربية يريد الانتقال إلى الأردن (٨).
سادساً : تطور سياسة الصين والمنظمات الفلسطينية:بدأت الحكومة الصينية في انتهاج سياسة جديدة في أواخر عام ١٩٦٣ لاستعادة ما فقدته خلال الفترة السابقة في الدول الأسيوية والأفريقية ، وكان من بين التغيرات التي طرأت على السياسة الصينية في تلك الفترة، ما هو متعلق بالقضية الفلسطينية، وقد ظهرت ملامح هذا التطور لأول مرة في البيان المشترك الصادر عقب زيارة تشوإن لاى للجمهورية العربية المتحدة خلال الفترة من ١٤-٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٣،

---

(١) محمد السيد سليم، المرجع السابق.
(٢) Du, Xianju, Op. Cit., P. 66.
(٣) محمد سيف حيدر، الصين وإسرائيل: علاقات عسكرية متأرجحة، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد١٨، العدد٦٨(شتاء٢٠٠٧)، ص٢٩.
(٤) مضابط جلسات مجلس جامعة الدول العربية، الدورة الاعتيادية ٣١ ،الجلسة الثالثة، القرار رقم ١٥٤٥،بتاريخ ٩ مارس ١٩٥٩.
(٥) يزيد يوسف صايغ، الأردن والفلسطينيون: دراسة في وحدة المصير أو الصراع الحتمي،لندن ١٩٨٧ ،ص ٢٢.
(٦) محمد رجب قدورة، مشكلة اللاجئين الفلسطينية (نشوؤها وتطورها١٩٤٧—١٩٦٧)، رسالة دكتوراه، جامعة صنعاء، صنعاء٢٠٠٧، ص١٠٨
(٧) عصام الدين فرج، منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٦٤ — ١٩٩٣، الطبعة الأولى،القاهرة ١٩٩٨،
(٨)يزيد يوسف صايغ، المرجع السابق ،ص ٢٢.

والذي نص على تأييد الجانب الصيني الكامل لشعب فلسطين في استــــــرداد حقوقه الشرعية(١). وخلال هذه الزيـــارة أيضا أعلن شوإن لاي عن المبادئ التي تعتمدها الصين في علاقتها مع مصر والدول العربية، وكان الهدف من هذا الإعلان نزع مخاوف مصر وغيرها من الدول العربية من تدخل الصين في شئونها الداخلية، وبالتالي تشير إلى التزام الصين بتجنـــب الأخطاء التي وقعت فيها في نهاية الخمسينيات، والتي تسببت في توتر علاقات الصين بالدول العربية. وكانت هذه المبادئ تتضمن: تأييد الصين للشعوب العربية في نضالها ضد الإمبريالية من أجل تحقيق وحماية استقلالها الوطني؛ وتأييـــد الصـــين حكومات الدول العربية في سعيها نحو سياسة سلمية محايدة وغير منحازة؛ وتأييد الصين الشعوب العربية في سعيها مـــن أجل تحقيق آمالها وتطلعاتها في التضامن والوحدة وفق خيارها الحر؛ وتأييد الصين الدول العربية في جهودها من أجل حل خلافاتها عن طريق الحوار والمفاوضات السلمية؛ وتأكيد الصين على ضرورة احترام سيادة الدول العربية ورفض أي تدخل أجنبي في شؤونها الداخلية(٢). وخلال جولته الأفريقية التي تلت زيارته للقاهرة صرح تشوإن لاي في ١ يناير ١٩٦٤ بأن الصين على استعداد لدعم الشعوب العربية لاسترداد فلسطين، وقتما يكونوا مستعدين لذلك، وأن على العرب أن يقولوا ذلك فقط، وسوف يجدون الصينيين على استعداد لتقديم كل شيء وأي شيء، بما في ذلك الأســـلحة والمتطـــوعين(٣). وخلال جولته في شمال أفريقيا، صدرت ثلاثة بيانات صينية مشتركة مع حكومات كل من الجزائـــر، والمغرب،وتـــونس، أكدت تلك البيانات تأييد الجانب الصيني المطلق لشعب فلسطين في استعادة حقوقه المشروعة(٤) .وزاد من حيوية التحرك التحرك الصيني في ذلك الوقت أن جولة تشوإن لاي الإفريقية تزامنت مع تحرك عربي مهم قادته مصر لتوحيـــد الجهـــود العربية من أجل اتخاذ إجراءات على الأرض لصالح القضية الفلسطينية، وتمثل ذلك في انعقاد مؤتمر القمـــة العـــربي الأول بالقاهرة، حيث خرج هذا المؤتمر بقرارات مهمة تمثلت في تكليف أحمد الشقيري بالبحث في أمكانية إنشاء كيان فلسطيني ليكون ممثلا للشعب الفلسطيني ، وإنشاء جيش تحرير فلسطيني ، وكذا الشروع في تنفيذ مشروعات لتحويل ميـــاه نهـــر الأردن لاستخدامها لصالح الدول العربية ولحرمان إسرائيل من استغلال تلك المياه في تدعيم وجودها على الأراضي العربية باستقدام المزيد من المهاجرين، وقطع الطريق أمام عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم. وما ارتبط بتلك المشـــروعات من إعلان القادة العرب عن تشكيل قيادة موحدة لجيوش الدول العربية تكون مهمتها الأولى حماية مشروعات تحويل مياه نهر الأردن من التهديدات الإسرائيلية. وكان رد الفعل الصيني إزاء تلك القرارات سريعا ومؤيدا لها بصـــورة كاملـــة. في الوقت الذي صُدم فيه العرب من موقف الاتحاد السوفيتي الذي جاء على لسان خروشوف والذي اعتـــبر أن القـــرارات العربية تزيد من المخاطر التي تهدد السلام العالمي(٥). وخلال تلك الفترة بدأت الاتصالات المباشـــرة بـــين الفلســـطينيين والصينيين، وكانت أول تلك الاتصالات في مارس ١٩٦٤، عندما حضر عدد من الفلسطينيين اجتماعات في بكين ، ألقى خلالها الصينيون باللوم على الولايات المتحدة في إفشال عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، وذَكروا الفلسطينيين بأن الصين ليست موصومة بعار التصويت لصالح إنشاء إسرائيل مثل موسكو(٦).وفي نفس العام حدثت أول اتصالات مباشرة مباشرة بين منظمة فتح والصين ، وذلك على هامش قمة دول حركة عدم الانحياز التي عقدت في الجزائـــر العاصـــمة في ١٩٦٤، حيث دعا أحمد بن بيلا الرئيس الجزائري آنذاك ياسر عرفات – الذي أسس سرا مع غيره من الفلسطينيينحركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " في منتصف الخمسينات– لزيارة الجزائر بهدف ترتيب لقاء مع تشوإن لاي. وهو ما تم بالفعل حيث تم خلالهذا اللقاء تبادل وجهات النظر حول العلاقات الفلسطينية الصينية،والأوضاع الصعبة الـــتي كانـــت تعصف بمنطقة الشرق الأوسط نتيجة الاحتلال الإسرائيلي والصراع الأمريكي– السوفيتي ، للهيمنة عليها لما تشكله مـــن

(١)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(٢) جريدة الأهرام ، عدد ٢٢ ديسمبر ١٩٦٣، (البيان المشترك للرئيس جمال عبد الناصر والرئيس تشو إن لاي في ٢١ ديسمبر ١٩٦٣.

(٣)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(٤) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(٥) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 24.

(٦) Ibid.

موقع جغرافي استراتيجي هام إضافةإلى وفرة مواردها الطبيعية وخاصة البترولية والغازية. وقام تشوإن لاي بتوجيه دعـوة لياسر عرفات لزيارة الصين في نفس العام.وبالفعل قام عرفات مع رفيقه خليل الوزير " أبو جهاد " بزيارة سرية لبكين في نفس العام، كاشفا خلالها القيادة الصينية بعزم حركة فتح على البدء في الكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلي في حرب شعبية طويلة الأمد. ومن جانبه شخص تشوإن لاي الأوضاع الدولية وانعكاساتها على الوضع في منطقة الشرق الأوسط بشكل دقيق ليخرج بنتيجة صعوبة تفجير أي ثـورة في تلـك المنطقـة الحساسـة لمـا تتمتـع بـه مـن مكانـة في الإستراتيجيتينالأمريكيةوالسوفيتية،وأن القيام بالثورة فيها كمن يشعل النار وسط حقول البترول، إضافةإلى عـدم تـوفر الشروط الضرورية لمثل هذه الثورة وفي مقدمتها الدعم العربي لها،واستخلص تشوإن لاي حديثه مؤكدا علـى ضـرورة الاعتماد على النفس وخوض النضال قائلا " فجروها ولو بعود كبريت(١).وكانت نصيحة تشوإن لاي لعرفات نابعة من رؤية صينية تقوم على أن إيقاف الحروب الاستعمارية ضد حركات التحرر الوطني لا يكون إلا بالتأييد التام للحركـات الثورية، وتحريك الجماهير في كل مكان من العالم، في نضال طويل الأمد ضد الإمبرياليـة. وقـد ترتـب علـى هـذه الأيديولوجية، في هذه المرحلة، عدة نتائج هامة بصدد القضية الفلسطينية، أهمها تأييد الصين الشعبية للكفاح الفلسـطيني المسلح، على أساس أنه جزء من حركة الثورة العالمية، الهادفة إلى إضعاف الاستعمار العالمي، الـذي تتزعمـه الولايـات المتحدة. وعلى أساس أن الحرب الثورية في فلسطين هي نموذج للمفهوم الصيني عن محاصرة "الريف الثوري الفلسـطيني" لمدن العالم "إسرائيل"(٢). وأصبحت نظرية ماوتسى تونج – من وجهة النظر الصينية– هي الطريق الوحيد الذي يتحـتم على العرب أتباعه من أجل "تحرير فلسطين، وأن الصراع العربي – الإسرائيلي لا يمكن حله سلمياً، حيث أن الولايـات المتحدة استغلت الأمم المتحدة لخلق مشكلة فلسطين، واستغلتها أيضا للحيلولة دون حلها(٣).وترجمت الصين تلك المبادئ بصورة عملية حينما أعلنت في ١ مايو ١٩٦٤ – قبل زيارة خروشوف الأولى للقاهرة – أنها سوف تنفذ جميع القرارات الصادرة عن مكتب مقاطعة إسرائيل، وأنها سوف تمنع أي سفينة مدرجة في القائمة السوداء من دخول المياه أو المـوانئ الصينية(٤). كما شهدت تلك الفترة ولأول مرة لفظ "الصهاينة" لوصف الإسرائيليين في الصحف الصينية ، وخاصـة في جريدة الشعب اليومية (٥).وكان هذا التحرر الصيني من الحذر السابق تجاه إسرائيل له ما يبرره ، فقد تزايدت مخـاوف الصين من التغلغل الإسرائيلي في جنوب شرق آسيا والذي بدأ منذ مطلع الستينات، وتمثل في دعم الأنظمة الرجعيـة في بورما والفلبين وفيتنام، حيث توافد الخبراء العسكريون والصناعيون الإسرائيليون إلى تلك البلدان، إضافة إلى ظاهرة انتشار نماذج الكيبوتزات الإسرائيلية فيها. كما اشتدت التخوفات الصينية لدى تسرب الأنباء عن محاولات إسرائيل تدعيم التعاون بين محور تايوان – إسرائيل – جنوب أفريقيا(٦).ويمكن أن تفسر سياسة الصين تجاه فلسطين في تلـك الفتـرة أيضـا بمجموعة أساسية من العوامل؛ منها: إعادة تقييم الصين الشعبية للوضع العالمي خاصة بعد تفجيرها القنبلة الذريـة في ١٦ أكتوبر سنة ١٩٦٤، حيث أعلنت اثر ذلك أن امتلاكها للقنبلة الذرية يدعم موقفها من مساندة حركات التحرر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما ارتبط ثانيا ببروز الكيان الفلسطيني متجسدا في منظمة التحرير الفلسطينية الـتي دخلـت مرحلة العمل الفعلي، وثالثا: التطورات التي شهدتها العلاقات الصينية الخارجية، ومن ذلك تصـاعد الحـرب الفيتناميـة وتضاؤل النفوذ الصيني في جنوب شرقي آسيا على اثر الانقلاب الإندونيسي سنة ١٩٦٤ وما صحبه من تطورات في بقية دول المنطقة مما دفع الصين الشعبية إلى محاولة كسب نفوذ في مناطق أخرى. ومن ذلك أيضا تطور النزاع الصينيالسـوفيتي

---

(١) لي رونج جيان،محطات في العلاقات الفلسطينية الصينية، http://www.arabsino.com/book/life-in-china/ar/32.htm ؛ دياب نمر ، العلاقات الفلسطينية _ الصينية: حقائـق تاريخيـة، http://www.arabsino.com/articles/10-06-24/3999.htm

(٢)رباب يحيى عبد المحسن، المرجع السابق.

(٣) سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(4) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 24.

(5) Harris, L. C., China's Relations with the PLO, In: Journal of Palestine Studies, Vol. 7, No. 1(Autumn, 1977), P. 134.

(٦)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

واتجاه الصين الشعبية إلى تصنيف الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي في مجموعة واحدة من وجهة النظر الإستراتيجية السياسية العالمية، واتجاهها أيضا إلى تدعيم نفوذها في محيط المجموعة الأفريقية الآسيوية وعزل الاتحاد السوفيتي عنها. مما يتطلب اتخاذ سياسات أكثر إيجابية من قضايا هذه المجموعة ومن أهمها قضية فلسطين(١). ويضاف إلى ذلك كله أن الصين كانت تتمتع بقدر كبير من الحرية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، لأن الصين لم يكن عندها اهتمامات عالمية كقوة عظمى مثلما كان الحال مع الاتحاد السوفيتي. كما أن الصينيين لم يكن عندهم خوف السوفيت من أن تتصاعد حرب إقليمية إلى حرب عالمية(٢). ومن ثم لم تقتصر جهود الصينيين على تشجيع الفلسطينيين على العمل المسلح، بل حاولوا استغلال حذر السوفيت من قرارات القمة العربية، وتصاعد الخلاف بين مصر وسوريا فيما يتعلق بأساليب مواجهة إسرائيل عسكريا وتوقيته- سواء عن طريق الحرب بالجيوش النظامية أم عن طريق العمل الفدائي- من أجل إقناع السوريين بإتباع أسلوب الكفاح المسلح، حيث استقبلت بكين في مارس ١٩٦٥ وفدا سوريا برئاسة وزير الخارجية(٣). كما قام المارشال تشن يي Chen Yi وزير الخارجية الصيني بزيارة إلى دمشق أعرب خلالها عن أمله في أن يقوم المؤتمر الأفرو- أسيوي في نوفمبر باتخاذ إجراء ناجح لدعم الشعب الفلسطيني والفيتنامي وغيرهما من الشعوب التي تكافح من أجل الاستقلال الوطني (٤).وقد ساعدت تلك الأوضاع على تطلع أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية للحصول على دعم مباشر من الصين في الحصول على دعم الصين. وبرر الشقيري ذلك التوجه بيأسه من موسكو، ويأسه من انتظاره لمساعدة السوفيت دون جدوى، خاصة وأنهم لا يوافقون على تحرير فلسطين، ولا يرغبون في الاعتراف بمنظمة التحرير. ومن ثم طلب من سفارة الصين في القاهرة زيارة الصين، وسرعان ما وصله الرد بعد عدة أيام يتضمن ترحيب تشوإن لاي بزيارة الصين بوصفه رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية. ومن ثم شكل الشقيري وفدا ضم أعضاء من اللجنة التنفيذية للمنظمة، ومن أعضاء المجلس الوطني، كما ضم عددا من الضباط من جيش التحرير الفلسطيني على رأسهم اللواء وجيه المدني القائد العام للجيش. وفي يوم ١٥ مارس ١٩٦٥ غادر الوفد مطار القاهرة الدولي. حيث استقبل بحفاوة بالغة، فكان في انتظارهم في مطار بكين تشن يي وزير الخارجية ونائب رئيس مجلس الدولة، أكد لهم خلال هذا الاستقبال تأييد الصين لقضيتهم، وخاصة بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، لتبدأ النضال من أجل تحرير فلسطين من الإسرائيليين الذين وصفوهم بعملاء الإمبريالية الأمريكية. مؤكدا على أن تكون الأمة العربية متحدة، وبهذه لا تستطيع أمريكا ولا إسرائيل أن تتغلب عليهم (٥).وخلال الزيارة التقى الشقيري رئيس الوزراء تشوإن لاي ، حيث طلب منه الدعم العسكري للفلسطينيين، فرد تشوإن لاي على طلبه بأنهم مستعدون على الدوام لتأييد أية حركة تحريرية في العالم، بقدر طاقاتهم ، وإنهم ليسوا كغيرهم الذين يقدمون مساعدات ويتقاضون ثمنها، ويتقاضون عليها فائدة- في إشارة إلى السوفيت – وحدد الشقيري السلاح الذي يطلبه بالنوع الذي يصلح لحرب العصابات. وطلب من تشوإن لاي بأن تُرسل تلك الأسلحة إلى الإسكندرية لاعتقاده بأن مصر لن تعارض ذلك. فأبلغه تشوإن لاي بأن الصين سوف ترسل إليهم تلك الأسلحة مجاناً، وأنها سوف تشحنها على بواخرها خوفا من الأسطول الأمريكي المتربص. وطلب الشقيري كذلك فتح مكتب في بكين باسم المنظمة. وأجابه تشوإن لاي بالموافقة على أن يبدأ ذلك من اليوم التالي مع الاعتراف بالمنظمة، وكذا منح هذا المكتب الحصانة الدبلوماسية، وأن يعامل كما تعامل أية سفارة صديقة(٦).كما زار الشقيري ورفاقه من العسكريين وهم اللواء وجيه المدني، والنقيب فخري شقورة وزارة الدفاع للبحث في الشؤون العسكرية للمنظمة ، والتقوا برئيس الأركان الصيني ومعاونيه، حيث تم مناقشة الجانب العسكري لقضية فلسطين، وكان تعليق رئيس الأركان مركزا

---

(١) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(2)Harris, L. C., China's Relations with the PLO, P. 134.

(3)Adie,W. A. C., China's Middle East Strategy, In: The World Today, Vol. 23, No. 8(Aug., 1967),

(٤) New times, September 6, 1965.

(٥) أحمد الشقيري ، من القمة إلى الهزيمة ، ص ٢٧٨.

(٦) نفسه. ص ٢٧٩.

على ضرورة وجود جيش التحرير الفلسطيني في الضفة الغربية، وأن ذلك أمر أساسي لمعركة التحرير. وأن الضفة الغربية، إذا أحسن استخدامها، تملك مواقع إستراتيجية قاتلة مدمرة لإسرائيل . ولذلك تمنع الإمبريالية الأمريكية جيش التحرير الفلسطيني من التحشد في الضفة الغربية. وأكد رئيس الأركان الصيني على أن حرب التحرير الفلسطينية يجب أن تكون لها قاعدة في داخل إسرائيل، لأن الأعمال من الخارج، قد تزعج إسرائيل بعض الشيء، ولكنها لا تأتي بفائدة تذكر. وأشار تحديدا إلى منطقة الجليل بجبالها لكي تكون قاعدة لانطلاق العمليات المسلحة، لما لها من مزايا عسكرية كبرى، لأنها قريبة من الأهداف الإسرائيلية الحيوية، وحولها سوريا ولبنان، حيث يمكن أن تكون قواعد خلفية. وأضاف على ذلك أن التحرير ليس في حاجة إلى جيش كبير . وأنهم في حاجة إلى جيش مؤلف من مجموعات صغيرة، مدربة تدريباً خاصاً، للقيام بأعمال خاطفة، لإنزال ضربات موجعة بالعدو. مع تجنب مواجهة العدو في معارك مكشوفة . وأن السلاح الحقيقي هو الجندي المدَّرب الذي يعرف كيف ينتفع بقدراته العسكرية أثناء المعركة طبقا لما عرف عن " العقيدة الصينية" في خوض معارك التحرير(١).وفي ٢٢مارس ١٩٦٥ تم توقيع بيان مشترك بين تشوإن لاي ، وأحمد الشقيري، وتضمن هذا البيان تأييد الصين لكفاح الشعب الفلسطيني، وضرورة تعزيز التضامن بين الشعب الصيني والشعوب العربية ضد الإمبريالية، وتنمية التضامن الأسيوي الأفريقي. أكد البيان على أن القضية الفلسطينية في جوهرها، هي من جهة عدوان سافر من قبل الصهيونية تدعمها الإمبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن جهة أخرى كفاح الشعب العربي الفلسطيني، والشعوب العربية الأخرى. وأن إسرائيل هي أداة للعدوان خلقتها الإمبريالية الأميركية في فلسطين مستخدمة هيئة الأمم المتحدة(٢).ثم قام الوفد الفلسطيني بزيارة مدينة أوهان والكلية العسكرية بها، حيث شاهد مناورات بالذخيرة الحية لجانب من قوات الجيش الصيني، وخاصة على كيفية مواجهة المدرعات من قبل الأفراد، وهو ما جعل أحمد الشقيري يظن أن تلك المناورات كما لو كانت قد أعدت لإقناع الفلسطينيين بجدوى العمل الفدائي ضد الجيوش النظامية. وبعد ذلك قابل الوفد ماوتسي تونج ، الذي أبلغهم بأن إسرائيل والإمبريالية الأمريكية هم من يجب أن يخافوا من العرب، وأن الصينيين دخلوا الحرب ضد الكومنتانج واليابان، وعددهم لا يتجاوز خمسين ألفاً. وشرح لهم نظريته والتي تقوم على عدة مبادئ ، أولا : اضرب حينما تكون واثقاً من النصر، وانسحب حينما تكون ضعيفاً. ثانيا: اضرب العدو على مراحل ، فأنت لا تستطيع أن تقطع يد خصمك بفمك، ولكنك تستطيع أن تقطع أصابعه واحداً واحداً . ثالثا: حارب على طريقتك وحسب ظروفك، وليس تقليداً أعمى. رابعاً: الكليات الحربية لا تخرج ضباطاً كاملين، فمن الضروري أن توجد الكليات الحربية ليقضي فيها الطلاب ستة أشهر مثلاً، ليتعلموا العلوم النظرية، ولكن الحرب هي أهم جامعة لتخريج الضباط الناجحين(٣).وعلى الرغم من النجاح الذي اعتقد الشقيري أنه حققه في زيارته إلى الصين ، إلا أن عبد الناصر وعلى الرغم من أنه كان على علم بالزيارة قبل قيام الشقيري بها ومؤيدا لها، رأي أن ذلك التطور غير محسوب، خاصة فيما يتعلق بالمساعدات العسكرية فالمنظمة ليست حكومة، كما أن أرض المعركة لم تتهيأ بعد . فضلا عن أن تلك الزيارة بما انتهت إليه سوف تزعج موسكو، وهي الأهم عند عبد الناصر من بكين ، في إطار موازين القوى العالمية. إلى جانب أن الاتفاق على شحن الأسلحة الصينية إلى ميناء الإسكندرية تم من غير استئذان سابق من عبد الناصر. وقد حاول الشقيري في أعقاب عودته من الصين لقاء عبد الناصر، ليشرح له بالتفصيل محادثاته مع ماوتسي تونج وتشوإن لاي ، ولكن عبد الناصر كان غير راغب في الاجتماع بالشقيري(٤). وكان هناك ما يدفع عبد الناصر للتخوف بالفعل من تصاعد الأمور ضد إسرائيل في وقت لم تستعد فيه مصر وبقية الدول العربية لمواجهة عسكرية، خاصة وأن منظمة " فتح" قدمت مذكرة تطالب فيها أن " تمارس قيادة جيش التحرير الفلسطيني مسئولياتها بحرية" ، في الوقت الذي كانت قوات الصاعقة التابعة لها

---

(١) نفسه، ص ٢٨٠.

(2) El-Hout, Shafik, The PLO at the UN and in the Future, In : Middle East Research and Information Project (MERIP) Reports, No. 33(Dec., 1974). P. 29.

(٣) أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة، ص ٢٨١.

(٤)أحمد الشقيري، أربعون عاما، ص ٦٩٨.

قد بدأت منذ مطلع عام ١٩٦٥ عمليات فدائية ضد إسرائيل.وتنفيذا لما اتفق عليه الشقيري مع تشوإن لاي في بكين، قامت الصين بتزويد منظمة التحرير الفلسطينية بكميات محدودة من الأسلحة سواء عن طريق تسليم الأسلحة بصورة مباشرة، أو عن طريق دفع الأموال للمنظمة لشراء الأسلحة من أي جهة أخرى ، وكانت أغلب تلك الأسلحة عبارة عن بنادق ورشاشات خفيفة، وبالطبع لم تكن تلك الأسلحة تقارن بما تقدمه الدول العربية وخاصة مصر وسوريا والعراق إلى الفلسطينيين ، إلا أن ذلك التحرك الصيني كان له أهمية سياسية ودلالة على تحرك صيني باتجاه الشرق الأوسط، تحاول الصين من خلاله إيجاد موطئ قدم لها في الدول الثورية(١). كما أعلن أحمد الشقيري في القاهرة في ٩ يونيو ١٩٦٦ أن جيش التحرير الفلسطيني سوف يرسل عددا من قواته إلى فيتنام الشمالية للقتال جنبا إلى جنب مع قوات الفيتكونج في كفاحهم ضد الإمبريالية الأمريكية ، وأن خبراتهم القتالية هناك سوف تمكنهم من دراسة طرق حرب العصابات، وفي رده على سؤال حول موقف الدول العربية من ذلك خاصة وأن ذلك سوف يسبب مشاكل لها، صرح الشقيري بأن منظمة التحرير مستقلة ولا تأتمر من أحد، وأن موشيه ديان رئيس الأركان الإسرائيلي السابق سوف يزور فيتنام الجنوبية، لدراسة طرق مكافحة حرب العصابات(٢). وبالفعل تلقى عدد من المقاتلين الفلسطينيين التدريب في الأكاديمية العسكرية الصينية في وامبوا Whampoa(٣).وأدت أخبار إرسال المقاتلين الفلسطينيين إلى فيتنام الشمالية للتدريب إلى قلق إسرائيلي كبير، أكثر من مسألة إرسال الأسلحة نفسها، إذ كان يوجد بالفعل جيش تحرير فلسطيني ينتشر في كل من مصر وسوريا والعراق تتراوح أعداده ما بين ١٠ – ١٥ ألف جندي يحصل على التدريب لأسلحة المختلفة التي تفوق في نوعها وكميتها الأسلحة التي أرسلتها الصين أو التي يمكنها أن ترسلها. وإنما فقد كان الخوف الإسرائيلي من أن يكتسب الفلسطينيين تكتيكات تمكنهم من تشكيل وحدات تكون لها القدرة على تنفيذ حرب عصابات حقيقية(٤).ودعم المخاوف الإسرائيلية وصول خبراء صينيين للعمل مع القيادة العامة للجيش السوري، وقدر عددهم بـ ١٨٥ خبير، وصلوا في النصف الأول من نوفمبر ١٩٦٥، وخلص الإسرائيليون إلى أن الصين تسعى من وراء ذلك إلى جعل سوريا قاعدة للعمليات الفدائية في المنطقة، من أجل مساعدة حزب البعث السوري من أجل قيادة العالم العربي(٥). والواقع أن الخبراء الصينيين قاموا بتدريب لواء حطين التابع لجيش التحرير الفلسطيني والذي كان يتمركز في سوريا(٦).وعلى الرغم من ذلك فقد كانت عمليات نقل الأسلحة الصينية للفلسطينيين تواجه صعوبات عديدة ، فلم يكن يسمح لها بإنزال حمولتها في كثير من الأحيان ، ففي عام ١٩٦٦ قامت سفينة صينية بالمرور بعدة موانئ عربية في اللاذقية والبصرة وبيروت ، قبل ان تتمكن أخيرا وبعد انتظار لعدة أسابيع من أن تفرغ حمولتها في قطاع غزة بموافقة السلطات المصرية (٧).وإذا كان تأييد الصين للقضية الفلسطينية محل تقدير من كافة الأطراف العربية ، إلا أن النهج الذي اتبعته كان لا يتوافق مع النهج الذي رآه عبد الناصر مناسبا لمواجهة إسرائيل، فكان عبد الناصر يعارض ممارسة الحرب الشعبية التي كانت الصين تدعو الفلسطينيين لشنها ضد إسرائيل، وأبلغهم أن هذا النهج لا يصلح للتطبيق في الحالة الفلسطينية، إذ لا توجد منطقة في الشرق الأوسط تتمتع بكثافة سكانية بما فيه الكفاية بما يسمح للفدائيين بالتحرك بين الناس. فضلا عن عدم وجود ملاجئ حقيقية تسمح لهؤلاء الفدائيين بالاختفاء والتخفي. إضافة إلى أن شن عمليات فدائية ضد إسرائيل سوف يعطيها القدرة على تحديد وقت المعركة الذي تختاره وتفرضه على الدول العربية (٨). و لم يكن موقف مصر من علاقات الصين بحركات التحرير الفلسطينية هو الموقف

---

(1) New York Times, September 26, 1966.
(2) Ibid. , 1966.
(3) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 26.
(٤) New York Times, September 26, 1966.
(٥) Ibid., November 17, 1965.
(٦) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 26.
(٧) Harris, L. C., China's Relations with the PLO, P. 134.
(٨) Ibid.

الموقف الوحيد الذي تميز بالحذر، فقد كان العرب مترددين بشأن الاتصال المباشر بين الشقيري والصينيين(١). فظهرت مخاوف في الدول العربية المعروفة بعلاقاتها مع الغرب من هذه الاتصالات، فهاجمت ذلك، وإن كان من خلال الصحف تجنبا للرأي العام العربي، فقد نشرت جريدة الحياة – التي كانت تصدر في لبنان وتميل إلى نهج خط تحريري يتفق مع المواقف السعودية– مقالات تنتقد تقارب منظمة التحرير الفلسطينية مع الصين في عام ١٩٦٥، واعتبرت أن ذلك سوف يفيد إسرائيل، وأن الأخيرة سوف تستخدم ذلك في الساحة الدولية للترويج بأن الصين تسعى إلى تحويل منظمة التحرير إلى فيتكونج أخرى في الشرق الأوسط. وأن مصلحة القضية الفلسطينية تملي على المنظمة أن تبقى بعيدا عن النضال الأيديولوجي في العالم بين الشرق والغرب أو بين الصين والاتحاد السوفيتي (٢). وكنتيجة لهذا التطور في السياسة الصينية، الصينية، صوتت إسرائيل لأول مرة في ١٧ نوفمبر سنة ١٩٦٥ في الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ سنة ١٩٥٢ ضد تمثيل الصين الشعبية في الأمم المتحدة، بعد أن كانت تمتنع عن التصويت طوال الفترة السابقة. وقد أوضحت صحيفة الجورزاليم بوست في عددها الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٦٥ الأسباب التى دعت إسرائيل إلى اتخاذ هذا الموقف، بأنها ترجع إلى تفاقم الموقف المناهض لإسرائيل الذى اتبعته الصين خلال الأعوام الأخيرة وتأييدها لأكثر المواقف العربية تطرفا(٣).وشهدت الفترة التالية بداية من أواخر ١٩٦٥ عدة أحداث أدت إلى تأثر السياسة الصينية تجاه القضية الفلسطينية الفلسطينية وسياستها الخارجية على وجه العموم ، فقد فشل تنظيم مؤتمر التضامن الأفرو – أسيوي في الجزائر في أكتوبر سنة ١٩٦٥، وكانت الصين تعول على دعم المؤتمر لقضيتي فلسطين وفيتنام. كما شهدت تلك الفترة أزمات شابت العلاقات العربية الصينية، وفوق كل ذلك فإن سنة ١٩٦٦ شهدت بداية الثورة الثقافية في الصين الشعبية، وهى التي أدت إلى تدهور علاقات الصين مع كثير من الدول أو على الأقل جمود هذه العلاقات(٤).إلا أن تلك الثورة الثقافية ، كان لها لها انعكاسا أكثر تأثيرا على مواقف الصين تجاه القضية الفلسطينية، حيث تزايدت إدانتها لدور الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي في الشرق الأوسط، وللتأكيد على تأييدها السياسي للحكومات العربية، وتقديم الدعم العسكري لها، وتحريض الشعب الفلسطيني على "حرب التحرير الشعبية" كسبيل وحيد لتحقيق تطلعات الفلسطينيين والعرب، وكان لذلك تأثير واضح على "تشكيل التوجهات العسكرية والسياسية لحركة المقاومة الفلسطينية"(٥).وظهر الفلسطينية"(٥).وظهر هذا الموقف من خلال دعمها للأردن – الذي كانت حكومته ترفض الاعتراف بالصين الشعبية وتحتفظ بعلاقات وثيقة مع تايوان– في أعقاب الهجوم الإسرائيلي على قرية السموع في الضفة الغربية في ١٣ نوفمبر ١٩٦٦، حيث أعلنت الصين تضامنها مع الأردن وأصدرت الخارجية الصينية بيانا يدين الولايات المتحدة وإسرائيل، جاء فيه "خلقت الإمبريالية الأمريكية إسرائيل بشكل اصطناعي في فلسطين من أجل القضاء على حركات التحرر الوطني في الدول العربية، والاحتفاظ بمصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية، ونحن مقتنعون بأنه طالما عملت الشعوب العربية على تقوية وحدتهم في كفاحهم المشترك، فإنهم بكل تأكيد قادرين على هزيمة العدوان الإمبريالي الأمريكي في المنطقة العربية واقتلاع إسرائيل، التي هي بمثابة خنجر غرزته الإمبريالية في هذا الجزء من العالم"(٦).ومع تصاعد تهديدات الحرب بين العرب وإسرائيل على خلفية التهديدات الإسرائيلية لسوريا والهجوم الإسرائيلي على مواقع سورية في أبريل ١٩٦٧ ، سارعت مصر إلى التدخل لمساندة سوريا ضد تلك التهديدات ، وقامت بدفع قواتها إلى سيناء، كما حركت قوات جيش

---

(١) FRUS, 1964-1968, Vol. XVLLL, Arab-Israeli Dispute, 1964-67, Telegram from the Embassy in the United Arab Republic to the Department of State, Cairo, May 7, 1965.

(٢) Harris, L. C., China's Relations with the PLO, P. 134.

(٣) محمد السيد سليم، المرجع السابق.

(٤) ومنها أزمة لجوء دبلوماسيصيني إلى السفارة الأمريكية في دمشق ومهاجمة الصين لانعقاد مؤتمر الكتاب الافرو–آسيويين في القاهرة في مارس سنة ١٩٦٧، وتوتر العلاقات الصينية التونسية في نفس الشهر مما أدى إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. نفسه.

(٥)هاشم بهبهاني، المرجع السابق، ص ٥٨ ـــ ٦٠.

(٦) Dunner, J.,Op. Cit., P.18 .

التحرير الفلسطيني إلى مواقعه في قطاع غزة، وقد حظيت التحركات المصرية بتأييد الصين ، وفي ٢٥ مايو نشرت جريدة الشعب اليومية " إن الرجعيين السوفيت والإمبرياليين الأمريكيين يتآمرون على حساب الشعب العربي" ، كما نُظمت الكثير من الاجتماعات في بكين لدعم الكفاح الفلسطيني والعربي ضد الإمبريالية وأداتها للعدوان إسرائيل(١). كما كان للسفير الصيني في القاهرة هوانج هواHuang Hua نشاطا مهما في تلك الأثناء حيث قام بمرافقة أحمد الشقيري في شهر مايو خلال جولاته التفقدية لقوات جيش التحرير الفلسطينية في قطاع غزة وعلى الحدود السورية. وكان السفير الصيني متحمسا للمواجهة في الشرق الأوسط(٢).وقد كانت تلك الأوضاع تمثل فرصة مواتية للصين الشعبية أعادت فيها تأكيد سياستها العامة إزاء قضية فلسطين، كما حاولت من خلالها أن تكسب جولة النزاع الصينيالسوفيتي حول قضايا الشرق الأوسط فمنذ اللحظات الأولى للأزمة، أعلنت الصين الشعبية تأييدها التام للجمهورية العربية المتحدة في موقفها من تهديدات إسرائيل وإنهاء وجود قوات الطوارئ الدولية وخليج العقبة وذلك على نحو ما جاء في البيان الصيني الصادر في ٢٧ مايو سنة ١٩٦٧(٣). ومع اندلاع الحرب أرسل تشوإن لاي رسائل لعبد الناصر وللرئيس السوري نور الدين الأتاسي ولأحمد الشقيري تتضمن دعم الصين للقضية العربية. كما أرسل رسالة خاصة إلى الشقيري طالبه فيها بعدم إلقاء السلاح والاستمرار في القتال ، ومحاكاة الفيتناميين في مواصلة الكفاح حتى النصر النهائي. وبعد انتهاء الحرب أذاعت الإذاعة الصينية في برامجها التي تبث باللغة العربية بيانات موجهة للشعوب العربية بأن ٧٠٠ مليون صيني والثوريون في العالم بأكمله يدعمون الوحدة العربية(٤). وفي السياق ذاته، اعتبرت الصين حرب ١٩٦٧ جزءا من المخطط الإمبريالي الأمريكي الأمريكي لإعادة فرض السيطرة على منطقة الشرق الأوسط والقضاء على حركات التحرر. وخرجت بنتائج تقول بأن الولايات المتحدة هي العدو الأول للعرب، وبأن الإتحاد السوفيتي متآمر مع الولايات المتحدة، وأن التخلف الاجتماعي – الاقتصادي هو المسئول عن هزيمة العرب، وخلصت إلى الاستنتاج بأن البلدان العربية لم تصل بعد إلى مرحلة الديمقراطية الوطنية، وبأنهم ما زالوا في مرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية(٥).وفي أعقاب الحرب ادعت المصادر الإسرائيلية أن هناك كميات كبيرة من الأسلحة الصينية خزنت في غزة وسيناء لصالح جيش التحرير الفلسطيني قبل حرب ١٩٦٧. وأعلنت القيادة العسكرية الإسرائيلية أنها وجدت في غزة والعريش كميات كبيرة من الأسلحة الصينية تتضمن مدافع مضادة للدبابات والمدرعات، وكمامات ضد الغازات الكيمائية. كما أعلنت مصادر أمريكية أن الصين زودت الفلسطينيين كذلك بنوع من القواذف الصاروخية المحمولة قصيرة المدى يطلق عليها Short blowpipe ، وهي قواذف خفيفة وزنها ٤٠ رطلا ، نجح الصينيون في تقليده عن قاذف أمريكي- بريطاني وتطويره خلال الحرب في فيتنام الشمالية، حيث استخدمه الفيتكونج بفاعلية ضد الطائرات الأمريكية المنخفضة ، وإن كان الفدائيين الفلسطينيين لم ينجحوا في إسقاط أية طائرة إسرائيلية خلال تلك الفترة (٦).وعقب الهزيمة العربية مباشرة أعلنت المصادر الرسمية الصينية أن النضال الذي خاضته الشعوب العربية ضد الإمبريالية الأمريكية وعميلتها إسرائيل قد تعرض لنكسة مؤقتة فقط، وطالبت الشعوب العربية بان ترفع شعار قاتل وافشل ثم قاتل ثانية وافشل ثانية ثم قاتل مرة أخرى حتى النصر(٧)، كما تعهدت الصين الشعبية بتقديم بعض المساعدات للدول العربية فقد أبلغت مصر بأنها ستقدم لها ١٥٠ آلف طن من القمح وعشرة ملايين من الدولارات بدون شروط، بل لقد صرحت بعض المصادر الدبلوماسية بأن الصين عرضت على مصر وسوريا تقديم أسلحة

---

(١) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 27.

(٢) Dunner, J. Op. Cit., P.19.

(٣) محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

(٤) Dunner, J., Op. Cit., P. 21. ؛ Adie, W. A. C., Op. Cit., P. 322.

(٥)سلافة حجاوي، المرجع السابق.

(٦) Dunner, J. Op. Cit., P. 18. ؛ Cooley, J. K., Op. Cit.,, P. 26.

(٧)محمد السيد سليم ، المرجع السابق.

نووية لمساعدتها على استعادة الأراضي المحتلة(١). وشنت الصين هجوما على الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، بعد محادثات أليكسي كوسيجين وجونسون في جلاسبورو بشأن الشرق الأوسط، واعتبرت الصين ذلك جزءا من التعاون السوفيتي- الأمريكي. بل واتهمت جريدة الشعب في ١٦ يوليو كوسيجين وسكرتير الحزب الشيوعي ليونيد بريجنيف بأنهما خانا القضية الفلسطينية، واتهمت الصين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بأنهم عقدوا صفقة مقايضة شاملة تضمنت فلسطين وفيتنام(٢). كما شنت الصين هجوما على الأمم المتحدة ، وفي ١٨ يوليو نشرت جريدة الشعب اليومية مقالا اتهمها بأنها أداة للإمبريالية، حيث تمنح المعتدين الحماية كالمعتاد ، بينما تُحمل الضحايا نتائج العدوان(٣). كما انتقدت الصين قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في نوفمبر، ودعت إلى إزالة إسرائيل وإقامة دولة فلسطينية مكانها لجمع العرب واليهود على حد سواء(٤). ورأت الصين أن القرار ما هو إلا اتفاق بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ضد المصلحة العربية، وأعلنت أنها ستعارض أي قرار أو موقف أخر يقوم على هذا القرار(٥). ومع رفض أحمد الشقيري لهذا القرار. شن عليه الاتحاد السوفيتي هجوما حادا متهما إياه بأنه يرفض كل الوسائل التي توفر على الشعب الفلسطيني الكفاح المسلح، وأنه متأثر في ذلك بموقف الحكومة الصينية(٦). وهكذا فإن حرب يونيو عام ١٩٦٧ شكلت نقطة تحول في تاريخ الصراع العربي ـــ الإسرائيلي، نجحت خلالها إسرائيل في أن تلحق هزيمة عسكرية بالجيوش العربية على ثلاثة جبهات، وهو ما ترتب عليه انعدام ثقة الجماهير العربية بأنظمتها وبقدرة هذه الأنظمة على مواجهة "إسرائيل" في حرب تقليدية وهو ما يتفق مع وجهة النظر الصينية، وشهدت منظمة التحرير الفلسطينية بروز حركة فتح بوصفها الحركة المسيطرة على توجيه مسار المقاومة، وبدأ البحث في داخل حركة المقاومة الفلسطينية عن تجارب الشعوب النضالية للاستفادة منها في مقاومة الاحتلال(٧).

الخاتمة:

ظهرت الصين الشعبية في أواخر أربعينيات القرن العشرين في أعقاب كارثة سقوط معظم أراضي فلسطين في براثن الصهيونية. وكانت الحكومة الصينية الجديدة لديها نفس المواقف العربية من الاستعمار سواء التقليدي المتمثل أساسا في القوى الأوروبية والتي ما زالت تسيطر على كثير من بقاع العالم العربي والتي كان لها الدور الرئيس في ظهور الكيان الصهيوني في فلسطين. أو في الاستعمار الحديث المتمثل في الولايات المتحدة التي سعت بدورها لاستبدال نفوذها بدلا من نفوذ القوى الاستعمارية التقليدية. وعلى الرغم من ذلك لم تنظر الصين إلى إسرائيل كصنيعة للقوى الاستعمارية، بل إن الصين اتهمت العرب بالمساهمة في إيجاد المشكلة الفلسطينية. ومن ثم لم يكن لدى الصين حرج في التعامل مع إسرائيل في النصف الأول من الخمسينيات، خاصة وأنها كانت تسعى للحصول على اعتراف دول العالم بها في الوقت الذي أحجمت فيه الدول العربية عن الاعتراف بالصين وأبقت على اعترافها بتايوان.وجاء مؤتمر باندونج ليغير من مفاهيم الصين تجاه قضية فلسطين، خاصة بعد أن أدرك القادة الصينيون أن تلك القضية هي المحور الرئيس لاهتمام الدول العربية ومدخل الصين إلى العالم العربي، وهو ما أكدته الفترة التي أعقبت المؤتمر ، إذا سرعان ما اعترفت مصر بالصين في مايو ١٩٥٦ ، وتبعتها عدد من الدول العربية. ومن جانبها ساندت الصين مصر في مواجهة العدوان الثلاثي سياسيا واقتصاديا. إلا أن العلاقات الصينية العربية في تلك المرحلة مرت بمراحل متباينة من القوة والضعف نتيجة للسياسة التي اتبعتها الصين إزاء الأحزاب الشيوعية في العالم العربي ، خاصة مع موقف مصر ضد تلك الأحزاب ، وهو

---

(١) FRUS, 1964-1968, Vol. XVLLL, Arab-Israeli Dispute, 1964-67, Memorandum from the Chairman of the Central Intelligence Agency's Board, Washington July 15, 1967.

(٢) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 28.

(٣) Shichor, Y. China and the Role of the United Nations The Middle East Revised Policy, P.256.

(٤) Harris, L. C., China's Relations with the PLO, P. 134.

(٥)سامي حكيم ، المرجع السابق ، ص ٢٤٩.

(٦) Cooley, J. K., Op. Cit., P. 28.

(٧)هاشم بهبهاني، المرجع السابق ، ص ٥٨ ـــ ٦٠.

ما أثر سلبا على عدم وجود موقف صيني واضح تجاه القضية الفلسطينية، إذ اقتصر الموقف الصيني على التأييد لحقــوق الفلسطينيين واللاجئين في موقف أقرب ما يكون إلى الموقف الغربي من القضية والتي حاولــت احتزالهــا في مســألة اللاجئين. كما أن الصين لم تتخذ موقفا حازما تجاه عدوانية إسرائيل، و لم ترفض وجودها. وإن كان للصين مبررات في هذا الموقف آنذاك، فإن المبرر الأقوى في هذا الإطار يعود إلى خمول القضية الفلسطينية على الساحة العربية ذاتها. وقــد أظهرت الدارسة أن تلك الأوضاع انقلبت بصورة كاملة في أواخر عام ١٩٦٣، حيث تصاعد التأييد الصيني للقضــية الفلسطينية بصورة كبيرة، فأيدت التحركات العربية التي قادتها مصر في تلك الفترة من أجل إيجــاد كيــان فلســطيني وجيش فلسطيني للتحرير، فضلا عن قرار تنفيذ مشروعات عربية لتحويل مياه نهر الأردن لمنع إسرائيل من استغلال تلك المياه لاستقدام مزيد من المهاجرين اليهود وتدعيم وجودها في الأراضي الفلسطينية، وأيضا قرار تشكيل قيــادة عربيــة موحدة لجيوش الدول العربية لحماية المشروعات العربية. كما بدأت الصين اتصــالات مباشــرة مــع الفلســطينيين، فاستضافت قياداتهم سواء من منظمة فتح أو من منظمة التحرير الفلسطينية، حيث اعترفت الحكومة الصينية بــالأخيرة، وفتحت لها مكتبا في بكين، منحته نفس مكانة السفارات. والأهم أنها قررت تزويد المنظمة بالأسلحة الخفيفة ، وحثت رئيسها أحمد الشقيري على شن حرب شعبية ضد الوجود الإسرائيلي انطلاقا من الأراضي المحتلة. غــير أن المواقــف الصينية لم تلق حماسا من جانب مصر ، إذ كان عبد الناصر يؤمن بأن الحروب الشعبية لا تصلح للتطبيق فيما يتعلــق بالقضية الفلسطينية، وأن الجيوش النظامية – وقتما تتم استعداداتها – هي الوحيدة القادرة على إلحاق الهزيمة بإســرائيل وتحرير فلسطين، وأن العمليات الفدائية سوف تقدم لإسرائيل الفرصة لتوجيه ضربة استباقية للدول العربية في الوقــت الذي تحدده هي.كما أن الصين تحولت إلى الهجوم على الاتحاد السوفيتي وهو الداعم الأهم للجانب العربي والأثقل وزنا على الساحة العالمية . ومن ثم كان تشجيع الصينيين للفلسطينيين ومعهم السوريين أمرا يخالف السياسة التي تنتــهجها مصر في مواجهة العدو الإسرائيلي. ومع تصاعد مخاطر نشوب الحرب بين العرب وإسرائيل ، وقفت الصين إلى جانب العرب وصعدت من لهجتها ضد إسرائيل ، ومع اندلاع الحرب وظهور بوادر الهزيمة العربية ، حثت الصين الفلسطينيين على المقاومة واستمرار القتال مثلما يفعل الفيتكونج في فيتنام، وقدمت مساعدات للدول العربية ، وألقت باللوم علــى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة واعتبرت أنهما اتفقا على مقايضة مواقفهما تجاه قضية فلسطين مقابل فيتنام . وظهر الموقف الصيني بصورة أوضح من خلال رفضها لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذي قبلته مصر، ونادت بإزالــة دولــة إسرائيل لتحل محلها دولة تضم العرب واليهود على حد سواء.

الخليج والجزيرة العربية في الوثائق و الحوليات الصينية فترة العصور الوسطي اسرة مينج نموذجا

د/ محمد محمود خليل

استطاع أحد الرهبان البوذيين ويدعي هونغ دو洪武年號من إقامة ثورة إجتماعية وعسكرية فى الصين بعد أن أخرج المغول الاجانب من الصين وكون حكم وطنى مركزى و بذلك أصبح أول أمبراطور من أسرة مينغ والذى تربع على عرش الصين من ١٣٦٨-١٣٩٨م وأطلق عليه لقب الملك الشحاذ (المتسول)نظراًلاصلة الوضيع حيث كان فلاحاَ ثم تحول إلى نظام الرهبان وكان يطلب الطعام من العامة عن طريق التسول.أدخل الامبراطور بلاده فى نهضة زراعية وانتاجية عظيمة , كما عمم التعاليم الكنغوشيوسية وأسس حكومة مركزية وأطلق على نفسة أسم ابن السماء ورغم النهضة التى صنعها ذلك الرجل فى الصين إلاأنه أتخذ قرار بالغ الصعوبة وهو تحريم التجارة مع البلاد الاجنبية اى تحريم تعامل العامة مع التجار الذين يأتون من البلاد الاجنبية وأقتصر الامر على الحكومة الصينية التى أحتكرت تلك التجارة , ورغم ذلك التحريم إلاأنه كان هناك انفتاح غير مسبوق مع البلاد الاجنبية فى التجارة والتى أعتمدت على الدبلوماسية التنمويه حيث أرسل الامبراطور عدد من السفراء الى البلاد الاجنبية طلباًبالاعتراف الرسمى بالامبراطورية الجديدة وتحسين أواصل التجارة مع البلدان الاجنبية وتعريفهم الاجرأت الجديدة فى التعامل التجارى والذى عرف بأسم تجارة الجزية إذ كان من ألاهداف الرئسية للدبلوماسية الصينية هى التنميه الاقتصادية عن طريق التجارة لذلك أطلق عليها الدبلوماسية التنموية . (١)

التعريف بتجارة الجزية والدبلوماسية التنموية : بعد أن تولى ألامبراطور الاول لمينج مقاليد الحكم قام فور أعتلائه العرش بأرسال الوفود ببيان رسمى إسترضائى إلى حكام البلاد الاجنبية وجاءفى البيان عروض الصداقة والتجارة متلازمان وجاء فى نهاية البيان إشارة الى أن إذا وافقت حكومه البلدان الاجنبية فعلى الحاكم إرسال الجزية الى بلاط المينج كأشارة على الاتفاق التجارى وربط عرى الصداقة .وقد جاء للبيان الرسمى للمبراطور من سجلات أسرة مينج ما يوضح تلك الرسائل " منذ أن فقدت أسرة السونج العرش وقطعت السماء قرباهم خرجت أسرة يوان من الصحراء لتدخل الصين وتحكمها لاكثر من مائه عام وعندما سئمت السماء من سوء حكمهم وفسادهم جعلت مصيرهم الخراب والدمار , وظلت شؤن الصين فى حالة من الفوضى على مدى ثمانية عشر عام ولكن عندما بدأت الامة فى النهوض من كبوتها رأينا نحن الفلاح البسيط (يقصد الامبراطور نفسة بتلك الكلمات) من هواى- يو أن من واجبنا الوطنى انقاذ الشعب ,وشاء الخالق ان يسلك موظفونا المدنيون والعسكريون طريقهم شرقاَ الى الجانب الايسر من النهر . (٢)ولقد أرسينا دعائم السلام فى الامبراطورية وأستعدنا الحدود القديمه لإرضينا الوسطى , كما أختارنا الشعب أيضاًلاعتلاء عرش الصين . وقد أرسلنا

(١) كان الامبراطور المؤسس للمينج فلاحا يتيما من بلدة أنهوى في وسط الصين وامضي جزء من حياته في معبد بوذي وهناك تعلم الكتابه و اطلع علي الكلاسكيات الكونفوشيوسية ،و مينج تعني باللغة الصينية المتألق أو الحائز علي الإشراق ، وحول تأسيس الدولة وعلاقتها التجارية مع الدول الاجنبية راجع ، لويز ليفاثيس : يوم سادت الصين البحار ، ترجمة علي أحمد كنعان ، تاله للطباعة و النشر الرياض ٢٠٠٥م ، ص ٧٣- ٧٦ ، هيلد هوخام : تاريخ الصين ، ترجمة أشرف محمد كيلاني ، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة ٢٠٠٢م ، ص ٢٥٧.

Robinson, David M: "Politics, Force and Ethnicity in Ming China: Mongols and the Abortive Coup of 1461," *Harvard Journal of Asiatic Studies*,Volume 59, Number 1, June 1999, p.79–123.;Robinson, David M. :"Banditry and the Subversion of State Authority in China: The Capital Region during the Middle Ming Period (1450–1525)," *Journal of Social History* (Spring 2000),p. 527–563.;Hucker, Charles O: "Governmental Organization of The Ming Dynasty," *Harvard Journal of Asiatic Studies* ,Volume 21, December 1958,p. 1–66 ; Atwell, William S :"Time, Money, and the Weather: Ming China and the "Great Depression" of the Mid-Fifteenth Century," *The Journal of Asian Studies* ,Volume 61, Number 1, 2002,p. 83–113.

(2)Zhong-yang Yan-jiu yuan, Ming shi-lu,Volume 2,p.775

تذكر وثائق اسرة مينج Ming shi-lu أنه بتاريخ ٢٦فبراير١٣٦٩م في عهد الأمبراطور (هونج دو) في العام الثاني الشهرالأول اليوم العشرين قد أرسلت مبعوثين مع الأعلانات وتقديم المشورة للانضمام للأمبراطورية علي تعليمات من دول اليابان و شامبا و جافا و بلدان المحيط الغربي (العرب و المسلمين)وذلك في المجلد الثاني من وثائق المينج الصفحة ٧٧٥ و الجدير بالذكر أن سجلات أسرة مينج تبلغ ٣٢٧٩مجلد يحمل وثائق الأسرة من عام ١٣٦٨م — ١٦٤٤م .

موظفينا الى سائرالممالك الاجنبية بالبيان الرسمى وبرغم أننا لسنا بمثل حكمة حكامنا الاقدمين الذين أعترف العالم باسـرة بفضائلهم ومناقبهم فلا يسعنا الان ان نطلع العالم على عزمنا على حفظ السلام فى أرض البحار الاربعة وعلـى هـذا الاساس فقط أصدرنا هذا البيان الرسمى " ويأتى بعد ذلك أن سفراء الامبراطور الصينى حملوا الهدايا من الحرير الى تلـك البلدان الاجنبية التى أرسلت فيما بعد سفرائها بالخزية من أجل إقامة علاقات اقتصادية طيبة مع الصين(١)

永樂**يونجل او** الأمبراطور هوان – تي الأمبراطور الثالث في اسرة مينج (**Yong–le**) والذي بدأ علاقات جادة مع دول الخليج و الجزيرة العربية و ارسل الحملات العسكرية الاقتصادية للمنطقة فيما يعرف برحلات الكتز واشترك فيها اكثر من ٢٨ الف جندي وما يقدر بمائه سفينة عسكرية كبيرة بخلاف السفن الصغيرة الاخري وكان يقودالاسطول القائد الخصي المسلم下和鄭 **تشينغ خه** ، اتبع يونجل نفس منهج ابيه وأصدر فرمان جاء كالتالي (أرسل الامبراطور القائد الخصي و أخرون لمختلف البلدان لإعلان تعليمات امبراطورية مفادها ، لقد قبلت بكل حزم ولاية السماء وورثت الحكم الأعظم من الأباطرة تاي زو جاد ، تاس تسونج ، وتشاو تسونج رن ، لقد حكمت أكثر من عشرات ألاف من الدول وورثت الاحسان الأعظم السامي من أجدادي ونشرت السلام وقد أصدرت عفو عام لجميع من تحت السماء و أعلنـت بدء عهد جوه –دي (جودي) وبدأ الجميع من جديد ،أنتم يامن تسكنون في مختلف البلدان البعيدة عـبر المحـيط ، و لم تسمعوا حتي الأن عن ذلك ، الأن أرسل لكم الخصي القائد تشنغ خه و القائد وانج جينج ، حاملين اعلان بتعليمـاتي لكم، يجب عليكم احترام الأوامر و السير في طريق السماء ، لرعاية شعبكم و الأحتفاظ بالسلام وهكذا تحتفظون بالسلام و الازدهار ، يقدم الحرير الملون حسب الأقتضاء للحكام و البلدان العشرين التي سيمر عليها القائد تشينغ خه إلي هرمز و سريلانكا و كاليكوت و ملقا و كوشين و البحرين و مقدشيو و ساموديرا و الأحساء و اليمن و قان – بالي و عـدن و ظفار و الميناء القديم . (٢)

والجدير بالذكر هنا ان نظام الجزية لم يكن وفق ما نعلم من تعاليم الشريعة الاسلامية وما تم فعلة من طرف الحكومات الاسلامية علي البلاد المفتوحة وليس ايضا ما قد فهمة بعض المستشرقين من نظام الجزية انه واجب تفرضة الدولة المنتصرة او ذات النفوذ على منطقة معينة تدفع تلك الجزيه مرغمة خوفامن عواقب عسكرية او سياسية , بل لم يكن ذلك النظـام عند أسرة مينج أكثر من مجرد تعبير تقليدى عن سيادة المملكة الوسطى على السائر الدول الاخرى فى إطار رسمى ممـزوج مع بعض المراسم الملكيه و لم يتجاوز ما يقتضية ذلك من إرسال البعثات الدبلوماسية والعلاقات التجارية الجديدة ونقـل الهدايا التى يمكن قبولها كجزية مصحوبة بتملق المبعوثين أو كما اطلق عليها متخصصوا التاريخ الصـينى (الدبلوماسـية

---

(١) في عام ١٣٧٢م أصدر الامبراطور بيان بربط أواصل الصداقة بين المملكة الوسطي (مينج الصينية) حاكمة العالم و بين البرابـرة اي دول العالم الأخري ، تقوم الصداقة علي أساس دفع الجزية مقابل دعم التجارة بين الصين و تلك البلاد والجدير بالذكران هناك فريق من العلماء يري أن ليس هناك ما يسمي بتجارة الجزية بل هي تجارة الضرائب و ان الترجمة الحرفية للكلمة لا تنم عن المضمون الخاص بتلـك التجـارة ، وان المؤرخين و المترجمين قد تأثروا بأراء المستشرقين وأخذوا كلمة الجزية منهم ، ولكن الباحث لايري ان ذلك الرأي صـائب وذلـك بسـبب تصريحات و افعال و معتقدات الأباطرة حكام أسرة مينج الذي يدل علي أعتقادهم بأنهم حكام العالم ويجب علي الدول الخضوع لهم و التـأثر الثقافي و الأقتصادي بهم فيما يسمي بالسلام العالمي لأسرة مينج كما سيوضح البحث بعد ذلك .

Ming shi – lu ,volume 3 , p.65 – 67, 936 – 936.

(٢)يونجل تعني البهجة الدائمة،اما عن عهده راجع هيلدا هوخام : تاريخ الصين ، ص ٣٥٨-٢٦٣، كما جاء في و ثائق أسرة ميـنج رقـم ١١٧٥في المجلد ١٥ بأن الأمبراطور أعلن العفوالعام عن جميع من تحت السماء مقابل أن تأخذ من تلك البلاد البربرية السلع القيمة و النادرة و تعطي إلي وزارة المناسك في القصر الامبراطوري كما يشترط أن يقدم تجار تلك البلاد البربرية التحية الرسمية للامبراطور ثم يعودوا إلي بلادهـم محملين بالبضائع و الهدايا ، راجع Ming shi- lu , vol 15 , p 15 -16وكذلك راجع سجلات اسرة مينج السنهالخامسة الشهر ٦ يوم ٩ بتاريخ ٢٩يونيو ١٤٣٠م، السجل رقم ١٥٣٤المجلد ١٩ ، الصفحة ١٥٧٦– ١٥٧٧

Ming shi – lu ,vol 19,p.1576 – 1577.

وحول سجلات بناء السفن التي قامت برحلاتها إلي البلدان الغربية من البحر راجع المصدر الصيني المعاصر لاسرة مينغ

李昭祥著《龍江船廠志》, 1543年刻。

الماكرة) من جانب البلدان الاجنبية والتملق الذى يحبه الامبراطور (١). استجابت كثير من الدول الاجنبية لذلك العرض وأرسلوا وفوداً من عندهم محملة بالهدايا التى أطلق عليها الجزية وكانت من تلك البلدان بلدان الجزيرة العربية والخليج وعلى رأسهم هرمز وظفار وعدن ومكه والأحساء . لكن يجب أن أوضح أن هناك كثير من البلدان الأجنبية من رفضت تلك الفكرة المخترعة من أمبراطور المينج عن تجارة الجزية كأنها فكره مهينه وردت علية بأسلوب أستعلائى مثل حاكم اليابان الذى أرسل له يقول :"أن السماء والارض واسعتان وليست حكراَعلى حاكم واحد وإعلم أن العالم ملك للعالم وليس ملكاًلشخص واحد " وكذلك ملوك مقدشيو وملوك الأحساء الجدد (الجبور) حيث تم استخدام العنف معهم في الحملة الخامسة لاسطول الكتر(٢).

تشينغ خه هو لقب اطلق علي القائد المسلم حجي محمود شمس الدين أحد احفاد حاكم منطقة يونان السيد الأجل شمس الدين عمر ، والسيد الأجل لقب يطلق علي السادة العلويين في منطقة أسيا الوسطي ، ولد حجي شمس الدين في منطقة يونان ، من أسرة ارستقراطية حاكمه وله أخ و أربع شقيقات ،وينتمي تشينغ خه لعرقية تسمي هوي و هي إحدي العرقيات المسلمة في جنوب غرب الصين ،اما عائلتة فيطلق عليها عائلة (ما) وما تعني محمود ،وقد أطلق كلمة ما علي السيد الأجل منصور ، الحفيد الخامس للسيد الأجل شمس الدين عمر ، عندما سافر لمكة من اجل الحج .ولد تشينغ خه عام ١٣٧١م وكان يطلق عليه اسم (ماسانباو) اي فتي الجواهر الثلاث وقد تحرفت فيما بعد تلك الكلمة في الأدب الشعبي العربي إلي السندباد صاحب الرحلات البحرية السبع المشهورة تماما مثل ماسانباو او تشينغ خه . (٣)

أرسل الأمبراطور هونغ دو جيشة بقيادة فو يودي للاستيلاء علي اقليم يونان عام ١٣٨٢م ، ورغم المقاومة العنيفة التي ابداها المغول في الدفاع عن يونان إلا ان القائد فو يودي استطاع دخول الأقليم وهزيمة المغول وصادف مقابلة فو يودي بالفتي ماسانباو وكان عمره وقتها يزيد علي العشر سنوات بقليل عندما سأله القائد فو يودي عن مكان أختباء القائد المغولي ، فرد عليه الفتي "قفز في البركة " فتعجب القائد من شجاعة الفتي و قال له " اهكذا حقا " أخذ القائد فو يودي ذلك الفتي أسير معه عندما توسم فيه الشجاعة و الذكاء ، وبعد ثلاث سنوات اي عام ١٣٨٥م تم إخصاء الفتي ماسانباو وألحق بخدمة الأمير يونجل الأبن الرابع للامبراطور الصيني هونغ دو مؤسس أسرة مينج . (٤)

واجه الأمبراطور هونغ دو مشكلة كبيرة بعد موت ابنه الأكبر وولي عهده عام ١٣٩٢م ، الأمر الذي دعاه لتعيين حفيده خلفا لأبيه وذلك بدعم من رجال البلاط ، وبذلك يكون هونغ دو قد تجاوز العديد من ابنائه الاحياء بما فيهم الابن الرابع يونجل الذي كانت عيناه ترنو لحكم البلاد ، وفي عام ١٣٩٨م توفي مؤسس اسرة مينج عن عمر يناهز ٧١عام وتولي

---

(١) والجدير بالذكر لم يكن كل اباطرة مينج يحبون ذلك التملق الذي لا يأتي بعائد علي اقتصاد الصين بل علي العكس كان من عوامل التدهور الأقتصادي وضعف الخزينة الصينية الأمر الذي دفع الامبراطور الرابع لأسرة مينج (شي – لو) من وقف تلك التجارة (الدبلوماسية الماكرة)حيث أصدر فرمان في أحدي و ثائق اسرة مينج يقول فيها بعد توليه عرش البلاد (إن السفن التي تجلب الأحجار الكريمة و الهدايا من البلاد البربرية في المحيط الغربي يجب أن تقف و علي السفن جميعا أن تعود إلي ناكينج وعلي كل السفن المبحرة في البحار في طريقها للبلاد البربرية أن تتوقف) ، راجع تاريخ أسرة مينجالفصل ٣٠٤ الصفحة ٢ب

Ming shih ,ch.304,2a ,T.P, chin1933 , p. 301

Huang – ming Ts,ung Hsih-lu , ch.15,p.30a

(٢) حول الحملة العسكرية الصينية علي الجبور حكام الاحساء و شرق الجزيرة العربية فسوف نوضح ذلك تفصيليا في ذلك البحث وحول ذلك يمكن الرجوع إلي ، Geoff Wade : the zheng he Voyages , asia research institute ,working paper series,no.31 , national university of Singapore,October 2004,p.17-18.

(٣) مي شو جيانغ : الاسلام في الصين ، ترجمة وانغ ماو هو ، دا ووتشو للنشر ، بكين ٢٠٠٤م ، ص ٣٠-٣١ ، هادي العلوي : المستطرف الصيني ، ص ٣٠٥ ، ويذكر هادي ان تشينغ خه هو الحفيد ال٣٦ للامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

(٤)لويز : يوم سادت الصين البحار ، ص ٧٣ – ٨٦ ;

Phillips, George: 'The seaports of India and Ceylon, described by Chinese voyagers of the fifteenth century, together with an account of Chinese naviga-tion, Part I,' Journal of the China Branch of the Royal AsiaticS ocietyfo r the Year1 885, 20,1986,p. 209-226.

حفيده يوانجانغ والذي أطلق علي نفسة لقب جو- يونوين لكن الأمير لم يدير البلاد مثل جده و ادخلها في سلسلة طويلة من الصراعات والفوضي خاصة بعد أن قلص الأمتيازات الأقطاعية للقواد العسكريين وجرد اعمامه الأمراء من القوات العسكرية و عزلهم من مناصبهم ، الأمر الذي أدي لثورة عمة يونجل عام ١٣٩٩م ، وبعد صراعات عسكرية مريره استطاع يونجل أن يستولي علي زمام الأمور ويدخل من بوابات القصر الأمبراطوري ويصبح الأمبراطور الثالث للمينج وذلك عام ١٤٠٢م ،وتذكر الحوليات الصينية أن الأمبراطور جو – يونوين أستطاع الهروب من عمة حيث لبس ثوب الكهان وذهب مع مجموعة من خواصة خارج البلاد عبر مركب شراعي متجها نحو بلدان المحيط الهندي .(١)

أعتمد يونجل في صراعه ضد ابن أخيه علي الخصيان العسكريين ، لذا أعطاهم ثقته بعد النصر و قرب منه الخصي ماسانباو وأعطاه لقب تشينغ خه وفور أستقرار الأوضاع أمر يونجل ببناء أسطول أمبراطوري يقوم بزيارة المحيط الهندي لتمشيطه بحثا عن الأمبراطور الهارب أو لتبديد الشاعات المضطربة حول منفي الأمبراطور جو – يونين خارج البلاد ، وقد كلف يونجل قائده الخصي تشينغ خه ببناء الأسطول عام ١٤٠٣م للبحث عن الأمبراطور الهارب و كذلك لملئ خزائن الدولة الفارغه بالعائدات التجارية الخارجية وذلك وفق ما جاء في كتاب مينج تونج جيان (التاريخ غير الرسمي للمينج) . (٢)

أسطول سفن الكنز (寶船) **treasure ships** : في البداية أمر الأمبراطور يونجل مقاطعة فوجيان بإنتاج ٣٧ سفينة عابرة للمحيطات وبعد ثلاث أشهر أمر مقاطعات سوجو و جيانغسو و جيانغشي و جيجيانغ و هونان و غوانفد ونغ ، بانتاج ٢٠٠ سفينة أخري وفي نفس العام أرسل أمر أخر للمقاطعات الساحلية بانتاج ١٨٨ سفينة ثم تطور الوضع أكثر من ذلك حيث بلغ انتاج السفن من عام ١٤٠٤ وحتي عام ١٤٠٧ إلي ١٦٨١ سفينة من أجل البعثات الرسمية للمينج فيما يعرف أصطلاحيا بأسطول الكنز ، وكانت سفن الكنز تحمل أسلحة حديثة بمعطيات ذلك العصر، حيث حوت كل سفينة علي ٢٤ مدفع برونزي و يبلغ مدي المدفع من ٨٠٠ إلي ٩٠٠ قدم ، و كذلك أحتوت السفينة علي غرف مجهزه بكل الرفهيات الممكنة من أجل مبعوثي الأمبراطور و مبعوثي البلدان الأجنبية . كذلك أحتوت كل سفينة علي جرس كبير و خمسة أعلام وطبل كبير و عشرة مصابيح تستعمل كإشارات ضوئية لاصدار الأوامر علي متن السفن و كان لكل سفينة لونها الخاص وعلم أسود كبير خطط عليه باللون الأبيض حرف كبير يدل السرية التي تنتمي لها تلك السفينة (٣) .

وبخصوص التوزيع الوظيفي علي سفن اسطول الكنز ، كان علي متن كل سفينة سبعة من المديرين الخصيان يعملون كمرافقين لسفراء الأمبراطور ، كما كان هناك عشرة من المديرين المساعدين يعملون تحت إشراف السفراء يتبعهم ٥٢ خصي ، اما بالنسبة للتوزيع العسكري علي متن سفن الأسطول فكان علي متن كل سفينة ٩٢ عسكريا كبيرا مسئول علي الأفواج ، و ١٠٤ من قادة الكتائب يتبعهم ١٠٣ من رؤساء المجموعات ، اما ربان السفينة فكان يتم تعينه بشكل خاص من الأمبراطور وكان لدي الربان سلطة القتل لتعزيز النظام علي متن السفينة ، وكان لكل سفينة أمين سر لاعداد الوثائق الرسمية وكان امين السر ذو رتبة رفيعة في البلاط الأمبراطوري ، وكذلك عدد ٢ من موظفي وزارة المناسك مسئولين عن البرتوكولات الرسمية بالاضافة إلي عشرة معلمين يعملون مترجمين ولقبهم (تونغ يي فانس هو جياو يو غوان) وتعني المعلم

---

(1)Zhu,Jianqiu : 'Zheng He's nautical chart and its role in the history of the Chinese chart development', In: Research Association , Zheng He Xia Xi Yang Lun WenJi. 1 ,1985,p. 229-237.

(٢)اليوم ٥ الشهر ٥ السنة الأولي ، الموافق ٢٥ماية ١٤٠٣ ، السجل ٢٩٢، المجلد ٩ ، ص ٣٥٦; وحول أسباب اعداد اسطول الكنز وإشراف تشينغ خه عليه و انواع السفن و محتوياتها يرجي مراجعة ذلك البحث القيم

Sally K. Church: ZHENG HE, AN INVESTIGATION INTO THE PLAUSIBILITY OF 450-FT TREASURE SHIPS, Monumenta Serica, Vol. 53 ,2005, p. 1-43

(٣)اليوم ٥ الشهر ٥ السنة الأولي ، الموافق ٢٥ ماية ١٤٠٣ ، السجل ٢٩٢، المجلد ٩ ، ص ٣٥٦;

Mei-Ling Hsu: Chinese Marine Cartography: Sea Charts of Pre-Modern, Imago Mundi, Vol. 40 ,1988, p. 96-112

الذي يعرف الكتب الأجنبية ، وكان منهم ماهوان و فاهسين اللذان وصفا رحلتهما بصحبه اسطول الكتر إلي بلدان المحيط الهندي و الخليج العربي و شبة الجزيرة العربية و سوف نذكر رحلتهما تفصيليا في ذلك البحث . (١). كما رافق أسطول الكتر ١٨٠ طبيبا و صيدلانيا لجمع الأعشاب النادرة و التعرف علي الامراض و الأوبئة و علاج المرضي في اسطول الكتر ، و الجدير بالذكر أن معظم البحارة و الجنود علي متن الأسطول كانوا من المجرمين المبعدين عن الوطن ، وقد حمل الأسطول بكميات كبيرة من الحرير و الخزف الملون و القطع الفنية ، بالاضافة إلي عدد كبير من اللفائف البيضاء الممهوره بختم الأمبراطور يونجل أعطت كلها للقائد تشينغ خه لكي يصدر الأوامر و يعقد المعاهدات مع بلدان المحيط الهندي(البلدان الغربية) وفق ما تقتضيه الضروره ،وفي خريف ١٤٠٥م كان أول أسطول للمينج جاهز لرحلته الأولي بـــ٣١٧ سفينه من سفن الكتر مزود بـــ ٢٧ ألف جندي مستعدين للأنطلاق نحو بلدان المحيط الهندي . (٢)

مراسم تجارة الجزيه :كان لتجارة الجزيه مراسم وطقوس معقدة فى البداية انشأت أسرة مينغ إدارة خاصة لشئون السفن الاجنبية والتجارة الخارجية فى مينغتشو والزيتون وكانتون وذلك وفقاً لما فعلته أسرة يوان سابقاً، وأصبحت مسؤلية تلك الادارة مقتصر على تولى شؤون تقديم الجزيه وتيسير التجاره مع الدول الاجنبية , وكان المسؤل عن تلك الإدارة هو وزير المناسك (الطقوس) (٣)والجدير بالذكر أن وزير المناسك في عهد يونجل الامبراطور الثالث هو الوزير لي –تشي – جانج (٤)واتبعت ادارة شؤن السفن الاجنبية والتجاره عدد من القوانين الدقيقة خاصة بتجارة الجزيه أولها أن يتقدم رسول الوفد الأجنبى بالجزيه والتى هى عباره عن سلع كماليه فى الغالب ومخلوقات نادرة وعجيبة من بلاد الشرق والغرب ، وبعد أن يقدم الرسول الجزيه يأخذها وزير المناسك ويعرضها على الامبراطور فى سجل وإذا وافق الامبراطور أعطت وزارة المناسك للسفير براءة تقديم جزيه حيث يوضع ختم على ورقه سفارته التى أتى بها , ثم ينتظر السفير موعد الدوره (الميعاد) المحدد له لتقديم الجزيه للامبراطور وبعدها يتسلم خط المرور أو تصريح السير الذى يسير به التاجر منذ نزوله الميناء وحتى وصوله الى العاصمه الامبراطوريه . وكان يحدد للسفير عدد السفن المصاحبه له وكمية البضائع تفصيلياً بالاضافة للسلع الاخرى والعدد الكلى لاعضاء البعثة وطريقة تقديم الجزية شخصياً للامبراطور وعندما تقبل الجزيه يتوسل وزير المناسك للامبراطور بتقديم الهدايا لتلك الوفود والتجار المصاحبين لهم , فيأمر الامبراطور بإعطائهم الهدايا وفقاً لما قدموه من جزيه أو هدايا للامبراطور بإسم الجزية . (٥)

ثم يأمر الامبراطور حكومته متمثله فى وزير المناسك بشراء السلع الاضافية التى تحملها سفن الوفود والتى توجد فى الميناء وهى من خير البضائع التىتقدم كجزيه للقصر الامبراطورى , كما يسمح الامبراطور للبعثة بعرض بضائعها وعرضها

---

(1)Huang Xingzeng : (Xiyang chaogong dianlu) [黃省曾, 西洋朝貢典錄, 1520 n. Chr.], (annotierte Übersetzung),Inaugural-Dissertation zur Erlangung des Doktorgrades des Fachbereichs,Geschichts- und Kulturwissenschaften an der Freien Universität Berlin ,Tag der mündlichen Prüfung: 29. Juli 2005, p.8-12.

(2) GEOFF WADE : The Ming shi-lu as a Source for Thai History -- Fourteenth to Seventeenth Centuries, Volume 31, Journal of Southeast Asian Studies ,1 September 2000 ,p .6- 32

(٣) هناك وثيقة في سجلات أسرة مينج رقم ٣٠٩ في مجلد العاشر ، تقول أن الامبراطور أمر المسئولين بأنشاء وزارة المناسك لأن الامبراطورية تحتل مكانة مركزية في العالم و تحكم عشرات آلاف من البلدان فهي تحكمكل من تحت السماء وأن الشعوب في البلدان البعيدة يشعرون بالارتياح والهدوء لوجودنا هنا في حكم العالم و أنهم يريدون إظهار الولاء لنا ، وان من دواعي سروري أن يأتي من هم في البلاد البعيدة يعلنون الولاء ثم يعودون إلي بلادهم محملين بالهدايا الامبراطورية ، وعلي وزارة المناسك أن تمنحهم تصريح بذلك و ان تحميهم و تسهل رحلاتهم دون عائق من الأن فصاعد و أن كل الناس في جميع البلدان المرحبين و الراغبين في دخول الصين أن يسمح لهم.

Ming shi –lu , vol.10,Record 309, p. 435

(٤) اليوم ٢٩، الشهر ٦ ، السنة ١٩ ، الموافق ١٩ يوليو ١٤١١م ، سجل ٧٦٨، المجلد ١٢ ، ص ١٤٨٣.

Ming shi –lu , vol 15,p.15.(٥)

وكذلك راجع ريتشارد هول : امبراطوريات الرياح الموسمية ، ترجمة كامل يوسف ، مركز الامارات للدراسات و البحوث الاستراتجية ، ابوظبي ١٩٩٩م ، ص ١٢٣ ، هادي العلوي: المستطرف الصيني ، ص ٣٠٢.

فى قسم (المناسك) ولمدة تتراوح من ثلاث إلى خمسة أيام وذلك لكى يطلع عامة الشعب الصينى علــى تلــك البضــائع ويشتروها , أما إعضاء البعثةالمرافقة للسفير والمقيمين فى الميناء لا يسمح لهم بمقابلة الامبراطور فى العاصمة بل يسمح لهــم بالتجارة مع سواد الشعب الصينى فى الميناء ولكن بواسطة سمسار تحدده وزارة المناسك . (١)والجدير بالــذكر أن نظــام الجزية قد عمل على زيادة الوهم الامبراطورى بأن حاكم المملكة الوسطى له السيادة على كل ما تظلة السماء و ويؤكد على ذلك النقش الاثرى الموجود على عمود حجرى أقامة القائد البحرى تشينغ خه فى معبد بوذى قريب من شــنغهاى **جاء فيه** : " أن جمع البلدان الواقعة وراء الأفق وفى أقاصى الارض أصبحت تابعة لنا جميعاً من أقاصى الغرب إلى أقاصــى الشرق ومن أقاصى الشمال إلى أقاصى الجنوب مهما تبتعدت ومهما كانت الميافات والطرق التى تفصل بينــها وهكــذا فبرغم بعد بلادهم حقَافها هم البرابرة من وراء البحار جاءوا يحملون الاشياء والهدايا الثمينــة " . (٢)كــان أصــحاب المقامات الرفيعة من المبعوثين الاجانب يقيمون في قصر هوي تونغ بمدينة نانجينج، حيث يخدمهم ٤٠٠ من الخدم بالاضافة لعدد من الأطباء و الطهاه المهرة لرعايتهم ، وكان كل مبعوث له بطاقة خشبية تحمل أسمه وكان يحذر عليهم الخروج إلي الشارع و الأختلاط بالعامة أو التجار المحليين ، بل كانت وزارة المناسك تقوم بالاجراءات التجارية وتحديد أنواع الجزيــة ومقدارها لكل بلد، وكذلك انواع البضائع التي يجلبها المبعوثين معهم إلي الصين، وفي المقابل كان المبعوثين يتلقون يتلقون الهدايا الامبراطورية وكذلك ملوكهم ، ثم يسمح للمبعوثين بإقامة سوق مفتوحة للجمهور في دار الضيافة خــلال مــدة تتراوح من ثلاث إلي خمسة ايام تحت رقابة وزارة المناسك،وكان يمنع منعا بات أن يباع للمبعوثين المدونات التاريخيــة و الخرائط و الأسلحة و الأعشاب الطبية النادرة ذات المخزون المحدود .واذا تسلل أحد المبعوثين إلي بيوت الأهــالي كــانوا يحرمون من الهدايا الأمبراطورية وكانت مدة اقامتهم في قصر هوي تونغ تتجاوز بضعة أشهر ، مصحوبة بعدد من الولائم الأمبراطورية وسباقات الخيول و رمي السهام من اجل التسلية تحت إشراف وزارة المناسك(٣). وأخيراً نختم حديثنا عن تلك المراسم بما قاله المبشر البرتغالى بينديكت جويس Benedict Goes الذى وصل لبلاط أمبراطور الميــنج عــام ١٦٥٠ كسفير فقال " أن البلدان الاجنبية تبعث سفارات الى الصين قدر عددهم ب٧٢ مندوب أو سفير لتقديم الهدايا (الجزيه) إلى الامبراطور وكان معظم المندوبين من التجار وكانت نفقات الرحلة ذهاباَ وإياباَ على حساب الحكومة الصينية , فالامبراطور الصينى عنده من الخيلاء والزهو ما يجعله يحس بالخجل إذا قبل الهدايا بدون مكافأة سخيه لذا يعمل جميــع الاعضاء الى التنافس على تمثيل أعضاء الوفد "ونفهم من هذا السياق ان مصاريف الرحلات البحرية من الدول الأجنبية الى الصين ذهاباَ وإياباَ كانت على نفقات الحكومه الصينيه نظير تقديم بعض التوقير الزائد والتملق الــذى يحبــه الامبراطــور ويجازى به بسخاء مبالغ فيه . (٤)

---

(١) لويز : يوم سادت الصين البحار ، ص ١٨٨-١٨٩

(٢) كتب تلك العبارات الموجوده في النقش الحجري القائد الخصي تشينغ خه في ١٤ مارس ١٤٣١م وسوف نحقق ذلك النقش باعتباره أحد مصــادر اسرة مينج عن علاقات اسرة مينج بشبة الجزيرة العربية و الخليجوقد نشر النص المنقوش في دورية Journal Kuo – feng و ذلك ســنة ١٩٣٥م علي يد العالم الصيني الجليل Cheng Hao – sheng ، اما النص الأصلي فيوجد علي حجر في متحف تيــان – في Tien – fei الموجــود في اقليم T,ai – tsang بدولة الصين وحول ذلك راجع

Zheng he : wu – tu wen – sui hsu – chi,by cheng hao – sheng , journal ,Kuo – feng , vol.vII,no.4,october1935,p.30-31.

(٣) لويز : يوم سادت الصين البحار ، ص ١٨٧-١٩١،

Zheng Hesheng: Zheng Yijun, *The Selected Papers on Zheng He's Voyages to West,* Part II, Qi Lu Publishing House, 1983, p.856

(٤) الجدير بالذكر أن معدل التجارة الخارجية للصين في نهاية أسرة مينج قد أنخفض تدرجيا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر بسبب الغــارات المستمرة من القراصنة اليابانيين و ظهور القوة البحرية البرتغاليية في المحيط الهندي وتكوين مستعمرات لهم فيه.

F.Hirth,Ancient Porcelain : a study in Chinese mediaeval in dustry and trade, reprinted the j.of the china branch of the r.asitat.soc,1888,p.58-60.

وكذلك يمكن الرجوع إلي ، سليمان حزين : المشرق العربي و الشرق الأقصي ، ص ٢٢٩.

وثائق تجارة الجزيه مع بلدان الجزيرة العربية والخليج :كان مؤسس أسرة مينغ له حساسيه ضد المسلمين ولاسيما العرب فى أول عهده وذلك بسبب علاقتهم بحكم يوان المغولى , إلا أنه سرعان ما تخلى عن تلك الفكرة وقرب منه المسلمين بل بل أمر بعمل تقويم إسلامى ووضع باللغة العربيه وقرب منه العلماء والقواد والتجار المسلمين ، بعد إعتراف بلاد الاسلام بحكمه وردهم على رسالته والتى حملها دبلوماسين صينين ، ردت الدول الاسلامية ومنها بعض عواصم الجزيرة العربيـــة والخليج بالاعتراف بأسرة مينغ على حكم الصين والموافقه على التبادل التجارى وفقالنظام الجزيه والتى يدفع مصـــاريف الانتقال فيه من وإلى الصين ثم الرجوع إلى الوطن على حساب الحكومة الصينية . وقد أستطعت الحصول على عدد لابأس به من الوثائق الموجودة فيما يعرف بسجلات أسرة مينغ تبين حجم التعامل الدبلوماسى التنموى اى القائم على المعاملات الاقتصاديه بين الصين وبين حكومات الجزيرة العربية والخليج وعلى رأسهم هرمز واليمن والبحرين ومكه والاحساء وظفار وذلك فى القرن التاسع الهجرى . (١)

وسوف نوضح علاقات تلك الحكومات العربية بحكومة مينج مع ذكر أرقام الوثائق وتواريخها وعددها لكل حكومة في سجلات اسرة مينج:

مملكة هرمز من اهم ممالك الخليج العربي : يجب أن نشير أن هناك مدينتين أسمهما هرمز ، هرمز القديمة أو العتيقة والـــتي كانت تقع علي البر الساحلي قرب مصب نهر ميناب الذي يسمي جون الخبر و تبعد عن بندر عباس حوالي ٣٠ ميل ،وقد زارها الرحاله المشهور ماركوبولو فقال (مدينة لها بندر يدعي هرمز يقصده التجار القادمون من الهنـــد ، في مراكـــب موسوقة بالتوابل و الأحجار الكريمة و الألئ و أثواب الحرير و الذهب و أنياب الفيلة و العديد من السلع الأخري ، الـــتي يبيعونها لتجار هرمز ، ويحملها هؤلاء إلي جميع أنحاء العالم ويبيعونها بدورهم و الواقع أن هرمز مدينة تجارتها واسعة يقـــع تحت سلطتها الكثير من المدن و القري إلا أنها العاصمة ويسمي ملكها ركن الدين أحمد) (٢). أما هرمزالجديدة والتي تم أنشائها علي جزيرة جرون وهي جزيرة ذات تربه ملحيه ، كانت خالية من السكان حتي عمرها حكام هرمز و يكثر فيها التلال البركانية و يذكر المؤرخ البرتغالي دوارته بربوسه أن مناخ جرون عاصمة هرمز الجديدة حارة جدا وهي تقـــع في الخليج الفارسي (العربي) قرب المضيق الفاصل بينه و بين خليج عمانوهي مدينه جميلة شاهقة المباني مشـــيدة بـــالحجر و الملاط وفيها شوارع عديدة تخترق أحياءها وتفضي إلي ميادينها الشيقة وهي كثيرة التجارة ذات أصناف عديدة ويرسوا في مينائها العديد من المراكب الضخمة وبندرها جيد جدا و تحمل إليه شتي أنواع البضائع من جميع الآفاق ويجلب لها من الهند التوابل و الفلفل و القرنفل و الزنجبيل و الهال و الصندل و الزعفران و الشمع و غيرها والأحجار الكريمة و الخزف و اللبان الجاوي ، ويجني التجار أرباحا طائلة من بيع تلك الأصناف . (٣) .وسبب خروج سلاطين هرمز من مدينة هرمز العتيقة الموجودة علي مصب نهر ميناب إلي مدينة هرمز الجديدة الموجوده في جزيرة جرون عند ما يعرف الأن بمضيق هرمز يرجع لعهد السلطان الهرمزي محمد شاه (٧٩١-٨٠٢هـــ/١٣٨٨-١٤٠٠م)(٤): فى عهد محمد شاه كانت مملكة هرمز تدفع

---

(١) قوة ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيامين ، الصين اليوم ، سبتمبر ٢٠٠٢ ، ص ٥٣ ، وقد جائت كلمة المسلمين و محاولات التقرب منهم و بخاصة العرب في الوثيقة رقم ٣٠٩ بالمجلد العاشر في وثائق اسرة مينج ، وكذلك الوثيقة رقم ٨٣٤ في المجلد ١٢

Ming shi – lu ,vol . 10,record 309,p.435.

Ming shi –lu, vol.12,record 834,p.1639 .

وكذلك يمكن الرجوع للبحث الممتاز الذي أعده الدكتور جعفر كرار عن علاقات شبة الجزيرة العربية بالصين ، جعفر كرار احمد : العلاقات التاريخية بين شبة الجزيرة العربية و الصين منذ ظهور الاسلام و حتي اوائل القرن العشرين ، مجلة دراسات الخليج و الجزيرة العربية ، العدد ٩٢ ، السنة ٢٤ ، الكويـــت ١٩٩٩م ، ص ١٦٠ - ١٦١، انظر ايضا هادي العلوي : المستطرف الصيني ، ص ٣٠٢- ٣٠٥.

(٢) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ، ج ١ص ١٧٠-١٠٨ و الجدير بالذكر أن مركوبولو زار هرمز سنة ٦٧٠هـــ / ١٢٧١م ، قبـــل أن يـــتم نقـــل العاصمة إلي هرمز الجديدة في جزيرة جرون .

(٣) دوارته بربوسة : وصف البلدان المطلة علي بحر الهند و التعريف بسكانها ، ترجمة ابراهيم خوري ، مركز الدراسات و الوثائق ،راس الخيمة ١٩٩٩م ، ص ٢٠٧- ٢٠٨

(٤) معين الدين نطترى: منتخب التوايخ معينى، ص ١٨-١٩؛ ومنجم باشى: جامع الدول، جـــ ٣ ص ٢٣.

الخراج إلى السلطان تيمورلنك سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م، وخاصة بعد أن أحكم تيمورلنك سيطرته على جنوب فارس وأصبح هو السلطة المهيمنة على تلك المنطقة، حيث بعث محمد شاه سلطان هرمز الهدايا والعطايا إلى بلاط الأمير عمر شيخ وأدى إلى الديوان الإيلخانى ضعف الخراج المحدد(١).

وبالرغم من ذلك هاجم الجيش التيمورى هرمز العتيقة (هرمز الساحل) واستطاع أن يدمر الكثير من حصونها، إلا أن جيش تيمور لنك فشل فى هجومه على هرمز الجديدة (جرون) لعدم توافر السفن اللازمة لذلك الأمر(٢)، وذلك على الرغم من الهدايا الكثيرة التى قدمها السلطان محمد شاه "بالإضافة إلى تقديم ١٢٠٠٠٠٠ دينار كخراج عن أربع سنوات، كما أرسل جزءاً كبيراً من اللؤلؤ والأقمشة للديوان الإيلخانى" كما وعد السلطان محمد شاه بإرسال باقى الأموال المقررة إلى مقر الديوان الإيليخانى متى توفر ذلك(٣)، إلا أن هجوم تيمور لنك على جزيرة هرمز الجديدة قد فشل كما ذكرنا سابقاً لعدم توافر القوى البحرية الكافية للقيام بذلك العمل(٤). وتوفى السلطان محمد شاه سنة ٨٠٢هـ/١٤٠٠م وخلفه نجله بهمنشاه كما تنص رواية نطنزى(٥)، وإن كان هناك بعض المصادر تجعل قطب الدين فيروز شاه خلفاً لأبيه محمد شاه الذى اتصف بورعه وتقواه وقد حج فيروزشاه إلى مكة عدة مرات. وفى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م(٦)، أجبره ابنه البكر سيف الدين مهار على التنازل عن عرش البلاد وجعل إقامة والده قطب الدين فيروزشاه جبرية فى جزيرة قشم، وانفرد سيف الدين مهار بحكم البلاد. والجدير بالذكر أن جزيرة البحرين والقطيف كانتا تحت الحكم المباشر لسلاطين هرمز فى تلك الفترة(٧).

حكم قطب الدين تهمتن الثالث فيروزشاه (٨٠٢-٨٢٠هـ/١٤٠٠-١٤١٧م)(٨):تولى قطب الدين تهمتن الثالث فيروزشاه الحكم فى سلطنه هرمز عام ٨٠٢هـ/١٤٠٠م وقد اتصف ذلك السلطان بورعه وبراعته فى الصيد، إلا أنه أهمل إدارة شئون البلاد وترك تلك المهمة إلى وزيره خواجا بغدادى. واستاء الكثير من الأهالى لذلك الوضع، مما دعا ابنه سيف الدين مهار إلى الاستيلاء على القصر الملكى، وقتل الوزير خواجا على البغدادى. ودار النزاع بين الأب وابنه حول السلطة، وخشى الأهالى من ضياع ممتلكاتهم فى ذلك الصراع، فتدخل رجل صالح يدعى جمال الدين أحمد السجستانى بين السلطان الأب والأبن، وحكم ذلك الرجل بتنازل الأب قطب الدين تهمتن الثالث عن العرش إلى الأبن سيف الدين مهار فى مقابل أن يعامل الأبن أبيه معاملة كريمة، فرضخ الأب لذلك الحكم بعد أن رأى أن العامة تدعم ابنه سيف الدين مهار، وكان لامتلاك ابنه سيف الدين لقوة عسكرية كبيرة مما جعل من الصعب مقاومته، وبالفعل انتقل الأب إلى جزيرة قشم تنفيذاً للاتفاق(٩).

---

(١) معين الدين نطنزى: المصدر نفسه، ص ١٩؛ شرف الدين على يزدى: ظفر نامه، تهران، جلد أول ص ٥٧٧-٥٨٨، حيث يناقض شرف الدين روايه معين الدين نظنزى حيث يقول صراحة أن محمد شاه لم يدفع الخراج طيلة أربعة أعوام قبل عام ٧٦٩هـ/١٣٩٣م لذلك ربما يكون ذلك هو سبب هجوم قوات تيمور لنك على مملكة هرمز.

(٢) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ نظام الدين شامى: ظفر نامه، تحقيق فلكس تاور، بيروت ١٩٣٧م، جلد أول ص ١٦٨، إلا أن وصف نظام الدين شامى فى ظفر نامه جاء ناقصاً ومختلفاً بعض الشئ عن وصف شرف الدين يزدى الذى أعطى تفاصيل كامله للأعمال الحربية التى جرت حول هرمز القديمة والحصون السبعة التى دمرتها قوات تيمور لنك وكيف فشل جيش تيمور لنك من أن يهاجم جزيرة جروان "هرمز الجديدة" لعدم توافر المراكب اللازمة؛ راجع شرف الدين يزدى: ظفر نامه، ص ٥٧٧-٥٨٨.

(٣) معين الدين نطنزى: منتخب التواريخ، ص ١٨-١٩؛ شرف الدين على يزدى: المصدر السابق، ص ٥٨٨.

(٤) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٤٦.

(٥) معين الدين نطنزى: منتخب التواريخ، ص ١٩.

(٦) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ عباس أقبال: مطالعاتى درباب بحرين، ص ٤٧.

(٧) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ٦ ص ١٧٥؛ ابن حجر العسقلانى: أنباء العمر، جـ ٣ ص ١٠٣؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٥٠.

(٨) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛

Aubin, J., Le Royaume D'ormuz au Debut De XVIE siecle, in Mare Luso-Indicum, Vol., 1971, P. 129.

(٩) السمرقندى: مطلع السعدين، ص ٥١٦؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٥٠،

حكم السلطان سيف الدين مهار (٨٢٠-٨٤٠هـ/١٤١٧-١٤٣٦م):امتلك السلطان سيف الدين مهار جيشاً كبيراً تألف أكثره من الأتراك والآريين، وكان يوزع الغنائم على جنوده لضمان ولائهم له. وكان ذلك السلطان يرسل حكام تابعين له فى كل من القطيف والبحرين وقلهات وعمان وجلفار وهرمز العتيقة وقلاع المناطق الساحلية، كما تروى المصادر(١). وذلك يدل على استمرار خضوع جزيرة البحرين والقطيف للسيطرة المباشرة لسلاطين هرمز حيث وجدت فى البحرين والقطيف إدارة مركزية تابعة لحكام هرمز بالإضافة إلى قوى عسكرية تابعة لسلطان هرمز وعلى رأس تلك القوى العسكرية حاكم يعين ويعزل من طرف السلطان(٢).

خامساً: النزاع بين سيف الدين مهار وأخيه فخر الدين ثورانشاه الثانى: حدث نزاع بين السلطان سيف الدين مهار وأخيه فخر الدين تورانشاه الثانى(٣) حيث استطاع الأخير الاستعانة بزعماء القبائل العربية فى ذلك النزاع، وانحاز تجار الأحساء لفخر الدين، بامدادهم له بالمراكب والخيول وزعماؤهم والأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود، مقابل وعد فخر الدين لهم بالعفو عنهم ومنحهم الهبات والإعفاء من الرسوم الجمركية(٤)، ومن تلك الحادثة يظهر دور حكام الأحساء من بنى جبر، فى ذلك الصراع والذى بدأ منذ ٢٦ شوال عام ٨٤٠هـ/١٤٣٧م واستمر حتى عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م(٥).وقد انتهى ذلك الصراع بتولى تورانشاه الحكم فى هرمز وخضوع المناطق التابعة لسلطنة هرمز تحت يده، وقد أودع تورانشاه أخاه سيف الدين مهار فى جزيرة جروان واستمرت إقامته فيها حيث عومل معاملة محترمة كما وصفتها المصادر(٦).وتشير تلك الأحداث إلى خضوع إقليم بلاد البحرين للسيطرة الهرمزية حيث دانت البحرين والقطيف تحت النفوذ المباشر لهرمز، بالإضافة إلى خضوع الأحساء وحكامها العرب من بنى جبر إلى التبعية الأسمية وتقديم فروض الولاء والطاعة والمساعدات إلى سلطان هرمز تورانشاه الثانى(٧). واستمر تورانشاه فى الحكم إلى أن توفى سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م(٨)، وفى تلك الأثناء استطاع عرب الجبور السيطرة الداخلية على إقليم بلاد البحرين وإزاحة حكم آل جروان وحلفائهم العصفوريين من القطيف، وذلك بقتل أخر حكام آل جروان إبراهيم بن ناصر جروان على يد سلطان الجبور سيف بن زامل الجبرى(٩).وغالبا ما وصل بحارة تشنغ خه إلى هرمز فى الشتاء وقضوا حوالى شهرين هناك من منتصف يناير إلى منتصف مارس وذلك قبل الانطلاق فى رحلة العودة إلى الوطن مع بداية الرياح الموسمية الجنوبية الغربية. والجدير بالذكر أن الرحلة الأخيرة على سبيل المثال وصلت هرمز فى ١٧ يناير ١٤٣٣ وغادرت إلى الصين فى ٩ مارس من ذلك العام. وقد عاد قوادها إلى بكين فى ٢٢ يوليو ، بعد رحلة عودة سريعة عبر المحيط الهندى وبحر الصين الجنوبى استغرقت أقل من ٥ أشهر وخلال إقامتهم الطويلة فى هرمز ، كان الموظفين الصينيين يتصلون لا شك مع النخبة المحلية غالباً. وهذا ربما مكن أمراء

Abuin, Op. Cit, PP. 129-131.

(١) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ٦ ص ١٧٥؛ ابن حجر العسقلانى: أنباء العمر، جـ ٣ ص ١٠٣؛ عباس أقبال: مطالعاتى درباب بحرين، ص ٤٧.

(٢) ابن ماجد: كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد، باريس ١٩٢١-١٩٢٣، ص ٧٠؛ السخاوى: المصدر نفسه، جـ ١ ص ١٩٠؛ أنظر أيضا شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى، جـ ٢ ص ١٢٤١؛ عبد اللطيف ناصر الحميدان: الإمارة العصفورية، ص ٥٩؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٥٠؛ Teixeria, Op. Cit, PP. 245.

(٣) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ وشاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى، جـ ٢ ص ١٢٤١؛ عباس أقبال: مطالعاتى درباب بحرين، ص ٤٧.

(٤) السمرقندى: مطلع السعدين، ص ٥١٦؛ ابن حجر العسقلانى: أبناء العمر، جـ ٣ ص ١٠٢؛ أنظر أيضا إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـ ٢ ص ١٥١-١٥٢، والجدير بالذكر أن الأستاذ: إبراهيم خورى قد ترجم تلك الرواية بناء عن الرواية التى أوردها المؤرخ عبد الكريم نمديهى فى حولياته كنز المعانى.

(٥) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣ ص ٢٣؛ عبد اللطيف ناصر الحميدان: الإمارة العصفورية، ص ٥٩، Abuin, Op. Cit., PP. 133.

(٦) منجم باشى: جامع الدول، جـ ٣، ص ٢٣.

(٧) منجم باشى: المصدر نفسه، جـ ٣، ص ٢٣؛ شاكر مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامى، جـ ٢، ص ١٢٣١.

(٨) إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٥٣؛ Teixeria, Op. Cit, PP. 245.

(٩) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١، ص ١٩٠؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١٢٠؛ عبد الرحمن أل ملا: تاريخ هجر، جـ ٢ ص ١٨٧.

هرمز من التعرف على قوة الدولة الوسطى التجارية وطبيعة نظام تجارة الجزية ، ومن ثم هم أرسلوا بضعة سـفارات إلى الصين ، والتي صنفت بـ " مندوبي الجزية" في مصادر الـ مينج وتلك السفارات قدمت " خيول ومنتجات محليـة" إلى البلاط الصيني. وبالتالي علم الصينيين الدور الذى تلعبه هرمز في التجارة مع العالم من خلال الخليج و المحيط الهندي ومـع البحر الاحمر والبحر المتوسط على نحو غير مباشر(١)

وفود التجارة الدبلوماسية (وفود الجزية) بين هرمز والصين :أن الوجهة الأخيرة للرحلات الثلاث الأولى التي قادهـا تشينغ خه (١٤٠٥ – ١٤٠٧ ، ١٤٠٧ – ١٤٠٩ ، ١٤٠٩ – ١٤١١) كانت ساحل مليبار – Malabar. وفي ذلك الوقت ، علم بلاط المينج بالتأكيد عن الدول فيما وراء الهند ، لكنه في ١٨ ديسمبر ١٤١٢ صدرت الأوامر بالإبحـار إلى تلك الأقاليم البعيدة ومنها بطبيعة الحال هرمز مستخدما الرياح الشمالية الموسمية، وبحسب أن أسطوله سيتوقف في مـواني مختلفة ، فإنه وجب عليه الوصول إلى هرمز في أواخر ١٤١٤ وأوائل ١٤١٥ وفي كل الاحتمالات فإنه انطلق في مرحلـة العودة في فبراير أو مارس لأن الأسطول الرئيسى عاد الصين في ١٢ أغسطس .وطبقاً لـسجلات اسرة ميـنج Ming shi–lu ، فإن أول سفارة لهرمز وصلت إلى نانجينج Nanjing في الصين قبل عودة تشينغ خه من رحلته الرابعة. وهذه السفارة سلمت الجزية في ٢٨أغسطس ١٤١٤ ، وذلك عندما كانت سفن الأسطول الرابع لا تزال في طريقها إلى الهند. هذا وقد كان رئيس الوفد سيف الدين . (٢)

" في السنة العاشرة من عهد يونجل Yongie (١٤١٢) ، وبحسب أن العديد من الدول القريبة من المحيط الغربي قد أرسلت وفود عبر البحر لإحضار جزية قيمة أمام العرش الإمبراطورى ، وفي حين أن الأماكن الأكثر بعدً لم تكـن قـد خضعت بعد ، لذا فإن الإمبراطور يونجل أمر تشينغ خه بأن يأخذ خطابات إمبراطورية إلى كل الدول ، ويهب ملوكهـا حرير مطرز وحرير ملون وشاش وأيضاً منح زوجاتهم هدايا وكذلك موظفيهم الكبار. وعليه فإن ملك هرمـز أرسـل مبعوثهسيف الدينالذي قدم للامبراطور لوحة رقيقة ذهبية وخيول ومنتجات محلية وعندما وصل هذا المبعوث إلى العاصمة الإمبراطورية ، فإن وزارة الطقوس أوصت بضيافته ومكافأته بمبلغ مساوى لقيمة الخيول وعلي الرغم من ذلك فأن الأمير ابراهيم بن جروان أمير البحرين كان قد أرسل وفدا دبلوماسيا و تجاريا للأمبراطور الصين مع وفود بلدان المحيط الهنـدي عام ١٤١٢م .(٣)

ومن الواضح أن محررى الـ Ming shi اعتقدوا أن القائد تشينغ خه قد جعل ملك هرمز وكان حينـذاك الملـك قطب الدين فيروز شاه أن يرسل وفد عام ١٤١٤ – توافقاً مع مرسوم عام ١٤١٢. والواقع أن هذا لم يكن له معنى لأن الحملة الرابعة لم تترك الصين قبل نهاية عام ١٤١٣ وهناك حلين يمكن افتراضهما : الأول أن الملك أرسل موفد من جانبه كخطوه استباقية أوالحل الثاني وهوان ملك هرمز قد استقبل خطاب إمبراطورى من الصين عبر قنـوات أخـرى. في ٢٨ أغسطس ١٤١٤هناك سفارة قادها سيف الدين وصلت مع موفد من باهنج pahang ، مقدمة خيول ومنتجات محليـة كجزية ، وبم تشير الـ mingshilu إلى لوحة الذهب الرقيقة المشار إليها في حوليات المينج. (٤)

---

(1) ZHOU CHANGMING : THE IMPERIAL INSPECTION TOURS IN THE MING DYNASTY AND ZHENG HE'S VOYAGES TO THE WESTERN OCEAN (INDIAN OCEAN),2006,p.143-156

(٢)اليوم ١٤ الشهر ٨ السنة ١٢ ، الموافق ٢٨اغسطس ١٤١٤، السجل ٨٧٧، المجلد ١٣ ، ص١٧٧٦

اليوم ١٩ الشهر ١٠ السنة ١٣ ، الموافق ٢٠ نوفمبر ١٤١٥م ، السجل ٩٢١ ، المجلد ١٣، ص ١٨٨٢

Xia, Bi : 'Travel dates and countries visited during Zheng He's seven expeditions to the West', Yu Gong Ban Yue Kan 2, No. 8 ,1934,p. 16-21.

(٣) اليوم ١٥ شهر ١١ السنة ١٠ ، الموافق ١٨ ديسمبر ١٤١٢ ، السجل ٨٣٤ ، المجلد ١٢، ص ١٦٣٩

Kenneth R. Hall : Multi-Dimensional Networking: Fifteenth-Century Indian Ocean Maritime Diaspora inSoutheast Asian Perspective, Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 49, No. 4, MaritimeDiasporas in the Indian Ocean and East and Southeast Asia, 2006, p. 454-481.

(٤)اليوم ١٤ الشهر ٨ السنة ١٢ ، الموافق ٢٨اغسطس ١٤١٤، السجل ٨٧٧، المجلد ١٣ ، ص١٧٧٦

وفى ٢٠ نوفمبر ١٤١٥ تم تسليم أموال ، من ورق ومن حديد ونحاس نقداً لبضعة موفدين ، و لم يذكر اسم من تسلم الاموال كذلك فإننا لا نعلم كيف عاد هؤلاء المبعوثين إلى بلدالهم الأصلية. اما في ٢٦ فبراير سنة ١٤٢١ سلم مبعـــوثين من هرمز وبلدان أخرى خيول ومنتجات محلية كجزية. هذا ونفس المدخل أيضاً يقول أن وزارة الطقوس طلبت تنظـــيم وليمة لهولاء الموفدين. ومن المثير جداً أن هرمز ذكرت كرقم ١ فى قائمة بـــ ١٦ دوله أو مكان تابع لهرمز ، لكن أسمـــاء السفراء لم تذكر. ومن غير المعروف كيف ومتى وصل هؤلاء الموفدين ، لكن ربما هم جاءوا مبكراً جداً ، فى أعقاب تشنغ خه وبحارته ، والذين عادوا من رحلتهم الخامسة فى صيف ١٤١٩. وحيث عددوا بضعة هدايا قائلين أن هرمـــز والـــتى جدولت فى المرتبة الأولى لــ ١٦ دولة قدمت أسود ، فهود ذات بقع ذهبية وخيول غربية(عربية) كبيرة. (١)

وفى ١٤ سبتمبر ١٤٣٣ نجد سجلات اسرة مينج تسجل وصول المبعوث malazu(معاذ أو مولاذ)، والذى أرسله السلطان سيف الدين Saif Ad-din) وقد جاء malazu مع السفراء من ٩ بلدان مقدمين زراف ،و أفيال وخيول ومنتجات أخرى هذا وقد صنف كل مبعوث وحددوا كـــ "سفراء" مع استثنائيين فقط: الأخ الأصغر للملك سيف الدين (والذى عومل طبقاً لذلك) و Malazu – والذى سمى بـــ "الرجل المروحة" (٢)وقد ذكر كمروحة فى سجلات اسرة مينج بتاريخ ١٤ سبتمبر.وفى فبراير ١٤٤٢ جاء أيضاً وفد هرمز ، وهذا المبعوث كان اسمه الحج على Haji Ali ،أرسلة السلطان توان شاه ملك هرمز وحيث ذكر فى سجلات مينج باسم – Hazhi Ali . وكالعادة هو قـــدم الجزيـــة إلى البلاط الصينى . " أن وزير الطقوس Huying وآخرون أبلغوا العرش ، بأن " ملك هرمز السلطان توران شاه يعلن أنه يقيم فى حدود بعيدة جداً ، وخلال عهود سابقة كان يتم تبادل الوفود غالباً, ولذلك كان هناك علو وانخفاض فى حالـــة الاتصال وحالياً فإن الموفدين لم يتم إرسالهم لمدة طويلة. لكن عندما عاد الحج على والذى هو من مدينة Sabuji مـــن الصين" فإن الملك علم أن إمبراطور المنيج العظيم يحكم كل الكائنات الحية تحت السماء. ولذلك فإنه كان مسروراً جـــداً لهذاوهو الآن يرسل الحج على عائداً إلى البلاط الصينى مقدماً الخيول كجزية وعلاوة على ذلك فأنه يأمل من الـــبلاط أن يعامله بنوعاً من الرحمة ويرسل الموفدين كما فى العصور القديمة لربط عري الصداقة، أن أعمال البرابرة لا يمكن الركـــون إليها وبناء على ذلك فإنني (الكلام علي لسان وزير المناسك) أتوسل "لجلالتك" بمنح حرير ملون لهذا المبعـــوث لكـــى تكافئه على تقديم الخيول كجزية مع رغبته فى تعلم ثقافتنا وربما تصدر الأوامر الإمبراطورية أيضاً لتوصيته بأنه يجب عليه احترام القانون طبقاً لوضعه وحصته. وسيكون مسروراً بوضعه وموقعه فى الأراضى الحدودية وهذا كان مصدق عليه. (٣)

هرمز	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه

(١)اليوم ٢٥ الشهر ١ السنة ١٩، الموافق ٢٦ فبراير ١٤٢١م ، السجل ١١٠٦ ، المجلد ١٤ ، ص ٢٢٥٥

وحول انواع النقود الورقية و المعدنية في عهد اسرة مينج و اسباب استخدام كل واحده يرجي الرجوع إلي

John E. Sandrock : ANCIENT CHINESE CASH NOTES – THE WORLD'S FIRST PAPER MONEY , PART II , Ming Dynasty,2002,p.1-17

(٢)اليوم ١ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ١٤ سبتمبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠١ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٤١

وكذلك اليوم ٢٠ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ٣ اكتوبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠٢ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٥٠-٢٣٥١

(٣)اليوم ٢٩ الشهر ١٢ السنة ٦ ، الموافق ٩ فبراير ١٤٤٢م ، السجل ١٨٥٣ ، المجلد ٢٦ ، ص ١٧٥٥- ١٧٥٦

الوثيقه الاولى	١٣رمضان ٨١٥هــ	١٨ديسمبر١٤١٢	سنه١٠شهر١١يوم١٥	مجلد ١سجل ٨٣٤	١٦٣٩
الوثيقه الثانيه	١٠جمادىالاخر٨١٧ه	٢٨أغسطس١٤١٤	سنه١٢شهر٨ يوم١٤	مجلد١٣ سجل ٨٧٧	١٧٧٦
الوثيقه الثالثه	١٦ رمضان ٨١٨ هــ	٢٠نوفمبر١٤١٥	سنه١٣ شهر١٠يوم١٩	مجلد١٣ سجل٩١٢	١٨٨٢
الوثيقه الرابعه	٢٧رمضان ٨١٩ هــ	١٩نوفمبر١٤١٦	سنه١٤ شهر١١ يوم١	مجلد١٣ سجل٩٤٩	١٩٦٣
الوثيقه الخامسه	٤ شوال ٨١٩ هــ	٢٦نوفمبر١٤١٤	سنه٢٤ شهر١١ يوم٨	مجلد١٣ سجل٩٥٠	١٩٦٤-١٩٦٣
الوثيقه السادسه	٧ذى القعده ٨١٩ هــ	٢٨ديسمبر١٤١٦	سنه١٤ شهر١٢ يوم١٠	مجلد١٣ سجل ٩٥٦	١٩٧١-١٩٦٩
الوثيقه السابعه	٢جمادىالاخر٨٢٣هــ	١٤يونيو١٤٢٠	سنه١٨ شهر٥ يوم ٤	مجلد١٤ سجل١٠٨١	٢٢١١
الوثيقه الثامنه	٢١ صفر ٨٢٤ هــ	٢٦فبراير١٤٢١	سنه١٩ شهر١ يوم ٢٥	مجلد١٤ سجل١١٠٦	٢٢٥٥
الوثيقه التاسعه	٢٦ صفر٨٢٤ هــ	٣مارس١٤٢١	سنه١٩ شهر١ يوم٣	مجلد١٤ سجل١١٠٧	٢٢٥٦
الوثيقه العاشره	١٨ذىالقعدة٨٢٦هــ	٢٤أكتوبر١٤٢٣	سنه٢١ شهر٩ يوم٢٠	مجلد١٤ سجل١١٥٤	٢٤٠٣
الوثيقةالحاديةعشر	٦ شوال٨٣٣هــ	٢٩ يونيو ١٤٣٠	سنه٥ شهر٦٢٠ يوم	مجلد١٩ سجل١٥٣٤	١٥٧٧-١٥٧٦
الوثيقةالثانيةعشر	٢٧محرم٨٣٧هــ	١٤سبتمبر١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم١	مجلد٢١ سجل١٦٠١	٢٣٤١
الوثيقةالثالثةعشر	١٦صفر ٨٣٧هــ	٣أكتوبر١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم٢٠	مجلد ٢١سجل١٦٠٢	٢٣٥١-٢٣٥٠
الوثيقةالرابعةعشر	٢٧محرم ٨٤٠هــ	١١أغسطس ١٤٣٦	سنه١ شهر٦ يوم٢٩	مجلد٢٣ سجل١٦٩٤	٣٨٥
الوثيقةالخامسةعشر	٢٧محرم٨٤٥هــ	٩ فبراير ١٤٤٢	سنه٦ شهر١٢ يوم٢٩	مجلد٢٦ سجل١٨٥٣	١٧٥٦-١٧٥٥

بلاد البحرين (الأحساء ، البحرين ، القطيف) : أطلق الجغرافيين المسلمين علي الساحل الغربي للخليج أسم بـــلاد البحرين التي تقع شرق الجزيرة العربية، حيث يمتد من البصرة شمالاً حتى أرض عمان جنوباً ومن البحر الفارسى (الخليج العربى) شرقاً حتى الدهناء ومنطقة الصمان غرباً(١). كما ذكر ياقوت أن بلاد البحرين "اسم جامع لبلاد واســـعه علـــى ساحل البحر الواقع بين جزيرة العرب وبلاد فارس وتمتد من البصرة شمالاً إلى عمان جنوباً ومن صحراء الدهناء غربـــاً إلى البحر شرقاً" وهى بذلك تشمل الأحساء والقطيف وهجر وقطر وأوال ومجموعة الجزر المحطية بها(٢). وذكرها صـــاحب الروض المعطار، بأنها "بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر وجوفها متصل باليمامة وشمالها متصل بالبصرة وجنوبها متصل ببلاد عمان وقاعدتها هجر وأهلها عبد القيس، ومن بلاد البحرين الأحساء والقطيف وبيشه والزارة والخط الذى تنسب إليـــه الرماح الخطية"(٣). أما جزيرة البحرين الحالية والتى تسمى اليوم مملكة البحرين فقد كانت تسمى أوال على اسم صـــنم كانت تعبده قبيلة بكر بن وائل(٤). هذا وقد أطلق على بلاد البحرين اسم الخط أيضا(٥) والجدير بالـــذكر أن البحـــر الفارسى أو الخليج الفارسى قد سمى بذلك الأسم "لوقوعه فى منطقة كانت تحت يد الفرس قبل الإسلام ثم انحسر النفـــوذ

---

(١) الأصفهانى: بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى، دار اليمامة، الرياض ١٩٦٨م، ص ٣٢٥؛ الهمدانى: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، الرياض ١٩٧٧م، ص ٥٧؛ المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعـــة الرابعـــة، القاهرة ١٩٦٤م، جـــ ١ ص ١١٠؛ قدامه بن جعفر: نبذ من كتاب الخراج، ليدن ١٨٨٩م، ص ٢٤٨؛ البكرى: جزيرة العرب من كتـــاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الله الغنيم، الكويت ١٩٧٧م، ص ٢٣؛ناصر خسرو: سفر نامه، تحقيق يحى الخشاب، دار الكتاب، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٠، ص ١٤٤.

والصمان هى أرض فيها غلظة وارتفاع وتقع على طريق المار من البصرة إلى مكة وهى متاخمة للدهناء من الشـــمال إلى الجنـــوب وتعتبر منطقة الصمان الحدود الغربية لإقليم بلاد البحرين فهى بذلك لا تعتبر داخلة فى حدود بلاد البحرين، راجع البكرى: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٠م، جـــ٢ ص ٨٤١-٨٤٢.

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م، جـــ ١ ص ١٣٨، ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٤، ص ٨٢.

حيث قيل أن الخط قرية على ساحل البحرين فيها تصنع الرماح ذات الجودة العالية فنسبت إليها، فقيل رماح خطية بفـــتح الخـــاء، وتستورد خامات تلك الرماح من الهند ثم تصنع بالخط ثم تصدر إلى مناطق مختلفة، راجع البكرى: معجم ما استعجم، جـــ١ ص ٥٠٣.

(٤) النبهانى: التحفه النبهانية فى إمارات الجزيرة العربية، مطبعة الآداب، بغداد، ١٣٣٢هـــ، جـــ ١ ص ٢٢.

(٥) أطلق بعض المؤرخين على إقليم بلاد البحرين اسم الخط وهناك من أطلق اسم الخط على مدينة ببلاد البحرين، راجع، ابن خياط: تـــاريخ خليفه بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى، دار القلم دمشق ١٩٧٧، ص ٢٧٨؛ البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضـــوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٩٢؛ المسعودى: التنبيه والاشراف دار صعب، بيروت، ص ٣٤٠؛ البغدادى: عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار منشورات البصرة، بغداد ١٩٦٥، ص ١٩٩.

الفارسى عن المنطقة بعد انتشار الإسلام والقضاء على دولة الفرس، فلم يبقي لفارس فى الخليج سوى الاسم الذى ظـل لقرون عديدة و لم يتبدل باسم الخليج العربى، إلا بعد مجئ المد القومى فى الخمسينات من القرن العشـرين"(١).أوضـح البكرى أن بلاد البحرين بلاد خصبة كثيرة الأنهار والعيون عذبة الماء، يستخرج أهلها الماء على مسافة قليلة جداً، وهـى كثيرة الفواكة والتمور، منهالة الكثبان جارية الرمال، حتى أن أهلها يسكرونه "أى يستروه أو يترحوه" بسعف النخيـل، وربما غلب على منازلهم(٢) . ومن أهم مدن الخليج الفارسي (بلاد البحرين) ، الأحساء: بالفتح والمد وجمعهـا حسـى بكسر الخاء وسكون السين. معنى كلمة الأحساء الرسال " أى الرمال" التى تعلو الجبل وتغطيه(٣) وهو الماء الذى ينشـق من وسط الرمال، فتحفر العرب عنه الرمال فستخرجه وهى أكبر مدن إقليم بلاد البحرين.وكان أول من عمرها أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد القرمطى وذلك سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م(٤)فسماها المؤمنية وأتخذها عاصمة له وللمدينة سوق كـبير يعرف باسم الجرعاء(٥) وهو الموضع الذى كان القرامطة يتشاورون فيه عندما يلم بهم أمر أو يرغبون فى قتال وقد اهـتم القرامطة بتعميرها، فلما قضى على دولتهم إتخذها العيونيين فى بداية دولتهم مقراً لهم ثم انتقلوا بعد ذلـك إلى القطيـف وأحيانا إلى أوال(٦) و الأحساء تقابل جزيرة أوال(٧). وكان يحكم الأحساء في فترة قدوم الأسطول الصـيني الخـاص بأسرة مينج تحت زعامة القائد الخصي تشينغ خه ، أمراء بني جروان و بالأخص الأمير إبراهيم بن ناصر بن جروان المالكي العامري و قد ذكر ابن حجر العسقلانى فى ترجمته لإبراهيم بن ناصر بن جروان، ونقل عنه عدد من المؤرخيين مثل عبد القادر الأحسائى، "أن الأحساء على رأس سنة سبعمائة من الهجرة، قد ملكها سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه(٨)، رميثه(٨)، ثم انتزع الملك منه جروان أحد بن مالك بن عامر سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م(٩)، ثم ابنه ناصر، ثم حفيده إبراهيم

(١) مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، مؤسسة هانياء، بيروت ١٩٩٧م، جـ ٨، ص ١٠٦؛ محمد أمين أبو المكارم: صفحات مـن تاريخ البحرين.

(٢) البكرى: كتاب الجبال والمياه والأمكنة، طبعة النجف، ب.ت، ص ٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، جـ ١ ص ٦٤٠؛ الزبيدى: تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر ١٨٨٨م، جـ ١٠، ص ٨٨-٨٩، يقول ابن منظور الحسى جمع الأحساء "وقيل أنه لا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمال، فإذا أمطرت نشفة الرمل فإذا انتهى على الحجـارة أمسكته" ويقول الزبيدى مثل ذلك أيضا "الحسى الرمل المتراكم أسفله جبل صلد فإذا مطر الرمل نشف ماء المطر، فإذا انتهى إلى الجبل الـذى تحته أمسك الماء ومنع الرمل حر الشمس أن يبخر الماء، فإذا اشتد الحر نبش عنه فنبع بارداً عذباً والجمع أحساء وحساء.

(٤) هو أبى طاهر سليمان ابن الحسن تولى حكم البحرين وعمره ثلاث عشرة سنة تقريباً وكان والده يؤثره على أخوته ويقدمـه علـيهم وفى عهد أبى طاهر تم توسيع الدولة القرمطية وساد الاستقرار. وقد عرف أبو طاهر بشجاعته وإقدامه وقد تولى حكم القرامطة بأمر مـن الخليفـة الفاطمى عبيد الله المهدى ومجلس العقدانية سنة ٣٠٥هـ بعد أن تم عزل أخيه أبى القاسم سعيد بن الحسن، راجع ابن خلدون: كتـاب العـبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب، بيروت ١٩٨١م، جـ ٧ ص ١٨٩؛ المسعودى: التنبيه والإشراف، دار صعب، بـيروت، ص ٣٣٨؛ ابـن الأثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتاب بيروت ١٩٨٠م، جـ ٦ ص ١٤٧؛ الذهبى: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنـؤوط، مؤسسـة الرسالة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٢م، جـ ١٥ ص ٣٢٣؛ مسكويه: تجارب الأمم، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القاهرة ١٩١٣م، جـ ٢ ص ٥٥-٥٦.

(٥) الجرعاء هى محلة موجودة شمال الأحساء بها منازل أل عبد الله العيونى حاكم الأحساء، ابن الجوزى: مرأة الزمان فى تاريخ الأعيان، جـ ١٣ ص ٣٦.

(٦) ناصر خسرو: سفر نامه، ص ١٤٢؛ عبد الحق البغدادى: مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، جـ ١ ص ٣٦؛ الهمدانى: صـفة جزيرة العرب، ص ٢٨١؛ ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م، ص ٣٤؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ ١ ص ١٣٨؛ البغدادى: عنوان المجد، ص ١٩٩-٢٠٠؛ أنظر أيضا حمد الجاسر: المعجم الجغرافى، جـ ١ ص ١٢٦-٣٨٤.

(٧) الحميرى: الروض المعطار، ص ١٤.

(٨) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ ١ ص ٧٣-٧٥.

(٩) الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١١٩؛ محى محمد الخليفة: من سواد الكوفة إلى البحرين، ص ٣٣٠؛ بنو مالك أحد بطـون بنـو عقيل، راجع أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى البحرين، ص ١٦٢.

إبراهيم بن ناصر بن جروان صاحب الترجمة الذى كان موجوداً فى الحكم سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م"(١). لكن المؤرخ المقريزي ذكر نص مقارب فقال في ترجمة { ابراهيم بن ناصر بن جروان المالكي ، من بني مالك القرشي ، الشيعي ، ملك الأحساء . ورث الملك عن آبائه ، و أول دولتهم في سنة خمسين و سبعمئة أخذها جده جروان من سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثة القرمطي،وجميع أهل الأحساء و القطيف و البحرين و تاروت رفضة، وقام بعد جروان بالأحساء ابنه ناصر، ثم قام ابراهيم بعد أبية ناصر قبيل سنة عشرين و ثماني مئة}(٢) ، وقد أخطأ المقريزي في نسب بني جروان حيث ألحقهم بقريش وهذا خطأ لأنهم من بني عامر بن صعصعة.ولكنه كان علي صواب عندما أختلف مع ابن حجر في تاريخ ٧٥٠هـ وهو الادق والاكثر منطقية عن تاريخ ٧٠٥هـ الذي ذكره ابن حجر ولعل المحقق لكتاب الدرر الكامنة قد اختلط علية الامر ، وهناك سؤال من هو سعيد بن مغامس؟ هو الشريف سعيد بن مغامس بن سليمان بن رميثه بن منجد بن ابى نمى المكى، والذى يرجع نسبه إلى الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه، وجده الأكبر أبو نمى هو أحد أمراء مكة المكرمة حفظها الله(٣)، ويبدوا أن الشريف سعيد بن مغامس استطاع السيطرة على عدد من المناطق التى تقع فى باديه الحجاز ونجد، ثم وجد الفرصة سانحة له للسيطرة على الأحساء نتيجة تفرق الأمراء العصفوريين والذى نعت حالهم القلقشندى بقوله "إلا أن الكلمة فيهم أصبحت شتى والجماعة متفرقة"(٤)، ومن هنا استطاع سعيد بن مغامس أن يدخل بقواته الأحساء سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م تقريباً أو بعدها بقليل حيث فرض سلطانه على الأحساء والبادية التابعة لها(٥).

أورد كلا من ابن حجر العسقلانى والمقريزي فى روايتهما أن ثلاثة حكام من بنى جروان قد تولوا حكم تلك الدولة كان أولهم الأمير جروان المالكى العامرى(٦)، والذى بدأ حكمه من عام ٧٥٠هـ ، وامتد حكمه فترة طويلة جداً من الزمن، ثم خلفه فى الحكم ابنه ناصر بن جروان الذى حكم مدة طويلة هو الآخر(٧)، ثم تبعه فى الحكم ابنه إبراهيم بن ناصر بن جروان، صاحب الترجمة التى أوردها ابن حجر العسقلانى وقد ذكر العسقلانى أنه مازال يحكم بلاد البحرين حتى عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م(٨)، وقد استمر إبراهيم بن ناصر فى حكم الأحساء وبلاد البحرين ونجد، بالإشتراك مع بنى عصفور، إلى أن تم قتله على يد زعيم قبيلة بنى جبر وسلطانها، السلطان سيف بن زامل الجبرى والذى أسس دولة الجبور فى بلاد البحرين وقد أخذ سيف ملك الأحساء من آخر ولاه الجراونه فى شهر رمضان سنة ٨٢١هـ/١٤١٨م(٩).

---

(١) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ ١ ص ٧٣-٧٥.

(٢) المقريزي : درر العقود المفيدة ، ج١ ص ٨٥.

(٣) القلقشندى: مأثر الاناقة فى معالم الخلافة، جـ ٢ ص ١٢٥؛ وقد ذكر العمرى فى التعريف بأن إمارة مكة بيد الأشراف من بنى الحسن واستقرت فى أولاد أبى نمى وقد أورثها ابى نمى لابنه رميثه، العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٩.

(٤) القلقشندى: قلائد الجمان، ص ١٢٢؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء، ص ١٨٥.

(٥) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ ١ ص ٧٥؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١١٩.

(٦) ابن حجر العسقلانى: الدر الكامنة، جـ ١ ص ٧٥؛ المقريزي : درر العقود المفيدة ، ج١ص ٨٥ ،الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١١٩.

(٧) ابن حجر العسقلانى: المصدر نفسه، جـ ١ ص ٧٥؛ عبد اللطيف ناصر الحميدان: الإمارة العصفورية، ص ٦٣-٦٤؛ مى محمد أل خليفة: من سواد الكوفة إلى البحرين ص ٣٣٠ والجدير بالذكر أن مى محمد أل خليفة قد أوردت فى ملاحق كتابها نص ترجمة لمقال باللغة الإنجليزية نشر فى مجلة دراسات الشرق الأوسط، العدد ١٢ بتاريخ ١٩٨٧م للباحث Juan R.I. Cole بعنوان الأمبراطوريات التجارية المتصارعة والشيعة الإمامية فى شرق الجزيرة العربية من سنة ١٣٠٠م إلى سنة ١٨٠٠م وقد تناول ذلك البحث دولة أل جروان والمذهب الدينى التى اتخذته تلك الدولة.

(٨) الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١١٩؛ عبد الرحمن أل ملا: تاريخ هجر، جـ ٢ ص ١٨٦.

(٩) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء، القسم الأول، ص ٢٠٥، ٢٩٥؛ الغزاوى: تاريخ العراق بين الأحتلالين، جـ ٥ ص ١٧٧.

نسب الجبور (حكام الأحساء وعمان وظفار و البحرين و نجد): يرجع نسب بنى جبر أو الجبور إلى السلطان زامل بن حسين بن ناصر بن جبر، يرجع نسب جبر إلى بنى عقيل بن عامر بن صعصعه(١)، وسبق وأن ذكرنا أن عامر بن صعصعه صعصعه ينسب إلى قيس عيلان من هوازن العدنانية(٢).وزامل هو أول سلطان من سلاطين الجبور ذكرته المصادر لزعامته لزعامته لبنى جبر، ويرجع أصلهم إلى إقليم نجد (٣).

ثانياً: بداية الدولة: عندما أصاب دولة بنى جروان الضعف والوهن استطاع بنو جبر فرض سيطرتهم على بوادى إقليم بلاد البحرين خاصة الأحساء وباديته فاستطاعوا السيطرة على الأحساء قبل عام ٨٢٠ هـ/١٤١٧م. وقد ذكر السخاوى والجزيرى والأحسائى، أن الأمير أجود بن زامل قد ولد فى بادية الأحساء فى رمضان عام ٨٢١ هـ/١٤١٨م(٤). يدل ذلك على سيطرة الجبور الفعلية على الأحساء وباديته قبل ذلك التاريخ، ويؤكد ذلك قول ابن حجر العسقلانى عندما ترجم لولاة بنى جروان إبراهيم بن ناصر بن جراون، إذ قال إن جده جروان انتزع الملك من سعيد بن مغامس وحكم بلاد البحرين كلها ثم عندما ذكر ابن حجر، حفيده إبراهيم آخر ولاة بنى جروان قال عنه صاحب القطيف فقط(٥). وذلك يعنى خروج الأحساء من سيطرة بنى جروان فى عهد إبراهيم بن ناصر بن جروان الذى ذكر ابن حجر العسقلانى انه مازال يحكم عام ٨٢٠ هـ/١٤١٧م(٦). وهذا يعنى دخول الأحساء قبل عام ٨٢٠ هـ/١٤١٧م، فى قبضه الجبور حيث ولد السلطان أجود بن زامل فى بواديها عام ٨٢١ هـ/١٤١٨م، فى عهد وحكم أبيه السلطان زامل بن حسين على الأحساء، بالرغم من استمرار حكم بن جروان على القطيف فى ذلك الوقت(٧).عندما تزايد نفوذ بنى جبر فى بلاد البحرين ودخل نفوذهم بادية القطيف والمناطق المجاورة لها سعى إبراهيم بن ناصر بن جروان أخر ولاة بنى جروان فى القبض على السلطان سيف بن زامل الجبرى(٨)، الذى كلف من قبل أبيه بالسيطرة على القطيف، إلا أن السلطان سيف استطاع مباغتة إبراهيم إبراهيم الجروانى وقتله والفتك بمن معه، وبذلك دخل سيف بن زامل القطيف دخول الفاتحين ودخلها تحت نفوذ بنى جبر وذلك فى عهد السلطان زامل بن حسين بن ناصر الجبرى والد القائد سيف بن زامل(٩). رجح المؤرخون سيطرة الجبور على القطيف فى عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م، أى فى نفس العام الذى انتهى فيه الصراع بين السلطان سيف الدين مهار سلطان هرمز واخيه السلطان فخر الدين تورانشاه، حيث ذكر جان أوبين نقلاً عن المؤرخ الفارسى جعفرى والذى عاصر ذلك

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠؛ وقال الشاعر عامر السمين يمدح غضيب بن زامل سلطان الجبور ويرثى والده زاملاً

صفوة عقيل هو أسطاها وأفرسها   وخيارها همه فى كسب الأنفال

اسطاها يعنى أكثرها سلطة ونفوذ وتجبر، والشاعر عامر السمين من شعراء النبط عاش فى القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى وكان من الشعراء المؤيدين لدولة الجبور، راجع عبد الله الحاتم: خيار ما يلتقط من الشعر المنبط، الطبعة الثانية، دمشق ١٣٨٧هـ، جـ ١ ص ٤٤-٤٦؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء، ق ١/ص ٢٢٥.

(٢) القلقشندى: قلائد الجمان، ص ١٢٠-١٢١؛ المؤلف نفسه: نهاية الأرب، ص ٣٣٥؛ المؤلف نفسه: صبح الأعشى، حـ ٧ ص ٣٩٣؛ ابن حزم الأندلسى: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٠.

(٣) عبد القادر الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦.

(٤) الجزيرى: المصدر نفسه، ص ٣١٦؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١٢٠.

(٥) ابن حجر العسقلانى: الدرر الكامنة، جـ ١ ص ٧٣.

(٦) ابن حجر العسقلانى: المصدر نفسه، جـ ١ ص ٧٣-٧٥؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١١٩؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء، جـ ١ ص ١٩٢، ٢٣٠، ٢٣٣.

(٧) الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠؛ عبد اللطيف ناصر الحميدان: التاريخ السياسى لإمارة الجبور، ص ٣٩-٤١.

(٨) السخاوى: المصدر نفسه، جـ١ ص ١٩٠؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١٢٠.

(٩) السخاوى: المصدر نفسه، جـ١ ص ١٩٠؛ عبد الرحمن بن عثمان أل ملا: تاريخ هجر، جـ ٢ ص ١٨٧؛ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى: أنساب الأسر الحاكمة فى الأحساء، جـ ١ ص ٢٠٥؛ إبراهيم الحفظى: تاريخ عسير، ص ٥١-٥٢.

الصراع أن البدو قاموا بالاستيلاء على القطيف ونهبها عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م(١) ،وبذلك تكون الأحساء والقطيف قد دخلا فى دولة بنى جبر ذلك بالإضافة إلى سيطرة بنى جبر على بعض المناطق فى إقليم نجد.

سيطرة الجبور على بلاد عمان الداخلية:كانت بلاد عمان من الناحية الجغرافية والسياسية من أكثر أجزاء شبه الجزيرة العربية من ناحية العزلة اللهم إلا الجزء الساحلى منها، وقد تولى الحكم فى عمان الساحلية بعد سقوط الخلافة العباسية عدداً من الحكومات وممالك الخليج الفارسى، فقد حكمت أولاً من قبل الأتابكية السلغرية فى فارس(٢) ثم الملوك الطيبين(٣) ثم دخلت فى دائرة سيطرة ملوك هرمز(٤) حتى دخل البرتغاليون الخليج الفارسى(٥). أما عمان الداخلية فقد فقد حكمت من قبل حكام محليين مثل الأباضيين والنبهانيين، وقد خضعت عمان لسيطرة النبهانيين أكثر من قرنين من الزمان إلى أن أجلاهم عن الحكم الأئمة اليعاربة(٦).ويقال إن عمان الساحلية أو عمان البحرية أو المدن العمانية الساحلية الساحلية كانت تخضع لسلطنة ملوك هرمز، أما عمان الداخلية أو مدن عمان الداخلية فكانت منفصلة عن عمان الساحلية وتخضع لحكام محليين(٧).

ويصف بروفسور س. بكنجهام فى بحثه أن المصادر البرتغالية المبكرة لا تذكر سوى القليل عن عمان الداخلية، ، والصراع بين بنى جبر وهرمز للسيطرة على عمان الساحلية(٨). زاد المؤرخ (باروس) فى وصفه لبلاد عمان، أنها تتكون من عمان الداخل والساحل حيث قال "تمتد سلسة جبلية على طول الساحل العمانى وتبدو وكأنها تريد منع أهل الساحل (ساحل البحر) من الاتصال بأهل الداخل، إلا عبر بعض الفجاج التى تخترق بعض الأماكن.. فتظهر قوافل الإبل المحملة بالحبوب، ورعال الخيل فى أرباض البنادر، خارجه من أحد الأودية العميقة الخصبة التى سماها المؤلفون البرتغاليون آنذاك بلاد بنى جبر، فوراء عمان الساحلية الخاضعة لهرمز، تقع عمان أخرى، هى عمان قبائل البدو، الرعاة المتنقلين والإمارات الاباضية المهيمنة على الداخل(٩). أما أفونسود دلبوكيرك فقد ذكر فى مذكراته أن عمان الداخل كانت خاضعة للملك الجبور فعندما وصف مدينة صحار كانت تابعة لسيطرة الجبور فقال "والمناطق الداخلية لصحار تحت سيطرة الجبور، وهم فى حالة سلم مع ملك هرمز وعندما ينشب أى نزاع بينهم يقبل الجبور لمهاجمه صحار، فيحتمى أهل صحار بالحصن. وسكان المناطق الداخلية بدو، وغالب الفرسان من الرماة بالسهام لكن بعضهم يحمل رماحاً وقضباناً تركيه ويحملون فوق خيول عربية من النوع الضخم والسريعة ذات الشكل الجميل(١٠). عندما غزا دلبوكيرك خورفكان قال فى خورفكان" إذا

---

(١)Aubin, Op. Cit, P. 124, 209.

(٢) حمد الله مستوفى قزوينى: نزهة القلوب، ص ١٣٥؛ منجم باشي: جامع الدول، جـ ٢ ص ٥٨١؛ وصاف الحضرة: تاريخ وصاف، ص ١٠٥؛ خواندمير: حبيب السير، ص ١٣٠.

(٣) وصاف الحضرة: المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٤؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـ ٢ ص ١٣٢-١٣٤.

(٤) معين الدين نطنزى: منتخب التواريخ، ص ١٢-١٨؛ منجم باشي: جامع الدول جـ ٣، ص ٢٢-٢٣؛ والشبنكارى: مجمع الأنساب، ص ١٣٠-١٣٨؛ ابن بطوطة: تحفه النظار، ص ٢٨٣؛ عباس أقبال: مطالعاتى درباب بحرين، ص ٤٢.

(٥) أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك، مجلد الأول، جـ ٢/١، ص ١٦٣، ١٨٣، ١٩٣، ٢٠٣، المجلد الثانى جـ ٤/٣ ص ٤٣٦.

(٦) أرنولدت ويلسون: تاريخ الخليج، ترجمة محمد أمين عبد الله، دار الحكمة، لندن ١٩٩م، ص ٤٣، ٤٩-٥٠؛ ب مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، ص ١٥٨-١٥٩.

(٧) إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـ ٢، ص ٦٥.

(٨) س. بكنجهام: بعض الملاحظات عن البرتغاليين فى عمان، حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة الثقافة والتراث، سلطنة عمان، ١٩٨٦م المجلد السادس، ص ٢١٤.

(٩).Joao De Barros, Da Asia, Lisboa, Reprint, 1979, Vol. 4 P. 243 وقد نقل معلومات المؤرخ البرتغالى باروس كل من تكسيرا وكاسيكل وجان أوبين راجع Teixeira, Op. Cit, P. 189, Note 2; Werner Caskel, "Ein Unbekannt" dynasticin Arabien, Orients, Leiden 1944, PP 66-67; Aubin, Op. Cit, PP 124, 134-138.

(١٠) أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك، المجلد الأول، ص ١٩٢.

ما تم عبور الجبل الذى يشرف على المدينة وجدت كل المناطق الداخلية تحت سيادة الجبور أو بنى جبر(١)، وعند وصفه لها قال" وهذه المناطق الداخلية يحكمها حاكم King يقال له ابن جبر شيخ الجبور Ben Jabar لديه كثير من الفرسان" ويضيف باروس بأن شيخ الجبور يحكم كل المساحة تقريباً التى تمتد من الداخل من البحرين إلى ظفار وهى تزيد على ٥٠٠ فرسخ (٢٤٠٠ كيلو متر)"(٢).

ويؤكد أفونسو دلبوكيرك مزاعمه بأن عمان الداخل تتبع لبنى جبر وذلك عند احتلاله لمدينة مسقط حيث يقول "مسقط جزء من مملكة هرمز والمناطق الداخلية تابعة لابن جبر شيخ الجبور، ولابن جبر هذا أخوان، واقتسم الثلاثة المناطق الممتدة حتى عدن، والممتدة شمالاً حتى ساحل البحر الفارسي، والممتدة للداخل قرب مكة ويسمى المسلمون تلك المناطق الداخلية جزيرة العرب، ويحكمها جميعاً ملك هو ابن جبر شيخ الجبور، وله ثلاث أبناء ترك لهم تلك البلاد ليقتسموها عند مماته، يطلق على الأكبر منهم دائما اسم ابن جبر (يقصد سلطان الجبور) على اسم أبيه، ويقر له أخواه بالملك والتبعية ولابن جبر السيادة على بلاد فرتك(٣) وظفار وقلهات ومسقط وتمتد حدوده لتصل إلى بلاد شيخ عدن، أما الأخوان الأخران فاستقرا على ساحل بحر فارس وأخذ أحدهم من ملك هرمز جزيرة البحرين، كما أخذ منه أيضا القطيف(٤).

وعلى النقيض نجد المصادر العربية لا توضح العلاقة التى تربط الجبور بالأجزاء الداخلية فى عمان بل اكتفوا بقول عام، أن الجبور كانوا يسيطرون على عمان فقط دون ذكر المزيد من التوضيحات، فنجد السخاوى يذكر فى الضوء اللامع عن الملك أجود "بل اتسعت مملكته بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكه هرمز"(٥).

و لم يكن الجزيرى أحسن حالاً من السخاوى، بل يكاد يكون كلامهما يأتى بنفس الصيغة فيقول فى كتابه درر الفوائد المنظمة عن السلطان أجود "واتسعت له المملكة بحيث ملك البحرين وعمان ثم قام حتى انتزع مملكة هرمز من ابن أخ لصرغل (سلغر شاه الأول ٨٨٠-٩١١هـ/١٤٧٥-١٥٠٥م) واستقر فيها بعد موت أبيه وصار رئيس أهل نجد"(٦).

وربما يكون أشمل نص موجود فى المصادر العربية عن علاقة الجبور بعمان و مملكة هرمز لمعاصرته للأحداث من ناحية، ولتفسيره وتوضيحه شكل تلك العلاقة وذلك النص لأحمد بن ماجد البحار الشهير فى كتابه "الفوائد فى أصول البحر والقواعد" عندما تحدث عن جزيرة البحرين فقال "وهى فى تاريخ الكتاب (يقصد البحرين فى وقت كتابته لكتابه الفوائد) لأجود بن زامل بن حصين العامري أعطاه لها هى والقطيف السلطان سرغل بن توارنشاه على أن يقوم بنصره على اخوته، ويملكه جزيرة جرون هرمز المتقدم ذكرها وكتب بها عليها حجج باستنثاء بعض بساتينها ففعل له ذلك وقام بنصره وملكه جرون (هرمز الجديد) وأخذ البحرين والقطيف فى عام ثمانين وثمانمائة، وقد أخذ ولده سيف بن زامل عمان من شهاب بن نبهان بالسيف على سليمان بن سليمان بن نبهان(٧) فى عام ثلاث وتسعين وثمانمائة، وولى عليها إمام من الأباضية يدفع له

---

(١) أفونسو دلبوكيرك: المصدر نفسه، ص ٢٠٣.

(٢) أفونسو دلبوكيرك: المصدر نفسه، ص ١٦٣؛ س. بكنجهام: بعض الملاحظات عن البرتغاليين فى عمان، ص ٢١٥-٢١٦؛
De Barros, Op. Cit, P 240; Aubin, Op. Cit, P. 126-127; Caskel, Op. Cit, P. 66.

(٣)فرتك هى مدينة ساحلية على بحر العرب تقع جنوب بلاد عمان بقرب من ظفار وهى قريبة جداً من بلاد اليمن، إبراهيم الخورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـ ٢ ص ١٦٩.

(٤) أفونسو دلبوكيرك: المصدر نفسه، ص ١٨٣-١٨٤؛ س. بكنجهام: المرجع السابق، ص ٢١٤، إلا أنه يزيد إن بنوجبر كانوا موضع المقال الذى كتبه كاسكيل والذى تتبع فيه الإشارات التى وردت عنهم فى المصادر العربية وأشهرها السمهودى وابن إياس وفى هذا الصدد نشير إلى أن كاسيكل قد اقتصر على اثنين من المصادر البرتغالية هما باروس والتعليقات لالفونسو دلبوكيرك متجاهلاً كثيراً من التفاصيل حول استيلاء البرتغاليين على البحرين من بنى جبر وهو ما يرد عن المؤرخ كاستانيدا، راجع أيضا؛ Barros, Op. Cit, PP. 240-243; Caskel, Op. Cit, PP. 66-71.

(٥) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠ ولكن يبدوا أن السخاوى كان يبالغ فى أن الجبور قد انتزعوا مملكة هرمز بل ربما قصد أن الجبورا قد أخذوا بعض المناطق التى كانت سابقاً يسيطر عليها ملوك هرمز، لأن المصادر تقول أن مملكة هرمز مازالت قائمة بل ظلت قائمة حتى بعد زوال دولة الجبور.

(٦) الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦.

(٧) من الجدير بالذكر أن الملك سليمان بن سليمان النبهانى هو أحد ملوك بنى نبهان الذين تولوا حكم بلاد عمان الداخلية، وقد زوج سليمان بن سليمان النبهانى إحدى بناته إلى ملك هرمز سلغرشاه والذى كان وقتها حاكماً على مدينة قلهات الساحلية، وعندما تعرضت سلغرشاه للصراع مع أخيه على حكم مملكه هرمز لجأ إلى حماه سليمان النبهانى إلا أن حماه لم يعطيه أيه مساعدة مما جعل سلغرشاه يلجاء إلى سلطان الجبور أجود بن زامل، راجع

له محاصيلها وقد نصره أهلها (أهل منطقة عمان الداخلية مثل نزوى وبهلة وغيرها) وقاموا بنصره فهدم جميع حصونها وأمر عليهم عمر بن الخطاب الأباضي"(١).

بلاد البحرين وتجارة الجزية مع الصين :تعتبر الأحساء أول دولة توجد لها وثائق رسمية في سجلات أسرة ميـــنج وذلـــك يرجع لشهرة أهلها ولا سيما بني عقيل الذين عرفوا بتجارتهم الواسعة شرقا و غربا بالأضافة إلي حكامها من بنو جـــروان الذين رحبوا بتجارة الجزية مع الصين و كانوا أول حكام في شبة الجزيرة العربية و الخليج العربي يتعاملون مـــع يونجـــل الأمبراطور الثالث في أسرة مينج وذلك بتاريخ ٨١١هـ/١٤٠٨م (٢) ،وفي الجزء رقم ٣٢٦ من تاريخ أسرة مينج هناك ذكر لمدينة الأحساء كالتالي " إن الأحساء تصلها المراكب في عشرين يوما وليله من ميناء كو لم ، في رياح هادئه ،وهذه البلـــد جوها دائم الحرارة وأرضها مجدبة لاتصلح للحرث و لا للزراعة ، والمطر قليل و لا يوجد بها خضروات ، ولكن يوجـــد الكندر و الكافور و الأبل و الخراف و أهلها يصيدون الأسماك في البحر ،وكان أميرها قد سمع عن المملكـــة الوســـطي و الأمبراطور ، فهاداه بحاصلات بلاده ، و المعاملات التجاريه عندهم بالنقود الفضية و الذهبية ، والحاصلات من الفلفل و العود يبادلون بها حرير الصين و الفخار و الأرز (٣) . وعلي ما يبدوا ان الجبور الذين خلفوا بـــني جـــروان في حكـــم الأحساء و البحرين لم يرحبوا بالتبادل التجاري الممزوج بالدبلوماسية الماكره او ما يعرف بتجارة الجزية ، التي بها جزء من التنازل و التملق مقابل مكاسب تجارية متميزه من الجانب الصيني ، بل قاوموا ذلك الفكر الامر الـــذي ادي إلي تـــردي الاوضاع الدبلوماسية بين سلطنة الجبور و الامبراطور الصيني وهناك مصدر صيني معاصر لاسرة مينج ويعـــتني بـــرحلات القائد تشينغ خه لمنطقة الخليج و المحيط الهندي يذكر ذلك التوتر الدبلوماسي الذي افضي إلي الاشتباك المسلح بين الجبور واسرة مينج ، فيقول المصدر أن قوات الاسطول الصيني استخدمت المتفجرات و العنف ضد مدينة الأحســـاء في الخلـــيج الفارسي ، لأن سلطانها رفض الانسياغ لنظام الجزية و لم يعترف بخضوعة للمملكة الوسطي (الصين) و ابـــن الســـماء(الامبراطور الصيني) ، بل رفض سلطانها التهديد الامبراطوري ، الأمر الذي ادي لحصار المدينة ، لكن الحصار لم يطـــول وانسحبت القوات الصينية لعدم جدوي الحصار في ظل الظروف المناخية و الطبيعية الغير معتاده للقوات الصينية بالاضافة علي الخبرة و الشجاعة لدي القوات الجبرية المتمرسة علي حروب الصحراء (٤) .

الأحساء	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الثانية	٢٧ رمضان٨١٩هـــ	١٩بوفمبر١٤١٦	سنه١٤ شهر١١ يوم١	مجلد١٣ سجل٩٤٩	١٩٦٣
الوثيقه الثالثة	٤ شوال ٨١٩ هـــ	٢٦نوفمبر١٤١٤	سنه١٤ شهر١١ يوم٨	مجلد١٣ سجل٩٥٠	١٩٦٣-١٩٦٤
الوثيقه الرابعة	٧ذىالقعدة ٨١٩ هـــ	٢٨ديسمبر١٤١٦	سنه١٤ شهر١٢ يوم١٠	مجلد١٣ سجل ٩٥٦	١٩٦٩-١٩٧١
الوثيقه الخامسة	٢١ صفر ٨٢٤ هـــ	٢٦فبراير١٤٢١	سنه١٩ شهر١ يوم ٥	مجلد١٤ سجل١١٠٦	٢٢٥٥
الوثيقه السادسة	١٨ذ والقعدة٨٢٦هـــ	٢٤أكتوبر١٤٢٣	سنه ٢١شهر٩ يوم٢٠	مجلد١٤ سجل١١٥٤	٢٤٠٣
الوثيقه السابعة	٦ شوال ٨٣٣ هـــ	٢٩يونيو١٤٣٠	سنه٥ شهر ٦ يوم ٩	مجلد١٩ سجل١٥٣٤	١٥٧٦-١٥٧٧
الوثيقه الثامنه	١٦ صفر ٨٣٧ هـــ	٣أكتوبر١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم٢٠	مجلد٢١ سجل١٦٠٢	٢٣٥٠-٢٣٥١
الوثيقه الاولي	٢٦جمادي الأول٨١١هـــ	١٧أكتوبر١٤٠٨	سنه١٦ شهر٩ يوم٢٨	مجلد١١ سجل٦٣٢	١١١٤

إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـــ ٢ ص ١٥٥؛ وقد ترجم إبراهيم خـــورى تلـــك المعلومـــات مـــن كتـــاب بـــاروس راجع؛.Barros, Op. Cit, PP. 240-244

(١) ابن ماجد: كتاب الفوائد فى أصول البحر والقواعد، باريس ١٩٢١-١٩٢٣م، ص ٧٠.

(٢) راجع سجلات أسرة مينج ، اليوم ٢٨ الشهر ٩ السنة ١٦ ، بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٤٠٨ ، مجلد رقم ١١ ، السجل ٦٣٢، ص ١١١٤.

(٣) راجع بدر الدين الصيني :العلاقات بين العرب و الصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠م، ص ٢٣٨.

(٤) يذكر المؤرخ الصيني لو – ماودينج ، في كتابة (رحلات الفتي سان باو في البحر الغربي) و الذي يقع في ١٠٠٠ صفحة تقريبا وكتـــب عام ١٥٩٧م تمجيدا لرحلات القائد تشينغ خه او سان باو والذي حرف في الادب الشعبي العربي و الهندي بأسم السندباد البحـــري و ذلـــك نسبة لاصل تشينغ خه العربي و ديانته الاسلامية، ان القوات الصينية استخدمت العنف في الأحساء و مقدشيوا لان حكامها رفضوا الانســـياغ للاوامر الامبراطورية و رفضوا تجارة الجزية مع الصين .

Luo Maodeng, annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi (Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe, 1985.,p.50-57; Geoff Wade : op.cit ,p.17-18 ; Ming – shih ,ch326,12a-12b

البحرين	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الاولى	١٣ رمضان ٨١٥هـــ	١٨يسمبر١٤١٢	سنه١٠ شهر ١١يوم١٥	مجلد ١٢سجل٨٣٤	١٦٣٩
الوثيقه الثانيه	٦ شوال ٨٣٣ هـــ	٢٩ يونيو ١٤٣٠	سنه٥ شهر ٦ يوم ٩	مجلد١٩ سجل١٥٣٤	١٥٧٦-١٥٧٧
الوثيقه الثالثه	١٦ رمضان ٨١٨هـــ	٢٠ نوفمبر ١٤١٥	سنه١٣ شهر١٠يوم١٩	مجلد ١٣سجل٩٢١	١٨٨٢
الوثيقه الرابعه	٢٧ رمضان ٨١٩هـــ	١٩ نوفمبر ١٤١٦	سنه١٤ شه١١ريوم١	مجلد١٣ سجل٩٤٩	١٩٦٣
الوثيقه الخامسه	٧ذى الحجه ٨١٩هـــ	٢٨ ديسمبر ١٤١٦	سنه١٤ شه١٢ريوم١٠	مجلد١٣ سجل٩٥٦	١٩٦٩-١٩٧١

إقليم ظفار و استيلاء الجبور عليه من سلاطين ال كثير و ال كندة :

قبل الحديث عن الاحوال السياسية في ظفار يجب ان اعرفها جغرافيا اعتمادا علي ماكتبه علماء الجغرافيا الاسلامية وعلي راسهم ياقوت الحموي الذي قال ان ظفار تقع في الاقليم الاول طولها ثمان وسبعون درجة و عرضها خمس عشرة درجة وهي بفتح اوله وهي بمعني أظفر وهي مدينة مشهورة علي ساحل بحر الهند بينها و بين مرباط خمسة فراسخ و تشتهر بزراعة اللبان، كما يؤكد شيخ الربوه علي كلام ياقوت ويضيف بأن ظفار هي عاصمة اقليم مهرة بناها رجل يقال له احمد بن محمد و سماها الأحمدية وذلك في سنه ٦٢٠ هـ (١). وظفار كان يحكمها في بدايات القرن الثامن الهجري امراء بني رسول إلا انهم دخلوا في صراعات كثيرة الأمر الذي ادي الي استيلاء الشجاع عمر الكندي علي ظفار وذلك عام ٧٦٠هـ ، لكن حكمه لم يستمر طويلا حيث أخذها منه شهاب الدين أحمد بن عامر الحراني و تملك ها وخضع لنفوذ الرسوليين في اليمن وذلك عام ٧٩٦هـ وظل الوضع في يد الحرانيينحتي دخل سلاطين آل كثير أقليم مهرة و حكموا ظفار عام ٨٠٧هـ (٢)

وبعد أن استولي ال كثير علي حكم ظفار عين السلطان علي بن عمر بن جعفر بن بدر آل كثير أخيه الامير ابن قسمان والي علي ظفار ، إلا أن الأمر لم يستتب له حيث خرج عليه أحمد بن جسار الكندي وبعد عدد من المناوشات أتفق الطرفان علي أن تكون ظفار مناصفه بين آل كندي و آل كثير ، لكن الأمور لم تجري علي مايرام حيث شن ابن جسار هجمة خاطفة علي ظفار و قتل واليها ابن قسمان عام ٨١٦هـ ،الأمر الذي دعي أخية السلطان علي بن عمر الكثيري من دخول ظفار مره أخري بعد هزيمة ابن جسار و لم يكتفي بذلك فقط بل قام بقتل سبعين رجل من آكابر ظفار كرد فعل علي غدرهم بأخيه ابن قسمان والي ظفار المقتول (٣). ويذكر البكري أن آل كثير من أعظم قبائل همدان واعزها رجالا وأن قوة ال كثير كانت متذبذبه علي اقليم حضرموت و ظفار حيث كان حكمهم ينبسط مرة و يتقلص مرة أخري وذلك لتنازعهم فيما بينهم و تخاصمهم مع القبائل الأخري مثل قبيلة كنده وأنهم في سنه ٧٨٦هـ ، استطاعوا أن يستولوا علي إقليم الشحر علي يد السلطان بدر بن محمد الكثيري (٤) .إلا ان الامور لم تطول علي حالها حيث استطاع سلاطين الجبور الاستيلاء علي إقليم ظفار من يد رجال ال كثير ،وقد ذكر المستشرق س.ب.مايلز فى كتابه "الخليج بلدانه وقبائله"، أن ابن جابر (سلطان الجبور) كان يسيطر على إقليم ظفار وبعض المدن مثل فرتك وقلهات ومسقط... ويوجد فى بلاد ابن جبر (سلاطين الجبور) كثير من الخيول التى يربيها المزارعون للاتجار فيها(٥)، وذلك ماورد فى سجل أفونسو دلبوكيرك عندما قال "أن لابن جبر السيادة على بلاد فرتك وظفار وقلهات ومسقط وتمتد حدوده إلى بلاد شيخ عدن(٦). ومن هنا نستدل على أن ظفار كانت تابعة لسلطان ابن جبر حيث كان إقليم ظفار أحد المنافذ الذى الذى استغلها الجبور لترويج تجارتهم وكانت ظفار من المنافذ الرئيسية التى يصدر منها الخيول العربية إلى الهند، تلك التجارة

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ص ٦٠ ، شيخ الربوه : نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ، ص ٢١٨

(٢) حسين بن علي : تاريخ ظفارالتجاري ، ص ١٠

(٣) حسين بن علي :المرجع نفسة ، ص ١١

(٤) صلاح البكري : تاريخ حضرموت السياسي ، عيسي الباب الحلبي ، القاهرة ١٩٥٦م ،ج١ ص ٨٩-٩٠

(٥) س.ب.مايلز: الخليج بلدانه وقبائله، ص ١٧٦-١٧٧.

(٦) افونسو دلبوكيرك: الأعمال الكاملة، جـ ١ص ١٨٣.

التى احتكرها بنو عقيل فى شرق الجزيرة العربية(١) وقد حركت تلك التجارة الرائجة أطماع البرتغاليين للاستيلاء والسيطرة على تلك المناطق وانتزاع ما كان يجنيه بنو جبر من تلك التجارة الرائجة(٢). ويشير الدكتور الحميدان فى بحثه، أن الجبور قد اتخذوا من ظفار منفذاً لتصدير بضاعتهم من الخيول خصوصاً بعد ما رأوا أن كثيراً من السفن التجارية تتحاشي دخول الخليج الفارسي وتتوجه إلى موانى البحر الأحمر، حيث كانت ظفار كثيراً ما ترسو بها هذه السفن فى طريق الذهاب والإياب(٣). والجدير بالذكر أن الطريق البري الذى تسلكه القوافل المتجهة إلى ظفار يسير بمحاذاة الأطراف الغربية لعمان وعلى كل حال فمسافة ذلك الطريق شهر ونصف تقريباً حيث تصل القوافل إلى بلاد مهرة ومنها إلى ظفار(٤). كانت قوافل بنى عقيل قد اعتادت أن تسلك ذلك الطريق فى العصور الوسطى سواء فى عهد العيونيين أو العصفوريين أو الجبور(٥). وقد ذكر المستشرق س. بكنجهام أن المؤرخ باروس يقول إن شيخ بنى جبر كان يحكم كل المساحة تقريباً التى تمتد من الداخل من البحرين إلى ظفار وهى تزيد على ٥٠٠ فرسخ (٢٤٠٠ كيلو متر)(٦).

ظفار وتجارة الجزية مع الصين : تذكر المصادر الصينية أن السلطان علي الكثيري سلطان ظفار كان من أكثر الحكام المتعاونين مع الأمبراطور الصيني في منطقة شبة الجزيرة العربية وذلك يرجع لاعتماد اقتصاد ظفار الكلي علي التجارة ولسعة صدر حكامه من آل كثير ،وجاءت أول وثيقة عن العلاقات التجارية بينها و بين الصين فيما يعرف بتجارة الجزية عام ٨٢٤ه / ١٤٢١م ، فتقول الوثيقة " مبوعثي الـ ١٦ دولة التابعة لهرمز (عدن، ظفار، الأحساء، بـو لاوي، مقديشـو، كاليكوت، كوشين، جيا لي، لي، سري لانكا، ليو شان، بان بو لي، ساموديرا، أرو، ملقا، جان با لي، قدموا هدايا من الخيول الأصيلة والمنتجات المحلية، وأمر لهم وزير الشعائر بمأدبة لتكريمهم. (٧)" أما بخصوص البعثات الدبلوماسية فقد ورد ورد بوضوح أسم أحد المبعوثين الظفاريين في البلاط الأمبراطوري ويدعي حاج حسين أو كما تذكر الوثيقة حاجي حسين والذي أرسل من طرف السلطان علي الكثيري وقد ذكرته الوثيقة المؤرخه بتاريخ ٨٣٧ه/ ١٤٣٣م ، بلقب سلطان علي ،وتقول الوثيقة " كان ها–لي– زاي– مو (والذي يكتب بطريقة مختلفة (ها– لي– زاي– هان) مع آخرين المبعوث والذي أرسل من قبل أخيه الأكبر زاي– نو–لي–ا–بي دينج ملك بلاد ساموديرا، وكان جي–بو– مان– دو–لو–يا وآخرون قد أرسلوا من قبل بي–لي–ما (ويكتب بو–لي–ما) ملك دولة كاليكوت، وكان جيا– بو– لي–لي– ما وآخرون المبعوث الذي أرسله كي– بي– لي ملك دولة كوشين، وكان مين–ني– دي– ناس وآخرين مبعوثين بو–لا– جي– ما– با– مو– لا– بي ملك بلاد سري لانكا، والمبعوث هاي– زاي– هوتشان (حاجي حسين) مبعوث سلطان على سلطان دولة ظفار، والمبعوث بو– با مبعوث مو–لي– كي ناسي ر (ملك ناصر) ملك دولة عدن، والمبعوث سي– لي– جيان وآخرون أرسلهم دو– وا–لا– زاه ملك جان–با–لي، والشخص القادم من فان مولاذ(معاذ) وآخرون أرسلهم ساى– فو– دينج (سيف الدين) ملك هرمز، والمبعوث أ–دو–رو ها– مان وآخرون الذين أرسلهم ملك دولة جيا–بي– لي، مبعوث الأمارة شاه زيان وآخرون ممن أرسلهم أمير مكة، كلهم ذهبوا إلى البلاط الملكي مقدمين هدايا من الزراف، الفيلة، الخيول والمنتجات الأخرى، وعقد الإمبراطور لقاء في بوابة تبان فنج لاستقبالهم، وبما أن الزرافة حيوان ممون فلقد قام هو

---

(١) الحميدان: التاريخ السياسة لإمارة الجبور، ص ٦١.

(٢) Aubin, Op. Cit, P. 117-121. والجدير بالذكر أن أفونسو دلبوكيرك قد تحدث فعلاً عن إنتاج الخيول فى بلاد البحرين وعمان وأن الساحل الشرقى للخليج ملئ بقرى كثيرة صغيرة يمارس سكانها التجارة وقد ذكرا أيضاً أن فى مدينة خورفكان حظائر واسعة للخيول وبها عدد كبير من مخازن التبن لتستهلكها الخيول إذ يجرى تصدير عدد كبير من الخيول من ذلك الميناء إلى الهند، راجع، أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل، المجلد الثانى، ص ٢٠٣، ٦٥٣.

(٣) الحميدان: التاريخ السياسى لإمارة الجبور، ص ٦١.

(٤) الحميدان: التاريخ السياسي لإمارة الجبور، ص ٦١.

(٥) حول ذلك الطريق الذى يربط نجد بظفار راجع.
R. Guest, Zufarin the Middle Ages, Islamic Culture, July, 1935, PP. 402-410.

(٦) س.بكنجهام: بعض الملاحظات عن تاريخ البرتغاليين فى عمان، ص ٢١٦.

(٧) اليوم ٢٥ الشهر ١ السنة ١٩، الموافق ٢٦ فبراير ١٤٢١م ، السجل ١١٠٦ ، المجلد ١٤ ، ص ٢٢٥٥

بينج مساعد وزير الشعائر بقيادة الوزراء لتقديم هداياهم، وقال الإمبراطور ليس لي ولع بالأشياء من الدولة الأجنبية لكني أقدرها لأن المبعوثين قدموا من بعيد لإظهار ولاءهم الكبير وليست هناك حاجة للتهاني. (١) " ولكن العلاقات الأقتصادية بين ظفار والصين لم تدم طويلا بسبب استيلاء الجبور عليها من سلاطين آل كثير وأيضا بسبب تخلي اباطرة الميـــنج عـــن فكرة تجارة الجزية و اسطول الكتر الذي يعرف بالسلام الصيني كما وضحت سابقا .

ظفار	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الأولى	٢١صفر ٨٢٤هـــ	٢٦ فبراير ١٤٢١	سنه١٩ شهر١يوم٢٥	مجلد١٤ سجل١١٠٦	٢٢٥٥
الوثيقه الثانيه	١٨ ذوالقعدة٨٢٦هـــ	٢٤أكتوبر١٤٢٣	سنه٢١ شهر٩ يوم٢٠	مجلد١٤ سجل١١٥٤	٢٤٠٣
الوثيقه الثالثه	٦ شوال ٨٣٣هـــ	٢٩يونيو ١٤٣٠	سنه٥ شهر٦ يوم٩	مجلد١٩ سجل١٥٣٤	١٥٧٦-١٥٧٧
الوثيقه الرابعه	٢٧ محرم ٨٣٧هـــ	١٤ سبتمبر ١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم١	مجلد٢١ سجل١٦٠١	٢٣٤١
الوثيقه الخامسه	١٦صفر ٨٣٧هـــ	٣ أكتوبر١٤٣٣	سنه ٨شهر٨ يوم٢٠	مجلد٢١ سجل١٦٠٢	٢٣٥٠-٢٣٥١
الوثيقه السادسه	٢٧ محرم ٨٤٠هـــ	١١أغسطس ١٤٣٦	سنه١ شهر٦ يوم٢٩	مجلد٢٣ سجل١٦٩٤	٣٨٥

العلاقات السياسية بين سلاطين الجبور وسلاطين هرمز:

بعد أن استطاع سلاطين هرمز السيطرة على أغلب إقليم بلاد البحرين وإخضاع حكامها المحليين لسلطتهم فى هرمـــز فترة طويلة من الزمن، أخذ الضعف يدب فى كيان السلطة السياسية فى هرمز بسبب صراع أفراد الأسرة الحاكمة علـــى عرش البلاد، وقد شجع ذلك الصراع وأزكى ناره الحكام المحليون فى المناطق العربية لسلطنة هرمز وبالأخص عرب الجبور فى بلاد البحرين ليتخلصوا من التبعيه السياسية والاقتصادية لسلاطين هرمز(٢). يجب أن نشير إلى أن مناطق بلاد البحرين ومدنه قد اختلفت فى تبعيتها لسلطنة هرمز، فهناك بعض المناطق التى تبعت هرمز تبعيه اسمية مثل الأحساء وأجزاء كبيرة من القطيف ماعدا الميناء، ومن الناحية الأخرى كانت توجد مناطق تتبع سلطنة هرمز تبعيه فعلية ومباشرة مثل جزيرة البحرين وبعض الموانى المطلة على الخليج الفارسى والتى كانت يعين عليها حكام من قبل سلاطين هرمز وتشـــرف عليهـــا إدارة حكومية خاضعة لإدارة سلطنه هرمز(٣).

وبداية من العقد الثالث من القرن التاسع الهجرى ظهرت قوة الجبور بوضوح كإحدى القوى السياسية الجديدة فى بلاد البحرين والخليج الفارسى وإقليم عمان ونجد(٤)، وذلك خلال حكم الســلطان ســيف الــدين مهــار (٨٢٠هـــــ-٨٤٠هـــ/١٤١٧-١٤٣٦م) والذى شهد حكمه اضطراباً سياسياً وصراعاً أسرياً على الحكم بينه وبين أخيه فخر الـــدين تورانشاه(٥).

وفى سنة ٨٣٩هـــ/١٤٣٥م طلب زعماء القبائل العربية (الجبور) من قطب الدين تهتمن الثالث فيروز شـــاه، والـــد السلطان سيف الدين مهار، أن يتدخل لعزل ابنه السلطان سيف الدين مهار والثورة ضده، إلا أن قطب الـــدين تهـــتمن الثالث أبى ذلك وتذرع بالزهد فى شئون الدنيا(٦)، إلا أن الوالد قطب الدين طلب من ابنه الأصغر فخر الدين تورانشاه، وهو الأخ الأصغر لسيف الدين مهار، أن يعمل ما يراه مناسباً فى ذلك الشأن، ويعد ذلك حث من الوالد لابنه للثورة ضد أخيه سيف الدين مهار، حيث ذكر ذلك الوالد قطب الدين ابنه الأصغر فخر الدين تورانشاه الثانى، المعاملة السيئة الـــتى يعاملها سيف الدين مهار السلطان الحالى لوالده السلطان السابق قطب الدين تهتمن الثالث، وكيف أن سيف الدين مهار

(١) اليوم ١ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ١٤ سبتمبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠١ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٤١

(٢) إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنه هرمز العربية، جـــ ٢ ص ١٥١-١٥٩؛ عبد اللطيف ناصر الحميدان: التـــاريخ السياســـى لإمارة الجبور، ص ٤٧-٤٨؛ جمال زكريا قاسم: الخليج العربى فى عصر التوسع الأوربى الأول، ص ٥٨-٥٩.

(٣) ابن ماجد: كتاب الفوائد، ص ٧٠؛ Aubin op. Cit, P. 124.

(٤) ابن لعبون: تاريخ ابن لعبون، ص ٢٧، ٣١-٣٢؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـــ ١ ص ١٩٠؛ الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦؛ ابن بسام: تحفه المشتاق، ورقة ٧أ-٨ب.

(٥) منجم باشى: جامع الدول، جـــ ٣ ص ٢٣.

(٦) السمر قندى: مطلع السعدين، ص ٥١٦؛ إبراهيم خورى وأحمد التدمرى: سلطنه هرمز العربية، جـــــ ٢ ص ١٥١؛ Teixeira, op. Cit, P 189; Caskel, op. Cit, P. 67

عزل والده قطب الدين وأبعده إلى جزيرة قشم ووضعه تحت المراقبة المشددة(١). ويروى نمديهى فى حولياته أن خواجا محمد بغدادى نجل الوزير خواجا على بغدادى الذى قتله سيف الدين مهار، قد حرض فخر الدين تورانشاه للثورة ضد أخيه، حيث ذهب إليه فى المنفى الذى كان يمكث فيها مع والده فى جزيرة قشم، وأمده هناك بمركب نقله إلى قلهات، ومن هناك نظم فخر الدين تورانشاه النضال ضد أخيه سيف الدين مهار. والجدير بالذكر أن عرب الجبور قد أمدوا فخر الدين تورانشاه بالمراكب العسكرية والخيل التى اشتهرت بها مدينة الأحساء، كما أمد الجبور وتجار الأحساء الأمير فخر الدين تورانشاه بالأموال اللازمة لدفع مرتبات الجنود، حيث وعدهم تورانشاه بالعفو والهبات والإعفاء من الرسوم الجمركية، كما وعد بإعطائهم الحرية والاستقلالية أكثر فى بلاد البحرين(٢). كان ذلك بداية التدخل الفعلى لسلاطين الجبور فى سلطنة هرمز، حيث مكن ذلك الصراع بين الأشقاء فى هرمز لسلاطين الجبور من الإطاحة بسيادة هرمز على بلاد البحرين، واستطاع الجبور انتزاع الأحساء والقطيف من أيدى بنى جروان الذى كانوا الحكام المحليين السابقين الخاضعين لسلاطين هرمز والذين كانوا يدفعون لهرمز العائدات المفروضة(٣).

ولم يكن ذلك كل شئ، بل استطاع سلطان الجبور مساعدةالأمير تورانشاه الثانى فى التدخل المباشر فى شئون مملكة هرمز نفسها، واملاء الشروط على السلطان تورانشاه الذى تولى الحكم بفضل مساعدهم(٤)، واستطاع الجبور السيطرة الفعلية على القطيف وبعض المدن الساحلية فى بلاد البحرين وإقليم عمان مثل صحار ومسقط وقلهات، وذلك بين أعوام الصراع الذى حدث بين سيف الدين مهار وتورانشاه والذى استمر بين عامى ٨٤٠-٨٤١هـ/١٤٣٧م-١٤٣٨م أو عند بعض المؤرخين بين أعوام ٨٤٠هـ-٨٤٣هـ/١٤٣٧م-١٤٣٩م(٥)، ذلك بالإضافة إلى إعفاء عرب الجبور وقوافلهم من من الرسوم الجمركية وإعطائهم المزيد من الهبات والعطايا المالية(٦). تمكن الجبور كما جاء فى بعض المصادر من السيطرة على جزيرة البحرين، مع العلم أن كل تلك المناطق التى ذكرت كانت تابعة لسلطنة هرمز، وبالتالى كانت النتيجة الطبيعية لتعاظم نفوذ الجبور المتصاعد، إلى الدخول المباشر فى الصراع مع سلاطين هرمز من أجل إعادة فرض النفوذ على تلك المناطق والذى أراد سلاطين هرمز إعادة نفوذهم السابق عليها، لكن سلاطين الجبور وقفوا حائلاً أمام تلك الأمنيات،وبذلك دخل الاثنان فى نزاع مسلح تأرجحت فيه الزعامة بينهم على تلك المناطق(٧) كما جاء ذلك فى المصادر المصادر العربية والفارسية والبرتغالية. ولعل ما يؤكد ذلك القول قول المؤرخ البرتغالى باروس وأفونسو دلبوكيرك فى مذاكرته من أن الجبور كانوا يشنون هجمات مستمرة على مملكة هرمز وأنهم كانوا يشكلون خطراً عليها(٨)، الأمر الذى الذى جعل الجبور على حد قول السخاوى وغيره من المؤرخين العرب، أن يسيطروا على بعض مملكة هرمز ويفرضوا الجزية على بعض ملوك العجم المجاورين لهم حيث اتسع ملكهم فشمل الأحساء والقطيف والبحرين وعمان ونجد(٩).

مكة تحت حكم الأشراف الحسنيين : مكة يذكرها ياقوت في معجمه بقول مكة بيت الله الحرام قال بطليموس طولها من جهة المغرب ثمان و سبعون درجة وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدي و عشرون درجة وهي تحت نقطة السرطان وتقع في الإقليم الثاني وليس بها ماء جار ومياهها من السماء و أطيب آبارها بئر زمزم و المسافة بينها و بين الكوفة مسيرة شهر و كذلك البصرة ، ومن مكة إلي دمشق مسيرة شهر ومنها غلأ عدن مسيرة شهر ولها ثلاث طرق اولهم علي ساحل

(١) ابن حجر العسقلانى: أنباء العمر، جـ ٣ ص ١٠٢؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ٢ ص ٤٥، جـ ١٠ ص ١٧٣.

(٢) أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل، جـ ١ ص ١٨٤؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، ص ١٥١.

(٣) الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦؛ السمهودى: وفاء الوفاء، جـ ٣ ص ١٠٩٣؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠.

(٤) ابن ماجد: كتاب الفوائد، ص ٧٠؛ السخاوى: المصدر السابق، جـ ١ص ١٩٠؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ص ١٢٠.

(٥) أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل، جـ ١ ص ١٨٤.

(٦) عباس إقبال: مطالعاتى درباب بحرين، ص ٤٧-٤٨؛ إبراهيم خورى وأحمد جلال التدمرى: سلطنة هرمز العربية، جـ ٢ ص ١٥١.

(٧) ابن ماجد: كتاب الفوائد، ص ٧٠؛ الجزيرى: درر الفوائد المنظمة، ص ٣١٦؛

Adamyiat, F, Bahrein Islands Alegal and Diplomatic Controversy, New York. 1955, P. 14.

(٨) أفونسو دلبوكيرك: السجل الكامل، جـ ١ ص ١٩٣.

(٩) السخاوى: الضوء اللامع، جـ ١ ص ١٩٠؛ الأحسائى: تحفه المستفيد، جـ ١ ص ١٢٠.

البحر و هو الأطول و الأخر عن طريق صنعاء و صعدة و نجران و الطائف ، اما الطريق الثالث فهو عن طريق البوادي و قامة (١). كان يحكم مكة في فترة الدراسة الأشراف من بني الحسن الذين خضعوا لسلاطين المماليك في مصر وقد عين سلاطين المماليك الشريف حسن بن عجلان بن رميثة الحسني المكي الملقب ببدر الدين حكم مكة عام ٧٩٧هـ وقد استطاع ان يضبط أمورها ويحد من اطماع الخارجين عليها ، مما أثر علي الرواج الأقتصادي في منطقة الحجاز وأمن طرق التجارة وقد أستمر الشريف حسن في الحكم حتي توفي عام ٨٢٩هـ (٢). وبعد وفاة الشريف حسن تولي ابنه الشريف بركات حكم مكة وقد امتاز حكمة بحسن السيرة وذلك لان والده الشريف حسن قد اشركه في حكم مكه معه في حياته الامر الذي دعمه واعطاه خبره في حكم مكة وقد رحب المماليك في مصر بحكم الشريف بركات وقدموا له الدعم حتي عام ٨٤٥هـ ، حيث عزلوه وعينوا بدلا عنه اخيه الشريف علي بن الحسن لكن الأخير لم يمكث طويلا في الحكم حيث عزل بعد اقل من عام وتم تعيين أخيه أبو القاسم الذي استمر في حكم مكة حتي عام ٨٥٠هـ وبعدها تم إعادة تعيين الشريف بركات سالف الذكر علي حكم مكة مرة أخري حتي وفاته عام ٨٥٩هـ (٣). والجدير بالذكر أن مدينة و ميناء ميناء جدة كان يتبع حكم مكة وذلك لان جده هي الميناء الرئيسي لمكة و الحجاز في تلك الفترة وبين جدة و مكة ثلاث ليال والمسافه بينها و بين عدن مسيرة شهر (٤).

مكة أو بلاد المربع السماوي و تجارة الجزية مع الصين :

يصف ماهوان العلاقات الدبلوماسية الأقتصادية بين مكة و الصين فيقول " وفيالعام الخامس من حكم الإمبراطور هسوان (الأمبراطور الخامس للمينج)، وصل أمر من البلاط يأمر المبعوث الرئيسي شنغهو كبير الخصيان أن يذهب إلى جميع البلدان الأجنبية ليتلو أوامر الإمبراطور ويسلمهداياه.وعندما وصل قسم من الأسطول إلى كاليكوت، لاحظكبير الخصيان هونغ أن مبعوثين مكة يصلون إلى كاليكوت، فاختار ترجماناً وسبعة سفراءآخرين، وأرسلهم إلى مكة مع حمل من المسك وأصناف خزف وأشياء أخرى. وصعد المبعوثون فيمركب مكة وقصدوها. واستغرقت سفرقم سنة كاملة ذهاباً وإياباً ، واشترى الصينيون جميع أصناف الحاجات والنفائس،منها الزرائف والأسود والنعام. ثم إنهم رسموا صورة دقيقة للحرم الشريف وعادوا إلىعاصمتهم بكين.وأرسلملك بلاد مكة مبعوثين حملوا معهم سلعاً محلية، ورافقوا المبعوثين الصينيين السبعة،الذين جاؤوا إلى مكة، وقدَّم سفراء مكة هداياهم إلى البلاط الصيني في الصين".(**٥**) ويتضح من نص ماهوان أن الأسطول الصيني وصل مكة في الرحلة السابعة لتشينغ خه وهو ما تأكدة الوثائق القليلة الموجوده عن مكة في سجلات أسرة مينج فتذكر الوثيقة المؤرخة بتاريخ ٨٣٧ه / ١٤٣٣م أول مبعوث رسمي و دبلوماسي من إمارة مكة في بلاط امبراطور الصين وكذلك أنواع الهدايا أو الجزية المقدمة من إمارة مكة و التي إحتوت علي زرافة حازت علي إعجاب الأمبراطور و وزارة المناسك فتقول الوثيقة " مبعوث الأمارة شاه زيان وآخرون ممن أرسلهم أمير مكة، كلهم ذهبوا إلى البلاط الأمبراطوري مقدمين هدايا من الزراف، الفيلة، الخيول والمنتجات الأخرى، وعقد الإمبراطور لقاء في بوابة تبان فنج لاستقبالهم، وبما أن الزرافة حيوان ميمون فلقد قام هو بينج مساعد وزير الشعائر بقيادة الوزراء لتقديم هداياهم، وقال

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ص ١٨١

(٢) ولد الشريف حسن عام ٧٧٥هـ ونشأفي كفالة أخية و سافر إلي مصر ليحاول اقناع السلطان المملوكي بتعيينة حاكما علي مكة ، فقبض عليه وسجن حتي قتل أخية الشريف علي حاكم مكة فاضطر السلطان المملوكي علي تعيينه خلفا لاخيه حتي توفي عام ٨٢٩هـ ، وحول ذلك راجع السخاوي : الضوء اللامع ، ج٣ ص ١٠٣ ،ابن فهد : غاية المرام ، ج٢ ص ٢٤٦

(٣) ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ج١ ص ١٨٨ ، ابن فهد : اتحاف الوري ، ج٤ ص ٣٤٧ ، السنجاري : منائح الكرام ، ج٣ ص ٤٥

(٤) جدة بالضم و التشديد و الجدة هي الخطة التي علي ظهر الحمار تخالف سائرلونه وهي بلد علي ساحل بحر اليمن (البحر الأحمر) وهي فرضة مكة وتقع في الأقليم الثاني و طولها من جهة المغرب أربع وستون درجة و ثلاثون دقيقة وعرضها إحدي وعشرون درجة وخمس و اربعون دقيقة ، راجع ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ص ١١٤

(٥) ابراهيم خوري : العرب و الصين علاقات ودية وتبادل سفارات ، ترجمة لنص و ثيقة ماهوان ، مجلة التراث العربي ، اتحاد الكتاب العرب ، العدد ٢٤ ، دمشق يوليو ١٩٨٦م ، ص ٢٨

الإمبراطور ليس لي ولع بالأشياء من الدولة الأجنبية لكني أقدرها لأن المبعوثين قدموا من بعيد لإظهار ولاءهـــم الكـــبير وليست هناك حاجة للتهاني. (١) "

مكه المكرمه	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الأولى	٢٧محرم٨٣٧هـــ	١٤سبتمبر١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم١	مجلد ٢١سجل١٦٠١	٢٣٤١
الوثيقه الثانيه	١٦صفر٨٣٧هـــ	٣ أكتوبر ١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم٢٠	مجلد٢١ سجل١٦٠٢	٢٣٥٠-٢٣٥١
الوثيقه الثالثه	٢٧محرم٨٤٠هـــ	١١أغسطس١٤٣٦	سنه١ شهر٦ يوم٢٩	مجلد٢٣ سجل١٦٩٤	٣٨٥
الوثيقه الرابعه	٢٤ربيع الأخر٨٩٢هـــ	٢٠ أبريل ١٤٨٧	سنه٢٣ شهر ٣يوم١٤٨٧	مجلد٥٠ سجل٢٤٨٥	٤٨٧٧

اليمن و عدن تحت حكم الرسوليين: كانت عدن من أهم موانئ شبة الجزيرة العربية علي الإطلاق وقـــد ذكرهـــا العبدلي في كتابهفقال(عدن أنها أعظم المراسي في اليمن، وأنها خزانة ملوك اليمن، وهي فرضة اليمن ومحط رحال التجار و لم تزل بلد تجارة من زمن التبابعة إلى زماننا هذا، وإليها ترد المراكب من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة،) "(٢).أما ياقوت الحموي فقد ذكرها بقوله عدن بالتحريك وآخره نون ، وهو من قولهم عدن بالمكان إذا أقام به وبذلك سميت عدن وهي مدينة مشهورة علي ساحل بحر الهند من ناحية اليمن وهي ردئه لاماء بها و لا مرعي وشربهم من عين تبعـــد عنـــها مسيرة يوم إلا أنها مرفأ مراكب الهند و التجار يجتمعون إليه لأجل ذلك فأنها بلد تجارة (٣).وقد كتب ابـــن المجـــاور أن غالب سكان البلد عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجبالية وأهل ذبحان وزيالع ورباب وحبوش، وقد التأم إليها من كل بقعة ومن كل أرض وتمولوا فصاروا أصحاب خير ونعم (٤)، كما أشار بامخرمة: " وكثُر بها الناس في دولة بني أيوب وتوطنها جماعة من كل فج وحفروا بها الأبار وبنوا المساجد وأقـــاموا بهـــا المنابر(٥)ويؤكد ابو الفداء هذا الرأي في كتابه تقويم البلدان ، حيث يوضح أن علاقة عدن التجارية كانت كـــبيرة مـــع الصين بالإضافة إلى الهند "(٦).ويؤكد شيخ الربوه ذلك الكلام فيقول إن عدن فرضة لما يرد من مراكب الصين و الهند و كرمان و فارس و عمان (٧). وكان علي اليمن عند قدوم أسطول تشينغ خه ، الملك الناصر أحمد بن أسماعيل الرســـولي الذي استدعاهم إلى تعز، وقدموا للملك هدية ملك الصين إليه، وكانت هدية فاخرة فيها من أنواع التحـــف والثيـــاب الكمخات المذهبة المفتخرة والمسك العال، والعود الرطب، والآنية الصيني، أنواع كثيرة قومت بعشرين ألف مثقـــال، ورد الملك الناصر بهدية مماثلة من بضائع وتحف، وأهداه من الوحوش المها وحُمُر الوحش والأسود المؤلفة والفهود، وسافروا إلى الثغر المحروس عدن بصحبة القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن جميع في شهر صفر سنة ٨٢٢هـــ. (٨). وكتب ابن الديبع الديبع عن هذه الرحلة فقال (أنه في سنة ثلاث وعشرين، قدم عليه قاصد صاحب الصين بثلاثة مراكب عظيمة، فيها من الهدايا النفيسة ما قيمته عشرون لكا من الذهب، واجتمع القاصد بالملك الناصر، فلم يقبل الأرض بين يديه بـــل قـــال : سيدك، صاحب الصين، يسلم عليك ويوصيك بالعدل في رعيتك . فقال له مرحبا ونعم المجيء، جئت ، وأكرمه وأسكنه بدار الضيافة، ثم كتب الناصر إلى صاحب الصين كتابا يقول فيه الأمر أمرك والبلد بلدك، وجهز له من الوحوش البريـــة والثياب الفاخرة السلطانية، جملة مستكثرة وأمر بتشييعه إلى مدينة عدن) (٩). وفي كتاب آخر لابن الديبع أظهر في أحد نصوصة مدى غضب الملك الناصر من أسلوب التعامل والتخاطب معه من طرف المبعوثيين الصينيين ، قائلا : " ثم كتب

---

(١) اليوم ١ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ١٤ سبتمبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠١ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٤١

(٢) العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، دار العودة ،بيروت ١٩٨٠م ، ص ٢٠.

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ص ٨٩-٩٠

(٤) ابن المجاور :صفة بلاد اليمن و مكة و بعض الحجاز المسماة بتاريخ المستبصر ،منشورات المدينة ، بيروت ، ١٩٨٦، ص١٣٤.

(٥) بامخرمة: تاريخ ثغرعدن ، وتراجم علمائها ، دار الجيل ، بيروت ١٩٨٧م ،ص ٢٠ .

(٦) ابو الفداء : تقويم البلدان ، نشررينود و مارك كوكين ، باريس ١٨٤٠م ،ص ٩٣.

(٧) شيخ الربوه : نخبة الدهر في عجائب البر و البحر ، ص ٢١٦

(٨) عبد الله أحمد محيرز : رحلات الصينيين الكبري إلي البحر العربي ، دار جامعة عدن للطباعة ، عدن ٢٠٠٠م ، ص٥٩،٥-٦٠.

(٩) عبد الرحمن بن علي الديبع : الفضل المزيد علي بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، مركز الدراســـات و البحـــوث الـــيمني ، صـــنعاء ١٩٨٣م، ص ١٠٧.

الناصر إلى صاحب الصين كتابا فيه: الآمر آمرك والبلد بلدك، وهذا الخطاب عن قاصد ملك الصين للملك الناصر، العاري من اللطافة والمتسربل بالكثافة، يصدق الكلام الدائر على الألسنة من قولهم ملك الصين يظن أن كل الناس عبيده والظاهر أن فيهم حمقا وجهلا بأحوال البلاد وملوكها وإلا فالأدب موجب لمن تحقق من نفسه الكمال أن لا يخاطـــب غـــيره إلا باللطف والإجمال "(١) وهنا نشاهد الموقف الذي تعامل به الملك الناصر الرسولي مع المبعوثيين الصينيين فعلي الرغم من انه انه أعترض علي الأسلوب الدبلوماسي التملقي الذي يحبه أمبراطور الصين إلا أنه رفض الدخول في حرب معه مثل الجبور حكام الأحساء وتصرف بدبلوماسية شديدة الذكاء عن طريق أعتراض مكتوب يظهر مدي غضبه من اسلوب امبراطـــور الصين المتعالي المغرور .

عدن	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الاولى	٢٧رمضان٨١٩هـــ	١٩ نوفمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر١١ يوم١	مجلد١٣ سجل٩٤٩	١٩٦٣
الوثيقه الثانيه	٤ شوال ٨١٩هـــ	٢٦ نوفمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر ١١يوم	مجلد ١٣سجل٩٥٠	١٩٦٤-١٩٦٣
الوثيقه الثالثه	٧ ذو القعدة٨١٩هـــ	٢٨ ديسمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر ١٢يوم١٠	مجلد١٣ سجل٩٥٦	١٩٧١-١٩٦٩
الوثيقه الرابعه	٢١ صفر ٨٢٤هـــ	٢٦ فبراير ١٤٢١	سنه١٩ شهر١ يوم٢٥	مجلد١٤ سجل١١٠٦	٢٢٥٥
الوثيقه الخامسه	١٥رمضان٨٢٥هـــ	٣ سبتمبر ١٤٢٢	سنه٢٠ شهر٨ يوم١٨	مجلد١٤ سجل١١٣٤	٢٣٤٤
الوثيقه الساد سه	٦ شوال ٨٣٣ هـــ	٢٩ يونيو ١٤٣٠	سنه ٥ شهر٦ يوم ٩	مجلد١٩ سجل١٥٣٤	١٥٧٧-١٥٧٦
الوثيقه السابعه	٢٧ محرم ٨٣٧هـــ	١٤ سبتمبر ١٤٣٣	سنه ٨ شهر٨ يوم ١	مجلد٢١ سجل١٦٠١	٢٣٤١
الوثيقه الثامنه	١٦ صفر ٨٣٧هـــ	٣ أكتوبر ١٤٣٣	سنه٨ شهر٨ يوم٢٠	مجلد٢١ سجل١٦٠٢	٢٣٥١-٢٣٥٠
الوثيقه التاسعه	٢٧ محرم ٨٤٠هـــ	١١ أغسطس ١٤٣٦	سنه١ شهر٦يوم ٢٩	مجلد٢٣ سجل١٦٩٤	٣٨٥

اليمن	التاريخ الهجرى	التاريخ الميلادى	التاريخ الصينى	السجل	الصفحه
الوثيقه الاولى	١٣ رمضان ٨١٥هـــ	١٨ ديسمبر ١٤١٢	سنه١٠ شهر١١يوم١٥	مجلد١٢ سجل٨٣٤	١٦٣٩
الوثيقه الثانيه	٢٧ رمضان ٨١٩هـــ	١٩ نوفمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر١١يوم١	مجلد١٣ سجل٩٤٩	١٩٦٣
الوثيقه الثالثه	٤ شوال ٨١٩ هـــ	٢٦ نوفمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر١١يوم ٨	مجلد١٣ سجل٩٥٠	١٩٦٤-١٩٦٣
الوثيقه الرابعه	٧ ذو القعدة ٨١٩هـــ	٢٨ ديمبر ١٤١٦	سنه١٤ شهر١٢يوم١٠	مجلد١٣ سجل٩٥٦	١٩٧١-١٩٦٩
الوثيقه الخامسه	٢١ صفر ٨٢٤ هـــ	٢٦ فبراير ١٤٢١	سنه١٩ شهر١يوم٢٥	مجلد١٤ سجل١١٠٦	٢٢٥٥
الوثيقه الساد سه	١٨ ذو القعدة ٨٢٦هـــ	٢٤ أكتوبر ١٤٢٣	سنه٢١ شهر٩يوم٢٠	مجلد١٤ سجل١١٥٤	٢٤٠٣
الوثيقه السابعه	٦ شوال ٨٣٣ هـــ	٢٩ يونيو ١٤٣٠	سنه٥ شهر٦يوم٩	مجلد ١٩سجل١٥٣٤	١٥٧٧-١٥٧٦

هرمز ، الأحساء و البحرين ، عدن واليمن ، ، ظفار ، مكة في وثائق سجلات اسرة مينج:

١. كان المبعوث، سوما مومين دلي لي والذي أرسل من قبل بالا مي سو لا دا لو تشي في ملك البلا باهانج وجي جـــي دينج (ويكتب سي في دينج)(سيف الدين) شخص من بلاد هرمز، وقد عرض هدايا من الخيول والمنتجات المحليـــة، وعرفت أيضاً ملابس مصنوعة من الحرير، وكانت وزارة المناسك قد أمرت أن تعرض على ملك بلاد باهانج غرامـــة من الحرائر، الحرير الملون وحرير من الشاش الرقيق ومكافأة سي في دينج بخيول قيمة.(٢)

٢. غادر المبعوثين من مختلف بلدان المروحة مثل كالكيوت كوشين نان لي بو، قان، بالي ملقا، مالين، هرمز وســـاموديرا للعودة إلى بلادهم وديارهم، ومنحهم ليونج لو تونج باو أوراق نقدية وحرير ونقود نحاسية، حسب الاقتضاء . (٣)

٣. المبعوثين من مختلف بلدان (المروحة) مثل كاليكوت ، جاوه، مالقا، تشبما ، ساموديرا، فـــان وي لي شـــالي وان بي، باهانج، سري لانكا ، مقدشيو ، ليو شاب، بان بولي بولاوا، عدن، ما-لين، الأحساء، هرمز وكوشين والميناء القديم جلبوا هدايا من الخيول ووحيد القرن والفيلة وغيرها من المنتجات المحلية. (٤)

(١) ابن الديبع : قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ،القسم الثاني ،مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٢٣.

(٢) اليوم ١٤ الشهر ٨ السنة ١٢ ، الموافق ٢٨اغسطس ١٤١٤، السجل ٨٧٧، المجلد ١٣ ، ص١٧٧٦

(٣) اليوم ١٩ الشهر ١٠ السنة ١٣ ، الموافق ٢٠ نوفمبر ١٤١٥م ، السجل ٩٢١ ، المجلد ١٣، ص ١٨٨٢، ونلاحـــظ اســـتعمال الاوراق النقدية وهي عبارة عن ايصال ممهور بختم الامبراطور وكل ورقة تساوي مبلغ معين من الذهب يستطيع المقايضة بهباي بضاعة احري.

(٤) اليوم ١ الشهر ١١ السنة ١٤ ، الموافق ١٩ نوفمبر ١٤١٦م ، السجل ٩٤٩، المجلد ١٣، ص ١٩٦٣

٤. نصبت مأدبة للمبعوثين من مختلف بلدان ملقا كالكون جاوا (جافا) تشمبا، سري لانكا، مقديشو، ليوشان، نان بولي ، بولاوي، عدن، ساموديرا، ما-لين، الأحساء وهرمز، كوشين ، نان وي للي، شا- لي- وان- بي وباهانج والمينـــاء القديم. (١)

٥. أمر وزير الحرب تعزيز صفوفه بكل القوات الحكومية التي رجعت بعد إرسالها إلى هرمز والبلدان الأخرى في غـــرب المحيط من مرتين إلى أربع مرات، وهكذا ترقى تشوتشن قائد حرس لونج جيانج إلى مساعدة مفوض لـــــ دا- بـــنج المفوض العسكري مع السيطرة على شئون حرس لونج جيانج، وتم أيضاً ترقية تانج جينج قائـــد الحـــرس البحـــري كمساعد مفوض وتم ترقية الآخرون وفقاً للأسبقية. (٢)

٦. مبوعثي الـــ ١٦ دولة التابعة لهرمز (عدن، ظفار، الأحساء، بو لاوي، مقديشو، كاليكوت، كوشين، جيـــا لي، لي، سري لانكا، ليو شان، بان بو لي، ساموديرا، أرو، ملقا، جان با لي، قدموا هدايا من الخيول الأصيلة والمنتجات المحلية، وأمر لهم وزير الشعائر بمأدبة لتكريمهم. (٣)

٧. عند مغادرة مبعوثي ال ١٦ دولة التابعة لهرمز ليعودوا إلى بلادهم ومعهم أموال نقدية ورقية بالإضافة إلى ذلك قدم لهم الحرير، وكان الطواشي (الخصى، تشنج، حتى آخرون وقد أرسل بأوامر إمبراطورية مع الحرير الأصلي، الحرير الشاش، والحرير الرقيق لمنحها لملوك هذه البلدان، وغادر مع مبعوثي تلك الدول سوياً. (٤)

٨. أرسل وزير المناسك بمذكره تفيد بان ١٢٠٠ شخص الذين أرسلوا من قبل ال ١٦ دولة (يانغ تشي، كاليكوت، هرمز، سري لانكا، عدن، ظفار، الأحساء، بولا، وا، مقدشيو، كوشين، جبا، بي، لي، لي تشان، بان بولي، ساموديرا، أرو وملقا) لتقديم هدايا من المنتجات المحلية قد وصلوا إلى العاصمة.

وأعطى الإمبراطور أوامر لولي العهد بما يلي: لقد بدأ الطقس يبرد وبعد رؤيته لهدايا المبعوثين من الدول المختلفة فإن في جنوب غرب، فلقد أمر بإقامة مأدبة لهم مكافأة وتكريم لهم طبقاً للقواعد المعمول لها، ولقد منحهم المكافأت وأرسلهم (أعادهم) إلى بلدانهم، بالنسبة لمن كان معهم منتجات محلية للتجارة، أمر المسؤولين بإعطائهم أوراق نقديـــة مكافئـــة لقيمة تلك المنتجات كتبادل تجاري. (٥)

٩. كان ها-لي- زاي- مو (والذي يكتب بطريقة مختلفة (ها- لي- زاي- هان) مع آخرين المبعوث والذي أرسل من قبل أخيه الأكبر زاي- نو-لي-ا-بي دينج ملك بلاد ساموديرا، وكان جي-بو- مان- دو-لو-يا وآخرون قد أرسلوا من قبل بي-لي-ما (ويكتب بو-لي-ما) ملك دولة كاليكوت، وكان جيا- بو- لي-لي- ما وآخرون المبعوث الذي أرسله كي- بي- لي ملك دولة كوشين، وكان مين-ني- دي- ناس وآخرين مبعوثين بو-لا- جي- ما-با- مـــو- لا- بي ملك بلاد سري لانكا، والمبعوث هاي- زاي- هوتشان (حاجي حسين) مبعوث سلطان على سلطان دولة ظفار، والمبعوث بو- با مبعوث مو-لي- كي ناسي ر (ملك ناصر) ملك دولة عدن، والمبعوث سي- لي- جيان وآخـــرون أرسلهم دو- وا-لا- زاه ملك جان-با-لي، والشخص القادم من فان مولاذ(معاذ) وآخرون أرسلهم ساى- فـــو- دينج (سيف الدين) ملك هرمز، والمبعوث أ-دو-رو ها- مان وآخرون الذين أرسلهم ملك دولـــة جيـــا-بي- لي، مبعوث الأمارة شاه زيان وآخرون ممن أرسلهم أمير مكة، كلهم ذهبوا إلى البلاط الأمبراطوري مقدمين هـــدايا مـــن الزراف، الفيلة، الخيول والمنتجات الأخرى، وعقد الإمبراطور لقاء في بوابة تبان فنج لاستقبالهم، وبما أن الزرافة حيوان ميمون فلقد قام هو بينج مساعد وزير الشعائر بقيادة الوزراء لتقديم هداياهم، وقال الإمبراطور ليس لي ولع بالأشـــياء

---

(١) اليوم٨ الشهر ١١ السنة ١٤ ، الموافق ٢٦ نوفمبر ١٤١٦م ، السجل ٩٥٠ ، المجلد ١٣ ، ص ١٩٦٣

(٢) اليوم٤ الشهر ٥ السنة ١٨ ، الموافق ١٤يونيو ١٤٢٠، السجل ١٠٨١، المجلد ١٤ ، ص ٢٢١١

(٣) اليوم ٢٥ الشهر ١ السنة ١٩، الموافق ٢٦ فبراير ١٤٢١م ، السجل ١١٠٦ ، المجلد ١٤ ، ص ٢٢٥٥

(٤) اليوم ٣٠ الشهر ١ السنة ١٩ ، الموافق ٣ مارس ١٤٢١م ، السجل ١١٠٧ ، المجلد ١٤ ، ص ٢٢٥٦

(٥) اليوم ٢٠ الشهر ٩ السنة ٢١ ، الموافق ٢٤ اكتوبر ١٤٢٣م ، السجل ١١٥٤ ، المجلد ١٤ ، ص ٢٤٠٣

من الدولة الأجنبية لكني أقدرها لأن المبعوثين قدموا من بعيد لإظهار ولاءهم الكبير وليست هناك حاجة للتهاني. (١)

١٠. قدمت فضة حرير ملون حرير رقيق وملابس قطنية فضلاً عن بدل من القماش المصنوع من الحرير المتشابك بالخيوط الذهبية، وبدل مصنوعة من القماش الحرير الرقيق حسب الإقتضاء، وقدمت إلى ما-لي- تشي- هان الأخ الأصغر، لملك بلاد ساموديرا، جي-بو-مان- جو- لو-با مبعوث دولة كاليكوت جيا- بو-بي- لي- ما المبعوث من دولة كوشين، مين-ني- دي- ناي المبعوث من دولة سري لانكا، هاي- زاي- هوتشان (حاجي حسين) مبعوث دولة ظفار وبوبا المبعوث من دولة عدن، أ-دو-رو-ها-مان المبعوث من دلوة جيا-بي- لي- دوان-سي-لي-جيان مبعوث من دولة جان-با-لي، المبعوث شاه زيان من دولة مكة،مولاذ (معاذ) الشخص من فان من دولة هرمز، وغيرهم بمجموع ٦٦ شخص.

وقدمت لهم سترات مبطنة، سراويل وآحذية حسب الأقتفاء علاوة، على أغطية الرأس والأحزمة التي عرض على ها- لي- زاى هان وغيرهم. (٢)

١١. المبعوث جي-بو-مان-دو-لو- يا وآخرون من ال ١١ دولة كاليكوت، ساموديرا، سري لانكا، كوشين، مكة جيالي- لي، عدن ، هرمز، ظفار، جان، بي، لي وكمبوديا، أعيدوا إلى بلدانهم مع البمعوث الجافي ، وأرسلت أوامر إمبراطورية إلى يانج- وي – كي شا ،ملك دولة جافا، كالتالي: أنتم أيها الملك لم تقصروا في الوفاء بالتزاماتكم خلال فترة أسلافي، الآن أعتليت العرش، وأنتم أيها الملك مرة أخرى ترسل مبعوث للبلاط الملكي لتقديم هدايا وأنا على علم بما يساوركم من ماشعر صادقة، خلال عهد حكم شيوان دي (١٤٢٦- ١٤٣٥) أرسل المبعوثين من ال ١١ دولة ومنها كاليكوت وكامبوديا والذان جاءا إلى بلاط الحكم لتقديم الهدايا، لكن لم يرجعا إلى أولها حتى الآن، الآن أيها لملك مبعوثك رجع وأنا منحتهم بصفة خاصة سفينة تصلح للمحيطات وكل المبعوثين سوف يرجعون سوياً، وعليكم أيها الملك بذل جهود خاصة لإظهار الإهتمام والتعاطف وإرسالهم إلى بلدانهم، وذلك لتتوافق مع رغبتي في إظهار العطف لهؤلاء المبعوثين، وكذلك أمر أن يأخذ المبعوثين ال ١١ بما فيهم جي، بو، مان، دو، لو، يا الأوامر الإمبراطورية لإعطاءها لملوكهم. (٣)

١٢. أرسل هوينح وزير المناسك وآخرون مذكرة: بأن سولوتان تؤلان شاه (السلطان تورانشاه) ملك دولة هرمز تصح بأنه يقيم في مناطق بعيدة عن الحدود، في المنطقة السابقة التي بعث من البلاط الملكي إليها مبعوثين وأرسل منها مبعوثين حتى يعرف الأعلى والأسفل حالة كل منها، ولفترة طويلة لم يتم بعث أى مبعوثين، في الآونة الأخيرة رجع (حاج علي) ها-زاي-ا-لي من مدينة سي- بو- جي وعرفوا أن الإمبراطور العظيم مينج وهو من يحكم جميع الكائنات الحية تحت السماء، وكان مسرور جداً وأرسل ها- زاي-ا-لي ليأتي إلى بلاط الحكم ويقدم هدايا من الخيول.

وأمل بتواضع أن يظهر البلاط عطف كبير، مثل السابق، ويرسل المبعوثين إلى البلاط الملكي من أجل أبقاء قنوات التجارة مفتوحة ولا يمكن بسهولة الثقة في مشاعر الشعوب التي تعيش على الحدود ويجب تقديم الحرائر المتنوعة كتحية ومكافأة للخيول المقدمة وكمكافأة أيضاً لرغبته في المضي قدماً حضارياً، وأيضاً يجب إرسال الأوامر الإمبراطورية له لرعاية رعاياه وإحترام القانون، حتى تزدهر البلاد على الحدود وتم موافقة على هذا. (٤)

١٣. مدعياً أن أخيه الأكبر نادي رجلاً تقياً (أبو خطوة) في الصين لمدة ٤ يوماً، فلقد رغب المسلم (على) من دولة مكة الذهاب إلى يون-نان للبحث عنه، وهكذا فلقد جهز كميات من البضائع الغالية الثمن ومن ملقا، رافق الرسول روفو وجاء على العاصمة لتقديم هدايا ولكن هذه الأشياء الثمينة أستولى عليها الحضى خو ان وى، والذي طلب ان يتم

---

(١) اليوم ١ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ١٤ سبتمبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠١ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٤١

(٢) اليوم ٢٠ الشهر ٨ السنة ٨ ، الموافق ٣ اكتوبر ١٤٣٣م ، السجل ١٦٠٢ ، المجلد ٢١ ، ص ٢٣٥٠-٢٣٥١

(٣) اليوم ٢٩ الشهر ٦ السنة ١ ، الموافق ١١ اغسطس ١٤٣٦م ، السجل ١٦٩٤ ، المجلد ٢٣ ، ص ٣٨٥

(٤) اليوم ٢٩ الشهر ١٢ السنة ٦ ، الموافق ٩ فبراير ١٤٤٢م ، السجل ١٨٥٣ ، المجلد ٢٦ ، ص ١٧٥٥- ١٧٥٦

فحصها وتفيتشها، وطلب الوزير المناسك بتقدير قيمة البضائع، حتى يتم مكافئتها بقيمتها وأنه يسعى أن يسمح أخيه يون نان بهذا، وقال الإمبراطور: على حقاً مارق، جلب البضائع التجارية والسلع بحجة تقـديمها كتحيـة، وسـعى للحصول على أرباح كبيرة، وأيضاً فلقد تكلم بشكل وتصرف بشكل آخر معاكس شرير، ونظراً لأنه غريب فسوف أعفو عنه ولن أعاقبه، أمر الإمبراطور الحرس بسرعة إرسال ناس لاعتقاله واقتيادة إلى جوانج دونج، وهنـاك سـيتم إحتجازه وحين تسمح الفرصة فسوف يرسل إلى بلاده. (١)

وثائق القائد تشينغ خة下和鄭 وجاء فيها معلومات عن البلاد التي زارها اسطول المينج بما فيها الخليج و الجزيرة العربية:

١. أرسل الخصى تشينغ خة وآخرون لنقل الأوامر والتعليمات الإمبراطورية إلى مختلف البلدان في المخيط الغربي للتشـاور مع ملوك تلك البلدان ومنحهم الحراير الرقيقة والخيوط الحريرية المنسوجة مع خيوط الذهب، حسب البروتوكول(٢).

٢. عاد الخصى القائد تشينغ خه الذي كان قد أرسل إلى مختلف بلدان المحيط الغربي، محضراً معه القرصان تشـن زويـي وآخرون في الأغلال، في وقت سابق عندما وصل إلى الميناء القديم صادف زويي، لذا أرسل إليه الرسل للتفاوض معه على التهدئة، تظاهر زويي وآخرون بالاستسلام ولكنهم خططوا لمهاجمة الجيش الإمبراطوري سراً.

عرف تشينغ خه والآخرون بهذا الأمر، فحشدوا القوات وأعدوا الدفاعات وعندما بدأت قوات زويـي في الهجـوم، أرسل قواته للدخول في المعركة، تعرض زويي لهزيمة كبيرة ولقي أكثر من ٥٠٠٠ عضو في عصابة من قطاع الطـرق مصرعهم في حين أحرقت عشرة من سفن قطاع الطرق وأسرت سبع وعلاوة على ذلك،تم مصادرة إثنين من الأختام البرونزية المزورة وتم القبض على ثلاثة سجناء من ضمنهم زويي، ونقلوا وهم على قيد الحيـاة، عنـدما وصـلوا إلى العاصمة أمر بقطع رؤوس جميع السجناء(٣).

٤. .أرسل القائد الخصيى تشينغ خه وآخرون بمقتضى الأمر الإمبراطوري بالمضى قدماً كمبعوثين إلى بلدانكاليكوت وملقا وسامود يرا وأرو وجيا لويي وجاوا وسيام وتشمبا وكوشين وبوبان (عبادان) والأحساء ونان وولي وقان بالي (جان بالي) وكى لان وكان من معها مهم التشاور مع ملوك تلك البلدان ومنحهم الحراير الرقيقة. (٤).

٥. الأن القوات الحكومية التي رافقت تشينغ خه إلى أراضي البلدان الغربية سافرت مسافات بعيدة وعانت العديـد مـن المصاعب وحققت مثل هذه الإنجازات قد عادوا الآن، فأمر الإمبراطور الطواشي تشاو وي شان والطوزاشي لي تشي جانج وهو مدير في وزارة الشعائر بإقامة مأدبه عشاء مكافأة هذه القوات في تاش تشانج. (٥)

٦. أرسل الخصى القائد تشينغ خه وآخرون حاملين أوامر الإمبراطور إلى ملوك بلدان كلاً من ملقـا وجـاوا وتشـمبا وساموديرا وآرو وكوشين وكاليكوت ونان وولي وباهانج وكيلانتان وجيا يويي وهرمز والبحرين واليمن وسيراف، ليتشاورا معهم ويمنحوهم الحرير الجيد والحرير الرقيق وبضائع أخرى لائقة. (٦)

٧. عاد الخصي القائد تشينغ خه والآخرون الذين كانوا قد أرسلوا كمبعوثين إلى بلدان مختلفة في غربي المحيط . (٧)

٨. صدر الأمر بأن رونج ابن قائد كتيبة الحرس ذات الزي المطرز (الموشي) يانج تشن المتوفي، أن يرث منصـب والـده ويترقي تشن يرافق الخصى القائد تشينغ خه عندما أرسل كمبعوث إلى غربى المحيط لكنه توفى في سيرلانكا وفي هـذا الوقت وسبب ما حققه من إنجازات تم مكافأته بالسماح بتعيين أبنه وترقيته . (١)

---

(١) اليوم ٢٧ الشهر ٣ السنة ٢٣، الموافق ٢٠ ابريل ١٤٨٧م ، السجل ٢٤٨٥، المجلد ٥٠ ، ص ٤٨٧٧

(٢)اليوم ١٥ الشهر ٦ السنة ٣ الموافق ١١ يوليو ١٤٠٥، السجل ٣٦٦ المجلد ١٠، ص ٦٨٥.

(٣)اليوم ٢شهر ٩ السنة ٥ ، الموافق ٢ أكتوبر ١٤٠٧، السجل ٥٣٦، المجلد ١١، ص ٩٨٧.

(٤)اليوم ٢٨ شهر ٩ السنة ١٦ ، ١٧ أكتوبر ١٤٠٨ السجل ٦٣٢، المجلد ١١، ص١١١٤.

(٥)اليوم ٢٩شهر ٦، السنة ١٩، الموافق ١٩ يوليو ١٤١١.السجل ٧٦٨ ، المجلد ١٢ ، ص ١٤٨٣

(٦)اليوم ١٥ ، الشهر ١١، السنة ١٠، الموافق ١٨، ديسمبر ١٤١٢، سجل ٨٣٤، المجلد ١٢، ص ١٦٣٩.

(٧)يوم ٨ ،الشهر ٧ ،السنة ١٣ الموافق ١٢ أغسطس ١٤١٥، سجل ٩٠٨، المجلد ١٣ ص ١٨٥٩.

٨. غادر المبعوثين من ١٦ بلدة من مملكة هرمز ليعودوا إلى بلدانهم ووهبت لهم الأموال الورقية والحرير وبالإضافة إلى ذلك أرسل الخصى القائد تشينغ خه وآخرون مع أوامر إمبراطورية وأخذوا معهم الأقمشة والحرير الجيد والشاش الحريري والمنسوجات الرقيقة لمنحها إلي ملوك هذه البلدان ولقد رحلوا مع المبعوثين. (٢)

٩. عاد الخصى القائد تشينغ خه ومن معه من المبعوثين الذين كانوا قد جاءوامن مختلف الأراضي الغربية، وهم المبعوثين من سيام وساموديرا وعدن وغيرها من البلدان ولدى عودتهم إلي بلادهم، تم منحهم المنتجات المحلية. (٣)

١٠. أرسل الإمبراطور، القائد الخصى وآخرون إلى مختلف البلدان لإعلان تعليمات إمبراطورية مفادها كما يلي: لقد قبلت بكل حزم ولاية السماء وورثت الحكم الأعظم من الأباطرة تاى زو جاد، تاس تسونج، وتشاو تسونج رن، لقد حكمت أكثر من عشرات آلالاف من الدول، وورثت الإحسان السامي من أجدادي ونشرت السلام، وقد أصدرت عفو عام لجميع من تحت السماء وأعلنت بدء عهد جوان دي و بدأ الجميع من جديد، أنتم يا من تسكنون في مختلف البلدان البعيدة عبر المحيط، لم تسمعوا حتى الآن عن ذلك، الآن أنا أرسل لكم الخصى القائد تشنغ خه ووانج جينغ حاملين إعلان بتعليماتي لكم، ويجب عليكم جميعاً احترام الأوامر والسير في طريق السماء، لرعاية شعبكم والإحتفاظ بالسلام وهكذا تتمتعون جميعاً بالسلام والإزدهار.

يقدم الحرير الملون كما يجب للحكام أو رؤساء القبائل في العشرين دولة التي يمر عليها تشينغ خه بما فيها هرمز وسريلانكا وكاليكوت وملقا وكوشين والبحرين ومقدشيو ونان بولي وساموديرا والأحساء واليمن وأرو وقان وعدن وظفار وتشوبوا وجيايي لي والآخرون كذلك الميناء القديم المشرف على المحيط الهادئ. (٤)

١١. عاد الخصى القائد تشينغ خه والآخرون الذين كانوا قد أرسلوا كمبعوثين إلى بلدان مختلفة في غرب المحيط وقدموا يالي كوناى إيه ملك سريلانكا الأسير وأفراد أسرته وكان في وقت سابق قد تم إرسال مبعوثين إلى مختلف البلدان، لكن عندما وصلوا إلى سريلانكا أهانهم ملكها يالي كوناى إيه، وعاملهم بعدم احترام ورغب في إيذاء تشينغ خه، لكن تشينغ خه عرف ذلك وغادر، وتصرف ملك سريلانكا بطريقة غير ودية مع البلدان المجاورة وسلبهم وإعتدى جنوده مراراً على المبعوثين وكانت جميع البلدان تعاني من تصرفاته.

وعندما عاد تشينغ خه مرة أخرى مر على سيريلانكا داغراه الملك ليدخل البلد وطلب من أبنه بان نا أن يطلب الذهب والفضة والأشياء الثمينة، لكنه لم يستجيب.

جرد الملك السريلانكي سراً أكثر من ٥٠٠٠٠ من القوات لنهب سفن تشينغ خه كما قطعوا جذوع الأشجار لخلق العراقيل وإعاقة طريق العودة، حتى لا يستطيع طلب مساعدة، اكتشف تشنغ خه والآخرون هذا الأمر وجمع قواته وانطلقوا ليعودوا إلى سفنهم، ومع ذلك فإن الطريق كان قد سد بالفعل، هكذا أخبر مرؤوسيه قائلاً: أن الغالبية العظمى من القوات تم توزيعها، ومركز البلد سيكون فارغ، وقال أيضاً التجار والقوات معزولة وعصبية وستكون غير المهاجمين غرضهم وهكذا، أمر الأشخاص سراً الذهاب إلى السفن عن طريق آخر مع أوامر بأن تستعد القوات الحكومية للقتال حتى الموت ضد المهاجمين.

ثم قاد تشينغ خه شخصياً ٢٠٠٠ من قواته وهاجم المدينة الملكية على حين غرة واستولوا على المدينة وأسروا يالي كو ناى إيه ملك سريلانكا وهو على قيد الحياة وأفراد أسرته الملكية والكهنة وعاد عليهم إنتصاراً عظيماً وبعد ذلك عاد تشينغ خه ومن معه إلى البلاط الملكي، وقد جمع الوزراء وطلب إعدام الملك، أشفق الإمبراطور على الملك لغبائه وجهله وضعفه

---

(١) يوم ١١شهر ٩، السنة ١٤،الموافق ١ أكتوبر ١٤١٦، سجل ٩٤٥، المجلد ١٣، ص ١٩٥٦.

(٢) اليوم ٣٠ الشهر ١ السنة ١٩ ، الموافق ٣ مارس ١٤٢١م ، السجل ١١٠٧، المجلد ١٤ ، ص ٢٢٥٦

(٣) اليوم ١٨ الشهر ٨ السنة ٢٠ ، الموافق ٣ سبتمبر ١٤٢٢م ، السجل ١١٣٤، المجلد ١٤ ، ص ٢٣٤٤

(٤) اليوم ٩ الشهر السادس السنة ٥ ، الموافق ٢٩ يناير ١٤٣٠م ، السجل ١٥٣٤، المجلد ١٩ ، ص ١٥٧٦– ١٥٧٧

وأمر بالإفراج عنه مع الآخرين والإنعام عليهم بالغذاء والكساء، وأمرت وزارة الشعائر بإختيار عضو من الأسرة ليكــون ملكاً للبلاد، من أجل التعامل مع تضحيات البلد. (١)

١٢. استعد المبعوثون من مختلف بلدات كاليكوت، جاوه، ملقا، تشمبا، سريلانكا، مقدشيو، اليمن ، نان بوولي، بولوا، عدن، ساموديرا، مالين، الأحساء، هرمز، كوشين، نان وولي، شالي وان، باهانج وكذلك الميناء القديم المشرف علــى المحيط الهادئ، للعودة إلى وطنهم ووزعت عليهم الملابس المصنوعة من الحرير الجيد وكان تشينغ خه قد أرسل بأوامر إمبراطورية لتوزيع الحرير والشاش الحريري والأقمشة الرقيقة الحريرية لمنحها لملوك هذه البلدان ولإعطاء ختم إلى(بي كه لي) ملك كوشين وتسمية جبل في البلد باسم الجبل الذي يحمي الدولة وقد كتب الأمبراطور شخصياً نقش علــى قرص على النحو التالي: التأثيرات الحضارية وتماذج السماء والأرض، كل شئ في العالم مشمول تحت إمرته هو الذي يمنح إنعام الخالق، العالم ليس لديه بنفس الطريقة ولهم نفس المشاعر والرغبات، فكيف يمكن أن ينقسموا إلى قريــب وبعيد، و الشخص العارف بحكم الشعب ينبغي أن يبذل ما في وسعه في أن يعامل الناس على أنهم أولاده.

ويذكر في كتاب odes: امتد نطاق الإمبراطورية لآلاف الأمتار من لي وهناك أستقر الشعب في حين وصلت الحدود إلى البحار الأربعة ويذكر في كتاب الوثائق: من ناحية الشرق تمتد الحدود إلى البحر، ومن الغرب الرمال المتحركة وتمتــد إلى الحدود الشمالية والجنوبية والتأثيرات الحضارية والثقافية تصل إلى البحار الأربعة، وأنا تحت ســيادة الســماء أحكــم الأراضي الصينية إلى ويو وأنني أعاملهم على قدم المساواة ولا أميز بين واحد وآخر، أنا أشجع طرق أبــاطرة الســواحل القديمة وحكمه الملوك ذوي الفكر الثاقب، وذلك أتفق مع إرادة السماء والأرض وأود أن يختار أصحاب البلاد البعيــدة والمناطق الأجنبية الأماكن المناسبة لها، فالذين استجابوا للتأثيرات وتحركوا نحو الثقافة ليسوا بمفردهم فمثلاً بلاد كوشــين بعيدة في الجنوب الغربي على شاطئ المحيط الهائل، أبعد من أى من البلدان الأخرى، لكنها منذ فترة طويلة تميل نحو الثقافة الصينية وقبلت التأثيرات الحضارية، وعندما تصل الأوامر الإمبراطورية يركع الشعب على اليدين والركبتين ويــتحمس إلى حد كبير بالإخلاص أدى إلى الولاء وبعد ذلك يتطلعون إلى السماء ويمرحون قائلين: نحــن محظوظــون لأن التــأثيرات الحضارية للحكمة الصينية وصلت إلينا، في السنوات القليلة الماضية كانت تربة البلد خصبة وكان للناس منازل يعيشــون فيها، ويوجد ما يكفي من الأسماك والسلاحف لتناول الطعام، والقماش والحرير لصنع الملابس، يعتني الأبــاء بأطفــالهم الصغار ويحترمون الكبار كل شئ يتم في رخاء وسرور، لم يحدث أى خلاف أو قمع، ولم تظهر أى وحوش في الجبال ولا شهدت أسماك ضارة، قدم البحر الكنوز القيمة وانتجت الغابات الخشب الممتاز، كل شئ كان موجوداً بوفرة وأكثر مــن الوفرة بعدة مرات في الأوقات العادية، ولم تكن هناك رياح مدمرة، لم تحدث أضرار من الأمطار، وقد تم القضــاء علــى الارتباك ولم يكن هناك شر كل هذا هو في الواقع نتيجة للتأثيرات الحضارية للحكمة التي تمتع بها سلطتنا الفاضلة، ألم يكن الشيوخ والكبار من حققوا بهذا، أنا الآن أهب كي يولي ملك البلاد ومنحته ختم ليستطيع أن يحكم الشعب وأضفت على الجبل في البلاد أنه: الجبل الذي يحمي البلد، وتم النقش على قرص سيقام على هذا الجبل، لتسجيل هذه الحقائق إلى الأبد، كما سيكون المحفور على النحو التالي: ذروة قواعد الأرض، حراس محيط هذه الدولة، تصف النار والدخان، وبذلك تجلب الازدهار العظيم إلى البلاد وبذلك تجلب المطر والشمس المشرقة في الوقت المناسب وتبعد المتاعب، وبذلك ترتفع خصوبة التربة ويدفع الشر إلى مثواه الأخير، وهي تحمي الشعب وتزيل النكبات والتنافر، فالأسرة مبتهجة معاً، والناس لديهم الكثير طوال العام، وارتفاع الجبل يماثل أعماق المحيط هذه القصيدة لتسجيل الازدهار. (٢)

١٣ - لا تشاجيانا وين والذي أرسل مع الآخرين من قبل والده زي نو لي ا بي دينج، ملك بــلاد ســاموديرا، لعــرض الإشادة بالمنتجات المحلية.وكان تشينغ خه، الذي قدم القائد الأسير سو جان لا في وقت سابق، تلقي أوامر في الذهاب

(١) اليوم ١٦ الشهر ٦ السنة ٩ ، الموافق ٦ يوليو ١٤١١م ، السجل ٧٦٢ ، المجلد ١٢ ، ص ١٤٧٧- ١٤٧٨

(٢) اليوم ١٠ الشهر ١٢ السنة ١٤ ، الموافق ٢٨ ديسمبر ١٤١٦م ، السجل ٩٥٦ ، المجلد ١٣ ، ص ١٩٦٩-١٩٧١

كمبعوث لساموديرا ومنح الملك زي نو لي ا بي دينج المنتجات المتنوعة من الحرير وغيرها من السلع. سو جان لا هو الشقيق الأصغر للملك السابق وتآخر لقتل زي نو لي ا بي دينج والاستيلاء علي العرش.

وقد غضب لأن المبعوثين لم يمنحوه ويعرضوا عليه الهدايا وهكذا قاد الجنود، الذين يبلغ عـددهم عشـرات الآلاف، لاعتراض وقتل القوات الحكومية، ولذلك قاد قواته في معركة ضد القوات الأخرى، ونتيجة المعركة أن سو جان لا قـد هزم وهرب، وتم تعقبه حتي بلده نان بو لي، وهناك تم القاء القبض عليه جنباً إلى جنب مع زوجته وأولاده في هذا الوقت قدم إمام وزارة الحرب.

وقد ذكر الوزير بن فانج: أن سو جان لا كان متمرد إلى حد كبير وينبغي تسليمه إلى المحكمة القضائية حـتى يـتم معاقبته على جرائمه، وبناء عليه، أمرت وزارة العدل بفرض العقاب وفقاً للقانون، أمرت وزارة الحرب أمـر لتسـجيل الإنجازات التي تحققت من جانب القوات الإمبراطورية في القتال، وهكذا ترقي تانج جينج، قائد مميز للحرس ووانغ هينغ، مساعد قائد، وكلاهما من قادة الميمنة في البحرية ليس تسي شيوان، قائد ميسرة جين وو، هو جبن تاو مساعد قائدي في ميسرة لونج جيانج، وها تشي، نائب قائد لحرس كوان هى وورثوا كلهم الوظائف، وتلقى لو تونج، ما جوي، تشـانج تونغ وليو هاي من كتيبة الحرس الكامل ترقيات رسمية، وما يساوي ١٤٠ شخص من ضمنهم وانج فو هيـنج تعـين في مناصب مميزة.(١)

١٤- وصل الزعيم وو باو تشي نا، ومن معه من ملقا، ووصل إلى البلاط الملكي، وقالوا أن ملك بلادهم يرغب أن يأتي إلى البلاط الامبراطوري لتقديم صداقته، ولكن ملك سيام أعاق الأمر، وقالوا أيضاً أنه لطالما رغبت سيام غزو بلادهم وأن بلدهم تريد إحياء الذكرى ولكن لا يوجد أحد يستطيع أن يكتب النصب التذكاري، في هذا الوقت، أمر الملك ثلاثة وزراء إلي المضي سراً إلى السفينة القادمة من ساموديرا لتقديم الجزية والذهاب إلى البلاط الملكي، ولقد طلبوا من البلاط الملكي أن يرسل أناس بتعليمات إلى الملك سيام بعدم قهر بلدهم مرة أخرى، وقد أمر مساعد وزير الشـعائر بجزل المكافآت إلى وو باو تشي نا والآخرين وإعادتهم إلى بلادهم بسفن تشينغ خه، وأخذ تشينغ خه أوامر وتعليمات إمبراطورية إلى ملك سيام على النحو التالي: أنا أحكم الجميع بمباركة السماء والجميع على قدم المساواة، أنت أحترمت البلاد أراضي الأمبراطورية وأرسلت مبعوثين للبلاط الأمبراطورية ومعهم هدايا ولقد سرني ما فعلته، ومع ذلك فقـد سمعنا أن ملك ملقا يريد شخصياً الحضور إلى البلاط الأمبراطوري، في رأيي بعض الحاضرين غير قادرين على التفكير العميق في الأمور، فإذا أعيقت السبل وبدأ الصراع، فكيف يمكن لمثل هذه الأعمال أن تكون وسيلة للحفـاظ علـى الازدهار؟، ينبغي عليك أيها الملك أن تطيع أوامري، وتطوير علاقات جيدة مع جيرانك، أدرس وأفهـم التعليمـات الخاصة بك ولا تتصرف بتهور أو بعدوانية، ومن ذلك الأمر يعرف أنك قادراً على احترام أوامر السماء العليا، وحماية البلاد وتعميم السلام والحفاظ على علاقات جيدة مع الدول المجاورة، وهذا يتفق مع إرادتي بالتعامل مع الجميع علـى قدم المساواة، وقال وزير الشعائر: هناك سوابق لمنح المكافآت على المبعوثين من مختلف البلدان، ومع ذلك لم يجلب(وو باو تشي نا) أي هدايا، وقال الإمبراطور: أن هذا الشخص قد أتي من الخارج وسافر مئات الأميال ليشكو من الظلم، فكيف لا تكافئه، وبناء على ذلك تم منحه الأقمشة، والحرير و الشاس الحريري والداماك الحريرية الرقيقة مثله مثـل المبعوثين الآخرين. (٢)

١٥- مساعد وزير الشعائر أحيا الذكرى: دو زونغ تسي من الآخرين ما مجموعه أربعة جنود من حرس الكتيبة الموحـدة رافقوا خلال حكم يونج لو (١٤٠٣/ ٢٤) الخصى القائد تشينغ خه عندما ذهب باعتبارهم مبعوثين لغرب المحـيط، ولكن في سريلانكا هجوموا وآسروا، الآن عادوا على متن السفينة التي أبحرت تكريماً لبعثة ساموديرا، وقال الإمبراطور أن هؤلاء الرجال الأربعة قد أبحروا بعيداً لخدمة الإمبراطور، وآباءهم، وأمهاتهم وزوجاتهم وأطفال لم يعرفوا ما إذا كان

---

(١) يوم ٨، شهر ٩ ، السنة ١٣ ،الموافق ١٠ أكتوبر ١٤١٥، سجل ٩١٤، المجلد ١٣، ص ١٨٦٩- ١٨٧٠.

(٢) يوم ٧، الشهر ٢ السنة ٦ ، الموافق ٢٠ مارس ١٤٣١م، السجل ١٥٤٨، المجلد ٢٠، ص ١٧٦٢- ١٧٦٣.

أحياء، أو أموات، وكانوا في حالة يرثي لها، ومنحت لهم الملابس، والأموال الورقية والقماش، لتمكينهم من العودة إلى قراهم لرؤية أسرهم. (١)

١٦- أحيا الخصى القائد والآخرين الذكري بقولهم: لقد تلقينا أوامر الإمبراطورية بإستعادة قصر نان جينج، وأنه ينبغي أن يستخدم احتياطي الذهب، لهذا ومن ثم أمر الظباط لشراء الإحتياطي، وأمر ان تقدم الخزانة الإمبراطورية الأموال الورقية حتى يتم شراء احتياطي الذهب بالأسعار الحالية، حتى لا يعاني الناس.(٢)

١٧- أمر أن تكون القوات الحكومية تحت قيادة القائد الخصى حارس- نان جينج. (٣)

١٨- المبعوث- يان تشيو تشنج، الذي كان قد بعث من قبل "شي" جي سون، نجل شي جين تشينج، مفتش الميناء القديمة، طلب أن يسمح لجي سون بان يرث منصب والده وكما نصح أ، يحرق الختم القديم في النيران، أمر الإمبراطور جي سون ينبغي أن يرث وظيفة المفتش، وبالإضافة إلى ذلك منحه، أغطية الرأس المصنوعة من الحرير المتشابكة مع خيوط الذهب والفضة والختم المخول له، وأمر الخصى تشينغ خه بأخذ الهدايا والمضى قدماً لتسليمها له. (٤)

٢٠-. أكتمل بناء معبد إمبراطورة السماء الجديد في جيانغ، أرسل تشو تشو، وهو نائب وزير الإمبراطورية لتقديم التضحيات وتكريس المعبد، في هذا الوقت، كان قد دعا الخصى تشنغ خه من بعثته إلى كاليكوت، ملقا ومن معه من البلدان وقال: أن الأرواح كانت تستجيب إلى حد كبير وكانت تساعد كثيراً ولهذا السبب شيد المعبد. (٥)

٢١- أحيا وزير الحرب ذكري الحرب: منذ فرار اليابانيين من فو شان، منذ ١٠ سنوات أصبحت المنطقة هادئة، إلا أنهم (اليابانيين) لم ينسوا الصين ليوم واحد، هؤلاء الأشخاص الأشرار الذين أبحروا عبر المحيط جاءوا من أكثر من مكان، ولكن ليس هناك مكان أكثر فائدة لمثل هذه الأنشطة من يوي، أما بالنسبة لتلك الأماكن تعتبر التجارة مع تلك البلدان طبيعية، في حين أن مثل هذه الأنشطة تعتبر غير عادية، ولكن هنا الحظر لا ينفذ، ولا شئ يتجاوز جيان فو، وهم لا يتصدون لليابانيين فقط ولكن أيضاً مع لوزون ومثل هذه البلدان، ومع ذلك فإن أهل لوزون ليسوا ماكرين وذوي دهاء مثل اليابانين وبالتالي لا توجد كوارث كبرى بالنسبة للوزون ومثل هذه البلدان، كانت من الأماكن التي ذهب إليها سان باو (تشينغ خه) عندما سافر إلى غربي المحيط في عهد الإمبراطور تشنج- زو (١٤٠٣- ٢٤)، بيد أن اليابانيون كانوا يقيمون في الشرق، ويجب أن لا يكون هناك أى التباس بينهما، شعوب جزر لوزون ليست متمردة، ويجب علينا أن لا ننظر اليهم بنفس الطريقة التي ننظر بها إلى اليابانيين. (٦)

مخطوطتان كتبهما القائد البحري للاسطول الصيني تشنغ خه :

المخطوطة الأولي :أسمها (في ذكري العلاقات مع البرابرة)

المؤلف zheng he نشر المخطوطة في دورية journal kou-feng تاريخ النشر أكتوبر ١٩٣٥م الصفحة من ٣٠- ٣٣ ، العدد vol.vii,no4 تحقيق الباحث الصيني cheng hao-sheng النص الاصلي موجود في كتاب يعود لاسرة مينج أسمة wu-tu wen-sui hsu-chi تجميع المؤرخ الصيني ch,ien ku وهو مؤرخ صيني عاش في فترة الامبراطور chia – ching حكم من ١٥٢٢- ١٥٦٦م وهو امبراطور متأخر في اسرة مينج ، وذلك الكتاب ضمن مجموعة كتب تاريخية تحتوي علي اغلب مخطوطات أسرة مينج وأسمها هو

---

(١) اليوم ١٢، الشهر ٦، السنة ١ ، الموافق ١٦ يوليو ١٤٢٦م، السجل ١٣٢٠، المجلد ١٧، ص٤٨٠.

(٢) يوم ٢٨،الشهر ٨، السنة ١، الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٤٢٥، السجل ١٢٦١، المجلد ١٦، ص٢١٩.

(٣) اليوم ٨ الشهر ٢، السنة ١، الموافق ٢٥ فبرير سنة ١٤٢٥، السجل ١٢١٢، المجلد ١٥، ص ٢٣٢.

(٤) اليوم ٢٧،الشهر ١ السنة ٢٢ ، الموافق ٢٧ فبراير ١٤٢٤، السجل ١١٦٢، المجلد ١٤، ص ٢٤٢٧.

(٥) اليوم ٨،الشهر ٩، السنة ٥، الموافق ٨ أكتوبر ١٤٠٧، السجل ٥٥٠ المجلد ١١، ص٩٩٤.

(٦) يوم ٦،الشهر ٨، السنة ٤٠،الموافق ٣١ أغسطس ١٦١٢، السجل ٣١٦١، المجلد ١١٨، ص٩٣٨٥- ٩٣٨٩.

ssu-k,u (ssu-k,s ch,uan-shu chen-pen) وتقع تلك المخطوطة التي كتبها تشنغ خه في الفصل ٢٨ في الصفحة من ٣٦أ – ٣٨ ب ، وطبع ذلك الكتاب في منطقة fuc-simile

تشينغ خه كتب تلك المخطوطة في ١٤ مارس سنة ١٤٣١م علي لوح من الحجر وهو موجود الأن في متحف تيان – في tien-fei ، الموجود في أقليم t,ai- tsang و ذلك قبل رحلتة السابعة و الاخيرة لاسطول الكنز الذي بعثة اباطرة المينج في الهند و الجزيرة العربية و شرق افريقيا وجنوب شرق اسيا . (١)

النص :

في العام السادس للامبراطور هوان-تي hsuan-te لعائلة مينج الحاكمةعام ١٤٣١م في العام الدائري هسيان –هي hsin-hai ، اليوم الأول ، الثاني في الربيع الموافق ١٤ مارس . (٢)

المبعوثين الرئيسيون ، الطواشي العظيم تشينغ خه، المبعوث وانج تشينج- هنج wang ching-hung و المبعوثين المساعدين الطواشي العظيم شوليارنج chu liang و الطواشي تشو فو chou fu و الطواشي هنج باوhung pao ، و الطواشي يانج تشين yang chen و الرئيس الطواشي الأصغر تشانغ تا chang- ta قاموا بأنشاء تلك المخطوطة كالتالي :القوة السحرية المعجزة الألهية لراعية البحار celestial spouse ، التي ترعي المبعوثين بالأمر الأمبراطوري وقد منحت حاميت البلده المدافعة عن الناس التي تجيب من يطلب القوةالمعجزة و التي تحفظ الأحسان و التي تنشر فوق البحر العظيم أعمالها الباره الصالحه وقد سجلت في أكثر من مره معجزاهما المشرفه في تقديم التضحيات في الفترة التي كنا فيها أنا تشينغ خه ورفقائي في بدايات فترة الامبراطور ينج-لي (يونغل) تلقينا مهمة من الامبراطور كمبعوثين للبرابرة حتي الأن سبعة مرات (سبعة رحلات) ،قد أخذنا معنا العديد من عشرات الألاف من جنود الحكومة و اكثر من مائة مركب (سفينة) تعبرالمحيطات تبدأ من تاي-تسانج ،وأخذنا البحر بطريق (تشامبا و سيام و كولم و جافا و كوتشين و كاليكوت حتي وصلنا إلي هرمز وبلاد اخري تابعة للسلطات الغربية (العرب)، و زرنا أكثر من ٣٠ بلد(مدينة) في المجموع و اجتزنا أكثر من ٣٠٠,٠٠ لي (نصف ميل)من فراغات المياة الواسعة جدا و حملنا علي امواج لها فجوات مثل افواه الحيتان و ارتفعنا عليها مرتفعين إلي السموات بلا نهاية). (٣)

شاهدنا الرذاذ المضر و الضباب الكثيف ،والرياح تكسحانحدار الامواج وفي جميع تلك التغيرات غير الثابتة لهذه الهيئة الخاصة بالمحيط عبرنا بأشرعة غير مطوية شامخة كالسحاب صباحا و مساءا ، واكملنا واجبنا بسرعة مثل سرعة النجوم ، محفظون بفضل القوة الألهية ، كيف نستطيع أن نجدعبورا أمنا عندما يحدث خطر ، فقط عندما نذكر أسم الألهة وندعوا في صلوتنا تستجيب بسرعة مثل صدي الصوت وتظهر مثل فانوس سحري عند ساري السفينة و بمجرد أن يظهر الضوء المعجزة يهدأ الخطر و يزول ، كل شخص علي متن الأسطول يجلس في راحة شاعرا بأنه لايوجد شئ مخيف بسبب الألهة عند وصولنا للبلاد القاصية البعيدة ، من بين الملوك البرابرة الذين يحاولون أن يعيقوا التأثير المتنقل للثقافة الصينية وكانوا عديمي الأدب تم القبض عليهم أحياء وكذلك اللصوص الذين أعطوا أنفسهم الحق في استخدام القوة تم أستأصلهم وتطهير البحر منهم و اهل تلك البلاد لاحظوا ذلك ، كل ذلك تم بسبب عون الألهة. (٤)

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن تلك المخطوطة يمكن الرجوع إلي

J.J.L.duyvendak: the dates of the chinese maritime expeditions in erly fifteenth century,toung pao,second series,vol.34,livr.5,1939,p341-366

(2)His – yang , Fan – kuo – chih , T.p,1933,p.342-343; His – yang , p305-311

(٣) celestial spouse هي أمرأة شابة من عائلة لين ولدت عام ٩٦٠م في مدينة مين – شو بمقاطعة بو – تيان – هسيان في اقليم فاتشين ، تقول الاسطورة أن روحها صعدت إلي السماء لكي تنقذ أخوتها من خوفهم من الغرق في البحر وذلك عام ٩٨٧م وقد كانت ترتدي فستان احمر اللون تهيم به فوق مياة البحر ، وقد أنشي معبد خاص بها في عام ١١٥٦م ، لقب بمعبد شن – تشي – مياو ، وبعد ذلك قامت تلك الروح المباركة كما تقول الاسطورة بانقاذ العديد من المسافرين ، وقد قام يونجل الامبراطور الثالث لاسرة مينج بانشاء معبد خاص بها في بداية حكمه و حول ذلك يمكن مراجعة ، T,ai – ts,ang – chou – chih , ed1919 , ch27 , p.3a ; ch,ang- lo – hsien – chih , ed1869 , ch8 , p.21b-22a ; J.J.L Duyvendak :op.cit ,p.344

(٤) ibid

لذلك كله قررنا ضرورة أنشاء نصب تذكاري للألهة و طلبنا من العرش الامبراطوري ذلك مع أقامة معبدلها علي شاطئ نهر التنين وتقديم الأضحية له ، وقد أستقبلنا بكل أحترام قرار الامبراطور بأحياء ذكري معجزات الألهة ، لذا من الواجب ان تمنح تلك الذكري المدح اللائق تكريما لقوة الألهة .

هذا المعبد في ليو-تشيا-تشيانج ، تم بنائه من سنوات مضت وقد قمنا بإعادة إصلاحة وأتينا إلي هنا في الشتاء في العام الخامس للأمبراطور هوان-تي عام ١٤٣٠م متلقين مأمورية أرسالنا كمبعوثين للبلاد البربرية لذا قمنا بوضع السفن عند أسفل النصب التذكاري و جنود الحكومة قاموا بالمساعدة بكل أحترام و أخلاص وقدموا الشعائر و القرابين . (١)

لقد قمنابعمل بعض التحسينات لمباني المعبد و العمل علي توسيعة و أعادة ترميم المباني القديمة ، كان يجب أن نعيدالبناء الخاص بالنصب التذكاري الخاص بالإله (الأخت الصغري) لجبل تشو خلف المعبد ثم قمنا بإحلال تمثال الإله في القاعة الرئيسية بتمثال أخر جديد ، الضباطو الجنود جميعهم هرولوا في سعادة إلي هنا حتي يتعبدوا وكان هناك من لم يستطيعوا أن يتحكموا في أنفسهم من الفرح بسبب الأمتنان لفضائل الألهه التي يشعر بها قلوب الرجال.

لهذا قمنا بكتابة مخطوط علي الحجر كما قمنا بإحصاء الاعوام و الشهور لرحلتنا ذهابا و إيابا حتي نجعلها معروفة للأبد:

١- في العام الثالث للامبراطور يونجل (ينج- لو)١٤٠٥م أمر الاسطول بأن يذهب إلي كاليكوت وبلاد أخري في ذلك الوقت قام القرصان تشين تسو-ين و اتباعة بالتجمع عند سان- فو- تشي (باليمبانج)، حيث قاموا بسرقة التجار من أهل البلد ، لذا قبضنا علي القائد القراصنة حي وعدنا في العام الخامس الموافق ١٤٠٧م . (٢)

٢- في العام الخامس للامبراطور ينج-لو ١٤٠٧مأمر الأسطول فذهبنا إلي كوا-وا (جافا) و كو-لي (كاليكوت) و كو-تشية (كوتشين) ، وهسن-لو (سيام) ،وملوك تلك البلاد جميعهم قدموا منتجات محلية كجزية ، الطيور نادرةو حيوانات نادرة وعدنا في العام السابع ١٤٠٩م . (٣)

٣- في العام السابع للأمبراطور ينج-لو ١٤٠٩م ، أمر الأسطول بالذهاب إلي البلاد التي زرناها سابقا و أخذنا طريقنا عبر بلدة هسن-لان-شان (سيلان) وملكها يا-ليه-جو ، لانه مذنبفقد فعل اعمال فظه ضد الأسطول وبالأشارة إلي دعوات المصلين للقوة الألهية تم أكتشاف المؤامرة وقبض علي الملك حيا في العام التاسع للأمبراطور ١٤١١م عند عودتنا قدم ذلك الملك كسجين عند الامبراطور ، وفيما بعد تلقي ذلك الملك العفو الأمبراطوري بالعودة لبلاده . (٤)

٤- في العام الثاني عشر للأمبراطور ينج -لو عام ١٤١٤م ، أمر الأمبراطور الأسطول بالذهاب إلي هو-لومو-سسو (هرمز) وبلاد أخري . (٥)

في بلدة سو-مين-تا-لا (سامودرا) قام الملك المغتصب المذنب سو-كان-لا (اسكندر) بقطع الطريق علي بلده ، لذا أرسل ملك سامودرا الحقيقي مبعوث إلي بوابات القصر الأمبراطوري حتي يقدم شكواه للأمبراطور ويطلب المساعده .لذا قمنا بمساعدة القوات الرسمية بإبادة المتمردون و القبض عليهم و بمساعدة الألهة قبضنا علي الملك المغتصب أسكندر حيا

(١) اليوم ٨،الشهر ٩، السنة ٥، الموافق ٨ أكتوبر ١٤٠٧، السجل ٥٥٠ المجلد ١١، ص٩٩٤.

(2) Xie Guian, "The input of Western appliance in the Ming dynasty and pre-modern Chinese society", Academic Monthly(Xueshu yuekan), No.8, 2003

(3) Liu Zhiqin,Discussion on the late Ming History: Rethinking the Decline and Change in the Last Phase(Wan ming shi lun: chongxin renshi moshi shuaibian), Jiangxi Universities and Colleges 2004.

(4) Wang Tianyou, Xu Kai, Wan Ming, ed., Zheng He's Voyages and World Civilization: Proceedings in Memory of the 600th Anniversary of Zheng He's Expedition(Zheng He yuanyang yu shijie wenming: jinian zhenghe xi xiyang 600 zhounian lunwen ji), Peking University2005.

(٥) راجع سجلات اسرة مينج وكذلك تاريخ اسرة مينج والاثنان تم نشرهم الاولي عام ١٩٣٣ و الثاني عام ١٩٣٥م و اما بخصوص رقم الصفحة فتم تقسيمها إلي a و b تماما مثل بعض المخطوطات العربية عندما نجد أ، ب ، وقد قام العالم الكبير تابليت T.P بنشر وثائق و تاريخ اسرة مينج.

; Ming – shih,ch6,5b,T.P,1933,p.292Ming – shi – lu, ch86,3a,T.P.1935,p.285

وفي العام الثالث عشر ١٤١٥م عند عودتنا قدمنا ذلك الملك كسجين لدي الأمبراطور وفي ذلك العام أيضا قدم الملك مان-لا-تشيا (مالقا) مع زوجتة وابنه لدي الامبراطور لتقديم الجزية .

٥- في السنة الخامسة عشر للأمبراطور ينج-لو ١٤١٧م بقيادةالأسطول قمنا بزيارة المناطق الغربية بلدة هو-لو-مو-سسو (هرمز)، فقدموا الأسود و الفهود و الذهب و الخيول الغربية (العربية).

بلدة آ-تان (عدن) قدمت تشي-لين واسمة الأصلي تو-لا-خا (جيرافي)مثل حيوان طويل القرن ما- ها (أوكيس). وبلدة مو-كو-تو-شو (مقدشيو) قدموا هوا-فو-لو (الحمار الوحشي المخطط) ،كما قدموا الأسود أيضا .

بلدة بو-لا-وا (براوه) قدمت جمالا تجري ألف لي و أيضا طيور الأبل (النعام)، وبلدة كوا-وا (جافا) و كو-لي (كاليكوت) قدموا حيوان من-لي-كاو وجميعهم قدموا منتجات محلية شعبية لم يسمع عنها من قبل.

ملك كاليكوت أرسل خالة وأخية الأصغر حتي يقدموا خطاب الطاعة للأمبراطور مكتوب علي أوراق الذهب (رقائق الذهب)كجزية للأمبراطور . (١)

٦- في العام التاسع عشر للأمبراطور ينج-لي ١٤٢١م ذهبنا بالأسطول لتوصيل السفراء القادمون من هو-لو-مو-سسو (هرمز)و البلاد الأخري ، لقد كانوا متواجدين في العاصمة لمدة طويلة ، عائدين إلي بلادهم بعد أن قدموا نيابة عن ملوكهم الجزية عبارة عن منتجات محلية أكثر من السابق بكثير . (٢)

٧- في العام الخامس للأمبراطور هسوان-تي ١٤٣٠م أمرلانا بالذهاب لبلاد البرابرة ،لذا رسا الأسطول الامبراطوري عند نهاية نهر التنين عند المزار (النصب التذكاري) ، وتذكرنا كيف كنا سابقا في العديد من المناسبات نتلقي حماية و حكمة الألهه ، لذا قمنا بالنقش علي ذلك الحجر . (٣)

المخطوطة الثانية :

المؤلف : تشينغ خه

العنوان : فو- تشيان رين – هوا ، fu-chien wen-hua ch,i-tz,u hsia his-yang nien- yuen k,ao-cheng ومرفق مع المخطوطة خريطة استعان بها تشينغ خه في رحلاته واكتشف المخطوطة رجل يدعي وانج بو-تشيو wang po-ch,iu وهو موظف حكومي في البلاط الامبراطوري والجدير بالذكر أن تشينغ خه قد كتب المخطوطة في الفترة من ٥ديسمبر ١٤٣١محتي ٣ يناير ١٤٣٢م. (٤)

حقق تلك المخطوطة ونشرها المؤرخ الصيني تشين –ين-مينج chin yun-ming في دورية الجامعة المسيحية (فاكيان) في منطقة فوتشو، jurnal of the Fukien Christian university at foochow وتم نشرها في العدد ٢٦ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٣٧م من الصفحة ١-٤٨ .بعناية الدكتور جودريتش من جامعة كولومبيا . (٥)

النص :

تسجيلا للاستجابة إلي المعجزة الألهية للألهه clesetial spouse، أسرة الأمبراطور مينج الحاكمة في توحيد البحار و اليابسة مجاوزا الأسر الحاكمة الثلاثة حتي ذهبوا أبعد من أسرة هان و تانج الحاكمة . البلاد البعيدة من الأفق و الواقعة في

---

(1) Ming – shi – lu,ch103,6b-7a,p.287; Ming – shih , ch7,2b,p.294

اما بخصوص العودة من الرحلة الخامسة فراجع تاريخ اسرة مينج و سجلات اسرة مينج في صفحات

Ming – shi – lu ,ch114,3b,p.288-289; Ming – shih ,ch 7,3a,p.294- 295

(2) Ming – shi – lu , ch123,9b,p.290; Ming – shih,ch7,3b-4a,p.299

(3) Ming – shi- lu ,ch128,3b,p.290-291; Ming –shih ,ch7,5a,p.301

(4) zheng he : ch,I – tz,u hsia his –yang nien- yueh k,ao- cheng , fu- chien wen- hua ,chin yun – ming, journal of the Fukien Christian university at Foochow , vol 26, December 15 th , 1937,p.1-48 .

(5) ibid

نهايات الأرض أصبحوا جميعهم خاضعين و الأكثر غربا من الغرب نفسه و التي في أقصي بعد من الممكـــن أن يكـــون ، المسافات و الطرق من الممكن أن يتم حسابها . (١)

لهؤلاء البرابرة فيما وراء البحار بالرغم من أن بلادهم بعيدة حقا قد أتت بالأجماع حاملين المواد الثمينـــة و الهـــدايا، الآمبراطور تصديقا لولائه و أخلاصه ، قد أمرنا نحن تشينغ خه و الأخرون كقادة علي رؤوس العديد من عشرات الألاف من الضباط أن نصعد علي سطح أكثر من ١٠٠سفينة كبيرة لنذهب حتي نمنح الهدايا لهم، ونظهر قوة الأمبراطور ونعامل الناس البعيدون معاملة طيبة . من العام الثالث للأمبراطور ينج–لو ١٤٠٥م حتي الأن أستقبلنا سبعة أوامر أمبراطورية للسفر إلي بلدان المحيط الغربي و الشعوب البربرية التي زرناها : تشانج – تشينج (تشامبا) ، تشاو–وا (جافا) ، سان –فـــو – تشي (باليمبانج) ، هسيان – لو (سيام) ، عابرين في المحيط باستقامة فوق هسي –لان – شان (سيلان) في جنـــوب الهند ، كو –لي (كاليكوت)، كو–تشية (كوتشين) ، لقد ذهبنا إلي المناطق الغربية (العربية) هو–لو–مـــو –سســـو (هرمز) ، آ– تان (عدن) ، مو–كو–تو–شو (مقدشيو) ، جميعهم سويا أكثر من ٣٠بلد كبير و صغير. (٢)

لقد عبرنا أكثر من ١٠٠,٠٠٠ ليمن المسافات المائية الواسعة ، وقابلنا أمواج عظيمة تشبة الجبـــال وترتفـــع لتصـــل للسحاب ، لقد وضعنا عيوننا علي المناطق البربرية البعيدة المختبئة في المياة الزرقاء و الضباب ، ذلك بينما كانـــت أقلعـــة أشرعة السفن غير مطوية بإرتفاع تشبه السحاب صباحا و مساءا يستكملون مهمتهم في سرعة مثل النجوم حتي عبرت تلك الامواج المتوحشة كأنها تمشي في طريق واضح (عمومي).

ونحن مدينون في ذلك لحماية وفضل الألهة(clesetial spouse) ، قوة الألهة ظهرت بوضوح في وسط الميـــاة المتزاحمة ، وعندما كان هناك أعصار ظهر فانوس عالي يلمع فوق الساري ، وبمجرد ظهور الضوء المعجزة ذهب الخطر ، وحتي عند ظهور أحساس بالغرق يشعر المرء بأنه متأكد من عدم وجود خوف . (٣)

عندما وصلنا للبلاد البعيدة قبضنا علي المغتصبين من أهل الملك أحياء وقضينا علي السارقين البرابرة ، الذين يعملـــون بالقرصنة ، وبعد ذلك أصبح الطريق في البحر نظيفا و هادئا ، وشعوب تلك البلاد البربرية وضعوا ثقتهم بنا وكل ذلـــك بفضل الألهه. وليس من السهل أن نحصي بشكل كامل كل الأحوال التي أستجابت فيها الألهه للمصلينو الداعيين و أنقذتنا . سابقا وفي ذكري الرحلات التي ذهبنا فيها سجلنا أفضالها وقدمنا القرابين في معبدها الـــذي تم بنائـــه عنـــد نـــاكينج naking علي شاطئ نهر التنين حيث يجب أن تنقل طقوس تقديم القرابين و مراسم الأضاحي إلي هناك بإنتظام للأبد . (٤)

لقد تقبلنا بكل أحترام إقامة الأحتفال لتمجيد الألهه، وبما أن القوة المعجزة للألهه تسكن في أي مكان يذهب إليه المرء ، فإن المعبد القديم علي الجبل الجنوبي في منطقة (تشانج– لو) ،تم رسو الأسطول عنده لأنه عادة ما يرسو هناك في أنتظار الرياح الطيبة المواتية حتي نستطيع أن ننصب أشرعة السفن في المحيط .

هناك وفي العام العاشر للأمبراطور يانج – لي ١٤١٢م كتبت تقرير للذكري بأن هذا المكان تحديدا تصلي فيه القوات الحكومية للأسطول ، وذكرت في التقرير نجاح الأسطول الذي أصبح مكتملا علي الجهة الأخري للبلاد البربرية .

كان المعبد القديم يوجد علي الجبل الجنوبي المدعو pagoda ، كان مبني قديم وعظيم إلا انه كان مهمـــل لدرجـــة كبيرة وبعض أجزائه مهدمة ، لذلك قمنا في كل رحلة من رحلات الأسطول للبلاد الغربية من أجراء بعض التصليحات ، وبعد عدة رحلات للأسطول أصبح المعبد في حالة جيدة ، القاعات الرئيسية و غرف العبادة أصبحت تتجاوز بشكل كبير المستوي السابق لها . (٥)

---

(1) J.J.L Duyvendak : op.cit ,p. 344-345

(2) Fan Shuzhi, *The History of the Late Ming*(*Wan ming shi*), Fudan University 2003.

(٣) اليوم ٨،الشهر ٩، السنة ٥، الموافق ٨ أكتوبر ١٤٠٧، السجل ٥٥٠ المجلد ١١، ص٩٩٤.

(4) Sally K. charch : zheng he , monument serica , journal of oriental studies , vol.liii, 2005,p.1-42

(٥) اليوم ٨،الشهر ٩، السنة ٥، الموافق ٨ أكتوبر ١٤٠٧، السجل ٥٥٠ المجلد ١١، ص٩٩٤.

هذا العام في الربيع ، سغن الأسطول الموجودة في الميناء قامت بإصلاح قاعات المعبد و أماكن الألهه و أصبحت ذات بهاء ورونق رائع ،بعد ذلك عزمت أنا (تشينغ خه) أن أكون مشرف علي رأس البناء لقاعة فخمة وثلاث قاعات أخري رئيسية بشمال المعبد ، وأصبحنا نمتلك صورا جديدة و جميلة للألهه منحوته و مزخرفة علي جدران المعبد ، حتي نوفر لــه بشكل كامل جميع الأجراس و الطبول و الأضاحي و القرابين. (١)

لقد أعلن في المعبد أننا جميعا الأن نخدم الألهه بأقصي تبجيل من القلب في السموات و الأرض ، لذا فأن جميع المبادرات السعيدة أتت إلي هنا كي تساعد في أنشاء المباني الكبيرة و الجميلة ، و البقيه سوف تستكمل في فترة ليست بالطويلــة ، السقف المدهون مرتفع إلي السحاب في منظر مؤثر أشجار الأناناس تنتشر بكثرة ذات لون أخضر و كذلك الغاب الهندي الذي يقف فوقه الطيور ذات الريش الأزرق الذي يعطي ظلا مبهج علي الجهة الأخري، الألهه الأن لــديها دار (معبــد) آمن،الرجال الأن يشعرون بسعادة وبالتأكيد هذه علامة مميزه أن يستقبل الجميع المكان بسعادة و توفيق ، كل الجنود هنا يخدمون قائدهم ويبذلون الجهد ليظهروا ولائهم ووقتها كل الجهود تكلل بالنجاح لأنهم أستطاعوا أن يخدموا الألهه بأقصي أخلاص ولذلك صلاتهم سوف تستجاب. (٢)

أنا تشينغ خه و الأخرون أستقبلنا الفضل الكبير من المهمه الرحيمة للأمبراطور المقدس الخاصة بالرحلات ، ومن ناحيه أخري حملنا للبرابرة البعيدون فوائد الأحترام و العقيدة السليمة علي الجزء الذي يخصهم، مطالبين الجنود علي الأسطول أن يكونوا مسئولين عن كمية المال و البضائع النفيسة أمام الرياح القاسية و الأيام الطويلة ، لأن الرجل إذا خاف لن يستطيع أن ينجوا بحياته .

نحن سنخدم أسرتنا الحاكمة بكل جهد وولاء وكذلك الألهه بأقصي أخلاص لأنها مصدر السكينة للأسطول و القوات طوال الرحلة ذهابا و إيابا ، لذلك كتبنا قائمة بفضل الألهه علي ذلك الحجر كما سجلنا السنين و الشهور للرحلات إلي البلاد البربرية و العودة أيضا ، حتي نترك الذكري إلي الأبد .

١- الرحلة الأولي في العام الثالث للأمبراطور ينج – لو ١٤٠٥م ، مطالبــا الأســطول أن يــذهب إلي كــو –لي (كاليكوت) و البلاد الأخري . في ذلك الوقت قام القرصان تشين – تو –يي بتجميع أعوانه في بلدة سان –فو-تشــي (باليمبانج) ، حيث قام بنهب أهلها التجار عندما كأن قادما لمواجهة أسطولنا ، جنود فوق العادة سريون جاءوا للإنقاذ ، لذلك بعد دق الطبول تم إبادتهم، وفي العام الخامس (١٤٠٧م) عدنا. (٣)

٢- في العام الخامس للأمبراطور ينج –لي ١٤٠٧مبقيادة الأسطول ذهبنا إلي تشاو-وا (جافا) ، كو-لي (كاليكوت) ، كو-تشيه (كوتشين) ، هسيان – لو (سيام) . ملوك تلك البلاد جميعا قدموأأشياء ثمينة كجزية ، وكذلك طيــور و حيوانات نادرة ، وفي العام السابع ١٤٠٩م عدنا . (٤)

٣- في العام السابع للأمبراطور ينج – لو ١٤٠٩م ، أنا تشينغ خه قائد الأسطول ذهبنا إلي البلاد التي زرناها من قبل و أخذنا طريقنا بعد ذلك إلي بلد هسي –لان – شان (سيلان) ملكها يا-ليه-كو-ناي-ايره ، كان مــذنبا لإفتقــادة الأحترام وتدبير المؤمرات ضد أسطولنا ونتيجة العناية الإلهيه تم أكتشاف المؤامرة و القبض عليه حيا وفي العــام التاســع

(1)Zhang Xianqing, Lin Jinshu:*The Political History of Ming Dynasty*(*Mingdai zhengzhi shi*), Guangxi Normal University , 2003.

(2)Zheng Yijun, *Collection of Documents on Zheng He's Voyage(Enlarged edition)*(*Zheng He xia xiyang ziliao huibian(zengbian ben)*), Press, 2005, P.1-65

(٣) اليوم ١٥ الشهر ١١ السنة العاشرة ، الموافق ١٨ ديسمبر ١٤١٢م ، السجل ٨٣٤ ، المجلد ١٢ ، ص ١٦٣٩

(4)Zheng Yijun, *The Full Biography of Zheng He*(*Zheng He quan zhuan*), Chinese Youth 2005.

١٤١١م عدنا وقدم ذلك الملك للعرش الأمبراطوري كسجين ، وفيما بعد تلقي عفوا امبراطوري بالعودة إلي بلادة . (١)

٤- في العام الحادي عشر للامبراطور ينج – لي ١٤١٣م وتحت قيادتي للأسطول ذهبنا إلي هو-لو-مو-سسو (هرمز)، وبلاد أخري . في بلدة سو –مين –تا-لا (سومطرة) كان يوجد ملكا مذنبا أسمه سو –كان –لا (أسكندر) الـــذي نهب وتعدي علي بلده ، ملكها الأصلي تساي-نو-لي-آ-بي-تينج (زين العابدين) أرسل زين العابـــدين مبعـــوث إلي البوابات الأمبراطورية حتي يقدم مظلمته ، لذا ذهبنا هناك ومعي القوات الرسمية خاصته تحت قيادتنا ، و أبدنا المغتصـــبين وقبضنا علي المتمردين وبمساعدة الألهه تم القبض علي اسكندر حيا وفي العام الثالث عشر ١٤١٥م عدنا وقدمنا اســـكندر سجين لدي الأمبراطور .

وفي نفس العام أتي ملك بلدة مان-لا-تشيا (مالقا) شخصيا هو وزوجته و ابنه حتي يقدموا الجزية بأنفسهم . (٢)

٥- في العام الخامس عشر للأمبراطور ينج – لي ١٤١٧م و بقيادة الأسطول زرنا المناطق الغربية ، بلدة هرمز الـــتي قدمت الأسود و الفهود و قطع ذهبية وخيولا غربية (عربية)ضخمة .

بلدة آ- تان (عدن) قدمت تشي- لين واسمة الأصلي هو- تسو – لا –فا ، كما قدموا أيضا حيوان وحيد القرن ، بلدة مو-كو-تو-شو (مقدشيو) قدموا هوا-فو-لو (حمار وحشي مخطط) وايضا قدموا الأسود .

بلدة بو-لا-وا (براوه) قدمت إبلا تجري ١٠٠٠ لي ، كما قدموا طيور الإبل (النعام) ، بلدة تشـــا-وا (جافـــا) و كو-لي (كاليكوت)قدموا حيوان من-لي-كاو (محار اللؤلؤ)، جميعهم تنافسوا في تقديم مواد عجيبـــة و كنـــوز جميلـــة موجوده في الجبال او الرمال او الشواطئ .

بعض ملوك تلك الدول أرسلوا أقاربهم مثل الأخوال أو الأعمام أو الإخوه حتي يقدموا خطابا بالطاعـــة للأمبراطـــور مكتوبا علي رقائق من الذهب كدليل علي الجزية . (٣)

٦- في العام التاسع عشر للأمبراطور ينج –لي ١٤٢١م قمنا بتوصيل سفراء هرمز و البلاد الأخري التي حضـــرة إلي العاصمة لفترة طويلة عائدين لبلادهم . ملوك جميع تلك البلاد أحضروا هدايا و جزية أكثر من السابق . (٤)

٧- في العام السادس للأمبراطور هسوان – تي ١٤٣١م مرة أخري قمت بقيادة الأسطول وهممنا للذهاب إلي البلاد البربرية حتي نقراء عليهم فرمان الأمبراطور ونمنحهم الهدايا .

لقد رسونا في هذا الميناء ننتظر الرياح الشمالية لنأخذ البحر وننطلق ، ووقتها تذكرنا كيف سابقا تلقينا رعاية و حفظ الألهه في العديد من المناسبات لذلك قمنا بتسجيل مخطوطة علي الحجر.

العام السادس للأمبراطور هسوان – تي ، في الشهر الثاني للشتاء (٥ديسمبر١٤٣١ – ٣ يناير ١٤٣٢م) في يوم سعيد أقام المبعوثون الرئيسون ، الطواشي العظيم تشينغ خه و الطواشي وانج –تشينج – هنج ، و المبعوثـــون المســـاعدون ، الطواشي لي – هسينج ، و الطواشي تشو ليانج ، و الطواشي تشو –مان ، و الطواشي هنج –باو ، والطواشي يـــانج-تشين ،و الطواشي تشانج تا ، و الطواشي وو- تشينج ، و القادة تشو – تشين ، و وانج – هينج .

الراهب الساكن رفيع المترلة يانج- يي – تشو ، و أسمة الديني تشينج –يي (صحيح واحد) ،حني رأسة لإسفل و توسل لإقامة ذلك الحجر. (٥)

---

(1) Wang Tianyou, Wan Ming, ed., *Selected Papers on Zheng He in the last Century*(*Zheng He yanjiu bainian lunwen xuan*), Peking University ,2004.

(2) Ming – shih , ch 6 , 5b, p.292

(3) Ming – shih , ch 7 , 3a, p.295 Ming – shih , ch 7 , 2b, p.294 ;

(٤) Ming – shi – lu , ch103 , 3a , T.p , 1935 , p.286-287 حيث ذكر في وثائق اسرة مينج ان سبب تلك الرحلة هـــو امـــر الامبراطور الي قائدة تشينغ خه بمصاحبة السفراء البلدان الغربية العائدين لبلادهم و ذلك لحمايتهم في الطريق وكذلك لتقديم الهدايا لملوكهم ومنهم ملوك عدن و هرمز وظفار و شرق افريقيا .

(5)zheng he: ch,I – tz,u hsia his –yang nien- yueh k,ao- cheng, fu- chien wen- hua , p 48 .

المؤلف : فايسين (فاهسين) (١) –Fei Xin 費信- عنوان الكتاب :–تشا شينغ شينغ لان – اللغه صينية تم سنة ١٤٣٦ – عنوانه معناه "المسح الشامل للنجمة الطوافة "

والجدير بالذكر أن هناك رجل اخر اسمة ماهوان كان يعمل مترجم للغة العربية قد صاحب فاهسين في حملات الاسطول الصيني لمياة الخليج العربي و البحر الاحمر وزار ايضا المقدسات الاسلامية في الحجاز وكتب عن تلك الرحلة ايضا مثل فاهسين و قد اطلق ماهوان علي رحلته أسم مشاهداتي في شواطئ المحيط الظافر وقد ترجمه الاستاذ الدكتور / ابراهيم خوري رحمة الله في بحثه معتمد علي ترجمة المستشرق الانجليزي مايلز لكتاب ماهوان والذي نشرته جامعة كامبيردج عام ١٩٧٠م وقد جئت به هنافي حواشي وتعليقات فاهسين للافادة ومن أجل المقارنه مع نصوص صديق رحلته فاهسين حتي يلم الباحث العربي بأكبر قدر من النصوص الصينية عن الخليج و شبة الجزيرة العربية . (٢).يذكر فاهسين مناطق عدن و هرمز و مكة و ظفار اثناء رحلاتة مع تشينغ خه فيقول في كتابة المسح الشامل للنجمة الطوافة.

عــــدن: تقع مملكة عدن على ساحل البحر (باب البحر) بنيت أسوار المدينة من الصخور والمنازل من طبقات من الحجارة (الاحجار المرجانية)وهى على أرتفاع ثلاث أو أربع طوابق يوجد المطبخ وغرف النوم فى الاعلى ,وعن عاداتهم الاجتماعية فهى جيدة والجميع يعيش فى أزدهار وغنى والنساء والرجال يربطون شعورهم (يغطون شعورهم) ويرتدون قميص (جلباب) طويل وعندما تخرج المرأة تلبس على وجهها شاش أزرق لتخبى وجهها كما يلبسون على رؤسهم على قطنية حتى لايتعرضن لمعرفة أشكالهن ,كما أنهم يرتدون فى شحمة اذنهن بعض العملات الذهبية وأيضاَ حول أعناقهن كما

---

(١) فاهسين لقبة قونغ شياو من واليد منطقة كونشان وهو مسلم من قومية هوي ، رافق البحار القائد تشينغ خه في رحلاتة الاربعة الاخيرة للمنطقة العربية في الخليج و البحر الاحمر ، اليمن و الحجاز ، وذلك بسبب اتقانة اللغة العربية وقد سجل فاهسين ملاحظاتة عن البلدان التي زارها بصحبة الاسطول الصيني ، ووضع الملاحظات في كتاب اطلق علية اسم مشاهدات النجمة الطوافة ،وايضا هناك اسم اخر للملاحظات و هو الاكثر شهرة (المسح الشامل للنجمة الطوافة) ولد فاهسين عام ١٣٨٨م من اسرة متوسطة الحال وانخرط في الخدمة العسكرية في سن ١٣ عام و اختاره تشينغ خه في رحلاته وعمره ٢١ عام في الرحلة الرابعة و الخامسة و السابعة ، وكتب عملة عام ١٤٣٦م وكتابه صغير جدا حجمة حوالي نصف كتاب ماهوان رفيقة في الرحلات الصينية لدول الخليج العربي ، ولكن رغم صغر حجم الكتاب الا انه يحتوي علي وصف ٤٥ منطقة و شعب ، اما ماهوان فقد وصف حوال عشرون منقطة فقط، راجع ابراهيم فنغ جين يوان : الاسلام في الصين ، ترجمة محمود لي هوين ، دار النشر باللغات الاجنبية ، بكين ١٩٨٨، ص ١٥٩، وقد ترجمت النصوص الخاصة بشبة الجزيرة العربية و الخليج في كتاب فاهسين من اللغة الصينية إلي اللغة العربية ، وقد ساعدني عدد من العلماء المحترمين في ذلك فلهم الشكر و العرفان،اما النسخة التي اعتمدت عليها فهي موجوده في مكتبة جوتنبرج اللالمانية وقد حصلت عليها في ٣ يناير عام ٢٠٠٨م ورقم الكتاب ٢٤١٤٣ و عدد ورقاته عشرة فقط.

Fei xin 費信 :Xing Cha Sheng Lan 星槎勝覽 ,p.1-10

(٢) Ma Huan 馬歡

البحار المترجم المسلم ماهوان ، لقبه تسونغ داو و كنيتة روتشين و له ايضا كنية اخري هي هويجي شان تشياو ، من مواليد هويجي بمقاطعة تشجيانغ ، و ينتمي إلي قومية هوي ، تعلم اللغة العربية فسهل علية ذلك الألتحاق بأسطول تشينغ خه ، خلال رحلتة البحرية للبلاد العربية تحديدا في رحلاته الرابعة و السادسة و السابعة ، و قد تعرف ماهوان علي عادات و تقاليد تلك الشعوب التي زارها بالاضافة إلي المعلومات الجغرافيه و التاريخية ، وقد تخصص ماهوان بترجمة رسائل المبعوثين العرب لبلاط الامبراطور الصيني ، كما كان من مهامه مقابلة الحكام العرب في سفرياته الثلاث مع تشينغ خه .وقد وصف ماهوان نفسة في كتابه بأنه ساذج وحطاب جبلي وهو اسلوب متبع في تلك الفترة من طرف الكتاب ينم عن التواضع ، كما ذكر في مقدمة كتابة أن رحلاته للبلدان الغربية كانت فرصة رائعة تتاح كل ألف عام ، وقد بدأ كتابة بقصيدة رائعة قال فيها (تلقي المبعوث الامبراطوري المجيد الوصايا اللالهية ، وأطلق في الخارج الأصوات الحريرية ومضي إلي أراضي البرابرة) والجدير بالذكر أن ماهوان ذهب برحلاته إلي شبة الجزيرة العربية وكان عمرة وقتها في العقد الخامس اي في مرحلة النضوج العقلي ، لذا تميزت تعليقاته بالرصانه و التحديد ،راجع

Ma huan : Ying – yai Sheng – lan , The overall survey of the ocean,s shores 1433,translated J.V.G.Mills,Hakluyt Cambridge university1970,p.3-28 ; وهناك طبعة اقدم وادق هي طبعة شنغهاي عام ١٩٣٥، وكذلك طبعة اخري في بكين عام ١٩٥٥ لكن ما يميز طبعة مايلز هو تبسيطة لبعض الرموز و المصطلحات التي تقف عقبة لغير المتخصص في معرفتها .اما عن تفصيل حياة ماهوان فيمكن الرجوع إلي ،ابراهيم فنغ جين : الاسلام في الصين ، ص ١٥٨، ريتشارد هول : امبراطوريات الرياح الموسمية ، ص ١٣٢-١٣٣.

يربطون شيلان حول عنقهن .والمنتجات المحلية بعدن الخرفان (للاغنام) التى يتدلى منها تسعة صدور أى٩ أجزاء والـــذى يسمى بخراف التسع ذيول ,كما يوجد ألاف الجمال والحمير التى بها خطوط سمراء (الحمر الوحشيه) وكـــذلك(النعـــام)والفهود, والعملات التجارية من الذهب والفضة ,والبضائع التى يأخذونها من الصين هى الحرير الملون والخزف الابـــيض والازرق وخشب الصندل والفلفل والتوابل .يتوفر العشب فى جميع أرجاء المدينة وهناك الخراف التى يتدلى منـــها تســـع صدور من الرأس حتى الذيل , كما يوجد بالمدينة جميع أنواع التعدين والحرف وهى من أملاك ملك اليمن (صنعاء) . (١)

---

(١) فاهسين : المسح الشامل للنجمة الطوافة ، ص ١٧، ويذكر ماهوان رحلتة إلي عدن مع فاهسين و القائد تشينغ خه فيقول ، بلاد عدن:

إذاأقلعت السفينة من بلاد كولي (كاليكوت)، واتجهت إلى الغرب، تصل إلى عدن بريح مولمةفي غضون شهر قمري. وتقـــع هـــذه البلاد قرب البحر وتبتعد كثيراً عن الجبال.وعدنغنية ومكتظة بالسكان، ويدين جميع أهلها بالإسلام، ويتكلمون اللغـــة العربيـــة، ويميلونـــإلى الغطرسة.ولديهم جيش قوي قوامه سبعة آلاف أو ثمانية آلاف رجل بين خيالةورجالة، حسنيّ التدريب. إذن هذه البلاد منيعة جداً وتخشـــاها الدول المجاورة لها.وفيالعام التاسع عشر من حكم يونجل أمر هذا الإمبراطور أن يحمل "لي"، مبعوثهالعظيم وكبير الخصيان، وغـــيره مرســـوماً سامياً، ويمنح ملك عدن وزعماءها كسوة وعمامة .فلما وصلوا إلى سومنتالا، انقسم الأســـطول الصـــيني، وقصـــد الخصـــي شـــو عـــدن وبإمرتهمراكب كنوز عديدة، وبلغها.وعندما سمع ملك عدن بوصول المبعوث الصيني، خرج إلى الشاطئ يصحبهأعيان كبار وصغار، واستقبله، وقَبل المرسوم الإمبراطوري وسُر بالهدايا الصينية،وأقام له حفلة ترحيب في قصره بكل احتـــرام وتواضـــع.وبعدالانتـــهاء مـــن تـــلاوة الإرادة الإمبراطورية، أصدر ملك عدن أمراً إلى أهل بلاده يسمحفيه لمن يمتلك سلعاً ثمينة أن يبيعها أو يقايضـــها. وهكـــذا اســـتطاع الصـــينيون أن يشترواالجواهر الكبيرة المسماة "عيون القطالتي تزن الواحدة منها حوالي شينين (١١٥قمحة) وجميع أنواع اليواقيت والحجارة الكريمة النـــادرة واللآلئ الضخمة، وكثيراً منجذوع شجر المرجان التي يبلغ طولها شيحين (٢٤.٤ انش). وملأوا خمسة صناديق بأغصانالمرجان وأشياء أخـــرى مثل العنبر الأشهب وماء الورد. وابتاعوا زرائف وأسوداً وحمرالزرد ونموراً مرقطة ونعائم وحماماً أبيض، ونقلوا جميع ذلك إلى الصين.

ويتعمم ملك عدن بعمامة ذهبية، ويرتدي ثوباً أصفر، ويتمنطق بمنطقةمرصعة بالجواهر. وعندما يحل يوم الصلاة (الجمعة) ويذهب إلى الجامع، ليصلي، يبدلهندامه، ويعصب رأسه بعصابة بيضاء ناعمة أجنبية، ويضع فوقها منديلاً مطرزاً بالذهب .ويرتدي ثوباً أبيض. ويتجـــه إلى الجـــامع راكباً عربة وتصحبه تجريدة من الجنود.ولكلمن أعيان عدن عمامة وثياب خاصة حسب مكانته الاجتماعية.ويختلف لباس الرجال في هذه البلاد عن لباس النساء. فالرجال يتعممون،ويرتدون سحلاً من القطن أو ثوباً من الصوف أو من الحرير القنبي المطرز الأنيق أوأمثالها مـــن الأكســـية. ويلبسون بأرجلهم جزماً أو أحذية.

أماالنساء فيرتدين كساء طويلاً، ويضعن صفاً من الحجارة الكريمة واللآلئ حول أعناقهنوعلى أكتافهن, فيشبهن آلهة الرحمة كوان ين بلباسهن. ويعلقن بآذانهن أربعة أزواج منالدوائر الذهبية المرصعة بالحجارة الثمينة. ويلبسن خواتم في أصابع أرجلهن ويغطينرؤوسهن بخمار حرير مطرز لا يظهر منه إلا وجههن.وجميعمن يصوغ حلي خالصة من الذهب والفضة ويرصعها، يصنع أروع وأدق المصـــاغات الـــتي لـــيس لهامثيـــل في العالم.وعندهم أسواق وحمَّامات عامة ومطاعم ومخازن تبيع حريراً وأقمشة حريروكتباً وسائر السلع. وهذه كلها متوفرة لهم.ويسكالملك عملـــة من الذهب الأحمر تسمى فولولي، وتزن القطعة منها شين واحداً (٥٦، ٥٥قمحة)، وترى على ظهرها كتابة واضحة. ويســـك أخـــرى مـــن النحاس تسمى فلوساً من أجل دفعثمن الصفقات الصغيرة.

ومناخهذه البلاد حار دوماً مثل مناخ الشهر القمري الثامن والتاسع.ويحددأهل عدن الأيام والشهور ، ويقسمون سنتهم إلى اثني عشر شـــهراً. وليس لديهم أشهر طويلة وأشهر قصيرة. ومتى رأى أولو الأمر منهم الهلال في أحد الليالي، بدأ أولالشهر من اليوم التالي. إلا أن تواريخ بـــدء الفصول الأربعة ليست ثابتة.ولديهم علماء هيئة يحسبون بدء الفصول. فيحددون مثلاً أحد الأيامليدء الربيع، فتتفتح الأزهار فعـــلاً في ذلـــك اليوم. ويعيِّنون أحد الأيام لمطلعالخريف، فتتساقط أوراق الأشجار فيه. ويحددون بدقة أوقات حدوث الظواهر الجويةوالبحرية، مثل الكســـوف والخسوف والمد وهبوب الرياح وهطل المطر والبرد والحر.مافيما يتعلق بالأطعمة والأشربة، فعندهم جميع أنواع دقيق الارز والقمح.ويخلطأناس كثيرون منهم الحليب والقشدة والسمن والسكر والعسل ويأكلون هذا المزيج.ويتوفر لهم الأرز المقشور وغير المقشور وأصـــناف الفاصـــولياء والحبوبوالشعير والسمسم وسائر الخضار. أما الثمار، فعندهم منها أصناف مثل التمور الفارسيةوالصنوبر واللوز والتفـــاح والرمـــان والـــدراق والمشمش والزبيب والجوز.ولديهم فيلة وإبل وحمير وبغال وثيران وماعز ودجاج وبط وقطط وكلاب .لكن ليس لديهم خنازير أو أوز. وليس لغنمهم قرون، وصوفه أبيض، وعلى رأسه هلبتان منالصوف الأسود تشبهان خصلتي الشعر على رأس الطفل الصيني–، وله كيس تحت العنـــق مثلالثور. وصوفه قصير مثل الكلاب. وذنبه كبير بقدر طست الغسيل.وتبنىمنازل أهل عدن بمداميك الحجارة، وتسقف بـــالآجر والتـــراب. وتشاد أحياناً ثلاثة طوابقمن الحجارة يبلغ علوها أربعة أو خمسة شنغات (٤= ٤٠ قدماً و ٩ انشات). وقد يصنعونهيكلاً خشـــبياً للطوابـــق، ويأخذونه عندئذ من الصندل الأحمر المحلي.وعندهم من الأشجار والنبات ورد ماء الورد وزهور المغنوليا وكرمةالزبيب الأبـــيض الخـــالي مـــن

دولة هرمز :تقع دولة هرمز بجوار باب البحر(المضيق) وكل سكانها يعملون بالتجارة ولا يوجد أى غطاء نباتى , تتغذى الابقار والاغنام والخيول والجمال على سمك البحر المجفف ويقال أنه يوجد بعض الخضار والمزروعات فى أعماق التلال وأهلها أمناء جداَ ,وجدران المدينة ومنازلهم مصنوعة من الحجارة .حاكم المدينة يعيش فى بقعة معزولة محاط بالقوات والخيول العالية وتربه البلد جدباء ,والقمح هو أكثر الحبوب وفرة فى تلك المدينة من اى حبوب أخرى والناس فى المدينة أغنياء جداَ ,وبالقرب من التلال كل شيء ملون بلون الملح حتى أنهم يستخرجونة ويصنعون منه أطباق وصحون وفناجين وأشياء من ذلك القبيل , لذا فأنهم عندما يأكلون لايضعون اى ملح على الطعام . منازل دولة هرمز مبنية من الحجارة وتتكون من ثلاث إلى أربع طوابق ,غرف النوم والمطبخ والمرحاض وأماكن أستقبال الضيوف فى الطوابق العليا . (١).النساء والرجال يربطون شعورهم بعقدة ويرتدون جلباب طويل ويجيدون الرمايه على ظهور الخيل , النساء يضفرون شعورهم ويرفعونه بشكل دائرى حول رؤسهن كما يضعون تاج ذا لون أصفر على رأسهن وعندما يخرجن يغطون رؤسهن بالقماش (يرتدون الحجاب) كما يخفون وجوههم بشاش أزرق أو أحمر . ويضعون خيوط أو قطع من الذهب فى ثقوب أذنهن (حلق) , كما يخلطون مادة سوداء بالماء ويرسمون خطوط حول عيونهن (الكحل) كما يضعون زينه من الوشم على الشفاة ,بصورة عامة الوجة جميل جداَ وتضع المرأة الغنية حول عنقها عقد من الاحجار الثمينة واللؤلؤ والخرز المرجانية كما يضعون أيضاَحول معصم اليد وحول كاحل الرجل (خلاخيل) كما يرتدون دوائر ذهبية حول أصابع اليد .ويستخدم سكان العملات الذهبيه والفضيه فى المعملات التجارية . والمنتجات الموجودة فى هرموز هى اللؤلؤ والاحجار الكريمة والذهب والعنبر والكهرمان وعيون القط والاغطية الصوفية (الابسطة الصوفية) والبضائع التى يستخدمونها فى التجارة هى الذهب ,الفضة ,سلع الصين (الحرير الصينى) الازرق والابيض , ستان ملون , حرير خفيف , فلفل , البخور , خشب الصندل , التوابل . وحاكم هرمز أمتناناَ لكرم الامبراطور أتى وقدم له بنفسه هدايا من مختلف الانواع (٢)

البزور.ولديهم الحمر المحلقة والنعام الأبيض المرقط وغنم بلا قرون ضخمالإلية. وتشبه الحمر المحلقة البغال، وجسمها ووجهها أبيضان. وتظهر خطوط سوداء دقيقةجداً عند حاجبيها ثم تنتشر على جميع جسمها حتى حوافرها. وتتخذ هذه الخطوط شكل أشرطةمتباعدة، وتبدو وكأن التخطيط الأسود قد رسم فوق الجسم رسماً. وللنعام خطوط سوداءمثل خطوط الحمر الوحشية.وللزرافة قائمتان أماميتان يزيد طولهما على تسعة شيحات (١١٠.١ انش)وقائمتان خلفيتان طولهما حوالي ستة شيحات (٧٣.٤ انش). وتحمل الرأس رقبة طويلة طولهاشنغ واحد وستة شيحات (١٦ قدماً و ٣ انشات). ولا يستطيع الإنسان أن يمتطيها لأنمقدمتها عالية ومؤخرتها منخفضة. ولها على رأسها قرنان من اللحم، ولها ذنب ثور، وجسمغزال. وفي حافرها ثلاث أصابع، وفمها رقيق مسطح. وهي تأكل رزاً غير مقشور وفاصوليأوفطاير دقيق.ولأسدهم جسم يشبه جسم النمر في الشكل، ولونه أصهب، بلا تخطيط. ورأسهكبير، وفمه عريض. ويستدق ذنبه تدريجياً حتى نقطة يكتسي فيها بكتلة من الشعر الأسودالطويل، مثل الهلبة. ويشبه صوت زئيره الرعد. وعندما تراه سائر الحيوانات تنبطح علىالأرض ولا تجرؤ على النهوض. فهو حقاً ملكها.وكانملك عدن ممتناً للطف الإمبراطور. فصنع نطاقين من الذهب مرصعين بالجواهر ومنديلاًذهبياً مرصعاً باللآلئ والحجارة الثمينة، إضافة إلى اليواقيت وغيرها من الحجارةالكريمة وبوقين محليين، وتذكار للعرش مكتوب على ورق من ذهب. وقدم جميع هذه الهداياالإمبراطور الصين.

Ma – huan : op.cit ,p.154

(1) Chang Kuei-sheng, "Cheng Ho" entry in L. Carrington Goodrich and Fang Chaoying eds., *Dictionary of Ming Biography 1368-1644*, New York and London: Columbia University Press, 1976, p 194-200.

(٢) فاهسين : المصدر نفسة ، ص ٧٠ ، و الجدير بالذكر أن فاهسين أورد معلومة خاطئه عن ذهاب ملك هرمز للبلاط الأمبراطوري في الصين و لكن الصحيح هو ما ذكرته الوثائق بذهاب أخو الملك للبلاط الصيني وحول ذلك راجع نص فاهسين الخاص بهرمز

○忽魯謨斯國

其國傍海而居，聚民為市。地無草木，牛、羊、馬、駝皆食海魚之乾。風俗頗淳。壘石為城，酋長深居，練兵畜馬。田瘠麥廣，穀米少收，民下富饒。山連五色，皆是鹽也。鑿之鏇為器皿盤碟之類，食物就而不加鹽也。壘堆石而為屋，有三四層者

，其廚廁臥室待客之所，　　在上也。　子　髮，穿長衫，善　矢　射。　子編髮四垂，黃繚　項，穿長衫。出則布幔兜頭，面用紅青紗一方蔽之，兩耳輪用掛珞索金錢數枚，以青石磨水，妝點眼眶唇臉花紋為美。項掛寶石、珍珠、珊瑚，紉為瓔珞。臂腕腿足　　銀鐲，此富家之規也。行使金銀錢，產有珍珠、金箔、寶石、龍涎香、撒哈剌、梭眼、絨毯。貨用金銀、青白花磁器、五色段絹、木香、金銀香、檀香、胡椒之屬。

詩曰：忽魯謨斯國，邊城傍海居。鹽山高壘犨，酋長富盈餘。原隰唯收麥，牛羊總食魚。女纏珠珞索，男坐翠氍毹。瑪瑙珊瑚廣，龍涎寶石珠。蠻邦成絕域，歷覽壯懷舒。

ويقول ماهوان عن هرمز فيقول ، بلاد هرموز:إذاانطلقت السفينة من بلاد كولي (كاليكوت)، واتجهت إلى الشمال الغربي، تصل إلى بلادهرموز بعد سفر خمسة وعشرين يوماً بريح مولمةوتقع عاصمة البلاد قرب البحر وعلىسفح الجبال.وتأتيإلى هرموز سفن من جميع البلدان. ويجيء إليها تجار أغراب يسافرون في البر، ويذهبونجميعاً إلى السوق ويشتركون في البيع والشراء. لذلك أهل هذه البلاد أثرياءويدينملك هرموز وأهلها بالإسلام. وهم وقورون ودقيقون وراسخو الإيمان. يصلُّون خمس مراتفي اليوم، ويتوضؤون ويصومون. وتقاليدهم طاهرة وشريفة. وليس لديهم أسر فقيرة. وإذاافتقرت أسرة من أسرهم، وهبوا لها الثياب والغذاء والمال، وأقالوا عثارها. وأوصالهموجوههم نقية ووسيمة، وبنيتهم قوية، وشكلهم جميل.وثيابهم وملابس رؤوسهم حسنة ومتميزة وأنيقة. ويطبقون مبادئ الإسلامفي زواجهم ودفن موتاهم.وإذاأراد رجل منهم أن يعقد زواجاً على امرأة، أرسل وسيطاً يحدد بنود الاتفاق بينالطرفين. ثم تقيم أسرة العريس حفلة تدعو إليها الشيخ –ينفذ الشيخ أصول الشرع فيالزواج– والمهتمين بالزفاف والوسيط والأقارب المسنين. وتخبر الأسرتان بعضهما بعضاًعن أصلهما ونسبهما لثلاثة أجيال. ومتى أنجز توقيع وثائق الزواج، يحدد يوم تنفيذالعقد. فإذا لم ينفذ، اعتبرت السلطة الرجوع عنه زنى واقتصت من المذنب.وإذاتوفي رجل منهم، ألبسوه ثوباً أبيض، ثم أخذوا إبريقاً مليئاً بالماء النظيف، وغسلواجثمانه من الرأس إلى القدمين مرتين أو ثلاث مرات. وبعد تطهيره، يملؤون فمه وأنفهبالمسك والكافور. ثم يكفنونه ويضعونه على محمل ويدفنونه.ويبنىالقبر من مداميك حجارة، ويفرش في أسفله خمسة أو ستة تسونات (ستة انشات تقريباً) منالرمل النظيف، ويتزلون الجثمان وحده فيه، ثم يسقفونه بالحجارة ويردمون تراباًفوقه.ويستخدم أهل هرموز السمن في غذائهم، ويخلطونه ويطبخونه مع طعامهمويبيعون في الأسواق لحم الغنم مشوياً وغيره من اللحوم، وفراريج مشوية وفطاير وهرايسوجميع مآكل الحبوب. ولا تطبخ بعض الأسر القليلة العدد المؤلفة من شخصين أو ثلاثة،بل تشتري طعامها من السوق.ويسكملكها عملة فضية تسمى ديناراً، قطرها ستة فنات (سبع انش) وعلى ظهرها كتابة. ووزنهاأربعة فنات (٠.٠٤٧٩ أونسة)، وتداولها عامٌ.ويكتبون خطوطهم بالأحرف العربية.وتضمأسواقهم جميع أنواع المخازن، وفيها جميع أصناف السلع. لكن ليس لديهم خمارات، لأن منيشرب الخمرة يقضي القانون بإعدامه.ويتفوق فيها الموظفون المدنيون والعسكريون والأطباء والمنجمون علىأمثالهم في البلدان الأخرى. وفيها خبراء في جميع الفنون والمهن.ولاشيء غير مألوف في شعوذاتهم وبهلوانياتهم، سوى تسلق الماعز عموداً خشبياً. فهذاالعرض طريف إلى أقصى حد. ويستعملون فيه عموداً يبلغ طوله حوالي شنغ واحد (١٠ أقداموانشان). ولا يتسع رأس العمود إلا لوضع أظلاف الماعز الأربعة. ويركزون العمود فيالأرض، ويثبتونه. ثم يقود رجل جدياً أبيض، ويصفق بيديه، وينشد أغنية رتيبة، فيثبتالجدي على دق الطبل ويقترب من العمود.وبعدذلك، يضع الجدي قائمتيه الأماميتين على العمود، ثم يقفز بسرعة ويضع قائمتيهالخلفيتين عليه. عندئذ، يتناول الرجل عموداً آخر، ويميله قدَّام قوائم الجدي، فينقلالجدي قائمتيه الأماميتين ويضعهما على رأس العمود المائل، ويرفع قائمتيه الخلفيتينبعجلة ويثبت الرجل هذا العمود الثاني. فيصبح الجدي واقفاً على أعلى العمودين، ويعرضوضعات ويقوم بحركات رقص. ويتناول الرجل عموداً ثالثاً. ويضيف خمسة أو ستة أطوالمتتالية حتى الأعلى فيزيد الارتفاع حوالي شنغ واحد (أي يصبح تقريباً ٢٠ قدماً). ومتى انتهى الجدي من الرقص، يقف على العمود الأوسط الذي يدفعه الرجل ويتلقى الجديين يديه.ثمأمر الجدي أن ينبطح على الأرض، ويتظاهر بالموت، فيفعل. ويأمره أن يمد قائمتيهالأماميتين، فيمدهما، ثم قائمتيه الخلفيتين، فيطيع أيضاً.عندئذيأتي رجل يجر وراءه حماره الأسود العريض الذي يبلغ علوه حوالي ثلاثة شيحات (٣٦.٧انش). ويعرض ألعاباً بارعة بطرق شتى، ثم يطلب من أحد الحضور أن يأخذ منديلاً ويطويهعدة مرات ويعصب به بشدة عيني حماره. ويطلب من رجل آخر أن يضرب الحمار خلسة على رأسهويختبئ بين المشاهدين. بعد ذلك، يترع الرجل العصابة عن عيني الحمار ويطلب منه أنيفتش عن الشخص الذي ضربه على رأسه. فمهما كان عدد الجمهور كبيراً، يذهب الحماررأساً إلى الرجل الذي ضربه، ويشير إليه. فهذه اللعبة من أعجب الأمور.وينطوي مناخ هرموز على فصل بارد وفصل حار. وتتفتح الزهور في الربيع،وتتساقط الأوراق في الخريف. ويحصل صقيع عندهم لكن لا تثلج. ومطرهم نادر لكن نداهمغزير.وعندهم جبل واحد كبير، تؤخذ من سفوحه الأربعة أربعة مواد. فمن أحدالسفوح يستخرج ملح يشبه ملح البحر، لونه أحمر. ويقتلع أهل هرموز قطع الملح بمجرفةحديد مثلما تقتلع الحجارة. ويزن بعضها ٣٠ أو ٤٠ شين (٣٠ شين= ٤، ٣٩ ليبرة). ولارطوبة فيهذا الملح ويطحن مسحوقاً قبل استهلاكه. ويؤخذ من السفح الثاني تراب أحمرلونه كلون الزنجفر. ويعطي السفح الثالث

الأحساء:تقع على ساحل البحروجدران (أسوار) المدينة مصنوعة من الصخور وهى تقع بالقرب من التلال أو من ذلك المكان وهى عبارة عن صحراء ولا يوجد بها أى أثر من الخضرة (المزروعات) , تتناول الابقار والاغنام والابل والخيـــول السمك المجفف والطقس الأحساء حار جداً والتربة جدباء والحقول قاحلة والحبوب فيها قليلة (فقيرة) ماعدا بعض القمح القليل والسماء هناك لاتمطر لعدة سنوات لذا يحفرون الابار لاستخراج الماء بست عجلات واضعين الماء فى قرب مصنوعة من جلد الخراف(١).النساء والرجال هناك يربطون شعورهم بعقدة ويرتدون جلابيب طويلة والنساء يغطون رؤسهن مثل نساء هرمز .جدران المدينة مبنية من الاحجار أما المنازل مبنية من الطين ويقدر أرتفاعها حوالى ثلاث أو أربع طوابـــق , توجد غرف النوم والمطبخ فى الطوابق العليا وأماكن إقامة الضيوف فى الاوسط أما العبيد فيعيشون فى الطوابق الســـفلى . الأهالى هنا مستقيمون ولديهم طقوس جنائزية ويصلون إلى الله . ومنتاجتها العنبر واللبان والأف الجمال , والبضائع الـــتى

تراباً أبيض كالكلس تطرش به الجدران. وفيالسفح الرابع تراب أصفر يشبه لونه نبات الكركم.فيجميع الأحوال، يشرف مسؤولون على مقالع ذلك الجبل. ويأتي التجار من جميع الأقطارلشراء هذه المواد وبيعها.ومنمحاصيل أرضهم الرز والقمح لكن بمقادير ضئيلة. ويشريان أيضاً مـــن أماكن متفرقة،وينقلان إلى هرموز حيث يباعان بأسعار زهيدة إلى أقصى حد.وعندهم من الثمار والخضار، الجوز واللوز والصـــنوبر والرمـــان والأعنابوالدراق المجفف، والتفاح والتمور والبطيخ الأخضر والخيار والبصل والكراث والقفلوطوالثوم والبطيخ الأصفر وغيرها. ويكثر عنـــدهم الجزر الأحمر، ويبلغ حجمه حجم جذورالنيلوفر. والبطيخ الأصفر كبير جداً وعلو بعضه ٢ شيح (٤، ٢٤ انش). وقلب جـــوزهم أبـــيض . وقشره رقيق يكسر باليد وطول حبة الصنوبر حوالي تسون واحد (١.٢ انش).وأعنابهم ثلاثة أو أربعة أصناف. يشبه أحدها التمـــر الجـــاف، ولونهأرجواني.والصنف الثاني بحجم بزرة النيلوفر، لا بزرة فيه ويجفف. والصنفالثالث بحجم حبة الفاصولياء البيضاء ولونه أبيض. ويشبه لوزهم الجوز. وهو مر و طويل وأبيض، وللبه نكهة ألذ من نكهة الجوز. وحجم رمانهم بحجم كأس شرب الشاي. وحجمتفاحهم بحجم قبضة اليـــد، وهو لذيذ وله أرج.والتمور الفارسية عندهم على ثلاثة أصناف أيضاً. يسمى النوع الأولالدشب، وحبته بحجم الإبهام وعجوته صغيرة. ويـــربى مثل سكر النبات، وحلاوته عاليةجداً، فلا يستساغ أكله. ويهرس النوع الثاني ويحول إلى ٢٠ أو ٣٠ قطعة كـــبيرة، ولـــه طعممثـــل طعـــم البرسيمون المجفف الجيد والتمر الممتاز. ويشبه النوع الثالث العناب، إلاأنه أكبر منه ومذاقه حامض ويقدم علفاً للحيوانات.وتجلبإلى هرموز جميع السلع النفيسة من جميع الجهات.ولديهم يواقيت زرقاء وحمراء وصفراء، والذراح والزمرد وجواهر "عيونالقط" والماس واللؤلؤ الكبير بقدر حبة الايدع ووزنه شين واحد وفنان أو ثلاثة (٦٩قمحة) والمرجان —عقود وأغصان وجذوع– والعنبر الأصفر وحب العنبر وخرز المســـابح،والعنبر المائع والعنبر الأسود (الأصهب) وأواني اليشب والكريستال وعشرة أصناف منقطع المخامل المطرزة والمزهرة (طول زئبرها فن أو فنان، طولهـــا شنغهان والعرض شنغواحد: ١ فن = ٠.١ انش، ١ شنغ= عشرة أقدام وانشان)، ونسيج صوف من جميـــع الأصناف،والســـحل، واللبـــاد، والكريب، والكريب المزأبر، والشاش المزأبر، وجميع أنواع المناديلالأجنبية المطرزة بالحرير الأزرق والأحمر وغيرها. وتباع كل هذه الســـلع في هرموز .وعندهم كثير من الإبل والخيول والبغال والثيران والماعز.وماعزهم أو غنمهم أربعة أجناس. الجنس الأول ضخم الإلية، ويزنـــالحيوان الواحد منه ٧٠-٩٠ شين (٩٢ ليبرة)، ويزيد عرض إليته عن شيح واحد (١٢.٢ انش)،وتنجر على الأرض، وتزن أكثر من ٢٠ شين (٢٦.٣ ليبرة). وللجنس الثاني ذنب كذنب الكلب،ويشبه ماعز الجبل، ويزيد طول إليته عن شيحين (٢٤.٢ انش). والنوع الثالث العتزالناطح، وعلُّوه شيحان و ٧ أو ٨ تسون (٣٣ انش). وشعره طويل وينجر على الأرض فيمقدمته، وهو نظيف في مؤخرته. ويشبه برأســـه ووجهـــه وعنقـــه وجبهته الغنم.وتنعكف قرونه وتستدير نحو جبهته، ويعلق بها جرس حديد صغير يسمع صوتهعند مشي الحيوان. ويبتهج هذا الجـــنس بطبيعتـــه عندما يناطح. ويربيه هواة النوادر فيبيوتهم ليناطح ماعز غيرهم ويراهنون عليه بالمال.ويعيشفي بلاد هرموز نوع من الحيوان يســـمى الوشـــق. وحجمه بحجم القط الكبير. وجسمه مرقطتماماً كذبل السلحفاة والذراح.. وأذناه مروستان وسوداوان. وهو وحشي لكنه لا يؤذي .وإذا رأته الأسود أو الفهود أو غيرها من الوحوش سجدت أمامه على الأرض لأنه ملكالحيوانات.وأخذملك هرموز مركباً أيضاً، وحمَّله أسوداً وزرائـــف وخيولاً، ولآلئ وحجارة كريمةوغيرها، وذكرى لعرش الصين مكتوبة على ورق من ذهب. وأرسل رسله الذين صحبوا مراكبالكنوز التي بعث بها الإمبراطور، وكانت عائدة إلى الصين من المحيط الغربي، وذهبواإلى عاصمة الصين وقدموا هداياهم.

65 Ma – huan : op.cit ,p. 1

(1) Jin Qiupeng, "*Yijin faxian zui zao de Zheng He xia Xiyang chuandui tuxiang ziliao: 'Tian Fei jing' juanshou chatu*, in Wang Tianyou and Wan Ming eds., *Zheng He yanjiu bainian lunwen xuan* (A selection of papers commemorating a century of scholarship on Zheng He), Beijing: Peking University, 2004, p 256-259.

يأخذونها من الصين الذهب , الفضة , الحرير الملون , الستان , السراميك , الارز , الفلفل , خشب الصندل , التوابل , البترورين.

حاكم الاحساء تحرك بسخاء أمبراطورى وأرسل مبعوث بتذكار على ورق من الذهب وأشياء من الجزية . (١)

مكـــه:

دولة مكة معظم أراضيها صحراء رملية وكانت تسمى قديماً يونيو- تشونغ ,والمنطقة الغربية الطقس بها متوسط طوال العام كالربيع والتربة خصبة والارز وفير والمناظر الطبيعية خلابة.

والرجال يرتدون جلباب أبيض طويل والرجال يغطون رؤسهم ويلفونها بعمامة, الناس هناك مسالمين وأنيقين والنساء و يؤدون السلام فى التحية وفى جميع عاداتهم يخافون ويحبون الله , والحاكم ليس لدية إى مشكلة مع الشعب ولايلحق بهـــم العقاب لانهم بطبيعتهم شعب جيد ,السرقة والاختلاس غير معروف هناك فالاغنياء والفقراء يعيشون بســـلام وود مــع بعضهم البعض .وقد بنوا مسجداً فى قديم الزمان وأول أيام الشهر عندهم عندما يرون القمر الجديـــد (الشـــهر العـــربى بالحسابات القمرية) والشعب والحاكم يعبدون الله والطقوس الدينيه روحيه تعتمد على الدعاء إلى الله . (٢)

الكعبة (المعبد) ينقسم إلى أربع دوائر كل دائرة لها ٩ أنقسمات وهناك ٣٦٠عمود من الرخام اليشـــم (الابـــيض) والارض فى الكعبة صفراء كما بها الحجر الاسود وهو أكثر من ثلاث أقدام مربعة ويقال أنه نزل من السماء طبقات المعبد (الكعبة) على أرتفاع متوسط والجزء العلوى على شكل قبة والناس فى مكه تشعر بدرجة الحرارة من وقـــت طلـــوع الشمس إلى الليل .

والمنتجات الطبيعية هناك الذهب والحجار الكريمة واللؤلؤ والأسود والجمال والزراف والفهود والغزلان والكهرمـــان ,ولديهم خيول طولها ٨ أقدام تسمى الخيول السماوية , والبضائع المستخدمة معهم هى الذهب والفضة ولفات الســـتان والحرير الملون والخزف والقدور الحديدية والمقالى الحديدية.

بيت شعر :

حاكم الدولة ووزراءه مؤمنين بالرسل السماوية وفى بعثاتهم يحضرون الهدايا من الاسود وتقدم كجزية . (٣)

---

(١) فاهسين : المصدر نفسة ، ص ٧٢ ، و الجدير بالذكر ان ماهوان لم يزور الاحساء وانفرد فاهسين بتلك الزيارة .واليكم الـــنص الخـــاص بالاحساء في كتاب فاهسين

剌撒國○

倚海而居，土石為城。連山廣地，草木不生，牛、羊、駝、馬皆食魚乾。民俗頗淳。氣候常熱，田瘠少收，唯麥略有。數年無雨，鑿井絞車，羊皮袋水。男女拳髮，穿長衫、婦人妝點兜頭，與忽魯謨斯國同。壘石築土，為屋三四層者，其上廚爨東廁臥室待客，其下奴僕居之。地產龍涎香、乳香、千里駱駝，餘無物也。貨用金銀、色段、色絹、磁器、米穀、胡椒之屬。

詩曰：海丘名剌撒，絕雨亦無寒。層石壘高屋，狂濤激遠灘。金銀營土產，駝馬食魚乾。雖有龍涎貨，蠻鄉不可看。

(2)Tian Rukang (T'ien Ju-kang), "Cheng Ho's voyages and the distribution of pepper in China", *Journal of the Royal Asiatic Society*, 1981.p,1- 52

(٣) فاهسين : المصدر نفسة ، ص ١٠٤، ويذكر ماهوان مكة فيقول ، بلاد المربع السماويأي مكة: مكة. إذا انطلقت السفينة مـــن كـــولي (كاليكوت)، وسارت في الاتجاه الجنوبيالغربي، تصل، بعد مضي ثلاثة أشهر قمرية، إلى بندر البلاد الذي يسمى جدة. وفي جـــدةزعيم كـــبير يديرها. ويذهب المرء إلى الغرب (الصحيح إلى الشرق) ويسير يوماً من جدة،فيصل إلى المدينة التي يسكنها الملك وتـــدعى مكـــة.ويدينأهلـــها بالإسلام. فقد قام فيها رجل قديس عرض معتقده ونشر تعاليمه فيها(سيدنا محمد).ولايزال أهل هذه البلاد حتى الآن يطبقون مبادئ الإســـلام في أعمالهم، ولا يجيزون لأنفسهمأن يحيدوا عنها قيد شعرة.وهمطوال القامة، أقوياء البنية، وسيمو الهيئة، ولون أوصالهم ووجوههم ضـــارب إلى اللونالأرجواني الكامد جداً.ويتعمم الرجال، ويرتدون ثياباً طويلة، ويلبسون أحذية جلدية بأرجلهم .وتلبس النساء الحجاب، ولا يشاهد أحـــد

ظفـــار :هى أحدى المستوطنات الساحلية جدرالها مبنيه من الحجارة أما المنازل مبنيه من طبقات الأحجـــار المرجانيـــة وحوالى ثلاث إلى خمس طوابق وتشبه الابراج (المعابد) وجبالها حمراء وصفراء وليس هناك أى غطاء نبـــاتى ,تتغـــذى الابقار والاغنام والابل والخيول على أكل السمك المجفف . الرجال والنساء يربطون (يغطون) شعورهم ويرتدون ملابس طويله وعندما تخرج النساء يغطون رؤسهن بقماش (النقاب) حتى لايستطيع أحد رؤيتهم كما أن أهلها أمناء فى معمالتهم ويتبعون القانون . (١). المنتجات المحلية عندهم هى الفهد , الدجاج ,الجمال , واللبان , والعنبر, والعمـــلات الذهبيـــة

وجوههن.ويتكلمون اللغة العربية. ويحظر قانون البلاد شرب الخمر. وتقاليدهمسلمية ورائعة. وليس عندهم أسر فقيرة. ويطبقون جميعاً مبـــادئ دينهم. ولا يخالفالقانون إلا أناس قلائل. فهم يعيشون في الحقيقة في أسعد بـــلاد.ويطبقـــون أصـــول الـــدين في طقـــوس الـــزواج ودفـــن الموتى.وإذااستأنف المرء السفر نصف يوم ونيفاً، وصل إلى حرم البيت السماوي، واسمه الكعبة.ويحيطه جدار له ٤٦٦ بابـــاً، وعلـــى جـــانبي الأبواب، ترتفع عواميد مصنوعة من اليشب بكاملهاوعددها ٤٦٧ عموداً، منها ٩٩ في الواجهة، و ١٠١ في الخلف، و ١٣٢ على اليســـار، و ١٣٥على اليمين.وقدبُني البيت بمداميك من خمسة أحجار ملونة. وشكله مربع وأعلاه مسطح. وفي داخله تتألفالأعمدة من خمسة أسهم كبيرة من العود الثقيل ومن رف من الذهب الأصفر. وقد بنيت كلاالجدران من غضار ممزوج بماء الورد والعنبر الذي يفوح منه عبير دائم.وتغطياالبيت كسوة من الحرير.وفيكل سنة، في اليوم العاشر من الشهر الثاني عشر القمري، يأتي مسلمون غرباء –بعد سفرطويل يستغرق سنة أو سنتين في حالات قصوى– ويحجون البيت ويصلُّون فيه. ويقتطع كل حاجقطعة من الكسوة تذكاراً قبل أن يعود إلى بلده. وعندما تخلص الكسوة توضع كسوة جديدةمحلها تجهز من قبل. ويحدث ذلك عاماً بعد عام على مر الزمن.ويقعقبر إسماعيل على يسار البيت، وهو من أوليـــاء الله. وقـــبره مصنوع كله من الزمردالأخضر. وطوله شنغ واحد وشيحين (١٢ قدماً وانشان)، وعلوه ثلاث شيحات (٣٦.٧ انش (وعرضه خمس شيحات (٦١.٢ انش). ويحيط بالقبر جدار مبني من مداميك من التوبازالأرجواني يبلغ علوها خمسة شيحات ونيفاً (٦١.٢ انش).وبنيتـــأربع مـــآذن في زوايا البيت الأربع. ويصعد المؤذنون في أوقات الصلاة إليها وينادونعلى الصلاة ويؤذنون. وتقع أروقة الأئمة الأربعة على جانبي الحـــرم علـــى اليمين وعلىاليسار. وهذه الأروقة مبنية أيضاً من مداميك حجارة ومزخرفة على أجمل وجه.أمامناخ هذه البلاد فحار في الفصول الأربعة مثل الصيف. وليس فيها مطر ولا برق أو صقيعأو ثلج. إلا أن الندى غزير جداً في الليل. وتعتمد جميع النباتات والأشجار عليه فيحياتها. ولو وضع المرء وعاء فارغاً في الليل وأبقاه حتى الفجر، فسوف تبلغ فيه سماكةالماء ثلاث فنات (٠.٣ انش).أمافيما يخـــتص بمحاصـــيل الأرض فـــالأرز والحبوب نادرة. ويزرع جميع الأهالي الأرز والقمحوالدخن واليقطين والخضار والبطيخ الأخضر والأصفر، ولا بـــد مـــن شخصـــين أحيانـــاً لنقلالبطيخة الواحدة. وعندهم أيضاً نوع من الشجر زهره مفتول، يشبه شجر التوت الكبير فيالصين، وعلوه شنغ أو اثنان (شنغ = ١٠ أقـــدام وانشين). ويزهر هذا الشجر مرتين فيالعام. ويعمر طويلاً قبل أن ييبس. ومن محاصيلهم اللفت والتمر الفارسي والرمانوالتفاح والإجاص الكبير والدراق. ويزن بعضه أربعة شينات أو خمسة (٤= ٥.٢ ليبرة).ولديهم كثير من الإبل والخيل والحمير والبغال والثيران والماعزوالقطط والكلاب والدواجن والأوز والبط والحمام. ويزن بعض الدجاج والبط أكثر من عشرةشينات (١٠=١٣.١ ليبرة).وعندهم ماء ورد وعنـــبر وزرائـــف وأسود ونعام وغزلان ووشق وأصنافالحجارة الكريمة واللآلئ والمرجان.ويسكالملك من الذهب عملة تنكا الشائعة في التداول. ويبلغ قطر القطعة الواحدة منها سبعفنات (٠.٨ انش)، ووزنها شين واحد (٣.٧٣ غرام). وإذا قارناها بذهب الصين فهي أنقى منه بنسبة ٠٠.٠٢٠، وإذاذهب المرء إلى جهة الغرب، وسار يوماً واحداً، وصل إلى بلدة اسمها المدينة (الاتجاهوالمسافة خطأ). وفيها قبر النبي محمد. ويرتفع من القبر حتىـــاليوم ليلاً نهاراً، نور ساطع، يخرج من أعلاه ويدخل في السحاب. وتقع وراءه بئر فيهاماء عذب، تسمى زمزم (زمزم في مكة لا في المدينة). ويأخـــذ السفار هذا الماء ويختزنونهفي مراكبهم. فإذا أصابهم إعصار في البحر، رشوا منه فوق الماء، فتسكن الريحوالأمواج.وفيالعام الخامس من حكـــم الإمبراطور هسوان، وصل أمر من البلاط يأمر المبعوث الرئيسي شنغهو كبير الخصيان أن يذهب إلى جميع البلدان الأجنبية ليتلو أوامر الإمبراطور ويسلمهداياه.وعندما وصل قسم من الأسطول إلى كاليكوت، لاحظ كبير الخصيان هونغ أنسفَّار مكة يصلون إلى كاليكوت، فاختار ترجمانـــاً وسبعة سفراء آخرين، وأرسلهم إلى مكةمع حمل من المسك وأصناف خزف وأشياء أخرى. وصعد المبعوثون في مركب مكـــة وقصـــدوها . واستغرقت سفرتهم سنة كاملة ذهاباً وإياباً..واشترى الصينيون جميع أصناف الحاجات والنفائس، منها الزرائف والأسودوالنعام. ثم إنهم رسمـــوا صورة دقيقة للحرم الشريف وعادوا إلى عاصمتهم بكين.وأرسلملك بلاد مكة مبعوثين حملوا معهم سلعاً محلية، ورافقوا المبعـــوثين الصـــينيين السبعة،الذين جاؤوا إلى مكة، وقدَّم سفراء مكة هداياهم إلى البلاط الصيني في الصين".

Ma – huan : op.cit ,p. 173

(1) Duyvendak, J. J. L., *Ma Huan Re-examined*, Amsterdam: Noord-Hollandsche Uitgeversmaatschappij, 1937.p.13-17

ويأخذون فى تجارتهم منا خشب الصندل والارز والفلفل والحرير الخفيف والستان الملون والسراميك والتوابـــل . أبيـــات الشعر : والحاكم تلمس الكرم الامبراطورى وأرسل رسول إلى البلاط الامبراطورى مع بعض البضائع كجزية . (١)

الكتاب :قائمة بالرسائل الخاصة بالجزية (الضرائب) على الجانب الغربي من البحر (٢)

(١)黃省曾: 自序**Huang Xingzeng**: **المؤلف–Xiyang Chaogong dinlu**西洋朝貢典錄

---

(١) فاهسين : المصدر نفسة ، ص ٩٩، اما ظفار فيذكرها ماهوان فيقول ، بلاد ظفار:إذاانطلقت السفينة من كولي (كاليكوت)، وسارت في الاتجاه الشمالي الغربي بريح مولمة،تصل إلى ظفار بعد مضي عشرة أيام بلياليها. وتقع هذه البلاد قرب البحر وعلى سفحالجبال ولا تمتلـــك أي مدينة مسورة ولا أرباضاً وتحدّها الجمة في جنوبها الشرقي،وسلاسل الجبال في شمالها الغربي.ويدينملكها وجميع أهلها بالإسلام. وأوصال رجالها طويلة وعريضة، وقوامهم فارع وبدين .ويمتازون بصدق وعودهم.ويتعمم ملكها بعمامة بيضاء نفيســـة أجنبيـــة، ويرتـــدي عبـــاءة تغطـــي رأسه،مطرزة بالحرير النفيس، ومزهرة برسوم عرضها عرض الإبهام، أو يلبس ثوباً مطرزاًبالذهب. وينتعل جزمات أجنبية أو أحذيـــة جلديـــة مروّسة ومسطحة المقدمة.ويجلسالملك في محفة أو يركب جواداً إذا أراد التجول في المدينة. وتتقدمه وتتبعه صفوف منالفيلة والإبل وفرق الخيالة، وجنود مشاة يحملون سيوفهم ودروعهم. ويسير الجميع فيحشد كثيف ينفخون في الصفارات والمزامير.ويغطيأهل البلاد رؤوسهم بالعصـــائب، ويرتدون ثياباً طويلة، وينتعلون الجزم أو الأحذية.وفييوم العبادة (الجمعة)، تتوقف التجارة في الأسواق قبل الظهر، ويتوضأ جميع الناس،رجـــالاً ونساء، كباراً وصغاراً. ثم يتناولون ماء الورد أو العود الثقيل والزيت،ويمسحون بها وجوههم وأوصالهم. ويرتدون ثياباً نظيفة مغسولة من فترة قصيرة.ويأخذون مبخرة فخار صغيرة، ويشعلون شيئاً من العود الثقيل والصندلوالعنبر وغيرها من البخور، ويضعونه في المبخرة، ويبخرون ثيابهم وأوصالهم. ثم يذهبونإلى الجامع ليتعبدوا. ويعودون إلى منازلهم بعد الصلاة مباشرة، فينتشر عبير عطرهم فيأزقة الأسواق التي يمرون فيها، ويبقى بعض الوقت.ويطبقأهلها الأعراف الإسلامية في طقوس زواجهم ودفن موتاهم.وتنتجأرضهم اللبان. وهو في الحقيقة صمغ شجر يشبه شـــجر الدردار، إلا أن ورقه شوكوطويل. ويجرح أهل ظفار هذا الشجر ويجمعون نسغه ويبيعونه.وبعدما وصلت مراكب الكنوز الصينية إلى ظفـــار، وتمت تلاوة الإرادةالإمبراطورية وتقديم الهدايا الصينية، أرسل ملكها رسله إلى جميع الجهات ليخبروا أهلبلاده بأن يأتوا باللبـــان ودم الأخـــوين والقاطر والمر والميعة والاصطرك السائل .فجاؤوا ليقايضوها بنسيج الحرير القنبي والأواني الخزفية وغيرها من السلع الصينية.ويشبهمناخ هـــذه البلاد مناخ الشهر القمري الثامن والتاسع، فلا برد فيها البتة.ويتوفر في هذه البلاد الأرز المقشور وغير المقشور والقمح والقطانيوالذرة البيضـــاء والصفراء، بزور القنب، وجميع أنواع الخضار والقرع. وعندهم ثيرانوماعز وخيول وحمير وقطط وكلاب ودواجن وبط.ويأويالنعام إلى جبالهم. ويصطاده بعض السكان ويبيعونه. ولهذا النعام جسم عريض وعنقطويلة. وهو يشبه الكركي (الغرنوق). ويبلغ علو رجليـــه ثلاثـــة أو أربعـــة شيحات (٣= ٧، ٣٦انشاً). وله في كل رجل أصبعان فقط. ويشبه ريشه وبر الجمل. ويأكل البازلاء الخضراءوما يشاكلها. ويمشـــي مشـــية الإبل، لذلك يسمى أحياناً الدجاجة الجمل.أماإبلهم فبسنام واحد، وعندهم إبل بسنامين. ويركب جميـــع النـــاس الإبـــل عنـــدما يـــذهبون إلىالأسواق. وإذا أشرفت إبلهم على الهلاك، ذبحوها وباعوا لحمها.ويسكالملك عملة ذهبية تسمى تنكا، تزن القطعة الواحدة منـــها شـــينين (٠.٢٣٩٨٣ ليبرة .(وقطرها تسون واحد وخمسة فنات (١.٨ انش). وعلى أحد وجهيها صورة إنسان وعلى الوجهالآخر كتابـــة. ويســـك أيضاً عملة نحاسية صغيرة، وزن القطعة منها ثلاثة ليان (١.٧ قمحة (وقطرها أربعة فنات (٠.٤٨ انش) مـــن أجـــل الصـــفقات التجاريـــة البسيطة.وفياليوم الذي غادر مبعوث الصين ظفار، بعث ملكها بزعيم حمل لباناً ونعاماً وأشياءأخرى، وأبحر في مركب الكنوز ليقـــدم الأتـــاوة لبلاط الصين.

Ma – huan : op.cit ,p.151

(٢) تلك المقاطع الخاصة بشبة الجزيرة و الخليج الموجودة في ذلك الكتاب من النسخة المترجمة من الصينية للغة اللالمانية وهي عبارة عن بحث حصل صاحبة بهذه الترجمة علي درجة الدكتوراه، ثم قمت بترجمة النص اللالماني إلي اللغة العربية ولمزيد من التفاصيل راجع ،

Huang Xingzeng:*Verzeichnis der Akteneinträge zu Audienzen und Tributen vom Westlichen Meer*, (*Xiyang chaogong dianlu*) [黃省曾, 西洋朝貢典錄, 1520 n. Chr.],(annotierte Übersetzung)Inaugural-Dissertation zur Erlangung des Doktorgrades des Fachbereichs Geschichts- und Kulturwissenschaften an der Freien Universität Berlin,von Klaus Sonnendecker,1.Gutachter: Prof. emeritus Dr. Erling von Mende,2. Gutachter: Prof. Dr. Raimund Theodor Kolb,Tag der mündlichen Prüfung: 29. Juli 2005,p.1-394

Huang Xingzeng, *Xiyang chaogong dianlu* (1520 n. Chr.) – تاريخ تأليف الكتاب عام ١٥٢٠م
黃省曾, 西洋朝貢典錄

دولة ظفار: Nr. 20, der Staat Dhofar (*zufaerguo* 祖法兒國), p. 163 هذه الدولة تقع على بعد حوالي ألفين وحدة طول محلية (لي) Li شمال غرب مدينة كاليكوت وفى الشمال والغرب تقع مباشرة على الجبال ,وتشرف مباشرة من جهة الجنوب على البحر, أسوارها مثل المباني مقامة ومصنوعة من الصخور, الطوابق تتصل مباشرة أوتعلو معبد بوذي (مسجد) ,السكان هناك يتمتعون بمكانة دينية مؤثرة ذات طابع حقيقي وصادق .الأمير وانج يلــف حوله ملاءة ويرتدى قفطان طويل من الديباج ، ولباس مخطط ومطرز باللون الأزرق النيلي من تطريز حريــري وذلــك حول عنقه أما قدمه فهو يرتدى بها حذاء مطرز من الساتان وعند الحركة هنا أوهناك أوالذهاب أوالعودة فإنه يســتخدم عربة أو حصان ، وفى الأمام تسير صفوف الأفيال والجمال وفى الخلف تسير وتنشد مجموعات من عازفي أدوات البــوق الموسيقية كالناي , وكل ذلك يسير وسط زفة وضجيج وصخب الرجال من السكان يلفون رؤوسهم بملاءات أو أفــواط (مناشف)أو أثواب ملونة ويرتدون أثوابا طويلة بحيث تجعل الأرجل مختفية أو مغطاة تماما. أما النساء فهن يغطين ويخفين وجوههن ورؤوسهن بالملاءات والمناشف و الشيلان. (٢).الحكام والمحكومون هنا جميعهم يحترم ويحافظ على تعاليم الدين الإسلامي. ويوجد المعبد الذي يتعبدون فيه ويقيمون به شعائرهم وطقوسهم ويسمى بالمسجد وفى اليوم الذي يؤدون فيه مناسكهم وشعائرهم تكون جميع المحلات والأسواق مغلقة . إنه يقومون بفرك أو دعك أجسامهم بعطور ناتجة من تقطير الورود والأزهار أو زيت عظم النسر ولكي يقومون بتبخير الملابس فإنهم يستخدمون العود وعظم النسر, وكذلك خشب الصندل وكذلك عبير العنبر ، وقبل أداء المناسك والعبادات والطقوس يقومون بغسل أجسادهم ودهنــها أو الإســتحمام ودهن الأجسام بمواد العطور ويلبسون الملابس النظيفة .

إنهم يشعلون أو يحرقون العنبر حتى تصل أبخرته ودخانه إلى سيقانهم ويأخذونها معهم إلى هناك وخلال الطرق الــتي تصل إلى المسجد أو المساجد تتدفق روائح العنبر معطرة الطرق والمسالك إلى هناك فتتدفق دون انقطاع .

الأمور الخاصة بإتمام الزواج وكذلك عملية دفن الموتى تتم وتسير وفقا لتعليم وطقوس الدين الإسلامي . التربة ترسل أبخرة دافئة ومعتدلة وهناك يقوم الناس أو يستطيع أن يقوم الواحد بمزاولة التجارة والتبادل التجاري وذلك مــن خــلال عملات ذهبية .أو أيضا عملات من النحاس الأحمر-- أما العملات الذهبية فهى تسمى تانكا (وزن العملة من الــذهب كان طبقا للميزان الرسمي بالبلد تعادل ٧.٥ جرامات ــ ٢قيان Qian) ومحيطها أو حجمها الخارجي يبلغ حوالي ٦٦ سنتيمتر , أحد أوجه العملة كان منقطا والوجه الآخر كان يحمل صورة إنسان أما حجم أومحيط عملة النحاس فكان يبلغ ١.٢٤ سنتيمتر =٤ فن) أما الحبوب فإن أنواعها الخمس توجد نسبيا وكذلك الست أنواع من الحيوانات . (٣)

وتوجد هناك أنواع كثيرة من أنواع المأكولات مثل العسل أو المشروبات التي يطلق عليهــا دم التــنين ,السمســم , البخور, المر , الخردل , البطيخ .توجد الجمال ذات السنام والسمنامين. وتوجد فصيلة جمال آمورليوبارد وهى جمال ذات شعور كثيفة طويلة تميل إلى اللون الرمادي الأصفر مع بقع أرضية سوداء , ويوجد طائر طويل الجسم ذوعنق كالرافعــة

---

(١) من مواطني مدينة سوتشو بالصين ولد عام ١٤٩٠ و توفي عام ١٥٤٠م ورغم انه من أصل بنغالي إلا انه تحمس جدا في الكتابه عن عظمة الصين و رحلاتها المسماه برحلات الكتر التي قادها تشينغ خه إلي البحار الغربية بما فيهم المحيط الهندي و الخليج العربي و البحر الاحمــر وقــد اعتمد علي عدد من المخطوطات المهمة في كتابه كتابه عن الرحلات السبع لتشينغ خه ، راجع

Denys Lombard , Haraprasad Ray : Trade and Diplomacy in India – china Relations ,A study of Bengal during the fifteenth century, Bulletin de I,ecole francaise d,extreme – orient, 1994,vol .81,no.1,p388-389.

(2) Luo Maodeng, annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, *Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi* (Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe, 1985.,p.64-66

(3) Menzies, Gavin, *1421: The Year China Discovered the World*, UK: Bantam, 2002.p.5-9

والأرجل الذراعية الطويلة تحتوى على أصبعين فقط (النعام), ونظرا للتشابه الكبير بينه وبين الجمل فإنه يشار اليه بالدجاجة الجمل أوالجمل الدجاجة , طعامه وأكله هو الخمس أنواع من الحبوب التي كانت موجودة ويوجد عطر يؤخذ من شجرة عالية ذات ثلاث قمم عالية أوراقها رباعية الشكل وزهورها الصفراء تبدو باللون الأزرق الذي يميل إلى الاخضرار , ولحاؤها (صمغها) يشبه المشروب السكري المذاق ، ويطلق عليه أو يشار إليه باسم البتروين .المشروب يستخدم في علاج بعض أمراض الاضطرابات النفسية , أما الطعم أوالمذاق فإنه يشبه لحاء الدمار ,أما من حيث الشكل واللون فإنه يشبه شجرة الصندل التي تميل إلى الإحمرار وتسمى بتروكاربوس سانتا لينوس — العصير سميك القوام ورائق وبدون أية رواسب ويطلق عليه اسم ستوراكس أي شجرة العبهر , وعندما يستخدم للدعك أو الفرك فإنه يخفف من آلام التقلصات – الجزية والضريبة غير محددة بعد أو غير معروفة. (وخلال عهد يونجل تم إرسال مايتعلق بالضرائب أو الجزية الخاصة بذلك) (١)

— دولة هرمز:

Nr. 21, der Staat Hormuz (*hulumosiguo* 忽魯謨斯國), p. 166

هذه الدولة تقع على مسافة خمسة آلاف وحدة طولية محلية (لي) من كاليكوت (المسافة تستغرق ٢٥ يوما بينهما) ومناطقها تقع مباشرة على المناطق الجبلية وتصل حدودها إلى البحر . هذه الدولة دولة ثرية وأسوارها قد أقيمت من الحجارة وفيها يوجد عدد كبير نسبيا من التجار الأغراب الأجانب .

ملك هذه الدولة اهتم بالثقافة الدينية وتعليمها وهنا نعني ثقافة الإسلام وتوجد بها دار العبادة (المسجد)حيث تقام الطقوس الدينية , وتقام الصلوات خمس مرات يوميا . العفاف والنظافة والطهارة ملموس هذا البلد وبكل عزيمة وإصرار يحافظون عليها، وطباع أهل هذه البلد كانت صادقة ونقية .

الناس هناك أجسادهم تميل إلى البياض ويتمتعون بنمو وقوام وبناء جسماني قوى . الرجال يرتدون جلابيب أو ملابس طويلة ورؤوسهم مغطاة بطواقى عالية " شانجشان .كما أنهم رماة ممتازون وخيالون رائعون ، النساء يقمن بنسج شعورهن وجعلها فى أربعة ضفائر ، كما أنهن يطلين شعورهن بالحناء ويرتدين جلابيب طويلة , وعند الخروج يجب عليهن ارتداء أحجبة ملونة أو يخرجن محجبات , كما أن الوجه يغطى بشاش أحمر اللون لغض البصر. (٢)

كما أنهن يحملن حلقات ذات خرز تتدلى وتعلق في سلاسل ذهبية يعلق بها أيضا بعض السبائك الذهبية ,كما أن النسوة يقمن بتزيين رموش العيون بالكحل الذي يميل إلى الإسمرار ,وينسقن الشفاه بخطوط مختلفة ، أما الرؤوس فتعلوها

---

(١) *Zufaer* 祖法爾. ص٣٦-٣٧ راجع النص الأصلي لكتاب ماهوان باللغة الصينية

後序

余少時觀《異域志》，而知天下輿圖之廣，風俗之殊，人物之妍媸，物類之出產，可驚可喜，可愛可愕，尚疑好事者為之，而竊意其無是埋也。今觀馬君宗道、郭君崇禮所紀經歷諸番之事實，始有以見夫《異城志》之所載信不誣矣。崇禮乃杭之仁和人，宗道乃越之會稽人，皆西域天方教，實奇邁之士也。昔太宗皇帝勑令太監鄭和統率寶船往西洋諸番開讀賞勞，而二君善通譯番語，遂膺斯選，三隨軺軺，跋涉萬里。自閩之五虎發跡，首入占城，次爪哇、暹羅，又次之舊港、阿魯、蘇門、南浡、錫蘭、柯枝，極而遠造夫阿丹、天方，凡二十餘國。每國寄往非一日，於輿圖之廣者，紀之以別遠近；風俗之殊者，紀之以別得失；與夫人物之妍媸，紀之以別美惡；土地之出產，紀之以別輕重，皆錄之於筆，畢而成帙，其用心亦勤矣。二君既事竣歸鄉里，恒出以示人，使人皆得以知異城之事，亦有以見聖朝威德之所及若是其遠也。崇禮尚慮不能使人之盡知，欲鋟梓以廣其傳，因其友陸廷用徵序於予，遂錄其梗概於後云。

是歲　察御史　樸　弘書。

(2) Zhang Jian, "*Zheng He hanghai tu* fuyuan", *Sichuan wenwu* (Sichuan cultural relics), 2005, p 80-83.

المناديل المزينة بالخرز الأصلي والجواهر المرجانية ويلف حول كل من المفاصل الأربعة (اليدين و الرجلين) أطـواق مـن الذهب والفضة أو كلاهما معا .

ولإتمام عملية الزواج أو مراسم الجنازات والدفن يحتاجون هناك لما يسمى بالقاضي لإتمام هذا الطقس أو ذاك .

(عند كل حفل زواج يجب على عائلة العريس أولا أن تقيم إحتفالا خاص للقاضي والأقرباء جميعهم وكذلك الخاطبة أو المرأة التي كانت سببا أو توسطت في الزواج (الخاطبه) كما تقوم لاحقا كل عائلة من عائلتي العريس والعروسة بعرض سجل قيد عائلي يمتد إلى ثلاثة أجيال ماضية ، وبعد إنجاز ذلك يبدأ القاضي في إتمام الطقوس والإجراءات ـــ عدا ذلك أي في حالة عدم إتمام العملية يتوجب إعلان تهمة الزنا ، أما في طقوس الجنازات فإنهم يأتون بثوب أبيض يلفون فيه الجثة (كفن)كما أنهم يملأون أبريق كبير بمياه نظيفة ، وذلك لابتلال الجثة ثلاث مرات (عملية الغسل). ويسد الفم أو يملـئ بالمسك والكافور ويوضع ملفوفا فى النعش , أما المقابر فهي مسورة بالحجارة ,والقبر يرش خمس مرات أوسـت مـرات بالرمل النظيف احتراما لجثة الميت وعندما يأتي النعش ترفع الجثة وتوضع داخل السرداب او القبر وتغطى الأرض بعد ذلك بألواح من الحجارة كالبناء وبعد انتهاء عملية البناء يوضع عليه الركام والتراب ،أما عن كتابة المستندات والأوراق الرسمية فيستخدم الناس هناك لغة المسلمين في الكتابة (العربية) أما الأسواق والمحال التجارية فالعروض فيها كـثيرة , وفى الدولـة يسيطر المنع التام للكحوليات أما الشاربون للكحل فإنهم ينفون خارج السوق أو المكان .

هذا البلدفي المحيط الهندي بجنودها المنتصرين البواسل الشجعان وخيولها النبيلة وأطبائها المعالجين وفنانيها ومترجميها قد قفزت إلى القمة في التقدم. وللشعب هناك ألاعيب وحيل مع الماعز والغيبون واللعب ، أ و الحيل مع الماعز يتطلب جذع طويل ذو مقياس محدد وعلى حافته يمكن وضع أماكن لحوافر من حوافر الماعز ويوضع كما لو كان مزروعا في التربة , ثم يقوم احد الناس بالتصفيق على يديه وهو يتمتم بأى أقوال , وعلى دق الطبول البارعة تتراقص أحدى الماعز أو العـنزات حول هذا الجذع وتحاول أن تضع الحافرين الأولين لها على موضع حافرين من أماكنها بالجذع ثم تحاول أن تقفز بـالجزء الخلفي من جسدها لتضع الحافرين المتأخرين على موضع الحافرين الباقين من الجذع . ثم ياتى الرجل بقطعة خشبية أخرى معلقة ويحاول خمس أو ست مرات بنفس الطريقة الراقصة ومن خلال الصدام يتم انهيار كل شيء ويصيد العنزة أو الماعز ويضعها على الأرض وتبقى العنزة ملقاة على الأرض كما لو كانت فى حالة موت ثم يعطى الأمر لمد الرجلين الأمـاميين فتفعل العنزة ثم يعطى الأمر بمد الجزء الخلفي فتمدهما العنزة إلى الخلف ، أما الألعوبة مع الغيبون وهو نوع من القرود ـــ فإنه تتقدم قردة سوداء كبيرة بالتقدم ثلاث ياردات ويأمر أحد الرجال رجل آخر يربط أيمن القرد الكبير برباط لا يستطيع القرد أن يرى من خلاله ثم يأتي آخر في الخفاء ويضرب القرد على رأسه دون أن يعرفه القرد بالطبع ، ثم ينخـرط بـين جموع الحضور ثم بعد ذلك يرفع الرباط عن رأس القرد الذي يبدأ في الجري وراء االآلآف من الناس الحاضـرين وذلـك لاستخراج ومعرفة الرجل ، أو الشخص الذي ضربه على رأسه . (١)

وهناك يتم تبادل التجارة بالعملة الفضية وهى تسمى الدينار-- هناك توجد وفرة غزيرة في اليشم . ومحصول الحبوب هناك هو الأرز والقمح أما الحيوانات فيوجد منها الستة أنواع أما قطر العملة الفضية المستخدمة هناك طبقا للموصـفات الرسمية للبلد فهم يبلغ ١.٨٦ سم (٦ فن)ووجهي العملة مطلي ومنقط ووزن العملة يبلغ طبقـا للمواصـفات الرسميـة ١.٤٨جم (٤ فن) وتبخر التربة هناك يجلب البرودة والحرارة والصقيع والثلوج والكثير من الندى , وقليل من الأمطار , وبعد الربيع تزهو الأزهار والورود وبعد الخريف تتساقط الأوراق أما الجبال فيوجد جبل كبير , غني بالشبة على جانبه الجنوبي , أما جانبه الشمالي فهو غنى بالجير الأبيض , وفى جانبه الشرقي يوجد الصنوبر, أما من الناحية الغربية فيكثر الجير الأصفر, أما بالنسبة للمعادن والأحجار الكريمة فيوجد منها ثمانية أنواع الأول : هو السافير الخماسـي اللـون والـروبى (الياقوت) ، والثاني هو الزمرد نوعية الذباب ، والثالث الزمرد والرابع عيون القطط ، والخامس هو الماس ، والسادس هو المرجان ، والسابع هو اليشم ذو الخمسة ألوان ويصنع منه أطباق الطعام ، أما الثامن فهو حبات الخرز الكبيرة التي تأخذ

---

(1) Menzies, Gavin, *1421:op.cit* ,p.12-14

شكل اللونجان وجميع حبات العنبر يشار إليها بكلمة سابوني ومنها يمكن الحصول على خمس أنواع أولها العنبر الـــذهبي , الثاني الخرز العنبري , الثالث عنبر الأكاليل ، والرابع عنبر الشموع ، والخامس العنبر الأسود . (١)

يوجد أربعة أنواع من الأنسجة أو المنسوجات , الأول منها أنواع الديباج العشرة والسجاجيد المخملية . أما البشـــور فهي واحد فين (وهو يعادل تقريبا ٣١ ملليمتر والطول يبلغ وحدتين قياسا بالكلافتر وهو وحدة قياس قديمة) أما العرض فهو يبلغ واحد كلافتر ، والثاني هو الشيلان الصوفية ، والثالث هو مادة الصوف الخام و الرابع هو المناشف أو الفـــوط المطرزة باللون الأحمر والأزرق النيلي من الحرير. يوجد أربعة أنواع من الماعز أولها الماعز ذو التسعة أذيال والثاني ذو الذيل الطويل والثالث الماعز ذو الذيل الشبيه بذيل الكلب والرابع والأخير الماعز المصارع أو المحارب . (٢)

جنس أو نوع من الأنواع يحمل زيلا عريضا يتعدى طوله واحد أيل وهى وحدة قياس طول آنذاك ويزن حوالي ٣٠ باوند (وحدة قياس وزن)، الجنس الآخر وهو الذي له ذيل يشبه ذيل الكلب وهو يشبه الماعز الجبلي أو الصـــحراوي ، وذيله يبلغ من الطول حوالي ٢ أيل أو أطول قليلا ونوع آخر أو جنس آخر له ذيل بطول حوالي ٨٥ سنتيمتر ومن ٧ إلى ٨ بوصات ارتفاع وهو ماعز مصارع وشعره الذي بالجزء الامامى منه كثيف يكاد يعوق حركته أما الشعر الخلفي فهـــو شبه محلوق ، والرأس هي تشبه رأس الماعز ميانياج والقرون ملتوية ناحية الأمام وهى محزمة بأحزمة حديدية بها أجـــراس تسمع أصواتها عندما يتحرك الحيوان اى حركة .

ولان هذه الماعز ترسل وتستخدم في الحروب فان المقامرون يحرصون على تربيتها ، وجد نوع من الكائنـــات الحيـــة يعرف بالقط المتوحش يعيش هناك أيضا ويشبه في منظره الخارجي شكل السلحفاة وله أذن سوداء أو تميل إلى الاسمـــرار وهو شديد الحساسية والدفء عندما يروح ويجيء تكون الحيوانات كلها مزعنه له ويدعى الوشق ويعرف عند البرابـــرة بلفظ سياجوس ونبات الجزر عندهم يشبه جذور نبات اللوتس ، ولونه يميل إلى الاحمرار ونبات الجوز يبدو رفيعا وصغيرا وقشرته تميل إلى البياض ، أما بزور الصنوبر فطولها بوصة واحدة ، أما الزبيب فلديهم أربعة أنواع منه . وبزور اللـــوتس متشابهه تميل إلى اللون الأبيض ، وتوجد الفاصوليا البيضاء فقط وهي دائرية وبيضاء اللون ، كما توجد أيضـــا الحمـــراء الأرجوانية ، كما توجد فاكهه من الجوز أو على شكل الجوز لكنها اعلي منها وأطول وذات لون ابيض وبذورها ذات طعم لذيذ ويطلق عليها فاكهه اللوز أما الرمان فله زهرة كبيرة الحجم مفلطحة أما الثمرة نفسها فهي في حجم براد الشاي أو كوب الشرب المشابه لذلك ، كما يوجد أيضا التفاح والخوخ وقصب السكر وكثير من الشمام ، كما أن البلح عندهم يطلق عليه كلمة دبس ومنه يوجد ثلاث أنواع :

أولا : نوع على شكل إصبع الإبهام ونواته صغيرة وتظهر كما لو كانت ملبسة بالكريستال وطعم هذا النوع من البلح حلو ومسكر ، ونوع آخر من البلح يمكن طحنه وتحويله إلى كتل لينة تشكل وتطهى أو تسلق وطعمها يشبه طعم التين ، أما النوع الثالث فهو يشبه العناب في شكله وتكوينه ونظرا لان طعمه ليس لذيذا فإنهم يستخدمونه كعلف للحيوانـــات ، بالنسبة لهذه الأنواع أو ما سبق فلم يوجد عليه إجماع .

---

(1) Zhou Shide, "*Cong Baochuanchang tuogan de jianding tuilun Zheng He baochuan*" (Confirming that the hypotheses regarding Zheng He's treasure ships in light of the tiller discovered at the treasure ship drydock), *Wenwu*, Beijing, 1962,p.2,31-35

(٢) Mills, K. V. G., and Roderich Ptak, *Hsing-ch'a Sheng-lan: The Overall Survey of the Star Raft by Fei Hsin*, Wiesbaden: Harrassowitz, 1996,p.70-71

والجدير بالذكر ان ترجمة مايلز لكتاب فاكسين لانستطيع الاعتماد عليه في ترجمتنا لنص فاكسين باللغة الصينية لوجود بعض المصطلحات الغير مفهومة ، لذا لجاء الباحث لترجمة النص الصيني الاصلي بمساعدة عدد من الأساتذة المتخصصين

وفى عهد يونجل تم إرسال موضوع أو آمر ما بخصوص إهداء زرافة وبعض الأشياء الأخرى وكان ذلك من خلال ورقة مكتوبة وموضوعة ومجهزة على لوح ذهبي وقد تبع ذلك عودة السفن الشراعية العائدة إلى البلاد حاملة الإشارة أو الاعتراف بالجزية(١)

---

(١) *Hulumosi* 忽魯謨斯,

راجع ما كتبة ماهوان في النص الاصلي باللغة الصينية عن هرمز حيث افرد لهرمز مساحة اكبر من غيرها في كتابه و ابدي اعجابه باهلها و غناها و عادات و تقاليد اهلها و تمسكهم بالشريعة الاسلامية و علاقاتها بالصين، ص ٣٥-٣٦

忽魯謨廝國

自古裡國開船投西北，好風行二十五日可到。其國邊海倚山，各處番船并旱番客商，都到此地趕集買賣，所以國民皆富。國王國人皆奉回回教門，尊謹誠信，每日五次禮拜，　　　戒。風俗淳厚，　　　苦　家。若有一　遭禍致貧者，眾　贈以衣食錢本，而　濟之。人之體貌清白豐偉，衣冠濟楚標緻。婚喪之禮，悉遵回回教規。男子娶妻，先以媒妁，已通禮訖，其男家即置席請加的。加的者，掌教門規矩之官也。及主婚人并媒人，親族之長者，兩家各通三代鄉貫來歷，寫立婚書已定，然後擇日成親。否則官府如奸論罪。如有人死者，即用白番布為大殮小殮之衣，用瓶盛淨水，將屍從頭至足澆洗二三次，既淨，以麝香片腦填屍口鼻，才服殮衣，貯棺內，當即便埋。　墳以石砌，穴下鋪淨沙五六寸，　　至，　去其棺，止將屍放石穴內，上以石板　定，　以淨土厚築墳堆，甚　整也。人之飲食，務以酥油拌煮而食。市中燒羊、燒雞、燒肉、薄餅、哈喇潵一應麵食皆有賣者。二三口之家多不舉火做飯，止買熟食而契。

王以銀鑄錢，名底那兒，徑官寸六分，底面有紋，重官秤四分，通行使用。書記皆是回回字，其市肆諸般鋪面百物皆有，止無酒館。國法飲酒者棄市。文武醫蔔之人絕勝他處。各色技藝皆有，其撮弄把戲，皆不為奇。惟有一樣，羊上高竿，最可笑也。其術用木一根，長一丈許，木竿頭上止可許羊四蹄立於木。將木立豎於地，扶定，其人引一小白羝羊，拍手念誦。其羊依拍鼓舞，來近其竿，先以前二足搭定其木，又將後二足一縱立於竿上。又一人將木一根於羊腳前挨之，其羊又將前兩足搭上木頂，隨將後二腳縱起。人即扶定其木，其羊立於二木之頂，跳動似舞之狀。又將木一段躦之，連上五六段，又高丈許。俟其舞罷，然後立於中木，人即推倒其竿，以手接住其羊。又令臥地作死之狀，令舒前腳則舒前，令舒後腳則舒後。又有將一大黑猴，高三尺許，演弄諸般本事了，然後令一閒人，將巾帕重重摺疊，緊縛其猴兩眼，別令一人潛打猴頭一下，深深避之，後解其帕，令尋打頭之人，猴於千百人中徑取原人而出，甚為怪也。

其國氣候寒暑，春開花，秋落葉。有霜無雪，雨少露多。有一大山，四面出四樣之物。一面如海邊出之鹽，紅色。人用鐵鋤如打石一般鑿起一塊，有三四十斤者。又不潮濕，欲用食，則搥碎為末而用。一面出紅土，如銀朱之紅；一面出白土，如石灰，可以粉牆壁；一面出黃土，如薑黃色之黃。俱著頭目守管，各處自有客商來販賣為用。

土產米麥不多，皆是別處販來糶賣，其價極賤。果有核桃、把聃果、松子、石榴、葡萄乾、桃乾、花紅、萬年棗、西瓜、菜瓜、蔥、韭、薤、蒜、蘿蔔、甜瓜等物。其胡蘿蔔，紅色如藕大者至多。甜瓜甚大，有高二尺者。其核桃，殼薄白色，手捏即破。松子長寸許，葡萄乾有三四樣：一樣如棗幹，紫色；一樣如蓮子大，無核，結霜；一樣圓顆如白豆大，略白色。把聃果如核桃樣，尖長色白，內有仁，味勝核桃肉。石榴如茶鍾大，花紅如拳大，甚香美。萬年棗亦有三樣：一樣番名垛沙布，

دولة عدن : Nr. 22, der Staat Aden (*adanguo* 阿丹國) ,p.174 وهذه الدولة تبعد قرابة الستة آلاف لي (وحدة قياسية طولية) إلى الغرب من كاليكوت ، وهذه الدولة تقع على ساحل البحر ، وأسوار المدينة مقامة من الأحجار ، وشعبها كثير العدد وله من الجراءة قدر كبير . ويبلغ عدد جنوده وعساكره من المشاة والفرسان ما يقرب من عشرين ألف رجل ، لذلك كان يرعب من بجانبه من بلدان ، الحكام والمحكومون قد اهتموا كثيرا بالثقافة الإسلامية وعملوا بها واهتموا بتنميتها ، لغتهم العربية وملكهم يتبع الطقوس والعادات والتقاليد ذاتها (لقد سلم يونجل الرسول المكلف لي تشونج) إلى المراسيم وأعطى القبعات والجلاليب والهدايا إلى الملك والرؤساء هناك ، وبعد تقسيم الأسطول في دولة سامودرا ،حصل تشينغ خه على تفويض بتسليم السفن الشراعية هناك إلى هذا المكان . الملك هناك على رأس كبار موظفيه استقبله في القصر الملكي بكل سعادة وسرور وبعد انتهاء مراسم وضع السفن الشراعية وإتمام عملية التسليم أعطى الملك توجيهاته إلى شعب البلاد وملاك الأشياء النفيسة للقيام بالتبادل التجاري والمقايضة) . (١) الملك هناك يغطى رأسه بقبعة ذهبية ويرتدى قفطان أصفر اللون ، حزامه من الذهب ومرصع بالأحجار الكريمة ويوجد المعبد (المسجد) أيضا لإقامة الشعائر والطقوس وهناك يقوم الملك بإقامة الشعائر والطقوس في اليوم الأول من كل أسبوع كما أنه يقوم بتبديل العمامة الذهبية بشال ذى لون ابيض ، يلف به رأسه .ويذهب ويتحرك بواسطة عربة ، أما رعاياه فيرتدون لباسا يناسب مرتباهم ودرجاهم أو أوضاعهم ، أما شعب هذه الدولة فإنهم يلفون رؤوسهم بالشيلان المختلفة الألوان ، ويلبسون ملابس من الصوف والديباج المطرز بالحرير ، وهم يلبسون أيضا الأحذية بالأقدام وكذلك النيعال أو ما شابه ذلك .والنساء هناك يرتدين الجلابيب الطويلة ويعلقون فى أعناقهم بعض المعلقات كالسلاسل والأشياء المشابهة والغالية القيمة ، كما إن الحلقان والخواتم وما شابه تكون عبارة عن ذهب مرصع بالمجوهرات و الخرز ، والنساء يضعن أيضا حول معاصمهم الأربعة إطارات (سلاسل) من الأحجار الكريمة ، يضعن بالأصابع خواتم ذهبية سواء أصابع الأيدي أو الأرجل , كما أنهم يلففن رؤوسهن بالمناشف (المناديل ــ الشيلان)المزينة بالألوان المختلفة وتكون هذه الشيلان من الحرير وتبقى فقط

每個如母指大，核小結霜如沙糖，忒甜難吃；一樣捘爛成二三十個大塊，如好柿餅及軟棗之味；一等如南棗樣略大，味頗澀，彼人將來喂牲口。

此處各番寶貨皆有，更有青紅黃雅　石，并紅剌、祖把碧、祖母剌、貓睛、金鋼鑽，大顆珍珠如龍眼大，重一錢二三分，珊瑚樹珠，并枝梗、金珀、珀珠、神珠、蠟珀、黑珀，番名撒白值。各色美玉器皿、水晶器皿，十樣錦翦絨花單，其絨起一二分，長二丈，闊一丈，各色梭幅，撒哈喇氈、氁羅氁紗、各番青紅絲嵌手巾等類皆有賣者。

駝馬、騾、牛、羊廣有。其羊有四樣：一等大尾棉羊，每個　　斤，　尾闊一尺餘，拖著地，　　斤；一等狗尾羊，如山羊樣，其尾長二尺餘；一等鬥羊，高二尺七八寸，前半截毛長拖地，後半截皆翦淨，其頭面頸額似棉羊。角彎轉向前，上帶小鐵牌，行動有聲。此羊性快鬥，好事之人餵養於家，與人鬥賭錢物為戲。又出一等獸，名草上飛，番名昔稚鍋失，如大貓大，渾身儼似玳瑁斑貓樣，兩耳尖黑，性純不惡。若獅豹等項猛獸，見他即俯伏於地，乃獸中之王也。

其國王亦將船隻載獅子、麒麟、馬疋、珠子、寶石等物并金葉表文，差其頭目人等，跟隨欽差西洋回還寶船，赴闕進貢。

(1)Zheng Yijun, *Collection of Documents on Zheng He’s Voyage(Enlarged edition)*(*Zheng He xia xiyang ziliao huibian(zengbian ben)*), , P.1-65

وجوههم دون الغطاء ظاهرة .أما صناعة الذهب والفضة الماهرة فهي تتركز في الجانب الغربي في عدن وهذه الصناعة تأتى في المرتبة الأولى لدى أهل هذه المناطق الغربية . (١)

طعامهم يعدون دائما بالسمن والعسل النحل , أهل هذا البلد يقيمون الأبنية من الحجارة . والأحجار تسمى بالأحجار الجيرية المرجانية , وفى أسطح البنايات يستخدمون الطوب وارتفاع الأبنية عادة ما يبلغ حوالي خمسة كلافتر (klafter) (وهو ما يعادل حوالي خمسة عشر ١٥م مترا) لكل ثلاث طوابق ، يوجد في هذا البلد الحمامات العامة , كمـــا توجـــد محلات ومتاجر الخمور توجد أيضا محلات تسمى سوق للحراير الملونة وكذلك للكتب , وهناك يزاول الناس التجارة من خلال العملة المعدنية الذهبية وأيضا العملة النحاسية أما الذهبية فيطلق عليها فولورى وبلغة أهل البلد بولى أمـــا العملـــة النحاسية فتسمى فلوس وهناك رواج كبير لليشم ،أما الحبوب فإن الأنواع الخمسة تتواجد فى هذا البلـــد, والحيوانـــات المترلية عندهم تشمل البقر والخراف والدجاج وأيضا يستأنسون الكلاب .(وزن العملة الذهبية يبلغ حوالي ٣.٧٣جم طبقا للمواصفات الرسمية, ووجهاها متشابهان ومنقطان ،الطبقات الأرضية للبلد ترسل الدفء والحرارة وهى جافة , التقـــويم السنوي يحتوى علي إثنى عشر شهرا , وهناك يبدأ عد الشهور منذ الشهر الأول طبقا لظهور أول ضوء قمري شـــهري ، الحسابات الفلكية تظهر من خلال الشخصيات الروحية المقدسة فهم يقومون بتحديد يوم محدد ليكون بدايـــة الربيـــع , فتتفتح الأزهار في كل مكان وتنتشر الورود وعندما تذبل يكون هذا بمثابة نهاية فصل الربيع وعندما تكون الزهور تقريبـــا جميعها ذابلة والأوراق ساقطة من فروعها وأشجارها هنا يبدأ فصل الخريف بنهاية دورة التفتح والازدهار ومن كســـوف شمس إلى كسوف شمس ، و من فيضان إلى فيضان، ومن رياح إلى رياح ، و من مطر إلى مطر يحدث طبقا لحساباتهم دون أي انحراف أي أنهم يحسبون مواسم الفيضانات وكذلك الكسوف والخسوف ومواسم الرياح ومواسم الأمطار حســـابا دقيقا ويحدث ذلك وتروح المواسم وتأتى دون أي انحراف أو تغيير . ويوجد هناك للقيام بعملية المقايضـــة أو مبادلـــة البضائع اثنا عشر منتجا بالغة الندرة . (٢)

الأحجار مثل:

١-أحجار عيون القطط، ٢-الياقوت ذو الألوان الخمسة المختلفة، ٣-الخرز الكبير، ٤-الأفرع المرجانية، ٥- العنبر، ٦-الورد المقطر(ماء الورد)، ٧-الزرافة، ٨-الأسد، ٩-الحمار الوحشي، ١٠-فهد الآمور، ١١-النعام،١٢- اليمامة

كما توجد بعض المنتجات المحلية الأصلية الأخرى: مثل أنواع كثيرة من خشب الصندل الأحمر , أزهار الشامباكا , أنواع أخرى كثيرة مختلفة من البلح الفارسي , الرمان والمشمش والخوخ . يوجد أيضا عاج الفيل كما توجد الجمال التي تسير لمسافة حوالي ألف ١٠٠٠ لي (وحدة طولية), كما يوجد أيضا الماعز ذوا التسع أذناب أو ذيول بشعر ابيض نـــاعم وبدون قرون , وبدلا من القرون لها انحناءان أسودان الشعر , الرقبة أو الحلق تبدو كرقبة البقر , والشعر الأبيض النـــاعم يشبه شعر الكلاب ,وذوات أرداف مفلطحة ويشار إليها بغنم الصوف .

توجد هناك بعض الحيوانات المتوحشة ، منها ما يسمى الحمير وأجسادها بيضاء اللون ، ووجوهها أيضا تبدو بيضاء ، لكنها مخططة باللون الأسود ، إنها تسمى بالحمار الوحشي ، أو الحمار المخطط بلغة أهل البلد وتسمى أيضـــا بـــالغزلان المنقوشة وواحد آخر يبلغ ارتفاع ساقيه الأماميين — حوالي تسعة الين (والألين هو وحدة محلية طولية) وهـــى تســـاوى تقريبا حوالي ٢.٧٥ متر طولي ، أما ساقيها الخلفيين فيبلغ ارتفاعهما حوالي ستة الين اى ما يعادل ١.٩ متر طولي بأصابع ثلاثية الأظافر أو ذات إصبع ثلاثة- ذات أظافر بأقدام مسطحة ورقاب طويلة ويستطيع أن الواحد أن يرفـــع رأســـه إلى حوالي واحد كلافتر وستة الين اى ما يقارب ٥.١ متر طولي .وعندما يرفع رأسه إلى اعلي ينخفض جزاه الخلفي ولـــه قرون لحميه كما أن له زيل يشبه زيل البقر ، أما جسمه فيشبه جسد الغزال ويسمى ذلك الحيوان بالزرافة وهى تتغـــذى

---

(1) Luo Maodeng, annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, *Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi* (Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch),.,p.71

(2) ibid

على الأنواع الخمسة من الحبوب .وهناك نوع آخر يشبه خلقة النمر ، بفراء اسود أو داكن أو غامق ذو رأس كبير وشفاه عريضة ، زيله اسود وطويل يبدو كالخصل ، هديره مثل الرعد ، وجميع الحيوانات التي تواجهه تزعن له ولا تبدى أية مقاومة ، انه يسمى الأسد بلغة أهل البلاد .عما إذا كانت تقابل أو تواجه ضريبة معينة أو جزية لم تثبت ذلك بعد . خلال عهد يونجل أرسل مرسال حاملا معه ما يثبت ضريبتها أو جزيتها للجماهير أو العامة (١)

دولة مكة: Nr. 23, der Staat Mekka (*tianfangguo* 天方國), p. 181: هذه الدولة توجد على بعد حوالي عشرين ألف وحدة طولية (لي) من كاليكوت (من كاليكوت جهة الجنوب الغربي عند منطقة شين كورس يستطيع الرجل الإبحار معرياح شديدة الهبوب يصل بعد ثلاث أشهر بالميناء الذي يسمى ميناء جدة ويقع تحت سيطرة قائد قبلي . ومن جدة يستطيع الواحد السفر لمدة تقدر بيوم واحد لكي يصل إلى المدينة الملكية . ويطلق على هذه المدينة : دولة مكة أو بلاد مكة الملك في هذا البلد مثقف بالدين الاسلامى ، كما انه العادات والتقاليد هناك عظيمة وسليمة ومحترمة ولذلك يخيم الازدهار على هذه البلدة – وعندما يرى الناس هناك ولادة أو نشأة قمر جديد فإنهم سواء الحاكم أو المحكوم يقوم بالانحناء والسجود على الأرض توقيرا وتقديسا للسماء . أشكالهم الخارجية وسيمة والبشرة تميل إلى اللون

---

(١) *Adan* 阿丹,
راجع ما كتبة ماهوان في النص الأصلي عن عدن ، ص ٣١-٣٤
榜葛刺國

自蘇門答剌國開船，取帽山并翠藍島，投西北上，好風行二十日，先到浙地港泊船，用小船入港，五百餘里到地名鎖納兒港登岸，向西南行三十五站到其國。有城郭，其王府并一應大小衙門皆在城內。

其國地方廣闊，物穰民稠，舉國皆是回回人，民俗淳善。富家造船往諸番國經營者頗多，出外傭役者亦多。人之容體皆黑，間有一白者。男子皆剃髮，以白布纏之。身服從頭套下圓領長衣，下圍各色闊手巾，足穿淺面皮鞋。其國王并頭目之服，俱奉回回教禮，冠衣甚整麗。國語皆從榜葛裡，自成一家言語，說吧兒西語者亦有之。國王以銀鑄錢，名倘伽，每 重 秤三錢， 寸一寸二分，底面有紋。一應買賣 以此錢論臚零用。 考嘐，論個數交易。民俗冠喪祭婚姻之禮，皆依回回教門禮制。

四時氣候，常熱如夏。稻穀一年二熟，米粟細長，多有細紅米。粟、麥、芝麻、各色豆黍、薑、芥、蔥、蒜、瓜、茄、蔬菜皆有。果有芭蕉子。酒有三四等，椰子酒、米酒、樹酒、茭蔁酒各色法制，多有燒酒。市賣無茶，人家以檳榔待人。街市一應鋪店、混堂、酒飯甜食等肆都有。駝、馬、驢、騾、水牛、黃牛、山羊、棉羊、鵝、鴨、雞、豬、犬、貓 畜 有。 則有波 蜜、酸子、石榴、 蔗 類，其甜食則有沙糖、白糖、糖霜、糖果、蜜煎、蜜薑之類。土產五六樣細布：一樣蓽布，番名卑泊，闊三尺餘，長五丈六七尺，此布勻細如粉箋═般；一樣薑黑布，番名滿者提，闊四尺許，長五丈餘，此布緊密壯實；一樣番名沙納巴付，闊五尺，長三丈，便如生平羅樣，即布羅也；一樣番名忻白勤搭黎，闊三尺，長六丈，布眼稀勻，即布紗他，皆用此布纏頭；一樣番名沙榻兒，闊二尺五六寸，長四丈餘，如好三梭布一般；有一樣番名驀黑驀勒，闊四尺，長二丈餘，背面皆起絨頭，厚四五分，即兜羅綿也。桑柘蠶繭皆有，止會作線繅絲嵌手巾并絹。不曉成綿。漆器、盤碗、鑌鐵、輪、刀、翦等器皆有賣者。一樣白紙，亦是樹皮所造，光滑細膩如鹿皮一般。

國法有笞杖徒流等刑。官品衙門印信行移皆有。軍亦有官管給糧餉，管軍頭目名吧斯剌兒。醫蔔陰陽百工技藝皆有之。其行術，身穿挑黑線白布花衫，下圍色絲手巾，以各色硝子珠間以珊瑚珠穿成纓絡，佩於肩項，又以青紅硝子燒成鐲，帶於兩臂，人家宴飲，此輩亦來動樂，口唱番歌對舞，亦有解數。有一等人名根肖速魯奈，即樂工也。每日五 時分， 目或富 門首，一人吹鎖，一人擊 鼓， 擊大鼓，初 則慢，自有調拍，後漸 促而息。 家， 擊 去，至飯時仍 或與酒飯，或與錢物。撮弄把戲，諸色 有，不甚 異。止有一樣，一人 妻以鐵索拴一大虎，在街牽拽而行，至人家演弄。即解其鐵索，令虎坐於地。其人赤體單梢，對虎跳躍，拽拳將虎踢打。其虎性發作威，咆哮勢若撲人。其人與虎對跌數交畢，又以一臂伸入虎口，直至其喉，虎不敢咬。其人仍鎖虎頸，則伏於地討食。其家則與肉啖之，又與其人錢物而去。日月之定，亦以十二個月為一年，無閏月。節氣早晚臨期推。
王亦差人駕船往各番國買賣，取辦方物珍珠寶石，進貢中國。

الارجوانى ، الرجال يرتدون الجلابيب الطويلة ويلفون رؤوسهم بالأغطية ، ويلبسون أحذية من الجلد بأرجلهم – أما النساء فإنهن يغطين رؤوسهن ولا يبدين وجوههن ، وتستخدم هناك اللغة العربية كلغة أساسية لأصل البلد ، كما انه يوجد منع تام وتحريم كامل للخمر بهذا البلد ، وتقام إجراءات الزواج والجنازات طبقا للطقوس الدينية الإسلامية تماما ، المعبد أو المسجد الذي تقام فيه الطقوس الدينية يطلق عليه اسم قاعة السماء أو ساحة السماء تيانتاج ، وهذه الساحة أو القاعة هي مستطيلة الشكل وارتفاعها يماثل عرضها من حيث الطول ويطلق عليها اسم الكعبة. (١)

تمثال كبير لبوذا قد أقيم (يقصد مبنى الكعبة المشرفه)، قاعدته بنيت من اليشم . القاعة محاطة بسور يشبه أسوار القصور ومبنى من الحجارة ذات الألوان الخمسة المستطيلة الأبعاد وسور المدينة له ٤٦٦ بوابة (أربعمائة وست وستين بوابة). السقف مبنى من العروق الخشبية أو الكتل الخشبية وهى مصنوعة من خشب النسر وهى خمسة ، أما مجرى السطح أو المزراب فهو مصنوع من الذهب . أرضية القاعة السماوية مطلية أو مغطاة بالجرانيت – يوميا يقومون بمسح الجدران الأربعة لهذه القاعة بمياه الورد المقطر والعنبر. أما العطر فلا يكاد ينقطع هناك . الركائز (الأعمدة) مبنية من اليشم (المرمر) ويوجد للقاعة السماوية (الكعبة) حوالي ٤٦٧ دعامة أو ركيزة ، ٩٩تسعة وتسعون ركيزة أمامية ، مائة وواحد ١٠١ داخلية ، ١٣٢ مائة واثنين وثلاثين ركيزة على الناحية اليسرى ، ١٣٥ مائة وخمس وثلاثين ركيزة على الجانب الأيمن . (٢)ستائر هذه القاعة (الكعبة) من الكتان الملون باللون الأسود والحرير وهى تحمى بزوج من الأسود زوي اللون الأسود التام . والذين يأتون من البلاد الأخرى إلى القاعة (الكعبة) لحرق البخور هناك يتقابلون مرة واحدة كل عام أثناء الحج، أما البعد الجغرافي الذي يمتد لأكثر من عشرة ألاف وحدة طولية (لى li) فلا يمثل لأحد اى عائق وليس بعدا كبيرا مقابل أداء الحج . اليوم العاشر من الشهر الثاني عشر هو الموعد المحدد لذلك ياتى الناس المسلمون في هذا اليوم من كل عام من جميع البلاد الإسلامية في العالم حتى وان كانت الرحلة تستغرق عامان نظرا لبعد المسافة وقد كانت الرحلات البحرية تستغرق عام أو عامان لكن ذلك لم يمنع الناس من المجيء إلى القاعة السماوية للحج. وكل واحد من الذين جاءوا لأداء فريضة الحج يحصل على قطعة سوداء من ستائر الكعبة عند إيابه أو رجوعه وذلك لتذكر فريضة الحج دائما، وعندما تنتهي لذلك الستائر فان السلطان يأمر بعمل ستائر جديدة وهكذا ، على اليسار من القاعة يوجد مدفن قديم لبوذا (سيدنا اسماعيل) وهذا القبر تم بناؤه من احد الأحجار الكريمة ذات اللون الأخضر ويسمى حجر السابونى طوله يبلغ حوالي واحد كلافتر واثنين الين اى ما يعادل حوالي ٣.٦ متر طولي) أما ارتفاعه فيبلغ حوالي ثلاثة الين وعرضه يبلغ حوالي خمسة الين . القبر ذو سور مغلق وهو مبنى من المرمر النظيف ، ارتفاعه يبلغ حوالي خمسة الين . على الأجناب الأربعة أو عند الأركان الأربعة للسور يوجد معبد ، يقوم المؤذن بتسلقه أو يتسلقه احد الأئمة الأربعة ،للمدارس أو المذاهب الأربعة (الحنفية – الشافعية – الحنبلية – المالكية) كما يوجد صالات أو قاعات للعلم أو التعليم تسمى بالمدارس ، وكل ذلك مبنى من الحجارة ذات الخمسة ألوان . (٣)التأثير الحراري للأرض هناك دائما حار ، لذا فالجو هناك حار ولا تسقط الأمطار كما انه لا وجود للبرق أو الصقيع أو الرعد ولا الثلوج ، والفصول السنوية الأربعة لطيفة ويمكن تحملها بارتياح الحشائش أو الخضرة والأشجار هناك تظل خضراء دون ذبول أو تساقط للأوراق ، وهناك يتساقط الندى الحلو يوميا وهناك الناس يستغلون هذا الندى ويستهلكونه ويستخدمونه هناك يزاول الناس مقايضاتهم أو مبادلاتهم التجارية بالعملة الذهبية المعدنية ، وهى تسمى التانجا ، وهناك أيضا توجد حجارة اليشم بغزارة ووفرة ، أما الحبوب فإنها تشمل الأنواع الخمسة المعروفة ، كما أن الحيوانات المستأنسة أو المنزلية هي أنواع الحيوانات الستة .(قطر العملة المعدنية طبقا للمواصفات الرسمية المعمول بها هناك يبلغ حوالي سبعه فين اى حوالي ٢.١٧ سم ، أما وزنها فيبلغ حوالي واحد كيان اى ما يعادل ٣.٧٣ جم وهذا طبقا للمواصفات الرسمية المعمول بها .من هذه الدولة أو هذا البلد (مكة) لو سافر المرء حوالي مائة لي (LI) (اى ما

(1)Pelliot, Paul, "Les grands voyages maritimes chinois au debut du XVe siecle", *T'oung Pao*, 1933, No. 30, pp 237-452

(2)Zheng Yijun, *Collection of Documents on Zheng He's Voyage(Enlarged edition)*(*Zheng He xia xiyang ziliao huibian(zengbian ben)*), , P.1-65

(3)ibid

يقارب ٥٦ كيلو متر) جهة الغرب يصل إلى بلدة تسمى بالمدينة . في شرق المدينة يوجد مدفن أو قبر الرجل المقدس الذي يدعى محمد (المقصود قبر الرسول صلى الله عليه وسلم) وأعلى قمة هذا القبر توجد أضواء ذات الخمسة ألوان ، والصباح هناك كالمساء الضوء والنور أو الإضاءة لا تنقطع وتتلالا دائما وخلف هذا القبر يوجد منبع مائي ، هذا المنبع يطلق عليه اسم زمزم ، وطعم الماء الذي يجرى فيه حلو أو يميل إلى المذاق الحلو – هذا المنبع المائي يستطيع أن يهدى من الأمواج الصاخبة أو موجات الماء المتلاطمة ، الذي يريد أن يبحر أو يسافر بالسفن عليه أن يختزن قدرا من ماء المنبع ، فإذا ما حدث ووقع إعصار وقام الواحد برش هذا الماء فان الأمواج تهدا وتتوازن وتذهب النوة (١)

ويوجد منتج أصلى ومحلى في مكة وهو ماء الورد المقطر والعنبر ، كما توجد الفهود ، والغزلان ، والوشق ، والزرافة ، والأسود ، وكذلك الظباء ، ويوجد أيضا الحصان ، كما توجد أيضا الجمال والنعام ، الحمير الوحشية وكذلك البغال ، الحمام .أما الزهور فتوجد زهرة الخروب ، وشجرة الخروب تشبه شجرة التوت الكبيرة ويبلغ ارتفاعها حوالي ٢ كلافتر وهي تحصد مرتين بالعام . ويوجد أيضا العنب ، الخوخ والمشمش والبلح الفارسي ، والرمان والكمثرى ، البطيخ والشمام ، ولرفع شجرة الخوخ يحتاج المرء على الأقل رجلان . (٢)

(1) Luo Maodeng, annotated by Lu Shulun and Lan Shaohua, *Sanbao Taijian xia Xiyang ji tongsu yanyi* (Popular romance of the journey to the Western Ocean of the Three Treasure Eunuch), Shanghai: Shanghai Guji Chubanshe, 1985.,p.94

(٢) *Tianfang* 天方,
وحول مكة يمكن الرجوع للنص الاصلي لماهوان باللغه الصينية ونلاحظ انه ذكر المدينة المنورة في اخر حديثة عن مكة،ص٣٤-٣٥

天方國

此國即默伽國也。自古裡國開船，投西南申位，船行三個月方到本國馬頭，番名秩達。有大頭目主守。自秩達往西行一日，到王居之城，名默伽國。奉回回教門，聖人始於此國闡揚教法，至今國人悉遵教規行事，纖毫不敢違犯。其國人物魁偉，體貌紫膛色。男子纏頭，穿長衣，足著皮鞋。婦人俱戴蓋頭，莫　　面。說阿　畢言語。　法　酒。民風和美，　　難　家。悉遵教規，犯法者少，誠為極樂之界。婚喪之禮皆依教門體例而行。

自此再行大半日之程，到天堂禮拜寺，其堂番名愷阿白。外周垣城，其城有四百六十六門，門之兩傍皆用白玉石為柱，其柱共有四百六十七個，前九十九個，後一百一個，左邊一百三十二個，右邊一百三十五個。其堂以五色石疊砌，四方平頂樣。　用沈香　木五條為梁，以　金為閣。滿堂　牆壁　是薔薇露龍涎香和土為之，馨香不絕。上用皂紵絲為罩罩之。蓄二黑獅子守其門。每年至十二月十日，各番回回人，甚至一二年遠路的，也到堂內禮拜，皆將所罩紵絲割取一塊為記驗而去。剜割既盡，其王則又預織一罩，復罩於上，仍復年年不絕。堂之左有司馬儀聖人之墓，其墳壠俱是綠撒不泥寶石為之，長一丈二尺，高三尺，闊五尺，其圍墳之牆，以紺黃玉疊砌，高五尺餘。城內四角造四堆塔，每禮拜即登此塔喝班唱禮。左右兩傍有各祖師傳法之堂，亦以石頭疊造，整飾極華麗。

其處氣候四時常熱如夏，並無雨電霜雪。夜露甚重，草木皆馮露水滋養。夜放一空碗，盛至天明，其露水有三分在碗。土產米穀僅少，皆種粟麥黑黍瓜菜之類。西瓜、甜瓜每個用二人擡一個者亦有。又有一種（纏）綿花樹，如中國大桑樹，高一二丈，其花一年二放，長生不枯。果有蘿蔔、萬年棗、石榴、花紅、大梨子，桃子有重四五斤者。其駝、馬、驢、騾、牛、羊、貓、犬、雞、鵝、鴨、鴿亦廣。雞、鴨有重十斤以上者。土產薔薇露、俺八兒香、麒麟、獅子、駝、雞、羚羊、草上飛，并各色寶石、珍珠、珊瑚、琥珀等物。其王以金鑄錢，名倘加行使，每個徑七分，重官秤一錢，比中國金有十二成色。

又往西行一日，到一城，名驀底納。其馬哈嘛聖人陵寢正在城內，至　墓頂豪　日夜侵雲　起。墓後有一井，泉水清甜，名阿必糝糝。下番之人取其水藏於船邊，海中倘遇颶風，即以此水灑之，風浪頓息。宣德五年，欽蒙聖朝差正使太監　鄭和　往　番　　賞賜。分　　䑸　時，　太　洪本　差人往彼，就選差通事等七人，齎帶麝香、磁器等物，附本國船隻到彼。往回一年，買到各色奇貨異寶，麒麟、獅子、駝雞等物，并畫天堂圓真本回京。其默伽國王亦差使臣，將方物跟同原去通事七人獻齎於朝廷。

景泰辛未秋月望日會稽山樵馬歡述。

موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٤٨ – ١٩٧٣

للدكتور/ عبدالحكيم عامر الطحاوى

مقـــــدمـــــــة

تعد الصين من الدول الكبرى المهمة فى العالم التى تؤثر مواقفها فى مجريات الأحداث الدولية ، ولما كان الصراع العربى الاسرائيلى يمثل أحد الأحداث المهمة التى ظهرت فى القرن العشرين الميلادى ، ومازالت تأثيراتها إلى الآن فى منطقة حيوية من العالم هى منطقة الشرق الأوسط ، وارتبطت بداية هذا الصراع بإعلان قيام اسرائيل على الأراضى العربية الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وكان من الأهمية معرفة مواقف الدول الكبرى العالمية من هذا الصراع ، ولما كانت الصين من هؤلاء الدول خاصة بعد قيام الثورة الشيوعية فيها عام ١٩٤٩ واعلان جمهورية الصين الشعبية كإحدى الدول الآسيوية البارزة ، من هنا تأتى أهمية مثل هذه الدراسة لتلقى الضوء على موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى فى دراسة تاريخية مختصرة تبدأ منذ بداية الصراع العربى الاسرائيلى عام ١٩٤٨ ، وتنتهى مع توضيح موقف الصين من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، لتبرز تطور الموقف الصينى خلال فترة الدراسة.

ولقد تم تقسيم هذه الدراسة الى عدة عناوين جانبية تبدأ بتمهيد عن الصين وبداية الصراع العربى الاسرائيلى عام ١٩٤٨ ، وفيه نتناول باختصار جذور الثورة الصينية وجذور الصراع العربي الاسرائيلى حتى موقف الصين من قرار التقسيم عام ١٩٤٧ وبداية الصراع بالحرب العربية الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨.

ثم موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٤٩–١٩٥٥ وفيه نوضح انشغال الصين بثورتها وأمورها الداخلية وما يدور على حدودها مثل الأزمة الكورية ، وبالتالى لم تنشغل بمسألة الصراع العربى الاسرائيلى فى هذه المرحلة الا عندما التقت مع القادة العرب فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥.

ثم موقف الصين من الصراع فيما بين عامي ١٩٥٦ – ١٩٦٣ ، وفيه نوضح اعتراف مصر بالصين كأول دولة عربية ، وموقف الصين من العدوان الثلاثى على مصر ، وما تتبعه من الاعتراف المتبادل مع عدد من الدول العربية ، وهو ما انعكس على موقف الصين من بداية التفهم للصراع العربى الاسرائيلى ودعم الموقف العربى ضد اسرائيل ، التى بدأت تتدخل فى بعض المشكلات على حدود الصين مثل الصراع الصينى الهندى عام ١٩٦٢م مما انعكس سلبياً على محاولات اسرائيل لإقامة علاقات مع الصين ، فجانب انشغال العرب بقضايا الوحدة والانقسام حول ثورة اليمن عام ١٩٦٢ ، وفى ظل ذلك شهدت نهاية تلك الفترة هدوء فى القضية الفلسطينية أساس الصراع العربى الاسرائيلى.

وبعد ذلك نوضح موقف الصين من الصراع فيما بين عامى ١٩٦٤ – ١٩٧٣ ، وفيه نوضح عودة القضية الفلسطينية الى دائرة الاهتمام العربى والصينى والعالمى بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ ، وكانت الصين أول دولة اجنبية تعترف بها ، وما تبع ذلك من تأييدها لقرارات القمة العربية وتقديم الدعم للمنظمة حتى كانت حرب يونيو ١٩٦٧ اتخذت الصين موقفاً مؤيداً للعرب ضد الامبريالية الامريكية وعمليتها اسرائيل – كما كانت توصف فى الدوائر العربية والصينية – ودعمت الصين الأعمال الفدائية الفلسطينية ودول المواجهة مع اسرائيل وكانت المتغيرات الدولية قد تركت اثرها على موقف الصين حين تم تبادل الاعتراف مع الولايات المتحدة عقب زيارة الرئيس الأمريكي نيكسون للصين فى فبراير ١٩٧٢ وانضمامها للامم المتحدة ، مما جعل الصين فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ وبعدها تتخذ موقف الداعم لحل الصراع العربى الاسرائيلى بالطرق السلمية.ثم الخاتمة وفيها أهم نتائج الدراسة التى تتبعت فيها منهج البحث التاريخى ، واستعنت خلالها بعدد من المصادر العربية والاجنبية ما بين وثائق وكتب ودوريات من أبرزها بعض الوثائق الامريكية "**Foreign Relations of The United States**" والتى يرمز لها "**F.R.U.S** "، والبريطانية "**Foreign Office**" والتى يرمز لها "**F.O.** " ، والوثائق المصرية والفلسطينية والصينية وجامعة الدول العربية ، وقد وضعت البعض ضمن ملاحق البحث ، بالإضافة الى الاستعانة بعدد من الدوريات الاجنبية والعربية التى ساعدت فى ربط الاحداث.

وبعد فإن هذه الدراسة التاريخية المختصرة عن موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ، إذ أقدمها لمؤتمر "العلاقات العربية الصينية" ، أسأل الله أن تكون نافعة ومفيدة للباحثين فى التاريخ الحديث والمعاصر.

أولاً: الصين وبداية الصراع العربى الاسرائيلى عام ١٩٤٨م: فى مطلع القرن العشرين الميلادى تزامن قيام الجمهورية فى الصين مع تطلعات القوى الصهيونية لاقامة وطن لهم فى فلسطين مما يعنى مقدمات الصراع العربى الاسرائيلى. فقد كانت الصين التى تقع فى شرق القارة الاسيوية على المحيط الهادى ، ويحدها من الشمال بداية من كوريا الشمالية جمهورية روسيا الاتحادية ومنغوليا ، ثم جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق من الشمال الغربى ، والغرب كازاخستان وطاجيكستان واوزباكستان ثم افغانستان وباكستان ، وفى الجنوب جمهوريات جنوب غرب اسيا بداية بالهند وحتى فيتنام على ساحل المحيط الهادى (١). هذه الحدود الطويلة ، والعدد الكبير من الدول المحيطة ، والمساحة الواسعة ثالث دولة بعد روسيا الاتحادية وكندا ، والامكانيات الاقتصادية الهائلة من تنوع المناخ والتضاريس ووفرة الايدى العاملة (٢) ، كل ذلك جعل من الصين وعلى مدى تاريخها دولة ذات أهمية على الساحة العالمية ، حتى إن مساحتها كانت تتعرض للتوسع والانكماش خلال فترات التاريخ المختلفة بسبب أطماع القوى المجاورة والقوى الاستعمارية. فكانت الصين فى مطلع القرن العشرين الميلادى تعيش نهاية عصرها الامبراطورى ، وفى عام ١٩١١ نجح الشعب الصينى فى اسقاط اسرة ما نشو " Mnchu " واعلان الجمهورية الصينية بزعامة القائد الصينى صن يات سن " Sun Yat Sen " (*) .

وفى عام ١٩٢٧ تولى رئاسة الجمهورية فى الصين تشيانج كاى شيك " Chiang Kai Shek " ، وفى الثلاثينيات قامت اليابان بغزو الاراضى الصينية ضمن النزاع الذى وقع بينهما ما بين اعوام ١٩٣١ وحتى عام ١٩٣٧ ، وفى تلك الفترة التى كان يحاول فيها كاى شيك صد اليابان ، كان الحزب الشيوعى الصينى الذى تأسس عام ١٩٢١ ينمو ويزحف نحو السيطرة على معظم السلطة الداخلية فى البلاد ، خاصة خلال سنوات الحرب العالمية الثانية واعقابها ، حتى قاد الحزب ثورة عامة امتدت الى كل انحاء الصين و لم يستطع كاى شيك الوقوف امامها ولجأ الى جزيرة فرموزا "تايون" وأعلن جمهورية الصين الوطنية "الرأسمالية" بينما نجح الحزب الشيوعى فى اعلان قيام جمهورية الصين الشعبية "الشيوعية" فى الاول من اكتوبر عام ١٩٤٩ بزعامة ماوتسى تونج " Maw Tse Tung " وشواين لاى "Chou En Lai" (٣) ، لتبدأ الصين عهداً جديداً ونهضة شاملة جعلت منها احدى القوى العالمية المهمة فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وفى تلك الاثناء التى كانت تتشكل فيها خريطة الصين المعاصرة ، كان الصراع العربى الاسرائيلى يتشكل هو الاخر عندما استطاعت القوى الصهيونية خلال سنوات الحرب العالمية الاولى ان تنتزع من بريطانيا وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بإقامة وطن لليهود فى فلسطين والتى كانت خاضعة للدولة العثمانية فى شرق البحر المتوسط وغرب القارة الاسيوية ، وما إن انتهت الحرب واقتسمت انجلترا وفرنسا املاك الدولة العثمانية بموجب اتفاقية سايكس بيكو ، وقعت الاراضى الفلسطينية تحت الانتداب البريطانى(٤).

ومنذ ذلك الوقت عام ١٩٢٢ أخذت السلطات الاستعمارية البريطانية تسمح بالهجرات اليهودية وتمكن اليهود من امتلاك الاراضى الفلسطينية ، غير عابئة بثورات الفلسطينيين التى يدعمها العرب سواء فى العشرينيات وأبرزها ثورة البراق

(١) انظر الملحق رقم (١) عبارة عن خريطة توضح موقع الصين.

(٢) د. حسن ابوالعينين: جغرافية العالم الاقليمية ، الجزء الاول ، اسيا الموسمية وعالم المحيط الهادى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشباب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص٤٢٠ وما بعدها.

أيضاً: ابراهيم نافع : الصين "معجزة نهاية القرن العشرين " ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص١٨٦.

(*) ولد الدكتور صن يات سن فى قرية قرب مدينة كانتون ، واعتنق المسيحية ، والتحق باحدى مدارس الرهبان فى هنولولو الامريكية ، ثم بالكلية الحربية الانجليزية ، وكان اول صينى يتخرج منها ، ولذلك اجتمعت فيه ثقافة الغرب وآمال الشرق، وآمن بالاصلاح وقاد الثورة الصينية ضد الامبراطورية ، انظر: د. فاروق اباظة : محاضرات فى تاريخ الشرق الاقصى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٨، ص٧٧.

(٣) د. جلال يحيى: التاريخ الاوربى الحديث والمعاصر منذ الحرب العالمية الاولى ، جـ٣، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية ، ص٩٢.

(٤) جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، وثيقة ٢٧ ، المجموعة الاولى ، ١٩٥٧.

عام ١٩٢٩(١) ، او فى الثلاثينيات وابرزها ثورة عام ١٩٣٦ التى عرفت بالثورة الفلسطينية الكبرى (٢) ، والتى اعقبها تشكيل لجنة أوصت لأول مرة بتقسيم فلسطين ثم دعوة بريطانيا الى عقد مؤتمر لندن فى فبراير عام ١٩٣٩ لبحث حل للمسألة الفلسطينية(٣).

وفى ظل فشل المؤتمر وصدور العديد من الكتب البريطانية التى تعد بالحلول ، الى ان قامت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر من نفس العام زادت الهجرات اليهودية الى فلسطين ، وعلى الرغم من محاولات التهدئة البريطانية كسباً لموقف العرب بجانبها خلال سنوات الحرب ، والتى بمجرد انتهائها كانت القوى الصهيونية قد اعدت نفسها بتشكيلات داخل الاراضى الفلسطينية، فى الوقت الذى اعلن فيه عن تأسيس منظمة الامم المتحدة عام ١٩٤٥ ، حيث بدأت اللجان الدولية تبحث عن حلول للمشكلة الفلسطينية دون جدوى ومنها لجنة التحقيق البريطانية الامريكية عام ١٩٤٦ (٤).

وفى عام ١٩٤٧ عرضت القضية الفلسطينية على الامم المتحدة وانتهت الجمعية العامة باصدار القرار ١٨١ فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، ويقضى بتقسيم فلسطين الى منطقة عربية واخرى يهودية وثالثة دولية وهى القدس (٥) ، وهو القرار الذى قوبل باستنكار واسع ورفض قاطع من كل القوى العربية (٦). بينما استغلت القوى الصهيونية اعلان بريطانيا الانسحاب من فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨ وأعلنت فى اليوم التالى قيام دولة اسرائيل (٧).

وبهذا الاعلان بدأ الصراع العربى الاسرائيلى باشتعال الحرب العربية الاسرائيلية الاولى التى بدأت معها مواقف الدول المختلفة تتضح من هذا الصراع ومن بينها الصين ، وإذا كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أكبر قوتين ظهرتا بعد الحرب العالمية الثانية ، قد اعترفتا باسرائيل بعد اعلان قيامها مباشرة ومعهما بريطانيا وفرنسا (٨) ، فإن الصين كان لها موقف آخر منذ بداية تطور الاحداث حتى عرض القضية فى الامم المتحدة ، ومنذ ابريل عام ١٩٤٧ على مشروع القرار البولندى التشيكى الذى يطالب بحضور الوكالة اليهودية لاجتماعات الجمعية العامة للام المتحدة ، وفى نفس الوقت على مشروع القرار العربى الذى يطالب بإنهاء الانتداب البريطانى ووقف الهجرة واعلان استقلال فلسطين ، وطالبت الصين بضرورة تسوية عادلة للمشكلة بين الاطراف المعنية (٩) ، ولعل فى هذا ما يدل على أن الصين اتخذت موقفاً وسطاً بين العرب واليهود ، ولذلك اعلنت عند عرض التقسيم عن رفضها للتصويت نهائياً على القرار (١٠).

وهكذا يتضح أن موقف الصين فى بداية الصراع العربى الاسرائيلى عام ١٩٤٨م انه يرفض فرض الحلول للقضية الفلسطينية ، وهو الموقف الذى تزامن مع انشغال الصين بأحوالها الداخلية – كما رأينا – بعيداً عن الصراعات الخارجية حتى اعلان قيام جمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٤٩.

---

(١) F.O. 371/13755, From Mr. Bond to F.O. Oct. 15, 1929.

(٢) F.O. 371/20024, From Rendal to Eden, Nov. 24, 1936.

(٣) حول تفاصيل هذا المؤتمر يمكن مراجعة: مؤتمر فلسطين العربى البريطانى ، المنعقد فى مدينة لندن فبراير ١٩٣٩، محاضر جلساته وتقارير لجانه، طبعها الامير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٤٠، واعادت طباعته دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض ، ١٤٢٢/٢٠٠١م.

(٤) F.O 371/52536 From British Legation, Jedda, to F.O London, Jun. 30, 1946.
ويمكن مراجعة الملحق رقم (٢) نص رسالة المفوضية البريطانية فى جدة الى وزارة الخارجية بلندن تتناول ما لحق بالعرب من ظلم.

(٥) Kink, G.: The Middle East 1945-1950, NewYork 1960, P.220.

(٦) Lenezwski, G.: The Middle East In The World Affairs, NewYourk 1958, P.508.

(٧) Hurewitz, J.: Diplomacy In The Near And The Middle East, Vol "2", Princeton, U.S. 1956, P.281.

(٨) د. رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، دار عين، القاهرة ٢٠٠٢، ص٢٤٦.

(٩) China and The United Nations, "The Manhattan Publishing Company", NewYork, 1959.

(١٠) دار الوثائق القومية بالقاهرة : أرشيف وزارة الخارجية ، الأرشيف الجديد ، محفظه ١٥٨١ ، ملف ١٣٩ – ٢/١٤٠ ، بعنوان : اسرائيل : اجراءات مصر لعدم انضمام اسرائيل للمنظمة الدولية ، مذكرة من وزارة الخارجية ، إدارة الشئون العربية بتاريخ ١٩٤٩/٢/١٩.

ثانياً: موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٤٩ – ١٩٥٥:انشغلت الصين منذ اعلان قيامها فى اكتوبر عام ١٩٤٩ بأحوالها الداخلية ، فعملوا بقيادة ماوتسى تونج وشواين لاى رئيس الوزراء من أجل تدعيم سلطة الحزب الشيوعى والحكومة التى استغرقت اربع سنوات حتى عام ١٩٥٣ ، واتخذوا سياسة خارجية حـــذرة فى ظـــل سياســـة الاصـــلاح الاقتصادى الداخلى ، خاصة فى النواحى الزراعية التى توسعوا فيها بعدة قوانين من أبرزها قانون ٢٨ يونيو ١٩٥٠ الذى عمل على تحطيم الملكية القديمة ، بنزع الاراضى غير المستغلة ومصادرة الاراضى التى يملكها غير الفلاحين ، وقانون الزواج الذى صدر قبل هذا القانون فى مايو ١٩٥٠ وكان يهدف للمساواة بين الرجل والمرأة وحق المرأة فى العمـــل ، وقـــانون التعليم وغير ذلك من القوانين التى ترتبط بالاوضاع الداخلية التى انشغلت بها الحكومة الصينية قبل اعلان النظام الاشتراكى عام ١٩٥٣ والذى كان بداية للخطط الخمسية واعلان الدستور وخلافه(١). وبالتالى لم يترك انشغال الصين بالاوضـــاع الداخلية اى اهتمام بما كان يجرى على ساحة الصراع العربى الاسرائيلى ، حيث كانت قد بدأت الهدنة بين الجيوش العربية واسرائيل وقاموا بالتوقيع على عدد من الاتفاقيات خاصة فى عام ١٩٤٩ ، وكانت اسرائيل منشغلة هى الاخرى فى تثبيت اوضاعها وتحاول جاهدة كسب المزيد من الاعتراف الدولى المتبادل ، ولذلك بادرت باعلان اعترافها بجمهورية الصـــين الشعبية فى يناير عام ١٩٥٠ ، وبالرغم من انها كانت اول دولة فى منطقة الشرق الاوسط تعترف بالصين إلا ان الحكومة الصينية لم تبادل اسرائيل الاعتراف ، بل اكتفت بخطاب شكر ارسله ماوتسى تونج الى حكومة اسرائيل التى لم تستكين ، وظلت تحاول تبادل الاعتراف الصينى بها وعملت على توسيط دولة بورما القريبة من الصين ، حيث كانت لها علاقـــات طيبة معها دون جدوى (٢). ولعل الموقف الصينى تجاه ذلك كان يرتبط بعدة عوامل مهمة من أبرزها العداء للولايـــات المتحدة حليفة اسرائيل ، التى تعتبرها الصين العدو الرئيسى لها والممثل الاول للامبريالية العالمية ، وذلك بســـبب الموقـــف الامريكى المؤيد للصين الوطنية التى جعلتها تعترف باسرائيل ، واتباعها سياسة فرض العزلة العالمية على الصـــين بـــرفض عضويتها للامم المتحدة ، وأضيف الى ذلك تدخل امريكا فى كوريا المجاورة لحدود الصين فيما عرف بالحرب الكورية بين عامى ١٩٥٠-١٩٥٣ ، حيث وقفت الصين ضد هذا التدخل الامريكى فيها ، وأخذت تعمل على تشكيل جبهة مـــع الاتحاد السوفيتى لمواجهة الامبريالية الامريكية ، مما أدى الى تقسيم كوريا شمالية "شيوعية " وجنوبية " رأسمالية" وزاد مـــن حدة تلك الازمة ودخولها ضمن الصراع بين المعسكرين الشرقى والغربى(٣).

وأثناء ذلك وقفت اسرائيل بجانب الموقف الامريكي ضد الصين وقدمت الدعم للقوات الامريكية التى تحارب القوات الكورية الشمالية ، كذلك خلال مناقشات المسألة الكورية فى الامم المتحدة اخذت اسرائيل نفس الموقف المناهض للموقف الصينى ، مما ترك أثره على توجهات الصين ناحية اسرائيل. وإذا كانت الصين قد وضعت محاربة الاستعمار الامريكى من الاسس التى قامت عليها سياستها الخارجية بسبب هذه المواقف، فإنها اعتبرت إسرائيل أداة لها فى منطقة الشرق الاوســـط فلم تعترف بها ، وكان الموقف من الحرب الكورية يمثل النهاية لمحاولات اقامة علاقات دبلوماسية بين اســـرائيل والصـــين (٤).

ومن الملاحظ ان الصين فى تلك الفترة لم تكن ترفض الاعتراف باسرائيل من اجل القضية الفلسطينية بل مـــن زاويـــة الموقف الاسرائيلى المتحالف مع الولايات المتحدة ، حيث التقى هذا الموقف مع دعم الصين لكل حركات التحرر فى العالم

---

(١) د. جلال يحيى : المرجع السابق ، ص٥٢٩ – ٥٣٠.

(٢) احمد على اسماعيل: التسلل الاسرائيلى فى آسيا، السياسة الدولية ، اكتوبر ١٩٦٦ ، ١٢٧.

خيرى حماد: قضايانا فى الامم المتحدة ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، مايو ١٩٦٢ ، ص٢٥٣.

(3) Whiting, A.: China Crosses the Yalu, The Decision to Enter The Korean War, "Macmillan, NewYork 1960, P.159.

أيضاًTruman, H.: Memories Years of Trial & Hope 1945-1955, Vol "2", Garden City – NewYork 1956, P.437.

(٤) لمياء جميل: "المابام" حزب العمال الموحد فى اسرائيل ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، اكتوبر ١٩٦٨، ص٤٨.

فى ذلك الوقت ، الذى لم تكن على دراية فيه بتطورات الصراع العربى الاسرائيلى نظراً لانشغالها بأمورها الداخلية ومن ناحية اخرى تدخلها فى الأزمة الكورية. ولما كانت الصين قد فرغت من احوالها الداخلية بوضع الخطة الخمسية الاولى التى بدأت مع نهاية الحرب الكورية فى عام ١٩٥٣ ، والتى وضعت من خلالها أسس تنظيم الشعب الصينى وتعبئته لكى يسهم فى بناء الوطن ، سواء عن طريق تدعيم التعاونيات الزراعية او محاربة الفساد الذى كان يسود المجتمع الصينى(١) ، ولقد تزامن ذلك مع زيادة حركات التحرر فى مناطق كثيرة من العالم ، وتطابق مع وجهة نظر الصين الداعمة لهذه الحركات ، تطبيقاً للايديولوجية الصينية تجاه الصراع الثورى ضد الاستعمار فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية (٢).

ولما كان العالم العربى ضمن دول هذه المجموعة التى بدأت الصين تتطلع اليها للوقوف ضد المعسكرين الشرقى والغربى ، والتخلص من القوى الاستعمارية الغربية التى بدأت تتخذ سياسة الاحلاف العسكرية فى عدد من مناطق العالم ، ومنها ما هو قريب من الصين ، لتطبيق السياسة الامريكية التى تقوم على احتواء الشيوعية حفاظاً على مصالحها الاستراتيجية ، وعقب الازمة الكورية وتدخلات الصين والاتحاد السوفيتى فكرت الولايات المتحدة فى اقامة حلف بمنطقة جنوب شرق آسيا ، وهو الحلف الذى ضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلاندا وتايلاند وباكستان بالاضافة الى الفلبين الدولة المضيفة التى حمل الحلف اسم عاصمتها وهو حلف مانيلا وتم التوقيع عليه فى ٨ سبتمبر عام ١٩٥٤(٣).

وفى أعقاب تشكيل هذا الحلف استمرت نفس السياسة من الدول الغربية ، مما جعل دول العالم الثالث تفكر ومعها الصين فى مؤتمر يجعل من هذه الدول كتلة فى مواجهة الغرب والشرق ، ووجدوا ذلك فى الدعوة التى وجهها رؤساء أندونيسيا والهند والصين وباكستان ، فيما عرف بمؤتمر "باندونج" باندونيسيا الذى ضم مجموعة من الدول الافريقية والاسيوية لذلك سمى بالمؤتمر " الافرو آسيوى " وحضره مجموعة من الدول العربية على رأسها مصر فى ١٨ ابريل ١٩٥٥(٤).

وإذا كانت الصين من أبرز حضور هذا المؤتمر وتأثيراً على قراراته التى كان من أبرزها ما يتمشى مع سياستها ، وهو محاربة الاستعمار ، وتأكيد حق تقرير المصير للشعوب التى تكافح من أجل التحرير والاستقلال(٥).

بالاضافة الى ما طرحه المؤتمر الذى حضره مندوبو ٢٩ دولة آسيوية وأفريقية على رأسهم الصين والهند وباكستان ومصر ومعها مجموعة الدول العربية المستقلة وتبنى دعوة التعايش السلمى بين الامم من خلال المبادئ العشرة التى أصدرها(٦).

ولقد كان هذا المؤتمر هو اللقاء الحقيقى بين الصين والدول العربية ، حيث كان من أبرز مظاهره ذلك الاجتماع الذى عقد بين الزعيم الصينى شواين لاى والرئيس المصرى جمال عبدالناصر(٧) ، والذى كان قد سبقه اللقاء الاول بينهما فى

---

(١) فاروق اباظة : المرجع السابق ، ص١٠٥.

(2) (alker, R.: China Under Communism [The First Five Years], "George Allen & Unwin Ltd", London 1956, P.233.

(٣) Greans, F.united States Policy and The Security of Asia, "Mac Grow Hill", NewYork, 1968, P.102.

(٤) جريدة الاهرام: العدد الصادر بتاريخ ١٩ ابريل ١٩٥٥.

(٥) د. محمد محمود السروجى: ثورة ٢٣ يوليو – جذورها وأصولها التاريخية ، مطبعة المصرى ، الاسكندرية ١٩٦٥، ص٣١٦..

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة : أرشيف وزارة الخارجية ، الأرشيف الجديد ، محفظة رقم ١٤٣٨ ، ملف ٢٥/١٤٢/٤ ، ج٢ ، "مؤتمر باندونج مذكرة من وزارة الخارجية ، إدارة الشئون العربية "، بتاريخ ١٩٥٥/٤/٢٩.

أيضاً: د. جلال يحيى: المرجع السابق، ص٤٠٢.

(٧) جريدة الاهرام: العدد الصادر بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٥٥.

أيضاً: New China advances To Socialism " A Collection Of Speeches Delivered At Third Session Of The First National Peoples Congress", Foreign Languages Press", Peking 1956, P.13.

مدينة رانجون عاصمة بورما وهما فى طريقهما الى باندونج ، حيث اجتمعا بحضور الزعيم الهندى نهرو ورئـــيس بورمـــا ، وكانت بداية شرح عبدالناصر الى شواين لاى عن سياسة اسرائيل العدوانية فى المنطقة(١) .

وهو اللقاء الذى ترك اثره على سياسة الصين تجاه الصراع العربى الاسرائيلى وتأكد فى لقاء باندونج ، وهو ما عبر عنه تقرير كتبه شواين لاى اكد فيه على ضرورة مساندة حركة التحرر العربية ، لان ذلك من شأنه من وجهة نظره انتصـــار للقوى الوطنية فى الشرق الاوسط وهو فى مصلحة المعسكر الاشتراكى ، لانه يعرقل محاولات الاستعمار تطويق الـــدول الاشتراكية بالتحالفات، وكان شواين لاى يرى أيضاً أن القوى الوطنية هى المقبلة فى الشرق الاوسط ويجـــب التقـــارب معها(٢).

ويبدو من خلال هذا المؤتمر أن قادة الصين لم يكونوا على دراية كافية بتطورات الصراع العربى الاسرائيلى وقضـــيته الرئيسية التى تخص الشعب الفلسطينى ، ولعل رئيس وزراء الصين شواين لاى قد أشار الى ذلك أثناء وجـــوده فى مـــؤتمر باندونج وعقب لقائه بعدد من القادة العرب الذين حضروا وعلى رأسهم الرئيس جمال عبدالناصر كما ذكرنا ، وأضاف شواين لاى بأنه لم يدرس قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين (٣).

وعلى الرغم من كلمات شواين لاى هذه ، إلا انه كان واضحاً فى خطابه فى الجلسة الختامية امام المؤتمر يوم ٢٤ ابريل ١٩٥٥ عقب لقائه مع الرئيس عبدالناصر ، الذى قدم له تحليلاً كاملاً عن القضية الفلسطينية أوضح خلاله حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى ، حتى أن شواين لاى لم يكتفى بتأييده لمشروع القرار الذى قدمه مندوب أفغانستان ، والذى يقضـــى بإعلان المؤتمر الآسيوى الأفريقى لتأييد حقوق عرب فلسطين وضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة (٤).

ولكن شواين لاى وبعدما كان تأييده ينحصر فى المطالبة بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، قـــال فى خطابـــه " ان الشعب الصينى يؤيد نضال الشعب الفلسطينى من أجل الحقوق الانسانية " ، وجدد فى تقريره للجنة الدائمة لمؤتمر الشعب الوطنى فى ١٣ مايو ١٩٥٥ تأييده لقرار المؤتمر حول حقوق شعب فلسطين(٥).

ما يجعلنا ننظر الى تطور الموقف الصينى خلال مؤتمر باندونج نتيجة للاتصالات العربية بالوفد الصينى الـــتى اوضـــحت حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى ، حيث تطور هذا الموقف من عدم دراية بالمشكلة او دراسة لقرارات الأمم المتحدة بشأنها الى المطالبة بحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين العرب ، ثم تأييد لنضال الشعب الفلسطينى ، الامر الذى يجعلنا نؤكد علـــى نتيجة مهمة فى هذه المرحلة ان الصين وان كانت قد بدت منذ اعلان قيامها عام ١٩٤٩ لم تنشـــغل بالصـــراع العـــربى الاسرائيى ضمن الكثير من المشكلات العالمية لانها حصرت نفسها فى مشكلاتها الداخلية فقط من أجل بنـــاء مؤسســـاتها الداخلية ، وحين خرجت لحيز الاهتمام الخارجى كان فى نطاق حدودها القريبة منها متمثلة فى الازمة الكوريـــة حيـــث سياستها نجحت فى الحفاظ على شيوعية كوريا الشمالية المجاورة لها وانهاء الازمة بذلك عام ١٩٥٣ (٦). وبالتالى فـــإن نهاية هذه المرحلة عام ١٩٥٥ وضعت الصين أمام حقيقة التعرف على الصراع العربى الاسرائيلى ، مما جعل موقفها يتطور وتعلن تأييدها لنضال الشعب الفلسطينى وتغلق أبواب الاعتراف بإسرائيل نهائياً فى تلك الفترة ، التى جعلـــت مـــن عـــام ١٩٥٥ بداية لفترة حاسمة من موقف الصين تنقلنا من مرحلة عدم الاهتمام الى مرحلة التفاعـــل مـــع الصـــراع العـــربى الاسرائيلى.

---

(١) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، طـ٣ ، القاهرة ١٩٩٦، ص٣٤٤.

(٢) جريدة الاهرام: العدد الصادر بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٥٨.

(٣) محمد عبدالخالق حسونة: المؤتمر الآسيوى الأفريقى المعقود فى باندونج باندونيسيا ١٨-٢٤ ابريل ١٩٥٥ ، اصدار جامعة الدول العربية ، اغسطس ١٩٥٥، ص١١٥.

(٤) د. محمد أنيس: المؤتمر الآسيوى الأفريقى ، القاهرة ١٩٥٧، ص٧٩.

أيضاً: محمد عبدالخالق حسونة: المصدر السابق، ص١١٥.

(5) China And The Asian Conference, "Foreign Languages Press", Paking 1955, P.15.

(6) Truman, H.: Op. cit, P.333.

ثالثاً: موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٥٦ – ١٩٦٣: فى نهاية عام ١٩٥٥ أصبح الموقف الصينى مـــن الصراع العربى الاسرائيلى واضحاً ، وبعدما كان لا يعلم إلا القليل عن هذا الصراع أصبح يدرك حقيقته ويعلن فى كثير من المحافل تأييده لحقوق الشعب الفلسطينى ، وكما رأينا لعبت الدبلوماسية المصرية الثورية فى ذلك الوقت دوراً أساســياً فى تطور الموقف الصينى ، ولقد كان الاعلان المصرى عن الاعتراف بالصين فى ١٦ مايو عام ١٩٥٦ بداية جديدة للعلاقات العربية الصينية ولموقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى(١).

حيث أخذت الصين تعمل على تطور علاقاتها بالعالم العربى وخاصة الدول التى تنهض من أجل التحرير والاستقلال ، ومن جهة ثانية كان الرد الامريكى على طلب مصر معونة لبناء السد العالى به نوع من الارتباط بالموقف تجاه الصــين ، حيث سحبت أمريكا موافقتها على المعونة بعد الاعتراف المصرى بالصين مباشرة وذلك فى يوم ١٩ مايو ١٩٥٦ (٢) ، مما أدى لمزيد من تطور الموقف الصينى الذى بدأ يأخذ طريقه نحو لعبة الصراع الدولى بين الشرق والغرب ، ويعمل على محاربة القوى الاستعمارية الغربية وهو ما حدث خلال أزمة السويس التى نشبت فى المنطقة بعد اعلان مصر تأميم شركة قنــاة السويس يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ (٣).

فكانت تلك الأزمة أحد أهم العوامل التى أبرزت الموقف الصينى من الصراع العربى الاسرائيلى وتحولــه مـــن عـــدم الاهتمام بما يحدث بالشرق الأوسط الى واقع الاحداث ، حيث كان ذلك ضمن ملفات المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى ، وقد جاء ضمن تقرير قدمه ليو تشاو تشى الى اللجنة المركزية للحزب فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ذكــر فيــه أن الاحــزاب الشيوعية التى شاركت فى المؤتمر من الشرق الأوسط خاصة الحزب الشيوعى السورى واللبنانى وحتى الاســرائيلى ، قــد انتقدوا سياسة اسرائيل وربما اتفقوا بدون أن يجلسوا سوياً على ان اسرائيل أصبحت أداة وقاعدة عسكرية موجهة ضــد حركة التحرر العربية ، وطالبوا بضرورة الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وأهم ما جاء فى التقرير كان على لسان الزعيم الصينى ماوتسى تونج الذى أعلن فى خطابه أمام المؤتمر تأييده لموقف مصر تجاه تأميم قناة السويس وحذر من أى محاولة للتدخل المسلح من جانب بريطانيا وفرنسا ضد مصر (٤). ولعل هذا الموقف قد تطور عندما قامت اســرائيل بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا بما عرف بالعدوان الثلاثى على مصر لاحتلال سيناء وقناة السويس يوم ٢٩ اكتوبر من عام ١٩٥٦ (٥).

حيث وقفت الصين بجانب مصر لتبرهن عن تحولها تجاه الصراع العربى الاسرائيلى منذ اليوم الاول للعدوان ، وفى بيان للحكومة الصينية فى أول نوفمبر ١٩٥٦ جاء فيه أن بريطانيا وفرنسا تستعملان الغزو الاسرائيلى المسلح للهجوم على مصر لاحتلال قناة السويس ، وفى الثالث من نوفمبر احتجت حكومة الصين لدى بريطانيا وفرنســا ، واتهمتــهما بتحــريض اسرائيل للعدوان على مصر وحثتهما على الانسحاب الى خطوط الهدنة ، ومن ناحية أخرى أعلنت لجنة الشعب الصــينى يوم ٨ نوفمبر تأييد مقاومة مصر للعدوان وفتح الباب للمتطوعين الصينيين لرد العدوان ، وفى رسالة من شواين لاى لعبد الناصر يوم ١٠ نوفمبر شجب العدوان وأرسل بتحياته للشعب المصرى الذى يقاوم ببسالة الاعتداء الاستعمارى ، ووصل الامر الى وصف اسرائيل لأول مرة بالعمالة للاستعمار (٦).

---

(١) صلاح بسيونى: مصر وأزمة السويس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠، ص٢٧.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة : أرشيف وزارة الخارجية ، الأرشيف الجديد ، محفظة ١٥٨٩ ، ملف ١٣/٥٧/٢٧ ، بشأن اعتراف مصر بالصين الشعبية .أيضاً: - New York Times: April 20, 1956.

(٣) د. عمر عبدالعزيز عمر: دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٠ ، ص٥١٦.

(٤) يمكن مراجعة:

The Political Report Of The Central Committee Of The Communist Party Of China to The Eighth National Cangress Of The Party, Foreign Languages Press, Peking, 1956, P.80.

(٥) جرية الأهرام: العدد الصادر بتاريخ ٣ أكتوبر ١٩٥٦ .أيضاً:

Aldrich, W.: The Sues Crisis, Afootnote to History, Foreign Affairs, April 1976, P.541.

(6)China Supports The Arab Peoples Struggie For Natiaonal Independence Documents",

وإذا كانت الصين قد اتخذت هذا الموقف تجاه العدوان الثلاثى على مصر ، وإن الولايات المتحدة الأمريكية قد رأت بداية انهيار الوجود البريطانى والفرنسى فى مواجهة صعود النفوذ السوفيتى الشيوعى ، قد أصدرت فى يناير ١٩٥٧ على لسان رئيسها ايزنهاور ، ما عرف فى ذلك الوقت بمبدأ ايزنهاور (١) ، الذى يعد امتداد للمشروعات الامريكية السابقة التى تخطط لاحتواء الشيوعية الدولية سواء فى اوربا أو آسيا أو منطقة الشرق الأوسط (٢) ، مما يعنى أنه ضد السياسة الصينية وامتداد أيضاً للموقف الامريكى لحصار الصين ، الامر الذى جعل الصين فى حاجة الى الانطلاق أكثر نحو الانغماس فى القضايا العالمية ومن بينها الصراع العربى الاسرائيلى ، حيث استمر الموقف الصينى يتصاعد مع استمرار توابع العدوان الثلاثى على مصر وأخذت الصين تقترب من سياسة الاتحاد السوفيتى وطالبت بضرورة اتمام الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المصرية فى سيناء وأعلنت تأييدها للمقترحات السوفيتية الخاصة باقرار السلام والامن فى الشرق الأوسط وذلك من خلال البيان الذى أصدرته رئاسة الحكومة الصينية فى ١٧ فبراير ١٩٥٧ ، وهى المقترحات التى كان السوفيت قد أرسلوا بها الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا رداً على المشروع الامريكى (٣).

ولما كانت مصر قد دعت الى عقد مؤتمر حضره الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية والرئيسى السورى شكرى القوتلى والملك حسين ملك الاردن ، واتفقوا خلاله على تقديم دعم للاردن لرفضه الانضمام الى حلف بغداد ، وعلى تقوية القدرة العسكرية للبلاد العربية من أجل تحرير العالم العربى من السيطرة الاجنبية (٤).

فإن هذا المؤتمر قد وجد ترحيباً من الحكومة الصينية أكد عليه تقرير شواين لاى الذى قدمه لمؤتمر الشعب الصينى فى مارس ١٩٥٧ ، وأشاد بتمسك هذه الدول بسياسة التحرر والاستقلال الوطنى ، ولعل هذا الموقف الصينى أكد عليه أيضاً الزعيم ماوتس تونج فى خطابه أمام مجلس السوفيت الأعلى فى نوفمبر ١٩٥٧ رداً على التهديدات الأمريكية الاسرائيلية لسوريا(٥).

ومن الملاحظ أن موقف الصين فى تلك الفترة التى تزامنت وأعقبت العدوان الثلاثى على مصر من الصراع العربى الاسرائيلى ، قد تبلور فى شجب الصين للمواقف الاسرائيلية ايماناً منها بأن اسرائيل أداة للامبريالية الامريكية ، والذى أكده مؤتمر الشعوب الافريقية الاسيوية الذى عقد بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٥٧ (٦) ، ومن ناحية اخرى وجدتها السياسة الصينية فرصة لتحسين علاقات الصين مع البلاد العربية فى جميع المجالات حتى انه أعقب اعتراف مصر بالصين فى مايو ١٩٥٦ ، الاعتراف السورى فى ديسمبر ثم العراقى فى يونيو ١٩٥٨ ، وتوالى من الأنظمة الجمهورية العربية تحديداً ، بينما كان يتوازى مع ذلك الأنظمة المملكة العربية التى كانت تعترف بالصين الوطنية (٧).

وبينما شهدت القضية الفلسطينية حالة من الركود مع نهاية الخمسينات وبداية الستينات بسبب الانشغال بالثورات التحريرية العربية ، ونمو فكرة القومية العربية مع الوحدة المصرية السورية فى فبراير ١٩٥٨ والازمة اللبنانية فى مايو

Compiled by the Chinese Peoples Institute of Foreign Affairs, Foreign Languages Press, Peking, 1958, P.111.

(1) Foreign Relations Of The United States "F.R.U.S.", 1952-1954, Vol. "4", Part "1", Pp. 134-136.

(٢) حول مبدأ ايزنهاور انظر: السيد حجاج: مشروع ايزنهاور للشرق الأوسط فى العلاقات الدولية : رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارية ، جامعة القاهرة ١٩٦٧، ص٣٠٤. أيضاً: جريدة الأخبار : العدد الصادر بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٥٧.

(٣) نص المذكرة والرد الصينى فى: China Supports The Arab Peoples Struggle: Op. cit, Pp. 132-140.

(٤) توماس بريسون: العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الاوسط ١٧٨٤–١٩٧٥ ، ترجمة دارس طلاس ، دمشق ١٩٨٥، ص٥٧٠.

(5) China Supports The Arab Peoples Struggle: Op cit, P. 62.

(٦) جريدة الاهرام : العدد الصادر بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٥٧.

(٧) حول الاعترافات العربية بالصين يمكن مراجعة: هانى احمد فارس : التمثيل الدبلوماسى العربى – سلسلة حقائق وأرقام ، العدد١١ ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت.

والثورات فى العراق ثم السودان فى يوليو ونوفمبر (١) ، يضاف إلى ذلك توهج الثورة الجزائرية التى بدأت منذ نوفمبر ١٩٥٤ وانعكاسها على الساحة التحريرية العربية حيث اكتسبت كل التأييد والدعم العربى حتى الاستقلال عام ١٩٦٢ (٢) ، يضاف الى ذلك الوصول الى ثورة اليمن ١٩٦٢ والتدخل المصرى فيها وانقسام العرب حول ذلك.

ولعل ذلك أيضاً تواكب مع انشغال الصين بمسألة النزاع الحدودى بينها وبين الهند والذى عاد الى الظهور فى تلك الفترة من نهاية الخمسينيات ، ويرتبط بإقليم التبت وترسيم حدود تصل الى ٢.٢٠٠ ميل، والذى تطور الى الصدام المسلح بالتدخل العسكرى الصينى فى الأراضى الهندية والمواجهة مع القوات الهندية عندما بلغت الامور ذروتها فى اكتوبر ١٩٦٢(٣) ، وكان للولايات المتحدة من هذا النزاع موقف مناهض للموقف الصينى لصالح الهند ، وهو ما تناولته الكثير من الوثائق منذ بداية تردى العلاقات الصينية الهندية (٤).

مما يجعلنا نؤكد على ان مواقف الولايات المتحدة الامريكية من حصار الصين وعدم اعترافها بها ومناهضة سياستها ، كان ينعكس أيضاً على الموقف الصينى من الصراع العربى الاسرائيلى من أن اسرائيل حليف قوى لامريكا.

ولعل هذه الأحوال ما بين انشغالات العرب بأوضاعهم التى أدت الى الانقسام الذى برز الى نظم ثورية جمهورية وأخرى ملكية بسبب اليمن بداية من عام ١٩٦٣ ، وانشغال الصين بأوضاعها الداخلية والحفاظ على حدودها ، والهدوء فى القضية الفلسطينية لدرجة انه فى نهاية هذه المرحلة ، إذا كان الموقف الصينى من الصراع العربى الاسرائيلى قد بدأ داعماً للحق العربى ويشجب السياسة الاسرائيلية ، إلا انه انتهى بالاكتفاء بالنداء العام وبالتعايش السلمى وإقرار السلام فى منطقة الشرق الأوسط بسبب حالة الهدوء التى تسود القضية الفلسطينية.

رابعاً: موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى ١٩٦٤-١٩٧٣:-

بلغ الهدوء فى القضية الفلسطينية أساس الصراع العربى الاسرائيلى مرحلة كبيرة فى مطلع الستينيات حتى حركتها الادعاءات الاسرائيلية فى تحويل مجرى نهر الاردن ، مما كان وراء عقد اول مؤتمر قمة عربى بالقاهرة فى ١٣ يناير ١٩٦٤، والذى اتخذ عدة قرارات تدور حول الصراع العربى الاسرائيلى ومن أبرزها بعيداً عن نهر الأردن ، تشكيل قيادة عسكرية عربية وايجاد نواة كيان للشعب الفلسطينى (٥).

وهى القرارات التى تم تفعيلها فى مؤتمر القمة العربى الثانى بالإسكندرية فى ٥ سبتمبر ١٩٦٤ برصد المبالغ اللازمة لتمويل مشروع نهر الاردن ، وللقيادة العسكرية ، والترحيب بمنظمة التحرير الفلسطينية التى اعلن عن تأسيسها ككيان للشعب الفلسطينى برئاسة احمد الشقيرى (٦) .

---

(١) د. جلال يحيى: اصول ثورة يوليو ١٩٥٢، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٤، ص٢٥٥.

(٢) انظر: نبيل احمد بلاسى: التأييد المصرى السعودى للثورة الجزائرية ١٩٥٤-١٩٦٢ ، بحث قدم لندوة العلاقات المصرية السعودية فى النصف الاول من القرن العشرين ، جامعة الزقازيق ، مصر ، ابريل ١٩٨٧.

(٣) للمزيد حول العلاقات الصينية الهندية راجع:

Ministry Of External Affairs, Govern, India: "India and China, A Breif Survey", 7-10-1966, P.5

أيضاً: على حمدى الجمال: النزاع بين الهند والصين ، دار العلم ، القاهرة.

(٤) انظر ملحق رقم ( ) تقرير مرسل من مكتب الكمنولث فى لندن بعنوان:

"India and U.S.A commonwealth" From The Commonwealth Relations Office Downing Street, London 29th August 1961. أيضاً: New York Times: 12 April, 1963.

(٥) أحمد زكى: مؤتمر القمة العربى ، مجلة العربى ، الكويت ، مارس ١٩٦٤.

(٦) نجلاء أو عزالدين: عبدالناصر والعرب ، منجزاته السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ترجمة يوسف الصباغ ، ط١ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ص٥٣٦.

الأمر الذى جعل من عام ١٩٦٤ بداية جديدة للصراع العربى الاسرائيلى وهو ما لفت انتباه القيادة الصينية فى ذلك الوقت ، حتى ان الناطق الرسمى باسم وزارة الخارجية الصينية سأل عن طبيعة الكيان الفلسطينى ، وهل هو قادر على مواجهة اسرائيل وطلب المزيد من المعلومات عن منظمة التحرير الفلسطينية (١).

ولعل ذلك جاء عقب زيارة الزعيم الصينى للمنطقة والتى بدأها بالقاهرة ثم الجزائر والمغرب وتونس فى ديسمبر ١٩٦٣ ويناير ١٩٦٤ والتى أكدت البيانات الصادرة عنها على تأييد الصين للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى استعادة اراضيه(٢).

وأعلنت الصين فى ذلك الوقت عن ترحيبها بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وتأييدها لبيانات مؤتمرى القمة العربية ، وزادت الصين من تأييدها الواضح للعرب فى صراعهم مع اسرائيل خاصة فى العام التالى الذى شهد زيارة وفد فلسطينى لأول مرة الى الصين الشعبية فى مارس ١٩٦٥ ، حيث أعلنت الصين الاعتراف رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية فكانت أول دولة اجنبية فى العالم تعترف بالمنظمة وتؤيد مطالب الشعب الفلسطينى فى العودة لاسترداد حقوقه المشروعة من العصابات الصهيونية أداة الامبريالية الامريكية ، بل وافتتحت مكتب لمنظمة التحرير فى العاصمة الصينية بكين فى مايو ١٩٦٥م (٣).

ويبدو أن الصين فى هذه الفترة حدث بينها وبين اسرائيل تزامن فى حركة المواقف المتبادلة لأن اسرائيل قامت بأعمال تناهض الصين وتعمل على اثارتها خاصة بعد أن قامت الصين بتفجير اول قنبلة ذرية فى أكتوبر ١٩٦٤م ، ومن هذه المواقف الاسرائيلية نشاطها على الحدود الصينية سواء فى بورما وكوريا الجنوبية والصين الوطنية "فرموزا" ثم بروزها فى نزاع الحدود الصينى الهندى كمساعد للهند ضد الصين (٤) ، بالاضافة الى قيام عدد من المسئولين الاسرائيليين بزيارات لهذه البلاد منها زيارة موشى ديان الى كوريا ، وبلغت الامور ذروتها فى التصعيد الاسرائيلى ضد الصين ، بتصويت اسرائيل فى الجمعية العامة للامم المتحدة ضد انضمام الصين الشعبية للامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٦٥ ، وذلك لأول مرة منذ عام ١٩٥٠م بعدما كانت اسرائيل تمتنع عن التصويت خلال السنوات السابقة وهذه المواقف أثرت على كل المحاولات التى قامت بها حكومة ليفى اشكول لايجاد علاقات مع الصين (٥).

ولقد كانت كل هذه الاشياء فى ظل تزايد العداء بين الولايات المتحدة والصين والذى أوضحه فى تلك الفترة أيضاً التدخل الامريكى فى فيتنام واشتعال الحرب الهندية الباكستانية حول كشمير فى سبتمبر ١٩٦٥م واتخاذ الصين جانب باكستان ضد الهند فى هذه الحرب ، لدرجة تقديمها للانذارات التى ردت عليها الولايات المتحدة بأنها لن تسمح للصين بالتدخل (٦).

وكذلك فعل الاتحاد السوفيتى الذى على الرغم شيوعيته وسابق تقاربه مع الصين الا ان العلاقات بينهما بدأت تأخذ مسار آخر جعل الصين تنفرد بشيوعيتها عن السوفييت.

---

(١) ناصر الدين النشاشيبى : عربى فى الصين ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥، ص٢٣٢.

(٢) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية ١٩٦٤ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٦ ، ص٣١٩ وما بعدها.

(٣) جريدة الأهرام: العدد الصادر بتاريخ ٤ مايو ١٩٦٥.أيضاً:.Peking Review: April, 9, 1965

(٤) أسعد عبدالرحمن: التسلل الاسرائيلى فى آسيا ، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، ابريل ١٩٦٧ ، ص٤٦ وما بعدها.

(٥) سامى حكيم: اسرائيل والدول النامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٧١.

أيضاً: أحمد على اسماعيل : التسلل الاسرائيلى فى آسيا ، السياسة الدولية ، اكتوبر ١٩٦٦، ص١٢٧.

(٦) سيد عيسى: مشكلة كشمير فى العلاقات الهندية الباكستانية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، بآداب عين شمس ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص١٨٧.

أيضاً: السياسة الدولية : يناير ١٩٦٦م ، ص٤٦.و أيضاً:

Dutt, V.P.: Indian's Foreign Policy, "Vikas Pablishing House" 1993, P.132.

ولقد كانت هذه الأشياء من العوامل المهمة التى أدت الى بداية انحياز الصين الى جانب العرب ضد اسرائيل ، بالاضافة الى بروز أهمية العالم العربى كمصدر للطاقة خاصة البترول ورغبة الصين فى الحصول عليه (١).

وإذا كانت الصين قد انشغلت بالثورة الثقافية التى بلغت ذروتها عام ١٩٦٦م وأدت الى جمود علاقاتها بالكثير من دول العالم، على الرغم من مشاركتها فى الكثير من المؤتمرات الخاصة بعدم الانحياز أو التضامن الأفروآسيوى وخلاف ذلك ، إلا ان العدوان الاسرائيلى على العرب فى ٥ يونيو ١٩٦٧م قد أعاد حرارة التأييد الصينى للموقف العربى ، حيث طالبت العرب بعدم القاء السلاح إلا بعد إزالة اسرائيل ، وتعهد بتقديم كافة أنواع المساعدات للدول العربية ومن بينها المادية كمنحة الى مصر عشرة ملايين دولار ومعها ١٥٠ الف طن من القمح وعرضت على سوريا تقديم الأسلحة المتنوعة إليها (٢).

وفى المرحلة التى أعقبت نكسة ١٩٦٧ شجعت الصين العمل الفدائى الفلسطينى ضد اسرائيل وأكد ذلك شواين لاى بإعلانه ان الشعب العربى الفلسطينى طالما حمل السلاح فإنه لن يلقيه وأن فلسطين لن تحرر الا بالنضال المسلح (٣).

وتأكيداً على هذه السياسة قدمت الصين المساعدات للفلسطينيين ، حيث أمدت المنظمة بالأسلحة والذخائر بل ان بعض ضباط جيش التحرير الفلسطينى كانوا يتلقون التدريب فى الصين ، وكذلك معونات مادية بلغت خلال عام ١٩٦٩م مساعدات بقيمة ١١ ألف جنيه استرلينى (٤).

وفى ذات الوقت كانت الصين تشجب قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين وتدين هذه القرارات على أساس أن المنظمة الدولية هى أداة للاستعمار الأمريكى لتنفيذ سياسته العدوانية (٥).

وعلى نفس السياسة استقبلت الصين بكل حفاوة رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات فى مارس من عام ١٩٧٠ ، وكرر شواين لاى أثنائها موقف بلاده الداعم للمقاومة الفلسطينية ، ولعله كان موقف الكثير من دول عدم الانحياز والدول الأفروآسيوية ذات العضوية فى الامم المتحدة التى كانت تقف ضد سياسة الولايات المتحدة (٦) ، وجدد نائب وزير الخارجية الصينى هجوم بلاده على اسرائيل وكرر وصفها بأنها أداة للاستعمار الأمريكى يستخدمها ضد الشعوب العربية (٧).

ولقد تواكب ذلك مع فترة كانت فيها الاشتباكات قائمة بين مصر واسرائيل فيما عرف بحرب الاستنزاف والاعمال الفدائية الفلسطينية وتأييد الصين لها ، بجانب الاستعدادات للحرب على كل جبهات القتال مع اسرائيل ، وهناك خلافات أردنية فلسطينية سبتمبر ١٩٧٠ ، صاحبها مبادرة السلام الأمريكية المعروفة بمبادرة روجرز التى قامت على قرار الامم المتحدة ٢٤٢ والذى لم تؤيده الصين (٨) ، وما صاحب ذلك من تغييرات لأنظمة الحكم فى عدد من الدول العربية بداية بثورتى السودان وليبيا ثم العراق وسوريا ومصر بوفاة عبدالناصر وتولى أنور السادات.

---

(1) Khin, G.: Major Governments Of Asia, "Cornell University Press" Ithaca, New York, 1965, P.127.

(٢) يمكن مراجعة : السياسة الدولية ، يوليو ١٩٦٧. جريدة الأهرام : العدد الصادر بتاريخ ١١ يونيو ١٩٦٧.
Piking Review: June 16, 1967.

(٣) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الاول ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩، ص١٠١.

(٤)ملف وثائق فلسطين ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ١٩٦٩.

(٥) اليوميات الفلسطينية : المرجع السابق ، ص٨٣.

(6) Lel, A.: The United Nations , The Middle East Crisis 1967, "Columbia University Press" U.S. 1968, P.53.

(٧) جريدة الأهرام: اعداد ١٩، ٢١، ٢٥ مارس ١٩٧٠.

(٨) محمود رياض : مذكرات البحث عن السلام ، ط٢ ، دار المستقبل ، القاهرة ١٩٨٥، ص٢٧٩.

كل ذلك فى الوقت الذى كانت فيه الصين تعيش نشوة الثورة الثقافية ودخولها عالم الاسلحة النووية ، وتحاول الحفاظ على حدودها بما يدور حولها فى جنوب شرق آسيا حيث التدخل الامريكى فى فيتنام ، والتوتر بين الهند وباكستان ، وعلى حدودها الشمالية مع الاتحاد السوفيتى حيث توترت العلاقات ووصلت الى حد الاشتباك الحدودى (١).

وتزامن ذلك مع قيام قطبى الصراع الدولى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بالعمل على تحقيق سياسة الوفاق بينهما ، والتى قدر للصين بمكانتها أن تكون طرفاً فيها حيث بدأت السياسة الامريكية مع تولى الرئيس نيكسون تبحث التقارب مع الصين للخروج من مأزق مناهضة سياستها فى فيتنام والعالم الثالث التى تتبعها الصين ، واستخدمت الولايات المتحدة فى ذلك باكستان بقيادة الجنرال يحيى خان حيث علاقاته الطيبة بين الطرفين الامريكى والصينى ليلعب دوره فى الوساطة (٢).

وفى الوقت الذى كانت تدور فيه الحرب بين الهند وباكستان فى ديسمبر ١٩٧١ – الأولى بدعم سوفيتى والثانية بدعم صينى – والولايات المتحدة تبحث عن التوازن بينهما ، كانت الترتيبات توضع لاستقبال أول رئيس أمريكى فى الصين (٣) (٣) ، وهو ما حدث عندما استقبل الزعيم الصينى ماوتسى تونج الرئيس نيكسون يوم ٢١ فبراير عام ١٩٧٢، وفى أثناء زيارته ومباحثاته مع زعماء الصين خاطب الشعب الصينى قائلاً : "إن الولايات المتحدة أصبحت مهيأة الآن لكى تقوم الصين بدور بناء فى المجتمع الانسانى"(٤). بما يعنى انه بعد سياسة الحصار الأمريكى أصبحت أبواب العالم مفتوحة للصين بما فيها الانضمام للامم المتحدة من أجل تعديل سياستها تجاه السلام والاستقرار الدولى (٥). وعلى الرغم من أهمية هذه التطورات على الساحة العالمية بصفة عامة والصينية بصفة خاصة ، إلا ان الصين لم تغير موقفها تجاه الصراع العربى الاسرائيلى فى ظل ما عرف بسياسة الاسترخاء على القضية بحالة اللاسلم واللاحرب ، الذى حاولت فرضه الدول الكبرى عقب اجتماع قمة القطبين الامريكى والسوفيتى "نيكسون – بريجنيف" فى مايو حفاظاً على الوفاق بينهما (٦) ، حيث ظلت الصين تدعم المواقف العربية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية ، وفى أول ظهور للصين فى الأمم المتحدة عام ١٩٧٢ أكدت أن جوهر أزمة الشرق الأوسط يتمثل فى العدوان الاسرائيلى على الشعب الفلسطينى والشعوب العربية الاخرى(٧).ولذلك أعلنت وقوفها بجانب الدول العربية فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقدمت الدعم خاصة العسكرى لمصر وسوريا ، والذى تمثل فى الكثير من قطع الغيار للأسلحة السوفيتية بعد طرد السادات للخبراء السوفيت من مصر فى ١٦ يوليو ١٩٧٢ (٨) ، وهاجمت مواقف اسرائيل وكررت وصفها بأنها أداة للاستعمار الامريكى ، واعلنت تأييدها لقرار الأمم المتحدة ٣٣٨ والذى صدر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ لوقف الحرب (٩) ، ودعمت الجهود الدولية التى بدأتها الولايات

---

(١) حول الخلاف الصينى السوفيتى يمكن مراجعة :

Floyed, D.: Mao Against Khruschv, "Allmail Press", London 1964.

أيضاً: New York Times: Mar. 25, 1969.

(2) F.O. 371/304 / From British Embassy, Washington, To F.O. London, Dec. 10, 1971, "U.S. Policy Towards The Sub-Continent".

(٣) انظر ملحق رقم ( ) مسودة رسالة توضح اهتمام الرئيس الامريكى بزيارة الصين.

(4)New York Times: Feb. 25, 1972.

(5)Hinton, H.: "Peking-Washington, Chines Foreign Policy and The U.S.", The Center Of Strategic and International Studies, "George Town University" , Washington 1976, P.25.

أيضاً: حول سياسة الوفاق ودور الصين فيها يمكن مراجعة: د. السيد شلبى: الوفاق الامريكي السوفيتى ١٩٦٣-١٩٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م.

(٦) محمود عوض: الحرب الرابعة .. سرى جداً ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧٤ ، ص٢٤.

أيضاً: New York Times May. 26, 1972.

(٧) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٧٢، المجلد الثالث ، ص٥١٨.

(٨) أنور السادات : البحث عن الذات ، ط١ ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٨، ص٣١٣.

(9) New York Times: Oct. 24, 1973.

الولايات المتحدة لاستخدام الدبلوماسية لتسوية الصراع العربى الاسرائيلى (١). وتمشياً مع المتغيرات الدولية والاقليمية بدأت الصين تتخلى عن خيار الكفاح المسلح لانهاء الصراع ، وتتمسك بأن الحل الصحيح للقضية الفلسطينية يتمثل فى اعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فى اطار الحل السلمى لمشكلة الشرق الأوسط على أساس الشرعية الدولية التى تضمن اعادة هذه الحقوق ، وهذا الموقف الصينى فى تلك الفترة أكد التزامه بدعم الحقوق العربية وتأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى ، وعدم الاعتراف باسرائيل (٢). وهنا نذكر مقولة ماوتسى تونج " إن العالم العالم العربى مائة مليون من السكان والعصر عصر تكتل فإذا تمت الوحدة العربية فلن تكون هناك اسرائيل " (٣). وهكذا وهكذا كان الموقف الصينى من الصراع العربى الاسرائيلى فى هذه المرحلة ، وكما رأينا بدأ قوياً وداعماً للحقوق العربية ولمنظمة التحرير الفلسطينية ويندد بإسرائيل ، وانتهى بالتأكيد على ضرورة الحل السلمى للصراع العربى الاسرائيلى.

الخاتمة: لقد تتبعنا فى هذه الدراسة التاريخية المختصرة توضيح موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣، وذلك من خلال تقسيمه الى عدة عناوين بدأناها بتوضيح موقف الصين منذ قبيل اعلان قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ثم توضيح موقف الصين فى ثلاثة مراحل اخرى تبدأ الاولى منها منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٥ ، والتى يمكن أن نطلق عليها مرحلة غياب الدور الصينى عن الصراع العربى الاسرائيلى حيث انشغلت فيها الصين بثورتها فى عام ١٩٤٩ ، ثم البناء الداخلى لها وبالأزمة الكورية على حدودها حتى مؤتمر باندونج ١٩٥٥ كان التعارف الاول للصين بالصراع العربى الاسرائيلى.أما المرحلة الثانية فهى بدأت فى عام ١٩٥٦ وحتى عام ١٩٦٣ ، والتى يمكن ان نطلق عليها مرحلة الاحتكاك المباشر بالصراع من خلال الاعتراف المصرى يالصين ووقوف الصين بجانب مصر ضد العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، وتطور العلاقات العربية الصينية ومناهضتها لسياسة اسرائيل ، التى طالت الصين عند تقديمها للخبرات لدول مجاورة لها مثل بورما والهند وكوريا الجنوبية. أما المرحلة الثالثة والاخيرة والتى بدأت عام ١٩٦٤ بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية فهى مرحلة الدعم الصينى للقضية العربية خاصة بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وما تبعتها من العمل الفدائى المسلح حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ومع المتغيرات الدولية التى صاحبت نهاية تلك الفترة ومن أبرزها التطور فى العلاقات الصينية الأمريكية ، بدأت الصين تؤكد على موقفها الداعم للعرب بالحل السلمى للصراع العربى الاسرائيلى. ومن خلال هذه المراحل المختلفة نستطيع ان نستخلص عدة نتائج تركت أسرها على موقف الصين تجاه الصراع العربى الاسرائيلى أهمها:-

١) محاربة السياسة الامريكية ، حيث كانت العلاقات الامريكية الصينية طوال فترة البحث تتسم بالعداء الامريكي للصين ومحاولة احتوائه للشيوعية ، وبالتالى كانت مواقف الصين رداً على هذه السياسة الامريكية التى كانت اسرائيل تمثل احد أدواتها فى منطقة الشرق الأوسط ، بل وفى مناطق الجوار الاسيوى للصين فى فيتنام وكوريا الجنوبية وبورما والهند.

٢) سياسة التضامن الافروآسيوى حيث كانت الصين أحد الدول الداعمة لهذه السياسة منذ مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ ، واتخذت منها مجالاً تنطلق منه لمحاربة السياسة الامريكية والوقوف بين المعسكرين الشرقى والغربى ، فانعكس ذلك على وقوفها بجانب قضايا هذه المجموعة من الدول ومن بينها القضية الفلسطينية والصراع العربى الاسرائيلى منذ ان تعرفت عليه جيداً من خلال هذه المجموعة.

٣) توثيق العلاقات الصينية العربية ، منذ قيام الثورة فى الصين عام ١٩٤٩ وانطلاقها نحو العالم وجدت الصين فى العالم العربى مجالاً للعلاقات معه لانه كان يبحث عن التحرر من الاستعمار فكانت البداية التى انطلقت منها العلاقات العربية الصينية مع الاعتراف المصرى بالصين فى مايو ١٩٥٦ ، والذى تبعته معظم الدول العربية خاصة تلك التى لا ترتبط

---

(١) ويليام كوانت: أمريكا والعرب واسرائيل.. عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧-١٩٧٦ ، ترجمة عبدالعظيم حماد ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩، ص٢٨٨.

(٢) السياسة الدولية : اكتوبر ١٩٩٨.

(٣) اليوميات الفلسطينية ، المجلد الأول ، المرجع السابق، ص٢١٦.

مع الولايات المتحدة بعلاقات وثيقة او خلافات ايديولوجية مع الصين ، وبعض الدول الملكية التي تعـــادى الشـــيوعية ، فانطلقت العلاقات العربية الصينية لتزيد من تقارب الصين الذى شجع عليه القضايا المشتركة لمحاربة الاستعمار ، فكـــان توثيق العلاقات العربية الصينية احد العوامل المهمة فى موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى.

ونستطيع ان نصل الى نتيجة تحدد موقف الصين من الصراع العربى الاسرائيلى خلال فترة الدراسة وهى أن الصين إذا كانت لم تكن تعرف حقيقة الصراع العربى الاسرائيلى قبل عام ١٩٥٥ ، إلا أن هذا الموقف تطور الى الاحتكاك بالصراع ، ثم الى اتخاذ المواقف المؤيدة للحقوق العربية ، وتقديم الدعم للقضية الفلسطينية فى المحافل الدولية وللشـــعب الفلســـطينى لاسترداد اراضيه واقامة دولته العربية الفلسطينية ، وأظنه الموقف الصينى إلى الآن على الـــرغم مـــن الاعتـــراض الصـــينى الاسرائيلى المتبادل فى عام ١٩٩٠ ، حيث مازالت الصين تؤكد على ضرورة الحل حسب الشرعية الدولية ، ويجب علينا ألا ننس مقولة ماوتسى تونج التى اطلقها فى مطلع السبعينيات من القرن الماضى.

الملاحـــــــــــق (ملحق رقم (١)خريطة توضح موقع الصين)

المصــــــادر

أولاً: باللغة العربية:-

(أ) الوثائق:-

- جامعة الدول العربية: الوثائق الرئيسية فى قضية فلسطين ، وثيقة ٢٧ ، المجموعة الاولى ، ١٩٥٧.
- دار الوثائق القومية بالقاهرة: أرشيف وزارة الخارجية.
- الوثائق الفلسطينية : الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ، ١٩٧٢.

(ب) الكتب :-

- ابراهيم نافع : الصين "معجزة نهاية القرن العشرين " ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠.
- احمد على اسماعيل: التسلل الاسرائيلى فى آسيا، السياسة الدولية ، اكتوبر ١٩٦٦.
- أسعد عبدالرحمن: التسلل الاسرائيلى فى آسيا ، مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، ابريل ١٩٦٧.
- أنور السادات : البحث عن الذات ، ط١ ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٨.
- د. السيد شلبى: الوفاق الامريكي السوفيتى ١٩٦٣-١٩٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م.
- توماس بريسون: العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الاوسط ١٧٨٤-١٩٧٥ ، ترجمة دارس طلاس ، دمشق ١٩٨٥.
- د. جلال يحيى: اصول ثورة يوليو ١٩٥٢، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٤.
- د. حسن ابوالعينين: جغرافية العالم الاقليمية ، الجزء الاول ، اسيا الموسمية وعالم المحيط الهادى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشباب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٤.
- خيرى حماد: قضايانا فى الامم المتحدة ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت ، مايو ١٩٦٢.
- د. رأفت الشيخ: تاريخ العرب المعاصر، دار عين، القاهرة ٢٠٠٢.
- سامى حكيم: اسرائيل والدول النامية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٦.
- صلاح بسيونى: مصر وأزمة السويس ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠.
- على حمدى الجمال: النزاع بين الهند والصين ، دار العلم ، القاهرة.
- د. عمر عبدالعزيز عمر: دراسات فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ١٩٩٠.
- د. فاروق اباظة : محاضرات فى تاريخ الشرق الاقصى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٩٨.
- لمياء جميل: "المابام" حزب العمال الموحد فى اسرائيل ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، اكتوبر ١٩٦٨.
- د. محمد أنيس: المؤتمر الآسيوى الأفريقى ، القاهرة ١٩٥٧.
- محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، طـــ٣ ، القاهرة ١٩٩٦.

- د. محمد محمود السروجي: ثورة ٢٣ يوليو – جذورها وأصولها التاريخية ، مطبعة المصرى ، الاسكندرية ١٩٦٥.
- محمود رياض : مذكرات البحث عن السلام ، ط٢ ، دار المستقبل ، القاهرة ١٩٨٥..
- محمود عوض: الحرب الرابعة .. سرى جداً ، المكتب المصرى الحديث ، الاسكندرية ١٩٧٤.
- ناصر الدين النشاشيبى : عربى فى الصين ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥.
- نبيل احمد بلاسى: التأييد المصرى السعودى للثورة الجزائرية ١٩٥٤-١٩٦٢ ، بحث قدم لندوة العلاقات المصرية السعودية فى النصف الاول من القرن العشرين ، جامعة الزقازيق ، مصر ، ابريل ١٩٨٧
- نجلاء أو عزالدين: عبدالناصر والعرب ، منجزاته السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ترجمة يوسف الصباغ ، ط١ ، مكتبة مدبولى ، القاهرة.
- هانى احمد فارس : التمثيل الدبلوماسى العربى – سلسلة حقائق وأرقام ، العدد١١ ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت.
- ويليام كوانت: أمريكا والعرب واسرائيل.. عشر سنوات حاسمة ١٩٦٧-١٩٧٦ ، ترجمة عبدالعظيم حماد ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٩.

(ج) الرسائل الجامعية :-

- السيد حجاج: مشروع ايزنهاور للشرق الأوسط فى العلاقات الدولية : رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ١٩٦٧.
- سيد عيسى: مشكلة كشمير فى العلاقات الهندية الباكستانية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، بآداب عين شمس ، القاهرة ٢٠٠٦.

(د) الدوريات : الأعداد المذكورة من الدوريات التالية : الأخبار ، الأهرام. ، السياسة الدولية.

ثانياً: باللغة الأجنبية:-

(أ) الوثائق :

- الأمريكية. Foreign Relations of The United States
- البريطانية. Foreign Office
- الصينية.: China Supports The Arab Peoples Struggie For National Independence Documents".

(ب) الكتب :-

- Aldrich, W.: The Sues Crisis, Afootnote to History, Foreign Affairs, April 1976.
- - Dutt, V.P.: Indian's Foreign Policy, "Vikas Pablishing House" 1993.
- - Floyed, D.: Mao Against Khruschv, "Allmail Press", London 1964.
- Greans, F.united States Policy and The Security of Asia, "Mac Grow Hill", NewYork, 1968.
- Hinton, H.: "Peking-Washington, Chines Foreign Policy and The U.S.", The Center Of Strategic and International Studies, "George Town University" , Washington 1976.
- Hurewitz, J.: Diplomacy In The Near And The Middle East, Vol "2", Princeton, U.S. 1956.
- Khin, G.: Major Governments Of Asia, "Cornell University Press" Ithaca, New York, 1965.
- Piking Review: June 16, 1967.
- Kirk, G.: The Middle East 1945-1950, NewYork 1960.

- Lel, A.: The United Nations , The Middle East Crisis 1967, "Columbia University Press" U.S. 1968.
- Lenezwski, G.: The Middle East In The World Affairs, NewYourk 1958.
- Truman, H.: Memories Years of Trial & Hope 1945-1955, Vol "2", Garden City – NewYork 1956.
- Walker, R.: China Under Communism [The First Five Years], "George Allen & Unwin Ltd", London 1956.
- Whiting, A.: China Crosses the Yalu, The Decision to Enter The Korean War, "Macmillan, NewYork 1960.

(ج) الدوريـــــات:

- New York Times
- Piking Review:

استخدام القياس المقارن في زيادة فعالية الاستفادة
من السياسات الضريبية بين النظام الضريبي المصري والصيني

شيماء أبو المعاطى عبد المطلب

المقدمة

طبيعة المشكلة:تعتبر استخدام السياسات الضريبية كأداة تنمية يتحقق من خلالها الأهــداف الاقتصــادية والاجتماعيــة الأساسية ، ومن أهم المجالات التي يستخدم فيها تلك الأدوات الاقتصادية لغرض تمويل آلية تأمين المواد والخدمات العامــة المطلوبة ؛ لدعم التنمية الاقتصادية وتوفير الفرص الاقتصادية للجميع ، وتوجيه الأنشطة في قطاعات أو منــاطق تنمويــة بعينها ،وان من احدي التحديات الرئيسية التي تواجه الحكومة في هذا الجانب كيفية باســتخدام السياســات الضــريبية كأدوات لتحقيق أهداف النمو الاقتصادي. وفي بداية القرن الواحد والعشرين ظهرت الصين كقوة اقتصاديــة كبرى على المســرح الدولي. ففي عام ٢٠٠٦، أصبحت رابع دولة اقتصادية في العالم في مستوى الناتج المحلي الإجمالي، وثالث دولة تجارية.

واستخدم الاقتصاد الصيني السياسات الضريبية كأدوات مهمة من خلالها تحققت فعالية كبيرة في التقدم الاقتصادي ؛ حيث كان لتلك السياسات الفضل في وضع الاقتصاد الصيني في المركز في الصدارة ، وساهم ذلك في التخلــي عــن اقتصاد السوق، وتعبئة المصادر الضخمة من اليد العاملة، واستغلت بفضل تلك السياسات علانية العولمة لتصبح مصــنعاً للعــالم

ولا يمكن أبدا لأي محلل اقتصادي إنكار دور السياسات الضريبية في تحديث الصناعة، وتطوير البنية التحتية، واستخدام العاملين الذين تضاعف عددهم منذ عشريــن عاماً ووصل إلى ٧٧٠ مليون نسمة. وازدادت إنتاجيــة العمــل بفضــل الهجــرة الريفيــة واستخدام تقنيات إنتاج وإدارة جديدة. وجذبت الصين رؤوس أموال أجنبية كثيفة خلقت قــدرات إنتاجية جديدة في القطاعات التي تستجيب للطلب المحلي والعالمي.ويمثل نظام القياس المقارن نظام تطــوير أداء اقتصــادي فعال حيث يرتكز في بدايته علي أهمية الاعتراف بالخطأ ، ومن ثم الاستعداد للتطوير الذاتي عن طريق الاستفادة بنقــاط القوة والتي استخدمها الآخرين للدعم نقاط الضعف داخل المنظومة الاقتصادية المحلية.وتتمثل مشكله هذا البحث في محاولة الاستفادة بالأدوات الاقتصادية في دولة الصين ، تحديدا بالسياسات الضريبية الصينية وكيفية استخدامها لتنمية المجتمعيــة والاقتصادية ؛ حتي يمكن تدعيم نقاط الركود الاقتصادي والتنمية داخل القطر المصري

أهمية البحث :ترجع أهمية البحث من استخدام أساس علمي ، عن طريق الاستفادة بأحد المقــاييس المعاصــرة لــلأداء الاستراتيجي وهو أسلوب القياس المقارن بالاستفادة من نقط القوة بالنسبة للسياسات الضريبية المطبقة في دولة الصــين لدعم الاقتصاد المصري ، بالأخذ بمسببات التنمية للأنشطة والأماكن الجغرافية عن طريق تزكية عمل جذب الاســتثمار فيها.

افتراضات البحث :يقوم البحث عن فرضية أساسية تتمثل في:

" انه من المتوقع أن تزداد فعالية الاقتصاد المصري عن طريق استخدام القياس المقارن للسياسات الضريبية الدافعة للتقدم والنمو في دولة الصين"

منهج البحث :يستخدم الباحث المنهج التحليلي المقارن ، الذي من خلاله يتم دراسة مناطق القوة والضــعف لاقتصــاد الصيني ، وذلك للوقوف علي مدي فعالية استخدام السياسات الضريبية في دعم الصناعات والأنشطة التي تســاعد علــي النمو الاقتصادي والإجتماعي ، وكذلك تلك السياسات الضريبية التي من خلالها يتم تنمية مناطق جغرافية تساعد علــي ازدهارها تجاريا وتكنولوجياً ، ذلك حتي يمكن الأستفادة به باستخدام القياس المرجعي لتطــوير السياســات الضــريبية المصرية.

تقسيم البحث :يتم تناول موضوع البحث من خلال التقسيم الآتي :المبحث الأول : مفهوم وطبيعة القياس المقارن . المبحث الثاني : تحليل لنقاط القوة والضعف في النظام الضريبي المصري المبحث الثالث : تحليل نقاط القوة في السياسات الضريبية لدولة الصين. المبحث الرابع: عناصر القياس المقارن الملائمة للتطبيق في مصر الخلاصة والنتائج والتوصيات . قائمة المراجع

المبحث الأول: مفهوم وطبيعة القياس المقارن.

طبيعة المدخل المقارن Benchmarking: يعتبر مدخل المقارنة أحد الأساليب الإستراتيجية الحديثة ؛ حيث من خلال ذلك الأسلوب يسعى المخططون إلي إجراء المقارنة بين أداء المنافسين في السوق ، من خلال دراسة وتحليل البيئة التنافسية ، حيث يتم تجميع المعلومات وطرق المشاركة وصولاً إلى تحديد الإجراءات المتبعة لإجراء المقارنات بين المؤشرات؛ وذلك بتقييم مواطن الضعف والقوة في الأداء الحالي للدول والكيانات الاقتصادية وتحديد المجالات الحرجة التي يظهر فيها الأداء الغير مرضي مقارنة بالأداء المتميز لأفضل المنافسين، والعمل على دمج مقاييس الأداء المالية وغير المالية للمساعدة في تطوير الأداء وتحسينه، في الأجل الطويل(١).وتسعى الكيانات الاقتصادية لإحراز التقدم والتحسين المستمر في أدائها من خلال تطويرقابليتها لتحقيق ذلك ؛ حيث يتم اللجوء إلى تطبيق تقنيات معاصرة عمليات التقييم بهدف إلغاءأو تقليص الفجوة بين الأداء الإقتصادي وبين الأداء التميز في الدول الأخري صاحبة السبق في التميز(٢).

ويتم تناول مفهوم القياس المقارن من خلال الآتي:- أولاً : مفهوم المقارنة المرجعية.ثانيا : خطوات المقارنة المرجعية ومشاكل تطبيقها.والباحث يتناول كل نقطة بالتفصيل حسب الآتي :

أولاً : مفهوم المقارنة المرجعية:يستند مفهوم المقارنة المرجعية بالأساس إلى مقارنة تطبيقات نشاط اقتصادي معين معما يقابلها من معايير معتمدة ثبت تميزها في كيانات اقتصادية أخري ، ذلك في أي مجال من المجالات الاقتصادية الفاعلة ويحتوي ذلك الأسلوب علي الاهتمام بتجميع المعلومات عن أفضل التطبيقات الاقتصادية لغرض تحقيق التحسينات المستمرة في الاقتصاديات المقارنة. والمقارنة المرجعية تمثل تقنية تكشف عن تطبيقات محددة تمكننا من الوصول إلى الأداء الاقتصادي والمالي الأفضل وتساعد على فهم كيفية عمل تلك التطبيقات ، ومن ثم تبنيها وتطبيقها في الكيانات الاقتصادية لتكون بمثابة أهداف نهائية لأغراض الاستفادة من تحسن الأداء بكيانات فاعلة معينة.(٣)

ثانيا : خطوات المقارنة المرجعية ومشاكل تطبيقها: وتتضمن المقارنة المرجعية تحديد أفضل التطبيقات الموجودة في البيئات الاقتصادية ومقارنتها مع الأداءالاقتصادي من حيث السياسات المالية المستخدمة والتي ثبت فعاليتها بهدف أجراء التحسينات اللازمة عليها داخل الاقتصاد المقارن،وهناك نموذج يتضمن خمسة خطوات عامة تستخدم عند تطبيق عملية المقارنة المرجعية(٤):

الخطوة الأولى: تحديد المناطق والأنشطة الاقتصاديةفي الدول والاقتصاديات المقارنةوتحليل تلك الأنشطة إلي أدوات وسياسات متميزة يتحقق بها النمو والتقدم الاقتصادي في نلك الدول.

الخطوة الثانية :الحصول علي الدعم المجتمعي والأكاديمي المختص بتحليل الاقتصاديات والاستعانة بتقارير الهيئات الاقتصادية المعلن مثل صندوق النقد الدولي والكيانات الأممية الاقتصادية.

١فؤاد احمد محمد العفيري.(٢٠١٠)."مدخل متكامل لادارة التكاليف في ظل المنافسة في الشركات الصناعية".مقدم للندوة الثانية عشر لسبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعوديةتحت شعار : مهنة المحاسبة في المملكة العربية السعودية وتحديات القرن الحادي والعشرين — خلال١٨- ١٩ مايو ٢٠١٠ م.كلية إدارة الإعمال — جامعة الملك سعود.

٢ثائر صبري الغبان، نادية شاكر حسين.(٢٠٠٩)."التكامل بين تقنيتي بطاقة العلامات المتوازنة والمقارنة المرجعية لأغراضتقويم الأداء الاستراتيجيفي الوحداتالاقتصاديةدراسة تطبيقية في شركتي الصناعات الكهربائية فيالوزيرية وديالى".مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة العدد الثاني والعشرون. ص ص ١٤-١٧

3- APQC,DearInfosearch,"DefiningBenchmarking", (www.apqc.org)

٤- Spendolin؛Atkinson,et.al.,1997,p:627-633

الخطوة الثالثة: تحديد إمكانية الاستفادة بالسياسات والأدوات الاقتصادية المقارنة وذلك بعقد اتفاقات تبادل اقتصادي وتعاون دولي في مجالات التدريب والاقتباس الاقتصادي والدعم الدولي مع الدول والكيانات التي يتم تبني الأداء الفعال المتميز بها

الخطوة الرابعة:جمع المعلومات وتبادلها مع الكيانات التي تتم المقارنة معها ، وذلك في حالة كون المقارنة المرجعية تتم بأسلوب متعاون بين الطرفين هذه المعلومات تتضمن السياسات والطرق والمالية والاقتصادية الفاعلة.

وتستخدم معظم الكيانات الاقتصادية تقنية المقارنة المرجعية لأغراض تقويم أدائها لكي تبقىمحافظة التميز الاقتصادي بكل أشكاله ، ولكن هناك بعض الأخطاء الشائعة التي قد تقع فيهاتلك الدول عند قيامها بتطبيق خطوات تقنية المقارنة المرجعية مما يستوجب على من يتبناها ضرورةتركيزالانتباهإلىهذهالأخطاءلغرضتجنبه

ويري الباحث أن تلك الأخطاء تتمثل في الآتي:-

١- الاختلاط بين المقارنات المرجعية وبين المسح الاقتصادي الدولي ، فالأخير يمثل المسح في ذات المجال وليس بغرض المقارنة المرجعية وإنما بغرض المقارنة التنافسية.

٢- إن عملية المسح الاقتصادي توفر الأرقام المهمة للاقتصاد، لكن عملية المقارنات المرجعية تحاول إيجاد تفسير لتلك الأرقام ومعرفة ما تنطوي عليها من نواتج الأداء الاقتصادي بغرض الاستفادة منها في عملية المقارنة.

٣- التأكد من ملائمة البيئة التنظيمية والإدارية والاجتماعية لقياسات المرجعية المقارنة ، مع تلك البيئات التي ولد فيها القياس من سياسات اقتصادية ومالية.

٤- التأكد من أن أساليب المقارنة المرجعية تتماشي مع استراتيجيات وأهداف الاقتصاد المقارن مع تلك الإستراتيجيات المتعلقة بالاقتصاد المقارن به.

المبحث الثاني: **تحليل لنقاط القوة والضعففي النظام الضريبي المصري**

يتم تناول موضوع هذا المبحث من خلال التعرض لمفهوم النظام الضريبي ومحاولات الإصلاح وكذلك نقاط القوة والضعف في استخدام السياسات الضريبية والباحث يتعرض لذلك من خلال الآتي :

أولا : النظام والسياسات الضريبية في مصر :نظرة عن النظام الضريبي المصري:

- **مفهوم النظام الضريبي:**

يمثل مجموعة الضرائب المطبقة في إطار معين ، حيث استخدام الفن المالي في مجتمع معين ، وفي لحظة معينة بما يحتويه من قواعد قانونية وفنية للضرائب ؛ فضلا عن العناصر الأيديولوجية والمقومات الاقتصادية والإدارية التي تتفاعل معها تلك القواعد.

- **الملامح الرئيسية للنظام الضريبي المصري من خلال نظرة شاملة:**

A. سيادة الأهمية النسبية الغالبة للضرائب غير المباشرة على إجمالي الحصيلة الضريبية حيث تبلغ نحو الثلثين.

B. ينافي الاعتماد على الضرائب غير المباشرة ، مع مبدأ العدالة الضريبية ؛ حيث يغفل إمكانية نقل العبء الضريبي ليستقر على عاتق فئات غير دافعي الضرائب وهم غالبا المستهلكين.

C. يعبر انخفاض حصيلة الضريبة على المهن الحرة والضريبة الموحدة على الإيراد عن اختلال في الهيكل الضريبي بإغفال أوعية ضريبية هامة لفئات اتسع دخلها في الآونة الأخيرة و لم يصلها الاستقطاع الضريبي بعد.

D. تتجه نظم الضرائب على الدخل والضريبة الجمركية لتعزيز ما يلزم لعملية التنمية الاقتصادية من تشجيع المدخرات ، ودفع الاستثمار ؛ وذلك من خلال ما يعرف من إعفاءات وتخفيضات لأقساط واقتطاعات الادخار والتأمين.

E. تحقيق الهدف الاجتماعي من النظام الضريبي وهو الحد من التفاوت الكبير في الثروات والدخول أخذ المشروع الضريبي المصري بمبدأ التصاعد في سعر الضريبة في العديد من الضرائب.

F. لا يزال المجتمع الضريبي دون تغطية الكثير من الدخول الكبيرة والتي لا تزال بمنأى عن الإخضاع الضريبي ، ومن بينها الدخول الطفيلية التي تنتج عن عمليات المضاربة على أسعار الأراضي والاتجار في السوق السوداء وعمليات السمسرة والوكالة.

G. لا تفرق المعاملة الضريبية في نطاق إيرادات الأرباح التجارية والصناعية رغم أهميتها في مصر بين مجالات النشاط المختلفة من تجارة وصناعة بحسب طبيعة النشاط وطول دورة رأس المال وأهمية النشاط لخطط النية الاقتصادية.

H. درجة كفاءة الجهاز الضريبي في مصر دون المستوى المنشود الأمر الذي يعكس الكثير من مشكلات الإدارة الضريبية كصعوبات الحصر الضريبي ومشكلات التهرب الضريبي وتراكم المتأخرات الضريبية وفقدان الثقة بين الإدارة والممول.

طرق الإصلاحالضريبيفي مصر

١- تطبيق قانون جديد للضرائب العامة على الدخول والإرباح والمرتبات وهو القانون ٩١ لسنة ٢٠٠٥ والمعتمد علي دعم الممول الضريبي و إقرار الربط الذاتي والالتزام الضريبي الطوعي. ومن أكبر الانتقادات التي وجهت إليه القضاء علي الإعفاءات الضريبية المقررة من قبل بقانون حوافز الاستثمار رقم ٨ لسنة ١٩٩٧، وإسقاط الإعفاءات عن الأنشطة في المدن والمجتمعات العمرانية الجديدة.

٢- تخفيض سعر الضريبة بالقانون ٩١ لسنة ٢٠٠٥ وان كان أفاد كثير من الأنشطة الاقتصادية غير انه تخفيض غير مرتبط بنشاط يراد دعمه ، أو بيئة يريد المشرع أو المخطط الاقتصادي تنميتها.

٣- معالجة التشوهات في الضريبة العامة على المبيعات :

- قامت السلطات بخصم الضرائب على السلع الرأسمالية مما أدىإلى القضاء على الازدواجية في التطبيق.
- تقرير إعفاء بعض السلع التي قمم المواطنين ذوى الدخول المنخفضة.
- خلق بيئة محفزة ومشجعه على الإنتاج والتشغيل وتسمح للممول بالكسب وتشغيل الأيدي العاملة.

٤- إعادة هيكلة وإصلاح الضريبة الجمركية :

- التخفيض المستمر للضريبة الجمركية ، كما جاء بالقانون ٣٠٠ لسنة ٢٠٠٤ ، ولكن هذا التخفيض في نظر الباحث ليس لأجل تنمية نشاط اقتصادي أو دعم مناطق بعينها ولكنه انصب علي السلع الاستهلاكية في اغلبه مواده من ١٤.٦ % الي ٨.٩% .
- تخفيض عدد فئات الضريبة من ٢٧ فئة الى ٦ فئات فقط . ولكن بغير هدف استراتيجي تنموي.
- ما يحسب له ان ذلك القانون راعي البعد الاجتماعي بتخفيض الضريبة على السلع الأساسية والضرورية للاستهلاك المحلى ولصالح محدودي الدخل.
- في بعض جوانب الإصلاح الضريبي الجمركي تم مراعاةأهداف الصناعة من خلال التدرج في فئات التعريفة الجمركية من مواد أولية ومستلزمات صناعة وسلع نصف مصنعة وسلع تامة الصنع.
- مسايرة التطورات العالمية بإعفاء الآلات والمعدات وقطع الغيار الخاص بها

محاور الإصلاحالضريبي المصري:(١)

---

(١)يمكن الرجوع

- د.عبد الفتاح عبد الرحمن عبد المجيد ،(١٩٩٧) " النظم الضريبية المقارنة " مكتبة الجامعة ، القاهرة
- د. وجدى حسين (١٩٩٩) ، " المالية العامة " كلية التجارة ، جامعة المنصورة.
- دراسات فى التشريع الضريبى د عبد الرحمن يسرى – جامعة الإسكندرية .
- د احمد جمال الدين موسى ،(١٩٩٦)،"التشريع الضريبى المصرى " كلية الحقوق ، جامعة المنصورة .
- د طارق غلوش ،"النظم الضريبية المقارنة ، مكتبة النصر، دمياط
- د وجدى حسين ،(١٩٩٩) "النظام الضريبى بين الواقع والتطبيق: ، كلية التجارة ، جامعة المنصورة

عند محاولة إحداثإصلاحضريبيفي مصر يجب أن نأخذ في الاعتبار المحاور التالية والتي من خلالها قد نتمكن من إصلاح النظام الضريبيالمصري والاستفادة من سياساته .

المحور الأول :تعديل التشريع الضريبي بحيث يصاغ وفقاً لمبادئ عصرية تتماشى مع الفلسفات العلميـــة الحديثـــة ، ويصبح التشريع أسهل وابسط وأكثر مرونة ولعل هذا ما بدأت تتجه إليهالإدارة الضريبية في مصر من خـــلال تبســـيط الإجراءات فى ربط وتحصيل الضريبة وان كانت الإدارة الضريبية غير قادرة حتى الآن على تفهم طبيعة كيفيـــة تبســـيط الإجراءات.

المحور الثاني :العمل على تحقيق العدالة في توزيع الدخل من خلال النظام الضريبي والعدالة بمفهومها الأفقيوالرأســـي ، والتمييز ين مصادر الدخل المختلفة عند فرض الضرائب وذلك بالتدخل عن طريق السياسات الضريبية بما يحقق التنميـــة ويكفل العدالة الاجتماعية.

- فتفرض ضرائب منخفضة على الدخل المكتسب وضريبة مرتفعة علي الدخل المستثمر
- مراعاة قطاعات وأنشطة تحتاج إلي تنمية والتركيز عليها ضريبياً.

المحور الثالث :–التوازن بين الأهداف العامة للسياسة الضريبية (الاقتصادية – الاجتماعية – المالية) فيجب إحداث توازن من خلال : الجمع بين الضرائب المباشرة والضرائب الغير مباشرة لتحقيق الأهداف المالية وهـــي زيـــادة حصـــيلة الضرائب ، وايضاً استخدام الضرائب التصاعدية لتحقيق العدالة في توزيع العبء الضريبي علي كافة الأنشطة.

المبحث الثالث: تحليل نقاط القوة في السياسات الضريبة لدولة الصين

يتناول الباحث ملامح النظام الضريبي لدولة الصين الشعبية وعرض لنقاط القوة التي يمكن الاستفادة منها عند استخدام القياس المرجعي بين الدولتين الصين ومصر ، حيث أن الباحث ذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً :ملامح السياسة الضريبية الصينية .ثانياً : النظام الضـــريبي ومـــدي تأثيرهـــا الاقتصـــادي في الصين.ثالثاً : أنواع الضرائب في الصين.رابعاً : معلومات إحصائية واقتصادية هامة.

ويعرض الباحث لها ببعض التفصيل حسب الآتي

أولاً : ملامح السياسة الضريبية في دولة الصين:(١)

١- تبذل الحكومة الصينية قدرة الكبيرة علي تحصيل الإيرادات الضريبة والتغلب علي بعض المعاناة حيث يمثل اقل من ١٥% من الناتج المحلي.
٢- تشكل الإيرادات الضريبية ١٠٠% تقريباً من إيرادات الموازنة العامة للدولة.
٣- صاحب النظام الضريبي الصيني تغيرات كبيرة بعد العام ١٩٩٤ حيث تطور لتعزيز التنميـــة الاقتصـــادية في الـــبلاد وتشجيع الاستثمار الأجنبي.
٤- السياسة الضريبية الأساسية تنطلق من قاعدة التوجه الصناعي ودعم المناطق الجغرافية التي تساعد في ذلك.
٥- تركز السياسات الضريبة علي دعم الابتكار التكنولوجي والارتقاء العلمي حيـــث انخفـــاض معـــدلات الضـــريبة لمشروعات التكنولوجيا الفائقة.
٦- استخدام أساليب الحد من الإعفاء في حالة نقل تكنولوجيا معينة الي خارج البلاد.
٧- ثلاث سنوات للإعفاء الضريبي وثلاث سنوات أخري لمشروعات الموانى والسكك الحديدية والطرق والاتصـــالات والكهرباء.

١- الباز فوزي قابيل (٢٠١١) ، " تقرير مصلحة الضرائب عن بعثة وزارة المالية لدولة الصين الشعبية " اكتوبر .– نوفمبر.

٨- تحفيز الزراعة وحماية البيئة والحفاظ علي الطاقة وسلامة الإنتاج حيث أن تلك المشروعات تعفي من الضرائب ثلاث سنوات وثلاث سنوات أخري تخفض فيها الأسعار بمقدار النصف إذا ما تم شراء معدات خاصة لحماية البيئة من التلوث أو معدات لتوفير الطاقة.

٩- سياسات ضريبي لتحقيق التوازن بين التنمية الإقليمية ورعاية النفقات الضعيفة من الوجه الاجتماعي.

١٠- بدأ فرض ضريبة زراعية عام ١٩٥٨ ولكن اعتبارا من عام ٢٠٠٦ فلا توجد ضرائب علي ا النشاط لزراعي.

١١- توجد إعانات مالية لأصحاب المزارع بهدف تنمية المناطق الريفية

١٢- الحافز الضريبي لواحد من ثلاثة.. تشجيع الاستثمار ، حماية البيئة ، تشجيع الابتكار.

١٣- هناك إصلاحات ضريبية يجري تعديلها حاليا حيث يخفض سعر الضريبة إلي ٢٥% باستثناء المناطق الاقتصادية ٣٣%.

١٤- يجري تعديل سعر الضريبة لبعض المناطق الخاصة اقتصاديا ، وأيضا بعض الصناعات الإستراتيجية إلي ١٥%.

١٥- يجري العمل علي التوسع في الإعفاءات الضريبية لأغراض أخري مع تحديدها سنويا.

١٦- بالنسبة للشركات الإنتاجية يتم حاليا دراسة تعديل الإعفاءات من ٣:٢ سنة بخفض سعر الضريبة ٥٠% .

١٧- بالنسبة لمؤسسات التصدير يجري حاليا إعداد إصلاحات ضريبة ترتبط بالإنتاج حيث إذا كانت قيمة الصادرات ٧٠% يتم الإعفاء ٥٠% من الضريبة المستحقة وبالنسبة لمشروعات التكنولوجيا يكون سعر الضريبة ١٥%.

١٨- يجري العمل علي تعديل سعر الضريبة للمناطق الساحلية إلي ٢٤%.

ثانياً : **النظام الضريبي ومدي تأثيرها الاقتصادي في الصين** (١):

أدت الإصلاحات إلى تقليص مهم لقدرة ميزانية الدولة على تعبئة الموارد المالية. فقد ضاق الوعاء الضريبي لأن منشآت القطاع العام، المصدر الرئيس للموارد المالية أصبحت تعاني من فقدان التوازن، في حين أن القطاع الخاص الصاعد بسيط الخضوع للضريبة (قطاع غير رسمي). إضافة إلى ذلك، أسهمت اللامركزية في تقليص العائدات الضريبية، وانخفض وزن ميزانية الدولة (ميزانية جامدة في المركز والمقاطعات) من ما يزيد عن ٣٠% من الناتج المحلي الإجمالي في عام ١٩٧٨ حتى ١٢% في عام ١٩٩٤. وبشكل مواز تضخمت "الأموال الإضافية" (رسوم مستقلة تجبيها وكالات حكومية وإدارية محلية) بحيث أنها أصبحت تعادل ثلاثة أرباع الواردات الضريبية.

ولقد وضع الإصلاح الضريبي لعام ١٩٩٤ قواعد تقسيم الضرائب بين الميزانية المركزية وميزانيات المقاطعات، وأسس إدارة منفصلة لجباية الضرائب المركزية، وخفض الأموال الإضافية. وفرض رسماً على القيمة المضافة (TVA)، وضريبة تصاعدية على دخل الأفراد، وضريبة على الشركات (٣٧%)، وضريبة على المنشآت الخاصة، وضريبة على الأرباح. وأصبحت ضريبة القيمة المضافة تشكل المورد الرئيس (٣٧% من موارد الميزانية العامة في عام ٢٠٠٤) أمام الضريبة على أرباح المنشآت الخاصة (١٦%)، ولا تمثل الضريبة على الأفراد العاديين سوى ٧% من الموارد الضريبية.

إن قواعد تقاسم الواردات الضريبية بين المركز والمقاطعات، كما وضعت في عام ١٩٩٤، لا تنسجم مع تقسيم النفقات بين مختلف المستويات. فقد انخفضت حصة الواردات الضريبية المحصلة في المقاطعات مقارنة مع حصة الحكومة المركزية. إذ هبطت من ٧٠% من مجمل الواردات في عام ١٩٩١ حتى ٤٥% في عام ٢٠٠٤. وفي حين أن النفقات الاجتماعية تقع إلى حد كبيرعلى عاتق السلطات المحلية، فإنها لم تحظ بموارد مالية مناسبة.

كما أن لا مركزية هذه النفقات تجعل الحكومات المحلية تعتمد على تحويلات الحكومة المركزية. وتقودها إلى اللجوء لتحصيل أموال إضافية، وأخرى غيرمشروعة، وإلى الديون (رواتب غيرمدفوعة). ويشكل هذا النظام أحد أسباب ضعف النفقات الاجتماعية ويسهم في مفاقمة اللامساواة بين الأقاليم، لأن أفقر الأقاليم يتمتع بأقل هامش لزيادة دخوله. ففي التسعينيات زاد التفاوت زيادة مهمة في نفقات الميزانية بالنسبة للفرد الواحد بين أغنى المقاطعات وأفقرها.

١فرانسواز لوموان . " الاقتصاد الصيني" . تعريب الدكتور صلاح كعدان. بحث منشور علي موقع www.almgid.com /vb

ثالثاً : أنواع الضرائب في الصين:(١)

١- أنواع الضرائب في دولة الصين تنقسم إلي خمس مجموعات تحتوي علي ١٩ نوع من الضرائب.

٢- المجموعة الأولي: ضرائب علي دوران رأس المال بنسبة (٥٨.٢%) تشتمل علي ستة أنواع منها ضريبة الأعمال والتجارة ، ضريبة الاستهلاك ، ضريبة المشتريات ، ضريبة Custom، ضريبة المركبات ، ضريبة المشتريات ، الضريبة علي شراء التبغ

٣- المجموعة الثانية : ضرائب الدخل ونسبتها (٢٧.٤٧%) تشتمل نوعين ضرائب دخل علي الشركات ، وضرائب دخل علي الأفراد.

٤- المجموعة الثالثة : ضرائب علي الملكية نسبتها (٣.٠٦%) تشتمل علي ٣ أنواع .. ضرائب السكن ، ضرائب استغلال السفن ،ضرائب الأراضي والحفريات

٥- المجموعة الرابعة : ضريبة رسم تنمية الموارد ونسبتها (٠.٥٦%) وتشمل نوع واحد تنمية الموارد الطبيعية للدولة

٦- المجموعة الخامسة : ضريبة قطعية ونسبتها (١٠.٧%) وتشمل ٧ أنواع وهي ضريبة التصرف العقاري ، ضريبة الدمغة ، ضريبة العقود ، الأراضي المزروعة ، كسب العمل ،ضريبة الاستثمار في الأصول الثابتة

٧- بدأ تطبيق ضريبة القيمة المضافة من يناير ٢٠٠٩

٨- تمثل الحوافز أداة اقتصادية وضريبية هامة حيث تساعد علي التنمية والاستثمار المباشر

٩- يعتبر من الحوافز الضريبية زيادة معدل الخصم الضريبي علي الصادرات بنسبة ١٥.٥%.

١٠-الإعفاء الضريبي للأصول الثابتة المستوردة من ضريبة القيمة المضافة.

١١-قبل يناير ٢٠٠٨ تم خفض معدل الضريبة كحافز بنسبة ١٥% مع إعفاء أولي سنتين وإعفاء نصف الضريبة للثلاث سنوات التالية وذلك للاستثمار الأجنبي حسب قانون ضرائب دخل الشركات سنوات ١٩٩١ حتي ٢٠٠٧

١٢-تعطي تلك الحوافز لأنشطة التكنولوجيا العالية والمؤسسات المنشأة حديثاً

١٣-بعد يناير ٢٠٠٨ أعطت القوانين الضريبية أهمية أكثر للإصلاح الاقتصادي

١٤-إتباع سياسة معدلات ضريبة منخفضة للعمل علي تطوير المشروعات وزيادة الإحلال في الأصول الإنتاجية

١٥-التركيز علي تعويض فاقد الحصيلة بتوسيع القاعدة الضريبية بزيادة حصر المجتمع الضريبي ويستخدم لذلك إدارة ضريبية صارمة لحالات التهرب الضريبي

رابعاً : معلومات إحصائية واقتصادية هامة

وانه لابد في هذا المقام القاء الضوء علي مدي قوة الإقتصاد في دولة الصين من خلال الارقام الإقتصادية والإحصائية التالية كتأكيد أساسي علي انه لابد عند استخدام القياس المرجعي التأكد من فعالية ذلك القياس بقوة الإقتصاد المقارن به .

(أ) : ملامح إحصائية واقتصادية هامة (٢):

تمارس الصين سياسة بالغة الحنكة يتفاعل فيها تحديد الهدف الاستراتيجي مع تطوير المبادئ الراسخة منذ ثورتها الكبرى دون كسرها دفعة واحدة ، وتطبيق ما تنادي به العولمة المعاصرة لكن بغير هرولة وتتصادم مع الولايات المتحدة إلي الحد الذي لا تحدث معه جروح يصعب التئامها. حيث

١-تشهد الصين نموا اقتصاديا سريعا منذ قيام جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩. وخاصة منذ بدء تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح على الخارج عام ١٩٧٨

٢-حيث ظل الاقتصاد الصيني ينمو بصورة مستقرة وسليمة، إذ بلغ معدل نموه السنوي أكثر من ٩.٧٥% علي مدي ٣٠ سنة.

---

١ – الباز فوزي قابيل ، مرجع سبق ذكره

٢الباز فوزي الباز قابيل(٢٠١١)." مرجع سبق ذكره

٣-بلغ متوسط النمو في التجارة الخارجية ١٥% منذ عام ١٩٧٨.

٤-تبلغ التدفقات من الاستثمار الأجنبي المباشر مليار حالة استثمار جديدة كل أسبوع.

٥-احتلت الصين المرتبة الأولى في العالم منذ عام ١٩٩٦ في مجال المنتجات الصناعية الأساسية.

٦-إذا ما استمر النمو بذات المعدل تصبح الصين اكبر اقتصاد في العالم خلال ٢٥ سنة.

٧-معدل البطالة بمتوسط ٤.٣ % حتي آخر سنة

٨-يفيد تقرير البنك الدولي بأن الصين أصبحت بالفعل ثالث أضخم اقتصاد في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبأنها غدت منذ بداية التسعينيات الوجهة الثانية عالميا للاستثمارات الدولية بعد الولايات المتحدة الأمريكية

٩-بلغت مؤخرا حجم وإرادات الصين ١٠٠٥.٦ مليون دولار ، كما بلغت الصادرات ١٢٠١.٧ مليون دولار. وبلغت نسبة الصادرات إلي الناتج المحلي ما يعادل ٢٥%

(ب): بيانات إحصائية هامة

١-احتياجات العمل الفعلي سنويا من ٨-١٢ مليون نسمة.

٢-حجم العاملين في القطاع العام ٢٠ مليون نسمة وحجم العمل في المناطق الريفية ١٦٠ مليون عامل

٣-قيمة المدخرات المحلية يصل إلي ٤٠% من دخل الأسر

٤-الاستثمار في الأصول الثابتة يتخطي ٣٠% من جملة الاستثمار ويساهم في الناتج المحلي ٤٧%.

٥-بلغ حجم التجارة الخارجية الصينية أكثر من ٨٥٠ مليار دولار امريكى محتلا المرتبة الرابعة بعد الولايات المتحدة وألمانيا واليابان وقبل بريطانيا وفرنسا.

٦-أخيرا تجاوز الاحتياطي الصيني من العملات الأجنبية ٤٠٠ مليار دولار امريكى محتلا المركز الثاني بعد اليابان فقط.

٧-مع دخول القرن الجديد، طرحت الصين مفهوما يتمثل في التناسق بين الإنسان والطبيعة وتحقيق تنمية متوازنة بين الإنسان والمجتمع وبين المدن والأرياف وبين شرق الصين وغربها والانسجام بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية.

٨-بحلول العام ٢٠٢٥ ستكونالصينقد أكملت بناء ٤٠مليون متر مربع من المدن الجديدة!

والباحث يري أن ذلك التقدم الاقتصادي الهائل جاء نتيجة إتباع سياسات دراسة السوق الداخلي والخارجي والضغط بوسائل اقتصادية عدة علي الدفع باتجاه النمو والتقدم وأن استخدام السياسات الضريبية التنموية له دور كبير في ذلك .

المبحث الرابع

عناصر القياس المقارن الملائمة للتطبيق في مصر

يمكن من خلال العرض السابق أن يقترح الباحث كثير من السياسات الضريبية التي يمكن من خلالها دعم النظام الضريبي المصري ، حتي يكون فاعلاً في اتجاه التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومن هذه العناصر الآتي :

عناصر القياس المقارن المقترحة من الباحث لتطبيقها ذلك من خلال مجموعة من القواعد الهامة وهي:-

أولا : قاعدة الاهتمام بالتوجه الصناعي والتكنولوجي والتصديري :

حيث تقوم النظام الاقتصادي لدولة الصين علي تشجيع النمو في تلك القطاعات الهامة باستخدام سياسات ضريبية فعالة تتعلق بالتدخل التنموي عن طريق الحوافز الضريبية ، أو تخفيض السعر للعمل علي تحقيق ذلك التوجه الاستثماري حيث:

- انخفاض سعر الضريبة علي الأنشطة التي تدعم الابتكار والإبداع الإداري.
- التدخل عن طريق التعديل في أسعار الضريبة لتنمية الأنشطة التكنولوجية الفائقة .
- استخدام أساليب الحد من الإعفاء الضريبي في حالة نقل التكنولوجية الي خارج البلاد .
- تنشيط الإعفاءات لمدة ثلاث سنوات لأنشطة المشروعات العملاقة مثل صناعات السكك الحديدية ، والاتصالات ، والكهرباء.

– تخفيض أسعار الضريبية لبعض الأنشطة الإستراتيجية الهامة وهناك مشروعات قانونية لإعفائها من ٢–٣ سنة.

ثانياً :قاعدة التحفيز للأنشطة الزراعية والبيئية :

حيث تستخدم الحكومة الصينية سياسات ضريبية خاصة تشجع علي الاستثمار الزراعي وتعمل علي تنقية البيئة من التلوث ومثل هذه الأساليب التي يمكن الاستفادة بها في النظام الضريبي المصري عن طريق إتباع سياسات ضريبية تشجع علي توسعة الرقعة الزراعية وتدعم المستلزمات الزراعية وتعمل علي توفير المعدات الحديثة في الزراعة ومن هذه العناصر التي يمكن استخدامها في المقارنة المرجعية :

استخدام الإعفاء الجزئي والكلي للأنشطة الزراعية المتعلقة باستصلاح الأراضي ، ومستلزمات الإنتاج

- استخدام سياسة الإعفاء الثلاثي للأنشطة التي تعمل علي توفير مستلزمات الإنتاج الزراعي .
- إعفاء الأصول الزراعية من الضرائب الجمركية تشجيعاً لعملية الإحلال والتجديد
- استخدام أساليب الإعفاء الجزئي للأنشطة الخاصة بتصنيع واستيراد المعدات والآلات التي تشجع علي حماية البيئة من التلوث
- استخدام السياسات الضريبية بتخفيض سعر الضريبة للأنشطة التي تقوم بتوفير الطاقة والقوي والمحركة للأصول الزراعية .

ثالثاً : قاعدة تنمية ودعم المناطق الجغرافية :

يتم ذلك باستخدام وسائل تشريعية بمكن من خلالها التدخل عن طريق الشرائح الضريبية ، أو عن طريق تخفيض سعر الضريبية لتشجيع التوجه الاستثماري في مناطق معينة ، تحتاج الحكومة إلي دعمها تنموياً ولذلك فهي تتدخل بالسياسات الضريبية كوسائل جذب استثماري للارتقاء بمثل هذه المناطق الجغرافية . ومن ذلك :

- إعطاء إعانات للمزارعين لتنمية المناطق الريفية النائية .
- إعطاء حافز ضريبي عن طريق تخفيض السعر أو تعديل الشرائح وذلك عند الاستثمار في إمكان بعينها تري الحكومة الحاجة الماسة لتنميتها .
- تعديل أسعار الضريبة في مناطق خاصة اقتصاديا سواء بالزيادة أو النقص حيث يقل من خلالها الجذب الاستثماري أو يزيد حسب الخطط الإستراتيجية المعتمدة في الاقتصاد وبخاصة بعض المناطق الساحلية .

الخلاصة والنتائج والتوصيات:

تمثلت مشكلة البحث في محاولة الاستفادة بالأنظمة الضريبية المتطورة ، عن طريق استخدام أسلوب القياس المقارن المرجعي ، لاستخدام السياسات الضريبية في عملية التنمية والتقدم الاقتصادي ، والتوظيف الداخلي لعوامل الإنتاج .

وبالتالي فقد انطلق الباحث من فرضية أساسية توقع من خلالها استخدام أسلوب القياس المقارن بكفاءة عالية للاستفادة من توظيف السياسات الضريبية في دولة الصين ، لصالح الاقتصاد المصري .

ولقد قسم الباحث دراسته إلي أربعة مباحث: تناول في المبحث الأول مفهوم القياس المقارن وشروط الاستفادة بتطبيقه ، حيث فرق بين المسح المقارن للأدوات والسياسات الاقتصادية وبين القياس المقارن لها ، إذ أن الأولي تبحث عن وسائل الترتيب الاقتصادي للدولة بين مجموعة من الدول ، والثانية تبحث عن مدي الاستفادة بالبيانات المقارنة في دعم مواطن الضعف في الاقتصاد المقارن عن طريق استيراد وسائل القوة في الاقتصاد المقارن به.

وفي المبحث الثاني : تناول الباحث بالعرض بعض السياسات الضريبية المصرية ، مع تم إلقاء الضوء عن الغرض الظاهر من بعضها ، وفيه تطرق الباحث الي أنواع السياسات الضريبية المصرية ، سواء المتعلقة بالضرائب المباشرة أو الضرائب الغير مباشرة وبخاصة الضريبة الجمركية ، ومدي تأثيرها في الأنشطة الاقتصادية المصرية.

وفي المبحث الثالث : تناول الباحث بالعرض والتحليل السياسات الضريبية في دولة الصين الشعبية ، وذلك بعدما تناول أنواع الضرائب مدي ارتباطها بالتخصص في الأسعار فهناك أسعار متعددة لأنشطة متعددة ، وهناك أسعار متعددة لمناطق

متعددة ، وانتهي الباحث الي تعريف مواطن القوة التي أدت إلي تحقيق معدلات اقتصادية فائقة جعلت الاقتصاد الصيني الثالث عالميا

وفي المبحث الرابع تناول الباحث قواعد ثلاث ممكن من خلالها استخدام القياس المقارن ، تتعلق الأولي بطرق القياس المقارن للأنشطة الصناعية والتصديرية والتكنولوجية ، والقاعدة الثانية تتعلق بأساليب دعم الأنشطة الزراعية وما يتعلق بها من أنشطة استيرادية لمستلزمات الإنتاج الزراعي والأصول الزراعية ، وكانت القاعدة الثالثة تتعلق باستخدام السياسات الضريبية بدعم مناطق جغرافية بعينها يتم التدخل في تنميتها أو الحد من الاستثمار فيها عن طريق استخدام أسعار ضريبية خاصة تؤدي ذلك الغرض.

النتائج والتوصيات :

١- محاولة الاستفادة بتجربة دولة الصين في التغلب علي حجم البطالة ليستقر عند ٤.٣ % وذلك بالتدخل عن طريق السياسات الضريبية لتوفير فرص العمل والمناطق الجاذبة للعمالة .

٢- الاستفادة من السياسات الضريبية في مجال النهضة والتنمية الاقتصادية ،وذلك بترشيد نظام الإعفاءات الضريبية وتنوع أسعار الضريبة لتنمية أنشطة معينة ، أو مناطق محددة تحتاج إلي تنمية ، أو قطاعات إنتاجية مختلفة حتي أن نسبة الصادرات الي الناتج المحلي بلغت ٢٥% ، ونسبة المدخرات من إجمالي الدخول بلغت ٤٠%، وأصبحت الصين الأولي عالميا في إنتاج السلع التكنولوجية.

٣- الاستفادة من السياسات الضريبية في حماية البيئة من التلوث ، ودعم رأس المال الفكري والتقني.

٤- استخدام السياسات الضريبية في التنمية المحلية الشاملة بدعم قطاعات الزراعة والصناعة و مواجه المنافسة العالمية.

قائمة المراجع :

ثانياً المراجع العربية :

١- د احمد جمال الدين موسى ،(١٩٩٦)،"التشريع الضريبى المصرى " كلية الحقوق ، جامعة المنصورة .

٢- الباز فوزي قابيل (٢٠١١) ، " تقرير مقدم مصلحة الضرائب عن بعثة وزارة المالية لدولة الصين الشعبية " أكتوبر – نوفمبر.

٣- ثائر صبري الغبان، نادية شاكر حسين.(٢٠٠٩)."التكامل بين تقنيتي بطاقة العلامات. المتوازنة والمقارنة المرجعية لأغراض تقويم الأداء الاستراتيجي في الوحدات الاقتصادية دراسة تطبيقية في شركتي الصناعات الكهربائية في الوزيرية وديالى".مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة العدد الثاني والعشرون.

٤- د طارق غلوش (٢٠٠٨) ،"النظم الضريبية المقارنة ، مكتبة النصر، دمياط .

٥- د. عبد الرحمن يسرى،(٢٠٠٩)" دراسات فى التشريع الضريبى "– جامعة الإسكندرية.

٦- د.عبد الفتاح عبد الرحمن عبد المجيد ،(١٩٩٧) " النظم الضريبية المقارنة " مكتبة الجامعة ، القاهرة .

٧- فؤاد احمد محمد العفيري.(٢٠١٠)."مدخل متكامل لادارة التكاليف في ظل المنافسة في الشركات الصناعية".مقدم للندوة الثانية عشر لسبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية تحت شعار : مهنة المحاسبة في المملكة العربية السعودية وتحديات القرن الحادي والعشرين –خلال١٨- ١٩ مايو ٢٠١٠ م.كلية إدارة الإعمال – جامعة الملك سعود.

٨- . وجدى حسين (١٩٩٩) ، " المالية العامة " كلية التجارة ، جامعة المنصورة.

٩- ________________١٩٩٩) "النظام الضريبى بين الواقع والتطبيق: ، كلية التجارة ، جامعة المنصورة

ثانياً :المراجع الأجنبية:-

1- APQC,DearInfosearch,"DefiningBenchmarking", (www.apqc.org)
2- Spendolin : Atkinson,et.al.,1997,p:627-633

تشجيع التجارة بين الشرق الإسلامى والصين فى عصر الدولة العباسية (١٣٢ : ٦٥٦ / ٧٤٩ : ١٢٥٨)

الباحثة / مروة صلاح الدين محمد

المبحث الأول

سياسة الشرق الإسلامى لتشجيع التجارة مع الصين :

١- إهتمام الخلفاء العباسيين وحكام الدول المستقلة بالتجارة

لم تقتصر عناية الخلفاء العباسيين على الزراعة والصناعة وحدها ، بل اهتموا كذلك بتسهيل سبل التجارة ، حيث حرصت الدولة العباسية على بذل أقصى قدر من العناية بطرق المواصلات الداخلية وتأمين طرق التجارة البرية والبحرية وتزويد القوافل التجارية بالحراس لحمايتها من اللصوص وقطاع الطرق هذا بالإضافة إلى الجهود التى بذلتها الدولة فيما يتعلق بإنشاء الجسور والقناطر فأقاموا الآبار والمحطات فى طرق التجارة ، وبنوا الأساطيل لحماية السواحل من إغارات لصوص البحار وكان لذلك أكبر الأثر فى نشاط التجارة الخارجية والداخلية وأصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد وسفنهم تمخر عباب البحار ، كما شجع خلفاء العصر العباسى الأول التجارة تشجيعاً غير مباشر بما أدخلوا من مظاهر الترف إلى بلاطهم (١) ، وبخاصة حين اتحدوا تحت سلطان واحد مع الفرس الذين اعتادوا الوفرة والرخاء فى العيش ، فنما فى نفوسهم حب البذخ والرفاهية ونمت معه الحاجة إلى المنتجات الأجنبية (٢) .

شجعت الدولة العباسية التجار بالطلب على السلع والبضائع الثمينة والنادرة من قبل الخليفة وكبار رجال الدولة ، وأدى ذلك إلى زيادة الطلب عليها من البلاد الأجنبية ، وقد بلغ تشجيع الخلفاء لهم أنهم أعفوهم من ضرائب التجارة ، بل وقدموا لهم هدايا نقدية ، كما عمل العباسيون على تأمين إقامة التجار والمحافظة على أرواحهم وأموالهم ، حيث حرصوا على إنشاء الفنادق والأسواق والخانات لتسهيل إقامة التجار الأجانب فضلاً عن التجار العرب المسلمين الوافدين من الولايات الإسلامية(٣) .

اجتمعت كل هذه الظروف والأحوال التى تشجع ازدهار التجارة فى العصر الذى ارتقى فيه العباسيون الأوائل عرش الخلافة (٤)، ويتضح من هذا أن العرب قاموا فى العصر العباسى برحلات بحرية تبدأ من بغداد وتسير فى الخليج الفارسى والمحيط الهندى ، حتى تصل إلى شبه جزيرة ملقا والصين ، فقد كان التجار يشجعون مثل هذه الرحلات التى تجلب لهم توابل الهند وعطورها وحرير الصين(٥).

كانت هناك علاقات ودية مع الصين منذ أيام الأمويين ، وتطورت تلك العلاقات إلى الأفضل مع ارتقاء العباسيين لعرش الخلافة ، فاستمر تدفق التجارة عبر الطريق البرى القديم المعروف بطريق الحرير(٦) المنحدر من الصين صوب الغرب

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١٣ ، ١٩٩١ ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ . —
حسين الحاج حسن : حضارة العرب فى العصر العباسى ، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ٢٠٧ .

(٢) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، جـ ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) محمد فتحى الشاعر : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ١٢٣ ، ١٢٥.

(٤) هايد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٥) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٦) طريق الحرير القديم : هو طريق تجارى قديم ربط بين الشرق (الصين) والغرب ، ولما كان الحرير الصينى أرقى البضائع وأهمها التى تنقل عبر هذا الطريق وأغلاها ثمنا ، إذ احتفظت الصين بسر إنتاجه مدة لا تقل عن ألفى سنة ، كانت خلالها المصدر الوحيد للأقمشة الحريرية الرقيقة الفاخرة التى تصل الغرب ، ولهذا فقد أطلق الجغرافى الألمانى فرديناند فون رشتهوفن على هذا الطريق اسم طريق الحرير .
إيرين فرانك وبراونستون : طريق الحرير، ترجمة أحمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٨ ، ١٣.

فتدفقت صادرات الصين على الشرق الإسلامى ، وبدأت السفن العربية والتجار العرب يدخلون مياه جزر الهند الشرقية وجنوب الصين(١).

احتلت تجارة المسلمين فى العصر العباسى الثانى المكانة الأولى فى التجارة العالمية (٢) ، فقد كان الخلفاء العباسيون وملوك الدول المستقلة فى العصر العباسى الثانى من أكثر الحكام اهتماماً بالتجارة والتجار ومن أشد الناس حرصاً على العدل والإنصاف خاصة فى حقوق التجارة ، مما أدى إلى إقبال التجار من كافة أنحاء العالم ومن الصين إلى الدولة الإسلامية لما تتمتع به من عدل وأمان .

ومن أهم الأمثلة الدالة على ذلك الرواية التى ذكرها نظام الملك حيث ذكر أن : { تاجراً أتى بلاط السلطان محمود الغزنوى وتظلم إليه من ابنه مسعود فى حسرة وتوجع وقال : « أنا امرؤ تاجر مضت علىّ مدة هنا وأرغب فى العودة إلى مدينتى ، ولكننى لا أستطيع ، لأن الامير مسعود اشترى منى بضاعة وأقمشة بستين ألف دينار دون أن يدفع ثمنها وأريد أن ترسلنى والأمير مسعود إلى القاضى ».

فرق قلب السلطان محمود لكلام التاجر ، وبعث برسالة شديدة اللهجة إلى مسعود أمره

فيها : « أريد أن تقضى له حقه الآن وإلا تعال لتمثل معه أمام القضاء لتطبق عليكما أحكام الشريعة » ومضى التاجر إلى مجلس القاضى ، فى حين قصد الرسول مسعود وأدى إليه الرسالة فقال مسعود للموكل بالخزانة : « انظر ما فى الخزانة من الذهب نقداً » ، فذهب ونظر وعاد فقال : « ليس ثمة أكثر من عشرين ألف دينار » قال مسعود : « خذها وامض بها إلى التاجر واستمهله ثلاثة أيام لباقى المبلغ » ثم قال لرسول السلطان « قل للسلطان : إننى دفعت إلى الرجل عشرين ألف دينار فى الحال ، وسأعطيه حقه كاملاً بعد ثلاثة أيام ، وإننى لأقف الآن مرتدياً قبائى فى إنتظار ما يأمر به السلطان » فذهب الرسول ولكنه عاد إلى مسعود مرة أخرى ، وقال : « يقول السلطان إما أن تتوجه إلى مجلس القضاء ، وإما أن تدفع مال التاجر إليه ، واعلم أنك لن ترى لى وجهاً ما لم تؤد حق الرجل إليه كاملاً » ولم يجرؤ مسعود على أن يضيف إلى كلامه السابق حرفاً وأرسل رسلاً إلى مختلف النواحى يطلب قرضاً ، فما أن أزف وقت صلاة العصر ، حتى وصلت إلى التاجر الستون ألف دينار ، فلما تناهى هذا الخبر إلى أطراف العالم أخذ التجار ينهالون على غزنة (٣) من الصين وغيرها من المناطق يحملون ما فى العالم من تحف ونفائس } (٤).

وكذلك ذكر الكَرديزى أنه « فى عهد ولاية الأمير محمد بن محمود الغزنوى على الدولة الغزنوية ، والذى تولى الإمارة مكان أبيه محمود الغزنوى ، صار العيش حلوا للناس طراً ورخصت الأسعار وسر الجنود والتجار على السواء ولما وصلت أخبار ثراء غزنة وسعة عيشها إلى المدن والبلدان الأخرى قصدها التجار من أنحاء بعيدة وأحضروا معهم الأمتعة والأقمشة والملابس الجميلة »(٥).

كذلك اهتم الخلفاء العباسيون بعقد الاتفاقيات التجارية والسياسية وإرسال البعوث والسفارات إلى الصين لتأمين التبادل التجارى ، فقد شهدت فترة حكم العباسيين نشاطاً ملموساً فى العلاقات الدبلوماسية العربية الصينية (٦) ، فسجل فسجل تاريخ الصين خمسة عشر سفارة من العباسيين فى نصف قرن خلال الفترة بين (١٣٣ه / ٧٥٠م : ١٨٤ ه / ٨٠٠

---

(١) منى حسن أحمد محمود : طرق التجارة فى العالم الإسلامى ، ندوة طرق التجارة العالمية ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٢١

(٢) حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٣) غزنة : بلاد متسعة فى طرف خراسان .

– القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول ، عالم الكتب ، بيروت–لبنان ، ص ٤٦٧ .

(٤) نظام الملك : سياست نامة ، ترجمة يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، الدوحة – قطر ، د. ت ، ص ٢٩٦ .

(٥) الكَرديزى : زين الاخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢ ، ص ٣١٥ ، ٣١٦

(٦) محمد فتحى الشاعر : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

م) جاءت إلى الصين لزيارات ودية أو لتقديم الهدايا للإمبراطور الصينى(١) ، يتضح من ذلك أن معظم هذه السفارات أدت إلى تحسين العلاقات التجارية وتقدمها ، بين العرب والصين ، فقد كانت السفارات التى جاءت من قبل التجار أنفسهم أكثر من التى جاءت من قبل الخلفاء (٢) .

وصفوة القول : إن عناية الخلفاء العباسيين بالتجارة وحرصهم على تبادلها وتيسير طرقها كان له أكبر الأثر فى رقى التجارة وازدهارها(٣) .

٢- سياسة الدولة السامانية فى تشجيع التجارة مع الصين :

فقد أقام السامانيون دولتهم فى بلاد ما وراء النهر وخراسان وكان الصينيون أقرب البلاد إليهم من الناحية الجغرافية فسعوا فى البداية إلى بسط نفوذهم فى بعض مدن ما وراء النهر غير أنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً و لم يلبث النفوذ الصينى أن تضاءل فى هذه المناطق فى عهد السامانيين الذين أحكموا قبضتهم عليها قرابة مائة وثمانية وعشرون عاما فى الفترة (٢٦١ : ٣٨٩ ه / ٨٧٤ : ٩٩٩ م) . (٤) ونشطت التجارة بين الشرق الإسلامى والصين فى عهد السامانيين حيث كان الطريق آمنا بين حدود الصين وخراسان(٥) .

ويشهد تاريخ السفارات أن أباطرة الصين كانوا على صلة دبلوماسية بالأمراء السامانيين وتوثقت هذه الصلات فى عهد الأمير نصر بن أحمد السامانى (٣٠١: ٣٣١ ه / ٩١٣ : ٩٤٢ م) . أمدتنا المصادر بمعلومات غاية فى الاهمية عن مملكة كين وصلاتها بالبلاط السامانى ، فذكر ياقوت الحموى عن أبى دلف أن « نصر بن أحمد السامانى كان ملكاً عظيم الشأن كبير السلطان ... فذهبت إليه رسل ملك الصين قالين بن الشخير راغبين فى مصاهرته طامعين فى مخالطته يخطبون إليه ابنته فأبى ذلك واستنكره لحظر الشريعة له فلما أبى ذلك راضوه على أن يزوج بعض ولده من ابنة ملك الصين فأجاب إلى ذلك فاغتنمت قصد الصين معهم .

فأرسل نصر سفارة سامانية أسند رئاستها إلى أبى دلف فقصد أبو دلف بلاد الصين على رأس البعثة الدبلوماسية فسلك بلاد الأتراك حتى قدم مدينة سندابل وهناك قابل الملك الصينى فخاطبه الرسل بما جاءوا به من تزويجه ابنته من نوح بن نصر فأجابهم إلى ذلك وأحسن ضيافتهم وأقام أفراد السفارة عند إمبراطور الصين فترة من الزمن ، حتى نجزت أمور المرأة وتم ما جهزها به ثم سلمها إلى مائتى خادم وثلاثمائة جارية من خواص خدمة وجواريه وحملت إلى خراسان إلى نوح بن نصر فتزوج بها»(٦).

وهذا النجاح الذى أحرزته السفارة السامانية كان من شأنه أن يربط السامانيين بملوك الصين بصلات طيبة ، فتولدت من هذا الزواج علاقة وثيقة بين دولة السامانيين ومملكة كين فى شمال الصين ، وفتحت أمام التجار المسلمين الطريق إلى

---

(١) بدر الدين حى الصينى: العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٥٠، ص ١٨٦.

(٢) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : معالم تاريخ وحضارة الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ١٥٢ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ .

(٤) محمد أحمد محمد أحمد : العلاقات الدبلوماسية بين بنى سامان وملوك الصين ، مجلة كلية الآداب ، سوهاج ، العدد الرابع ،١٩٨٥، ص٢٩٣

(٥) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٠ ، جـ ٣ ، ص ٥٠١ : ٥٠٤ .

Bosworth : The Medieval History of Iran , Afghanistan , and Central Asia , An Alleged Embassy from the Emperor of China to Amir Nasr B.Ahmad ,London, 1977, p. 8 .

الصين(١) . وقد ساعد ذلك على إغراء بعض التجار العرب البقاء فى الصين والأستقرار فيها ، فتمركز عدد كبير من التجار العرب بميناء خانفو وجنوبى الصين وغيرها من الموانى(٢) .

٣- دور سفارات التجار العرب فى تشجيع التجارة فى عهد أسرة سونغ

وجد فى تاريخ أسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٧٩ م / ٣٤٩ - ٦٧٨ هـ) أن أغلب هذه السفارات كانت بهدف تحسين العلاقات التجارية بين العرب والصين ، ولذلك فالسفارات التى جاءت من قبل التجار أنفسهم أكثر من التى جاءت من قبل الخلفاء ، ويظهر أن أكثر هذه السفارات قد اختارت طريق البحر وقليلاً منها جاوز أواسط آسيا إلى الصين براً ، وتكشف لنا هذه السفارات المكانة التى اكتسبها التجار العرب فى أسواق الصين ولدى البلاط الصينى(٣) حتى أن هناك بعض التجار كانوا يحرصون على اتخاذ صفة المبعوثين للحصول على الهدايا النفسية والوافرة من الإمبراطور الصينى(٤)

ومن أهم هذه السفارات التى جاءت من قبل التجار ما ورد من سفارات فى سنة ٣٨٤ ه / ٩٩٤م وسنة ٣٨٥ ه / ٩٩٥م.

والسفارة الأولى منهم جاءت من قبل تاجر عربى عظيم بكانتون وله مراكب تجارية تجرى فى البحار ويعرف هذا التاجر بـ (إبراهيم بن اسحاق) وهو تاجر كبير معروف فى أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وكان يتاجر مع الصين فنسب إليها من كثرة ذهابه إليها . وفى سنة ٣٨٤ ه / ٩٩٤م بعث إبراهيم بن إسحاق صديقاً له نائباً عنه إلى قصر الإمبراطور فوكله بتقديم الهدايا إلى إمبراطور الصين ، فتفضل الإمبراطور بقبول الهدايا وأنعم على إبراهيم بن إسحاق برسالة سنية يشكر له فيها هداياه كما أنعم عليه بخلعه الشرف وصناعات فضية فى مقابل هداياه .

وقد دون تاريخ الصين أيضاً وصول ربان عربى كبير فى سنة ٣٨٥ ه / ٩٩٥ م معروف باسم أبى عبد الله الذى بعثه إبراهيم بن اسحاق يحمل رسالة شكر وهدايا للإمبراطور ولما مثل بين يدى الإمبراطور قال له أمرنى إبراهيم بن إسحاق أن أحضر إلى العاصمة الصينية لرفع كلمة الشكر إلى الإمبراطور على هذا العطف الكريم ، وتقديم بعض الهدايا من حاصلات بلاد الشرق ، فأمر الإمبراطور أن يخلع على أبى عبد الله بخلعة سنية وأن ينعم عليه بأشياء أخرى ثمينة وأنزله عنده ضيفاً عدة شهور ثم ودعه بحفاوة وإكرام ورد الهدايا بأحسن منها ذهب وحرير وشكر له ما بعث به إبراهيم بن إسحاق إليه(٥).

من هذا يتضح أنه فى عهد أسرة سونغ كان عدد العرب الوافدين إلى الصين كثيراً وكان معظمهم من التجار حيث كانت حكومة سونغ تعامل هؤلاء الوافدين العرب معاملة ود وصداقة كما أن هؤلاء الرسل الذين جاءوا لتقديم الهدايا كانوا يحظون بحسن المعاملة من الموظفين الصينيين فى كل مكان وصلوا إليه ، فكانت تقام لهم على سبيل المثال ، حفلات غناء عند الاستقبال والتوديع ، وتقام على شرفهم الولائم، ويركبون الهوادج ويمتطون الخيول ويقابلون كبار الموظفين فى جميع المناطق الادارية (٦) .

المبحث الثانى

سياسة الصين فى تشجيع التجارة مع الشرق الإسلامى

١- اهتمام الحكومة الصينية بالتجارة والسفارات التجارية :

---

(١)محمد أحمد محمد أحمد : المقال السابق ، ص ٣٠٧ ، ٣١٠ .

(٢) أنور الجندى : الإسلام تاريخ وحضارة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، د. ت ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ ، ١٩١ .

(٤) لى رونغ جيان : تاريخ العلاقات الصينية العربية .. حاضرها ومستقبلها ، ٢٠٠٦ .http://www.arabsino.com

(٥) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٩١ : ١٩٦ .

(٦) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات العربية الصينية ، ترجمة تشانغ جيا مين ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٨ أغسطس (آب) ٢٠٠٢ . - http://www.Chinatoday.com

كان لحكومة الصين اهتمام عظيم بالتجارة ، وزادت أهميتها فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، حيث وضعت الحكومة يدها على زمام التجارة وجعلتها نوعاً من احتكاراتها، فعمدت إلى تنشيط الأعمال التجارية من خلال إرسال إمبراطور الصين وفوداً إلى الخارج يحملون معهم الخطابات المختومة بخاتم الإمبراطور ومقداراً من الذهب والفضة لشراء البضائع والدعايا بين التجار الأجانب بسواحل المحيط الهندى وترغيبهم فى زيارة الصين ووعدهم برخصة خاصة لبضائعهم (١)، ويوضح هذا أن الصين كانت من أسبق دول العالم فى الوصول إلى أسلوب البعثات التجارية إدراكاً منها لأهميتها للأقتصاد الصينى(٢).

وكانت النتيجة التى ظهرت من مساعى الحكومة فى تنشيط التجارة الخارجية واضحة جداً . فامتلأت مخازن الحكومة الصينية فى غضون أيام قلائل بالعاج وقرون الكركدن واللؤلؤ وجميع الأنواع من السلع والتجارات التى وردت من الشرق الإسلامى (٣) ، وبذلك كانت التجارة الخارجية بالنسبة لحكومة الصين مورداً من أهم موارد الدولة فاهتمت حكومة الصين باتخاذ التدابير والخطوات اللازمة لتنظيمها تنظيماً دقيقاً (٤) .

وقد دخلت الصين منذ منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فى عهد مملوء بالحوادث والاضطرابات التى قضت على أسرة تانغ فى النهاية سنة ٩٠٦ م وبعد ذلك مرت على مسرح سياسة الصين خمس أسر حاكمة قصيرة العهد ، فلم تستقر كلها على العرش سوى ست وخمسين سنة ، لم تترك أى منها خلال هذه الفترة أى أثر فى سياسة الصين الداخلية أو الخارجية (٥).

أوشكت الاتصالات الصينية العربية على التوقف التام نتيجة للاضطرابات السياسية داخل الصين فى أواخر عهد أسرة تانغ وعهد الأسر الخمسة و لم تعد إلا مع ظهور أسرة سونغ(٦).

فمع ظهور أسرة سونغ (٩٦٠ : ١٢٧٩ م) فى الصين ، فتحت صفحة جديدة من الروابط التجارية والدبلوماسية التى كانت منقطعة بين الصين والعرب فى القرن السابق بسبب بعض الثورات وأعيدت الروابط التجارية مرة أخرى كنتيجة لسياسة حكومة سونغ فى تشجيع التجارة الخارجية (٧).

فقد سعت حكومة سونغ سعياً حثيثا لتنمية التجارة خاصة مع بلدان الشرق الإسلامى رغبة منها فى استغلال أسواق الشرق والسفن التجارية الأجنبية لزيادة الدخل السنوى ، فبلغت العلاقات الاقتصادية بين الصين والشرق الإسلامى ما لم تبلغه من قبل إذ قامت بين الطرفين تجارة متعددة الأشكال علاوة على التجارة التقليدية المشروطة بتقديم الهدايا للحكومة الصينية تحت شعار دفع الجزية والأتاوة وتلقى عطايا منها رداً على هذه الهدايا .

فأجبرت الحكومة التجار والسفراء على الخروج فى رحلات بحرية من أجل اجتذاب من يتقدم بالهدايا إلى الصين وهو ما كان يقصد به استقدام التجار الأجانب ليقدموا الهدايا إلى البلاط ويقوموا بالأعمال التجارية فصدر مرسوم يطلب من إدارة شئون السفن الأجنبية والتجارة الخارجية أن تستقدم الأجانب الذين يقدمون الهدايا ، كما أصدر الإمبراطور مرسوماً يقول بأن أعظم الخيرات هى واردات السفن التجارية الأجنبية كما أصدر مرسوماً آخر يقول بأن الواردات من السفن

---

(1) Chau Ju Kua : His work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteen Centuries , Translated from Chinese by Hirth & Rockhill, New York, 1966, p. 19 .- بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) شوقى عبد القوى عثمان : تجارة المحيط الهندى ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ٢٥٩ .

(٣) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق، ص ١٣٤ .

(٤) Chau Ju Kua : Op.Cit , p.19 .

(٥) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٦) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيامين ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٨ أغسطس (آب) ٢٠٠٢ . http://www.Chinatoday.com

(٧) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق، ص ١٨٩ .

الأجنبية والتجارة الخارجية تساعد خزانة الدولة إلى حد كبير فيجب أن نتبع السياسة السابقة الذكر لاستقدام التجار الأجانب بحيث يشكلون جسراً لتبادل الثروات والنفائس(١) .

ويتضح من هذا أن أسرة سونغ استخدمت السفارات بهدف تحسين العلاقات التجارية بين الصين والعرب ، حيث كانت السفارات التي جاءت من قبل التجار أنفسهم أكثر من التي جاءت من قبل الخلفاء (٢) . حيث كان لحكومة الصين اهتمام عظيم بالتجارة وزادت أهميتها فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى حيث وضعت الحكومة يدها على زمام التجارة وجعلتها نوعاً من احتكاراتها ، فعمدت إلى تنشيط الأعمال التجارية من خلال إرسال إمبراطور الصين وفوداً إلى الخارج يحملون معهم الخطابات المختومة بخاتم الإمبراطور ومقدار من الذهب والفضة لشراء البضائع والدعايا بين التجار الأجانب بسواحل المحيط الهندى وترغيبهم فى زيارة الصين ووعدهم برخصة خاصة لبضائعهم(٣)، ويوضح هذا أن أن الصين كانت من أسبق دول العالم فى الوصول إلى أسلوب البعثات التجارية الدبلوماسية إدراكاً منها لأهميتها للأقتصاد الصينى(٤).

١- إهتمام الحكومة الصينية بالتجار ومعاملتهم :

ولذلك اهتمت الحكومة الصينية بالتجار وحسن معاملتهم فى داخل البلاد الصينية وتوفير الأمن والأمان لهم ، وقد شجعت هذه الأمور التجار العرب والمسلمين فى الشرق الإسلامى على التجارة مع الصين ، حيث كان للتجار المسلمين حرية مطلقة فى الانتقال بين بلدة وأخرى فى داخل بلاد الصين ، كما كان لهم حرية فى الاقامة بأى مرفأ من المرافئ الصينية ، ولحفظهم من الوقوع فى الخطر وتأمين أموالهم وأنفسهم كانت الحكومة الصينية قد وضعت قانوناً خاصاً يقضى بتسجيل المسافرين فى داخل الحدود الصينية وما معهم من الأمتعة والأموال ، وقانوناً آخر يقصد به مراقبة الفنادق والمسافات بينها بجميع المدن الصينية (٥).

ولكى تعمل الحكومة الصينية على المحافظة على أمن التجار الأجانب من العرب والمسلمين وسلامتهم وحفظ متاعهم وأموالهم من الضياع ، ألزمت التجار على ما يشبه أجوزة السفر(٦) داخل بلاد الصين نفسها حتى لو كان هذا الانتقال من مدينة لأخرى فى داخل حدود الصين(٧) .

فقد ذكر سليمان التاجر أن « من أراد سفراً فى بلاد الصين من بعضها إلى بعض يجب عليه أن يأخذ كتابين ، كتاباً من الملك (حاكم البلد) وكتاب من (وكيل التجارة) فأما كتاب الملك فللطريق باسم الرجل واسم من معه وكم عمره وعمر من معه ومن أية قبيلة هو ؟ فجميع من ببلاد الصين من أهلها ومن العرب وغيرهم لابد لهم أن ينتموا إلى شئ يعرفون به ، وأما كتاب وكيل التجارة فهو خاص بالمال وما مع التاجر من المتاع وذلك لأن فى طريقهم مسالح (٨) بها موظفون ينظرون فى الكتابين ، فإذا ورد عليهم الوارد كتبوا « ورد علينا فلان بن فلان الفلانى فى يوم كذا وشهر كذا وسنة كذا ومعه كذا » حتى لا يذهب من مال الرجل و من متاعه شئ ضياعاً فمتى ما ذهب منه شئ أو مات عَلم كيف

---

(١) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، ترجمة تشانغ جيامين ، العدد ١٢ ديسمبر (كنون الأول) ، ٢٠٠٢ م .
http://www.Chinatoday.com

(٢) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(3) Chau Ju Kua : Op.Cit, p. 19 . بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٤) شوقى عبد القوى عثمان : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .

(٥) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٦) جواز السفر : الجواز فى اللغة هو صك المسافر وجمعه أجوزة :

- عبد الله بن العباس الجرارى : تقدم العرب فى العلوم والصناعات ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٦١ ، ص ١٣٠.

(٧) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٨) مسالح : مفردها مسلح أى مخفر للتفتيش . سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : أخبار الصين والهند ، تحقيق يوسف الشاروني ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٠ .

ذهب ورد عليه أو على ورثته من بعده »(١) ، وهذان الكتابان يشبها جواز السفر فى الوقت الحاضر حيث يضم جميع لوازم صاحبه وحقوقه فى البلاد التى يسافر إليها(٢).

و لم يكن جواز السفر معلوماً فى بلاد الصين فحسب بل عرفه العرب وإن كانوا استعملوه على نطاق ضيق للغاية ، فقد كان من أخطر الأمور التى تهدد كيان بلد ما أو مملكة ما تسرب الغرباء إليها خلسة وتغلغلهم فى أنحائها واستقصاؤهم خفاياها وكشفهم عن أسرارها فكم من دولة ابتليت بهذا البلاء فذهبت ضحية هذا الأمر فى العصور القديمة والوسطى ، ومن هنا ظهرت أهمية جواز السفر حيث تنبهت الحكومات منذ قديم الزمان إلى أضرار مثل هذا الدخول غير المشروع لبعض الغرباء من التجار أو غيرهم فعمدت إلى اتخاذ شئ سمى بالجواز يحمله كل من يدخل بلداً أجنبياً(٣).

و لم يقتصر اهتمام الحكومة الصينية بالتجار على ذلك فحسب بل شمل أيضا مراعاتها لقواعد التعامل بين التجار فوضعت القوانين المنظمة لهذا التعامل(٤)، فمثلا كانت التجارة فى الصين تجوز بعقد الدين وأصحابه قلما أنكروا حق ذوى ذوى الحق عند النزاع لأن الحكومة الصينية كانت تنكل بالمنكرين بعقوبة جسمانية ومالية معاً (٥).

فقد ذكر سليمان التاجر أنه « قد عرف عن أهل الصين الإنصاف فى المعاملات والديون فإذا كان لرجل على رجل دين كتب عليه كتاباً وكتب الذى عليه الدين أيضا كتاباً وعلمه بعلامه (٦) ثم جمع الكتابان فطويا فمتى جحد أحدهما غريمة قيل له أحضر كتاباً بأن هذا الحق ليس عليك فمتى بين عليك صاحب الحق الذى جحدته فعليك عشرون خشبة على الظهر وعشرون ألف فكوج فلوس ، والفكوج ألف فلوس يكون ذلك قريباً من ألفى دينار والعشرون خشبة فيها موته ، ولذلك فليس يكاد أحد ببلاد الصين يجرؤ على فعل ذلك مخافة تلف النفس والمال وهم يتناصفون بينهم ولا يذهب لأحد حق ولا يتعاملون بشاهد ولا يمين »(٧).

٢- اهتمام الحكومة الصينية بالفنادق والخانات :

وكذلك حرصت الحكومة الصينية على إقامة كثير من الفنادق داخل كل ضاحية وعلى مسافات متفرقة لينزل بها التجار الوافدون من مختلف الأرجاء ، كما أقاموا على طرق التجارة المؤدية إلى مختلف الولايات الصينية محطات بها دور لراحة المسافرين تسمى خانات ، وقد أمر الخان الأعظم بغرس الأشجار على جانبى الطرق العامة كما أمر بأن توضع على جانبى الطرق أحجار وأقيمت أعمدة لتكون بمثابة علامات لهداية التجار المسافرين بهذه الطرق (٨).

كما حرصت الحكومة الصينية على مراقبة الفنادق فقد كان نظام الفنادق بالصين نظاماً جيد الإحكام تمتع من خلاله التجار المسلمون برعاية خاصة من قبل حكومة الصين ، ورقابة جيدة على الفنادق كان الهدف منها حماية الأغراض السامية ، ومنع التجار من الوقوع فى الفساد وضياع أموالهم وكان تدبير الحكومة الصينية فى ذلك كما أورد ابن بطوطه فى رحلته :

« أن إذا قدم التاجر المسلم على بلد من بلاد الصين خير فى النزول عند تاجر مسلم من المسلمين المستوطنين هناك أو فى الفندق ، فإن أحب النزول عند التاجر حصر ماله وضمنه التاجر المستوطن وأنفق عليه منه بالمعروف فإذا أراد هذا التاجر السفر بحث عن ماله فإذا وجد شئ منه قد ضاع أغرمه التاجر المستوطن الذى ضمنه ، وإن أراد التاجر النزول

---

(١) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(٣) عبد الله بن العباس الجرارى : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(٤) شوقى عبد القوى عثمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٥) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٦) علمه بعلامة : أى بصم أو وقع عليه. سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى: المصدر السابق ، ص ٥٠ ه (٨٥) .

(٧) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ٥١ .

(٨) ماركو بولو : رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٥ ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، ٦٩ ، ٧٧ .

بالفندق سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو الذى يشترى له ما يحب ويحاسبه ، فإن أراد التسرى اشترى له جارية وأسكنه بدار يكون بابها بالقرب من الفندق ، أما إنفاق ماله فى الفساد فشئ لا سبيل له – حيث إن مبدأ حكومة الصين – تقول فى هذا أننا لا نريد أن يسمع فى بلاد المسلمين أن التجار المسلمين يخسرون أموالهم فى بلادنا بالصين»(١).

ويبدو من هذا أن التجار المسلمين تمتعوا برعاية خاصة من جانب حكومة الصين وكانت هذه الرعاية نتيجة لأنهم يمثلون العصب الرئيسى للتجارة فى الصين فضلاً عن قوة المسلمين عالميا فى ذلك الحين ، ومن هنا يتضح الحرص التام من جانب الحكومة الصينية على سمعتها أمام العالم الخارجى ، وهذا الحرص مبعثه التقدم الحضارى بالإضافة إلى الرواج الاقتصادى الذى يحدثه التجار المسلمون بالبلاد ، ولذلك حرصت الحكومة الصينية على توفير الحماية الكافية لهم والعناية التامة بأحوالهم وترك حرية التنقل لهم كما وضح ذلك أيضا فى مراقبة الفنادق والطرق الواصلة بينها ، هذا ما كان عند ورود التاجر من الخارج ، أما سفرهم فى داخل الصين ، فقد أدى هذا لأن تصبح الصين من البلاد التى يقطعها المسافر وأيا كانت الأموال التى معه فلا يضيع منها شئ (٢) .

ولهذا شهد ابن بطوطه أن : « بلاد الصين آمن البلاد وأحسنها حالاً للمسافرين فإن الانسان يسافر منفرداً مسيرة تسعة أشهر وتكون معه الأموال الطائلة ، فلا يخاف عليها وترتيب ذلك أن لهم فى كل منزل ببلادهم فندقاً عليه حاكم يسكن به فى جماعة من الفرسان والرجال فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخرة جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كتابه فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم ، فإذا كان بعد الصبح جاء ومعه كاتبه فدعا كل إنسان باسمه وكتب به تفصيلاً وبعث معهم من يوصلهم إلى المنزل الثانى له ويأتيه ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه وإن لم يفعل طالبه بهم ، وهكذا العمل فى كل منزل ببلاد الصين ويوجد فى هذه الفنادق جميع ما يحتاج إليه المسافرون من الأزواد واللوازم»(٣).

٣– اهتمام الحكومة الصينية بنظم وأشكال الأسواق بالصين :

فقد تمتعت الأسواق بالصين بجهاز رقابى صارم ، ولكن ينبغى أن نلاحظ أن الجهاز الرقابى للأسواق فى الصين يختلف كثيراً عن نظيره بالشرق الإسلامى ، فجهاز الرقابة بالصين هو جهاز للإشراف ، له أوسع السلطات للتفتيش على جميع أجهزة الدولة وعلى كل الموظفين فى الجهاز الإدارى ، وفى عصر أسرة سونغ بالصين كان الرقيب(٤) مختصاً بالإشراف على أجهزة الدولة فى العاصمة فقط ، ولكن فى عصر الأسر اللاحقة كان له الإشراف على جميع أجهزة الدولة .

من هنا يتضح أن لوظيفة الرقيب نظيراً فى الحضارة العربية يتمثل فى شخصية المحتسب (مفتش السوق) إلا أن الأخير يمثل بالشرق الإسلامى وظيفة دينية محددة فى حين تتركز مهمة الرقيب بالصين فى الإشراف على أجهزة الحكومة(٥).

ونستدل على مدى شدة مراقبة الأسواق بالصين مما ذكره الكَرديزى عن النظام الصارم الذى وضعه ملوك الصين فقال « ففى قصر الملك يوجد مائة وثمانون من الطبول حينما تغرب الشمس يقرعونها دفعة واحدة وعندما يسمعها الناس

---

(١) ابن بطوطه : تحفة النظار ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٨ ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) شوقى عبد القوى عثمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٣) ابن بطوطه : المصدر السابق، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٤) الرقيب : الرقيب بالصين مفتش على جميع موظفى الدولة وأجهزتها الإدارية بما فيها الجهاز التجارى ، فى حين مفتش السوق (المحتسب) بالشرق الإسلامى هو رقيب على التجارة والتجار .

توبى أ.هاف : فجر العلم الحديث (الإسلام — الصين — الغرب) ترجمة أحمد محمود صبحى ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٧ ، جـ ٢ ، ص ٨١ ه * .

(٥) توبى . أ. هاف : المرجع السابق، ص ٨١ .

– نستنتج من ذلك أن وظيفة المحتسب بالشرق الإسلامى وظيفة دينية تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويقوم من خلالها بنشاط رقابى تجارى واسع على الأسواق ، لكن وظيفة الرقيب بالصين وظيفة مدنية تقوم على التفتيش على جميع أجهزة الدولة بما فيها الجهاز التجارى والأسواق

يهرولون إلى منازلهم وعند غروب الشمس لا يبقى فى السوق شخص مطلقاً ويأتى العسس شاهرين سيوفهم فى الأسواق والطرقات وكل من يجدونه خارج المترل فى ذلك الوقت يضربون عنقه فى الحال ويكتبون على ظهره : هذا جزاء من يخرج عن أمر الملك»(١)

ونستدل على ذلك أيضا مما ذكره ماركو بولو عن نظام الأمن المتبع داخل الأسواق والطرقات بمدينة خان بالق العاصمة من قوله إنه « يوجد بوسط المدينة جرس كبير معلق فى بناء مرتفع يدقونه كل ليله ثلاثة مرات متتالية ولا يجرؤ إنسان بعد الدقة الثالثة أن يتواجد فى الشوارع حيث تخرج مجموعات من الجنود والحراس تعرف بالعسس فى دوريات بشوارع المدينة طوال الليل ويقومون بالبحث جدياً عن أفراد قد يكونون خارج بيوتهم أو فى الأسواق فى ساعة غير مناسبة أى بعد الدقة الثالثة للجرس الكبير فإذا وجدوا أي شخص ألقوا القبض عليه فوراً وحبسوه ثم يحكمون عليه طبقاً لطبيعة الغرض من المخالفة التى ارتكبها وقد تصل عقوبات هذه المخالفات إلى الضرب الشديد وهو أمر قد يترتب عليه أحياناً موته»(٢).

كما ذكر ابن بطوطه فى هذا الصدد قوله « أننى ما دخلت مدينة من مدن الصين ثم عدت إليها إلا ورأيت صورتى وصور أصحابى منقوشة فى الحيطان والكواغد موضوعة فى الأسواق ولقد دخلت إلى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين فلما عدت من القصر فى المساء مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتى وصور أصحابى منقوشة فى كاغد قد ألصقوه بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطئ شيئا من شبهه وذكر لى أن السلطان أمرهم بذلك وأنهم أتوا إلى قصر الملك ونحن فيه فجعلوا ينظرون إلينا ويصورون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم فى تصوير كل من يمر بهم ويقصد هدفهم فى ذلك إلى أن الغريب إذا فعل ما يوجب فراره عنهم بعث صورته إلى البلاد وبحث عنه فحيثما وجد شبه تلك الصورة أخذ »(٣).

٤ – عدل أباطرة الصين وسماحتهم وحسن معاملتهم للتجار المسلمين

ومما يروى عن ذلك من السيرافى والمسعودى حيث ذكر أنه : « حكى أن رجلاً من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى إلى العراق فحمل منها جهازه وانحدر إلى البصرة وركب البحر حتى أتى إلى بلاد عمان ، وركب إلى بلاد كله ثم ركب هذا التاجر من كله فى مراكب الصينيين إلى مدينة خانفو بالصين .

ولما بلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والأمتعة أرسل خادماً من خواص خدمه ممن يثق به فسار الخادم حتى أتى مدينة خانفو وأحضر إليه التجار ومعهم التاجر الخراسانى فعرضوا عليه ما احتاج إليه من المتاع وما يصلح له وللملك الصين فسأل الخراسانى أن يحضر متاعه فأحضره وجرت بينهم مشادة بخصوص الأمر فى تثمين المتاع ، فأمر الخادم بسجن الخراسانى وإكراهه على البيع.

ولكن التاجر الخراسانى ثقة منه بعدل الملك مضى من فوره حتى أتى مدينة أنموا وهى دار الملك فوقف موقف المتظلم ، وقد رتب بعض ملوك النواحى للتحفظ على من يرد من المتظلمين ، فصمم الخراسانى فى المطالبة والظلامة فرآه محقاً غير متلجلج فحمل إلى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك ، فلما أدى الترجمان إليه ما قاله وفهم ظلامته أمر به إلى بعض المواضع وأحسن إليه ، وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب القلب وصاحب الميسرة فأمرهم الملك أن يكتب كل واحد منهم إلى صاحبه بالناحية ليعرف صحة الأمر فكتبوا إلى أصحابهم بخانفو أن يكتبوا إليهم ما كان من خبر التاجر والخادم ، فوردت الكتب بصحة ما قاله التاجر .

فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سلبه ما كان أنعم به عليه ثم قال له : عمدت إلى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واجتاز ممالك فى بر وبحر فلم يتعرض له يأمل فى الوصول إلى مملكتى ثقة منه بعدلى

(١) الكَرديزى : المصدر السابق ، ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(٢) ماركو بولو : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) ابن بطوطه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦١ .

ففعلت به ما فعلت وكاد ينصرف عن ملكى ويقبح الأحدوثة عن سيرتى أما لولا قديم حرمتك بنا لقتلتك لكن أعاقبك بعقوبة إن عقلت فإنها أكبر من القتل وهى أن أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة فقد عجزت عن تدبير الأحياء والقيام بما إليه ندبت ، وأحسن الملك الى التاجر وأرسله إلى خانفو وقال له : إن سمحت نفسك أن نبتاع منك ما اختير لنا من متاعك بالثمن الجزيل الذى تقرره وإلا فأنت المحكم فى مالك أقم حيث شئت وبع كيف شئت وانصرف راشداً حيث شئت ، وصرف الخادم إلى مقابر الملوك » (١).

ويتضح من ذلك أن إمبراطور الصين ملك حسن السيرة عادل فى رعيته رفيع فى همته قادر فى سلطانه تصل أمور رعيته إليه من غير منع ولا توسط حيث كان له فى قصره مجلساً قد أتقن بنيانه له فيه كرسى ذهب يجلس عليه الملك ، ووزراؤه حوله فى كل جمعة مرتين وعلى أعلى رأسه جرس معلق تمتد منه سلسلة ذهب إلى خارج القصر مهندمة الوضع ويتصل طرف السلسلة إلى أسفل القصر فإذا جاء المظلوم بكتاب مظلمته جاء إلى طرف السلسلة فاجتذبها فيتحرك الجرس فيخرج وزير الملك يده من الطاق وذلك علامة يفهم بها أنه يقول له إصعد إلينا فيصعد المظلوم هناك إلى المجلس على درج مختص بصعود المظلومين حتى يقف بين يدى الملك . فيمد الملك يده إلى المظلوم ويأخذ منه الكتاب وينظر فيه ثم يدفعه إلى وزرائه ويحكم له بما يجب الحكم به بما يقتضيه مذهبه وشرعه من غير تسويف ولا تطويل ولا وساطة وزير أو حاجب (٢).

ونتيجة لهذه السياسة السمحة التى اتبعتها حكومة الصين مع التجار العرب استطاعوا منذ أواخر القرن الثانى الهجرى / بداية القرن التاسع الميلادى أن يستقروا فى ميناء خانفو إلى الجنوب من مدينة شنغهاى الحالية وكان لهم بفضل كرم الإمبراطور وسماحته قاضٍ مسلم يحكم بينهم وفق أحكام الشريعة الإسلامية ويؤمهم فى الصلاة كما كانوا يتبادلون التجارة مع الصينيين ويحصلون على جوازات وتسهيلات خاصة تسمح لهم بالتنقل فى داخل بلاد الصين ابتغاء التجارة مع أهلها بل كان الإمبراطور نفسه يأمر بشراء بعض بضائع العرب لحسابه الخاص ، كما كانت حوانيت كبار التجار الصينيين تزود التجار العرب بوفرة من منتجات الصين لشحن سفنهم عند عودتها(٣).

وبذلك فقد اتخذت حكومة الصين وخاصة فى عصر أسرة سونغ عدة إجراءات لتوسيع نطاق التجارة الخارجية فأنشئت دائرة للتجارة والملاحة فى خانفو والزيتون كما أنشئت دوائر مماثلة فى عدد آخر من المدن التجارية ، وشرعت حكومة سونغ فى توثيق العلاقات مع التجار العرب فأوفدت مبعوثين محملين بالهدايا إلى بلدان فارس والعرب ، الأمر الذى شجع الكثير من هؤلاء التجار على القدوم إلى الصين . وتشجيعا للتجارة التى كانت مقصورة على التجار المسلمين فى ذلك الحين سنت حكومة سونغ قانوناً يعاقب كل من يسئ إلى التجار الأجانب ويقضى بعزل الموظفين الصينيين المختصين من مناصبهم إذا صدرت عنهم هذه الإساءة ، كما يقضى بمحاكمة كل من يشارك فى خطف تاجر أجنبى أو انتهاك حرمته (٤).

وهكذا فقد لاقى العرب هناك لزمن طويل ترحيباً كبيراً من حكام الصين كما كان القضاة هناك يعاملونهم مثلما يعاملون المواطنيين الصينيين(٥) ، ومن المؤكد أن المعاملة الحسنة للتجار وشعورهم بالأمن وترحيب السلطات بهم دفعهم إلى مداومة التجارة بالموانى الصينية رغم المغالاة فى بعض الضرائب والرسوم الجمركية التى كانت بعض السلطات الصينية تفرضها أحياناً (٦)

---

(١) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : المصدر السابق ، ص ١١١ : ١١٣ . —
المسعودى : مروج الذهب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت — لبنان ، ١٩٨٢ ، جـ ١ ، ص ١٤٠ : ١٤٢ .
(٢) الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ص ٤٢ .

(٣) هايد : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٧ . — حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨.
(٤) فهمى هويدى : الإسلام فى الصين ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٥) هايد : المرجع السابق، جـ ١ ، ص ٤٧ .
(٦) شوقى عبد القوى عثمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

فقد كانت الحكومة الصينية تحرص على تنظيم التجارة تنظيماً دقيقاً فثمة قيود عدة كانت تفرضها الحكومة الصينية على السفن الواردة والصادرة من وإلى الصين(١).

٥- إهتمام الحكومة الصينية بمراعاة القوانين المنظمة للضرائب والمكوس الجمركية

فالربابنة الأجانب الذين كانوا يقودون تلك السفن إلى مرافئ الصين قد فرض عليهم الحضور إلى إدارة المراقبة للتجارة البحرية ، لتسجيل أسمائهم ووجود هذه الإدارة فى خانفو والزيتون والخنسا أكبر دليل على اهتمام الحكومة الصينية بهذه التجارة ، فقبل الترخيص لأى مركب بالسفر أو تفريغ شحناته يطلب من الربان أن يقدم كشف بالمتاجر والسلع الموجودة بالمركب إلى ناظر الإدارة المذكورة . فتجبى عليها الضرائب ورسوم النقل فى مياة الصين ، وقد كانت البضائع الثمينة أو النادرة ممنوعة التصدير وكان العمل على تهريب البضائع موجباً للعقاب بالسجن على قدر أهمية السلعة .

ويجب على الربان أن يسلم جميع ما فى المركب من المتاجر والبضائع إلى المأمورين بإدارة المراقبة عند الوصول إلى مرفأ خانفو ويودعهما فى مخازن الحكومة حتى وصول آخر المراكب لموسم التجارة فحينئذ تؤخذ ثلاثون فى المائة من البضائع ضريبة أو رسوماً للجمرك ويرد الباقى منها إلى أصحابها (٢).

ولسليمان التاجر السيرافى ملاحظات فى هذه النقطة حيث ذكر أنه « إذا دخل البحريون من البحر قبض الصينيون متاعهم وصيروه فى البيوت وضمنوا الدرك إلى ستة أشهر إلى أن يدخل آخر البحرين(٣) ثم يؤخذ من كل عشرة ثلثه ويسلم الباقى إلى التجار وما احتاج إليه السلطان أخذه بأغلى الأثمان وفوراً و لم يظلم فيه ، ومما يأخذون الكافور المنا (٤) بخمسين فكوجاً والفكوج : ألف فلس وهذا الكافور إذا لم يأخذه السلطان فإنه يساوى نصف الثمن » (٥).

وربما كان الغرض من احتجاز السلع كلها حتى نهاية موسم الملاحة الوافدة (الصيف) هو ضمان إتاحة فرص عادلة أمام توزيع البضائع المستوردة أو ربما كان الغرض هو تخفيض الأسعار وذلك باغراق السوق بالسلع والحد من زمن البيع لأولئك التجار الذين كانوا يريدون الإبحار غرباً مع الرياح الموسمية حين تغير اتجاهها(٦).

تطورت أجهزة المراقبة على التجارة البحرية بالصين فاتسعت هذه الإدارة فأطلق عليها فى سنة ٣٧١ ه / ٩٨١ م اسم إدارة الجمرك بسبب التقدم التجارى وتطور العلاقات التجارية بالخارج ولتحصيل أوفر حظ من منافع التجارة أسست دار الجمرك فى تلك السنة وبعد بضع سنين أعلنت احتكارها للتجارة الخارجية وبناءً على هذا الإعلان أصبحت التجارة مع الأجانب عن غير طريقها موجبة للعقاب (٧).

فقد ذكر شوجوكوا أن « نظام الجمارك اتسع بالصين ، فبعد أن كان هذا النظام متركزاً بميناء خانفو امتد إلى غيرها من الموانئ فأنشئت الجمارك العامة بعدد من الموانئ وخاصة ميناء الخنسا ، ففى سنة ٣٩٠ ه / ٩٩٩ م أسست إدارة جمركية فرعية بمدينة هانغ تشو (الخنسا) ، كما صدرت الأوامر إلى جميع المرافئ أن العطور والبضائع الأجنبية القيمة القليلة الورود يجب أن تودع بمخازن الحكومة بعد ورودها إلى الصين إما بخانفو (كانتون) أو بالزيتون (جوان شو) ، وفى عهد

---

(١) جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٣) ومعنى ذلك أنه إذا وصل التجار بسفنهم أخذ الصينيون بضائعهم وأودعوها المخازن وتولى الدرك (أى الشرطة) تأمينها ضد الحوادث لمدة ستة أشهر إلى أن تصل آخر السفن حتى انتهاء فصل الرياح الموسمية .

سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : المصدر السابق ، ص ٤٧ ه (٧١) .

(٤) المن : وحدة كيل أو ميزان والجمع أمنان ، والمن يزن رطلان .

ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، د. ت ، جـ ٦ ، ص ٤٢٧٩ .

(٥) سليمان التاجر وأبو زيد السيرافى : المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٦) جورج فضلو حورانى : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٧) بدر الدين حى الصينى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(تائى جو) وعهد (تائى جونغ) (٩٦٠ : ٩٩٧ م) من أسرة سونغ نشأت وظيفة جديدة هى مراقب التجـــارة البحريـــة والذى كان من واجباته مراقبة تفريغ مشحونات السفن التجارية وجمع الضرائب »(١).

ويتضح مما سبق أنه فى بادئ الأمر كانت إدارة الجمرك يقتصر وجودها على ميناء خانفو (كانتون) فقط . فلما اتسع نطاق التجارة وكثر ورود السفن من الخارج عجزت هذه الإدارة عن مراقبة التجارة الخارجية التى تقدمت سريعاً فـــزاد النشاط وكثرت الحركة التجارية ، فدعا الحال إلى إنشاء إدارات أخرى بجميع المرافئ وعين فيها المأمورون المستقلون عن إدارة المراقبة بخانفو وترك لهم تنظيم شئونها .

وعند ورود السفن كان المراقبون ووكلاء التجار يصعدون إليها ويختبرون ما فيها من السلع والبضـــائع ، فيقـــدرون قيمتها ثم يأخذون رسوم التفريغ على أســـاس عشرة فى المائة بالنسبة إلى القيمة الأصلية (٢) وأما ضرائب اللؤلؤ والكافور وجميع الأنواع من البضائع النفيسة فتؤخذ من جنسها ، فالتجار يستطيعون بعد ذلك أن يبيعوا متاجرهم فى أسواق الصين بحرية كاملة(٣).

أما عن من يتولى الإشراف على الضرائب والجمارك ذكر ماركو بولو أن « الخان الأعظم يختار اثنى عشر نبيلاً مـــن ذوى المكانة الرفيعة ويوليهم عدة مهام من أهمها الإشراف على كل موضوع يتعلق بجباية الضرائب والجمـــارك بالصـــين »(٤).

والمراقبة الشديدة التى كانت تجرى فى الصين فى هذه الفترة لم تكن مقصورة على السفن الواردة ، بل تعدتها إلى السفن الصادرة من الصين أيضا ، كانت هذه المراقبة تنفذ على المراكب الصينية فقط ؛ لأن مراكب الأجانب من العرب وغيرهم إن لم يتوقع عودتها إلى الصين ثانية فلا يؤاخذ أصحابها ، وإن عادوا فرضاً فالمراقبة للسفن الواردة تنفذ فيهم ، أما المراكب الصينية التى تسافر إلى البلاد الأجنبية فيقيد كل ما فيها من الرجال والبضائع فى دفتر خاص فى مكتب المراقبة ، ويؤاخـــذ أصحابها عند العودة إلى الصين إن وجدوا شيئاً مفقوداً منهم وليس عند أصحاب السفن بيان واضح مقبول عـــن الشـــئ المفقود ، ولقد بقيت هذه المراقبة قائمة بموانئ الصين إلى زمن ابن بطوطه (٥).

فقد ذكر ابن بطوطة أنه « من عادة أهل الصين إذا أراد جنك من جنوكهم السفر صعد إليه صاحب البحر وكتابـــه وكتبوا من يسافر فيه من الرماة والخدم والتجار والبحارة وحينئذ يباح لهم السفر فإذا عاد الجنك إلى الصين صعدوا إليـــه أيضا وقابلوا ماكتبوه بأشخاص الناس فإن فقدوا أحداً ممن قيدوه طالبوا به صاحب الجنك ، إما أن يأتى ببرهان على موته أو فراره أو غير ذلك مما يحدث له وإلا أخذ فيه ، فإذا فرغوا من ذلك أمروا صاحب المراكب أن يملى عليهم تفصيلاً بجميع ما فيه من السلع قليلها وكثيرها ثم يترل من فيه ويجلس حفاظ الديوان لمشاهدة ماعندهم ، فإن عثروا على سلعة قد كتمت عنهم عاد الجنك بجميع ما فيه مالاً للمخزن وذلك النظام لا يوجد إلا بالصين »(٦).

٦- سياسة الصين فى تشجيع التجارة مع الشرق الإسلامى فى العصر المغولى :

فلما سيطر جنكيزخان على بلاد المغول بدأ يتطلع للسيطرة على الصين والدول المجاورة له فى الشرق والغرب ونتيجة لاهتمامه بالتجارة ومكانتها لدى هذه القبائل المغولية وكان العامل الإقتصادى أحد الأسباب الخفية للغزو المغولى للشـــرق الإسلامى ، فقد كانت التجارة ذات مترلة كبرى فى نظر جنكيزخان أثناء إغاراته فقد كان محتاجاً إلى منتجـــات بـــلاد

---

(1) Chau Ju Kua : Op.Cit , p. 20 . –

(٢) يظهر من هذا القول أن رسوم الجمرك قد خفضت منها منها ٢٠ فى المائة بالنسبة لزمن سليمان التاجر .

(٣) بدر الدين حى الصيني : المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) ماركو بولو : المصدر السابق ، جـــ ٢ ، ص ٦٨ .

(٥) بدر الدين حى الصيني : المرجع السابق، ص ١٣٦ .

(٦) ابن بطوطه : المصدر السابق ، جـــ ٢ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .

الشرق الإسلامى والهند والصين، بالإضافة إلى احتياجه إلى أسواق خارجية يصرف فيها منتجات بلاد المغول ويستورد منها ما يلزم لمواطنيه . (١).

وهكذا فقد أصبح الطريق ممهداً لغزو الصين فقد اتخذ جنكيزخان قراراً بالاتجاه نحو الغرب بعد مغادرته الصين ، وهو الأمر الذى كان الهدف الأساسى فيه هو رغبته الشديدة فى القضاء على كشلوخان(٢) عدوه القديم وإن كان لا يخلو من هدف تجارى أيضاً حيث إن طريق الحرير التجارى قد أغلق نتيجة للخلافات والصراع الذى نشب بين السلطان الخوارزمى علاء الدين محمد خوارزمشاه وكشلوخان على الأراضى التى كانت إلى عهد قريب تابعة لدولة الخطا ، ذلك النزاع الذى أدى إلى إيقاف التجارة بين الشرق والغرب ، ومما زاد الأمر سوءاً أن طريق الخليج الفارسى (بحر فارس) قد أغلق كذلك نتيجة للنزاع الذى دب بين سكان هرمز وكيش مما أدى إلى نشوب أزمة تجارية حادة فى آسيا لهذا توسط التجار المسلمون لدى جنكيزخان لإنهاء هذا النزاع ولو إلى حد ما وفتح الطريق التجارى من جديد .

استطاعت قوات المغول تعقب كشلوخان وقتله وتم لجنكيزخان السيطرة على جميع القبائل التركية واستولى على أملاك دولة الخطا وأصبح بذلك يجاور أملاك الدولة الخوارزمية ، ومن هنا بدأ جنكيزخان صفحة جديدة فى علاقاته مع الدول المجاورة وخاصة علاقته مع الدولة الخوارزمية والتى يتضح من خلالها أهمية العامل التجارى كعامل أساسى لغزو جنكيزخان لهذه الدولة ، ويتضح ذلك من خلال أن جنكيزخان فى بداية الأمر لم يكن يفكر فى غزو الدولة الخوارزمية وإنما رغبة منه فى أن يعيش فى سلام وأن يفتح أسواقاً جديدة لمنتجات مملكته التى أضحت مترامية الأطراف ، ولتسهيل مرور قوافل التجار بين بلاده بالصين والشرق الإسلامى فقد شجع على إقامة علاقات تجارية بين مملكته والدولة الخوارزمية(٣).

وتتضح سياسة الصين فى تشجيع التجارة من خلال المعاهدة التجارية التى حرص جنكيزخان على عقدها مع السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه من أجل ضمان سلامة التجارة بين الجانبيين .

أرسل جنكيزخان إلى علاء الدين خوارزمشاه رسالة مع محمود الخوارزمى ، وعلى خواجه البخارى ويوسف كنكا الأترارى ، مصحوبين بمجلوبات الترك من نقر المعادن (٤) ونوافج المسك وأحجار اليشب والثياب وكانت الرسالة تشمل تشمل على طلب المسالمة والموادعة وسلوك مسلك المجاملة فقالوا له « إن الخان الكبير(٥) يسلم عليك ويقول : ليس يخفى يخفى علىّ عظيم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ولقد علمت بسطة ملكك ، وإنفاذ حكمك فى أكثر أقاليم الأرض ، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندى مثل أعز أولادى ، وغير خاف عليك أيضاً أننى ملكت الصين وما يليها من بلاد الترك وقد أذعنت لى قبائلهم ، وأنت أخبر الناس بأن بلادى مثارات العسكر ، ومعادن الفضة ، وإن فيها لغنية عن طلب غيرها، فإن رأيت أن تفتح للتجار فى الجهتين سبيل التردد ، عمت المنافع وشملت الفوائد »(٦).

فقد عمل جنكيزخان بعد إبرام هذا الاتفاق على تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها وتوسيع نطاقها ، فحرص على تأمين الطرق والضرب على أيدى المعتدين من قطاع الطرق ، فعين على رءوس الطرق الرئيسية حراساً من قبله يسمون

---

(١) السباعى محمد السباعى : عطا ملك الجوينى وكتابه جهان كشاى ، دار الزهراء للنشر ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ١٤٣ : ١٥٧ .
H.G.Wells : A Short History of the World . New York , 1923 , p. 287 .

(٢) كشلوخان : زعيم قبائل النايمان وهم من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولى يقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخن ومنحدرات جبال آلتاى وحول البحيرات الواقعة فى تلك المناطق وقد هرب زعيمهم كشلو إلى بلاد الخطا . —
فؤاد عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٩ ، ٢٣.

(٣) السباعى محمد السباعى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ : ١٦٦ .

(٤) نقر المعادن : النقر جمع نقرة وهى القطعة المضروبة من الذهب أو الفضة .
النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، تحقيق حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٣، ص ٨٣ (٢٥).

(٥) الخان الكبير: أى الخاقان والمقصود هنا جنكيزخان . النسوى : المصدر السابق، ص ٨٣ (ه ٥) .

(٦) النسوى : المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

(قراقجية) أو (قراقجيان) أى مستحفظين ، وأعطى كلمة سلام للتجار الذين جاءوا إليه من كل جهة وأمر بعدم إيذائهم ، وكلف بهم حراس الطرق على أن يرافقوا كل أجنبى يحمل تجارة ما إلى معسكرات المغول (١).

قصد ثلاثة من تجار بخارى ديار المغول (٢) ومعهم البضائع من الثياب المذهبة والكرباس وأحمال من الأقمشة الفاخرة لما سمعوا أن للمتاع عند المغول قيمة وافرة . فلما وصلوا إلى نواحيهم وافاهم المستحفظون ووقفوا على ما معهم من السلع فرأوا قماشاً لائقاً للخان مع تاجر منهم يسمى أحمد ، فسيروه مع صاحبه إلى الخان ، فعرض التاجر أحمد متاعه على الحُجاب ، وطلب فى ثمن كل ثوب قيمته عشرة أو عشرين دينار ثلاثة بالشات ذهبية ، فغضب جنكيزخان لذلك وقال : ربما ظن هذا الغافل أننا ما رأينا ثيابا قط وأمر الخان فأراه من الأقمشة المذهبة التى أهداها إليه ملوك الخطا ، وأمر جنكيزخان بأن تحصى بضاعة هذا التاجر وتسجل أمتعته ثم أمر بنهب هذه البضاعة ووزعها على حاشيته وألقى التاجر فى السجن .

ثم طلب حضور صاحبيه فعرضا عليه متاعهما برمته وقالا : لقد أتينا بهذا كله لنقدمه هدية للخان لا لنبيعه له ، فألح عليهما المغول أن يثمنا بضاعتهما فلم يفعلا ، فأعجبت هذه الكلمات الخان، فأمر جنكيزخان أن يعطيا لكل ثوب مذهب باليش من ذهب ولكل كرباسين باليش من فضة كما عطف أيضاً على زميلهما الآخر أحمد وعوضه بمثل ما أعطى زميليه وقد أكرمهم جنكيزخان فأقاموا فترة من الزمن ببلاده ناعمين بكل احترام وتقدير حيث كان المغول آنذاك ينظرون إلى المسلمين نظرة إعزاز واحترام وعاملوهم معاملة طيبة فقد أعطوهم خياماً جديدة طاهرة من اللباد الأبيض ليقيموا بها طوال فترة إقامتهم(٣).

فلما هموا بالرحيل والعودة إلى بلادهم أمر جنكيزخان أبناءه وقواده وصغار الأمراء أن يعد كل واحد منهم **من قومه شخصين أو ثلاثة** ، وأن يمدوهم برأس مال من بالشات الذهب والفضة لمصاحبة التجار المسلمين الثلاثة وقت عودتهم إلى ولاية السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه للتجارة وحتى يجمعوا من طرائف هذه البلاد ونفائسها ما يصلح لهم فامتثلوا لأمره ، **وسير كل أمير شخصاً أو شخصينمن قومه التابعين له** .

فاجتمع بذلك أربعمائة وخمسون من التجار المسلمين (٤) وأرسل معهم جنكيزخان رسالة إلى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه يقول له فيها : « إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمنهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم **جماعة**

---

(١) النسوى : المصدر السابق ، ص ٨٥ (١٥) . —

الجوينى : جهان كشاى ، تحقيق محمد عبد الوهاب ، ترجمة السباعى محمد السباعى ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٧ . —

ابن العبرى : مخطوطه تاريخ الأزمنة ، ترجمة شادية توفيق حافظ ، تقديم السباعى محمد السباعى ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) ذكر ابن العبرى أن هؤلاء التجار الثلاثة قصدوا ديار المغول سنة ٦٠٩ ه / ١٢١٢م . وذكر بارتولد : أن جنكيزخان أرسل من جهته بسفارة وقافلة تجارية إلى الدولة الخوارزمية رداً على سفارة خوارزمشاه المكونة من ثلاثة تجار من تجار بخارى ، وكان على رأس سفارة جنكيزخان محمود الخوارزمى وعلى خواجه البخارى ويوسف كنكا الأترارى بهدف عقد معاهدة تجارية بين علاء الدين خوارزمشاه وجنكيزخان من أجل ضمان سلامة التجارة بين الجانبين .

(ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢٩ . —

بارتولد : تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط الأولى ، ١٩٨١ م ، ص ٥٦٦).

(٣) الجوينى : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .—

ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ . — ابن العبرى : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ص ٤٦ .

(٤) الجوينى : المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

من غلماننا ليحصلوا من ظرائف تلك الأطراف ، فينبغى أن يعودوا إلينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مـــواد النفاق من ذات البين »(١).

استمر الحال على المسالمة بين الجانبين إلى أن وصل من بلاد المغول تلك القافلة التجارية إلى مدينة أترار ، وقد كـــان ينال خان(٢) ابن خال السلطان(٣) فى عشرين ألف فارس ينوب عن السلطان بها ، فشرهت نفسه الدنية إلى أمـــوال أولئك التجار وكاتب السلطان مكاتبة خائن كاذب يقول : « إن هؤلاء القوم قد جاءوا إلى أترار فى زى التجار ، وليسوا بتجار بل هم أصحاب أخبار يكشفون منها ما ليس من وظائفهم ، وإذا خلوا بواحد من العوام يهددونه ويقولون : إنكم لفى غفلة مما وراءكم وسيأتيكم ما لا قبل لكم به » ، وأمثال ذلك حتى أذن له السلطان فى الاحتياط عليهم إلى أن يرى فيهم رأيه . واستغل ينال خان ذلك وقبض عليهم وقتلهم ، واستولى على أموالهم وأمتعتهم (٤).

فبعد هذا أخذ كل فريق يعد العدة للقاء وكان جنكيزخان قد وقف على قوة الجيش الخوارزمى(٥) فلمـــا شـــارف جنكيزخان تخوم البلاد الخوارزمية اتجه مباشرة صوب أترار واستمر القتال ليلاً ونهاراً حتى استولى على جميع أملاك الدولة الخوارزمية ، وأحضر ينال خان بين يديه ، فأمر بسبك الفضة وصبها فى أذنيه وعينيه ، فقتل تعذيباً ، جزاء ما فعل (٦).

هكذا تعاقبت الأحداث وارتكبت الدولة الخوارزمية أخطاء جسيمة جرت بها دماراً شاملاً عليهـــا وعلـــى الشـــرق الإسلامى كله ، فبقتلهم التجار المغول ثم قتل أحد الرسل الذين طالب بهم جنكيزخان تسلم ينال خان للانتقام منه على ما فعل ، وإهانة سفرائه كل هذا جعل جنكيزخان يقرر غزو أراضى الدولة الخوارزمية متخذاً من حادثتى قتل التجار وإهانة سفرائه ذريعة لهذا الغزو (٧).

• ذكر النسوى أن عدد هؤلاء التجار أربعة وهم عمر خواجه الأترارى ، والحمال المراغى ، وفخر الدين الدنزكى البخارى ، وأمـــين الـــدين الهروى . بينما ذكر الجوينى أنهم أربعمائة وخمسون من التجار المسلمين ، وذكر ابن العبرى فى كتابه مخطوطه تاريخ الأزمنة أنهم حوالى أربعمائة تاجر ، وذكر ابن العبرى فى كتابه تاريخ مختصر الدول أنهم مائة وخمسون تاجراً من مسلم ونصرانى وتركى وأرسل معهم رسولاً إلى السلطان .

النسوى : المصدر السابق ، ص ٨٥ . — الجوينى : المصدر السابق، ص ١٠٨ . —

ابن العبرى : مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ص ٤٦ . — ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٠ .

* من الراجح أن هؤلاء التجار كانوا من المغول وليسوا من المسلمين كما ذكر الجوينى أو من فئات مختلفة من مسلمين ونصارى وأتراك كما ذكر ابن العبرى فى كتابه تاريخ مختصر الدول ، فعبارة التجار المسلمين لا تتفق مع بعض العبارات الأخرى المشار إليها بل تتناقض مع ذلك وهذه العبارات مثل (من قومه ... ، من قومه التابعين له ... ، وجماعة من غلماننا ...) فهذه العبارات لا تدل أبدا على أن التجار المرسلين من قبل جنكيز خان كانوا من المسلمين بل تدل على أن هؤلاء التجار من المغول ، وإلا فلما قام جنكيز خان بحرب مثل التى قام بها لتدمير الدولة الخوارزمية من أجل الإنتقام لهؤلاء التجار .

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٣٠

(٢) ينال خان : ذكره الجوينى بعدة ألقاب ومنها (ينال خان ، إينال جوق ، غايرخان)

الجوينى : المصدر السابق، ص ١٠٨ .

(٣) ذكر النسوى أن ينال خان هو ابن خال السلطان بينما ذكر الجوينى أنه واحد من أقارب والدة السلطان (تركان خاتون) فى حين ذكـــر السيوطى أنه خال السلطان . النسوى : المصدر السابق، ص ٨٥ . —

الجوينى : المصدر السابق، ص ١٠٨ . — السيوطى : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محى الدين ، المكتبة التجارية الكبرى ومطبعة السعادة ، ط الأولى ، ١٩٥٢ ، ص ٤٦٩ .

(٤) النسوى : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) السباعى محمد السباعى : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٦) النسوى : المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٧) السباعى محمد السباعى : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

• ولمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين علاء الدين محمد خوارزمشاه وجنكيزخان انظر : /

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت — لبنان ، ط٦ ، ١٩٩٥ ، جـــ ١٢ ، ص ٣٦١ : ٣٦٤ . —

يتضح لنا أن السفارات والبعثات الدبلوماسية التى كانت إحدى أهم الوسائل لتشجيع التجارة وكثيراً ما كانت تحمل دعوة الخير وحسن العلاقة أو رعاية المصالح المختلفة ومنها المصالح الاقتصادية وبخاصة تنشيط التجارة ، وكانت أيضـــاً فى بعض الأوقات سبباً فى قيام الحروب بين الدول ، فقد كان السفراء والمبعوثون يعدون رمزاً لدولهم وبالتالي كانت لهم كافة الحقوق التى لرئيس دولتهم ، فإذا كان المبعوث له هذه المكانة ويستمتع بهذه الحقوق فإن الاعتداء عليه يعد بمثابة إعـــلان الحرب على دولته(١).

النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القـــاهرة ، ١٩٨٥ ، جـــــ ٢٧ ، ص ٢٣٩ : ٢٤٣ .

الذهبى: دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤، جـــ ٢، ص ١١٨.—

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢ ، جـــ ٥ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ . —

السيوطى : المصدر السابق ، ص ٤٦٧ : ٤٧١ . —

إبراهيم أحمد العدوى : العرب والتتار ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٤٧ : ٥٢ . —

براون : تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، جـــ ٢ ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ . —

عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٢، ٢٠٠١، ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ . —

حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربى، القاهرة ، ١٩٤٩، ص ٦٧ : ٧٤ ، ١١٤ : ١١٩ .—

فؤاد عبد المعطى الصياد : المرجع السابق ، ص ٤٥ : ٥٨ . —

السباعى محمد السباعى : المرجع السابق ، ص ١٧١ : ١٧٩ . —

ثروت عكاشة : إعصار من الشرق (سيرة جنكيز خان) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٣ : ١٦٦).

(١) أحمد شلبى : موسوعة الحضارة الإسلامية العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٨٧، جـــ ٩، ص ٢٨ : ٣٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١- المصادر العربية :

- ابن الأثير	عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم عبد الواحد الشيبانى (ت ٦٣٠ هـــ / ١٢٣٢ م) الكامل فى التاريخ ، دار صادر ، بيروت — لبنان ، ط السادسة ، ١٩٩٥ .
- الإدريسى	أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٠ هـــ / ١٢٥٢ م) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق.
- ابن بطوطه	محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى (ت ٧٧٩ هـــ / ١٣٧٧ م) تحفة النظار فى غرائب الأمصار ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- ابن خلدون	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨ هـــ / ١٤٠٦ م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، ط الأولى، ١٩٩٢.
- الذهبى	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨ هـــ / ١٣٤٧ م) دول الإسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ســـليمان التـــاجر وأبو زيد السيرافى	سليمان التاجر (عاش فى النصف الأول من القرن ٣ هـــ / ٩ م) وأبو زيد السيرافى (عاش فى نهاية القرن ٣ هـــ / ٩ م وأوائل القرن ٤ هـــ / ١٠ م) أخبار الصين والهند ، تحقيق يوسف الشاروبى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، ط الأولى ، ٢٠٠٠ .
- السيوطى	جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (ت ٩١١ هـــ / ١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محى الدين ، المكتبة التجارية الكبرى ومطبعة السعادة ، ط الأولى ، ١٩٥٢ .

- ابن العبرى	غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) - تاريخ مختصر الدول ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠١. - مخطوطة تاريخ الأزمنة ، ترجمة شادية توفيق حافظ ، تقديم السباعى محمد السباعى ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
- القرمانى	أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى ، أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، د.ت
- ماركو بولو	ماركو بولو نيقولو بولو (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) رحلات ماركو بولو ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط الثانية ، ١٩٩٥ .
- المسعودى	أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٢ .
- ابن منظور	جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثالثة ، د.ت .
- النسوى	محمد بن أحمد النسوى (عاش فى القرن ٧ هـ / ١٣ م) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، تحقيق حافظ أحمد حمدى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- النويرى	شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) نهاية الأرب فى فنون الأدب ، تحقيق سعيد عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، جـ ٢٧ ، ١٩٨٥ .
- ياقوت الحموى	ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط الأولى ، ١٩٩٠ .

٢- المصادر الفارسية :

- الجوينى	علاء الدين عطا ملك الجوينى (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م) جهان كَشاى ، تحقيق محمد عبد الوهاب ، ترجمة السباعى محمد السباعى ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠٧ .
- الكَرديزى	أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكَرديزى (ت ٤٤٢ هـ / ١٠٥١ م) زين الأخبار ، ترجمة عفاف السيد زيدان ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٩٨٢ .
- نظام الملك الطوسى	أبو على الحسن بن على (ت ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م) سياست نامه ، ترجمة يوسف حسين بكار ، دار الثقافة ، الدوحة – قطر ، د.ت .

٣- المصادر الأجنبية :

Chau Ju Kua : His Work on the Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Centuries , Translated from Chinese by Hirth & Rockhill , New York , 1966 .

ثانياً : المراجع :

١- المراجع العربية والمعربة :

- إبراهيم أحمد العدوى	العرب والتتار ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- أحمد شلبى	- موسوعة الحضارة الإسلامية العلاقات الدولية فى الفكر الإسلامى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الخامسة ، ١٩٨٧ .
- أنور الجندى	الإسلام تاريخ وحضارة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، د.ت .

– إيـــرين فرنـــك وديــــڤيـــد براونستون	طريق الحرير ، ترجمة أحمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧.
– بارتولد	تركستان من الفتح العربى إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الـــوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، ط الأولى ، ١٩٨١ .
– توبى . أ. هاف	فجر العلم الحديث (الإسلام – الصين – الغرب) ، ترجمة أحمد محمود صبحى ، عالم المعرفـــة ، الكويت ، ١٩٩٧ .
– ثروت عكاشة	إعصار من الشرق ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الرابعة ، ١٩٧٥ .
– جورج فضلو حورانى	العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القـــاهرة ١٩٥٨، .
– حافظ أحمد حمدى	الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
– حسن إبراهيم حسن	تاريخ الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الثالثة عشر ، ١٩٩١ .
– حسين الحاج حسن	حضارة العرب فى العصر العباسى ، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
– السباعى محمد السباعى	عطا ملك الجويني وكتابه جهان كشاى ، دار الزهراء للنشر ،القاهرة ، ١٩٩١ .
– شوقى عبد القوى عثمان	تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٠ .
– عبادة كحيلة	العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الثانية ، ٢٠٠١ .
– عبد الله بن العباس الجرارى	تقدم العرب فى العلوم والصناعات ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٩٦١ .
– عصام الدين عبد الرءوف الفقى	معالم تاريخ وحضارة الإسلام ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٨ .
– فهمى هويدى	الإسلام فى الصين ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨١ .
– فؤاد عبد المعطى الصياد	المغول فى التاريخ ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
– محمد فتحى الشاعر	الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
– هايد	تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

٢- المراجع الفارسية المعربة :

– براون	تاريخ الأدب فى إيران ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ، جـــ ٢ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ .

٣- المراجع الصينية المعربة :

– بدر الدين حى الصينى	العلاقـــات بـــين العـــرب والصـــين ، مكتبـــة النهضـــة المصـــرية ، القـــاهرة ، ط الأولى ، ١٩٥٠ .

٤- المراجع الأجنبية :

- Bosworth : The Medieval History of Iran , Afghanistan and Central Asia , An Alleged Embassy from Emperor of China to Amir Nasr B. Ahmad , London , 1977 .
- Wells : A short history of the world , New York , 1923

ثالثاً : الدوريات :

الدوريات العربية :

– قوة ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيامين ، مجلة الصين اليوم ، الأعـــداد / ٨ أغســـطس ٢٠٠٢ ، ١٢ ديسمبر ٢٠٠٢ ، ١١ نوفمبر ٢٠٠٣ .

http://www.Chinatoday.com

خاتمة البحث

وختاما فقد اسهمت هذه الدراسة في توضيح كيف ساهمت سياسات كل من الشرق الاسلامي والصين لتشجيع التجارة في تنشيط حركة التجارة بين الجانبين وذلك من خلال توضيح :

- اهتمام الخلفاء العباسيين وحكام الدول المستقلة بتسهيل سبل التجارة وتأمين طرق التجارة الخارجية والداخلية وإقامه علاقات ودية مع حكام الصين ومعامله التجار الاجانب معامله حسنة .
- اجراءات الدولة السامانية لتشجيع التجارة مع الصين من خلال استخدام اسلوب البعثات والسفارات التجارية بالإضافة إلي علاقة المصاهرة التي ربطت بين آل سامان وملوك اسرة كين في شمال الصين والتي فتحت طرق التجارة أمام تجار الجانبين .
- أثر تردد التجار العرب علي الصين – وخاصة في عهد أسرة سونغ – في هيئة مبعوثين حتي قيل أن السفارات التي جاءت من قبل التجار أنفسهم أكثر من التي جاءت من قبل الخلفاء .

وعلي الجانب الأخر عملت الصين أيضا علي تشجيع التجارة مع الشرق الإسلامي وذلك من خلال :

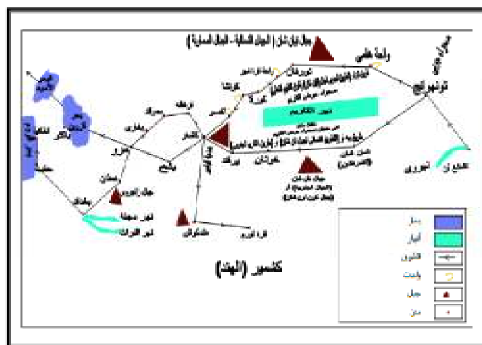
- اهتمامها بالتجارة والسفارات التجارية حيث عملت الحكومة الصينية علي وضع التجارة تحت يدها وجعلتها أحد احتكاراتها ، وكذلك شجعت التجار علي الخروج في وفود إلي سواحل المحيط الهندي لترغيب التجار العرب في القدوم إلي الصين .
- عملت الحكومة الصينية علي الاهتمام بالتجار وحسن معاملتهم وتوفير الأمن والامان لهم .
- اهتمت الحكومة الصينية أيضا بالفنادق والخانات ووضعت لها نظم وقوانين صارمه لمراقبة هذه الاماكن للمحافظة علي امن التجار واموالهم .
- اهتمت الحكومة الصينية ايضا بنظم واشكال الأسواق ووضعت لها جهاز رقابي صارم وكذلك اهتمت بمراعاه القوانين المنظمة للضرائب والمكوس الجمركية .

– لى رونغ جيان : تاريخ العلاقات الصينية العربية ... حاضرها ومستقبلها ، ٢٠٠٦ .
http://www.arabsino.com

– محمد أحمد محمد : العلاقات الدبلوماسية بين بنى سامان وملوك الصين ، مجلة كلية الآداب ، سوهاج ، العدد الرابع ، ١٩٨٥ م .

– منى حسن أحمد محمود : طرق التجارة فى العالم الإسلامى ، ندوة طرق التجارة العالمية ، اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .





- كان عدل أباطرة الصين وسماحتهم وحسن معاملتهم للتجار المسلمين أحد أهم العوامل التي شـــجعت التجـــار العرب علي القدوم الي الصين للتجارة بل والاستقرار بها أيضا .
- علي الرغم من أن بدايات العصر المغولي كانت أحد اهم الفترات التي انقطعت فيها العلاقات الدية بين الشـــرق الاسلامي والصين بسبب غزوات المغول للشرق الإسلامي إلا أن المغول في بداية حكمهم ومع سيطرتهم علي الصين وقبل غزوهم للعالم الإسلامي حرصوا في البداية علي إقامه علاقات تجارية مع الشرق الإسلامي تمثلت في الاتفاقية التجارية التي حرص جنكيزخان علي عقدها مع الدوله الخوارزمية .

واخيرا ، ويبدو من هذا كله ان التجار المسلمين تمتعوا برعاية خاصة من جانب حكومة الصين وكانت هذه الرعايـــة نتيجة انهم كانوا يمثلون العصب الرئيسي للتجارة هناك ، ولهذا فمن المؤكد ان هذه المعامله الحســـنة للتجـــار المســـلمنين وشعورهم بالأمن وترحيب السلطات بهم دفعهم إلي مداومه التجارة مع الصين .

والله ولي التوفيق ،،،

الواقع الحضاري للعرب في الصين إبان حكم أسرة يوآن المغولية (٦٧٠-٧٧٠هـ/١٢٧١-١٣٦٨م)

إعداد الدكتورة إخلاص محمد العيدي

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الواقع الحضاري للعرب في بلاد الصين خلال حكم أسرة يوان المغولية التي أسس أركانها قوبيلاي خان سنة ٦٧٠هـ/١٢٧١م. وتكاد تجمع المصادرالعربية والصينية على حقيقة أن الوجود الإسلامي في الصين ـبما فيه الوجود العربيـ كان قد شهد تزايدا مستمرا إبان الحكم المغولي، وتُرجع الدراسة ذلك إلى سياسات المغول المحفزة لاستقطاب الأقوام الأخرى بغض النظر عن أصولهم أو أديانهم. وترى أن من أهم تلك السياسات التي كان لها أثر بارز على الوجود العربي في الصين، تكمن في سياسة التسامح الديني التي تبناها أباطرة المغول، إضافة لاهتمامهم بالتجارة الخارجية بقسميها البري والبحري . ومن جانب أخر حاولت الدراسة استخلاص ملامح من الواقع الحضاري للعرب في الصين ، وخلصت بأن أغلب عرب الصين هم من فئة التجار، كانوا يعيشون في أماكن خاصة اسماها الصينيون بـ(فانغ فنغ) وفيها تجمع كل من كان على ديانة الإسلام بغض النظر عن أجناسهم، فتجمع فيها العرب والفرس ومن اسلم من الاويغور والترك وغيرهم، لذا فإن دراسة حال الجاليات الإسلامية في (فانغ فنغ) يعكس بالضرورة حال العرب في الصين. وكان من أهم نتائج الدراسة التأكيد على حقيقة أن المسلمين كانوا في الصين يتمتعوا بنظام داخلي خاص بهم،منحته لهم الحكومة المغولية، وكان من أهمأركانه شيخ الإسلام واليه يرجع المسلمون في جميع أمورهم، وقاضي يقضي بينهم وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، ومجموعة من كبار التجار كان لهم الفضل في بناء المساجد والزوايا التعليمة.

أولاً: التعريف بأسرة يوآن المغولية :تَمثل حكم المغول على الصين، في أسرة يوآن، التي حكمت ضمن الفترة التاريخية الممتدة بين عامي(٦٧٠-٧٧٠هـ/١٢٧١-١٣٦٨م)(١) والمغول قبائل بدوية سكنت المناطق الواقعة شرقي نهر أرغون، ثم امتدت على هضبة منغوليا(٢)عاشت ـقبل توحدهاـ حياة بدوية قاسية ، وصفها المؤرخ الفارسي عطاملك الجويني(٣)بقوله كانوا" أمة تعيش على السرقة والعنف والفسق والفجور، ينفذون أوامر الختا(٤)ويؤدون له ما يأمرهم به، لباسهم جلود الكلاب والجرذان، وطعامهم لحومها وغيرها من الحيوانات الميتة، وشرابهم ألبان البهائم، يقطعون الثمار من على الأشجار التي تنمو من غير عناية ولا غرس في بعض الجبال، وليس فيها شيء غير البرد القارص"(٥). ظلت قبائل المغول تعاني "ضنك من العيش ووبال وسوء حال"(٦) إلى أن ظهر من بينهم الزعيم الموحد تيموجين (جنكيزخان لاحقاً) الذي تمكن من توحيد قبائل منغوليا تحت مظلة حكمه. وفي سنة ٦٠٣هـ/١٢٠٦م عقد تيموجين اجتماعاً، جمع فيه قبائل منغوليا ممن انضموا تحت حكمه، وفيه نصب نفسه حاكماً عليها ، ولُقب بـ (جنكيزخان) ـوهي كلمة مغولية تعني حاكم العالمـ ومنذ ذلك التاريخ بدأ العهد الجديد للدولة المغولية(٧). حرص جنكيزخان بعد نجاحه في إقامة دولته على

---

(١)جيان، جياو ، تاريخ الصين، دار بناء الصين للنشر، بكين١٩٨٧،ج٢، ص٣٣

(٢)العريني، السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨٦م، ص٣٣-٣٥.

(٣)هو المؤرخ الفارسي عطاملك الجويني، تولى حكم بغداد بعد استيلاء المغول عليها. توفي سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م. لمعرفة المزيد انظر: العيدي، إخلاص محمد ، عطاملك الجويني ودوره السياسي والثقافي(٦٢٣-٦٨١هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن٢٠٠٤.

(٤)قبائل الختا او الخطا: من التونغوز عاشوا في جنوب منشوريا، وكانوا قد قاموا في بداية القرن العاشر الميلادي بحملات حربية من أجل التوسع، فاستولوا على شمال الصين، وأقاموا أسرة حاكمة باسم ليائو. لمعرفة المزيد انظر: العريني، المغول، ص٣٢-٣٤

(٥)الجويني، عطاملك، تاريخ جهانكشاي، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق١٩٨٥م، ج١، ص٧١.

(٦)المصدر نفسه، ج١، ص٧١

(٧)العريني، المغول، ص٥٥. لمعرفة المزيد عن نشأت الدولة المغولية انظر: الصياد، فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٠م

وحدها وتماسكها، لذا فقد أثاره تحريض قبائل الخطا ـ التي كانت تنتشر في شمال الصين وعبر الحدود الشرقية لمنغوليا ـ القبائل المغولية بعضها ضد بعض بهدف خلق حالة من عدم الاستقرار في منغوليا، بالتالي إشغال جنكيزخان عن التفكير بغزوها(١)هذا حث جنكيزخان على توجيه عده حملات عسكرية لإخضاع الخطا ، ويبدو أن الانتصارات المتتالية التي حققتها تلك الحملات أثارت حماسه لشن حملات أكثر ضراوةً واتساعاً، ونعني بذلك حملاته على شمال الصين التي استغرقت عدة سنوات (٦٠٨-٦١٢هـ/١٢١١-١٢١٥م) والتي تمكن خلالها من تحقيق نجاحات كبيرة انتهت بسقوط مدينة بكين ـ عاصمة أسرة كين التي كانت تحكم الجزء الشمالي من بلاد الصين(٢). تابع خلفاء جنكيزخان مسيرته في السيطرة على الصين. ففي عهد أوكتاي خان(٦٢٣-٦٣٩هـ/ ١٢٢٦-١٢٤١م) (٣)أكد المغول سيطرتهم على شمال الصين ممهدين الطريق لضم جنوب الصين لأملاك الدولة المغولية(٤). وفي عهد كيوك خان(٦٤٤-٦٤٧هـ/ ١٢٤٦-١٢٤٩م) (٥)بدأت جيوش المغول تحركاتها لإخضاع جنوب الصين،(٦) ولكنها لم تتمكن من تحقيق مهمتها تلك إلا في عهد منكوقاآن(٦٤٩-٦٥٧هـ/١٢٥١-١٢٥٧م) (٧)، ففي سنة٦٥٤هـ/١٢٥٦م أمر منكوقاآن أخيه قوبيلاي(٨)ليسير على رأس جيش كبير نحو جنوب الصين التي كانت تسمى "متري" وتخضع لحكم أسرة سونج الصينية(٩). تعددت حملات قوبيلاي على جنوب الصين وفي أثنائها ـ أي في سنة٦٥٨هـ/١٢٦٠م عقد اجتماعا في مدينة مدينة (مينج كي فو) ـ إحدى مدن الصين الشمالية ـ أعلن فيه نفسه حاكماً على شمال الصين متخذا من بكين عاصمة لدولته(١٠) . وفي سنة٦٧٠هـ/١٢٧١م أطلق رسميا على دولته اسم "يوآن" وسمى نفسه (يوآن شي تسو) ليكون بذلك أول أباطرة دولة يوآن المغولية(١٢٧١-١٣٦٨م) (١١) . وفي عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م فرض قوبيلاي سيطرته على جنوب الصين بعد أن أسقط حكم أسرة سونج الصينية، ومنذ ذلك التاريخ توحدت الصين تحت حكم أسرة يوآن المغولية(١٢) .حكمت أسرة يوآن قرابة القرن من الزمن، نعمت خلاله الصين بالاستقرار والرخاء، وقد سجل الرحالة

---

(١)الصياد، المغول، ص٥١. ويضيف بروكلمان بأن من أهم الأسباب التي حفزت جنكيزخان لغزو شمال الصين، رغبته بالثأر لنفسه ولقبيلته من سلالة كين ـ التي كانت تحكم تلك المنطقة ـ نظرا لما ارتكبته من قتل وتشريد لقبيلته. انظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٨، ص٣٨٢

(٢)الصياد، تاريخ المغول، ص٥٢. وفي حديثه عن أسرة كين يذكر إنهم طوائف من الجنس الأصفر ، حكموا شمال الصين، بالإضافةإلى ممتلكاتهم الأصلية في منشوريا ومنغوليا. وكانوا قد اتخذوا من بكين عاصمة لهم. للمزيد انظر: الصياد، تاريخ المغول، ص٢١.

(٣)أوكتاي قاآن، ويكتب أيضاً أقطاي. وهو الابن الثالث لجنكيزخان، تولى عرش الإمبراطورية المغولية بعد أبية جنكيزخان . حكم في الفترة الممتدة ضمن (٦٢٣-٦٣٩هـ/ ١٢٢٦-١٢٤١م). لمعرفة المزيد انظر: الهمذاني، رشيد الدين، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ترجمة فؤاد الصياد ويحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت١٩٨٣، ص٢٨-٩٤.

(٤)الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص٣٢-٤٠.

(٥)كيوك خان :هو الابن الأكبر لاوكتاي خان حكم الإمبراطورية المغولية خلال الفترة ٦٤٤-٦٤٧هـ/١٢٤٦-١٢٤٩م). لمعرفة المزيد انظر: الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٧٦-١٩٤

(٦)العيدي، المغول كما أرخ لهم عطاملك الجويني، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن٢٠٠٨، ص١٤١

(٧)منكوقاآن: حكم المغول في الفترة(٦٤٩-٦٥٧هـ/١٢٥١-١٢٥٧م). يعد من أهم خانات المغول، وفي عهده اتجه هولاكو للقضاء على قلاع الإسماعيلية والخلافة العباسية. للمزيد انظر: الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص١٩٥-٢٢٦

(٨)قوبيلاي قاآن: سيأتي الحديث عنه في الصفحات القادمة من هذا البحث

(٩)الصياد، المغول في التاريخ، ص٢١٦

(١٠)المصدر نفسه، ص٢١٧

(١١)جيان، تاريخ الصين، ص٣٣. خالف قوبيلاي عادات المغول حين أعلن نفسه خليفة لأباطرة الصين. ويتفق الصياد مع عفاف العبد على أن قوبيلاي انتهج نهج أهل الصين في الحكم نتيجة تأثره بالحضارة الصينية. لمعرفة المزيد انظر: الصياد، المغول في التاريخ؛ العبد، عفاف مسعد، دراسات في تاريخ الشرق الأوسط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٢٥

(١٢)جيان، تاريخ الصين، ص٣٣.

الايطالي ماركوبولو ــالذي زار الصين ، وقضى ما يقرب من سبعة عشر عاما موظفا في بلاط قوبيلاي خان ــ مدى التقدم والرقي الحضاري الذي عاشته الصين في ظل حكم هذه الأسرة(١). وفي منتصف القرن الرابع الهجري بدأ واضحا أن أيام أيام أسرة يوآن غدت معدودة بعد أن تطرق الانحلال إلى جهازها الحكومي، مما ساعد على تعاظم نشاط حركة الفلاحين المناوئة للمغول، والتي نجحت عام٧٧٠هــ/ ١٣٦٨م في الاستيلاء على بكين. وبسقوطها ينتهي عهد أسرة يوآن المغولية، ليظهر حكم أسرة صينية جديدة، هي أسرة (المنتج) بزعامة أول أباطرتها (هونجـ وو) (٢) .

ثانيا: الوجود العربي في الصين ودور أباطرة أسرة يوآن في تعزيزه:تشكلت نواة الوجود العربي في الصين من جماعات متفرقة من التجار العرب، كانت قد وصلت إلى بلاد الصين قبل الإسلام بعدة قرون،عبر طريق الحرير البحري وقرينه البري(٣). فقد كان لبعض القبائل العربيةــ ولاسيما الحميرية منهاــ قوافل باسمها، يستقلها أهل التجارة، وعشاق المغامرات من الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والسفراء، استطاعت أن تجتاز الممالك والأقطار وتصل في تجارتها إلى بلاد الهند والصين وسواحل أفريقيا(٤) . ومن ناحية أخرى كانت سفن الصين والهند ترد المراكز التجارية الواقعة على نهر الفرات لتتبادل معها البضائع(٥).ولما انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، زاد الوجود العربي في الصين، وذلك لأن الدين الإسلامي انتقل بالعرب انتقالا أبعد مما كانوا يهدفون إلية من قبل، فوصلواــ عن طريق الدعوة والفتحــ بلادا كثيرة كبلاد الروم والفرس، وعبروا إلى أوروبا ،ودخلوا الهند والصين، وعززوا مراكزهم في تلك البلاد(٦) . كما نشّط الإسلام الإسلام حركة العرب التجارية وحفزها لتكون أهم البواعث التي حملت العرب المسلمين للوصول إلى الصين ، ويتضح هذا في طبيعة مجتمع عرب الصين الذي كان يمثل مجتمعا تجاريا في الدرجة الأولى(٧) .تواردت البعثات التجارية العربية الإسلامية على الصين بمرور السنين، وعلى أثر ذلك كثر عدد العرب في المدن الساحلية(٨) . ولعل ذلك يعود إلى أن الطريق التجاري البحري كان في عصور الإسلام أكثر استخداما بخلافه قبل الإسلام(٩) وتشير المصادرإلى أن التجار العرب استوطنوا مدينة (خانفوه) ــوهي مدينة (كانتون) الحالية التي تقع جنوب الصينــ منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وعاشوا فيها ضمن جاليات إسلامية جمعت العرب والإيرانيين على حد سواء (١٠). وبهذا الصدد يؤكد سليمان

(١)ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ترجمها عن اللغة الانجليزية عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٥.

ماركوبولو(٦٥٢-٧٢٥هــ/١٢٥٤-١٣٢٤م) رحالة بندقي، سافر مع أبيه وعمه سنة ٦٧٠هــ/١٢٧١م إلى الصين بناء على طلب قوبيلاي خان، تعلم لغة المغول وعمل في بلاط القاآن قوبيلاي وبعد سبعة عشر عاما عاد إلى بلاده، فأسره الجنوبيون وبقي في السجن ثلاث سنوات، أملى فيها رحلاته إلى بلاد المغول

(٢)العبد، تاريخ الشرق الأوسط، ص٢٥. لمعرفة المزيد عن مصادر تاريخ أسرة يوان المغولية انظر: جبران، نعمان محمود، "دراسة في المصادر الرسمية لتاريخ أسرة يوآن المغولية"، مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر،العدد التاسع، السنة التاسعة، ١٩٩٧م

(٣)بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٠م، ص٨

(٤)زيتون، محمد، الصين والعرب عبر التاريخ، دار المعارف، القاهرة١٩٦٤، ص١٣

(٥)بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، ص٢١

(٦)زيتون، الصين والعرب، ص٧

(٧)انظر البند الثالث من هذا البحث

(٨)فيما يتعلق بوصول المسلمين العرب الى الصين فقد سجلت السجلات الصينية القديمة ا ن أول مبعوث عربي ورد الصين كان في عام ٦٥١م ، ثم تواردت البعثات العربية واحدة تلو الأخرى ووصلت بين عامي ٦٥١-٨٠٠م حوالي ١٦ بعثة. وكان لهذه البعثات أغراض شتى منها سياسي للاستطلاع وجمع المعلومات، ومنها تجاري للاتصال بالأسواق الصينية وعرض المنتجات العربية على التجار الصينيين. انظر بدر الدين حي الصيني، تاريخ المسلمين في الصين، دار الإنشاء للطباعة، لبنان ، د.ت، ص١٧

(٩)بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، ص١٠٨-١٠٩

(١٠)بدر الدين حي ، تاريخ المسلمين في الصين، ص١٧

التاجر السيرافي(١) ــالذي سافر إلى بلاد الصين بحرا عن طريق الهند ــ على أنالجالية الإسلامية في الصين كانت تعيش في مدينة (خانفوه) حياة دينية منظمة وفقا لتعاليم الدين الإسلامي منذ زمن طويل من زيارته للصين في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي اذ يقول: " بها(اي خانفوه) كثيرا من المسلمين يولى عليهم القاضي مأمورا من صاحب الصين، فإذا كـــان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين"(٢). وباستمرار القوافل التجارية الإسلامية، توغـــل العـــرب إلى الداخل حتى وصلوا مدينة(تشوان تشو) و(يانغ تشو) و(هانغ تشو) على ضفة نهر اليانتسي(٣). اما التجار العرب الـــذين وصلوا إلى الصين برا عن طريق أسيا الصغرى وما يسمى حاليا بتركستان، فقد القوا عصاهم في مدينة(تشانغ –آن) (٤) .ويؤكد الباحث الصيني بدر الدين حيّ من دراسته للمباني التاريخية الموجودة في الصين ما جاء في المصادر التاريخية، على أن المسلمين العرب والفرس كانوا يعيشون في القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادية، في محلة خاصة بهم تعرف ب(فانغ فنغ) ــ وهي كلمة صينية تعني محلة الأجانب ــ، يرأسها شيخ ينتخب من قبل المسلمين، ويتولى الأمور باسم الملك، وكان من أهم وظائفه النظر في أمور التجار المسلمين، وجمع الخراج والإتاوات التي يجب على التجار الأجانب دفعها للســـلطة الصينية(٥) .حقق الوجود العربي في الصين قفزة واسعة خلال القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين ، أي أبان حكم أسرة أسرة يوآن المغولية(٦٧٠-٧٧٠هــ/١٢٧١-١٣٦٨م)، وذلك لدخول عناصر جديدة إلى جاليات التجار العرب. كـــان منهم إضافة للتجار، عدد من الجنود و الإداريين والعلماء والدعاة ممن وجدوا أمامهم فرصة لبسط نفوذ تجاري أو سياسي أو ديني في أنحاء الصين(٦). ويؤكد الرحالة المغربي ابن بطوطة ــالذي زار الصين في نهاية حكم أسرة يوآن ــ على كثافة كثافة الوجود العربي فيها، ولا سيما في المدن الساحلية التي كانت التجارة العربية قد ازدهرت فيها(٧) . كما ويدعم هذا هذا القول، الرحالة الايطالي ماركو بولو (٨).والسؤال المطروح ما هي أهم السياسات التي تبناها المغول وكان لهـــا دور مؤثر في الوجود العربي في الصين ؟ تكمن الإجابة عن هذا التساؤل في سياسات المغول الدينية والاقتصـــادية والعســـكرية والإدارية التي شكلت معابر نشطت حركة العرب إلى الصين . وسوف يتولى هذا البحث دراسة أهم معـــبرين أولهمـــا: سياسة التسامح الديني عند المغول ، وثانيهما اهتمامهم بتنشيط الحركة التجارية على امتداد القارة الأسيوية بأكملها.أمـــا فيما يتعلق بسياسة المغول الدينية، فقد كان المغول في بادئ أمرهم يدينون بالديانة الشامانية (٩) وخاصة في الفترة الـــتي سبقت توحدهم بزعامة جنكيزخان. ولكنهم بعد أن فرضوا سيطرتهم العسكرية على الصين وبلاد ما وراء النهر والعراق وإيران، بدأوا يتحررون من هذه الديانة تدريجيا نتيجة احتكاكهم بشعوب أخرى ترتقيهم حضاريا . ومع أن واقع الحـــال يحتم إحلال حضارة الغالب على حضارة المغلوب، إلا إن المغول خالفوا هذا الواقع بتأثرهم بحضـــارة الرعايـــا المغلـــوبين ولاسيما في سياساتهم الإدارية(١٠).أما فيما يخص حياتهم الدينية فيبدو أن عقائدهم قد انزوت نتيجة المـــؤثرات الدينيـــة

(١)سليمان التاجر السيرافي: رحالة وتاجر فارسي،عاش في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي . اتخذ من مدينة سيراف على الساحل الشرقي من الخليج العربي مقرا له . لا يعرف عنه إلا قصة وحيدة، وهي سفره الى الهند والصين للمتاجرة ووصفه الدقيق لهذه الرحلة. لمعرفة المزيد انظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، جامعة الدول العربية، القاهرة١٩٦٣

(٢)السيرافي، الحسن، سلسلة التواريخ، منشورات دار البصرة، بغداد١٩٤٥، ج١، ص١٤

(٣)بدر الدين حي، تاريخ المسلمين في الصين، ص١٦

(٤)المصدر نفسه، ص١٦

(٥)المصدر نفسه، ص١٨

(٦)لمعرفة المزيد انظر: بدر الدين حي، العلاقات بين العرب والصين، ١-١٣٤

(٧)ابن بطوطة، محمد بن عبدالله اللتواتي، رحلة ابن بطوطة، تحقيق عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط١٩٩٧م، م٤، ص١٣٣

(٨)ماركوبولو، رحلات ماركوبولو، ج٢، ص٣٦

(٩)العمادى وجبران، محمد ونعمان، "المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنكيزخان"، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة ١٩٩٨

(١٠)اقبال، عباس، تاريخ المغول، المجمع الثقافي، ابوظبي٢٠٠٠، ص١١٥

الإسلامية والمسيحية والبوذية ، حيث كان جنكيزخان يظهر ميلا نحـــو الأقـــوام المتدينـــة ذوي الثقافـــات كالمســـلمين والاويغور(١)والصينيين(٢). ولعل هذا ما حدا به ليتبنى سياسة التسامح الديني(٣)، ويقف موقفا محايدا من أتباع الديانات الديانات الأخرى، سواء كان ذلك بين قبائل المغول أو الجماعات الوافدة على بلاد المغول أو سكان المناطق التي خضعت لسيطرة المغول . كما انه لم يتأثر بديانة قبيلته الشامانية ولا بديانة زوجته المسيحية، و لم يجعل لقوم أو أتباع ديانة اعلى من الآخرين، أي انه تعامل بمنطق رجل الدولة السياسي المتحرر من أي تأثر ديني(٤) .ورث أباطرة المغول في الصين سياســـة جنكيزخان في التعامل مع الأديان. وقد عالج الباحث احمد الجوارنة هذا الموضوع في بحثه عن "المؤثرات العربية الإسلامية على شعوب الصين في عهد إمبراطورية يين المغولية" ، ومنهنستشف الأثر الايجابي الذي عكسته سياسة المغول الدينية على الوجود العربي في الصين، حيث ذكر أن سياسة تسامح المغول تجاه الأديان، أحدثت تقارباً إسلامياً مغولياً، نـــتج عنـــه ازدياد أعداد المسلمين العرب والإيرانيين في الصين، وارتباط الكثير منهم بموالاة العرش المغولي وتقديمهم خدمات عـــززت الدولة المغولية ووطدت كيانها(٥)إضافة لذلك، تؤكد كتابات ابن بطوطة على أن تساهل المغول مع الأقوام الأخرى ، زاد زاد من تواجد المسلمين في المدن الصينية، وقد رافق ذلك زيادة في أعداد المساجد والزوايا الخاصة في تدريس تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية ، كما منح المسلمين الحق في إدارة شؤونهم وفقا للشريعة الإسلامية رغم وجودهم داخل أراضي الإمبراطورية المغولية(٦) .نخلص من ذلك أن سياسة التسامح الديني التي تبناها المغول كانت من أهم المعابر التي ســـهلت انتقال المسلمين عربا كانوا أو فرسا إلى الصين، كما أنها مكنتهم من تنظيم حال جالياتهم وفقا لتعاليم الـــدين الإســـلامي متحررين بذلك من سطوة الديانة الوثنية عليهم. ومن أهم المعابر التي ساهم المغول في دعمها لتكون معززا للوجود العربي في الصين حركة التجارة في القارة الأسيوية. فمن الثابت أن حركة التجارة في تلك القارة قد تـــأثرت الى حـــد كـــبير بالاحتلال المغولي للمنطقة. ويمكن القول أنها نشطت عما كانت عليه من قبل ، فقد كان الاتصال البري والبحري بـــين شرق أسيا وغربها ــقبل السيطرة المغولية عليهاــ ضعيفا بسبب الاضطرابات السياسية في تلك المنطقة التي تقاسم حكمها عدد من الدول (٧). ولما تمكنت القوة المغولية من السيطرة على البلاد الأسيوية من شرقها إلى غربها. وبعـــدما هـــدأت عاصفة الحملات العسكرية المغولية بما حملته من تخريب للمباني والعمائر وتفشي للأمراض والأوبئة نتيجة قتل المغول لأعداد غفيرة من سكان تلك المناطق(٨)، كان لا بد للحياة أن تعود إلى سابق عهدها ، متضمنة الحركة التجارية التي وجدت في في الأوضاع الجديدة محفزات سهلت حركتها أهمها، الأمن والاستقرار الذي فرضه المغول في مناطق حكمهم. ويشهد ابن بطوطة على " أن بلاد الصين آمن البلاد، وأحسنهاحالا للمسافرين، لان الإنسان يسافر منفردا مسيرة تسعة أشهر، وتكون معه الأموال الطائلة، فلا يخاف عليها"(٩) . ويشيد ــأيضاــ بتبني المغول سياسة الحكومات الصينية السابقة فيما يخـــص

(١)الاويغور: قوم من الترك، كانوا يقطنون المناطق الواقعة شمال شرقي تركستان. لمعرفة المزيد انظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص٧٥

(٢)العمادى وجبران، المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنكيزخان، ص١٠

(٣)نقصد في التسامح الديني عدم تمييز دين على آخر .ومن الجدير بالذكر ان المغول لم يميزوا بين الأقوام وفقا لاعتبارات دينية حتى في غزوهم، فقد عانت الأقوام التي غزاها المغول صنوفا مختلفة من التدمير والقتل والنهب، والتعذيب على مختلف أديانهم ومذاهبهم. انظر: حمدى، حافظ احمد، الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، ص٢٨٨

(٤)العمادى وجبران، المعتقدات الدينية عند المغول حتى نهاية عصر جنكيزخان، ص٩

(٥)الجوارنة، احمد محمد، المؤثرات العربية الإسلامية على شعوب الصين في عهد امبراطورية (يين) المغولية في القرنين الثالث والرابع عشر الميلاديين، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨٣-٨٤، دمشق أيلول-كانون الثاني ٢٠٠٣، ص١٤٨-١٧٧

(٦)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٣٣-١٤٦

(٧)الصياد، المغول في التاريخ، ص٦١-٩١

(٨)الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج١، ص١١٦-١٢٠

(٩)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٣٤

نظام المراقبة على الفنادق، حيث كان الترتيب في ذلك الوقت قائم على وجود فندق في كل منطقة تجارية "عليه حاكم يسكن به في حماية من الفرسان والرجال، فإذا كان بعد المغرب أو العشاء الآخر، جاء الحاكم إلى الفندق ومعه كاتبه، فكتب أسماء جميع من يبيت به من المسافرين، وختم عليها وأقفل باب الفندق عليهم، فإذا كان الصبح جاء ومعه كاتبه، فدعا كل إنسان باسمه وكتب بها تفسيرا، وبعث معهم من يوصلهم إلى المترل التالي له، ويأتي ببراءة من حاكمه أن الجميع قد وصلوا إليه، وان لم يفعل، طالبه به، وهذا العمل في كل مترل ببلاد الصين. وفي هذه الفنادق جميع ما يحتاجه المسافرون من الازواد واللوازم"(١)

ومن السياسات التي اتبعها المغول وكانت محفزا للحركة التجارية، منع التجار من الوقوع في الفساد، فقد أورد ابن بطوطة ما مفاده ان" التاجر المسلم اذا قدم على بلد من بلاد الصين، خُير في الترول عند تاجر من المسلمين المستوطنين، او في الفندق. فإن أحب الترول عند التاجر، حصر ماله وضمنه التاجر المتوطن، وانفق عليه منه بالمعروف، فإذا أراد السفر، بحث عن ماله، فان مجد شيء منه قد ضاع غرمه التاجر المستوطن الذي ضمنه، وان أراد الترول بالفندق، سلم ماله لصاحب الفندق وضمنه وهو يشتري له ما يحب ويحاسبه. واما انفاق ماله في الفساد فشيء لا سبيل إليه. ويقولون لا نريد أن يسمع في بلاد المسلمين أهم يخسرون أموالهم في بلادنا"(٢). كما نلمس اهتمام خانات المغول أنفسهم بتنشيط حركة التجارة في بلادهم، فمما تذكره المصادر أن قوبيلاي خان أمر بتمهيد الطرق التجارية القديمة، وأقام طرقا أخرى جديدة، زودها بحراسة قوية لتوفير الأمن للقوافل التجارية، ولعل اهتمام قوبيلاي خان بالتجارة مع البلاد الإسلامية كان الدافع الرئيس وراء تغييره لسياسته تجاه المسلمين(٣) . نفهم مما روى رشيد الدين الهمذاني، أنه على الرغم من أن قوبيلاي قوبيلاي خان كان قد بدأ حكمه بتقريب المسلمين إليه واحترامه لتعاليمهم، إلا أنه بعد عدة سنوات مضت من حكمه، انقلب عليهم بسبب وشايات قيل ان مصدرها جماعة من المسيحيين، تسببوا بانتزاع قرار رسمي من الخان الأعظم يقضي بمنع المسلمين من إقامة الشعائر الإسلامية، ومنعهم من ذبح الحيوانات وفقا لمقررات الشريعة، وقتل كل من يخالف ذلك ولا يمتثل للقانون(٤). أثارت هذه السياسة العدائية المناوئة لتجارة البلاد العربية والإسلامية مع بلاد الصين، تأثيرا تأثيرا سلبيا على مصالح دولة المغول إذ تعطلت تلك التجارة ، وبدأت مظاهر القطيعة بين المغول والمسلمين العرب والإيرانيين تأخذ شكلا غاية في الخطورة، أثر على حجم الفوائد المالية من عوائد التجارة الإسلامية المغولية ، وقد أدرك قوبيلاي الخسارة الكبيرة التي لحقت بحكومته بسبب تلك القيود الصارمة التي فرضها على المسلمين(٥) ، ولا سيما بعد أن أن زادت هجرات المسلمين من الصين الى جزر الهند الشرقية-الجنوبية، وتوقف حركة التجارة القادمة من إيران العراق ومصر، وتوقف القوافل التجارية الإسلامية في الموانئ الهندية دون المرور إلى الصين(٦) . هذا اضطره إلى التراجع عن قراراته واحد تلو الأخر، في محاولة منه لاسترضاء المسلمين ، وبسبب إصراره على إعادة العلاقات بينه وبينهم إلى سابق عهدها من التسامح والاحترام المتبادل، بنى قوبيلاي مسجدا في مدينة خان باليق(بكين) يتسع لمائة ألف مصلي(٧)

نخلص مما سبق إن اهتمام المغول بالتجارة كان من أهم العوامل التي عززت الوجود العربي في الصين ، وذلك بزيادة عدد التجار العرب، وتقويه مركزهم في تلك البلاد.

ثالثا: الواقع الحضاري للجاليات العربية في الصين خلال الحكم المغولي عليها:واجهت الدراسة أثناء بحثها عن حال العرب في الصين معضلتين .أولاهما: تكمن في قلة المصادر التي لم تسعف في تشكيل تصورا واضح المعالم عن الواقع

---

(١)المصدر نفسه، م٤، ص١٣٣-١٣٤

(٢)المصدر نفسه، م٤، ص١٣٣

(٣)الصياد، المغول في التاريخ ، ص٢١٨-٢١٩

(٤)الهمذاني، جامع التواريخ(تاريخ خلفاء جنكيزخان)،ص٢٨٩-٢٩٠

(٥)المصدر نفسه، ص٢٩٠

(٦) هويدى، فهمي، الإسلام في الصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٨م، ص٤٩

(٧)الجوارنة، المؤثرات العربية الإسلامية على شعوب الصين، ص١٦٠-١٦٢

الحضاري للجالية العربية في الصين، باستثناء بعض المعلومات التي قدمها ابن بطوطة خلال حديثة عن زيارتـه للصـين، إضافة لإشارات متناثرة في مصادر أخرى. وثانيها:إن المصادر التاريخية_ ومنها رحلة ابن بطوطة_ لم تتحدث عن حـال الجالية العربية بشكل خاص، بل كان ما دونته يخص الجاليةالإسلامية بشكل عام . وبعد البحث تبين أن ربـط المصـادر التاريخية للجالية العربية ضمن حديثها عن الجاليةالإسلامية_بشكل عام_إنما يعود لموقف المغول من العرب، حيث عـدت الحكومة المغولية الجالية العربية جزءا من الجاليةالإسلامية، فعندما سمحت الحكومة المغولية بإقامة مناطق خاصة للجاليات، شملت الجالية الإسلامية بكل من حمل اسم مسلم، وكان المسلمون في الصين ينقسمون إلى ثلاثة أقسام. يشـمل القسـم الأول العرب والفرس الذين أتوا إلى الصين لمزاولة التجارة. ونعني بالثاني المسلمين من شتى القوميات في آسـيا الوسـطى الذين أرغمهم المغول على الانضمام لجيشهم في حملتهم على الصين، أما مسلمو القسم الثالث فهم أبناء قوميتي الاويغـور والقازاق وغيرهما من الأقليات في منطقة شينجيانغ الذين آمنوا بالإسلام(١). وهذا يعني أن العرب في الصين لم يعيشـوا منفصلين عن غيرهم من المسلمين الذين هم من قوميات أخرى. بل عاشوا معهم بما يسمى (فانغ فنغ). وهـذا يعنيـإن وصف حياة الجاليةالإسلامية في الصين يعكس بالضرورة تصورا عن الواقع الحضاري للجالية العربية فيها .يقدم ابن بطوطة في رحلته معلومات مفيدة تصف التنظيم الداخلي لما سمي (فانغ فنغ).نستخلص منها أن المسلمين كانوا إبان حكم أسرة يوان للصين يتجمعون في مدن الصين الكبرى داخل أحياء خاصة بهم يتوسطها مسجد جامع يحيط بـه بيـوت التجـار المسلمين وأسواقهم. ويظهر هذا جليا في حديث ابن بطوطة عن الجاليةالإسلامية في مدينة الخنسا(كنسـا) (٢) ، حيـث يذكر أن بلده المسلمين فيها كانت "حسنة وأسواقها مرتبة كترتيبها في بلاد الإسلام، وبها المساجد والمؤذنون " وهي بهذا التنظيم المعماري تماثل تنظيم المدن في البلاد الإسلامية(٣) . وهذا يؤكد علىأن حكومة الصين كانت تتـرك للجاليـات أحقية تنظيم مناطقهم وفقا لفنونهم.ويؤكد ابن بطوطة على أن كل جالية إسلاميةموجودة في مدن الصين، يجب أن يكون لها رئيس يرجع إليه المسلمون في أمورهم يسمى بشيخ الإسلام، يسانده قاضي يقضي بين مسلمي الجالية،إضـافة لكبـار التجار من أهل العلم والدين . ويصور حديث ابن بطوطة عن الجاليةالإسلامية في مدن زيتون وصين كـلان وقنجنفـو والخنسا هذا الحال . فيقول في زيارته للجالية الإسلامية في مدينة زيتون(٤) انه التقى بشيخ الإسلام فيها وكـان آنـذاك الشيخ كمال الدين عبدالله الأصفهاني ، وقاضيها تاج الدين الاردويلي، يرافقهم عدد من كبار الشخصيات كالشيخ برهان الدين الكازروني والتاجر شرف الدين التبريزي الذي ميزه ابن بطوطة عن غيره لحفظه القـران الكـريم وإكثـاره مـن تلاوته(٥). كما نلتمس مما رواه ابن بطوطة عن حرص التجار المسلمين في مدينة زيتون على دفع زكاة أموالهم لمن يأتيهم قادما من بلاد الإسلام، مدى التزام الجاليات الإسلامية في الصين بتطبيق تعاليم الإسلام(٦). وجاء في حديثه عن مدينـه صين كيلان(٧)أنه في إحدىجهاتها بلدة للمسلمين فيها المسجد الجامع وزاوية وسوق، وكان شيخهم آنذاك أوحد الدين الدين السنجاري(٨) . ويتجلى إعجاب ابن بطوطة في حال الجالية العربية في مدينة قنجنفو(٩) (٦٤) لاستقبال جاليتها له جاليتها له استقبالا حفيا ، ولفرحه بلقاء مواطن من مواطنيه المغاربة يسمى قوام الدين السبتـي، وكان على درجـة

---

(١) لي هوا لينغ،" الحوار الحضاري الصيني العربي"، مجلة الصين اليوم، نقلا عن موقعها الالكتروني. chinatoday.com.cn

(٢)مدينة الخنسا: تعرف في الوقت الحاضر باسم(Hang–zhon). انظر: هامش (٧٥) من رحلة ابن بطوطة ، م٤، ص١٤٥

(٣)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٤٥-١٤٦

(٤)مدينة زيتون: تعرف في الوقت الحاضر باسم(Quan–zhou). انظر: هامش (٣٥) من رحلة ابن بطوطة ، م٤، ص١٢٥

(٥)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٣٥

(٦) المصدر نفسه، م٤ــ ص١٣٥

(٧)صين كيلان : هي نفسها (صين صين) ، تسمى حاليا(Guang–zhou). انظر: الهامش(٦٠) من رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٣٧

(٨)ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٣٧

(٩)قنجنفو: ضبط ابن بطوطة الاسم بفتح الفاء وسكون النون وفتح الجيم وسكون النون الاخر وضم الفاء والواو، وتقع بين مدينتي الزيتون والخنسا.انظر: هامش (٧٠)من رحلة ابن بطوطة، م٤، ص ١٤٣

عالية من الثراء والتمكن في بلاد الكفر رغم بعده عن موطنه . وكان شيخ الإسلام لجالية هذه المدينة هو الشيخ ظهير الدين القرلاني(١).أما فيما يخص الجالية الإسلامية في مدينة الخنسا(٢)، فيذكر ابن بطوطة أن شيخها وقاضيها كان الشيخ أفخر أفخر الدين ، وكان من كبار رجالاتها أولاد عثمان بن عفان المصري، ولعثمان هذا زاوية وقف لها أوقاف كثيرة واليـــه يرجع الفضل في بناء المسجد الجامع في البلده(٣). إن الوصف الذي الذي جاء في بيان ابن بطوطة لحال الجالية الإسلامية في مدينة الخنسا في القرن الرابع عشر الميلادي، لا يعطي صورة صادقة عن حالة المسلمين فيها، وعن نظمهم الاجتماعيـــة ونفوذهم في أسواق المدينة فحسب، بل تعكس تأثيرهم الثقافي بين أبناء المدينة، وهذا يظهر في قوله بأنه عندما دعاه أمـــير المدينة إلى وليمه في بيته، استخدم طباخا مسلما، يذبح الذبائح على الطريقة الإسلامية. وحين ذهبوا برفقه ابن الأمـــير في رحلة بحرية استخدم مغنين صينيين وعرب وفرس، غنوا باللغات الثلاثة(٤) وهذا يدل على اعتياد الصينيون على سمـــاع اللغة العربية. ويشير ابن بطوطة إلى وجود وظيفة في مجتمع الجالية الإسلامية تسمى وظيفة(صاحب الديوان) ولكنه لا يقدم أي تفاصيل أو شرح عن هذه الوظيفة، باستثناء إشارةإلى بعض مهام متوليها،وأهمها تنظـــيم الاتصـــال بالقـــاآن وتجـــار الجالية(٥) . ويعلق حسين مؤنس على هذا الموضوع بقوله:إن ابن بطوطة قصد بصاحب الـــديوان الإداري، الشـــخص المسؤول عن تنظيم تجارة الجاليات الأجنبية في الموانئ، وهذه الوظيفة كانت معروفة في البلاد الإسلامية من قبل(٦). ويبدو ويبدو من معلومة وردت في رحلة لدى الباحث الصيني جيانأن الحكومة المغولية عينت التاجر العربي (بوشيو قنع) مسؤولا عن إدارة التجارة الخارجية للجاليات في مقاطعتي قوانغدونغ وفوجيان(٧). وتكمن أهمية هذه المعلومة ليس فقط في تأكيد وجود وظيفة المسؤولالإداري للتجار الأجانب ضمن الوظائف الإدارية التي شغلها تجار الجاليات في الصين ، بل تكمن في إبراز قوة الوجود العربي في النظام الإداري لدولة يوان المغولية ، فقد كان شاغل هذه الوظيفة يعد من أهم موظفي الحكومة . ويؤكد جيان ذلك بقوله أن التاجر العربي (بو شيو قنع) قد " احتل منصبا كبيرا في حكومة يوان "(٨) .

كما ويعتبر الباحث الصيني بدر الدين حي في دراسته لنشاط المسلمين التجاري في الموانئ الصينية أن وظيفة المراقبـــة على الملاحة والتجارة البحرية قد أحدثت نظاما جديدا يسمى(زى به شيه) وكان وظيفة متوليه التفتيش علـــى الســـفن القادمة والذاهبة وجباية الرسوم على البضائع الواردة على اختلاف قيمها، وكانت العادة أنس يتولى هذه الوظيفة رجـــل مسلم من العرب او الإيرانيين له معرفة تامة بأوضاع التجارة البحرية وخفاياها(٩)

نستخلص مما سبق أن وجود العرب والمسلمين قد تصاعد في الصين خلال مدة حكم المغول عليها، وظهر ذلكبتمتعهم بنظام داخلي خاص بهم منحته لهم الحكومة المغولية التي سمحت لهم باختيار رجل من بينهم يسمى بشيخ الإسلام ليكـــون رئيسا عليهم يتولى الشؤون الداخليةللحي، إضافة لقاضي يفصل بين الخصومات وفقـــا لتعـــاليم الشـــريعة الإســـلامية، كماسمحت للتجار بناءأسواقا للتجارة ومساجدالأداء الفرائض الدينية،إضافةلإقامة زوايا لتدريس علوم الدين واللغة العربية كزاوية الشيخ عثمان في مدينة الخنسا. ولعل في وصف ابن بطوطة لحال المسلمين في الصين خير شاهد على ارتفاع شأن الجاليات الإسلامية في ظل حكم أسرة يوان ، إذ يقول:"وفي كل مدينة من مدن الصين، مدينـــة للمســـلمين، ينفـــردون بسكناهم، ولهم فيها المساجد لاقامة الجمعات وسواها، وهم معظمون ومحترمون"

---

(١)ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٤٣

(٢) انظر الهامش(٦٥) من هذه الدراسة

(٣)ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٤٦

(٤) المصدر نفسة، م٤، ص١٤٧

(٥) المصدر نفسة، م٤، ص١٣٣

(٦)مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلاته(تحقيق ودراسة وتحليل)، دار المعارف، القاهرة٢٠٠٣، ص ٢٠٤

(٧)جيان، تاريخ الصين، ج٢، ص٤١

(٨)بدر الدين حى، تاريخ المسلمين في الصين، ص٢٤

(٩) ابن بط وطة، رحلة ابن بطوطة، م٤، ص١٢٧.

التجارة العربية الصينية في العصور الوسطى

ا.د عبد الرازق أحمد وادى السامرائى

نظرة في العلاقات العربية–الصينية

تعود العلاقات العربية الصينية الى تاريخ قديم نجهل تحديده بالضبط.ولعله يعود الى فترة ماقبل الميلاد.)فقـــد ســـجلت الكتب الصينية الملكية عن الاتصالات الصينية العربية القديمة في التاريخ.منها؛ رحـــلات استكشـــافية قـــام بهـــا كبـــار الشخصيات.فيما ارسلتالى البلاد العربيةبعثات اخرى وصلت الى العراق والشام والروم.مثل رحلة(تشـــانغ تشـــيان ت ١١٤ق.م)أرسله الامبراطور(هام وودي) وصل الى غرب اسيا(١) . كانت هذه الرحلات فاتحة الطريق التجـــاري بـــين الصين وغرب اسيا واوربا. (٢) وهكذا استقبلت الموانىء العربيةالسفنالصينية المتّجرة من الصين على وجه الخصوص ومن جنوب شرق اسيا عموما – على طـــــــــــولالساحل العربي في مياه الخليج ،وبحر العرب،والمحيط الهندي،والبحر الاحمر.

ان المـــوانىء العربيـــة المســـتقبلة والمودعـــة للســـفن المتجـــرة مـــع الصـــين كـــثيرة منـــها؛ مـــوانىء العـــراق مثل؛الحيرة،والابلة،والبصرة،وبغداد.

ان أول اتصـــال صـــيني–عـــربي– خـــلال العصورالاســـلامية يعـــود الى عهـــد الخليفـــة عثمـــان بنعفان(رض)عام(٣١هـــ/٦٥١م)،حينما قدمت بعثات الى هناك(**٣**).وهذا هو تاريخ دخول الاسلام الى الصين في نظـــر الصينين.ثم توالت البعثات حتى بلغت ٣٩ بعثة حتى سنة ٧٩٨م على حسب السجلات الرسمية(**٤**) .فكان اكبر تجمعاتهم في مدن؛كانتون،وتسوان–تشو،ويانج تشو(**٥**).

فيذكر(المسعودي)؛ان السفن الصينية لم تصل الى الابلة فقط ،بل وصلت الى الحيرة فيقول((كانت سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة)) (**٦**).وربما كانت هذه سفنا عربية وليست صينية ،كون أن أهل الصين حتى اخر القرن الثاني عشر لايعرفون عدن أو سيراف(**٧**).وعن الابلة فانها تمتعت بموقع تجاري مرموق منذ القديم. ويقول الرواة انه عندما ســـقطت الابلة في يد العرب على عهد عمر(رض)،وجدوا بها سفنا صينية(**٨**). وهكذا استمرت في العصور الاسلامية وحتى فتـــرة متأخرة منه.فينقل"(المسعودي)) عن تاجر من الابلة؛ ان سعر البضاعات وصل احيانا الى مئات الدنانير الذهبية(**٩**) من هنا هنا يقول (ابن بطوطة)((وما من مركب يأتي من الصين أو الهند الا وفيهآلاف من الدنانير)) (**١٠**).

اما موانىء الخليج فمنها؛سيراف،وعمان،وصحار،ودارين،والبحرين.

---

(١)الاستاذ فاز، موجز تاريخ الصين، دار نشر الشعب،بكين،١٩٦٥،ص٤٠.

(٢) www.darah.sa

(٣) د.عفاف مسعد العبد، دراسات في تاريخ الشرق الاقصى، ،دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع،الاسكندرية–مصر،ص٢٨.

(٤) شوقي عبدالقوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الاسلامية، عالم المعرفة،١٩٩٠،الكويت،ص٢٠٠.

(٥) ابن خرداذبة(عبيدالله بن عبيدالله توفي حوالي ٣٠٠هـــ/٩١٣م) المسالك والممالك، مطبعة بريل،ليدن،١٨٨٩م،ص٦٦. المسعودي(علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـــ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر)،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد،مطبعة السعادة،مصر،١٩٤٨م،ج١،ص٣٤٧–٣٤٩. اسراء محمد عبدالقادر الكمالي، رحلات أمير بحر العرب الى جزر الشرق والصين،دار الشؤون الثقافية العامة،ط١،بغداد،٢٠٠١م،ص١٦٠.

(٦) المسعودي،مروج الذهب،١/١١٣.

(٧) متز،ادم،الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الاسلام،ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط٢،بيروت،١٩٤٧،٢/٣٧٥.

(٨) نوفتس،يوليا اغناطيوس،تاريخ الادب الجغرافي العربي،ترجمة صلاح الدين غثمان هاشم،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،١٩٦٣،١/٤٠.

(٩) المسعودي،مروج،١/١١٦.

(١٠) ابن بطوطة،(محمد بن عبدالله بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـــ/١٣٧٧م)،رحلة ابن بطوطة المسماة:تحفة الانظار في غرائب الامصاروعجائب الاسفار،المطبعة الازهرية،مصر،١٩٢٨،١/١٠١.

والى جنوب الجزيرة العربية كانت موانىء؛عدن،وزبيد باليمن،والفرما بمصر،وينبع.

ووصلت السفن التجارية الصينية الى موانىء البحر المتوسط عند (الجابية)بسوريا،لتنقل بصورة معكوسة بـــرا الى نهـــر الفرات ثم بغداد والى نهر دجلة حتى الابلة ثم الخليج(**١**).كما وصلت التجارة الصينية الى مكة لتباع في بلاد الروم(**٢**).

وأبعد من ذلك،وصلت السفن الصينية الى السواحل الغربية للشمال الافريقي.

وفيما يخص العراق،فقد ارتبط بعلاقات متينة مع الصين.فبغداد-قبل بنائها عاصمة للعباسيين-كانت سوقا يقصدها تجار اهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع.وفي هذه المناسبة يقول ياقوت الحموي((وكان اسم ملك الصين (بغ)فكانوا اذا انصرفوا الى بلدهم قالوا: بغ داد،أي ان هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك)) (**٣**).

لقد شهدت العلاقات العربية الصينية تطورا ملحوظا بعد بناء بغداد،خصوصا وانها بنيت على شبكة طرق ســـتراتيجية برا وبحرا.وكان الخليفة ابو جعفر المنصور ينظر الى هذه المسألة بعين الخبير الاقتصادي،فيقول((هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء، يأتينا منها كل ما فيالبحر)) (**٤**).ومن الجدير بالذكر ان المنصور استمع قبل الشروع بتأسيس المدينة الى اراء اراء ذوي الخبرة والاختصاص،فأشاروا عليه بقولهم((وتجيئك الميرة من الصين والهند...)) (**٥**). فأثنوا عليه بحسن اختيار اختيار المكان وانها ستكون محطة استقبال لبضائع الشرق الاقصى.وبالفعلأصبحت التجارة الصينية رائجة ببغداد.يصـــف (اليعقوبي) المكان الذي كانت فيه البضائع الصينية ((وطريق في السوق التي يقال لها سوق خضير،وهي معـــدن طرائـــف الصين)) (**٦**).

الدعم الحكومي الصيني والعربي للتجارة المتبادلة:

لقد شجعت الحكومات المتعاقبة سواء في الطرف الاسلامي أو الصيني،التجار وقدمت لهم تسهيلات طيبـــة في هـــذا الشأن.

ومن الجدير بالذكر؛انه كانت تحكم الصين في الفترة الاموية اسرة (تانج ٦١٨-٩٠٧م) (**٧**) (١٧)نعمـــت الصـــين خلالها بأمن وسلام،انعكست على العلاقات التجارية بين الصين والبلاد الاسلامية.

وبناء على ماذكر،فقد شهد عهد الخليفة معاوية وصول بعثات عربية الى هناك(**٨**) .وفي ايام مـــروان بـــن الحكـــم ارسلت بعثة اخرى (**٩**).كما شهد عهد الوليد احتكاكا مباشرا بين الطرفين حين وقفت طلائع جيش المســـلمين علـــى ابواب الصين عند مدينة (كاشغر) على حدود الصين الغربية، تحت قيادات الاميرين قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمـــد بـــن القاسم الثقفي(**١٠**)

---

(١) علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام،دار العلم للملايين،ط٢،بيروت، ١٩٧٦م،١١٦/٧.

(٢) ن.م

(٣) ياقوت الحموي،(شهاب الدين ياقوت بن عبدالله ت٦٢٦هـــ/١٢٢٨م)،معجم البلدان،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،١٩٥٧م،٣٣١/١.

(٤) الطبري،(محمد بن جريرت٣١٠هـــ/٩٢٢م)،تاريخ الرسل والملوك،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة دار المعارف،ط٢،القاهرة،١٩٦٠-١٩٦٩م،٢٧٢/٣.

(٥) ابن الاثير،عزالدين علي بن أبي الكرم الشيباني(ت٦٣٠هـــ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ،دار صادر-دار بيروت،١٩٦٥-١٢،١٩٦٦/٣٧.

(٦) اليعقوبي،أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح(ت٢٨٤هـــ/٨٩٧م)،كتاب البلدان،المطبعة الحيدرية،النجف،١٩٥٧م،٩/١.

(٧) الخيرو،رمزية عبدالوهاب،تجارة الخليج العربي وأثرها في الحياة الاقتصادية

في منطقة الخليج العربي منذ صدر الاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري،طبع دار الشؤون الثقافية العامة،ط١،بغداد،١٩٨٧،ص٧٠.

(٨) فيصل السامر،السفارات العربية الى الصين في العصور الوسطى الاسلامية، مجلة الجامعة المستنصرية،العدد ١٩٧٩،٢م، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٩) ن.م

(١٠) البلاذري،احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـــ/٨٩٢م)،فتوح البلدان،اعتناء رضوان محمد رضوان،المطبعة المصرية،الازهر،١٩٣٢،ص٥٨.

ومن جانب اخر اصبحت الاراضي الصينية (كونها بعيدة) ملجأ للفارين والمعارضين للخلافة الاموية أو العباسية .فيشار الى وصول بعض أبناء العلويين الى هناك،فتعلموا اللغة الصينية ،وأصبحوا وكلاء تجاريين للعرب والصينيين على حد سواء.مما ساعدوا على انسياب التجارة بشكل جيد(**١**).

وهكذا وجدت جاليات عربية تجارية في مدن؛الزيتون،وهانج شو،وكلابار،وشمال سومطرة،وجزر النيكوبار(**٢**).

وفي العصر العباسي قامت الخلافة ببغداد بدعم النشاط التجاري خاصة بعد بناء بغداد.فوصلوا برحلاتهم الى الصين.فيما دعا الصينيون الخليفة العباسي الاول بـ(أبي لو).في الوقت ذاته ميز الصينيون،الامويين عن العباسيين فأطلقوا على الامويين بـ(ذوي الملابس البيضاء)،في حين سموا العباسيين بـ (ذوي الملابس السوداء) (**٣**) ان هذه التسمية ليست ليست بعيدة عن واقع الحال.فراية وشعار العباسيين هو اللون الاسود.

وواصل العباسيون سفاراتهم وهداياهم الى الحكومات الصينية المتعاقبة طيلة عهود الخلفاء الاول.ففي عهد الخليفة المنصور وصلت ثلاث سفارات ومعها هدايا(٣٠ جواد عربي)الى امبراطور الصين(**٤**).وظلت مستمرة طيلة عهود المنصور المنصور والمهدي والرشيد. وقدم العباسيون ،كما ذكر أحد المؤرخين المحدثين، معونة عسكرية لاسرة (تانج)لتثبيت حكمهم أثر المعارضة الصينية(**٥**) .وأفاد المسعودي(ت٣٦٤هـ)؛ان التجار العرب في العصر العباسي قد جاوزوا جزيرة سيلان،وجابوا البحار الواقعة على سواحل الهند،وأخذوا يقومون برحلات طويلة حتى وصلوا الى الصين(**٦**)

ومن جانب الحكومة الصينية،فانها قدمت تسهيلات للتجار العرب.فعاملتهم معاملة طيبة وعينت لهم حكاما مسلمين لحل مشاكلهم وفق القانون الاسلامي (الشريعة الاسلامية)،كما سمحت لهم بأقامة شعائرهم الاسلامية(**٧**) .فذكرت المصادر عن اقامة الصلوات،وخطب الجمعة،والسماح للخطيب المسلم بالدعاء لخليفة المسلمين على المنبر(**٨**)

وفي سياق اخر،انشأت الحكومة دواوين للتجارة البحرية في ثغري (هانج شو)و(منج شو) بناء على طلب التجار الاجانب لتوفير أسباب راحتهم(**٩**).

ونتيجة للرعاية والدعم الذي قدمته الحكومات الصينية من جانب،والخلافة الاسلامية من جانب اخر،ان ازدهرت وانتظمت الحركة التجارية بين الطرفين،وعلى وجه الخصوص منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.لذلك يقول أحد المؤرخين المحدثين؛ان السلع الصينية الواردة الى بغداد كانت كبيرة، كون الطرق مأمونة نسبيا.وهذا لايعني عدم تعرضها للقرصنة البحرية،مما تؤدي أحيانا الى ارتفاع أثمان السلع ببغداد(**١٠**) كما كان من الطبيعي ان تظهر اسماء في عالم التجارة.علما بأن هؤلاء كانوا دعاة في الوقت ذاته،نشروا الاسلام في كل مكان كانوا يحلون به..فيشار في هذا الصدد الى ابراهيم بن اسحق الصيني،وهو من الكوفة،كان يتجر الى الصين،فنسب اليها ،وغيره ممن سيرد ذكرهم في ثنايا هذا البحث.

الصادرات العربية الى الصين:

---

(١) الخيرو،٧٠.

(٢) HASAN,CHAN JU-KUO,P.101

(٣) الصيني،بدرالدين،((العلاقات بين العرب والصين))،ط١،مكتبة النهضة المصرية،٣٨،١٩٥٠.

(٤) السامر،ن.م،٣٥٥. حتي،فيليب،تاريخ العرب(المطول)،ترجمة ادور جرجي وجبرائيل جبور،دار الكشاف،ط٢،بيروت،١٩٥٢،٢/٤٢١.

(٥) الصيني،٣٨-٣٩.

(٦) مروج الذهب،١/١٠٤.الخيرو،١١٣.

(٧) المروزي،في الصين والترك والهند،نشره وترجمه وعلق عليه،ف.مينورسكي،لندن،١٩٤٢،ص٦٦.

(٨) السيرافي،أبو زيد الحسن(ت٢٦٧هـ/٨٨٠م)تحقيق سوفاجييه،ذيل رحلة سليمان التاجر،باريس،١٩٣٨،ص٧.السيرافي،سليمان التاجر(ت٢٣٧هـ/٨٥١م)،رحلة الى الصين والهند،سلسلة التواريخ،باريس،ص١٤.

(٩) chau ju-kua,pp.١٩-٢٠

(١٠) أسواق بغداد،ص٢٠٨.

ومنها؛العاج المستورد من افريقيا. والكهرب الفصوص الصقلبي(المستورد من منطقة البلطيق) (١) والكندر، والورس، والعقيق اليمني،ودرف السلاحف(الحنتو)، وقرن الكركدن، والكافور، والياقوت(الهندي والسرنديبي)، والتمور والمناديل والنبيذ والرصاص العراقي،ودهن البنفسج،وماء الورد،والحناء،وثياب الكتان الرفيعة،ولؤلؤ الخليج(الجيد)،والاقمشة الخشنة(شائعة الاستعمال)(٢)

الصادرات الصينية الى البلاد العربية:اشتهرت الصين بتصديرها لمادة المسك،وهو أجود أنواع المسك العالمية يومئذ من حيث رائحته الفواحة(٣) على أن هنالك نوع منه مخصوص بمنطقة (قنبار)بالصين عرف تجاريا بالمسك القنباري(٤)وشبيهه القنباري(٤)وشبيهه بالشهرة مسك التبت،نسبة الى منطقة التبت(٥). ويضاف الى ماذكر من الطيب مادة العود،والذي العود،والذي يستخدمه العرب في التزيين،وصناعة الادوية(٦). ان تلك الانواع العطرية كانت تصل الموانىء العربية في؛عمان،والعراق،وفارس(٧).وغني عن البيان، فقد اشتهرت الصين ولازالت بصناعة الخزف والفخار.فكانت مدينة وميناء(الزيتون) الصيني تصدر الفخار الذي كانت تصنع منه الاواني،وكان يطلق عليه(العضائر) (٨) كما استوردت البلاد البلاد الاسلامية السجاد الصيني(٩). أما الحريرالطبيعي، فهو ليس أقل شهرة من المواد المصدرة السابقة الى البلاد العربية.علما بأنه كان يباع في كل أنحاء العالم(١٠) اذ كانوا يرسلونه مع قوافل الجمال على طريق الحرير القديم،الذي يمتد حتى بغداد(١١) من هنا سمي بطريق الحرير البري أو طريق العطور البري(١٢) وحقيقة الامر ان الطريق البحري كان أكثرضمانا من الطريق البري،لتعرض سالكي الطريق الاخير للصوص وقطاع الطرق(١٣) .فضلا عن طول الطريق،وخصوصا مع العراق،اذ كانت الرحلة طويلة،وكثيرا ما أغلقت الحكومة الصينية الطرق المؤدية الى الصين للحد من أي تغلغل أجنبي(١٤) . ولذلك يقول المسعودي((ان بعض التجار يأتون من سمرقند الى البصرة ،ثم يبحرون باتجاه الصين)) (١٥) ورأى (ابن بطوطة) (١٦) خلال رحلته الى خوارزم،ان تجارة من حرير وأمتعة وماسواها من بضائع الصين،وصلت الى بلدة (اطرار)وهي اخر أعمال جلال الدين سنجر بن خوارزم شاه ملك خوارزم وخراسان وماوراء النهر.ان قائمة الصادرات الصينية طويلة.ففضلا عن الصادرات ذات الشهرة ،والتي مر ذكرها،فهناك مواد تجارية لاتقل شأنا عن سابقاتها.ومنها؛اللبود،والورق،والطواويس أنواع الطيور،والبراذين وحيوانات اخرى،والمداد،والدارصيني(١٧).كما كانت تأتي من الصين عبر البحر؛ الفرند، والكيخاو، والسوج،والسمور،

---

(١) مروج الذهب،١/٢٨٧.

(٢) ن.م

(٣) المسالك والممالك لابن خرداذبة،٧٠.

(٤) البلدان،لليعقوبي،ص٣٦٥.

(٥) الجاحظ،عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)،التبصر بالتجارة،نشره حسن حسني عبدالوهاب،دمشق، ١٩٣٢م،ص١٧./١١٩.

(٦) ابن خرداذبة،المسالك والممالك،ص٧٠.

(٧) مروج الذهب،للمسعودي،١/١١٩.

(٨) التبصر،للجاحظ،٢٦.

(٩) www.darah.org.sa

(١٠) مروج الذهب،١٠٤

(١١) الكمالي،اسراء محمد عبدالقادر،رحلات أمير بحر العرب الى جزر الشرق والصين،دار الشؤون الثقافية العامة،ط١،٢٠٠١م،ص١٦٠-١٦١.

(١٢) www.darah.org.sa

(١٣) الدوري،د.عبدالعزيز عبدالكريم الدوري،تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري،مطبعة المعارف،بغداد،١٩٤٨،ص١٥٣.

(١٤) ن.م

(١٥) مروج الذهب،١/٣٤٧-٣٤٩.

(١٦) رحلة ابن بطوطة،١/١٨١.

(١٧) التبصر بالتجارة،٣٦.المسالك،لابن خرداذبة،ص٧٠.

والخولنجان، والكافور(**١**).وكذلك؛ الدارفلفل، والنارجيل، والقاقلة، والبسباسة، والاهلــيلج، والابنــوس، والجوزبــوا، والقرنفــل، والكبابــة، والثيــاب المتخــذة مــن الحشــيش،والثياب العظيمــة المخملــة،وأنياب الفيلة،والرصـــاص القلعي،والقنا،والخيزران(**٢**).ان البضائع المذكورة كانت تصل ميناء عدن،والبحرين،وميناء الفرما بمصر،والجابية بالشام.

الموانيء الصينية:

١-كانتون:أوردته المصادر بصيغ مختلفة،منها؛خانقو أو خانفو.وهو الاسم العربي الذي اطلق في القرنيين الثالث والرابــع للهجرة على مدينة (كانتون)ميناء الصين الواقعة على مصب نهر (سيكاينغ) (**٣**) وهو مرفأ عظيم تقع على خور من البحر البحر الاعظم تدخل فيه المراكب(**٤**) وكان المركز الرئيسي للتجارة العربية مع الصين،فهي((مرفأ السفن ومجمع تجارات تجارات العرب وأهل الصين)).وتصلها سفن سيراف،وعمان،والبصرة،محملة بالتجارات والامتعة،وتفرغ حمولاتها هناك(**٥**) هناك(**٥**) .

وكانت فيه جالية اسلامية كبيرة منذ وقت مبكر من تاريخ الاسلام.وأصبحوا من الكثرة-ولســبب لانعرفــه-فــأحرقوا المدينة،ونهبوا مافيها،وفروا بحرا(**٦**) .

٢-خانجو:تقع على خور من البحر،وتماثل كانتون من حيث السعة(**٧**) .وفيهــا أنــواع الحيوانــات الــتي لم يألفهــا العرب،مثل؛الفيلة،والكركدن،والزرافة(**٨**) .فيما كانت تنتج أنواعا منالخشب،مثل؛الساج،والصندل،والخيزران.فضلا عــن الكافور،والتوابل(**٩**) .

٣-الزيتون: أو زايكون،وتقع شمال كانتون(**١٠**) .وسماها ابن بطوطة الزيتون،وقال عن مينائها((مرساها من أعظم مراسي الدنيا أو هو أعظمها...)) (**١١**) والاسم الاخير يتطابق مع مدينة(توان-تشاو-فو) أو(تيوشان-تشو-فــو)حاليا،وتبعــد مسيرة ٢٧يوما شمال كانتون(**١٢**) .

تقع الزيتون على مصب نهر يانج-تسي أو كيانج،والذي وصف بشدة عمقه,صلاحيته للملاحة وللسفن الضــخمة،حيث تنشط فيه حركة السفن(**١٣**) وينقل احد الرحالة الاجانب مشاهداته عن تلك الســفن الضــخمة والمحملــة بالبضــائع الكبيرة،وفيها الفلفل المعد للتصديرالى العرب،كما أن فيها خلق من التجار(**١٤**).

٤-كلابار:ميناء على الساحل الغربي لشبه جزيرة(ملغا)أو (ملاكة) (**١٥**) .وهو ميناء محصور بين كــل مــن جزيــرتي سومطرة وشبه جزيرتي الملايو(كلة عند المؤرخين العرب)تجتمع فيها كل التجارات الواردة من الصين ومايجاورها،والمتجهة

---

(١) ن.م

(٢) الادريسي، محمد الشريف(ت٥٦٠هــ/١١٦٤م)،نزهة المشتاق في اختراق الافاق،مطبعة بريل،ليدن،١٤/١.

(٣) الندوي،معين الدين،معجم الامكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر،دار المعارف،حيدرآباد الدكن،١٩٣٤م،٤٦٨/١.

(٤) مروج الذهب،١٠٤/١.

(٥) ن.م

(٦) ن ، م

(٧) المسالك،لابن خرداذبة،ص٦٨.

(٨) ن.م

(٩) ن,م

(١٠) رحلة ابن بطوطة،٦٣٤.

(١١) ن.م

(١٢) السيد،د.احمد علي، مشاهدات أودوريك دوبوردنون الفرنسيكاني في الصين(ت٧٣١هــ/١٣٣١م)،دار المعرفة الجامعية،١٩٩٠،ص٢٢.

(١٣) ن.م

(١٤) وود،فرنسيس،رحلة ماركوبولو،ترجمة فاضل جتكر،مراجعة زياد منى،قدمس للنشر والتوزيع،دمشق-سورية،ص٢٥٤.

(١٥) الدوري،١٦٤.

الى الهندومابعدها،والعكس ايضا(١) وقد أخذ بالظهور بعد مجزرة كانتون،نتيجة حرب أهلية حدثت هناك عام ٢٦٥هـ ٢٦٥هـ ، و راح ضحيتها عدد كبير من تجار مسلمين ويهود ونصارى ومجوس(٢) .

موقعه متحكم في تجارة بحري الصين الجنوبي والشرقي،وكذلك بحر اليابان،وبحر جاوة،وبحر اندمان،وهو بذلك يماثل موقع عدن عند مدخل البحر الاحمر(٣) .

الموانيء العربية والاسلامية:

١-عمان:وهي فرضة الصين،وبها مرفأ الصين(٤) وتكفي الاشارة الى أن الضريبة المستحقة على سلعة واحدة من التجار العمانيين بلغت مليون درهم ونيف،وأنه باع من المسك دفعة واحدة ماقيمته مائة ألف مثقال،وبردا بأربعين ألف دينار،وبضاعات أخرى بالاف الدنانير،وكان ذلك في بداية القرن الرابع الهجري(٥) ويشار ايضا الى تاجر عماني جاء ببضاعة من الصين وهي المسك وبقيمة مليون دينار وثياب وحرير،وجواهر،وأحجار(٦).

٢-صحار:((خزانة الشرق ودهليز الصين ومغوثة اليمن)) (٧) .وبلغت اوج ازدهارها في القرن الرابع حتى القرن السابع السابع الهجري(٨) ٣-زبيد:ميناء باليمن،وكانت تصله هدايا صاحب الصين(٩)

٤-عدن:أيضا ميناء يمني،وهو ساحل صنعاء،وبها مرفأ مراكب الصين(١٠) ومدينة عدن صغيرة اكتسبت شهرتها كونها مرسى البحرين،ومنها تسافر مراكب السند والهند والصين،واليها يجلب متاع الصين(١١).

٥-سيراف:احتلت مكان البصرة نتيجة ثورة الزنج.فأصبحت تصلها السفن التجارية من الصين والهند واليمن ومسقط وأفريقيا(١٢) .وقد بلغت سيراف مبلغا من الغنى والثراء نتيجة النشاط التجاري،ثم اضمحلت في ٣٦٧هـ بسبب زلزال أصابها(١٣) ٦-الفرما:ميناء مصر على بحر القلزم(الاحمر).والذي كان يزود مناطق مكة والمدينة،وبقية مدن الساحل بالبضائع التجارية.وكانت توافيه المراكب وهي محملة بالعطور والجواهر والطرائف(١٤) .٧-ماسة:وهي من أعمال (أغمات)بالسودان الغربي(١٥) .((وماسة قرية على البحر،تحمل اليها التجارات،وفيها المسجد المعروف بمسجد(بهلول)،وفيه الرباط على ساحل البحر،ويلقي البحر عند مسجد بهلول المراكب الخيطية ،التي تعمل بالابلة،التي يركب فيها الى الصين))(١٦) .

أعلام من التجار العرب المسلمين

١-ابراهيم بن اسحق الصيني:تاجر من الكوفة،كان يتجر الى الصين فنسب اليها(١٧).

---

(١) شوقي،٩٥.

(٢) الدوري،ن.م،١٤٦.

(٣) شوقي،ن,م،١٩٦.

(٤) مروج الذهب،ذ١٠٥.الحميري،محمد بن عبدالمنعم(ت٩١٠هـ/١٢١٣م)،الروض المعطار في خبر الاقطار،تحقيق:احسان عباس،دار القلم،لبنان،١،١٩٧٥/٤١٣.

(٥) بزرك،عجائب الهند،١٠١-١٠٢.

(٦) ن.م

(٧) صحار عبر التاريخ،حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الادبي في صحار،ط١،لسنة ٢٠٠٠م،ص٩٥.

(٨) شوقي،١٧٧.

(٩) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية،٨٧/١.

(١٠) البلدان،لليعقوبي،٢٥/١.

(١١) نزهة المشتاق،١٤/١.

(١٢) شوقي،١٦٩.

(١٣) ن.م

(١٤) المسالك ،لابن خرداذبة،١٧/١.

(١٥) البلدان،لليعقوبي،٥٠/١.

(١٦) ن.م

(١٧) معجم البلدان،٤٤٩/٧.

٢-علي بن منصورالكربلائي:ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته الى الصين؛أنه التقى تاجرا عراقيا مقيما بالصين، من أهل كربلاء اسمه علي بن منصور،وصفه بالشرف واالكرم والضيافة، لما قدمه من حسن استقبال وضيافة(**١**).

ومن الجدير بالذكر،ان التاجر العراقي كان بمهمة تجارية في خوارزم،وقد رافق ابن بطوطة في رحلته الى الصين مع مجموعة عراقية من أقاربه قادمة من كربلاء.وعن سفر هؤلاء يوضح ابن بطوطة؛ان التاجر الكربلائي عزم على مصاحبتي الى بلاد الهند(اكراما لابن بطوطة)غير ان((جماعة من أهل بلده وصلوا الى خوارزم برسم السفر الى الصين،فأخذ في السفر معهم...وسافر معهم الى الصين))(**٢**). ويواصل ابن بطوطة حديثه،بأن التاجر العراقي أقام في مدينة (المالق)وهي أول بلاد بلاد الصين،وأقام معه تجار من أهل بلده بعد ان وصلوا المدينة،ونزلوا معه في فندق واحد(**٣**). ومن اللافت للنظر،ان تجارا تجارا من دمشق كانوا هناك،بحيث استقرض منهم التاجر الكربلائي ستة الاف درهم(**٤**). وتذكر احدى الروايات؛ان تاجرا عراقيا أقام مدة في سمرقند ثم سافر الى الصين للتجارة الا انه تعرض للمساومة في البورصة التجارية،وتقدم الى الملك بظلامته لانصافه،فأنصفه(**٥**).

٣-عبدالعزيز بن منصور الحلبي:ومن لقبه فهو منسوب الى مدينة حلب بالشام.ويبدو أنه من التجار الكبار.فقدم لنا صاحب كتاب(العقود اللؤلؤية)(**٦**) من خلال صفقة هذا التاجر، صورة عن طبيعة التجارة الصينية وأصنافها الواردة الى الى بلاد العرب.ويبدو أن هذا التاجر كان يمثل صورة التاجر (المثالي) للتاجر العربي المسلم في أخلاقه وفي صنوف بضاعته.فلما وصل الى مرفأ (عدن-ظفار)أكرمه السلطان بتوجيه موظفي الميناء لاحترامه وا جلاله(**٧**) .وكان معه من صنوف التجارة كميات كبيرة فضلا عن نوعيتها.فنذكر منها؛كان معه من الحرير ثلاثمائة بهار،ومن المسك المفرغ في أواني الرصاص أربعمائة وخمسين رطلا،ومن الفخار جملة مستكثرة،ومن الاواني الشم المطعمة بالذهب من الصحون الكبار جملة جيدة،ومن الثياب المختلفة الالوان مثل ذلك. وكانت الضريبة على هذه البضاعة ماقيمته ثلاثمائة ألف درهم(**٨**) .ولنا ان نتدبر في حجم وقيمة البضاعة من خلال مقدار البضاعة. فغادر التاجر الحلبي عدن وأخذ طريقه الى مصر حيث ميناء (صور)(**٩**) .

٤-عبدالرحمن المغربي:من أهل المغرب،كان تاجرا كبيرا مقيما بالصين وبجزائرها مدة طويلة.وكان هذا الرجل يعرف بالصيني لكثرة اقامته هناك(**١٠**).

٥-السليط العامري: هو السليط بن سبيع من بني عامر.يروي عن نفسه((كنت تاجرا وكان أكثر تجارتي في البحر فركبت من ذلك الى بلاد الصين))(**١١**) .

٦-ابو الحسن سعد الخير الاندلسي:بن محمد بن سهل بن سعد الانصاري الاندلسي.كان فقيها صالحا،وتاجرا كبيرا(ت٥٤١هـ).يقول ياقوت الحموي عنه((كان يكتب لنفسه الصيني لانه كان قد سافر من المغرب الى الصين))(**١٢**)

الهوامش والمصادر ملاحظة:استغنينا عن افراد قائمة بالمصادروالمراجع،وذلك لورود تفاصيلها هنا،لذا اقتضى التنويه.

---

(١) رحلة ابن بطوطة،٨٠/١.
(٢) ن.م
(٣) ن.م
(٤) ن.م
(٥) رحلات أمير بحر العرب،١٧١-١٧٣.
(٦) العقود اللؤلؤية،١٤٠/١.
(٧) ن،م
(٨) ن.م
(٩) ن.م
(١٠) خريدة العجائب،٤٨/١.
(١١) تاريخ مدينة دمشق،١٢/٣٨.
(١٢) معجم البلدان،٣٣١/١

تشنغ خه رسول السلام من الصين

郑和航海是中国向世界传达的和平使命

د. أسامة عبد السلام محمد منصور

المقدمة

الصين .. عندما ينطق هذاالاسم يتبادر إلى الذهن أمور كثيرة منهاحضارة عريقة عمرها آلاف السنينالسور العظيم الخالد والقصور الإمبراطورية العتيقة والباغودات الساحرة الفريدة الطرازأرض شاسعة ممتدة تحوى متاحف من البيئات الجغرافية والحدائق النباتية المترامية الأطرافإنسان أريب ذكى مهذب بارع فى كل شيىء من الفنون والزراعة والصناعة والتجارة وغيرهاأرض الحريرو الشاى والبورسلين ، ومنشأ صناعة الورق وفن الطباعة ركيزتى الثقافة والعلم .أرض الحشود البشرية الهائلة ، والقوميات المتعددة المنصهرة فى بوتقة واحدة رغم سماتها المختلفة .

ونحن اليوم بصدد الحديث عن إحدى منجزات هذا البلد ألا وهى رحلات البحار الصينى المسلم "تشنغ خه " هذا البحار الذى خرج بتكليف من حكومة أسرة مينغ للقيام بسبع رحلات بحرية إلى المحيط الهندى والمحيط الهادى فى الفترة من ١٤٠٥ حتى١٤٣٣ قاد فيها أسطولاً ضخماً ، استطاع به الوصول إلى جنوب شرق آسيا وبلدان المحيط الهندى ، والجزيرة العربية ، وساحل إفريقيا الشرقى زار خلالها أكثر من ثلاثين بلداً ، وذلك بهدف دفع الدبلوماسية السلمية ، وتوسيع التجارة مع البلدان الأجنبية والتى كانت قد توقفت منذ دخول المغول الصين عام ١٢٧١ ، وكذلك استكشاف البحار و البلاد المختلفة ، ونشر ثقافة الصين ، والدعوة للتعايش السلمى العالمى .

وقد احتفلت الصين فى يوليو ٢٠٠٥ بمرور ستمائة سنة على بدء رحلات تشنغ خه ، وقد لفت هذا الاحتفال انظار العالم إلى الصين وإلى هذه الشخصية التى ربما لم تكن معروفة قبل ذلك لدى الكثير من سكان المعمورة ، ودفع العديد من الهيئات العلمية والباحثين فى مختلف دول العالم إلى محاولة البحث عن تاريخ هذه الرحلات ، واستكشاف شخصية هذا البحار العظيم.

وهذا البحث هو محاولة متواضعة لطرق هذا الباب وأرجو أن أوفق فى ابراز حقيقة رحلات تشنغ خة وتاريخها ، ولا أدعى ان هذا البحث قد سبر غور هذا الموضوع وإنما أرجو ان يفتح هذا العمل الباب لباحثين أفضل وأساتذة أقدر على الكتابة فيه.

سيرة تشنغ خه

ولد تشنغ خه عام ١٣٧١م فى كونيتنغ (محافظة جيننغ فى إقليم يونان جنوب الصين)(١) وهو ينتمى إلى أسرة إسلامية من قومية هوى (٢) واسم عائلته (ما) وكان يدعى (ماخه)، ويلقب أيضاً بـ " سان باو " ويقال انه من أحفاد السيد (بيان) الذى كان حاكماً على ولاية (يونان) فى عهد المغول وقد سافر والده وجده لأداء فريضة الحج(١) .

---

(١) **مقاطعة يونان Yunan** " جنوب الجبال" تقع فى جنوب غرب الصين ، وترجع تسميتها لكونها تقع جنوب جبال " ينولينغ " ، وتزيد مساحتها عن ٣٩٠,٠٠٠ كم مربع ، وتشتهر بالثروات المعدنية ، وبوفرة المحاصيل الزراعية ، ويقطنها عدد كبير من القوميات الصينية المختلفة ، ومن أهم مدنها : كونيمينغ ، دونغتشوان .

للمزيد انظر : شيوى قوانغ : جغرافيا الصين ، ترجمة محمد أبوجراد ، دار النشر باللغات الأجنبية ،بكين ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ ، صـ١٦١ .

(٢) **قومية هوى Hui** : هى اكبر القوميات المسلمة العشر فى الصين " هوى ، الويغور ، القازاق ، القرغيز ، الأوزبك ، التتار ، الطاجيك ، الباوآن ، السالار ، الدونغشيانغ " وهى قومية كبيرة نسبياً من حيث تعداد سكانها من بين القوميات الست والخمسين فى الصين ، وينتشر ابنائها فى جميع انحاء الصين تقريباً ، ويعيش ٦٨بالمائة منهم فى مقاطعات : نينغشيا ، قانسو ، تشينغهاى ، خنان ، شاندونغ ، بالإضافة إلى المدن الكبرى مثل بكين ، شانغهاى ، تيانجين وغيرها.

للمزيد انظر : تشو يوان : القوميات المسلمة فى الصين ، ترجمة وجيه هواى وى تشينغ ، دار النشر باللغات الجنبية ، بكين ، الطبعة الأولى ١٩٨٨، صـ٧ .

وفى عام ١٣٨٢ وعندما كان (ماخه) فى الثانية عشر من عمره سقط آخر معاقل جيش أسرة يوان المغولية (٢) فى يونان ، ووقع (ماخه)فى الأسر ؛ فاخذ ليعمل فى قصر الأمير (تشو دى) أحد أمراء الأسرة الحاكمة(٣) .

وخلال الحملات التى قادها قوات أسرة مينغ (٤) للسيطرة على مناطق الصين ، كانوا يحرصون على جمع عدد كبير من الفتيان ؛ ليعملو فى القصور الإمبراطورية فى فئة الخصيان، وكان اختيارهم يقع على الأطفال الذين تبدو عليهم علامات الذكاء والنبوغ ، ومن يتمتعون ببنية قوية ، ثم يتم خصيهم ؛ لينضموا للخدمة فى القصور الإمبراطورية ، وكان هذا الإجراء كثيراً ما يودى بحياة عدد كبير منهم ، أما من كتب لهم النجاة ، فكان يتم توزيعهم على القصور الإمبراطورية(٥) .

وكان (ماخه) من هؤلاء الذين كتب لهم النجاة ، فحمل ليعمل فى قصر الأمير (تشو دى)، ورغم ان الخصيان كانوا من ادنى الفئات مكانة فى المجتمع الصينى ،إلا مهارات ونبوغ (ما خه)؛ لفتت أنظار أميره فقربه منه وغمره برعايته (٦) .

وقد أظهر (ما خه) مواهب عديدة فى الحروب التى شنها أميره لمحاولة السيطرة على العرش وبرزت كفاءته ، وساهم بقدر كبير فى انتصار الأمير فى حروبه الداخلية واستيلائه على العرش ؛ فحظى باعجاب وتقدير اميره والذى فور توليه العرش عام ١٤٠٣م كافىء كل من ساعده ورقاهم إلى أعلى المراتب وكان منهم (ما خه) الذى حظى بأرفع تكريم ربما لم يحصل عليه احد من زملاءة ومنحه الإمبراطور أسماً صينياً هو (تشنغ)، فاصبح اسمه (تشنغ خه) (٧).

لقد ساعدت الظروف (تشنغ خه) فى أن يصل إلى ما وصل إليه فى غضون سنوات قليلة ،فقد نجا فى صغره من الموت ،ثم انتقل ليعمل فى قصر الأمير تشو دى ، والذى كان طموحاً جداً ويسعى للسيطرة على العرش ، ثم اتيحت له فرص كثيرة لإظهار مواهبه وقدراته ، فأصبح من أهم معاونى أميره ، وحظى بفرص كثيرة للتعامل مع كبار موظفى الطبقة الحاكمة ،فاتسع بعد نظره ،وازدادت معارفه ، هذا إلى جانب استقامته وامانته واستعداده للتعلم واكتساب مهارة إدارة الشؤون السياسية والعسكرية ، وأساليب معالجة المشاكل المختلفة ؛ وهذا كله جعل الإمبراطور تشودى والذى لقب بـ(يونغ لى) وتعنى (السعادة الأبدية)، يضع اول اختياره عليه ليقود الرحلات البحرية العظيمة.

---

(١) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيا مين ، المركز العربى للمعلومات ، بكين ،٢٠٠٤، صـ٤٤ .

(٢) أسرة يوان (١٢٧١-١٣٦٨) : هى أسرة مغولية حكمت الصن قرابة قرن من الزمان ، مؤسسها هو "قوبيلاى خان "(١٢١٤ – ١٢٩٤) أحد احفاد جنكيز خان ، والذى استطاع الاستيلاء على الصين ، ولمتاز حكمه بالقوة والصرامة ، لكنه ترك خلفاء ضعفاء ، فضعفت الدولة وتفككت عراها ، واستطاع جيش اسرة مينغ القضاء عليها عام ١٣٦٨م .

للمزيد فضلاً انظر : تاريخ الصين ، سلسلة سور الصين العظيم ، دار بناء الصين للنشر ، بكين ، الطبعة الأولى ١٩٨٧، الجزء الثانى ، صـ٣٢ .

(٣) محمود يوسف لى هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة فى الصين ، دار الهلال الأزرق ، هونج كونج ، الطبعة الولى ،٢٠٠٣، صـ٤٤ .

(٤) **أسرة مينغ(١٣٦٨-١٦٤٤م/٧٧٠-١٥٠٤هـ)**: هي أسرة صينية تولت حكم الصين حوالي ٢٧٦ سنة بعد انتفاضات عديدة شهدها المقاطعات الصينية ضد حكم أسرة يوان نتيجة انتشار الفساد، وسوء معاملة الفلاحين والحرفيين، وقد قاد هذه الانتفاضة تشو يوان تشانغ (١٣٢٨-١٣٩٨م) واستطاع القضاء على أسرة يوان، وتأسيس أسرة مينغ، وتلقب بـ"مينغ تاي تسو"... وقد شهد عهد هذه الأسرة تقدمًا اقتصاديًا، شمل مجالي الزراعة والصناعة، كما شهد تقدمًا في مجالات العلوم والثقافة، وظهور مفكرين حاذوا شهرة واسعة مثل لي تشي (١٥٢٧ – ١٦٠٢م) و"هوانغ تسونغ سي" (١٦١٠-١٦٩٥م)، و" وانغ قو شي " (١٦١٩ – ١٦٩٢م).

للمزيد انظر: تاريخ الصين : سلسلة سور الصين العظيم ، صـ٣٨ .

(5) Arnold Schrier : The Eunch and the Giraffe ,world history bulletion ,Social scienes and philosophy , Arkan Tach Univeresity , 2007 , p 11.

(٦) محمود يوسف لى هواين ، المرجع السابق ، صـ٤٤ .

(٧) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـ٤٤ .

وقد كان (تشنغ خه) يتمتع بصفات شخصية وجسمانية تؤهله للترقى والقيادة ، فإلى جانب ذكائه وكفاءته ومواهبه ،كان قوى البنية ،جوهرى الصوت ،واسع العينيين ،إذا أقدم يبدو كالنمر فى قوته وثقته بنفسه.

كل هذا إضافة إلى ما قام به من دفاع واستبسال مع أميره ؛ دفعه فور توليه العرش ان يرقيه ويسند إليه مهمة قيـادة الأسطول البحرى الضخم ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى يحظى فيها أحد الخصيان بهذه المكانة القوية وهذه السـلطة العظيمة(١).

الخلفية السياسية والاجتماعية لرحلات تشنغ خه

يعتبر المؤرخون أن عصر اسرة مينغ (١٣٦٨–١٦٤٤) من أزهى العصور الإمبراطورية التى عاشتها الصين على مـدى تاريخها الطويل ، فقد شهد هذا العصر نهضة على مستويات وقطاعات مختلفة ، زراعية وصناعية وتجارية غيرها ، وكـان عصر (منج)هو العصر الوحيد بعد عصر (تانج) (٢) الذى شهد توحد الصين تحت حكم وطنى .

فبعد ان استولى (تشو يوان تشانغ) (٣) على السلطة ، واصبح اول امبراطور للمنج ؛ سمى نفسه "منج تاى تسـو" ولقب بـ"هوانج وو " ، كان النهوض بالزراعة أمراً ملحاً للغاية ، خاصة فى شمال الصين ، حيث الأراضى الـتى عمـد المغول لتركها بوراً ، فظلت على مدى عدة عقود تعانى من القحط المتكرر ، ولتشجيع استصـلاح الأراضـى ؛ مـنح الفلاحون الأراضى كملكية خاصة لهم ،بالإضافة إلى منحهم إعفاءاً ضريبياًعلى هذه الأرض لمدة ثلاث سنوات وتم إعداد سجلات خاصة للأراضى وإعادة النظر فى الضرائب مرة اخرى (٤) .

كما ارسل "هونج وو" الموظفين إلى الولايات والمحافظات لعمل مسح كامل للأراضى الزراعية ،وكـذلك حصـر الأراضى التى حازها كبار الملاك والإقطاعيين والعتاة المحليين وإجبارهم على دفع الضرائب المتأخرة ؛ فـازدادت دخـول الحكومة وبدأ القطاع الزراعى يرى طريقه للإزدهار (٥) .

أما بالنسبة للصناعة ،فقد صدر مرسوم للفلاحين بضرورة زراعة نسبة من الأراضى بالمحاصيل النقدية ،كأشجار التوت من أجل الحرير ، والقطن والقنب وغيرها من المحاصيل ، وقد ساعد هذا العمل على توفير المواد الخام لصناعة المنسوجات ، وكذلك زيادة مصادر دخول الفلاحين ، كما قررت الحكومة ان يدفع الصانع قدراً من الفضة بدلاً من الخدمة فى العاصمة ــ كان القانون قبل ذلك يقضى بان يعمل الصانع إجبارياً فترة ثلاث سنوات اوتزيد فى العاصمة الإمبراطورية ــ وسمحت للصانع ان يبيع منتجاته حيث شاء ؛ فنشطت حركة الصناع ، وارتفع الإنتاج ارتفاعاً ملحوظاً (٦) .

---

(1)ZHeng HE,S voyages Down The Westren Seas , complited by the information office of the people,s Gavernement of Fu Jian provinc , China intercontinental press, .8 .

(٢) أسرة تانغ (٦١٨–٩٠٧م) : هي أسرة صينية تأسست على يد موظف عام يدعى (لي يوان Li Yuan) ومعه ابنه الطموح الذي يدعى (لي جيه من Li Chih Min)، الذي استولى على العاصمة تشانغآن، وفي العام التالي أعلن قيام أسرة تانغ. وقد عرف عهد هذه الأسـرة بالعهد الذهبي، حيث حافظ أباطرة هذه أسرة على حدود الصين، كما شهد عهدها نهضة اقتصادية وعلمية وثقافية كبرى.

انظر : جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ص ٨٧ .

(٣) ا تشو يوان تشانغ (١٣٢٨–١٣٩٨م): أول أباطرة أسرة مينغ ، ومؤسس الأسرة ، كان فلاحًا أجيرًا، ثم التحق بجيش الشالات الحمـر (جيش الفلاحين الذي ذهب للقضاء على حكم المغول) تحت قيادة " قو تسي شينغ"، ثم تولى هو القيادة بعد وفاة القائد "قو"، وزحف بقواته العسكرية إلى جنوب نهر اليانغتسي، واستولى على مدينة "تشيننغ" عام ١٣٥٦، وحول اسمها إلى "نيغتان" –نانيكن حاليًا–، واعتلـى العـرش بصفته إمبراطور لأسرة مينغ عام ١٣٦٨ ، وتلقب بـ " مينغ تاي تسو ".

للمزيد انظر : تاريخ الصين ، سلسلة كتب سور الصين العظيم ، جـ ٢ ، ص ٤٠ .

(٤) هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن العشرين ، ترجمة أشرف كيلانى ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ ، صـ٢٥٠

(٥) تاريخ الصين ، سلسلة كتب سور الصين العظيم ، جـ ٢ ، ص ٤٨

(٦) نفسه ، الصفحة نفسها

لقد كان هذا التساهل مع الصناع من جانب حكومة مينغ سبباً فى زيادة المنتجات وجودة نوعيتها ، فاشتهرت اسرة مينغ بمنسوجاتها المميزة وبخزفياتها الجميلة ، ناهيك عن باقى الصناعات (١) .

وبالطبع كان للنهوض بمجالى الزراعة والصناعة اثرة فى زيادة النشاط التجارى وخاصة التجارة الداخلية وذلك لأن علاقات الصين التجارية مع جيرانها والبلدان الأخرى كانت ضعيفة فى تلك الفترة ؛ لذلك كان التفكير موجها فى المرحلة التالية لتطوير التجارة الخارجية ، وهذا لم يكن ليتم إلا فى ظل قوة سياسية وعسكرية تحمى هذه التجارة وتبسط الأمن والسكينة فى ربوع البلاد ؛ لذلك ما أن اطمئن الإمبراطور " يونغ لى " لاستتباب الأمن فى أنحاء الإمبراطورية ؛ حتى شرع فى الإعداد للرحلات الكبيرة .

لكن البعض يتسال عن الدافع الرئيسى وراء هذا التجهيز والإعداد القوى لهذه الرحلات !!

أسباب ودوافع رحلات تشنغ خه

اختلفت المصادر التاريخية فيما بينها حول الدافع الحقيقى وراء رحلات تسنغ خه ، فارتبط بعضها بالظروف التاريخية فى تلك الفترة والبعض الآخر باعتقادات صينية موروثة ظلت عالقة فى ذهن الصينيين لفترات طويلة .

فتذكر المصادر الصينية انه " منذ اواخر عهد الإمبراطور "هونج وو"(١٣٦٨ـــ ١٣٩٨) بدأ التحريم الصارم للتجارة الخارجية ــ والذى مارسه منذ بداية حكمه ــ يسفر عن عواقب وخيمة ، فلم تعد البلاد الأجنبية تقدم الجزية للبلاط الصينى ، وأخذت مكانة الصين فى الهبوط ، ولما استولى الأمير "تشو دى "على العرش ؛ قرر أن يغير هذا الوضع ، فأمر تشنغ خه بالإبحار إلى المحيط الهندى وهدفه الرئيسى أن يستعيد اتصالات الصين بالبلدان الآسيوية والأفريقية بما فيها البلدان العربية ؛ ليجدد هيبة أسرة مينغ ، ويعزز سلطتها الإمبراطورية ويجلب فى نفس الوقت البضائع عن طريق التجارة البحرية ؛ "(٢).

اما " سيرة تشنغ خه " من " تاريخ مينغ" فتذكر : "امر الإمبراطور "يونغ لى " تشنغ خه وغيره فى يونيو ١٤٠٥ بالإبحارإلى المحيط الغربى (الهندى) ؛ لاقتفاء أثر الإمبراطور "هو دى " ـــ الوريث الشرعى للعرش ـــ والذى خيل إليه انه هرب إلى ما وراء البحار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إظهار جبروت سلاحه ويسر بلده وقوتها من جهة أخرى "(٣).

إذا نظرنا للأسباب السابقة ، نرى أن بعضها يمكن أن يكون مقبولاً تاريخياً خاصة فيما يتعلق بمحاوله إمبراطور مينغ بناء علاقات تجارية واقتصادية مع بلدان آسيا وإفريقيا ، وأيضاً محاولة إظهار قوة وعظمة أسرة مينغ ، كذلك من المقبول أيضاً ان يكون احد أسباب هذه الرحلات هو تعقب وريث العرش الهارب .

اما ما يخص توقف البلدان الأجنبية عن إرسال الجزية ،وأن هذه الرحلات قامت لإرغام هذه البلدان على إعادة إرسال الجزية مرة اخرى ، فهذا أمر غير واقعى ، وهو يعود فى الأصل إلى اعتقاد قديم عند الصينيين ، فحواه أن الصين هى مركز العالم ، وأن باقى البلاد تدور فى فلكها ، وحاكمها هو ابن السماء ؛ الذى تخضع له جميع البلاد ، وتقدم له فروض الولاء والطاعة ، وعليها أن ترسل له الجزية باستمرار.والمتأمل لمعنى كلمة الصين فى اللغة الصينية يفهم ذلك ،فهى تسمى "جونج جوا " " Zhong gua " (中国) وتعنى " المملكة الوسطى "كذلك فإن خريطة العالم التى يرسمها الصينيون تختلف عن نظيرتها المتعارف عليها عالمياً ، فالخريطة الصينية تجعل الصين فى منتصف العالم يحدها العالم القديم (آسيا وإفريقيا واوربا) من الغرب والعالم الجديد (الأمريكتين) من الشرق . وقد ظل هذا الاعتقاد سارياً حتى وقت قريب .

---

(١) هيلدا هوخام ، تاريخ الصين ، صـــ٢٥١ .

(٢) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـــ٤٤ .

(٣) ابراهيم فنغ جين يوان ، الإسلام فى الصين ، تعريب محمود يوسف لى هواين ، دار الهلال الأزرق ، هونج كونج ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ ،صـــ١٣١ .

لكن دعنا نناقش الأسباب والدوافع التى تبدو واقعية ، والتى تدل عليها الظروف التاريخية فى ذلك الوقت ، فبالإضافة إلى النهضة التى شهدتها الصين فى بداية أسرة مينغ ، كان الإمبراطور "يونغ لى " كما تصفه المصادر التاريخية ، رجلاً لديه ثقة كبيرة فى نفسه ، وطموح وأحياناً غرور شديد ، وكان يسعى للشهرة والعظمة ، ولم يكن يريد استعراض قوة دولته وثروتها فقط ، بل أراد أن يبنى تحالفاً قوياً . وكان برنامجه الطموح يهدف إلى بناء علاقات قوية مع بلدان العالم المعروف وقتها ؛ لذلك احتاج إلى اسطول يؤثر ويخّوف ولواحتاج ليرهب كل من يحاول الوقوف فى وجه الصين (١) .

ويبدو ان هذا الفكر لم يكن لدى الإمبراطور "يونغ لى " بل كان راسخاً عند سلفه الإمبراطور "هونج وو"(٢) .

فعلى الرغم من العزلة التى فرضها "هونغ وو" فى بداية عهده، وتحريمه للتعاملات الخارجية ، إلا ان السنوات الأخيرة من حكمه شهدت بدأ صلات تجارية مع بلدان كثيرة ، حيث سعى لتطوير علاقاته مع الدول الأجنبية او بمعنى أدق إحياء هذه العلاقات . ففى عام١٣٩٣ أرسلت جاوة بعثة إلى الصين ثم تلتها بعثة أخرى فى العام التالى ، وفى عام ١٣٩٧ أرسلت تشامبا بعثة إلى الصين . وقد وضح من المعلومات الواردة فى سجلات أسرة مينغ أن الإمبراطور "هونج وو" كان عازماً على تغيير سياسته كلية ،حيث كان يهتم بمعرفة الأوضاع الجارية فى الدول التى بدأ معها علاقات تجارية ، وكان يسعى دائماً للوقوف على كل جديد فيما يتعلق بهذه الدول . وقد بدأ فى عام ١٣٩٨ فى إعداد بعثات لعدد من الدول فى جنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهندى ، إلا ان القدر لم يمهله وتوفى قبل إرسال هذه البعثات بأيام قليلة (٣).

وقد استكمل خلفه ما بدأه "هونج وو" فشهدت الفترة من اكتوبر ١٤٠٢حتى اكتوبر ١٤٠٣ أربع عشرة بعثة ما بين بعثات مرسلة من الصين واخرى قادمة إليها ، شملت هذه البعثات بلدان " سيام ، جاوة ، اليابان ، سومطرة ، تشامبا ، كمبوديا ، بوريو ، مالقا " (٤).

لذلك ما أن تولى " يونغ لى " الحكم شرع فى السير على طريق سابقيه من ضرورة تطوير العلاقات التجارية والدبلوماسية مع جيرانه ، حتى ان المصادر تذكر أن الفترة من يوليو حتى نوفمبر ١٤٠٥شهدت إرسال واستقبال ثمانى عشرة بعثة من الدول سابقة الذكر (٥) .

مما سبق يتضح لنا ان قرار إرسال الرحلات لم يكن بالأمر المفاجىء او الغريب على الصين فى ذلك الوقت ، وإنما كانت إرهاصات هذا الامر قد بدأت فى أواخر عهد "هونج وو " وأن قرار إرسال هذه الرحلات ذات الإمكانيات الكبيرة فقط يحتاج إلى إمبراطور لديه الجرأة والشجاعة وبعد النظر ، وقد كان "يونغ لى " هو صاحب هذه الصفات ؛ فكان القرار .

---

(1) Arnold Schrier : The Eunch and the Giraffe , p . 11 ., ZHeng He,S voyages Down The Westren Seas , p .9

(٢) سعى "هونج وو " منذ توليه الحكم إلى الحصول على اعتراف من الدول الأجنبية بدولته ؛ لذلك أصدر بياناً رسمياً جاء فيه : " منذ أن فقدت أسرة السونج العرش وقطعت السماء قربانهم خرجت أسرة اليوان من الصحراء لتدخل الصين وتحكمها لأكثر من مائة عام ، وعندما سئمت السماء سوء حكمهم وفسادهم جعلت مصيرهم الخراب والدمار أيضاً جزاءً لهم وظلت شؤون الصين فى حالة من الفوضى على مدى ثمانية عشر عاماً ، ولكن عندما بدأت الأمة فى النهوض من كبوتها رأينا نحن الفلاح البسيط ان من واجبنا الوطنى إنقاذ الشعب ، وقد أرسينا دعائم السلام فى الإمبراطورية واستعدنا الحدود القديمة لأرضنا الوسطى ، كما اختارنا شعبنا ايضا لاعتلاء عرش الصين الإمبراطورى ..... وقد أرسلنا موظفينا إلى سائر الممالك الأجنبية بالبيان الرسمى ، وبرغم اننا لسنا بمثل حكمة حكامنا الأقدمين الذين اعترف العالم بأسره بفضائلهم ومناقبهم فلا يسعنا إلا ان نطلع العالم على عزمنا على حفظ السلام فى أراضى البحار الأربعة ، وعلى هذا الأساس فحسب أصدرنا هذا البيان الرسمى " . فضلاً انظر : هيلدا هوخام ، تاريخ الصين ، صـ٢٥٧ .

(3)Wang Gung Wu : Admiral Zheng He and southest Asia , The opening of relation between China and Malcca ,edited by Leo Suryadinata , institute of Southeast Asian Studies , Singapore , 2005 , p.7.

(4)Wang Gung Wu : Admiral Zheng He and southest Asia , p.8 .

(5)Wang Gung Wu Admiral Zheng He and southest Asia , p.11.

الإعداد للرحلات

فور تلقى "تشنغ خه " الأمر بالإعداد للرحلات ؛ بعث رجاله إلى نانجينغ (١) ، وتشـــجيانغ (٢)، وفوجيـــان(٣)، وجيانغسى(٤) على التوالى للإشراف على إحضار الأخشاب والمواد اللازمة والإشراف على صنع السفن المختلفة الأشكال والأحجام منها سفن للبضائع والمجوهرات ، وسفن للخيول ، سفن للمؤن ، وسفن للجنود ، وسفن حربية ، وحشـــد فى الوقت نفسه عدداً كبيراً من المتخصصين فى الملاحة البحرية من مختلف انحاء البلاد (٥).

لقد بدأ إنشاء هذا الأسطول الضخم منذ عام ١٤٠٣ ، وقدمت أغلب مقاطعات الصين تضحيات كـــبيرة وجهـــود جبارة ؛ لبناء ما سيصبح أكبر اسطول من السفن الملاحية فى التاريخ بمقاييس ذلك الوقت .

كان الإمبراطور "يونغ لى " محظوظاً ، إذ أنه اعتمد فى تحقيق حلمه بتكوين أسطول هو الأضخم من نوعه ، علـــى خلفية بحرية قوية تميزت بها الصين منذ مئات السنين ، فقد شاع استخدام السفن الشراعية فى الصين منذ ما قبل الميلاد ، ثم تطور فى عهود أسرات " تانغ " (٦١٨- ٩٠٧م) و "سونغ " (٩٦٠- ١٢٧١م) وبلغت مستوى متميز فى عهد اسرة يوان ، وقد شهد ابن بطوطة بذلك عندما زار الصين فى القرن الثالث عشر الميلادى فقال : " ولما نزلنا بمدينة الزيتون ومرساها من أعظم مراسى الدنيا أو هو أعظمها ، رأيت بها نحو مائة "جنك " كبار أما الصغار فلا تحصى كثرة " (٦).

هذا بالنسبة لصناعة السفن ، أما بالنسبة لعلم الإبحار فقد ورث الصينيون هذا العلم عن أسلافهم ، فمنذ عهدأســـرة "سونغ " كان البحارة الصينيون يستفيدون من الشمس والقمر والنجوم فى معرفة اتجاه الإبحار بصورة رئيسية ثم استخدموا البوصلة بعد ذلك وشهدت تطوراً كبيراً فى بدايات اسرة مينغ (٧)

لذلك كله لم يجد الصينيون صعوبة فى تنفيذ أمر الإمبراطور "يونغ لى " بصناعة السفن المطلوبة ، اعتماداً على خبراتهم التى توارثوها جيلاً بعد جيل .

---

(١) مدينة نانجينغ : حاضرة مقاطعة " جيانغسو " ، وتقع على الضفة الجنوبية لنهر اليانغتسى ، وهى مركز السياســـة والاقتصـــاد والثقلفـــة والمواصلات فى المقاطعة ، وهى من عواصم الصين العريقة ، حيث كانت قبل ذلك عاصمة لحكومة الكومنتانج ن وقد تطورت صناعاتها تطوراً سريعاً واصبحت اليوم من اكبر المدن الصناعية .

للمزيد فضلاً انظر :شيو قوانغ ، جغرافيا الصين ، صـــ١١٨ .

(٢) مقاطعة تشجيانغ : " أرض الحرير " تقع على الساحل الجنوبى الشرقى للصين ، وتبلغ مساحتها أكثر من ١٠٠٠٠٠ كم مربـــع وطـــول ساحلها ٢٢٠٠كم ، وتشتهر بصناعة الحرير وانتاجه ، حيث تنتج ثلث ما تنتجه الصين من الحرير الخام ونسيج الحرير ، وتشتهر ايضاً بـــوفرة المحاصيل الزراعية مثل الأرز والذرة والقمح والطاطا والمحاصيل النقدية مثل الجوت والقطن وقصب السكر ، كما تتميز بوفرة الخامات المعدنيـــة الأساسية مثل الحديد والنحاس والفحم والرصاص والزنك وغيرها ، ومن أشهر مدنها هانغتشو ، نينغبوه ، ونتشو .

للمزيد فضلاً انظر :شيو قوانغ ، جغرافيا الصين ، صـــ١١٩ .

(٣) مقاطعة فوجيان : تقع على الساحل الجنوبى الشرقى ، وتبلغ مساحتها ١٢٠٠٠٠ كم مربع ويتركز معظم سكانها فى المناطق الساحلية ، كما أنها موطن كثير من المغتربين ، وتتميز بوفرة المحاصيل الزراعية والنقدية ، وتعتبر من أشهر المناطق انتاجاً للشاى فى الصين ، إلى جانب شهرتها بمساحات الغابات الواسعة ، ومن اهم مدنها فوتشو حاضرة المقاطعة ، وشيامن احد الموانئ الهامة ، وتشوانتشو (التى سماها ابن بطوطة الزيتون) . للمزيد فضلاً انظر :شيو قوانغ ، جغرافيا الصين ، صـــ١٢٥ .

(٤) مقاطعة جيانغسى : تقع فى الطرف الجنوبى الشرقى من الصين ، وتبلغ مساحتها اكثر من ١٦٠٠٠٠ كم متر ، وتعتبر من اهـــم منـــاطق انتاج الحبوب بالصين واهم محاصيلها الأرز وهو يشكل ٨٠ بالمائة من إجمالى ما يزرع من الحبوب الغذائية إلى جانب وفرة الثروات المعدنية بها ، ومن أشهر مدنها ناتشانغ حاضرة المقاطعة ، ومدينة جيو جيانغ وهى ميناء بحرى هام ، ومدينة جينغتشن والتى تسمى عاصمة الخزف لشهرتها بصناعة الخزف ووفرة مادته الخام .

للمزيد فضلاً انظر :شيو قوانغ ، جغرافيا الصين ، صـــ١٢٩

(٥) محمود يوسف لى هواين ، المرجع السابق ، صـــ٤٥ .

(٦) مهذب رحلة ابن بطوطة المسماه " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ن تهذيب احمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، صـــ٢٥٢ .

(٧)ابراهيم فنغ جين يوان ، المرجع السابق ، صـــ١٣٩ .

اختار تشنغ خه موقعاً مميزاً فى نانجينغ ؛ لبناء السفن العملاقة ، وشرع الصناع فى العمل ؛ لتحقيق الهدف المرجـــو ، فاستطاعوا خلال عامين من إنجاز ١١٨٠ سفينة مختلفة الأشكال والأحجام . أشهر هذه السفن كانت تســـمى " ســـفن الكنوز " وهى سفن بنيت خصيصاً لتحمل كميات كبيرة من الحرير ، والخزف الصينى ، والذهب ، والأعمال الفنيـــة ، كهدايا إمبراطورية ستقدم إلى ملوك وسلاطين البلاد التى سيزورها الأسطول(١) .

وكانت كل سفينة من هذه السفن تسع لـــ٥٠٠ رجل ، وطولها يبلغ ١٣٨ متر وعرضها ٥٦ متراً وهذ النوع مـــن السفن لم يكن له مثيل فى العالم آنذاك ، وهذا دليل على التطور الذى وصلت إليه صناعة الســـفن فى الصـــين فى ذلـــك الوقت(٢) .

وصف الرحلات

الرحلة الأولى : ٨٠٨هـــ/ ١٤٠٥م- ٨١٠هـــ/ ١٤٠٧م

فى ١١يوليو ١٤٠٥ قاد تشنغ خه أسطوله الكبير ، والذى كان يضم ٣١٧ سفينة تشتمل على ٦٢ سفينة كنـــوز ، والباقى أنواع أخرى من السفن ،كسفن الخيول ، سفن التزويد ، سفن الجنود وكان نظام هذه السفن كالتالى :

سفن الخيول :وكانت بطول ٣٧٠ قدم وعرض ١٥٠ قدم ، ولم تكن تحمل خيولاً فقط ، بل كان على متنها أيضـــاً عدد كبير من العمال ؛ لإصلاح وترميم الأسطول فى البحر إذا احتاج ، أما الخيول فكانت بهدف الاتجار فيها .

سفن التزويد :وهى سفن ذات سبع صوارى ، وكانت بطول ٢٤٠ قدم وبعرض ١٢٠ ، وكانت تضم كميات كبيرة من الطعام يكفى لمدة طويلة من الحبوب وغيرها ، إلى جانب كميات من اللحوم والأسماك والخضروات والفاكهة كان يتم التزود بها بعد كل توقف.

سفن الجنود : كان الأسطول مزوداً بنوعين من سفن الجنود :

الأول : كانت سفن بخمس صوارى وبطول ١٨٠ قدم ، وبوعاء يحمل على الأقل أربعة مدافع من البرونز بقاذفـــات يصل مداها إلى حوالى ٨٠٠ أو ٩٠٠ قدم ، إلى جانب عشرة مدافع أخرى بقدرة اقل ، بالإضافة إلى كميات كبيرة من القاذفات والقنابل .

الثانى : كانت سفن أصغر ولكنها أسرع ، وكانت بطول ١٢٠ قدم ، ومزودة بمجـــاديف ، وتســـتخدم لمواجهـــة ومطاردة القراصنة .

إلى جانب ذلك كان الأسطول مزوداً بخزانات مياه كبيرة عملاقة ، تملىء بالمياه العذبة لتكفى الرجال لشهور فى البحر ،كما كانت هناك سفن مخصصة لجلب المياه العذبة فى كل محطة يقف فيها الأسطول لإعادة ملئ الخزانات (٣) .

كان على متن أسطول تشنغ خه ٢٧٨٧٠ رجل عبارة عن جنود وعدد كبير من علماء الفلك ، والجغرافيا ،إلى جانب تجار وكتّاب ومؤلفين ، وصناع عسكريين ومدنيين وركاب وربابنة وأطباء ومترجمين (٤) .

انطلق اسطول تشنغ خه من ميناء " ليوجيا "(٥) القريب من مدينة "سوتشو ".بمقاطعة " جيانغسو " وشق عباب نهر اليانغتسى ؛ ليخرج من مصبه ، ثم اتجه إلى سواحل البحر الشرقى جنوباً ، فبدأ تشنغ خه رحلته البحرية الأولى فى المحـــيط

(1) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .12 .

(٢)ابراهيم فنغ جينغ يوان ، المرجع السابق ، صـــ١٣٦

(3) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " :" The overall survey of the ocean,sshores " , translated and edited by J.V.C Mills ,Cambridge Univeristy press , 1967 , p.10.

(4) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .12 .

(٥) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـــ٤٥ .

الهندى ، ووصل هذا الأسطول الضخم إلى " تشانتشنغ " (جنوبى فيتنام) أولاً ، ثم "جاوة " و جيوقانغ وســومطرة (فى إندونيسيا) ، ومالابار ،و كولى (على ساحل المحيط الهندى) ، وسيلان وغيرها (١).

وأهدى (تشنغ خه) أمراء البلاد التي مر بها أسطوله هدايا نفيسة من الحراير المطرزة بالذهب. وفي طريق عودته، رافقه مبعوثون من كاليكوت وسيموديرة وكيلون وعاروه ومالقا وممالك أخرى، ، وقدَّموا له هدايا من منتجات بلدانهم(٢) .

و لم تكن رحلة تشنغ خه سهلة ، فقد واجه اختباراً صعباً عند مروره بالقرب من مضيق "مالقا" حين واجه هجومــاً عنيفاً شنه القرصان " تشن تسو يى " الصيني الأصل ، الذى هرب من الصين واستطاع السيطرة على سفن ميناء "بالمبانج " أكبر مدن " سومطرة " ، وجمع عصابة من القراصنة كان يهدد بها أمن السفن التجارية المارة بهذا المكان ، واكتسب شهرة واسعة كقرصان شرس لايقاوم(٣) .

فنشبت معركة حامية الوطيس بين تشنغ خه وقواته من جهة وبين زعيم القراصنة وقواته من جهة أخرى، حقق فيهـــا تشنغ خه انتصاراً كبير وقتل ما يزيد على خمسة آلاف من القراصنه، وأخذ " تشن تسو يى " أسيراً إلى الصين وأعـــدم في نانكين. وغنمت قوات تشنغ خه ١٧ مركباً. وعادالأسطول إلى العاصمة في ٢ تشرين الأول عام ١٤٠٧ بعد تأخر ثلاثة أشهر عن الميعاد بسبب قتال القراصنة(٤) .

لقد كان لهذا الانتصار أثراً كبيراً تمثل فى السمعة الكبيرة التى كسبتها أسرة مينغ كقوة عظيمة فى المحــيط الهنــدى ، كذلك أصبح السفر آمناً فى مضيق مالقا بعد القضاء على القراصنة ؛ فازداد عدد السفن التجارية المارة بهذا الطريق .

أما تشنغ خه فقد ارتفعت مكانته عند الإمبراطور بعد نجاحه بامتياز فى مهمته ، خاصة أنه قدم تقريراً إلى الإمبراطــور عن نتائج الرحلة ، كما قدم كميات كبيرة من الجواهر ، والحجار الكريمة ، والمعادن ، والتوابل ، والنباتات الطبية الــتى جمعها خلال رحلته ، كما أكد للإمبراطور أن منطقة جنوب شرق آسيا ؛ اصبحت تقدر قوة أسرة مينـــغ وان هيبتـــها زادت بشكل ملحوظ(٥)

الرحلة الثانية : ٨١٠هـــ/ ١٤٠٧م–٨١٢هـــ/ ١٤٠٩م

كان الإمبراطور " يونغ لى " سعيداً بنتائج الرحلة الأولى أيما سعادة ، ولكن هذه النتائج وضعت على كاهلـــه عبئـــاً جديداً تمثل فى ضرورة ان تحافظ الصين على ما اكتسبته من سمعة جيدة ، كما أدرك أنه بإمكانه توسيع دائـــرة علاقاتـــه التجارية مع البلدان الأخرى ؛ لذلك قرر إيفاد البعثة الثانية.

رسمياً كان سبب الرحلة هوإعادة السفراء الأجانب لبلادهم ، وصدر مرسومها فى ١٣ اكتوبر ١٤٠٧ ، وقــد أمـــر الإمبراطور "يونغ لى " تشنغ خه إعداد هذه الحملة لكنه لم يصحبها ، فقد بقى لمهمة خاصة ، حيث لمس أثنـــاء رحلتـــه الأولى مشكلة كبيرة تمثلت فى صعوبة التواصل مع سكان البلاد التى زارها ؛ لذلك بقى تشنغ خه للإشراف على تأسيس

---

(١) لماذا اختار تشنغ خه ميناء " ليوجيا " ليبحر منه ؟ يؤكد المؤرخون الصينيون أن هذا الاختيار يعود إلى خمسة أسباب:**أولا**: أن هذا المينـــاء ثغر ممتاز. ميناء ليوجيا من الموانيء الصينية القديمة المشهورة داخل الصين وخارجها، كأنه حنجرة البحر وباب الأنهار والبحيرات. قبـــل ذلـــك كان يحمل لقب "ميناء الدول الست، وأول ميناء في الدنيا".

ثانيا: منطقة هذا الميناء غنية، سهلة المواصلات، كثيرة الموارد الطبيعية، فهي موطن نموذجي للسمك والأرز بجنوب نهر اليانغتسي.

ثالثا: به عدد كبير من المؤهلين، حيث كان في المنطقة عدد كبير من الملاحين وقادة السفن.

رابعا: منطقة الميناء موقع تجاري يتجمع فيه التجار والبضائع، يسهل توزيد الأسطول بالمؤن والأجهزة.

خامسا: الميناء قريب من مدينة نانجينغ عاصمة أسرة مينغ في بداية اسرة مينغ، مما يسهل الاتصال بين البلاط الإمبراطوري والاسطول.

شبكة الصين ٨ يوليو ٢٠٠٥

(٢) محمود يوسف لى هواين ، المرجع السابق ، صـــ٤٥ .

(3) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .12

(4) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .12

(5) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .13 .

مدرسة لتعليم لغات بلاد جنوب شرق آسيا والهند وبلاد العرب ، وكانت اللغات التى تدرس فى هذه المدرسة هى "العربية ، الملاوية ، الفارسية ، السنغيزية ـــ لغة السنغاليز سكان شمال الهند ـــ " وهى كلها لغات سيحتاجها أسطول تشنغ خه ؛ لتسهيل التبادلات التجارية فى المحيط الهندى(١).

وقد بقت الحملة من اكتوبر ١٤٠٧ حتى يناير ١٤٠٨ تنتظر الرياح المناسبة ، ثم انطلقت ، وكانت تضم ٢٤٩ مركب ، وكانت أولى محطاتها " تايلند" ثم "جاوة " و" لمبرى " وكايال " وانتهت بـــ"كاليكوت " فى الهند وكانت مدتها من يناير ١٤٠٨ حتى ابريل ١٤٠٩ ثم عاد الأسطول إلى الصين فى أواخر صيف ١٤٠٩(٢) .

الرحلة الثالثة : ٨١٢هـــ/ ١٤٠٩م –٨١٤هـــ/١٤١١م

صدر مرسوم هذه الحملة فى ديسمبر ١٤٠٩ وتولى تشنغ خه قيادة هذه الحملة ، وكانت تضم ٤٨ سفينة على متنها ٣٠٠٠٠ رجل ، وزارت هذه الرحلة " تشامبا ، جاوة ، سيموديرة ـــ فى إندونيسيا ـــ ، سيلان ، كوشـــين ، وأخـــيراً كاليكوت " واثناء توقف الأسطول فى سيرلانكا ؛ دشن تشنغ خه نصباً صخرياً ، نقش عليه تاريخ وصوله إلى هذا المكان ، وكان النقش بثلاث لغات هى " الصينية ، والفارسية ، والتاميلية ـــ لغة السكان المحليين ـــ "وقد اكتشفت هذه اللوحة عام ١٩١١ ، وهى الأن موجودة فى متحف سيرلانكا(٣).

وتذكر المصادر انه فى طريق عودة أسطول تشنغ خه نشبت معركة قوية بين وبين قوات الملك " أغاكورنار " زعيم مملكة " رايبغاما " قرب مدينة كولومبو. وانتصر تشنغ خه بعد قتال مرير، وأسر الملك وزوجه وأبناءه وموظفيه الكبـــار، واقتادهم أسرى إلى الصين التي عاد إليها في ٦ تموز عام ١٤١١م. فعفا الإمبراطور عـــن الملـــك المـــذكور وأعـــاده إلى مملكته(٤).

لقد برهنت هذه المعركة على المقدرة الفائقة التى كان يتمتع بها تشنغ خه ، حيث استطاع ان يهزم جـــيش قيـــل ان تعداده كان ٥٠٠٠٠ جندى ، كذلك اصبحت قوة الصين فى المحيط الهندى لا تقاوم ، با اصبح كل من يفكر فى مواجهة الأسطول الصينى ، عليه أن يفكر كثيراً قبل ان يقدم على هذه الخطوة .

الرحلة الرابعة : ٨١٦هـــ/ ١٤١٣م –٨١٨هـــ/١٤١٥م

صدر مرسوم هذه الرحلة فى ١٨ ديسمبر ١٤١٢ وقادها تشنغ خه وكانت تضم ٦٣مركباً وعلـــى متنـــها ٢٨٥٦٠ رجلاً وانطلقت من نانكين فى خريف ١٤١٣ ومرت هذه الرحلة بـــ " تشامبا ، جاوة ، بالمبانغ ، مالقا ،سيلان ، كايال ، كاليكوت ولأول مرة هرمز " وكانت هذه هى المرة الأولى التى يتجاوز فيها أسطول تشنغ خه الهند(٥).

كانت نقلة كبيرة لأسطول تشنغ خه ان يتخطى الهند إلى مدخل الخليج الفارسى ويصل إلى هرمز(٦) ، وهذا إن دل دل فإنما يد على الثقة الكبيرة التى اصبح تشنغ خه يتمتع بها ، فاصبح ينطلق فى المياه الواسعة دون ان يخشى أحد . وممـــا

---

(1) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " , p. 10

(2) Sally K.Church :Zheng He: an investigation into the plausibility of 450-FT Treasure ships , Monumenta serica , Journal of oriental studies , 2005 , p.12.

(3) Hsiao Hung-Te : Fleet and Wall 1405-1433 , the Zheng He expedition and Ming Empire Policy , faculity of Asian studies , Australian National University , 2003 ,p.6.

(4) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " , p. 10.

(5) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " , p. 11.

(٦)هرمز : مدينة على بحر فارس ، وهى فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخرسان ومن النـــاس من يسميها هورموز بزيادة الواو . للمزيد انظر : ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،١٣٩٧/١٩٧٧ ، المجلد الخامس ، صـــ٤٠٢

عزز هذه الثقة انه كان كلما حل بمكان تتوافدت عليه رسل الملوك والسلاطين تقدم له الهدايا المتنوعة التى شملت العـــاج والذهب والكهرمان والمسك واللآلئ .

وفى هذه الرحلة أمر تشنغ خه أحد مساعديه بالسفر إلى البنغال بعددمن سفن الأسطول ، فاستقبله حاكمها الشاب ، ورحب به ترحيباً حاراً وأهداه " زرافة " كانت قد اهديت له من حاكم "ماليندى " ـــ فى كينيا اليوم ـــ(١).

عندما عاد الأسطول إلى الصين لم يكن الصينيون قد رأوا من قبل هذا الحيوان " الزرافة " النبيل صاحب العنق الطويل ، وعندما عرض العائدون على الإمبراطور نتائج رحلتهم ووصفوا له " الزرافة " كان مسروراً أشد السرور بسبب الوصف الجميل الذى قيل له عن هذا المخلوق العجيب . والسبب فى ذلك أن كلمة "الزرافة" كانت تنطق بلغة الصينيين " جى رن " وهو نطق قريب جداً من الاسم الصينى " تشى رن " وهو اسم لحيوان أسطورى يشبه وحيد القرن ، وطبقـــاً للثقافـــة الكونفوشيوسية فإن "تشى رن " يظهر فقط فى أوقات السلام العظيم ، ويدل على ان شخصاً حكيماً وعظيماً يتولى أمـــر الصين فى هذا الوقت(٢).

وتخليداً لهذا الحدث أمر الإمبراطور برسم صورة للزرلفة العجيبة ووضعها فى القصر الإمبراطورى ، ومازالـــت هـــذه الصورة موجودة إلى الأن (٣) .

نتيجة لهذه الرحلة ؛ قدمت إلى الصين وفود من ١٩ بلد ، من تشامبا فى تايلند حتى "مالينى " على الساحل الشـــرقى لإفريقيا ، كات هذه الوفود بهدف تقديم الهدايا للإمبراطور وعقد صلات وعلاقات تجارية مع الصين ، لكن أبرز الوفـــود كان وفد ماليندى الذى قدم " زرافة " كهدية للإمبراطور(٤).

الرحلة الخامسة : ٨٢٠هـــ/ ١٤١٧م –٨٢٢هـــ/ ١٤١٩م

صدر مرسومها فى ١٨ ديسمبر ١٤١٦ وكان هدفها الأول هو حراسة سفراء البلدان الذين أتو إلى الصين أثناء عودتهم ، وهدفها الثانى هو تقديم هدايا الإمبراطور الصينى إلى تلك البلدان ، إضافة إلى زيارة بلدان اخرى ، فزار الأسطول الصينى " تشامبا ، جاوة ، بالمبانج ، مالقا ، سيموديرة ، سيلان ، كاليكوت ، هرمز ، عدن ، مقديشيو ، بـــراوة ، مالينـــدى " وكانت هذه هى المرة الأولى التى يصل فيها أسطول تشنغ خه إلى الساحل الشرقى لإفريقيا(٥) . وخلال رحلة تشنغ خه هذه اكتسبت الصين سمعة غير عادية فى ساحل إفريقيا الشرقى ، كما وصف الإمبراطور الصينى بأنه شخص غير عادى ، وتقديراً لهذا الإمبراطور أعطى الأفارقة تشنغ خه مزيداً من الزرافات والحيوانات الاخرى مثل الأسود والنمـــور والنعـــام والحمار الوحشى ووحيد القرن والظباء . وعند عودة تشنغ خه ؛ تم وضع هذه الحيوانات فى حديقة حيوانـــات أعـــدت خصيصا لها(٦).

أما عدن والتى وصلها الأسطول لأول مرة ، فتذكر المصادر الصينية أنها كانت قد أرسلت بعثة إلى البلاط الصينى عام ١٤١٦ ومعها بعض المنتجات المحلية ، لما استأذنت فى العودة أمر الإمبراطور ، تشنغ خه أن يسافر مصطحباً معه أعضـــاء

---

(1) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .13 .

(2) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .14 .

لقد كان وصول الزرافة إلى الصين فى هذا الوقت بالتحديد أمراً فسره الإمبراطور على انه مؤشر للنجاح السعيد والعهد الزاهر ، ومما عمق هذه الفكرة فى ذهن الإمبراطور ، الوصف الأسطورى الذى أبداه الخصيان للإمبراطور عن هذا الحيوان ، وأنه دليل على عطف السماء واستحسانها لأعمال الإمبراطور ودليل ايضاً على انه لامثيل له من الحكام على وجه الأرض . ويبدو انها كانت محوله منهم لاكتساب عطف الإمبراطور والتقرب منه

(٣) فضلاً انظر الملاحق صورة الزرافة المذكورة .

(4) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .14 .

(5) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " , p. 11.

(6) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .14

البعثة ، وحاملا معه قطعاً من العملات هدية إلى " ناصر " حاكم عدن (١) ؛ فقدمت عدن عام ١٤١٧ زرافة وكلباً وأسداً هدية لإمبراطور الصين (٢) .

يبدو من النص السابق ان العلاقات بين الصين وعدن كانت علاقات طيبة لا تشوبها شائبة ، رغم ما أوردته بعض المصادر العربية من أنه كان ثمة معركة نشبت بين الأسطول الصيني واسطول عدن قبالة شواطئ عدن ، استطاع فيها أسطول عدن هزيمة الأسطول الصيني رغم قوته الهائلة (٣) . لكن ربما ان هذا الحادث وإن صح كان قبل هذه البعثات وأن العلاقة تحسنت بعد ذلك ، فأخذت البعثات تترى بين الجانبين .

الرحلة السادسة : ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م-٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م

صدر مرسومها فى ٣ مارس ١٤٢١ ، وأعيد فيها سفراء هرمز وغيرها من البلدن بعد فترة أمضوها فى الصين ، وكانت هذه الرحلة تضم ٤١ مركباً ، وكانت مدتها صغيرة نسبياً حوال عشرة اشهر . وفيها أرسل تشنغ خه أحد مساعديه بثلاثة مراكب إلى السلطان الناصر سلطان عدن(٤).

وقد ورد فى تاريخ أسرة مينغ مانصه : " لما وصل تشنغ خه إلى عدن للمرة الثانية ؛ أمر سلطانها (ناصر) رجالاً من حاشيته بأن يسافروا إلى الصين ؛ ليقدموا الهدايا فوصلو إلى عاصمة الصين عام ١٤٢٣ ثم قفلوا عائدين بعد فترة وجيزة (٥) .

أما بدر الين الصيني فيذكر فى كتابه " العلاقات بين العرب والصين " أنه فى عام ١٤٢١ سافر أمير من أمراء الصين من عائلة "تشو "إلى عدن ، فحصل فى سوقها على "عين الهرة " بلغ وزنها مثقالين ، ومرجاناً بلغ علوّه زراعين ، فرجع بهما إلى جانب أشياء نادرة كاللالئ واليواقيت مختلفة الأشكال و الألوان (٦) .

---

(١) السلطان الناصر أحمد سلطان عدن (١٤٠٠-١٤٢٤) :هو احمد بن اسماعيل بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول احد كبار سلاطين بنى رسول ، ولد ليلة السبت حادى عشر من شعبان سنة ثمان وسبعين وسبع مائة ، وتولى السلطنة بعد موت ابيه وكان عمره وقتها أربع وعشرون سنة ، واستطاع ان يقضى على الفتن التى ظهرت فى بداية حكمه واقر الأمن حتى ملك مالم يملكه آباؤه ،كماهتم بالحياة العلمية والدبية فوفد إليه الدباء والعلماء من مختلف البلاد ،إلى جانب ذلك شهد عهده ازدهار للعلاقات الخارجية مع البلدان المختلفة مثل مصر وبلاد الحبشة وبلاد الهند والصين .

للمزيد فضلاً انظر : القريزى(تقى الدين احمد بن على)(٧٦٦-٨٤٥) درر اعقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، جمعه وعلق عليه محمود الجبيلى ، دار الغرب الإسلامى ، ، ١٤٢٣/٢٠٠٢ ، ٣٣٢/١.

(٢) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـ٤٥ .

(٣) ذكر ابن المقرى الشاعر اليمنى فى إحدى قصائده التى كان يمدح فيها السلطان الناصر وصفاً للمعركة المذكورة فقال :

فقل لملوك الصين كيدوا بغيرها ... وأضعف بكيد كاد عبد به الربّا
بنوها حصوناً بل قرى ومساكناً ... من السفن يجريها من الريح ما هبا
يسمونها زنكاً ومعنـاه أنهـا ... على البحر لا تخشى من البحر إن عبا
ترى اللوح منها سمكه مثل عرضه ... زراعاً يشج الشعب إن صدم الشعب
فأرسلت فيها من سعودك فيلقاً ... فمزقها شرقاً ومزقها غرباً
وفى عدن قامت عليهم قيامة ... وقد ركبوا فى قصدها المركب الصعب

للمزيد فضلاً انظر ابن المقرى (شرف الدين أبى الذبيح اسماعيل بن ابى بكر المقرى اليمنى الشافعى) (ت ٨٣٧) الديوان المسمى الشرف الوافى ، طبع بمطبعة نخبة الخيار ،بمومباى ، الهند ، ١٣٠٥هـ ،صـ١٩٢.

وعلى الرغم من المبالغات التى قد يسوقها الشعراء عند مدح حكامهم للفوز بقربهم ، إلا انه ليس من المستبعد حدوث مثل هذه المعركة خاصة ان الشاعر وصف المراكب الصينية وصفاً يكاد يكون قريباً من الحقيقة المعروفة عنها .

(4) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan ", p.11

(٥) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـ٤٧

(٦) بدر الدين حى الصينى : تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء والطباعة، طرابلس، ١٣٩٤هـ، صـ٢٣٦ .

وهذا يؤكد أن العلاقات بين الصين وعدن كانت متينة فى تلك الفترة ، وإلا ما رأينا مثل هـــذه البعثـــات الرائحـــة والغادية بين الجانبين .

الرحلة السابعة والأخيرة : ٨٣٥هــ/ ١٤٣١م– ٨٣٧هــ/ ١٤٣٣م

بعد عودة الرحلة السادسة بثلاث سنين وتحديداً عام ١٤٢٤ توفى الإمبراطور القوى "يونغ لى" ، وتولى الحكم من بعده الإمبراطور "تشن تسونغ "وكان ليس كسلفه محب للمغامرة ولديه طموح ، بل على العكس كان معارضـــاً للـــرحلات البحرية ، وليس هذا فقط بل كان مستاءً من الشهرة والمكانة التى بلغها تشنغ خه فى عهد سلفه ؛ لذلك كان أول قرار له هو إيقاف الرحلات البحرية، ثم نقل تشنغ خه إلى نانكين ليعمل قائداً للحامية العسكرية فى نانكين(١) .

ولكن بعد شهور قليلة ؛ توفى هذا الإمبراطور ، فتولى الحكم من بعده الإمبراطور " تشوانغ تى " والذى لم يفكـــر فى استئناف الرحلات البحرية إلا بعد ست سنوات من حكمه، بعدما انفض السفراء عن الصين وتراجعت عائدات التجارة الخارجية بشكل ملحوظ ؛ فقرر عودة الرحلات مرة أخرى (٢) .

صدر مرسوم هذه الرحلة فى ٢٩ يونيو ١٤٣٠ ، وضمت أكثر من مائة مركب على متنها ٢٧٥٥٠ شخصاً ما بـــين ضباط وجنود وحرفيين وأطباء غيرهم . وانطلق الأسطول من ميناء " ليوجيا " فى ٣فبراير ١٤٣١ ومرت بـــ تشامبا فى (يناير ١٤٣٢) وبسورابايا (٧ مارس) وبالمبانغ (٢٤ يوليو) ومالقا (٣ اغسطس) وسيموديرة (٢٨ اكتوبر)، وانتهت إلى كاليكوت في ١٠ ديسمبر عام ١٤٣٢م. وانتقلت إلى هرموز ووصلتها في ١٧ يناير عام ١٤٣٣م. (بعد سير ٣٥ يوماً في البحر). وكر الأسطول عائداً في ١٩ آذار عام ١٤٣٣ عبر بحر العـــرب، فوصـــل إلى كـــاليكوت في ٣١ آذار، ثم مـــر بسيموديرة (٢٥ نيسان)، فمالقا، فكون لون، فكوي هون في شمبا، وفي ٢٢ تموز كانوا في بكين. تروى المصادر الصـــينية أن تشنغ خه زار لاسا في جنوب جزيرة العرب، وذهب مبعوثه إلى ظفار ولاسا وعدن ومكة في جزيرة العرب. وكـــان الخصي "قونغ "(٣) أحد مساعدى تشنغ خه يقود فرقة من الأسطول في كاليكوت. وأرسل سفارة ضمت مـــاهوان (٤) إلى مكة. كذلك جرت مراكب أخرى من هرموز إلى عدن والموانئ الإفريقية، وربما إلى لاسا. ويقال أن بعض المراكـــب انفصلت عن الأسطول في كاليكوت وأتت إلى البنادر العربية(٥) .

وقد اختلفت المصادر التاريخية فيما بينها حول ما إذا كان تشنغ خه قد ذهب إلى مكة ام أنه أرسل مساعده " ما هوان " ببعض السفن ، لكن الراى الراجح ان تشنغ خه بقى مع أسطولة لغنها بعض الأمور التجارية وبعث ما هوان بعدد من السفن إلى مكة ، فلقاه أميرها الشريف بركات عام ٨٣٦هـــ / ١٤٣٣م (٦) .

---

(1) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan , p .24.

(2) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .15 .

(٣) الخصى قونغ :من واليد محافظة " تايتسانغ " فى "جيانغسو" ، وقد سبق له ان تدى الخدمة العسكرية فى حامية تايتسنغ ، وقد وقـــع عليـــه الاختيار للإشتراك فى الرحلات ، فرافق تشنغ خه اربع مرات ، حيث اطلع على سلوك الناس وعاداتهم وتقاليدهم ومنتجاتهم فى البلـــدان الـــتى زارها فأودع ذلك كله فى كتاب من جزئين اسماه " تجولات فى اقاصى الأرض "

للمزيد فضلاً انظر : قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـــ٥٢ .

(٤) ماهوان :ولد حوالي ١٣٨٠ فى هويجى بمقاطعة تشجيانغ وينتمى إلى قومية هوى . وقد قطع شوطاً فى دراسة اللغة العربية معتمـــداً علـــى ذكائه واجتهاده ، فأتاح له هذا ان يعمل مترجماً لتشنغ خه خلال رحلاته البحرية الرابعة والسادسة والسابعة وخلال هذه الرحلات سجل كل ما راه من عادات وتقاليد وشمائل ونواقص للأمم التى زارها فى كتاب يحمل عنوان " مشاهداتى فيما وراء البحار " يضم ١٨ فصلاً دزنت فيـــه عادات ومنتجات ومعلومات جغرافية وتاريخية عن ١٩ بلدمنه عدن وظفار ومكة المكرمة .

للمزيد انظر. : ابراهيم فنغ جينغ يوان ، المرجع السابق ، صـــ١٣٣ .

(5)Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan , p .26

(٦) الشريف بركات : هو بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة السيد زين الدين أبو زهير بن البدر أبى المعالى الحسنى المكى ، ولد سنة إحدى وثمانمائة وقيل التى بعدها ن بالحشافة بالقرب من جدة ، وقرأ القرآن وكتب الخط ونشأ شريف الهمة سنى الفعال جميل الخلاق ، فأشركه والده معه فى إمرة مكة بولاية من السلطان وفى سنة تسع وعشرين ارتحل إلى القاهرة والتزم للسلطان بما كان والده التزم به ومن جملته

وقد ورد ذكر هذه البعثة فى المصادر العربية ، فذكر ابن تغرى بردى فى ترجمته للسلطان الأشرف برسباى (٨٢٥-٨٤١هـ) فى حوادث عام ٨٣٦هـ فقال : " ثم فى ثانى عشرين من شوال هذا ، قدم الخبر من مكة المشرفة ،بأن عدة زنوك (جنوك) قدمت من الصين إلى سواحل الهند ، وأرسى منها اثنان بساحل عدن ، فلم تنفق بها بضائعهم من الصينى والحرير والمسك وغير ذلك ؛ لاختلال حال اليمن ، فكتب كبير هذين المركبين إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان امير مكة وإلى سعد الدين بن إبراهيم بن مرة ناظر جدة ،يستأذن قدومهم إلى جده ، فكتبا للسلطان فى ذلك ورغّباه فى كثرة ما يتحصل فى قدومهم من المال ، فكتب لهم السلطان بالقدوم وإكرامهم " (١) .

لقد كانت رحلة تشنغ خه هذه تهدف إلى استعادة العلاقات التجارية والدبلوماسية بين الصين وبلدان المحيط الهندى وساحل إفريقيا الشرقى وبعض بلاد الجزيرة العربية بعد توقف دام قرابة العشر سنوات . واستطاع تشنغ خه مرة اخرى ان يثبت كفاءته فيها ، حيث استطاع عبور مسافات طويلة جداً ، حتى وصلت سفنه إلى جزيرة العرب وعدد من البنادر العربية ، وعقد صلات تجارية وإحياء العلاقات السابقة ، فكانت رحلته هذه خير ختام لمشواره الطويل الذى بدأه عام ١٤٠٥ واستمر لمدة ثمانية وعشرين عاماً ، حقق فيه نجاحات كبيرة قلما تتكرر على مر التاريخ .

وفاة تشنغ خه وتوقف الرحلات

عاد تشنغ خه من رحلته الأخيرة وهو فى سن الثالثة والستين ، وبقى فى نانجينغ حتى توفى عام ١٤٣٥ وهو فى سن الخامسة والستين ، فدفن تحت السفح الجنوبى لجبل " نيو شو " فى الضاحية الجنوبية لمدينة نانجينغ ، وعرف قبره باسم " قبر ما هوى هوى " ومازال أنساله يواظبون على زيارة قبره حتى الأن (٢) .

لقد استطاع تشنغ خه خلال ٢٨ عاماً ان يعبر اكثر من نصف الكرة الرضية وان يجتاز مسافات شاسعة من المياه لم يجتازها احد قبله ، فبسط نفوذ إمبراطور الصين ، واعترفت دول كثيرة بقوة الصين وعظمتها ، وبأن اصينيين أصبحوا سادة البحار .

وبدلاً من ان تستغل الصين هذه المكانة التى وصلت إليها إذ بها تفعل العكس ، حيث امر الإمبراطور الصينى عام ١٤٣٥ بتفكيك ورش السفن العظيمة ، كما انسحبت سفن الصين من البحار ؛ تاركة ورائها فراغاً كبيراً ، ولم تدرك الصين هذا الخطأ الفادح إلا فيما بعد ،حينما جاء المستكشفون الأوربيون إلى المحيط الهندى (٣).

ولو أن الصين كان لديها طموح الثروة والسيطرة الذى كان لدى الأوربيين المستعمرين ؛ لتغيرت خريطة العالم وقتها . وهذا دليل قطعى على ان رحلات تشنغ خه ،كانت رحلات سلمية بغرض مد جسور الصداقة، وتدعيم أواصر المحبة بين الصين وجيرانها ، ودعم الروابط التجارية ، وتبادل الثقافات . لا الغزو والسيطرة والاستعمار كما زعم البعض .

لكن هناك سؤال يطرح نفسه بشدة وهو **لماذا أوقفت أسرة مينغ الرحلات ؟**

قال البروفيسور " لي جين مينغ "الأستاذ بمعهد بحوث جنوب شرقي آسيا بجامعة شيامن : " إن أهم أ سباب إيقاف النشاطات الملاحية بعد تشنغ خه هو أن كل هذه النشاطات كانت تسيطر عليها السلطة الإمبراطورية، مما وضع النهاية المأساوية لإيقافها. وكانت الأسباب الملموسة كما يلي:

عشرة آلاف دينار فى كل سنة على ان ما جرت به العادة من مكس جدة يكون له دون ما تجدد من مراكب الهنود فإنه للسلطان خاصة فوليها فى آخرها ، فحسنت سيرته وعم الناس فى ايامه المن والرخاء . وكان شهماً عارفاً بالأمور فيه خير كثير ، واحتمال زائد وحياء ومروءة طائلة وله بمكة مآثر وقرب نافعة ، مات فى شعبان سنة تسع وخمسين ، فغسل وكفن وطيف به حول الكعبة سبعاً ثم دفن بالمعلاة فى مشهد عظيم للمزيد فضلاً انظر : السخاوى (شمس الدين محمد عبد الرحمن بن محمد) المتوفى ٩٠٢هـ :الضوء الامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وحققه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيوت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ٣/١٢ .

(١)ابن تغرى بردى (جمال الين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) (ت٨٧٤) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨، ١٤/٢٦٢ .

(٢) ابراهيم فنغ جينغ يوان ، المرجع السابق ، صـ١٣٢

(3) Arnold Schrier : the Eunch and the Giraffe , p .15

أولاً : كان أسطول تشنغ خه يضم عددا ضخما من العسكريين والعاملين ويتكلف أموالا ضخمة، ويحمل في كل رحلة هدايا غالية، بينما كانت الهدايا والعائدات الضخمة التي تأتي من خارج البلاد تقدم إلى البلاط الإمبراطوري والأرستقراطيين ليتمتعوا بها، فضعفت خزانة الدولة في أسرة مينغ التي كانت تدعم رحلات تشنغ خه. لذلك لم تستطع هذه "التجارة الخاسرة" المخالفة لقانون الاقتصاد أن تستمر.

ثانياً : في بداية أسرة مينغ أثر اشتداد عمليات القرصنة على العلاقات الودية بين أسرة مينغ ودول جنوب شرقي آسيا. كان هدف المرحلة الأولى لرحلات تشنغ خه البحرية فتح الخطوط الملاحية والقضاء على القراصنة اليابانيين، والحفاظ على العلاقات المستقرة مع الدول في البحار الواقعة غرب الصين. بعد رحلات تشنغ خه البحرية السبع، رأى حاكم أسرة مينغ أن الهدف السياسي قد تحقق، والخطوط الملاحية سهلة، و لم تعد نشاطات الملاحة مهمة.

ثالثاً: كان أسطول تشنغ خه ضخما جدا، مما أثار انتقادات من المسؤولين الحكوميين. في كل رحلة كان تشنغ خه يقود ٢٠-٣٠ ألف عسكري وعامل، وأسطوله يتكون من نحو مائة سفينة، وتكون دورة الرحلة طويلة جدا بين ٢-٣ سنوات، والفترة بين كل رحلتين قصيرة، وعدد الموتى والجرحى كثيرا، فكان من الصعب استمرار الرحلات. حسب المعلومات المتاحة، في فترة حكم الإمبراطور يونغ له، بلغ عدد السفن التي صنعت جديدا أو أصلحت نحو ألفي سفينة، وكلفة صناعة كل منها نحو ٧-٨ آلاف أوقية من الفضة، بحاجة لدعم من تمويل ١٣ مقاطعة. لذلك كان نقد مسئولي البلاط الإمبراطوري كثيرا واشتد الضغط، مما أجبر البلاط الإمبراطوري على إنهاء هذه النشاطات.

رابعاً : كانت معظم الأدوات التي يحتاجها تشنغ خه في رحلاته البحرية من إنتاج القطاعات اليدوية الحكومية، فأصبح الإمداد صعبا يوميا. في فترة حكم الإمبراطورين هونغ وو ويونغ له، كان نحو ٣٠٠ ألف حرفي يعملون في قطاعات الحرير والخزف وصناعة السفن الحكومية، وأصبح الاستمرار فى إنتاج كميات كبيرة من المنسوجات الحريرية وصناعة السفن للرحلات البعيدة صعبا، فمن الطبيعي صعوبة استمرار الرحلات البحرية. (١) .

نظرة عامة لرحلات تشنغ خه

تعتبر رحلات تشنغ خه عملا أدهش العالم في أوائل القرن الخامس عشر، وتجاوز حجم رحلاته حجم رحلات البحارة الأوروبيين التي جرت بعد قرن تقريبا بغية "الاكتشاف الجغرافي الواسع النطاق". لذلك يعد تشنغ خه رائد للملاحة من حيث مستوى الملاحة ومنجزاتها بالمقارنة مع البحارة الأوروبيين، وتركت رحلاتهتأثيرات هامة في تاريخ الصين و في تاريخ العالم وقتها، ولعبت دورا كبيرا في تواصل الطرق البحرية بين الشرق والغرب وتوثيق العلاقات والتبادلات الودية الصينية والأجنبية ودفع التبادلات الثقافية والاقتصادية.

وفيما يلى ذكر لبعض مآثر هذه الرحلات :

مآثر تشنغ خه في رحلاته البحرية :

دفع الدبلوماسية السلمية

قبل رحلات تشنغ خه البحرية ، كان الوضع الإقليمي حول الصين مضطربا، وطغى القراصنة في مناطق جنوب آسيا الشرقي وبحر جنوب آسيا، وكانت المواصلات البحرية غير مضمونة. وهذه العناصر غير المستقرة أثرت في سلامة مناطق الصين الجنوبية وصورة أسرة مينغ في العالم واستقرارها وتطورها. ومنذ بداية رحلات تشنغ خه البحرية ، عمل تشنغ خه على تخفيف هذه التناقضات بين مختلف الدول وحافظ على سلامة المواصلات البحرية ، مما ضمن استقرار الصين ومناطق جنوب آسيا الشرقي وجنوبها والسلامة على البحر، ورفع سمعة أسرة مينغ. ومن ذلك يمكن أن نعرف أن هدف رحلات تشنغ خه البحرية هي أداء رسالة السلام ودفع الدبلوماسية السلمية وتحقيق السلام.

توسيع التجارة مع الدول الأجنبية

---

(١)شبكة الصين ، يوليو ٢٠٠٥

في عهد أسرة مينغ كانت التجارة الرسمية من المهمات الرئيسية لرحلات تشنغ خه البحرية، وهذه التجـارة أجريـت تحت إشراف حكومتي الطرفين، وهي طريقة هامة لتوسيع التجارة مع الدول الأجنبية. كان تشنغ خه يشحن الهدايا الصينية في سفنه، وإلى جانب ذلك، يشحن النقود البرونزية والحرير والخزفيات والأدوات الحديدية وغيرها من المنتجات الصـينية الخاصة، وكان إجراء التجارة أحياناً بالنقود البرونزية، ولكن معظمها كان بنظام المقايضة. وخلال الرحلات البحرية، وسع تشنغ خه التجارة مع الدول الأجنبية ملتزما بمبدأ المساواة والرغبات والتبادل بالتساوي .

الخطوط الملاحية لرحلات تشنغ خه

كانت رحلات تشنغ خه البحرية فتحا تارخيا، حيت امتدت خطوطه الملاحية من غربي المحيط الهادي إلى المحيط الهندي لتصل إلى غربي افريقيا والساحل الأفريقي الشرقي، ورأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب افريقيا، حتى وصلت إلى المحيط الأطلسي. وهكذا فقد شملت المحيطات الثلاثة وهو أمر غير مسبوق في تاريخ الملاحة الصينية، ويحتل مكانة بارزة في تاريخ الملاحة العالمية، لأنها سبقت رحلة فاسكو داغاما التي مرت برأس الرجاء الصالح ووصلت إلى الهند بـ٨٣ عاما ورحلـة ماغلان العالمية بـ١٠٧ أعوام. كذلك كان من الأعمال العظيمة لتشنغ خه أن قام بالرحلات معتمدا على السفن الخشبية وقوة الرياح الطبيعية ومتغلبا على أنواع مختلفة من الصعوبات البحرية، و ذلك لم يتطلب فقط تكنولوجيا الملاحة وصناعة السفن واستيعاب معارف الملاحة، بل احتاج إلى الجرأة وروح الاستكشاف والمغامرة.

خريطة تشنغ خه البحرية

رسم تشنغ خه فى رحلاته البحرية إلى المحيط الهندى خريطة عرفت بعد ذلك باسم " خريطة تشـنغ خـه " وكـان يسترشد بها للدلالة على خط ملاحته وقد سجل فيها ما يتوسط بين شاطئ جنوب شرق الصين والبلدان العربية وغيرهـا من البلدان من الاتجاهات والخطوط والمسافات والجزر والصخور ، وما يتناثر على الشواطئ من الموانى والمـدن والقمـم الشامخة ، وما يمكن اعتباره من المعالم التى تهدى السفن مثل المعابد والباغودات والجسور وغيرها . وقـد ألحقـت هـذه الخريطة بكتاب " تاريخ الشؤون العسكرية " الذى ألفه "ماو يوان يى " فى أسرة مينغ ، وهى تعد أقدم خريطة بحريـة فى تاريخ علم الخرائط الصينى .وتفيد الخريطة بأن رحلة أسطول تشنغ خه تبتدئ من نانجينغ وتنتهى بمنباشا على ٤ درجات من خط العرض الجنوبى فى كينيا بإفريقيا الشرقية ، ويصل عدد الأماكن التى تضمها هذه الخريطة إلى أكثر من ٥٠٠ مكان منها ٣٠٠ مكان فى آسيا وإفريقيا ؛ لذلك اعتبرت أكمل خريطة لآسيا وإفريقيا ظهرت فى القرن الخامس عشر (١) .

نشر ثقافة الصين

خلال رحلاته البحرية، قام تشنغ خه بالتجارة مع البلدان الأجنبية، كما كان من أهم أعماله هو نشر ثقافة الصـين المتقدمة بحيث كانت التنمية الاجتماعية في بعض دول جنوب آسيا الشرقي وجنوبها وإفريقيا وقتئذ متأخرة نسبيا، واشتاقت هذه الدول إلى معرفة حضارة الأمة الصينية. وقد نشر تشنغ خه بنجاح كبير حضارة الصين كالمراسم والتشريفات وأفكار كونفوشيوس والتقويم ونظام المقاييس والمكاييل والموازين وفنون الزراعة والصناعة والبناء والنقش والطب والملاحة وصـنع السفن، وربط بين حضارة الصين وحضارات العالم، فسجل صفحة مشرقة في تاريخ التبادلات الثقافية الصينية — الأجنبية.

وصف البلدان

كتاب ماهوان: "الكامل في وصف سواحل المحيط" YING YAI SHENG-LAN:

هو أحد مساعدى تشنغ خه وقد استغل فرصة وجوده فى هذه الرحلات الكبيرة فدبج كتاباً . ذكر فيه تعيينه ترجماناً رسمياً لوثائق الحملة الرابعة، وجمع فيه معلومات عن البلدان، ودونها في كتاب عنونه: "الكامل في وصف سواحل المحيط".

---

(١) ابراهيم فنغ جينغ يوان ، المرجع السابق ، صـ١٤٠

وختمه بقوله: "حرره ماهوان، حطاب الجبال في كويشي".و تحدث في كل بلد عن أهله وعن عاداهم وأديانهم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم ومحاصيل أراضيهم، ولا يفوته أن يتكلم عن المناخ (١).

كتاب "فى شين " "تجولات فى أقاصى الأرض "

وهو أحد مساعدى تشنغ خه وقد سجل فى كتابه أحوال أكثر من أربعين دولة ما بين معلومات عامة واخرى مفصلة عن هذه البلدان إلا ان اهميته تكمن فى انه أورد معلومات عن بلدان لم يأت ذكرها فى كتاب ماهوان مثـــل " الإحســـاء ومقديشيو"(٢)

كتاب" بيانغ سو شنغ " المسمى " سجل بلدان المحيط الهندى "

وهو أحد مستشارى تشنغ خه فى الرحلة السابعة ، وقد تناول فى كتابه اخبار عشرين دولة ممن مر بهم الأسطول وقال فى مقدمته : " إن كل ما ورد فى الكتاب ، مما شاهدته عيناى وما سمعته وما وصلنى من معلومات " إضافة إلى ذلك شمل الكتاب أيضاً معلومات عن طريقة سير الأسطول فى البحر ووظائف كل فئة من الفئات التى على متن الأسطول ، وهى من المعلومات المهمة التى لم يرد ذكرها فى الكتابين السابقين(٣) .

الخاتمة

خلال ٢٨ سنة من عام ١٤٠٥ إلى عام ١٤٣٣، لم تكد تنقطع رحلات تشنغ خه السبع البحرية، ومر أسطوله في كل رحلة بالدول الكبيرة والصغيرة في جنوب آسيا وقرب الهند، الأمر الذي عزز العلاقات بين الصين وهذه الدول وخاصـــة العلاقات السياسية والاقتصادية المتبادلة. وفيما بعد توافد رسل الدول الأجنبية إلى الصين، وفي ذلك الوقت، كانت أشرعة السفن ترفرف على سطح بحر الصين الجنوبي، وتزداد التبادلات بين الصين والدول الأخرى مع مرور الأيـــام ، فخــلال رحلات تشنغ خه البحرية، تمت إبادة القراصنة في جيوقانغ (إندونيسيا اليوم)، فتوطدت الاتصالات بـــين دول المنطقـــة وأصبحت الطرق البحرية طرقا سالكة.

لقد أحرز تشنغ خه منجزات جديدة في تحديد الخطوط الملاحية وجمع التجارب الملاحية ، واحتل خط تشـــنغ خـــه الملاحي الذي يبدأ من المحيط الهادي الغربي ويخترق المحيط الهندي ويصل إلى شرقي إفريقيا مركز الصدارة في تاريخ الملاحة العالمي. وكانت رحلاته البحرية باستخدام المراكب الخشبية وبالاعتماد على قوة الرياح تحتاج إلى التغلب على كل الأنواع من الصعوبات وإلى فن الملاحة وفن صنع السفن والخبرات الملاحيـــة واســـتيعاب المعـــارف البحريـــة والجـــرأة وروح الاستكشاف، وهذا كله أرسى أساسا للملاحة التي قام بها الصينيون فيما بعد..

لقد شقت رحلات تشنغ خه البحرية السبع واستكشافه خطوط المواصلات البحرية، مما شكل شبكة مواصلات بحرية متكاملة . ووصلت رحلاته الثلاثة الأولى إلى شرقي الهند وأقصاها إلى قولي – ميناء هام للتجارة بين الشرق والغـــرب في العصور القديمة، ووصلت رحلته الرابعة إلى غربي آسيا ومناطق شرقي إفريقيا. وشملت خطوط تشنغ خه الملاحية الرئيسية ٥٦ خطا طول كلها ١٥٠٠٠ ميل.

كانت رحلاتتشنغ خه السبع البحرية هي تحول هام من "طريق الحرير البري " إلى "طريق الحرير البحـــري"، وهـــي كذلك معجزة في تاريخ الملاحة. إن تشنغ خه بحار يمتاز بالروح الجريئة والعطاء والروح الاستكشافية النادرة. وقد فتحت رحلاته قرنا كاملا شهد عمليات الإبحار في مشارق العالم ومغاربه .

كانت رحلات تشنغ خه السبع البحرية تهدف إلى الدبلوماسية السلمية ، وهي تختلـــف عـــن رحـــلات كولمبـــوس (١٤٥١– ١٥٠٦) لاكتشاف أمريكا والتي جلبت المصائب للشعب المحلي اختلافا كبيرا.كذلك تختلف عن رحلات ديجاما

(1) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan , p .26

(٢) قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـــ٥٢

(٣)قوه ينغ ده ، المرجع السابق ، صـــ٥٣

(١٤٦٩-١٥٢٤) التى ارتبطت بالعدوان ونهب الثروات ويكفى لكى ندرك الفرق بين ذكرى تشنغ خه وغيره أنه مازالت بلاد كثيرة تحيى ذكرى زيارته لها وتعتبرها رمزاً للصداقة ؛ لذلك فهو جدير بأن نطلق عليه رسول السلام .

الملاحق

ملحق رقم (١) رسم تصويرى للإ مبراطور " يونغ لى "

المصدر: http://albertchine.over-blog.com



ملحق رقم (٢) المكان الذى كان يتم فيه بناء سفن الكنوز فى نانجينغ حالياً

المصدر : ZHeng HE,S voyages Down The Westren Seas .p13 ,



ملحق رقم (٣) صورة توضح الفارق بين أحدى سفن اسطول تشنغ خه " سفن الكنوز " وسفينة كولومبس

المصدر : http://people.cohums.ohio-state.edu



ملحق رقم (٤) خريطة توضح رحلات تشنغ خه السبع

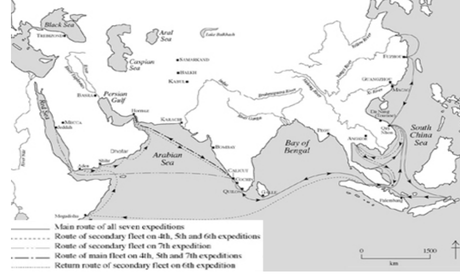
المصدر : http://www.mahalo.com



ملحق رقم (٥)

خريطة توضح رحلات تشنغ خه بالتفصيل

المصدر: http://people.cohums.ohio-state.edu



ملحق رقم (٦) خريطة تشنغ خه التى تعتبر الخريطة البحرية الاولى فى تاريخ الصين فى القرن الخامس عشر . المصدر :
http://www.mapsorama.com/zheng-he-map-in-15th-century/



ملحق رقم (٧)
النصب الصخرى الذى دشنه تشنغ خه فى مدينة كولومبو فى سيرلانكا وهو الأن فى متحف المدينة
المصدر: http://threeblindmen.photoshelter.com



ملحق رقم (٨)
صورة لعملات نقدية خلفتها رحلات تشنغ خه البحرية .
المصدر : http://hkmal.blogspot.com/





ملحق رقم (٩) رسم الزرافة التى اهديت للإمبراطور "يونغ لى "
المصدر : http:// eccentricyoruba.wordpress.com

ملحق رقم (١٠) ضريح تشنغ خه فى كونيانغ بمقاطعة يونان

المصدر : http://mongolschinaandthesilkroad.blogspot.com





ملحق رقم (١١) معبد سان باو فى مالقا أطلق
عليه هذا الاسم لتخليد ذكرى تشنغ خه

ملحق رقم (١٢) مسجد تشنغ خه فى اندونسيا

المصدر : http://en.wikipedia.org

المصدر : http://ayabushkahmar.blogspot.com



المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

(١) ابن تغرى بردى (جمال الين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) (ت٨٧٤) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨.

(٢) السخاوى (شمس الدين محمد عبد الرحمن بن محمد) المتوفى ٩٠٢هـ :الضوء الامع لأهل القرن التاسع ، ضبطه وحققه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ، بيوت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٣) ابن المقرى (شرف الدين أبى الذبيح اسماعيل بن ابى بكر المقرى اليمنى الشافعى) (ت ٨٣٧) الديوان المسمى الشرف الوافى ، طبع بمطبعة نخبة الخيار ،بموباى ، الهند ، ١٣٠٥هـ .

(٤) القريزى(تقى الدين احمد بن على)(٧٦٦-٨٤٥) درر اعقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، جمعه وعلق عليه محمود الجبيلى ، دار الغرب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣/٢٠٠٢ .

(٥) ياقوت الحموى (شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت الحموى الرومى البغدادى) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

ثانياً : المراجع :

(١) ابراهيم فنغ جين يوان ، الإسلام فى الصين ، تعريب محمود يوسف لى هواين ، دار الهلال الأزرق ، هونج كونج ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ .

(٢) بدر الدين حى الصينى : تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، دار الإنشاء والطباعة، طرابلس، ١٣٩٤هـ

(٣) تاريخ الصين ، سلسلة سور الصين العظيم ، دار بناء الصين للنشر ، بكين ، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

(٤) تشو يوان : القوميات المسلمة فى الصين ، ترجمة وجيه هواى وى تشينغ ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، الطبعة الأولى ،١٩٨٨ .

(٥) جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين، ترجمة محمد غريب، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

(٦) شيوى قوانغ : جغرافيا الصين ، ترجمة محمد أبوجراد ، دار النشر باللغات الأجنبية ،بكين ،الطبعة الأولى ، ١٩٨٧

(٧) قوه ينغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيا مين ، المركز العربى للمعلومات ، بكين ،٢٠٠٤.

(٨) محمود يوسف لى هواين : الشخصيات الإسلامية البارزة فى الصين ، دار الهلال الأزرق ، هونج كونج ، الطبعة الأولى ،٢٠٠٣.

(٩) مهذب رحلة ابن بطوطة المسماه " تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ن تهذيب احمد العوامرى بك ومحمد أحمد جاد المولى ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٣٣ .

(١٠) هيلدا هوخام ، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى نهاية القرن العشرين ، ترجمة أشرف كيلانى ، المجلس الأعلى للثقافة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ .

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

(1)Arnold Schrier : The Eunch and the Giraffe ,world history bulletion ,Social scienes and philosophy , Arkan Tach Univeresity , 2007.

(2) Hsiao Hung-Te : Fleet and Wall 1405-1433 , the Zheng He expedition and Ming Empire Policy , faculity of Asian studies , Australian National University , 2003.

(3) Ma Huan : " Ying-Yai shang-lan " :" The overall survey of the ocean,sshores " , translated and edited by J.V.C Mills ,Cambridge Univeristy press , 1967.
(4) Sally K.Church :Zheng He: an investigation into the plausibility of 450-FT Treasure ships , Monumenta serica , Journal of oriental studies , 2005.
(5) Wang Gung Wu : Admiral Zheng He and southest Asia , The opening of relation between China and Malcca ,edited by Leo Suryadinata , institute of Southeast Asian Studies , Singapore , 2005.
(6) ZHeng HE,S voyages Down The Westren Seas , complited by the information office of the people,s Gavernement of Fu Jian province , China intercontinental press.

رابعاً: مواقع الإنترنت

- http://albertchine.over-blog.com
- http://ayabushkahmar.blogspot.com
- http://eccentricyoruba.wordpress.com
- http://en.wikipedia.org
- http://hkmal.blogspot.com/
- http://mongolschinaandthesilkroad.blogspot.com
- http://people.cohums.ohio-state.edu
- http://threeblindmen.photoshelter.com
- http://www.mahalo.com
- http://www.mapsorama.com/zheng-he-map-in-15th-century/

العلاقات العربية الصينية وأثرها في الفكر الديني الياباني تناكا إيبيه نموذجا

أ د سمير عبد الحميد إبراهيم نوح

نظرة تاريخية على اتصال العرب بالصين واسهامات العرب والمسلمين في الحياة العلمية والفكرية

وصل العرب والمسلمون إلى الصين قبل أكثر من ١٣٠٠سنة ، فقد كانت هناك سفارات وصلت منذ زمن الخلفاء الراشدين، فالسجلات الصينية تشير إلى وصول مبعوث الخليفة عثمان رضي الله عنه الى الصين ولقائه بإمبراطور الصين قاو تسنغ.

ويذكر الباحث السوداني جعفر كرار أحمد زميل معهد الدراسات التاريخية بجامعة بكين أن مصادر أسرة مينغ تؤكد أن أربعة رجال قدموا من شبه الجزيرة العربية إلى الصين أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم للتبليغ بالإسلام، واستقر أولهم في مدينة غوانزهو Guanzhou بينما استقر الآخر في مدينة يانغزهو Yangzhou وانتهى المقام بالصحابي الثالث والرابع بمدينة كوانغزهؤو Quangzhou ، وهناك مصادر تذكر وصول بعثة عربية إلى الصين زارت البلاط الإمبراطوري في العاصمة "تسيان" Xian حاليا " شي آن " ورجعت البعثة إلى الجزيرة العربية عن طريق وسط آسيا وبلاد فارس(١).

منذ البدايات كان الاتصال بين الصين من جهة وبين العرب والمسلمين من جهة أخرى قائما أساسا على الاهتمام بالمعاملات التجارية، و لم يكن لدى الطرفين حاجة للحديث عن الدين أو حتى الفكر والثقافة، بل كان كل طرف يصف دين الآخر، فالرحالة العرب والمسلمون يصفون عادات الصينيين وتقاليدهم بينما المؤلفون الصينيون يصفون المسلمين وكيف يعبدون الله، فقد ذكرت حوليات عهد أسرة "كوانغ تنغ" (٦١٨م-٩٠٧م) في القسم الخاص بالتجار المسلمين الذين كان يطلق عليهم "داشي" أن بعض الغرباء وفدوا على "كانتون"، يعبدون الله، وليس في معابدهم تمثال ولا صورة، ديانتهم تختلف عن ديانة بوذا، وكانوا لا يطعمون لحم الخنزير ولا يشربون الخمر، ويطلق عليهم اليوم اسم "هوي هوي" ولما استأذنوا الإمبراطور " قاو تسنغ" وحصلوا منه على إذن بالإقامة في "كانتون" بنوا دورا جميلة من طراز يختلف عن ذلك الذي في بلادنا، وكانت لهم ثروة عظيمة، ودانوا بالطاعة لرئيس انتخبوه بأنفسهم.

و لم يكن انتشار المسلمين في موانئ الصين الساحلية فقط بل توغلوا داخل الصين فوصلوا إلى "تشوان تشو" و"يانغ تشو" و"هانغ تشو" على نهر " اليانسيكيانغ" وانتشر الإسلام في الصين خلال فترة أسرة تانغ التي انتهي حكمها للصين سنة ٩٠٧م

حين بدأ عهد أسرة سُنغ (٩٠٧م – ١٢٧٩م) كانت أعداد كبيرة من المسلمين قد استقرت على سواحل الصين وبخاصة في " كانتون" و"تسي تون" المعروفة في المصادر العربية باسم "الزيتونة" وغيرها، ودخل كثير من السكان المحليين في الإسلام، وشارك أبناؤهم وأحفادهم في إدارة الدولة الصينية وفي حركة الأدب والثقافة وبخاصة في مجال الترجمة، ويذكر أن مؤلفات ابن سينا قد نقلت إلى الصينية في عهد أسرة سُنغ(٢).

تمكن المغول من القضاء على حكم أسرة " سُنغ" وتوحيد الصين وتأسيس أسرة "إيوان المغولية" (١٢٨٠م) التي جلبت معها عشرات الآلاف من الحرفيين والعلماء والإداريين المسلمين إلى الصين للمساعدة في إدارة الصين وإعمارها، كانت الصين من نصيب " قبلاي خان" الذي لقب بـ " يوان سي تسو" ويذكر أنه في عهده كانت الصين تضم اثنتي عشرة مقاطعة منها ثماني ولايات حكمها ولاة مسلمون، كما كان هناك نواب حكام من المسلمين في مقاطعات أخرى،

---

(١) جعفر كرار أحمد ، رسالته للدكتوراة بعنوان تاريخ العلاقات الصينية العربية جامعة نانجين ١٩٩٥م غير مطبوعة وبحثه دراسة حول الإسلام والمسلمين في ظل الدولة المغولية في الصين بحث غير مطبوع

(٢) ذكر فهمي هويدي في كتابه الإسلام في الصين ان الصين احتفلت سنة ١٩٥٢م بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد ابن سينا في مؤتمر بعنوان ابن سينا والطب الصيني ص ٤١ الإسلام في الصين سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨١م

ويمكن الرجوع لما كتبه ابن بطوطة في رحلته لندرك المكانة التي وصل إليها المسلمون آنذاك، الذين انتشروا في مدن الصين المختلفة وكانوا خليطا من من الفرس والعرب والأتراك(١).

ويشير رشيد الدين الهمداني صاحب جامع التواريخ (٢) إلى وجود قادة عسكريين في يونّان من المسلمين العرب وغيرهم أسهموا في القضاء على آخر معاقل أسرة سُنغ الجنوبية بعد فتح مدينة "زيانغ يانغ Xiang Yang " وقد ورث الأبناء والأحفاد مواقع الآباء والأجداد في الجيش، واندمج هؤلاء تدريجيا في المجتمع الصيني وتحولت أسماؤهم الإسلامية إلى أسماء صينية أو خضعت الأسماء العربية الإسلامية إلى طريقة النطق الصيني فصار اسماعيل يكتب i-si-ma-yin أما محمد فكان يكتب ma- hu- ma- su وهكذا ..وقد وصل المسلمون إلى مكانة عالية أشارت إليها المصادر العربية والفارسية مثل صبح الأعشى للقلقشندي وجامع التواريخ لرشيد الدين الهمداني، ويشير الأخير إلى أن المسلمين تولوا مناصب رفيعة في جميع المجالات لدرجة أن مراسم قبلاي خان وأوامره كانت تترجم إلى اللغة العربية والفارسية. (٣)

وقد أشار رشيد الدين الهمداني في تاريخه إلى أن دارا للقضاء الإسلامي الحكومي تأسست عام ١٣١١م ، وانتشرت المدارس الإسلامية التي تدرس اللغة العربية واللغة الفارسية فضلا عن العلوم الإسلامية ، كما تأسست مدرسة لدراسة فن الخط العربي والفارسي ١٢٨٩م وكان المسلمون يتمتعون بالحرية الدينية في ظل حكم أسرة المغول مثلما تمتعوا بها في عهد أسرتي تانغ وسُنغ والاستقلالية في إدارة شئون دينهم ومعاشهم وكان لتواجد المسلمين في مناطق الصين المختلفة تأثير ملحوظ على الثقافة الصينية وعلى العلوم المختلفة في الصين، فقد استخدم المغول التقويم الإسلامي الهجري الذي أعده الفلكي المسلم جمال الدين ، وقد أطلق على التقويم الإسلامي " تقويم وان نيان" ويعني العشرة آلاف سنة، وكان التقويم الهجري مرجعا مهما لوضع التقويم الصيني على مدار أربعمائة سنة امتدادا من أواسط القرن الثالث عشر (٤) كما أسهم الصينيون بدورهم في الفلك الإسلامي(٥)

و لم يقتصر الأمر على الفلك فقد نشطت حركة ترجمة كتب عربية في الرياضيات بما فيها أصول الهندسة، وأسهم المسلمون في تطوير علم الجغرافيا والخرائط في الصين ، وقد نهل الصينيون من الطب الإسلامي ونهل المسلمون أيضا من الطب الصيني، وأثبت رشيد الدين الهمداني في كتابه قائمة بالمؤلفات الطبية الصينية المترجمة من لسان أهل الخطا أي الصين إلى لغة الفرس ثم إلى لغة العرب.

رعاية أباطرة الصين للعلماء من أصول عربية وإسلامية

إسهامات علماء العرب المسلمين وتأثرهم بالفكر الديني الصيني والثقافة الصينية

اندمج المسلمون إبان عهد أسرة "يوان" المغولية وذابت أعداد كبيرة منهم في الثقافة الصينية وذلك بشكل تطوعي، وتأثر المسلمون الصينيون في تلك الفترة بأفكار الكونفوشية وتعاليمها، بل أصبح بعضهم من كبار أساتذها، و لم يكن هذا

---

(١) هويدي مصدر سابق ص ٦٠ وما بعده

(٢) انظر الترجمة العربية للكتاب الفارسي جامع التواريخ مجلد ٢ ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد دار احياء الكتب العربية ط القاهرة دون تاريخ

(3)Rossabi,Morris, The Muslims in the Early Yun Dynasty p.276

نقلا عن جعفر أحمد مصدر سابق وانظر ايضا فيصل السامر الجذور التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى دار الطليعة وزارة الاعلام العراقية ١٩٧٧م

(٤) جمال الدين باي شوي مساهمات المسلمين الصينيين في التاريخ مقال في كتاب سلسلة ثقافية منشورات مجلة بناء الصين بكين ١٩٨٢م دار النشر باللغات الأجنبية نقلا عن جعفر بحث غير منشور

(٥) العلاقات الثقافية الخارجية في فترة أسرة يوان مجلة بناء الصين يوليو ١٩٨٠م بقلم جاو صيان نقلا عن جعفر أحمد مصدر سابق

بالأمر الغريب لأن تعاليم الكونفوشية الأخلاقية لا تتعارض مع تعاليم الإسلام في شيء (١) وفي عهد الإمبراطور ين يو Yen yu (١٣١٤م – ١٣٢٠م) اهتم المسلم الصيني شوشين تاي shu shin tai(قائد وحدة المدفعية في خونان) بالكونفوشية كثقافة وفكر فاستخدم ثروته الخاصة في تأسيس أكاديمية استغرق بناؤها عشر سنوات كما أسس ابنه معين تيمور (وكان ينطق بالصينية مو–اين– تيه– موmu yen tieh mu) مكتبة الكلاسيكيات والكتب القديمة.

لم يقتصر الأمر على الفكر الديني بل تعداه إلى الثقافة والأدب الصيني فقد برع عدد من المسلمين في الأدب الصيني، واحتلوا مكانا مرموقا في تاريخ الأدب الصيني، ولم تقتصر إسهامات المسلمين الصينيين على الفكر الأخلاقي الكونفوشيوسي أو الشعر الصيني بل كان منهم من برعوا في فن الرسم والخط بل برع بعضهم في عدد من الفنون والأنماط الأدبية في وقت واحد مثل "كاأوكو كونغ" kaoko-kung الذي كان شاعرا ورسامنا، وتخصص أيضا في الفلسفة الكونفوشية والتاريخ والأدب الصيني (٢)

كما اهتم الصيني العربي المسلم شمس وينطق في الصينية "شم سيٍ Sham-si" ليس فقط بالفكر والثقافة الكونفوشية بل بالثقافة الطاوية أيضا، كما كتب نحو اثني عشر كتابا عن الكونفوشية والطاوية والفلك والتنجيم والجغرافيا والتاريخ وعلم البيئة أي علم تخزين المياه، وأعد أطلسا جغرافيا فضلا عن كتابه سيرة حياة العظماء (٣) ولم يقتصر الأمر على الرجال بل تعداه إلى النساء، فهناك نساء مسلمات شاعرات وأديبات(٤).

يعد العالم المسلم الذي كان يلقب بالسيد الأجل/عمر شمس الدين (١٢١١م–١٢٧٩م) أو كما تطلق عليه المصادر الصينية الأمير العربي زيانغ يانغ Xiang Yang نموذجا للتعايش بين المسلمين وأتباع الأديان والتقاليد المختلفة في الصين، وقد أوضحت مخطوطة ترجع إلى سنة ١٦٨٤م صفحات من تاريخه الذي لمع أثناء حكم أسرة يوان وكان حاكما على مقاطعة يونان. (٥)

ويذكر أن أسرته هاجرت من الجزيرة العربية إلى بخارا حيث ولد شمس الدين، وقد رحلت أسرته إلى الصين سنة ١٠٧٠م مع جيوش المغول، وذاعت شهرته في منطقة بكين، ويان جينغYanjing وهينانHenan وزينديغ Zhending وغيرها وكسب ثقة الناس في الصين، وكانحكيما متسامحا في سياسته الدينية وعلاقته مع القوميات المختلفة والأقليات في منطقة تضم تشكيلة متباينة من الأقليات والديانات والثقافات المختلفة، وهكذا بنى مسجدين كبيرين كما بنى معابد ومدارس لآتباع الكونفوشية بل يقال إنه أول من بنى في عام ١٢٧٤م–١٢٧٦م أول معبد كونفشيوسي في تاريخ منطقة يوننان، وألحق به مدرسة لدراسة التعاليم الكونفوشية فضلا عن تدريس علوم أخرى مثل الطب والفلك وغيرها (٦) (٦)

---

(١) انظر سمير عبد الحميد : الاسلام والأديان في اليابان القسم الخاص بالشنتو مكتبة الملك عبد العزيز العامة الرياض وانظر صفحات البحث الأخيرة

(٢) جعفر كرار مصدر سابق

(٣) تاريخ أسرة يوان نقلا عن جعفر كرار مصدر سابق

(٤) تشير حوليات أسرة مينغ والمصادر الصينية إلى أديبة مسلمة صينية عاشت في زمن أسرة يوان اسمها "يوئيه إيه" ابنة جمال الدين مفتش منطقة "وو تشانغ" وكانت تؤلف باللغة الصينية وعالمة بالكلاسيكسات. نقلا عن جعفر أحمد مصدر سابق

(٥) هويدي المسلمون في الصين ص ٥٢ وما بعده

(٦) جعفر أحمد مصدر سابق

ازداد عدد المسلمين في زمن أسرة مينغ(١٣٠٩م – ١٦٤٤م) زيادة ملحوظة نظرا للتزاوج بين الأسر المسلمة من الأصول العربية والايرانية والتركية والصينية وقد أصدر الإمبراطور عددا من المراسيم الإمبراطورية لحماية المسلمين وضمان حقهم في العبادة (١).

وقدم أرضا ودعما ماليا لبناء مسجدين، وشجع المسلمين على مواصلة الآعمال التجارية داخل الصين، ووصل الأمر إلى حد أن الإمبراطور تايزوTai-zu (١٣٦٨م-١٣٩٨م) أمر ببناء مسجد في نانجين ونظم بنفسه قصيدة مكونة من مائة كلمة في مدح الرسول الكريم، نحتت على نصب حجري وضع في المسحد(٢)

وهكذا كان العرب والمسلمون يلقون معاملة طيبة من أمبراطور أسرة مينغ التي أعادت العرش إلى عرق الهان الذي تنتمي إليه الأغلبية الساحقة من الشعب الصيني، فتزوجوا من صينيات من الهان، وتقبلوا بعضا من عادات أهل الصين الأصليين. (٣)

في عهد أسرة مانشو (١٦٤٤م – ١٩١١م) واصل المسلمون اندماجهم في المجتمع الصيني وإسهامهم في تطوير المجتمع وإدارته، وظهرت قيادات إسلامية وعلماء متخصصون في القرآن والحديث والفقه والتوحيد وغيرها من العلوم الإسلامية مثل الشيخ "وانغ داي يو" المتوفي ١٦٦٠م وهو أول من كتب عن الدين باللغة الصينية والشيخ "مانشو" الذي كتب عن الإسلام والشيخ ليؤ تشيه المتوفى ١٧٣٠م(٤)وهو عالم معروف كتب كتابا في السيرة من عشرين جزءا وسيأتي الحديث عنه فيما بعد، والشيخ "مانو تشو" المتوفى ١٨٧٣م وقد كتب خلاصة أصول الدين الأربعة وتعريف روح الإسلام، وهكذا نلاحظ أن المسلمين أصبحوا يحملون أسماء صينية بجانب الأسماء العربية كما أن الأسماء المتداولة في مجتمعات المسلمين أخذت صياغات صينية. (٥)

تعرض المسلمون لظروف قاسية أحيانا إلا أن الإمبراطور تشين يوانغ (ويكتب أيضا تشيان لونغ) في سنة ١٧٣١م حاول أن يهدئ من روعهم فأصدر بيانا يحدد فيه سياسته، وهو بيان يشرح وضع المسلمين ومكانتهم في الصين على مر التاريخ، فذكر أنه " في ولاية من ولايات الإمبراطورية يوجد منذ قرون كثيرة مضت عدد كبير من المسلمين يشكلون شريحة من شرائح الشعب الصيني وأنا أعتبرهم كأبنائي، وأنظر إليهم كما أنظر إلى بقية رعيتي تماما، لا أفرق بينهم وبين الذين لا يدينون بالإسلام" (٦)

ومن أهم الدلائل على انتصار الإمبراطور تشيان لونغ للمسلمين، وقوفه إلى جانب طباعة كتاب سيرة خاتم النبيين للعالم المسلم الشيخ ليوتشيه سابق الذكر (وينطق أيضا ليو تسي) الذي أمضى ثلاث سنوات في تأليفه من سنة ١٧٢١م إلى ١٧٢٤م تنقل خلالها في أرجاء الصين سعيا وراء الكتب العربية والفارسية الخاصة بسيرة النبي صلي الله عليه وسلم، ونشر الكتاب لأول مرة سنة ١٧٧٥م وفي سنة ١٧٨٢ حين أعيد نشره بعد مرور سبع سنوات على الطبعة الأولى، قام البعض بإقامة دعوى باطلة لمعارضة نشر الكتاب، اشتهرت بقضية "هاي فو رون" ومن أجل تسوية القضية عرض كتاب السيرة النبوية على الإمبراطور تشيان لونغ فاستحسنه بعد مطالعته ووضع له مقدمة أشاد فيها بالكتاب، وبذلك أصبح

---

(١) مرسوم سنة ١٣٩٢م يحمي المسلمين وممتلكاهم ومساجدهم

(٢) جعفر أحمد المصدر السابق

(٣) هويدي المسلمون في الصين ص ٦٨ وما بعدها

(٤) جاء في كتاب المسلمون في الصين ليحيى هوييدي أنه توفي سنة ١٧٤٥م والتاريخ الذي اثبتناه مذكور في الطبعة الجديدة لكتاب سيرة خاتم النبيين انظر الكتاب المذكور مقدمة محمد علي تشانغ جيع رئيس الجمعية الإسلامية الصينية يونيو ١٩٨٤م بكين

(٥) هويدي مصدر سابق ص ٦٨ وانظر ايضا الموسوعة الجغرافية المجلد الآول جامعة الامام محمد بن سعود الآسلامية الرياض ١٩٩٨م

(٦) نقلا عن هويدي ص ٧٢- ٧٣

الكتاب أكثر شهرة من ذي قبل الأمر الذي حدا بالسيد "يوان" صاحب المطبعة التي نشرت الكتاب من قبـــل إلى إعـــادة طباعة الكتاب عدة مرات. (١)

وقد استوعب المسلمون دروس تاريخهم في الصين فلم يكونوا راغبين في أن يظهروا كأجانب فهم مواطنون صينيون، وإن اختلف دينهم واختلفت لغتهم عن بقية مواطنيهم من أتباع الأديان والعقائد الأخرى، وكانوا من الحصافة بحيث بنوا بعض مساجدهم دون مآذن كما كان بعضها مصمما على الطراز الصيني بحيث لا يمكن أن يميز الناظر إليها من الخـــارج بينها وبين أي معبد آخر أو منشأة عامة في الصين مثل مسجد "تسنغ تشن داسي" (بمعني بيت الله تعالي) المبني في "شي آن" وقد تأسس في عصر مينغ، والحقيقة أن المسلمين لجأوا إلى ذلك مراعاة لشعور الصينيين وتجنبـــا لاســـتفزازهم، و لم يتميزوا عن غيرهم من الصينيين في الزي والملابس العادية حتى لا يكاد يعرفهم أحد من أول وهلة، بينما في المسجد كان الشيوخ يضعون العمامة بينما المصلون يضعون الطاقية البيضاء أو السوداء على رؤوسهم. (٢) كمـــا كـــان المســـلمون يشاركون معابد الكونفوشية احتفالاتها وكان منهم من يعمل موظفا فيها.

والحقيقة أن المسلمين – كما يذكر توماس أرنولد – كانوا يصورون الإسلام لمواطنيهم من الصينيين على أنه متفق مع تعاليم الكونفوشية مع فارق واحد هو أن المسلمين يسيرون وفق تعاليم أجدادهم في الزواج والجنازات وغسل الأيدي قبل وجبات الطعام، وتحريم لحم الخنزير والخمر والدخان ولعب الميسر، وقد كانت مؤلفات المسلمين تمجد كتب كونفشيوس وغيرها من الكتب الصينية، وتشير إلى الإتساق بين ما في الكتب الصينية وتعاليم الإسلام(٣).

استمر الوجود الإسلامي حتى اليوم دون انقطاع ويرجع السبب إلى أن المسلمين الذين أقاموا في الصين وانـــدمجوا في المجتمعات الصينية، والصينيين الذين أسلموا واندمجوا في المجتمعات الإسلامية، لم يجدوا ما يحول بينهم وبين ذلك، نظرا لأن عقائد الصينيين وتقاليدهم الثقافية النابعة من تراثهم القديمة لا تتعارض مع المبادئ الأخلاقية الإسلامية، مما حـــدا بعلمـــاء المسلمين في الصين الكتابة عن الإسلام وشرحه لمواطنيهم الصينيين على خلفية العقيدة الطاوية والعقيد الكونفوشية.

الفكر الديني الصيني: تأثره بالإسلام وتأثيره في اليابان

نشير هنا باختصار إلى الطاوية والكونفوشية والبوذية في الصين لآن هذه المعتقدات والتقاليد هي التي حددت في معظم الأوقات جوانب العلاقات المختلفة بين المسلمين وجيرانهم داخل الصين من جهة وأثرت على الفكر الديني الياباني من جهة أخرى.

من المعروف أن الطاوية متعمقة في الصين وهي أقدم من الكونفوشية وأشمل منها، بل هناك من يرى أن كونفوشيوس نفسه يعد من رسل الطاوية والمبلغين بها، وليس للطاوية مبدأ معين لكنها مجموعة متداخلة من المعتقدات الشعبية أساسا تهتم بإيجاد التوازن بين البشر والعالم من حولهم أو المضي على الطريق الصحيح في الحياة، والطاوية تشبه الشنتوية اليابانية لدرجة أن الطاوية تعني تعاليم الطريق أو شريعة الطريق والشنتوية تعني طريق الإله (٤) وكلاهما بمعني الصراط المســـتقيم، ولهـــذا انتشرت الطاوية في صورة الكونفوشية في اليابان، وقد وصلت الكونفوشية إلى اليابان قبل وصول البوذية. (٥)

تعني الكونفوشية باختصار شريعة الحكم عن طريق الأخلاق، إلا أنها ارتبطت أيضا بفهم الكون والسماء لذا عـــدها البعض عقيدة أو دينا جوهره التعليم الذي يؤدي إلى أن يفيد الإنسان نفسه على أساس مبادئ الأخلاق الأمر الذي يؤدي

---

(١) مقدمة كتاب سيرة خاتم النبيين بقلم محمد علي تشانغ جيه رئيس الجمعية الإسلامية الصينية – بكين يونيو ١٩٨٤م

(٢) هويدي ص ٧٦

(٣) هويدي ٧٨

(٤) انظر امين ماكوتو ميزوتاني الأديان في اليابان بين الماضي والمستقبل دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٧م ص ١٦٠

(٥) طبقا لسجلات التاريخ اليابانية القديمة سنة ٢٨٥م

إلى حسن الإدارة في البيت أولا ثم يتعداه إلى الدولة فيؤدي إلى استقرارها، وهـذا الاستقرار هبة من السماء، وكونفوشيوس يرى أن تربية الإنسان لنفسه وسموه الأخلاقي أمر ممكن لأن هذه هي الفطرة التي فطر عليها الإنسان، كما أن الإنسان خيّر في الأصل. (١)

ازدهرت تعاليم الكونفوشية كثيرا في الصين وصارت دستورا تشريعيا، لآنها تعلم الولاء وطاعة ولي الأمر، واستخدمها الصينيون واليابانيون على حد سواء بإفراط فكانت الأصولية الكونفوشية تعني إرغام المواطنين على تقديس الإمبراطور الراعي الإلهي، وقد أحدث هذا قلقا شديدا في أوساط المسلمين الصينيين الذين رفضوا الخضوع لغير الله الواحد، ورفضوا تقديس غير الله.

أما البوذية فوصلت الصين من الهند في القرن السادس الميلادي وتحولت إلى ما يطلق عليه بوذية الـزن أي التأمل والاستغراق في التأمل، ثم تحولت في القرن الثامن إلى ما أطلق عليه البوذية الصوفية، وقد انتقلت البوذية الصينية إلى اليابان، ولا شك أن صراعا أو نزاعا كان يحدث أحيانا بين أصحاب العقائد سابقة الذكر سواء في الصين أو اليابان، وفي الصين حدثت نزاعات او صراعات بين الصينيين من غير المسلمين والمسلمين تسببت فيها أحيانا عناصر خارجية .

لم تكن الكونفوشية التي انتقلت تعاليمها إلى اليابان من الصين دينا أو عقيدة ، وأكثر من هذا فإن الفلاسفة اليابانيين البارزين مثل " إينازو نيتوبيه " يرون أن البوشيدو استوحت فضائل الكونفوشية واعتمدتها في تكوينها المتعلق بالأخلاق، فإقرارها للمبادئ الأخلاقية الخمسة ما بين السيد والمسود، والحاكم والمحكوم، والأب والابن، والزوجين والأصدقاء ، إنما هي جميعها تؤيد ما كانت تتمخض عنه الغريزة اليابانية قبل تسرب تعاليم كونفوشيوس إلى اليابان قادمة من الصين.

وفي الصين كان المسلمون من جانبهم يحاولون شرح الإسلام لمواطنيهم الصينيين على أرضية العقيدة الكونفوشية إن صح التعبير وهذا ما ذكرة توماس أرنولد، ومن المعروف أن العالم المسلم الشيخ ليوتشيه – صاحب كتاب سيرة خاتم النبيين– كان يعلم الكونفوشية، وكان يدرس العقائد الصوفية وفلسفة التأمل، وكان يعتقد أنه لا فرق أبدا بين تعاليم الإسلام الأخلاقية وتعاليم الكونفوشية، وهذا ما أشار إليه الياباني المسلم "تناكا إيبيه" الذي تتلمذ على كتبه واستفاد من مؤلفاته وترجم كتابه سيرة خاتم النبيين إلى اليابانية، ونقل كثيرا من أفكاره، وقد اعتنق الياباني تناكا إيبيه الإسلام، وهو يعد رائد الدراسات الإسلامية في اليابان (٢) واعتقد تناكا إيبيه بدوره أنه لا فرق بين التعاليم الأخلاقية في الطاوية والبوذية والإسلام، ويفهم من مؤلفات العالم الصيني ليوتشيه تأثره بأفكار كونفوشيوس ونظرته الخاصة التي تتضمنتها الأفكار الصينية التي كان يدرسها منذ صغره. (٣) ويمكن الاطلاع على أفكار ليوتشيه في علم الكلام من خلال كتابه المسمى بشرح لطائف وهو بالعربية (٤).

سمات التعليم الديني الإسلامي في الصين

نشأ تدريس الدين الإسلامي والعلوم الإسلامية في الصين منذ أمد بعيد ، وتطور ذلك من خلال المساجد في أواخر أسرة مينج (١٣٦٨–١٦٤٤م) وأوائل حكم أسرة تشينغ (١٦٤٤–١٩١١م) حين وضع مشاهير العلماء المسلمين كتبا

---

(١) انظر سمير الاسلام والأديان في اليابان مصدر سايق

(٢) انظر تناكا ايبيه رائد الدراسات الإسلامية ورحلاته في بلدان آسيا والجزيرة العربية تحرير نخبة من الآساتذة ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية الرياض ٢٠٠٤م

(٣) انظر باليابانية فهم الاسلام في الفكر الياباني المعاصر مقال شيغيرو هاسيبي الحاج تناكا ايبيه والصين ص ٣٤٦ نشر جامعة تاكشوك ٢٠٠٨م

(٤) طبع في الهند سنة ١٣٢٠ هجرية باهتمام الفقير عبد الحكيم الحاج السيد محمد نور الحق بن السيد لقمان الصيني البخاري الأصل الذي أشاد بالمؤلف قائلا والله لولا ختم المصطفي لكان بالصين نبيا وفي اخر صفحة كتب هذا الطبع واقع بجانبور في سنة ١٣٢٠ الهجرة النبوية وعلى صاحبها افضل الصلاة واكمل السلام وعلى اصحابه أجمعين والحمد لله تممت الكتاب في شهر ربيع الأول بعون الله انظر الملحق

باللغة الصينية ، أطلق عليها الكتب الإسلامية الكلاسيكية القديمة، وبدأ الأئمة يدرسون لتلاميذهم هذه الكتب في المساجد ، وقد أدى هذا إلى تشجيع دراسة تعاليم الإسلام ، مما ساعد على وجود عدد كبير من علماء المسلمين الصينيين ، يعرفون العربية والفارسية ويفقهون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وكانوا يعلمون باللغة الصينية ، وبلغة أخرى هي خليط من العربية والفارسية ، وانتشرت الكتب التعليمية المترجمة للصينية .

ومن الكتب التي ترجمت أو كتبت بالصينية في أواخر حكم أسرة مينغ كتاب " شرح حقائق الإسلام" ، و"جامع تعاليم الإسلام" ، و"شريعة الإسلام" ، و"سيرة النبي عليه الصلاة والسلام" ، وقد ذكر تناكا ابيه أنه استفاد من بعض هذه الكتب وغيرها.ولم يقتصر دور المساجد على الصلاة والتعليم ، وإنما تجاوزها إلى إبرام عقود الزواج ، وإصدار وثائق الطلاق ، وتجهيز موتى المسلمين والصلاة عليهم ، والتعرف على أحوال المسلمين الاجتماعية ، وعلى مشاكلهم ، والبحث عن حلول لها ، والتوفيق بين أفراد الأسر ، وإصدار الفتاوى الشرعية وغيرها، وباختصار كان المسجد محور حياة المسلمين الدينية والاجتماعية والثقافية ، وهو ما ألمح إليه تناكا ابيه في كتاباته في مواضع مختلفة .

برز في عهد أسرة مينج عالم صيني المولد من مقاطعة يون نان يدعى كونغ تاسو ، أسس مدرسة في أحد مساجد يون نان ، وكان يدرس الفقه والتفسير والحديث واللغة العربية ، واشتهرت مدرسته ، كما نال هو شهرة واسعة حتى لقب بمعلم المعلمين أو أستاذ الأساتذة(١). وهناك علماء آخرون أنجبتهم المدارس الدينية ، ومنهم الشيخ " وانغ دي يو" (حوالي ١٥٦٠-١٦٦٠م) ويعتقد أنه أول عالم صيني كتب عن الإسلام بالصينية (٢) ومن أشهر كتبه " الأجوبة الصحيحة عن الدين الحق " وكتاب "حقيقة الإسلام " ، ومن العلماء المشهورين أيضا الشيخ ماتسو (١٦٤٠-١٧١١م)،الذي ألف كتابا ضخما من عشرة أجزاء بعنوان " إرشاد الإسلام " ، ويأتي من بعده الشيخ لوتشيه الذي ترجم تناكا ابيه كتبه إلى اليابانية ، والذي ينطق اسمه باليابانية ريوكايكو، ومن أهم مؤلفاته حقائق الإسلام في ستة أجزاء ، وسيرة خاتم الأنبياء في عشرين جزءا وأحكام الإسلام في عشرين جزءا ، وهناك عالم آخر هو الشيخ ما فو تسو (١٧٩٤-١٨٧٣م) الذي اشتهر بمؤلفاته مثل : " خلاصة أصول الدين الأربعة "، و " مقصد الحياة " ، و " التعريف بروح الإسلام " و " أحكام الدين ". (٣)

هل يمكن أن يكون الإسلام قد أثر على الفكر الديني الصيني؟

وجهة نظر يابانية

يرى بعض المفكرين اليابانيين وجود احتمال قائم بشأن تأثير الأفكار الإسلامية على الكونفوشية وبخاصة مذهب زوتشي ومذهب يانغ منغ، يذكر البروفسر شيغيرو هاسبيه المتخصص في الدراسات الصينية أنه كان يقرأ كتاب السيرة النبوية الذي كتبه العالم المسلم الصيني ليوتشيه فوجد أن ما كتبه المؤلف عن الاسلام إنما هو شرح للمنطق الكونفوشي، ويكتب البروفسر شيغيرو: " لم يطرأ على ذهني أبدا أنه كان يشرح الإسلام بل ظننت أنه يكتب عن الكونفوشية بأسلوب منطقي واضح فأدركت أن نظام الفكر الاسلامي يفوق الفكر الكونفوشي، ويقال إن العلماء الصينيين المسلمين قد درسوا علوم الكونفوشية لكي يعرفوا وجود الله وإثبات وجود الله. ويتساءل البروفسر شيغيرو: لماذا أثر الاسلام في الكونفوشية؟ ويجيب: لأن زوتشي ١١٣٠م-١٢٠٠م الذي أسس الكونفوشية الجديدة كان رجلا متجولا في المناطق المجاورة لميناء الزيتونة سينشوSenshu الذي كان يجتمع فيها أصحاب الديانات .. وبالمثل كان المؤسس الثاني للكونفوشية الجديدة "أو يوميه" ١٤٧٢م-١٥٢٨م (عهد منغ) كان في بحثه عن الطريق او الشريعة أشبه بالصوفي، وقد

(١) فهمي هويدي : الإسلام في الصين الكويت ١٩٨١م ص ٨٢-٨٣

(٢) الموسوعه الجغرافية المجلد الاول ص ٣٢٥ ومن أشهر كتبه " الأجوبة الصحيحة عن الدين الحق " وكتاب "حقيقة الإسلام " ،

(٣) الموسوعة الجغرافية المجلد الأول ص ٣٢٦ وفهمي هويدي ص ٨٧

شرح العقيدة الأساسية لاتحاد رب الكون والانسان أي نظرية وحدة الوجود، وهكذا أثر الإسلام في الكونفوشية وأثرت الكونفوشية في الفكر الياباني وكان تأثير الاسلام سابقا على التأثير الأوربي في اليابان." (١)

فلا شك – كما ذكر البروفسر شيغيرو هاسيبيه – أن الإنسان حين ينتقل من مكان إلى مكان ذهابا وإيابا ينقل معه عقيدته ودينه مما يجعلنا نتساءل: هل يمكن وجود فكر مستقل أو منعزل عن بقية الأفكار؟ وهل يوجد حد فاصل أو قاطع بين الحضارات كما يدعي أصحاب فكرة صراع الحضارات. (٢)

تناكا إيبيه وتأثره بالفكر الديني الإسلامي في الصين

ولد تناكا إيبيه في الثاني من إبريل سنة ١٨٨٢م ،و في العاشرة من عمره عمل مع أمه في أحد المحلات التجارية واهتم في صغره بقراءة نوع من الأدب الصيني ،و في سنة ١٩٠٠م (٣٣ ميجي) التحق الشاب تناكا إيبيه الذي بلغ من العمر تسع عشرة سنة بالمدرسة التايوانية " تايوان كيوكاي جاكّو " (بجيم قاهرية) التي كانت نواة جامعة تاكشوك الحالية ، وكانت رغبته في دراسة الأدب الصيني شديدة ،. سافر تناكا إيبيه إلى بكين بعد أن توفى والده ، ثم عاد ليدرس مرة ثانية في المدرسة التايوانية

حين كان في الرابعة والثلاثين من عمره وفي سنة ١٩١٥م (السنة الرابعة من حكم تايشو) عُين رئيسا لفريق من الباحثين في القسم العسكري في "تشين تاو " بالصين . حين كان في الثانية والأربعين سافر ثانية إلى الصين سنة ١٩٢٣م (٩ تايشو) ووصل إلى ساي نان وهناك ارتبط بمسجد " سيه شين نان داي جي ، وظل يدرس الإسلام على يد الإمام الصيني الأهون (أو الأخوند) سو فو رين ، ذلك الإمام الذي ينتمي إلى إقليم زهيلي ، و أعلن تناكا إيبيه إسلامه في يوم الجمعة الحادي عشر من يناير سنة ١٩٢٤م ، وصار اسمه نور أو الحاج نور محمد ، أو كما سمى نفسه ذات مرة الحاج نور محمد بن آدم (٣) وشهدت السنوات التالية تغيرا ملحوظا على شخصيته

أقام تناكا إيبيه مدرسة لتدريس الصبية، وبدأ الاتصال بالأئمة المسلمين في الصين وغيرها ، وكان يرافقهم أو يصطحبهم إلى طوكيو ، وقد عاد مرة إلى اليابان مع الإمام أو الأهون تشو تو كو إمام مسجد هو تين سيه شين جي ، وكذا مع قربان علي التتاري الذي أسهم في بناء مسجد طوكيو ، ونشط الحاج نور محمد تناكا معهما في تعريف اليابانيين بالإسلام

وحين بلغ الحاج نور محمد تناكا الخمسين من عمره ، فكر جديا في إجراء حوار بين الديانات الخمس في اليابان وهي الشنتوية والبوذية والكونفوشية والإسلام والنصرانية على ما أعتقد ، وقد واتته هذه الفكرة سنة ١٩٣١م (العام السادس من حكم شوا) واستمر في العمل في قسم الدراسات الآسيوية في معهد دايتو بنكا جاكّو إين (بجيم قاهرية). في عام ١٩٣٣ م قرر أن يسافر إلى الحج مرة أخرى وبعد أداء شعائر الحج عاد الحاج محمد نور من مكة ، متجها إلى شنغهاي ، وخلال الرحلة البحرية مرض مرضا شديدا ، وحين وصل إلى اليابان في ٢٣ مايو سنة ١٩٣٤م نقل إلى المستشفى حيث وافته المنية في الساعة الخامسة فجر يوم الخامس عشر من سبتمبر(٤).

---

(١) أثر الإسلام في حضارة اوربا وآسيا نريهيكو ايكيدا هيديومي موتو وآخرون تقرير الندوة البحثية للحلج الياباني ايبيه تناكا جامعة تاكشوك ٢٠٠٨م

(٢) المصدر السابق ص١٨٩

(٣) انظر رحلته للحج الترجمة العربية في كتاب تناكا إيبيه ترجمة سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية الرياض ٢٠٠٤م

(٤) ذكر بدر الدين الصيني في كتابه عن المسلمين في الصين أن تناكا الذي ترأس وفدا إسلاميا يابانيا قد توفي على إثر إصابته بالملاريا في البلاد العربية ، ولم يثن ذلك مرافقه من القيام بجولات واسعة في البلاد الإسلامية ..الخ انظر كتابه العلاقات بين العرب والصين مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط اولى ١٩٥٠م ص ١٤٣ – لكن الحقيقة أن تناكا قد وصل اليابان وتوفي بالمستشفي كما أوضحنا.

شخصية تناكا إيبيه ومكانته : من ناحية العقيدة كان تناكا إيبيه سمحا مع كل الأديان، كان شنتويا لأن عقيدة الشنتو هي العقيدة الوطنية ، لكنه أيضا كان يندمج مع البوذية، ويأخذ منها ما يراه مناسبا لفكره، كما كان يتمسك بما في تعاليم الكونفوشية من مبادئ إنسانية، وقد درس النصرانية في مرحلة مبكرة من مراحل حياته، ورغم أنه كـــان يــــدرس الأدب الصيني لكنه كان ينصح أصحابه ورفاقه بضرورة الانتباه للثقافات الأخرى في آسيا والتعرف عليها وأوصى قبل موته بأن يهتم الدارسون اليابانيون بالإسلام، وبأن يهتموا بدعم علاقاتهم مع المسلمين في آسيا بخاصة وفي العالم كله(١)

الأثر العربي الصيني في تشكيل الفكر الديني لتاناكا ايبيه

الظروف والمصادر التي شكلت ثقافته الإسلامية :تردد تناكا إيبيه على الصين وعاش فيها نحو عشرين سنة، وخلال هذه السنوات العشرين تشكلت في ذهنه صورة الإسلام الذي انطلق من جزيرة العرب، بعد أن نزل الوحي علـــى الـــنبي صلى الله عليه وسلم ، وخلال هذه السنوات ظل تناكا إيبيه يرسم في ذهنه صورة طاهرة للنبي صلى الله عليــــه وســـلم ، ويقرأ ويدرس ويترجم ما كتبه علماء الصين وغيرهم عن الإسلام ، وخلال تلك السنوات العشرين عايش تناكـــا إيبيـــه المسلمين واختلط بهم، واقترب منهم أكثر فأكثر، ثم قرر في النهاية أن يعتنق الإسلام ، وأن يكون مســـلما حقيقيـــا، وأن يؤدي أصعب الفرائض في ذلك الزمان ، وهي فريضة الحج .

ويعترف تناكا نفسه بأن اعتناقه للإسلام لم يكن نتيجة رغبة آنية طارئة، ولا لهوى عابر، ولا لأســـباب سياســـية أو لأغراض البحث العلمي، وإنما كان لقناعته التي تمتد إلى آماد بعيدة (٢).ويشير تناكا ابيه إلى بداية رحلتـــه إلى الصـــين ، فيذكر أنه في صيف عام ٣٥ من عهد ميجي /١٩٠٢م سافر إلى بكين مشبعا بآمال الشباب وطموحاته، وهناك في الصين قضى سنوات مزعجة ثم يقول : " .. ومن حسن حظي أنني كنت أذهب من وقت لآخر إلى مسجد قريب من بيتي ، في ذلك الوقت كنت أشعر بنوع من الراحة ، نتيجة إحساسي بأنني في جو من الألفة والأخوة والصداقة .. كنت أبحث عن دربي مدة عشرين سنة .. لكنني فشلت في كل شيء للأسف فشعرت بالضعف يدب في مفاصلي ، كما شعرت بأنني لا أجد من أثق به ، في ذلك الوقت التقيت بمحمد النبي ، ووجدت القرآن الكريم الذي نزل على محمد (صلى الله عليـــه وسلم) ، ومن هنا عادت إليّ قوتي وثقتي بنفسي ، وكنت كلما فكرت في بوذا والبوذية يأتي على ذهني محمد النبي (صلى الله عليه وسلم). (٣) ومن هنا بدأت مشاعر تناكا إيبيه الشاب تتجه نحو الإسلام ، أو كما قال نحو الطريق الصــــحيح ، لأنه كان يريد أن يعطي معنى لحياته(٤).

فمن المعروف أن أسرته كانت تتبع عقيدة الريزاي زين البوذية التي انتقلت من الصين إلى اليابان سنة ١١٩١م وبعـــد سفره إلى الصين اهتم قليلا بدراسة الطاوية، وهي الديانة القديمة التي ظهرت في منطقة شاندونغ في الصين، وكان تناكا ابيه قد أقام طويلا في شاندونغ، وكما ذكرنا كان قد درس في صغره النصرانية، ثم اهتم بالكونفوشية ، إلا أن صـــورة الـــنبي (صلى الله عليه وسلم) كانت باقية في أعماق قلبه ، ومن هنا كان دائما يربط بين مفهوم الله في الإسلام ، ومفهوم الله في الفكر الياباني القائم على العقيدة الشنتوية ، وكان يرى أنه طالما توجد علاقة بين الكونفوشية والزين ، فإن هناك علاقة بين الإسلام والكونفوشية، وهكذا بدأ تناكا يربط أيضا بين الإسلام والشنتوية اليابانية ، مما دفعه لنشـــر كتـــاب بعنـــوان " مستقبل الإسلام في الصين والديانة الصينية في البلد السامي " أي اليابان ، وكان يسعى إلى أن يتلقى من بعـــض القـــراء انطباعاتهم حول هذا الموضوع. وقد ذكر تناكا ايبيه أن ما تعلمه عن الإسلام كان من خلال كتاب "مختصر الدين الحق النقي" أي مختصر مبادئ الإسلام ، ومناسك الحج ، وكتاب سيرة النبي ، ومن خلال كتب أخرى مترجمة إلى الصينية ،

---

(١) تناكا إيبيه المجلد الأول جامعة تاكشوك طوكيو ط اولى

(٢) تناكا إيبيه ٣٥٥ المجلد الأول جامعة ناكشوك ط أولي

(٣) انظر أيضا ما كتبه يوشيدا شيجيرو بجيم قاهرية تناكا إيبيه ٣٥٥ المجلد الأول

(٤) مشاهدات ياباني أسلم في الصين إعداد عباس البستاني وكئيوكا نيشيموتا مجلة دراسات شرقية فكرية فصلية محكمة العددان ١٣-١٤ ١٤١٤هـــ/١٩٩٤م ص ١١٢

جعلته يكتشف أن الإسلام دين رائع.وقد لخص الأستاذ نور الدين نوبوأو موري الأستاذ بجامعة تاكشوك احتواء ذهن تناكا للعقائد المختلفة عبر مراحل حياته في السطور التالية :

" كان السيد تناكا في شبابه من معتنقي ديانة الشنتو اليابانية بل ومن الملتزمين بأداء طقوسها الدينية ، بالإضافة إلى دراسته البحثية للدين المسيحي طوال عشرين عاما من خلال الكتاب المقدس الذي ترجمه إلى اليابانية السيد / أوتشيمورا كانزو ، كما كانت عائلته من أتباع طائفة ريتزاي " مذهب زين " بالديانة البوذية ، درس في صباه بمدرسة العلوم الصينية الخاصة وكان في الصين – قبل إسلامه – متخصصا في فلسفة طاو الصينية التقليدية ، هكذا كان درب السيد تاناكا الفكري والعلمي حتى اهتدى بالاسلام . انتهى "

أوضح تناكا إيبيه في يومياته التي سطر فيها ذكرياته في الصين بالتفصيل الحالة الفكرية للمسلمين الصينيين وطريقة حياتهم اليومية ومساجدهم ومطاعمهم وكياباني مسلم نقل ملاحظات مهمة عن تعايش المسلمين داخل المجتمع الصيني مع غيرهم مع الحفاظ على تعاليم الدين بالشكل المفهوم لديهم(١).

يكتب تحت عنوان ذكريات (٢) مشيرا إلى مسلمي الصين ويضم نفسه إليهم أيضا فقد عاش في الصين وسافر داخل الصين وأحيانا خارج الصين كصيني لا ياباني:

" نحن لا نعبد محمدا ولا نصلي لمحمد لكن عند مدخل المسجد كتبت عبارة تتعلق بسنة محمد وسيرته، وكنت كلما خرجت من المسجد بعد الصلاة أتوقف عند هذه العبارة باحترام وتبجيل، وهذا يدل من ناحية أخرى على أن محمدا لا يزال باقيا بين المسلمين بسيرته العطرة وسنته التي يتبعها المسلمون في حياتهم، وهذا ما لا نراه فيما يتعلق بكونفوشيوس، فلا نرى هذا الشعور تجاهه بين الناس بهذا الشكل، ولم تعد عقيدة كونفوشيوس سوى مجرد بقايا كتابات شي شو غوكيو." ويذكر تناكا إيبيه أن الإمام الشيخ مسموح له بالزواج مثل أي مسلم عادي .. وحين يقرأ المسلمون القرآن يتمايلون ويهزوون رؤوسهم وهؤلاء أتباع جماعة جديدة لكن لا يوجد اختلاف بين الجماعة القديمة والجديدة فكلاهما ينتميان الى المذهب الحنفي(٣). التقى ايبيه بداعية مسلم نشط يدعي "أو سيه ساي" رئيس الهيئة التعليمة في تين شين له مؤلفات كثيرة، وكان قد قدم في زيارة تفقدية للمسلمين في المنطقة الغربية ذكر له "أن المسجد هذه الأيام لا يؤدي رسالته الحقيقية من أجل الدعوة الإسلامية لذا يجب التحرك هنا وهناك خارج المساجد، ويجب نشر تعاليم الاسلام بين الناس وايقاظ المسلمين من ثباتهم" (٤) وكان هناك مسلمون من جنسيات مختلفة يعيشون في الصين فحين صلى ايبيه الجمعة في مسجد تن داي جي وسط ٦٠٠ مسلم شاهد هنودا ومسلمين من جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) وأشار إلى أنه لم يشاهد هذا المشهد الا هنا في (تين شين)التي تبعد عن بكين عدة ساعات من السفر، وفي بكين زار منطقة تجمع المسلمين التي يطلق عليها حي غيوغاي، والتقي بامام مسجد بكين "أو شين غي" الذي قدم أجداده إلى الصين في عهد سو وتحدث معه في موضوع مقارنة الأديان وشكا وضع الاسلام. وطبقا لتناكا إيبيه الذي زار مناطق المغول يأتي المسلمون في منطقة تشوكاكو من حيث عددهم ومكانتهم في المقام الثاني بعد مسلمي تين شين، وهم يعملون في مجال الاستيراد والتصدير وتجارتهم مزدهرة دائما وفي المدينة ستة مساجد .. والإئمة هنا موثوق بهم. (٥) أما في مدينة نانكين فالمسلمون لا يفدون على أي مطعم إلا إذا كان مملوكا لمسلم وهناك مكان أُطلق عليه بيت الشاي، يقدم فيه الطعام أيضا، وفيه

---

(١) انظر سمير عبد الحميد وسارة تاكاهاشي تناكا ايبيه ورحلاته الى الجزيرة العربية الصفحات المتعلقة

(٢) المصدر السايق ص ١٤١ وما بعدها

(٣) انظر التفاصيل ص ١٤٢ وما بعدها

(٤) نفسه ص ١٥٠

(٥) نفسه ص ١٦٥-١٦٦

يبيعون الصحف وغير ذلك .. ويناقشون تجارتهم ومعاملاتهم معا ويتشاورون في موضوعات الخطبة والـــزواج والأمـــور العائلية... ويبيعون المناظير المكبرة والمسواك وخردوات كثيرة متنوعة .." (١)

تناكا ابيه وليوتشيه

لقد اهتم تناكا إبيه بترجمة كتابات العالم الصيني المسلم الشيخ ليو تشيه الذي يذكر اسمه في بعض الكتـــب هكـــذا : "ليوشياي لين" و " ليو تشيه ليان" كما يكتب أيضا بالحروف اللاتينية هكذا : Lui Tchih ، وأيضا Liu Tchiai و Liu Chai-Lien– (٢) وقد اشتهر ليو تشيه بكتابه " سيرة النبي الخاتم " الذي ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان The Arabian Prophet أي النبي العربي ، وقد ترجمه إسحاق ماسون Issac Mason وطبع في شنغهاي عام ١٩٢١م ، وكان إسحاق من المهتمين بانتشار الإسلام في الصين ، وكان يكتب بحوثا في هذا الموضوع . (٣)

وقد ذكر الأستاذ (طيب المختار) هيديومي موتو(جامعة تاكشوك) أنه بالرغم من أن معظم أعمال تناكا تتعلق بمسلمي الصين ، فقد اشتهر بترجمته لكتاب ليو تشيه ليان "سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم " إلى اللغة اليابانية ، وأضاف الأستاذ موتو : " بعد لقاء ونقاش مع الدكتور إبراهيم جاو ، شرح لي الدكتور جاو الكثير عن كتاب ليو تشيه ليـــان ، ووصفه لي ، وبين لي أمورا كثيرة تتعلق به وبأنه لا مثيل لهذا الكتاب بين مؤلفات أي مسلم صيني .." (٤)

وقد اطلع تناكا إيبيه على ترجمة كتاب السيرة النبوية إلى الإنجليزية ، وذكر تناكا إبيه أن الترجمة فيها أخطـــاء كـــثيرة وفيها حذف كثير في مواضع عديدة ، كما أن المترجم تغافل عن إثبات النصوص العربية التي وردت في الأصل ، وهـــذا يوضح تمكن تناكا من دراسة مؤلفات ليوتشيه ، أو كما يقال له باليابانية ريوكايكو.من هنا من الضروري أن نشـــير إلى أثر فكر ليو تشيه ليان – الذي نال مكانة رفيعة في أوساط المفكرين الصينيين من مسلمين وغيرهم – على تناكا ، نظـــرا لأن دراسة ما كتبه تناكا ، وما أشار إليه من فكر ديني ، يؤكد بما لا يدع مجالا للشك على أنه تخرج من مدرسة ليو تشيه ليان الفكرية ، ويؤكد على أنه وجد حلولا لتساؤلاته الدينية في خلال مطالعته لمؤلفات ليوتشيه ليان فيلسوف الإســـلام العظيم في الصين ، الذي قال عنه أحد العلماء الذين شرحوا كتبه: "فوالله لولا ختم المصطفى عليه السلام لكان بالصـــين نبيا ! "(٥)

تشير المعلومات إلى أن ليو تشيه عاش في نان كين حوالي (١٦٦٢م –١٧٣٦م) وتفرغ للبحث والتأمل ، وقد ذكر في كتابه " فلسفة الإسلام " أن ما دفعه إلى ذلك هو أنه كثيرا ما كان يسمع والده ، يتحسر على غربة الإسلام عن الجيل الجديد ، الذي نشأ يتحدث الصينية مع غياب المؤلفات ، التي تشرح له الإسلام بهذه اللغة ، ولهذا توجهت نيته منذ البداية إلى تقديم الإسلام وشرحه باللغة الصينية ، بل ذهب أبعد من ذلك ، وهو التفكير وفق هذا المعتقد من خلال هذه اللغة .

وهذا المنهج هو المنهج الذي اختاره تناكا ايبيه حين قدم فلسفة الإسلام الدينية لليابانيين وهو يكتب لهم بلغتهم .

وقد اختار ليو تشيه لنفسه طريقا صعبا للوصول إلى الحقيقة، وصفه بالعبارة التالية :

".. قضيت ثماني سنوات أطالع فيها كل كتب التراث الكونفوشيوسي ، ثم ست سنوات أخرى لدراســـة التـــراث البوذي ، وسنة أخرى لدراسة التراث الطاوي ، وأخيرا عكفت على قراءة مائة وسبعة وثلاثين كتابا أوربيا ." (٦) ثم بدأ

---

(١) نفسه ص ١٩٤-١٩٥

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية بالإنجليزية والقاموس الصيني الإنجليزي لماثيو ، وأيضا ترجمة إسحاق لكتاب السيرة النبوية بعنوان النبي العربي الذي طبع في شنغهاي سنة ١٩٢١م

(٣) الموسوعة الجغرافية م ١ ص ٣٣٥ وص ٣٥٢ الهوامش

(٤) انظر تناكا ايبيه المجلد الثاني جامعة تاكشوك ص ٦٠٣ تقديم بقلم هيديومي موتو

(٥) انظر سعاد الوحيدي الفلسفة الإسلامية في الصين مجلة الدراسات الشرقية ص ٧٣ مجلة دراسات شرقية العددان ١٣-١٤ باريس ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م

(٦) نقلا عن سعاد الوحيدي ص ٧٣

ليو تشيه ليان يبحث في عموم الصين عن كل ما كتب عن الإسلام يقول : " ثم طفت بكل بقاع الصين ، وزرت كل مكتباتها ، باحثا في كل مكان عما يمكن أن يوجد من مؤلفات تتعلق بديننا ، حتى ضاق أهلي ذرعا بانشغالي بهذا البحث الذي لم يكن بالنسبة لهم ليدر عليّ بأي نفع مادي " (١) وهكذا خلف لنا ليو تشيه تراثا ضخما من المؤلفات الدينية والفلسفية والعقائدية والصوفية وغيرها ، تجاوزت مئات المخطوطات ، وكانت نواة حركة تجديد فكري في الصين نمت وازدهرت ، إلا أن معظم كتاباته ظلت مخطوطة أو ضاع معظمها ، ومع هذا فقد طبع بعضها ، ومن أهمها كتاب السيرة النبوية الذي ترجم إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية واليابانية ، وكتاب فلسفة الإسلام الذي عرف في أنحاء العالم ، وكذلك كتاب أسرار حروف اللغة العربية ، ومختصر المذاهب الإسلامية ، وشرح قواعد الإسلام وكتاب اللغة العربية وغيرها .

ويمثل كتاب السيرة النبوية وكتاب فلسفة الإسلام مساحة في فكر تناكا ايبيه ، فالأول عرفه على نبي الإسلام ، بشكل جعل تاناكا إيبيه لا يفتأ يذكر النبي صلي الله عليه وسلم في كل موضع من مؤلفاته بل وفي أشعار، أما كتاب فلسفة الإسلام فيبدو أنه شكل الفكرة الأساسية عن الإسلام في ذهن تناكا إيبيه ، وجعله يربط ما بين الفكر الإسلامي والفكر الكونفوشيوسي والشنتوي ، وهذا الكتاب حظي باهتمام الباحثين في كل مكان كما أشارت الباحثة سعاد الوحيدي (٢) وقد حاول البعض تأصيل مصادر ليو تشيه في كتابه هذا ومنهم محمد واصل في بحثه بعنوان Arabic and Persian Sources used by Liu Chih (٣) ومن الغريب حقا أن يقوم أحد مفكري الإسلام في الصين بشرح كتاب فلسفة الإسلام باللغة العربية ، وهو الحاج محمد نور الحق الصيني (٤) واسمه الصيني هو ما ليان يوان Ma Lian-Yuan عاش بين سنة ١٨٤١-١٨٩٥م ، وقد أشار الحاج محمد نور الحق إلى الاسم العربي الذي كان يسمى به ليو تشيه ليان ، فقد كان من عادة مسلمي الصين أن يتخذ كل منهم اسما عربيا إلى جانب اسمه الصيني ، وهكذا كان ليو تشيه ليان يتخذ لنفسه اسما عربيا هو صالح قيليان، وذكرت الدكتورة سعاد الوحيدي أنها عثرت على دراسة تشير إلى المؤلفات الصينية للمسلمين ، جاء فيها ذكر ليو تشيه هكذا: Lieou Tchi Surnomme Kiailien Tchai (٥) وقد ذكر بروموهل Marshal Brooomhal في كتابه الإسلام في الصين(٦) هذه العبارة مشيرا إلى أن ليو تشيه تشيه هو قاليان :

Liu chih was a native of Nanking and is also called KiaiLien وقد ورد الاسم قليان بحسب إشارة بليو Pelliot ضمن الفهرست الإمبراطوري الصيني الذي أشار إلى أعمال ليوتشيه ، كما أن عالما صينيا هو الشيخ محمد مكين الصيني كتب مقالة في مجلة الفتح (٧) مشيرا مرة إلى اسم ليوتشيه معربا بعد أن ذكر اسمه العربي :

" .. ومسقط رأس العلامة صالح ليوجلين ومدفنه في نانكين عاصمة الصين الجديدة ، وقد زرت روضته الطاهرة سنة ١٣٤٧ هجرية ... ووضع مؤلفات العلامة ليوجلين رحمه الله بعد التصحيح فازدهر الإسلام مرة أخرى ، وطلع

---

(١) المصدر السابق

(٢) سعاد الوحيدي ص ٧٤

(٣) نشر البحث مع د ليسلي في Central Asiatic Journal ,26/1-2 (1982)pp.78-104

(٤) ينتمي الحاج محمد نور الحق الصيني إلى السيد الأجل الذي نزح إلى يون نان في زمن الإمبراطور قبلاي خان واسمه الصيني هو ما ليان يوان Ma Lian-Yuan عاش بين سنة ١٨٤١-١٨٩٥م

(٥) انظر سعاد الوحيدي هوامش ص ٧٥

(6)Islam in China A neglected Problem,Edinburg,1910,p.73Broom Hall,Marshall

(٧) الفتح القاهرة عدد غرة رمضان ١٣٥١هجرية

حقبة المعلم العظيم الحاج نور الحق ماجيان ، فتخرج من مدرسته العلماء العاملون أفواجا ومسقط رأسه في ولاية يونان ." انتهى

وهذا يوضح أهمية الحاج محمد نور الحق ومكانته الفكرية التي أهلته للإمامة وتخريج عدد كبير من العلماء على يديه. (١) وهو يعترف بعلو قدر ليو تشيه فقد كتب في شرحه لكتاب فلسفة الإسلام أو ما سماه بالسبل :

" لما رأيت متن " السبل " المؤلف باللسان الصيني لبديع الزمان العالم العلامة المحقق المدقق المشتهر في بلاد الصين بعلو البلاغة في التأليف والبيان " صالح قيليان" قدس الله سره ، فوالله لولا ختم المصطفى عليه السلام لكان في الصين نبيا "

ثم يضيف واصفا الكتاب ومشيرا إلى الشرح الذي كتبه عليه: " رأيته أوضح كتب الحقائق معنى ، وأحضرها لفظا ، وأحسنها ترتيبا مع توضيح ليس فيه حشو و إملال ، ومع اختصار بين فيه كل شيء في العالمين بالإكمال .. أمرت أتباعي بحفظه ، لكن أبهم عندهم بعض معانيه ، ولشفقتي بهم ، بالعربية بينته ، ثم لتكثير فوائد به شرحته ، وأنا بـــ(اللطائف الخمسة) سميته. " (٢)

وما يهمنا هنا هو الإشارة باختصار شديد إلى فلسفة ليو تشيه التي تأثر بها بالضرورة تناكا ايبيه بعد قراءته لكتبه ، وترجمته لها ، ومن هنا نشير إلى أن ليو تشيه أراد أن يقدم الإسلام كمعتقد يمهد للوعي بالعلاقة بين الإله الخالق للأشياء من عدم مطلق، وهذا العالم المخلوق الموجود، وتقديم مفاهيم جديدة قائمة أساسا على الاعتقاد بحقيقة الخالق إلى من هم يؤمنون بثقافة قائمة أساسا على الفكر الكونفوشيوسي أولا ثم البوذي والطاوي ثانيا ، وهي الثقافة أو لنقل العقيدة التي لم تعرف فكرة الخلق من عدم ، عبر مراحل تطورها الفكري .

ومن هنا كان ليو تشيه يفكر في كيفية تفسير هذا الدين أي الإسلام الذي أراد أن يكون له وجود ملموس في الصين ، وهكذا اتجه إلى تفسيره تفسيرا كونفوشيوسيا ، على أساس البحث عن نقاط الاتفاق ، مبتعدا عن نقاط الاختلاف ، ويبدو أن هذا كان أسلوب علماء الصين المسلمين السابقين له واللاحقين ، فقد كتب العالم المسلم الصيني " كوئين تاي يو Qoen Tai yu" عام ١٦٤٣م كتابا بالصينية ، يهدف فيه إلى إظهار أوجه التشابه الوثيق بين التعاليم الكنفوشية والإسلام ، كما اتبع نفس المنهج العالم الصيني المعروف أبو يوسف ما تونغ ، وذلك في محاضرته التي ألقاها ضمن حلقة بحث عن الإسلام في الصين بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية في باريس سنة ١٩٩١م .

وقد يبدو هذا الأمر لأول وهلة محفوفا بالمخاطر من الناحية العقدية إلا أنه يمكن القول بأن علماء المسلمين الصينيين وغيرهم من العلماء في الصين يدركون أن كونفوشيوس ليس بنبي مرسل ، لكنه حكيم ومفكر ، وله أتباع يطلق عليهم كما ذكر العالم الصيني المسلم " واي وين كين" في حوار له بجريدة الأهرام القاهرية عام ١٩٣٢م. (٣) وهكذا فإن كونفوشيوس كما ذكر العالم المسلم واي وين كين مصلح ، و لم يكن نبيا مرسلا ، و لم يقل بذلك هو نفسه أو أحد صحابته ... وكل تعاليمه خاصة بشئون الدنيا وتدبير الأمور المادية والسياسية والإدارية ، وأصحابه ليسوا مقيدين بعبادة إله معين . (٤)

ومن المعروف أن الأمور الدنيوية في الإسلام متروكة للمسلمين، يصرفونها بما يتوافق مع بيئتهم وظروفهم وزمانهم ، بحيث لا يتعارض ذلك مع ما جاء به الشارع ، وبحيث لا يؤدي إلى إهمال أي فرض أو واجب من فروض الإسلام أو واجباته.

وهذا تأكيد على أن تناكا إيبيه لم يجد أبدا تعارضا بين ما جاء به الإسلام وبين ما يخص الأمور الدنيوية المذكورة في كتب السيرة النبوية وفي القرآن الكريم ، لكنه أدرك تماما أن الدخول في حظيرة الإسلام يفرض على الإنسان أن يصرح

---

(١) سعاد الوحيدي مصدر سابق ص ٧٦

(٢) انظر ص ٣١ من الشرح المذكور

(٣) انظر شكيب ارسلان في هوامش تعليقاته على حاضر العالم الإسلامي

(٤) انظر سعاد ص ٧٩

بذلك بإعلانه للشهادة ، ثم يفرض عليه بعد ذلك أداء الصلاة ،وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت إن استطاع لذلك سبيلا .

ومن ناحية أخرى حرص تناكا على أن يتقرب إلى الله بالإكثار من العبادة والالتزام بالصلاة وصوم رمضان ، واتباع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم التقرب إلى الله بالتفكير في ملكوته ، وحب مخلوقاته ، والعطف على بني البشر، لأنهم جميعا من أبناء آدم ، ولهذا وقع كتاباته في بعض الأحيان باسم محمد نور الدين ابن آدم .

ولهذا فحين قرأ عن الإسلام ، وترجم عن الصينية ما كتب عن الإسلام ، وأدرك ما يقوم عليه الإسلام من قيم أخلاقية ، وتعاليم إنسانية تمثل روح هذا الدين ، لم يشعر أنه أمام معتقد مواجه لمعتقده هو ، ومن هنا كان من السهل بعد الدراسة والبحث أن يدخل إلى الإسلام ، ويصير مسلما بحق ، لكنه ظل يفكر في عقيدة بلده أي الشنتوية ، تلك العقيدة التي يمثل فيها الإمبراطور رمزا معينا ، وأظن أن هذه مسألة تحتاج إلى دراسة متأنية وعميقة ، وقد ذكر البروفسر نور الدين موري تفسير ذلك في مقدمته للمجلد الثالث من كتاب تناكا إيبيه الذي طبعته جامعة تاكشوك :

" طالما كان (أي تناكا) يقارن بين الإسلام وديانة الشنتو اليابانية في العقيدة والشعائر حتى غدا مجزما بأن استمرار سلالة إمبراطور اليابان ما كانت لولا إرادة الله تعالى ، مما جعله شديد الفخر بوطنه اليابان الذي يحفه الله برعاية خاصة ... وأعتقد أن أسلوبي العبادة كليهما في الإسلام وديانة الشنتو هما الوسيلة المثلى التي أنعم الله بها على البشر منذ القدم من أجل التقرب إلى الله ، فربط الدينين ربطا وثيقا مرجعه قدمُهما عبر تاريخ البشر .. كما توصل (أي تناكا) إلى فكرة تقضي بأن مفهوم " الإله " في الإسلام (أي الله) هو نفسه في ديانة الشنتو(١) حيث تشير الصفات الإلهية فيهما إلى أن الله واحد لا شريك له ، وليس كمثله شيء ، كما ورد في سورة الإخلاص في القرآن الكريم . انتهى"(٢) وما أثير هنا قد يوجد إشكالية عقدية ليس هذا مجال مناقشتها ، وقد تثير جدلا كبيرا ، أو انتقادات حادة ، أو حتى اتهامات بالهرطقة أو بالخروج عن الدين

وبصرف النظر عن الاتفاق مع ما ذكره البروفسر نور الدين موري أو الاختلاف معه ، إلا أنه يمكن القول بأن تناكا إيبيه قد تأثر بكتابات ليو تشيه وفلسفته ،فيما يتعلق بتقديم الفكر الإسلامي للصين على البساط الكونفوشيوسي، أو عرض التراث الكونفوشيوسي كأنه تراث حضاري عام ، يحمل خصوصية الفكر الإسلامي ، مما جعله يقبل بسهولة في الصين كمصدر من مصادر التعاليم الأخلاقية بل والوطنية ، فقد ذكر نائب الإمبراطور في تقديمه لكتاب ليوتشيه فلسفة الإسلام " .. إن كتابه (أي فلسفة الإسلام) رغم أنه جاء ليقدم عقيدة الإسلام، إلا أنه يضيء في الحقيقة مذهب الكونفوشيوسية (٣)."

لقد صرف كونفوشيوس النظر كلية عن الميتافيزيقا ، وقصر اهتمامه على هموم الإنسان في محاولة لتنظيم الدولة وتنظيم السلوك البشري ، من خلال تقديم فكر خاص يتعلق بالفطرة البشرية التي تحكمها النواميس ، ثم قال بوجود إرادة السماء ، التي هي " عناية فوقية هادئة " يجب العمل أيضا وفق إرادتها ، وهي إرادة يمكن فهمهما عن طريق الوعي بالتاريخ ، ومن هنا استمد كونفوشيوس من " التراث الماضي " تقاليده ، وعاداته ، وموروثه الحضاري حتى يعزز فكرته عن ناموس الفطرة البشرية ، مؤكدا على فكرة الصين الأمة الواحدة . وقد فهم تناكا إيبيه هذا ووعيه تماما ، لكنه خطا خطوة للأمام ، فرغم اعتزازه بوطنه اليابان ، ورغم اعتقاده بأن قدرة الله قد تجلت في صون سلالة الإمبراطور حتى اليوم – كما هو مسلم به في معتقدات الشنتو – إلا أن يقينه بأن الحق في الإسلام أكثر من غيره كان شديدا ... والإسلام وديانة الشنتو وغيرهما ما هي إلا شيء واحد لغرس نبت في آسيا ، لكن صبغة المكان والثقافة تركت آثارها على كل منها ،

---

(١) يطلق عليه نوميناكا نوشي تو كامي يطلق عليه أماميه نو ميناكا نوشي نو كامي

(٢) انظر الكتاب المذكور ص ٥٠٩

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية ص ٧٧٧ نقلا عن سعاد الوحيدي

فكان النتاج في الهند هو البوذية ، وفي اليابان الشنتو ، وفي الصين الطاوية إلخ ... ومن هنا دعا تناكا بوحدة عامة تربط ليس اليابان فقط ، بل تربط جميع أطراف قارة آسيا تحت شعار آسيا الواحدة . (١)

ثم خطا خطوة أخرى حين نادي بالحوار بين الأديان، ووصل في النهاية إلى ضرورة دمج الدولة في الدين حتى يتحقق الأمن والاستقرار بفضل الله، وقد اهتدى لذلك بعد دخوله في الإسلام كما ذكر البروفسر نور الدين موري. وإذا كان ليوتشيه قد تمكن من جذب الصينيين للتعرف على الإسلام من خلال تقديمه للسيرة النبوية في كتابه المهم سيرة محمد ، حتى أنه نال إعجاب الإمبراطور الصيني(٢) فإن تناكا إيبيه لم يفتأ يذكر النبي صلى الله عليه وسلم في كل مناسبة ، بل يتخيله دائما أمامه ويشعر به في أعماق قلبه ، بل ويقول إنه لا يزال موجودا بيننا ، بتطبيقنا لسيرته تطبيقا عمليا. (٣)

تناكا إيبيه ومنهج التعريف بالفكر الإسلامي في اليابان :

بدأ اهتمام اليابان الواضح بالإسلام قبيل الحرب العالمية الثانية، ومن ثمّ أخذت تحث الباحثين اليابانيين للتوجه الى دراسة الإسلام والمسلمين وبخاصة في جنوب شرق آسيا والصين وجرت بحوث ودراسات عديدة عن الاسلام والمسلمين في الصين فاقت الدراسات التي أجريت عن مناطق جنوب شرق أسيا كالملايو وجزر إندونيسيا ، وكانت اليابان ومنذ بداية الحرب الياباانية الصينيىة قد كثفت نشاطاهما في مناطق المسلمين بالصين، واهتم الجيش الياباني بإجراء البحوث عن الإسلام والمسلمين في الصين بهدف كسب ود المسلمين الصينيين وبخاصة من عرق الهوي والأويغور ومن ثم تأسست بعض الجمعيات الإسلامية ومراكز الدراسات الإسلامية بهدف دراسة المجتمعات الاسلامية ومحاولة استمالتها الى جانب اليابان متل الجمعية اليابانية الاسلامية العظمى داي نيهون كايكيو كيوكاي التي تأسست عام ١٩٣٨م ومعهد دراسات العالم الاسلامي كاي كيو كين كين كيوشو الذي تأسس في العام ذاته، وتوسعت أنشطة هذه الجمعيات والمراكز لتشمل الصين ومناطق جنوب شرق أسيا وقد توقفت هذه الانشطة بعد هزيمة اليابان في الحرب. (٤)

و نلاحظ وجود نمط آخر من الخطاب الإسلامي في تلك الفترة كان صادرا عن ياباني غير مسلم ، والحقيقة أنه يصعب علينا الآن حصر الكتابات التي ظهرت في تلك الفترة والتي تناولت الفكر الديني الإسلامي في اليابان، إلا أنه يمكن أن نوجزها فيما كتبه المفكر الياباني أوكوبو كؤوجي من أبحاث متنوعة تلقى في مجملها الضوء على تعاليم الإسلام ، وما كتبه أوكوبو باليابانية والفرنسية والإنجليزية ، ففي عام ١٩٣٤م كتب بحثا في ٥٥ صفحة بعنوان الإسلام ، وكتب بعدها بحثا عن الإسلام بالاشتراك مع كوباياشي هاجيميه باللغة الفرنسية ، وفي يناير عام ١٩٣٩م كتب بالإنجليزية عن الشرائع والعقائد الإسلامية The Doctrines of Islam وفي مايو كتب بحثا بعنوان " عن المحمديين " وكتب في يونيو بالاشتراك مع كوباياشي هاجيميه بحثا بعنوان قراءات إسلامية وفي سبتمبر من العام التالي كتب بالفرنسية مقالا بعنوان Jeune de Musleman في سبع صفحات ، وفي ديسمبر من عام ١٩٤١م كتب بحثا في ٥٤ صفحة بعنوان مبادئ الإسلام والحالة الحاضرة ، والحقيقة استمر أوكوبو كؤوجي يكتب عن الإسلام بعد الحرب العالمية الثانية ، ففي ديسمبر عام ١٩٥٠م نشر بالاشتراك مع كا جا ميشيما هيرؤوكي (بجيم قاهرية) كتابا في ٣٠٣ صفحة بعنوان "دراسات عن القرآن الكريم "

وقد كتب كوباياشي هاجيميه " مذكرات عن رمضان " في يناير ١٩٣٨م وكتب فيما بعد سلسلة مقالات بعنوان التاريخ الإسلامي نشرت في يونيو ١٩٣٩م وفي أغسطس من العام نفسه وفي مارس من عام ١٩٤٠م ، وفي إبريل من عام

(١) انظر نور الدين موري تناكا ايبيه رائد الدراسات الاسلامية جامعة تاكشوك مصدر سابق ص ٥٠٩

(٢) انظر سعاد الوحيدي ص ٨٠ مصدر سابق

(٣) انظر تناكا إيبيه م١ الترجمة العربية سمير عبد الحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية صفحات متفرقة

(٤) انظر الاحتلال الياباني لجنوب شرق اسيا أثناء الحرب العالمية الثانية والدراسات الاسلامية في اليابان د يوكي شيوزاكي دراسات يابانية وشرقية العدد الرابع ص ١٠٨ وما بعدها القاهرة يوليو ٢٠١٠ م

١٩٤٢م نشر بحثا في نحو ٤٠ صفحة بعنوان القرآن أو السيف ، واستمر في نشر سلسلة مقالات عن الإسلام حتى عام ١٩٦٠م . وهكذا وجد مفكرون بدؤوا كتاباتهم عن الإسلام في تلك الفترة واستمروا إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل سودا ماساتسوجو بجيم قاهرية الذي كتب سنة ١٩٣٧ م مقالا بعنوان " عن الإسلام " أو حول الإسلام ، كما كتب أيضا سلسلة مقالات سنة ١٩٥٥ بعنوان " حكاية الإسلام ". وقام البعض الآخر بكتابة مراجعات لكتب الغربيين عن الإسلام ومنهم تاساكا كؤودو الذي كتب مراجعة لكتاب أربري الإسلام وديانات الشرق القديم ونشرت هذه المراجعة في اكتوبر ١٩٤١م ومن العجيب أن يهتم بعض المفكرين اليابانيين بالمذاهب التي نسبت نفسها إلى الإسلام والإسلام منها براء ، مثل البهائية ، فقد كتب نايتو تشيشو بحثا قصيرا بعنوان " المذهب البهائي ومؤسسه" نشر في يناير ١٩٢٩م ، كما كتب هو نفسه سلسلة من المقالات منها " حركات الصلاة في الإسلام (يوليو ١٩٣١م) مدخل إلى الإسلام (يوليو ١٩٣٨م) ، وظهور المذاهب وتطورها في الإسلام أكتوبر ١٩٣٨م ، والثقافة الإسلامية سبتمبر ١٩٣٩م ، ومقال بعنوان "الصلاة الإسلامية" نشر في فترة متأخرة أي في مارس ١٩٦٦م ، كما كتب ماتسوميا شون إتشئيرو مقالة بعنوان البهائية نشرت في ديسمبر ١٩٣٠م. وباختصار ركز معظم اليابانيين في تلك الفترة على شرح مبادئ الإسلام بشكل عام ، فقد كتب نوكئيوتشي ناجايوشي : " مبادئ الإسلام في سلسلة من المقالات نشرت في مايو ١٩٣٩ وفي أوائل فبراير ومنتصف فبراير ١٩٤١م ، وكتب فوجيو جونجي : العبادة ، والواجبات الدينية في الإسلام إبريل ١٩٣٩م وكتب ميتاني كؤورو عن الشروط الإسلامية للطعام فبراير ١٩٤٠م ، وكتب ميتسو هاشي فوجيو " ماء الطهارة الذي يستخدمه المسلمون يوليو ١٩٤٢م ، واهتم البعض الآخر بالكتابة عن رأي غير المسلمين في الإسلام فكتب هاراميتشي تسوجو " وجهات نظر روسية عن الإسلام ونشر بحثه في أول أكتوبر من عام ١٩٣٩م وترجم ساكي اكئيو كتاب C H Bcker عن الألمانية النصرانية والإسلام ونشره عام ١٩٣٩م وهناك كتابات مجهولة المؤلف ، ربما صدرت بهدف الدعاية لمذهب ما أو كانت مترجمة عن لغة ما ، ومنها " البهائية دين الحب " ومنها "المذاهب والمساجد والفرق في الإسلام" أغسطس ١٩٣٨م و، منها "الحج في الإسلام" فبراير ١٩٣٩م ومنها "المفهوم المعاصر للإسلام" مايو ١٩٣٩م ومنها "المفهوم الإسلامي للحياة بعد الموت" ديسمبر ١٩٣٩م وغيرها(١).لقد اهتم اليابانيون في مرحلة البدايات بالقرآن الكريم واستمر هذا الاهتمام ، بل زاد كثيرا فصدرت ترجمة أحمد أريجا (بجيم قاهرية) مع تاكاهاشي جورؤو (بجيم قاهرية) في يونيو ١٩٣٨م في ٨٧٨ صفحة مع ٨ صفحات مقدمة ، وصدرت سلسلة مقالات تضمنت ترجمات لمعاني آيات من القرآن وشرحا لبعضها ، وقد قام بهذا كل من ساكاموتو كئين رينشي ، و أوكوبو كوجي ، وكوباياشي هاجيميه (مقالات مختصرة نشرت في يوليو ١٩٣٨م ونوفمبر ١٩٣٨م ويناير ١٩٣٩) وقام أوكوبو كؤوجي بترجمة سلسلة من المقالات صدرت بالألمانية بعنوان : Koran der Japanischen Ubersetzung في مايو من عام ١٩٤١م ، وفي فبراير وإبريل وسبتمبر من عام ١٩٤٢م ، وفي ويوليو وسبتمبر من عام ١٩٤٢م ، وفي يناير ومارس ويونيو وسبتمبر وديسمبر من عام ١٩٤٤م .

وكتب ساكوما تيجيئيرو مقالا بعنوان " تحليل " أو شرح القرآن فبراير ١٩٣٦م .

واهتم ايكيدا تاداشي بالكتابة عن صحيح البخاري وصحيح مسلم فنشر مقالا عن الصحيحين في سبتمبر ١٩٣٩م

وظهرت كتابات مجهولة المؤلف أيضا عن القرآن الكريم والحديث النبوي منها : حول الكتاب المقدس في الإسلام في أغسطس ١٩٣٨م ، وفصول من الحديث النبوي يوليو ١٩٣٩م والحديث النبوي سبتمبر ١٩٤٠ وهي مقالات قصيرة في أربع أو خمس صفحات .

وإذا ما انتقلنا إلى الاهتمام بالسيرة النبوية لاحظنا الاهتمام بالترجمة عن اللغات الأخرى فقد سبق ذكر تناكا ايبيه وترجمته لموسوعة السيرة النبوية التي كتبها ريو كايكو بالصينية ١٩٤١م وقد ترجمت الجمعية الإسلامية اليابانية عام

(١) انظر Sato Tsugitaka, Islamic and Middle Eastern Studies published by Toyo Bunka Tokyo 2006

١٩٣٤م كتابا لعبد المجيد قريشي في السيرة النبوية عن اللغة الأردية بعنوان هادي عالم . أما فورونو كئيوتو فقد تـــرجم كتاب Dermenghem,Emile عن الفرنسية حياة محمد La Vie de Mahammet وذلك في ديسمبر ١٩٤٠م

كما أصدرت جمعية اليابان الإسلامية أيضا ملخص سيرة النبي محمد بقلم أحمد أريجا ونيشيموتو في إبريل ١٩٣٥م ، وكتب هيروشي تطور الدراسات الخاصة بسيرة النبي محمد في يوليو ١٩٤١م ، وكتب أوكازوا شوميه مقـــالا بعنـــوان الإسلام ونبي الإسلام نشر في مارس ١٩٢٣م ، بينما كتب اوكودائي را شؤوإتشي مقالة صغيرة بعنوان حياة النبي محمد في يوليو ١٩٣٨م ، وكتب اوكاجيما سئيتا رؤو مغزى ظهور الإسلام في أغسطس ١٩٤٢م ، وكتب كوسانو هاتشيرؤو " مبدأ النبي محمد : القرآن أو السيف في نوفمبر ١٩٣١م .

وكتب نايتؤو تشيشو النبي محمد المؤسس في أغسطس ١٩٣٨م وكتب نوجوتشي (بجيم قاهرية) زينشيرو حيـــاة النبي محمد في يناير ١٩٣٠م . (١)

وهكذا نلاحظ الثراء الكبير الذي شهدته هذه الفترة سواء في الكتابات المتعلقة بالقرآن الكريم والســـيرة النبويـــة أو المتعلقة بالفكر الإسلامي ككل، وهذا يدل على أن الاهتمام بالإسلام كان متنوعا طبقا لمصادره التي تعددت داخل الساحة اليابانية التي كانت تعد عدها لخوض حرب ، سيكون فيها للمسلمين – على الأقل من وجهة نظر المفكرين اليابـــانيين – دور يلعبونه ، وبالتالي يجب فهم عقيدة هؤلاء المسلمين.

ومن الملاحظ أيضا أن الفكر الديني الإسلامي في اليابان لم يمض على وتيرة واحدة، فتناكا إيبيه أو نور محمد تناكا أسلم في الصين وتأثر بمسلمي الصين ، وكانت صورة الإسلام في ذهنه هي صورة الإسلام في المناطق الصينية التي عاش فيها .

كان الفكر الديني الياباني مثل صورة تداخلت ألوانها للغاية ، ويزيد في تداخلها تغلب العقائد التراثية لدي اليابـــانيين جميعا ، دون تمييز بين نصراني أو مسلم أو بوذي أو شنتوي أو كونفوشي ... ففكرة الإله لا تزال غير واضحة في الأذهان ، وفكرة البعث يتم تقديمها بأشكال مختلفة قد لا تتفق مع عقيدة الإسلام ، ولا حتى مع ما يراه النصارى ، ومن هنا كانت محاولات الربط والخلط والتداخل الذي يصعب معها الفصل بين المعتقدات لدى الشعب الياباني . . فكانت هناك حاجـــة ماسة وضرورية إلى وجود عدد ممن يستطيعون تقديم الإسلام في اليابان في صورة مبسطة وواضحة ، والقرائن تؤكد على أن هذا الأمر لم يتيسر على الأقل في تلك الفترة ، أي فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي نشط فيها تناكـــا إيبيه في تقديمه للإسلام في اليابان(٢).

كان تناكا ايبيه اساسا باحثا من الباحثين الذين خدموا الجيش الياباني لسنوات عديدة لقد درس تناكا الإسلام وعايش المسلمين الصينيين ، حين رجع إلى اليابان أراد أن يوضح لأهل وطنه بأنه شعر بأن الشنتو – الديانة الوطنية – والإسلام – الديانة التي اعتنقها – لهما نفس الروح ، ومن خلال مقالاته ، ويومياته التي كان يسطرها وينشرها في الصحف ، حاول أن يوضح لليابانيين مفهوم الله في العقيدة الإسلامية ، ولما كان يخاطب أناسا يؤمنون بالشنتو فقد ذكـــر بـــأن " الله " في الإسلام و " أماتيه نو ميناكا نوشي نو كامي " في الشنتو هما نفس الشيء يحملان مفهوم الإله الواحد ، الذي هو دائما متفرد بالألوهية ، وهي مخفي لا يراه أحد ، ويضيف تناكا بأن القرآن الكريم بيّن أن الله موجود وهو واحد أحد ، لم يلد و لم يولد .

وتناكا يعترف بأن حركة الدعوة إلى الإسلام في اليابان تفتقد إلى النشاط ، وهي ليست مثل نشاط المنصرين والدعاة الآخرين ، فمنذ العصور القديمة تعلمت اليابان الدين من الصين ، لكن الدين في الصين – الآن - تغـــير عـــن فكرتـــه الأساسية وعن تعاليمه الأساسية ، ويوجد فرق بين عقيدة اليابانيين وبين الدين في الصين ، لكن في الإسلام الأمر مختلف ،

---

(١) المصدر السابق

(٢) انظر سمير عبد الحميد الخطاب الديني في اليابان نظرة تاريخية محاضرة مركز الملك فيصل للدراسات الآسلامية الرياض ٢٠٠٤م

فالإسلام كما هو لم يتغير منذ أن جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والعلاقة بين الإسلام وتعاليم الدين ذاته علاقة ثابتة وراسخة(١).

ويحاول تناكا شرح مفهوم الألوهية في الإسلام لأناس يعتنقون عقيدة أخرى محاولا أن يقرب إلى أذهانهم الفكرة بما لديهم من معتقد ، وحتى تتضح الصورة أكثر ، يمكننا أن نقرأ ما كتبه عن الحج ، وهو يخاطب جماعة من الكهنة البوذيين ، ويتضح هذا أيضا ضمن سلسلة مقالاته(٢)

وكان تناكا قد نشر سلسلة من المقالات في إبريل ١٩٣٠م (شوا ٥) عن حياة المسلمين والحج إلى مكة (٣) وقد خاطب اليابانيين بأسلوب يتناسب مع العقلية اليابانية ، إلا أن تناكا كان يدرك جيدا أن الإسلام له تعاليمه التي لا يمكن أن تذوب في أي عقيدة أخرى ، وأن الإسلام آخر الأديان له خصوصية تحميه من أن يذوب في أي دين أخر ، كما أن النبي هو خاتم الأنبياء ، ويتضح هذا من خلال إشارته إلى سمات مسلمي الصين :

" المسلمون الموجودون في عموم الصين متطورون مع ثقافتهم الصينية ومع الكونفوشية ، إلا أن معتقداتهم الدينية لا تزال ثابتة على ما هي عليه ، قائمة على أسس الإسلام المتينة ، فهم لا يزالون يؤمنون بالتعاليم التي جاء بها محمد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الدين أي الإسلام ليس مثل النصرانية أو أي دين آخر يعتمد على الشكل أو المظهر فقط ، إنه قوة دينية ، وقوة إيمانية ، قوة عظيمة لا تساويها قوة أخرى .. "(٤)

ويؤكد تناكا على أن سبب انتشار الإسلام في الصين هو وجود تشابه بين تعاليم الكونفوشية وتعاليم الإسلام :

" .. بالمقارنة بالبلاد الأخرى نلاحظ أن الناس في الصين أقبلوا على تعاليم الإسلام بكثرة مع عقيدتهم الأصلية وهي الكونفوشية ، فهم يفكرون بأن الطريق الذي رسمه النبي صلى الله عليه وسلم هو نفسه الطريق الذي بينه كونفوشيوس وأنه لا اختلاف في ذلك ، فالفكرة الصينية القديمة كانت تعتمد عقديا على السماء ، هذه الفكرة تتناسب مع ما جاء به الإسلام ، ولهذا السبب تحول كثير من المثقفين إلى الإسلام. (٥)

ومن الأمور الأخرى التي أشار إليها تناكا إيبيه في تعريفه بالإسلام بين أوساط المثقفين اليابانيين ، بل وبين رجال الدين اليابانيين البوذيين وغيرهم ، إشارته إلى الفرق الإسلامية ، وكأنه يريد أن يقول بأن هناك تشابها أيضا في هذا الأمر ، ففي معرض حديثه عن مسلمي الصين ، يذكر بأن المسلمين في الصين على المذهب الحنفي السني ، وهناك من بين مسلمي الصين من هم على مذهب خاص بهم ، يطلق عليه " شين شين " وهم جماعة تميل إلى التجديد ، بينما توجد جماعة تعارضها وتقول بالتمسك بكل ما هو قديم ، وهناك جماعة أخرى يطلق عليها " كيو سين ها " وهي جماعة تميل إلى شرح تعاليم الإسلام عن طريق تأويل النصوص الخاصة بتعاليم الإسلام بشكل متغير طبقا لمتغيرات العصر ، لذا فصورة الإسلام عند هذه الجماعة صورة متطورة بمعنى متغيرة .. وإذا ما قورنت الجماعات الأخرى بالفرق والجماعات الموجودة في البلدان الإسلامية ، فسوف نلاحظ بأنها تتخذ طابع الفكر الكونفوشي .... " ويشرح تناكا فيما بعد هذه العبارة ثم يقول .. وهم لا يمكن أن يأخذوا أبدا جانب البوذية أو الطاوية ، لكنهم في مراسم الزواج والجنازات يمكن أن يكونوا مع الكونفوشية ، إذ أن هناك عناصر من تعاليم الإسلام والكونفوشية يمكنها أن تمضي معا جنبا إلى جنب .

---

(١) رحلته السحاب الطافي الفصل ١٣

(٢) انظر مجلة سكاي تشي شي كي World Knowledge المجلد الخامس العدد الخامس ، وانظر أيضا جرنال هاتسو سيه العدد ٧٦ يناير ٩ شوا وأيضا عدد فبراير رقم ٧٧ وانظر أيضا طريقة حياة المسلمين والحج إلى مكة إبريل ١٩٣٠م (٥ شوا) انظر الترجمة العربية تناكا ايبيه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

(٣) انظر تناكا ايبيه الترجمة العربية مصدر سابق فصل بعنوان يوميات الحج إلى مكة نوفمبر ١٩٣٣ م

(٤) الرحلة الفصل ٩

(٥) تطور الصين وريوكايكو الفصل الأول

وقد ذكر تناكا أيضا الاختلافات بين الفرق فيما يتعلق بقراءة الفاتحة خلف الإمام وغيرها ، ويذكر أن جماعة المسلمين تنقسم إلى جماعة السنة وجماعة الشيعة ، لكن الشيعة قليلون ، والسنة هم الأكثرية ، وجماعة السنة تنقسم إلى حنفي وشافعي وحنبلي ومالكي ، لكن أكثرهم من المذهب الحنفي ، ومعظم المسلمين في الصين والهند وإفريقيا وأيضا البلاد العربية من الأحناف.

وفي معرض حديثه عن المذاهب يوضح تناكا رأيه فيشير إلى أن الباحثين كانوا يركزون على دعم آرائهم ، لكنهم لم يتحمسوا لخلق رأي إسلامي يتطابق مع التيارات الحديثة التي تمضي وتتغير من عصر إلى آخر ، وهو هنا يشير إلى توقف الاجتهاد، مما أدى إلى انتشار البدع والخرافات ، مما أضعف الإسلام كثيرا، ويرى تناكا أنه يمكن القضاء على هذا الضعف بأن يقدم الإسلام للناس بصورته الحقيقية ، فهو دين يحمل بداخله روح التسامح ، ويمكن الاستفادة كثيرا من هذا الأمر(١).

خاتمة:

لا شك أن اتصال العرب بالصين، واسهامات العرب والمسلمين في الحياة العلمية والفكرية الصينية لا يزال بحاجة ليس فقط إلى المزيد من البحوث بل إلى تعميق البحوث ذاتها للوصول إلى نتائج جديدة تكشف عن عمق العلاقات العربية الصينية وتأثيرها في المناطق المجاورة، واذا كانت السجلات الصينية القديمة تشير إلى الاتصال المبكر بين الطرفين فإنه من واجب الباحثين المتخصصين نقل الوثائق والمصادر الصينية إلى اللغة العربية وتوفيرها للمزيد من البحوث، وكذا نقل المصادر العربية والفارسيىة إلى اللغة الصينية، ومن الطريف أن يشير رشيد الدين الهمداني في كتابه جامع التواريخ إلى مكانة العرب والمسلمين في الصين في جميع المجالات لدرجة أن مراسم قبلاي خان وأوامره كانت تترجم إلى اللغة العربية والفارسية. وقد انتشرت المدارس الإسلامية التي تدرس اللغة العربية واللغة الفارسية فضلا عن العلوم الإسلامية وتم ذلك تحت رعاية أباطرة الصين للعلماء من أصول عربية وإسلامية مما ساعد على إسهام علماء العرب المسلمين في الفكر والثقافة من جهة وتأثرهم بالفكر الصيني والثقافة الصينية ، وقد تأثر المسلمون الصينيون بالآفكار الكونفوشية وتعاليمها، بل أصبح بعضهم من كبار أساتذها، ولم يكن هذا بالأمر الغريب لأن تعاليم الكونفوشية الأخلاقية لا تتعارض مع تعاليم الإسلام في شيء ، وهكذا ظهر في الصين علماء عرب صينيون مثل العالم المسلم الذي كان يلقب بالسيد الأجل/عمر شمس الدين (١٢١١م-١٢٧٩م) أو كما تطلق عليه المصادر الصينية الأمير العربي زيانغ يانغ Xiang Yangوالذي هاجرت أسرته من الجزيرة العربية إلى بخارا حيث ولد شمس الدين، ومنها إلى الصين سنة ١٠٧٠م مع جيوش المغول، وظهر علماء متخصصون في القرآن والحديث والتوحيد والفقه وغيرها من العلوم الإسلامية.

وكان المسلمون – كما يذكر توماس أرنولد – يصورون الإسلام لمواطنيهم من الصينيين على أنه متفق مع تعاليم الكونفوشية ، وقد كانت مؤلفات المسلمين تمجد كتب كونفشيوس وغيرها من الكتب الصينية، وتشير إلى الإتساق بين ما في الكتب الصينية وتعاليم الإسلام . لقد أوضح البحث نقطة يحسبها الباحث لا تزال بحاجة إلى تدقيق وهي تأثر الفكر الديني الصيني المتمثل في الكونفوشية بالإسلام من جهة وتأثيره في اليابان من جهة أخري، ولهذا اختار الباحث"المسلم الياباني تناكا ايبيه" ليكون نموذجا يساعد على إيضاح هذه النظرية، فالكونفوشية والطاوية حددتا في معظم الأوقات جوانب العلاقات المختلفة بين المسلمين وجيرانهم داخل الصين من جهة، وأثرت على الفكر الديني الياباني من جهة أخري، ومن المعروف أن العالم المسلم الشيخ ليوتشيه - صاحب كتاب سيرة خاتم النبيين- كان يعلم الكونفوشية، وكان يدرس العقائد الصوفية وفلسفة التأمل، وكان يعتقد أنه لا فرق أبدا بين تعاليم الإسلام الأخلاقية وتعاليم الكونفوشية، وهذا ما أشار إليه الياباني "تناكا إيبيه" الذي تتلمذ على كتبه واستفاد من مؤلفاته وترجم كتابه سيرة خاتم النبيين إلى اليابانية، ونقل كثيرا من أفكاره، وقد اعتنق الياباني تناكا إيبيه الإسلام، وهو يعد رائد الدراسات الإسلامية في اليابان وكان بدوره يرى أنه لا فرق بين التعاليم الأخلاقية في الطاوية والبوذية والإسلام، ويفهم من مؤلفات العالم الصيني ليوتشيه تأثره بأفكار

(١) انظر نتائج الرحلة إلى العالم الإسلامي الفصل ٥

كونفوشيوس ونظرته الخاصة التي تتضمنتها الأفكار الصينية التي كان يدرسها منذ صغره، ويمكن الاطلاع علـــى أفكـــار ليوتشيه في علم الكلام من خلال كتابه المسمى بشرح لطائف وهو متوفر بالعربية.

وحتى توجد دراسات متخصصة عن تأثير الآسلام على الفكر الديني الصيني عرض الباحث وجهة نظر يابانية عـــن وجود احتمال قائم بشأن تأثير الأفكار الإسلامية على الكونفوشية وبخاصة مذهب زوتشي ومذهب يانغ منـــغ، يـــذكر البروفسر شيغيرو هاسيبه المتخصص في الدراسات الصينية أنه كان يقرأ كتاب السيرة النبوية الذي كتبه العالم المسلم الصيني ليوتشيه فوجد أن ما كتبه المؤلف عن الاسلام إنما هو شرح للمنطق الكونفوشي، ويتساءل البروفسر شيغيرو: كيف أثر الاسلام في الكونفوشية؟ ويجيب: لأن زوتشي ١١٣٠م-١٢٠٠م الذي أسس الكونفوشية الجديدة كان رجلا متجولا في المناطق المجاورة لميناء الزيتونة سينشوSenshu الذي كان يجتمع فيها أصحاب الديانات .. وبالمثل كان المؤسس الثاني للكونفوشية الجديدة "أو يوميه" ١٤٧٢م-١٥٢٨م (عهد منغ) كان في بحثه عن الطريق او الشريعة أشبه بالصوفي، وقد شرح العقيدة الأساسية لاتحاد رب الكون والانسان أي نظرية وحدة الوجود، وهكذا أثر الإسلام في الكونفوشية وأثرت الكونفوشية في الفكر الياباني وكان تأثير الاسلام سابقا على التأثير الأوربي في اليابان.

يظهر بوضوح تأثير الفكر الديني الصيني في اليابان في فترة ما قبل الحرب العالمية من خلال كتابات تناكا ايبيه (ولـــد ١٨٨٢م) وقد أوضح البحث الظروف والمصادر التي شكلت ثقافته الإسلامية فقد عاش في الصين نحو عشـــرين ســـنة، تشكلت خلالها في ذهنه صورة الإسلام وظل يقرأ ويدرس ويترجم ما كتبه علماء الصين وغيرهم عن الإسلام.، كمـــا أوضح في يومياته التي سطر فيها ذكرياته في الصين الحالة الفكرية للمسلمين الصينيين وطريقة حياتهم اليومية ومساجدهم ومطاعمهم وغيرها وقد اهتم تناكا إيبيه بترجمة كتابات العالم الصيني المسلم ليو تشيه الذي اشتهر بكتابه " سيرة الـــنبي الخاتم " الذي ترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان The Arabian Prophet أي النبي العربي ، وقد ترجمه إســـحاق ماسون Issac Mason وطبع في شنغهاي عام ١٩٢١م ،

وقد خلف ليو تشيه تراثا ضخما من المؤلفات الدينية والفلسفية والعقائدية والصوفية وغيرها ، ويمثل كتاب السيرة النبوية وكتاب فلسفة الإسلام مساحة في فكر تناكا ايبيه

كان ليو تشيه يفكر في كيفية تفسير هذا الدين أي الإسلام تفسيرا كونفوشيوسيا ، على أساس البحث عن نقـــاط الاتفاق ، مبتعدا عن نقاط الاختلاف ، ويبدو أن هذا كان أسلوب علماء الصين المسلمين السابقين له واللاحقين ، فقـــد كتب العالم المسلم الصيني " كوئين تاي يو Qoen Tai yu" عام ١٦٤٣م كتابا بالصينية ، يهدف فيه إلى إظهار أوجه التشابه الوثيق بين التعاليم الكنفوشية والإسلام .

يمكن القول بأن تناكا إيبيه قد تأثر بكتابات ليو تشيه وفلسفته ،فيما يتعلق بتقديم الفكر الإسلامي للصين على البساط الكونفوشيوسي، أو عرض التراث الكونفوشيوسي كأنه تراث حضاري عام ، يحمل خصوصية الفكر الإسلامي ، مما جعله يقبل بسهولة في الصين، ويجعل تناكا أيبيه يؤكد على أن سبب انتشار الإسلام في الصين هو وجود تشابه بـــين تعـــاليم الكونفوشية وتعاليم الإسلام.

وأخيرا فإن دراسة العلاقة بين الإسلام والأديان أو الثقافات الشرقية مثل الكونفوشية والطاوية والشـــنتوية والبوذيـــة ستفتح المجال لمزيد من الآبحاث عن العلاقات التاريخية بين العرب والمسلمين وبلدان آسيا وعلى رأسها الصين واليابـــان. ولن يتيسر هذا الآمر إلا بالسعي إلى ترجمة المصادر الصينية واليابانية المتعلقة بالتاريخ الفكري والثقافي من خلال تتبع مسار العلاقات العربية الصينية حتى قبل ظهور الآسلام للوصول إلى نتائج تؤكد على عمق العلاقات التاريخيـــة بـــين الصـــين والعرب والمسلمين.

الملحق الآول صفحات (بالعربية) من مقدمة الطبعة الصينية الحديثة لكتاب سيرة النبي الخاتم

الملحق الثاني غلاف كتاب شرح لطائف بالعربية والصفحتان الأخيرتان لطبعة عام ١٣٢٠ هجرية في مدينة كـــانبور بالهند

Samirnouh@hotmail.com

Faculty of Theology, DoshishaUniversity
Kyoto 602-8580 Japan

موقعة طراز سنة ١٣٣ هـ / ٧٥١ م بين القوي الإسلامية والصينية

أد / مسعد محمد عبد الله

المقدمة

تمثل المعارك العسكرية نمطا من أنماط العلاقات المتبادلة بين الدول ، ورغم أنها تتصف بالعنف وسفك الدماء من جانبها السلبي إلا أنها تحدث تأثيرا أو تأثر ، وتبادل في الحضارات ، وهذا جانبها الإيجابي .

وتعد موقعة طراز التي حدثت سنة ١٣٣ هــ / ٧٥١ م من الملاحم العسكرية التي أثبت فيها الجيش الإسلامي تفوقا وشجاعة وثبات ، وهذه الموقعة حدثت في بواكير العصر العباسي الأول ، وكان لها أهمية ونتائج عميقة .

وترجع أهمية دراسة هذا الموضوع في أنه :-

- يوضح أبعاد الصراع الذي حدث بين القوي الإسلامية والصينية من أجل فرض السيطرة والهيمنة علي شعوب بلاد ما وراء النهر ، وسعي كل حضارة في تأكيد وجودها .
- وتظهر الدور السياسي الذي قامت به ممالك وشعوب بلاد ما وراء النهر في إزكاء الصراع العسكري بين العباسيين والصينيين .
- كما أنها تبين غلبة وتأثير الحضارة والثقافة الإسلامية ، وتفوقها في آسيا الوسطي وتأثر بلاد الصين بها .

هناك أسباب لاختيار دراسة موقعة طراز للبحث تتجسد في :-

- أن هذه الموقعة لم تأخذ حقها من كتابات المؤرخين والباحثين ، ومن تعرض لها تناولها بالنذر الوفير ، ورغم أنها غيرت تاريخ وحضارة منطقة ما وراء النهر وبلاد الترك .
- ما أحدثته هذه الموقعة من نتائج علي المستوي الاسلامي والصيني في حاجة لإظهاره وتسليط الضوء عليه لنوضح تواصل الحضارات بين الشعوب المختلفة .
- لا شك أن هذه الموقعة عادت بالنفع والفائدة علي الوضع الاقتصادي للدولة الاسلامية فتعرف من خلالها المسلمون علي صناعة الورق من الصينيين ، وبالتالي نشطت النهضة العلمية ، فمن الانصاف أن نذكر ونوضح فضل بلاد الصين في هذا المجال .

تم تقسيم البحث إلي :-

- مقدمة : تناولت فيها التعريف بالموضوع وأهميته وأسباب اختياره
- ثم المحور الأول : أوضحت فيه الموقع الجغرافي لمدينة طراز وعلاقة المسلمين ببلاد الصين قبل الموقعة سواء كانت علاقات تجارية ، سياسية ، عسكرية ، ووصول الجيوش الإسلامية في عهد الدولة الأموية إلي مدينة طراز .
- المحور الثاني : تعرضت فيه لأسباب موقعة طراز وقسمته إلي أسباب غير مباشرة وأسباب مباشرة .
- المحور الثالث : تناولت فيه نتائج موقعة طراز وتم تقسيمه إلي نتائج الموقعة بالنسبة لبلاد الصين ، ثم نتائج الموقعة بالنسبة للمسلمين .
- وفي نهاية البحث وضعت خاتمة ، أشرت فيها إلي النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع العربية والصينية والأجنبية التي استقي منها البحث مادته العلمية .

علاقة المسلمين ببلاد الصين قبل موقعة طراز

تقع بلدة طراز (١)بالقرب من ثغور الترك ، وهي في أقصي بلاد الشاش(٢) التي تقع علـــي الضـــفة الـــيمني لنـــهر سيحون(٣)، ويحدها من الجنوب مدينة أشرسونة (٤).

وفي شرقها فرغانة(**٥**) وفي الشمال اسفيجاب (**٦**) وطراز حد بلاد الإسلام لأنك إذا جاوزتها دخلت في خرقاهـــات الخرلخية ورغم صغر مساحة بلدة طراز إلا أنها تميزت بطيب تربتها ، وعذوبة ماءها ،وأنها لطيفة الهواء

كثيرةالخيرات أشبه شئ في الجنة(٧)، لأن أهلها في غاية حسن الصورة . ليس في تلك النواحي أحسن منهم صـــورة رجالهم ونساؤهم إلي حد يضرب بحسن صورتهم المثل(١)وهي بلدة حصينة ، كثيرة البساتين ، مشتبكة العمـــارة ، لهـــا

---

(١)طراز : في آخر الأقليم الخامس طولها مائة درجة ونصف ، وعرضها أربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، وتكتب بالطـــاء بـــالفتح أو بالكسر . راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق : فريد عبد العزيز الجندي ، بيروت ، لبنان ، دار الكتـــب العلميـــة ، ١٩٩٠ م ، جـــ٤ ، صـــ ٣٠ وهي تبعد عن اسبيجاب بنحو ثمانين ميلا ، وتعرف الآن باسم (أولية – أتا) .

لتونج (كي لسترنج) : بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلي العربية : بشير فونسيس ، كوركيس عواد ، مؤسســـة الرســـالة ، بـــيروت ،ط ٢ ، ١٩٨٥م ، صـــ ٣٦٠

(٢)يعرف حاليا باسم تاشكند أو طشقند ، وهو يقع في شمال بلاد ما وراء النهر ، ويمتد حتي بحر أرال ، وهو آخر بلاد الاسلام مـــن جهـــة المشرق ، ويشغل مساحة كبيرة من الأراضي ، ويضم عددا كبيرا من المدن والقري ، وينقسم إلي ثلاث نواحي ، ناحية الشاش التي بها عـــرف الإقليم وقصبتها بنكث ، وناحية إيلاق في الجنوب وقصبتها تونكث ، وفي الشمال ناحية اسفيجاب وقصبتها اسفيجاب . راجع : ابن حوقل : صورة الأرض ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، د. ت ، جـــ٢ ، صـــ ٤١٦ ، الادريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، سنة ١٩٨٩م ، جـــ ١ ، صـــ ٥٠٤ ،ياقوت : معجم ، جـــ٣ ، صـــ ٣٠٨ ، ؛ فامبري : تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتي العصر الحاضر ، ترجمة وعلق عليه : أحمد محمود الساداتي ، راجعه وقدم له : يحيي الخشاب ، مكتبة نهضة الشـــرق ، القـــاهرة ، ســـنة ١٩٨٧م ، صـــ ٤٦ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، صـــ ٥٢٦ .

(٣)يعرف أيضا بنهر الشاش لوقوع هذه المدينة علي ضفتيه ، وذلك علي عادة العرب اطلاق اسماء المدن المهمة علي الأنهار المطلـــة عليهـــا ، وأطلق عليه أيضا قديما اسم جكسارتس ، ثم أسماه العرب سيحون ، وفي المائة الثامنة هجريا / الرابعة عشر ميلادي ، كان المغول القاطنون بهذه الأرجاء يعرفونه باسم كلزريان ، كما أسماه الترك سيردريا أو سيرصوأو سير ، ويمر معظمه عبر أراضي تركمانستان ، وأوزبخستان ، ويصب في بحر أرال ، ومساحته تقدر بثلثين من نهر جيجون .

راجع : الاصطخري : مسالك الممالك ، ، مطبعة بريل ليدن ١٩٢٧م ، صـــ ٣٠٤ ، مجهول : حدود العالم من المشرق إلي المغرب ، تحقيـــق يوسف الهادي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، صـــ ٣٧ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، دار الطبعة السلطانية ، دار صادر ، بـــيروت ،الطبعة الثانية ١٨٤٠م ، صـــ ٦١ ؛ الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق : بطرسبورغ ، معهد العلوم العربية والاسلامية ، مطبعة شتراوس ، ألمانية الاتحادية ، د.ت ، صـــ ٩٤ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، صـــ ٥١٩ .

(٤)يقع في شرق سمرقند ، وأرضه سهول وجبال ، ولا يتخلله أنهار كبيرة ، يحده من الشرق بامير وفرغانة ، وشمالها اقليم الشـــاش ، وجنوبهـــا شومان ، ووشجرد ، وراشت . راجع الادريسي : نزهة ، جـــ١ ، صـــ٥٠٤ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، صـــ ٥١٧

(٥)فرغانة ضمن بلاد ما وراء النهر متأخمه لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل ، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخا ، وهي علي الجانـــب الأيسر لنهر سيحون ، وجنوبها جبال البامير ، وشمالها جبال تيان شان ، وشرقها سهول زراعية فسيحة .

(٦)اسفيجاب بالفاء أو بالباء (اسبيجاب) ، وتعني باللغة التركية المدينة البيضاء ، وتعرف الآن بسيرم ، تقع في شمال اقليم الشاش علي يمين نهـــر سيحون ، وهي شاسعة المساحة تضم أكثر من خمسين مدينة وقرية ، قسمت إلي جانبين ، الجانب الأول الممتد نحو الشمال الغربي إلي ســـوران أو صبران ، والجانب الثاني الأراضي التي كانت تدخل ضمن ناحية اسفيجاب من الشرق إلي وادي تلاس أو طراز TALS .

راجع : الأصطخري : مسالك الممالك ، صـــ ٣٣٣ ؛ اليعقوبي : البلدان ، تحقيق : أمين الضفاوي ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ، ٢٠٠٢م صـــ ٥٦ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، جـــ١ ، صـــ ١٧٩ ، محمود الكغشري : ديوان لغات الترك ، المكتبة العامرة ، اسطنبول ، سنة ١٣٣٣ هـــ ، جـــ٣ ، صـــ١٣٣ ، ؛ برتولد : تركستان من الفتح العربي إلي الغزو المغولي ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، أشـــرف علي طبعه : قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، طـــ١ ، سنة ١٩٨١م ، صـــ٢٩٠ ، صـــ ٢٩٢ ؛ شعيرة : الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، جـــ٤ ، سنة ١٩٤٨م ، صـــ ٤٦ .

(٧)القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٠م ، صـــ ٥٤٤ ؛ اليعقوبي : البلدان ، تحقيق : أمين الضفاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص١ ، سنة ٢٠٠٢م ، صـــ٥٦ .

خندق ، وأربعة أبواب ، ولها ربض عامر علي باب المدينة نهر كبير خلفه قطعة من البلد عليه درب ،والجامع في الأسواق (٢) وهي متجر للمسلمين والترك (٣) ولقد نشأت علاقات تجارية وثيقة بين تجار المسلمين وتجار بلاد الصين (٤) عبر الطريق البري مبتدأ من العراق ثم أسيا الوسطي منتهي إلي شمال غربي الصين ، حيث وفد التجار المسلمين بقوافلهم التجارية ليحصلوا علي منتجات الصين من الحرير والشاش (٥)،كما كان هناك طريقا بحريا عبر المحيط الهندي وبحر الصين إلي الجنوب بقصد التجارة وتبادل السلع ، بفضل هؤلاء التجار دخل الإسلام إلي بلاد الصين (٦)، ولقد ورد ذكر العرب لأول مرة في الكتابات الصينية في القرن السابع الميلادي إبان حكم أسرة تانج (٦١٨ – ٩٠٧ م) (٧)، وتشير هذه التواريخ إلي نشأة القومية الإسلامية في هذه البقاع ، ونتحدث بإيجاز عن مبادئ وأفكار الدين الجديد . وذكر مؤرخوا الصين الفرق الكبير بين الدين الجديد وتعاليم بوذا حيث أن هذا الدين الجديد لا تماثيل ولا صور في أماكن عبادتهم(٨).وذكروا أن بعض الدعاة المسلمين وفدوا إلي مدينة كانتون (٩) الصينية فيبداية أسرة تانج (٦١٨– ٩٠٧ م) (١٠)، وسمح لهم ملك بلاد الصين بالإقامة وشيد هؤلاء الدعاة المسلمين بيوتا تختلف في طرازها وتصميمها عن بيوت أهل الصين ، وكان لهم رئيسا ينتخب من بينهم ، وله السمع والطاعة(١١).

---

(١)ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٤ ، صـ٣٠ ؛ القزويني : آثار البلاد ، صـ ؛ اليعقوبي : البلدان ٥٤٤ ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، صـ٣٦٠

(٢)المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٠٩م ، صـ٢٧٤ ؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، حققه : إحسان عباس مكتبة لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، صـ٤٤٥ .

(٣)ابن حوقل : صورة الأرض ، جـ٢ ، صـ٣٨٠ ؛ الاصطخري : مسالك الممالك ، صـ٢٨٦ ، صـ٢٨٧ .

(٤)محمد عبد الحفيظ المناصيري : الجيش في العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) ، ط١ ، مكتبة مجدلاوي ، عمان – الأردن ، سنة ٢٠٠٠م ، صـ٤٣٣ .

(٥)إبراهيم فنغ جين يوان : الاسلام في الصين ، تعريب : محمود يوسف لي هواين طبعة دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، الصين ١٩٩١م ، صـ ٧ ؛ كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية (ماضيها وحاضرها) ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط٢ ، ٢٠٠٢م ، صـ٥٧

(٦)حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤ م ، جـ١ ، صـ٣٠٧ ، ٣٠٨ ؛ فهمي هويدي : الإسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، تموز ١٩٨١م ، صـ٤٠ – ٤١ ؛ محمد عبد المنعم الجمل : الدول الإسلامية المستقلة في الشرق دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣م ، صـ٤٢ .

(٧)كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، صـ٥٨ ؛ محمد عبد المنعم الجمل ، الدول الإسلامية ، صـ٤٢ .

(٨)إبراهيم فنغ جين يوان : الاسلام في الصين ، صـ٨ ؛ فهمي هويدي : الاسلام في الصين ، صـ٤١ ؛ محمد الجمل : الدول الاسلامية ، صـ٤٢

(٩)خانفوا : يسميها الصينيون كانتون (Canton) مدينة عظيمة علي نهر عظيم أكبر من دجله يصب في بحر الصين ، بين هذه المدينة والبحر مسيرة ستة أيام أو سبعة . راجع : المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : يوسف أسعد داغر ، دار الاندلس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٥م ، جـ١ ، صـ١٥٦ ؛ جورج حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة : يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٨م ، صـ٢١٦ ؛ محمد محمود زيتون : الصين والعرب عبر التاريخ ، سلسلة اقرأ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، صـ١٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، د.ت ، صـ٢١٢

(١٠) أسس هذه الأسرة الملك كاوزو (Kaozu) ، الذي عرف بعد وفاته لي يوان (Liyuan) ، فعندما تعرضت الصين لهجمات الترك فر آخر ملوك أسرة سوي ، فقام لي يوان بالدفاع عن الصين ، ونجح في هزيمة الأتراك وأحضر طفلا صغيرا من أسرة سوي نصبه ملكا ، وأصبح العوبة في يده ثم انتزع الملك لنفسه ٦١٨م وأعلن قيام أسرة تانغ .

راجع : يوسف صقر : العلاقات بين الدول العباسية والصين في العصرين الأول والثاني (١٣٢ – ٣٣٤ هـ / ٧٥٠ – ٩٤٥ م) ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، سنة ٢٠١١ م ، صـ٢١ .

Hook . B, theCambridgeEncyclopedia of china , Cambridge university press , Cambridge , second edition , 1991 , P. 166 , chau ju – kua , chufan – chi: p.54

(١١)زكي حسن : الصين وفنون الاسلام ، القاهرة ، ١٩٤٨م ، صـ٨ ؛ محمد عبد المنعم : الدول الاسلامية صـ٤٢

كذلك نشأت علاقات سياسية بين المسلمين وبلاد الصين تمثلت في أن الفرس بعد هزيمة ملكهم يزدجرد (١٢ – ٣١ هــ / ٦٣٣ – ٦٥١ م) وموته علي يد المسلمين ، استنجد ابنه فيروز بالصين لتنصره علي أعدائه من العرب المسلمين(١) المسلمين(١) بيد أن ملك بلاد الصين تاي زونك (Taizong) (٤ – ٢٩ هــ / ٦٢٦ – ٦٥٠ م) (٢) رفض مد يد يد العون للفرس متعللا ببعد المسافة ، وصعوبة إرسال جيش الي بلاد العرب ، لأن ذلك فيه كثير مــن المتاعــب علــي جيشه(٣). ولكنه أرسل سفاره من قبله الي خليفة المسلمين للدفاع عن أمير الفرس الهارب ، ومن ناحية أخري تتعــرف هذه السفارة الصينية عن مدي قوة الدولة العربية الإسلامية الناشئة(٤)، وتقابلت هذه السفارة مع الخليفة عثمان بن عفان عفان (٢٤ – ٣٥ هــ / ٦٤٤ – ٦٥٦ م) ، وأرسل معها عند عودهما أحد رجاله لمقابلة ملك بلاد الصين وكان ذلــك سنة ٢٩ هــ / ٦٥١م واستقبل سفير المسلمين في الصين بالحفاوة والكرم (٥)، ومن هنا يتبين أن الفرس كان لهــم دور الوسيط في إقامة أول علاقة سياسية غير مباشرة بين الدولة الإسلامية الفتية والمملكة الصينية.

ولما قامت الدولة الأموية ، وتسلمت زمام حكم المسلمين سنة (٤١هــ / ٦٦١م) حرص خلفاءها علي إقامة علاقات سياسية مع مملكة الصين ، فتبولدت بينهما السفارات والهدايا ، وأبلغ دليل علي ذلك أنه وجد في ديوان الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٠ هــ / ٦٦١ – ٦٨٠ م) رسالة من ملك الصين كاوزونغ (Gaozong) (٢٨ – ٦٣ هــــ / ٦٤٩ – ٦٨٣ م) (٦)، وقد رد الخليفة معاوية بأن أرسل من قبله سفيرا إلي ملك الصين محملا بالهدايا ، واستمرت الوفود الوفود العربية تفد إلي بلاد الصين (٧)، وقد أطلق الصينيون علي خلفاء بني أمية ذوي الرايات البيضاء والأراضي الخاضعة لملكهم اسم بلاد (تاشي Ta – shi). (٨)

ولما استأنف خلفاء بني أمية حركة الفتوحات الاسلامية ، ولاسيما في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ – ٩٦ هــ / ٧٠٥ – ٧١٥م) الذي توسعت الفتوحات العسكرية في عهده شرقا وغربا ليثبت لاعدائه مدي قوة الدولة الأموية ونشر الاسلام بالاضافة إلي الفوائد الاقتصادية التي تعود بالنفع والرخاء علي المسلمين ، فأوكل لعامله علي العراق الحجاج

---

(١)ابن مسكويه : تجارب الأمم ، تحقيق :أبي القاسم إمامي ، دار سروش للطباعة والنشر ، طهران ، ط١ ، ١٩٨٧م ، جـــ١ ، صـــ٢٥٨ ؛ يوسف صقر : العلاقات بين الدولة العباسية والصين ، صـــ٢١ ؛ كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، صـــ٥٨ .

(٢)لقب عن الصينيين بأسم لي شيمين Lishimin ، وصل إلي الحكم بعد انقلاب عسكري ضد أخيه الأكبر واستطاع السيطرة علي شئون الدولة ، وتميزت فترة حكمه بالقوة العسكرية حيث ألحق الهزيمة بالترك اللذين أغاروا علي حدود الصين الشمالية كما أخضع قبائــل هضــبة التبت . راجع يوسف صقر : العلاقات ، صـــ٢٠ ، جـــ ١٠ .

Hook , B ,the Cambridge Encyclopedia of china , p .167 , chau ju – kua , chu – fan – chi , p . 111,

(٣)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، سنة ١٩٨٧م ، جـــ٥ ، صـــ١٦٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، جـــ ٣ ، صـــ ٣٦ – صـــ ٣٧

(٤)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـــ٥ ، صـــ ١٦٢ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـــ ١ ، صـــ ٢٥٨ ؛ كرم فرحات : العلاقــات المصرية الصينية ، صـــ ٥٨ .

(٥)الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، صـــ١٦٨ ؛ توماس أرنولد : الدعوة إلي الإسلام ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م ، صـــ٢٤٣ ؛ محمد عبد المنعم : تاريخ الدول المستقلة ، صـــ٤٣ ، يوسف صقر : العلاقات ، صـــ٢١

(٦)تسلم الحكم وهو في ريعان شبابه باعتباره الابن الأكبر ، ولم يظهر أي كفاءة سياسية وادارية ، إذ كان يعاني من نوبات تــوتر وضــعف وخضع لسيطرة الملكة (و ي ز هو Wu – Zhao) راجع : يوسف صقر : العلاقات ، صـــ ٢٢ ، جـــ ١

(٧) فاروق عمر فوزي : تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية والاسلامية ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م ، صـــ١٩٧ ؛

. Chau ju – kua , chu . fan – chi , p . 117

(٨) يوسف صقر : العلاقات ، صـــ٢٢

. Chau ju – kua , chu . fan – chi , p . 117

بن يوسف الثقفي (١)مهمة فتح بلاد ما وراء النهر(٢) الذي رأي في تلك الفتوحات فرصة لاستغلال واستتراف طاقة أهل أهل العراق في حركة الفتوحات حتي لا تتجه إليه .

فجهز جيشا كبيرا وزوده بالسلاح والعتاد وجعل علي قيادته قتيبة بن مسلم الباهلي سنة (٨٦ هـ / ٧٠٥م) (٣)، الذي وضع خطة عسكرية تعتمد علي جعل مدينة مرو قاعدة تخرج منها الجيوش في الربيع ثم تعود إليها في الخريف . وكفلت له هذه السياسة المحافظة علي خطوط تموينية وربط تقدمه بالقاعدة الكبري في خراسان(٤)، وبدأت عملياته العسكرية سنة (٨٧ هـ / ٧٠٦م) فغزا مدينة بيكند (٥)، ودخلها عنوة وحصل منها علي غنائم وأواني من الذهب والفضة ما لا يحصي (٦)، وواصل قتيبة بن مسلم فتوحاته فغزا نومشكنث ثم رامثنة(٧)وفي سنة (٨٩ هـ / ٧٠٧م) ، استطاع فتح مدينة بخاري(٨)، واستأنف حركة الفتوحات فتمكن سنة (٩٣ هـ / ٧١٢م) من فتح سمرقند (٩)ثم عبر نهر نهر سيحون وضم بلاد الشاش ثم فرغانة.

---

(١) ولد ونشأ بمدينة الطائف في بلاد الحجاز سنة (٤٠ هـ / ٦٦٠ م) ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان مكة ، المدينة ، الطائف ، ثم أضاف إليه العراق ، كان قائدا عسكريا أتصف بالذكاء والشجاعة وعرف عنه ميله لسفك الدماء وشدة الدهاء وكان خطيبا مفوها وبني مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وتوفي سنة ٩٥هـ – ٧١٤م . راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، جـ٢ ، صـ٢٩ ، حمدي عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م ، صـ٣٠٥ .

(٢) يقصد ببلاد ما وراء النهر المنطقة المحصورة بين نهري جيجون في الجنوب ، وسيحون في الشمال ، وبعد نهر سيحون هو الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية وينقسم إلي ستة أقاليم جغرافية ، اقليم الصفد وهو أجلها شأنا ومن أشهر مدنه بخاري وسمرقند ، واقليم خوارزم وأشهر مدنه الجرجانية ، واقليم الختل يقع في الجنوب الشرقي وأشهر مدنه هلبك ومنك وهلاورد ، واقليم فرغانة ، واقليم الشاش ، واقليم أشر وسنة وآخر مدينة في اقليم بلاد ما وراء النهر هي مدينة طراز .وهي الآن جزء من تركستان الغربية التي تضم في الوقت الحاضر جمهوريتي أوزبكستان وتاجستان ، واطلق علي بلاد ما وراء النهر بلاد الهيطل ، والهون البيض ، ويحدها من الشرق الهند والتبت ، والغرب اقليم خراسان ، وشمالها الترك الخرلخية من أقصي بلاد فرغانة والشاش وجنوبها جيحون من بزخشان إلي بحيرة خوارزم علي خط مستقيم . راجع الاصطخري : مسالك الممالك ، صـ٢٩٥ ؛ مجهول : حدود العالم ، صـ٩٥ ؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، جـ٢ ، صـ٣٨١ ؛ الادريسي : نزهة المشتاق ، جـ١ ، صـ٥٠٤ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ، صـ٢٦١ .حسن أحمد محمود ؛ الاسلام والحضارة العربية فى اسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ،دار الفكر العربى ، الخرطوم ، ١٩٦٨م ، ص١١ ؛ قحطان عبد الستار الحديثى : أرباع خراسان الشهيرة ، دراسة فى أحوالها الجغرافية والإدارية والإقتصادية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، مطابع دار الحكمة ، البصرة ، ١٩٩٠م ، ص١٥-١٦ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص١٤٥ ؛ لسترنج ، بلدان الخلافة ، ص٤٧٦ ؛ محمود شيت خطاب : قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهر ، دار الأندلس الخضراء ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٨م ، ص٦٨ .

(٣) قتيبة بن مسلم بن عمر بن الحصين الباهلي أبو حفص ولد سنة (٤٩هـ / ٦٦٩م) نشأ في ظل بني أمية ، وولاه الخليفة عبد الملك بن مروان علي الري ، كما عينه الخليفة الوليد بن عبد الملك علي خراسان وهو من أعظم الفاتحين حيث غزا إقليم بلاد ما وراء النهر ووصل إلي أطراف الصين وضرب عليهم الجزية ، وقتله وكيع بن حسان التميمي بفرغانة سنة (٩٦هـ / ٧١٥م) .

راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ،صـ٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، صـ٨٦ – صـ٨٨ ، حمدي عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٥ ، يوسف صقر ، العلاقات العباسية ، صـ٢٣

(٤) حمدي عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٥ ؛ محمد عبد المنعم : الدول الاسلامية ، صـ٤٣

(٥)بيكند (بيكون) : بلده بين بخاري وجيحون علي مرحلة من بخاري . راجع ياقوت : معجم ، جـ١ ، صـ٥٣٣

(٦)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، صـ٣٣٠ ، صـ٣٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، صـ٥٢٨ – صـ٥٢٩ ؛ النرشخي : تاريخ بخاري ، تعريب وتحقيق: أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، سنة ١٩٦٥م ، صـ٣٦ ، يوسف صقر : العلاقات ، صـ٣٢ .

(٧)البلاذري : فتوح البلدان ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٨م ، صـ٤٠٧ ؛ حمدي عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٦ .

(٨)بخاري من أعظم مدن ما وراء النهر ، يعبر إليها من شط آمل ، بينها وبين نهر جيحون يومان ، وبينها وبين مرو اثنا عشرة مرحلة وبين سمرقند سبعة وثلاثون فرسخا . راجع ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، صـ٣٥٣ ، يوسف صقر : العلاقات ، صـ٣١ ، حـ ٨

(٩)سمرقند من أشهر مدن اقليم الصفد وتقع قصبتها علي وادي الصفد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٣ ، صـ٢٤٦ – ٢٤٧ .

وفي سنة (٩٦هـ / ٧١٥م) فتح مدينة كاشغر(١)في التركستان الصينية ، وبذلك وصلت الجيوش الاسلامية إلي حدود بلاد الصين (٢)، وبدأ الاتصال المباشر بين المسلمين وبلاد الصين ، إذ أرسل قتيبة إلي ملك الصين يوان زونغ Yuanzong(٣) (٩٣ – ١٣٨ هـ / ٧١٢ – ٧٥٦م) يطلب منه الدخول في الطاعة ودفع الجزية ، وشعر ملك الصين بقوة الجيش الاسلامي ، فرد علي قتيبة ، وطلب منه أن يبعث إليه برجل يخبره عن أنفسهم وعن دينهم(٤) (١)،فأرسل إليه قتيبة وفدا يتكون من عشرة لهم جمال وألسن وبأس وعقل وصلاح ، فأمر لهم بعده حسنه ومتاع حسن من الخز والوشي وخيول مسنة وغير ذلك . وجعل علي رئاستهم هبيرة بن مشمرج(٥) ، وأمره بأنه إذا دخل علي ملك الصين يخبره بأن القائد قتيبة قد حلف أني لا أنصرف حتي أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم(٦).ولما وصل الوفد إلي بلاد الصين وتقابل مع ملكهم وحدثت مفاوضات طويلة وأراد ملك الصين أن يشعر ويدخل الرعب في قلوب هذا الوفد ، فقال لهم انصرفوا إلي قائدكم وأخبروه بأنني عرفت حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه (٧). فرد عليه هبيرة قائلا ، كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟ وأما تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا أجالا إذا حضرت فأكرمها القتل ، ولسنا نكرهه ولا نخافه (٨).عند إذن أدرك ملك الصين قوة المسلمين وشجاعتهم فآثر السلم ، ولا سيما أن الحرب مع المسلمين سوف تكون طويلة وتستلزم أموالا كثيرة وأن حدود بلاد الصين تتعرض لهجمات مستمرة من جانب الترك ، وكانت طبيعة ملك الصين يوان زونغ تميل إلي

---

(١)تقع مدينة كاشغر في وسط بلاد الترك ، وتتصل بمدينة سمرقند .

راجع : ياقوت الحموي : معجم ، جـ٤ ، صـ٤٣٠

(٢)اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، جـ٢ ، صـ٢٨٩ ؛ الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٧ ، صـ٤٠١ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، صـ٣٣٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة الايمان ، المنصورة ، د.ت ، م٥ ، جـ٩ ، صـ١٤٤ ؛ حمدي عبد المنعم ، تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٧ ؛ كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، صـ٥٨

. Hook . B,The Cambridge Eneyclopedia of china , p. 169 – 170

(٣)يعد من أعظم ملوك الصين ، ويميز عصره بالنهضة الشاملة والإصلاحات الإدارية إذ قضي علي الفساد واستطاع صد هجمات الترك ، واهتم بالثقافة والفنون والشعر والموسيقي ، وعرف بالملك النابه . راجع : يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٢٤ ، جـ٦ ؛ ديورانت ول دايريل : قصة الحضارة ، الهند وجيرانها الشرق الأقصي الصين ، ترجمة : زكي نجيت محمود ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٨م ، جـ٣ ، صـ١١٢ .

(٤)

(١)الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٧ ، صـ٤٠٢ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، صـ٣٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٧ .
Fitzagerald. C.p ,ConciseHistory ofEastAsia penguinBook , Great Britain , Middlesex , second edition , 1974 , p,75 ,schirokauer. C ,AbriefHistory ofChina civilization , HarcourtBrace Jovanovich , New York , 1991 ,p.108

(٥)هبيرة بن مشمرج الكلابي من أشراف العرب وفصحاءها ، وشارك مع قتيبة في حملته علي بلاد ما وراء النهر ، ونظرا لشجاعته وعلمه أوفده قتيبة رسولا عنه إلي ملك الصين ، فبلغ الرسالة ، وأحسن في عرض الاسلام ، ثم عاد إلي قتيبة ، فأرسله إلي الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق ليخبره بالفتوحات التي تحققت ، وتوفي بفارس سنة (٩٦هـ / ٧١٤م) . راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٧ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٢٥ ، حـ١ .

(٦)ابن كثير : البداية والنهاية ، م٥ ، جـ٩ ، صـ١٤٤ ، حمدي عبد المنعم ، تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٧ ، محمد عبد المنعم : تاريخ الدول الاسلامية ، صـ٤٣ ، صـ٤٤ .

(٧)الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٧ ، صـ٤٠٣ ؛ ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، صـ٣٤٠؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٦ ؛ كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، صـ٥٩ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٢٥ .

(٨)الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٧ ، صـ٤٠٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٦ – صـ٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، م٥ ، جـ٩ ، صـ١٤٥ ؛ محمد عبد المنعم : تاريخ الدول الاسلامية ، صـ٤٣

الاصلاحات في شتي الميادين ، ولا يلجأ إلي الحرب والقتال (١)، لذلك سأل هبيرة ما الذي يرضي صاحبكم ، فأجابه بفحوي رسالة قتيبة بن مسلم وقسمه بأنه يطأ أرضهم ويختم ملوكهم ، ويعطي الجزية ، فرد عليه ملك الصين إنا نخرجه من يمينه ، فنرسل له صحاف من ذهب بها تراب من أرضنا

فيطأها ونبعث إليه بأبناءنا ، ونعطي له الجزية (٢)فقبل هبيرة ذلك وعاد إلي قائده قتيبة بمرو(٣) الذي قبل الجزية وختم وختم الغلمان ووطئ التراب وبر بقسمه(٤).

ثم تطورت الأحداث في الدولة الأموية حيث توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة (٩٦ هـ / ٧١٥م) وتولي بعده أخاه سليمان (٩٦ – ٩٩ هـ / ٧١٥ – ٧١٩م) ، ورغم ذلك أستمرت العلاقات الودية بين الأمويين والصينيين ، وهكذا تميزت العلاقات بين الجانبين بالطابع السلمي والقائم علي تبادل السفارات وكان نتيجة ذلك أن توثقت العلاقات السياسية والتجارية (٥) بين المسلمين والصينيين .

ولما سقطت الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠م) ، وقامت الدولة العباسية (٦)حدث تغيير كبير في نمط العلاقات العلاقات ، إذ تحولت من علاقات سلمية إلي علاقات عدائية ووقعت موقعة عسكرية كبيرة كان لها أثر كبير في رسم مستقبل العلاقات بين المسلمين والصينيين ألا وهي موقعة طراز أو طلاس .

أسباب موقعة طراز ١٣٣هـ / ٧٥١م

حدثت موقعة طراز في عهد أول خلفاء العباسيين الخليفة أبي العباس (٧)من سنة (١٣٢ – ١٣٦ هـ / ٧٥٠ – ٧٥٤ م) ، كما كان يحكم بلاد الصين الملك يوان زونغ . وإذا حاولنا أن نستعرض أسباب هذه الموقعة بين القوي

---

(1) Eberhard . W,AHistory ofChina , CaliforniaUniversity press California , second edition , 1960 .p .182 , latourette . k.s , AshortHistory of theFarEast , TheMacmillanCompany , New York , fourth edition , 1964 . p.121.

(٢)الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٧ ، صـ٤٠٤ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٧ ؛ ابن كثير : بداية ، م٥ ، جـ٩ ، صـ١٦٢ ، يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٢٥ .

(٣)تقع مرو علي نهر مرغاب ، وهي مدينة طيبة وطريفة وبهية ورحبة حفيفة ، وهي في أرض مستويه بعيدة عن الجبال ، وأرضها سبخة كثيرة الرمال . راجع : الاصطخري : مسالك الممالك ، صـ٢٥٨ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، جـ٢ ، صـ٣٦٤ ؛ ابن خرداذبة : المسالك ، صـ ٣٩ ؛ الكرديزي : زين الأخبار ، ترجمة : عفاف السيد زيدان . المجلس الأعلي للثقافة ، العدد ١٠٦٦ ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، صـ ٥٤ .

(٤)ابن مسكويه : تجارب الأمم ، جـ٢ ، صـ٣٤١ ؛ بدر الدين الصيني : العلاقات بين الصين والعرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٠م ، صـ٢٧ ؛ محمد عبد المنعم : الدول المستقلة ، صـ٤٤ ؛ كرم فرحات : العلاقات المصرية الصينية ، صـ٥٩ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٢٥ .

(٥)حمدي عبد المنعم : تاريخ الدولة العربية ، صـ٣٠٧ ؛ بدر الدين الصيني : العلاقات الصينية العربية ، صـ٢٨ ؛ محمد عبد المنعم : تاريخ الدول المستقلة ، صـ٤٤ ؛ كرم فرحات : العلاقات الصينية ، صـ٥٩ ؛ أحمد مفيد صالح باشا : تاريخ البحر وملاحمه ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط١ ، دمشق ١٩٩٠م ، صـ٥٨ .

(٦)اتخذ العباسيون من أقليم خراسان مركزا لنشر دعوتهم ، وبث الدعاه في أنحاء الإقليم ، ونجحوا في اجتذاب الموالي لأفكارهم السياسية والدينية . ولمزيد عن قيام الدولة العباسية راجع : الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٨ ، صـ٢٧٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ ٣٥٧ ، السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، ١٣٩٨ هـ ، صـ١٧ ؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ، ١٩٦٤م ،صـ٢٥ .

(٧)عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ولد سنة ١٠٣هـ / ٧٢١م عهد له أخاه إبراهيم بولاية العهد سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م وأخذ البيعة العامة والخاصة في الكوفة ولقب في بعض المصادر التاريخية بالسفاح ، و لم يدم حكمه إلا أربع سنوات وتسعة أشهر وتوفي في الأنبار بمرض الجدري سنة ١٣٦هـ / ٧٥٤م .

راجع : الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، جـ ١٠ ، صـ٤٦ – ٤٧ ؛ ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـ٩ ، صـ٤١٤ – ٤١٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـ ٥١ ، عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي الأول ،

الاسلامية ممثلة في جيوش الدولة العباسية وجيوش مملكة الصين نجد أنها تنقسم إلي أجزاء غير مباشرة وأسباب مباشرة وفيما يتعلق بالاسباب الغير مباشرة فإن مملكة الصين ، كان لها نشاطا تجاريا واسعا في بلاد ما وراء النهر(١) وحصلت علي أرباح عالية فلما دخل المسلمون هذه البلاد واستقروا فيها وأصبح لهم النفوذ السياسي والاقتصادي فقدت مملكة الصين هذه التجارة وتعطلت فأرادوا إبعاد المسلمين عن هذه البلاد بإثارة الفتن وتقليب حكام بلاد ما وراء النهر عليهم (٢).

أن الدولة الأموية في نهاية عهدها لم تستطع المحافظة علي ما حققته من فتوحات في بلاد ما وراء النهر ، والصينيون باعتبارهم هم أقرب إلي بلاد ما وراء النهر من الناحية الجغرافية سعوا إلي تقوية سيادتهم في بعض مدنها مستغلين حالة الضعف في الترك والخلاف الداخلي بين قواد العرب (٣)، فبعث قادة الترك إلي ملك الصين يطلبون مساعدته ويستنجدوا به لإعادة نفوذهم وسلطتهم التي فقدوها في هذه البلاد راضين بحمايته والخضوع له ، وتعهدوا له بذلك ، وأن يمنحهم ملك الصين الألقاب الشرفية (٤)، ومن يخرج منهم عن الطاعة يلقي حتفه علي يد ملك الصين(٥)، وعندما تحركت الجيوش الاسلامية لفتح بلاد الختل (٦)، فما كان من أهلها إلا الالتجاء

وطلب حماية ملك الصين(٧)، فما كان من القائد العسكري لاقليم خراسان نصر بن سيار (٨)إلا إعداد الجيش والتوجه به لفتح بلاد الشاش سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩م ، ولكن حاكم بلاد الشاش لم يشأ الدخول في حرب مع الجيش الاسلامي فاستقبله بالصلح والهدايا وقبل جميع شروطه (٩).

ثم اتجه نصر بن سيار بجيشه صوب مدينة فرغانة بيد أن حاكمها قرر دخول الحرب ضد المسلمين فأمر بإحراق الحشائش ، والأشجار ، وقطع الطرق ، ووضع العراقيل في طريق الجيش الإسلامي (١)، فما كان من نصر بن سيار إلا

دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨م ؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤م ، صـ٤١ ؛ عبد المنعم ماجد ، العصر العباسي الأول ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، جـ١ ، صـ٥١.

(١)شاكر مصطفي : دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ت ، جـ٢ ، صـ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي الأول ، صـ٤٣٣ .

(٢)محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، صـ٤٦ – ٤٩ ، يوسف صقر : العلاقات العباسية صـ٤٣، جهادية العزة غولي ، العقلية العربية في التنظيمات الادارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) ، دائرة الشئون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والإعلام ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦م ، صـ٢٨٢ .

(٣)بارتولد : تركستان ، صـ٣١٥ – ٣١٦ ؛ سعد زغلول : الاسلام والترك في العصر الاسلامي الوسيط ، عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٤م ، صـ١٦١ – ١٦٢ ؛ نبيلة حسن محمد : تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠م ، صـ٨٥ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، صـ٦٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، صـ٨٩ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، صـ٥٣

(٤)الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، صـ٦٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ، صـ٨٩ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، صـ٥٣

(٥)محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي الأول ، صـ٤٣٤ ، حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٥ ، د.ت ، صـ ١٧٦.

(٦)تقع الختل علي حدود بلاد السند ، وهي أول كورة علي نهر جيحون من وراء النهر . راجع : ياقوت : معجم ، جـ٢ ، صـ٢٤٦ .

(٧)ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـ٩ ، صـ٣٢٨ – ٣٢٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـ٢٠٨ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ٤٣

(٨)هو الأمير أبو الليث المروزي ، تولي أمر خراسان في خلافة مروان بن محمد الأموي ، تغلب عليه أبو مسلم الخراساني ، ومات في ساوة سنة (١٣١هـ / ٧٤٨م).

راجع : الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، جـ٣ ، صـ٧٤٥ – ٧٤٦ .

(٩)الطبري : تاريخ الأمم ، جـ٨ ، صـ٤٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٢٣٨

حصار مدينة فرغانة حصارا شديدا ، ولكن تمكن جيش فرغانة من مباغتة المسلمين ، فسلبوا دوابهم ، وقتلوا بعضــــهم ، فأعاد نصر بن سيار تنظيم جيشه وانتقم لهزيمته وأسر الفلاحين والصناعيين(٢).

وهنا نلاحظ تباينا واضحا بين موقف حاكم فرغانة الذي هادن وسالم المسلمين ، وحاكم الشاش الذي آسر الحـــرب وهذا التباين له تأثير علي أسباب موقعة طراز حيث تدخل مملكة الصين عونا ومساندا لحاكم فرغانة ، كذلك نجد مملكـــة الختل تعلن التمرد والعصيان علي المسلمين بتحريض وتشجيع من ملك الصين ويخرج إليها جيش بقيادة أبو داود خالد بن إبراهيم (٣)، ويتمكن من فتحها ،بيد أن حاكمها حبيش بن الشبل استمر في التمرد وقرر مواصلة القتال وتحصن في قلعته فلما دعاه أبو داود للاستسلام خاف علي نفسه من قوة المسلمين ، فهرب هو ومن معه من سكان الختل (٤)، والتجأوا إلي أرض فرغانة التي علي عداء مع المسلمين ، واستمروا في الهروب حتي وصلوا إلي الصين (٥)، فوجدوا الحمايـــة مـــن ملكها .

ومن هنا نجد أن الصينيين أرادوا بصورة غير مباشرة إخراج المسلمين من بلاد ما وراء النهر عن طريق إثارة الحكـــام المحليين ضدهم خاصة حاكم فرغانة وجعل الترك يدخلوا في ذلك الصراع ويعملوا لحساب مملكة الصين . ولكنهم أخطأوا في تقدير الموقف العسكري وظنوا أن التقدم قد أصبح ممكنا بسبب تشتت كلمة عمال العرب ، وعجز الأتراك عن تنظيم أحوالهم من ناحية أخري (٦).

هذا فيما يتعلق بالأسباب الغير المباشرة لموقعة طراز ، أما الأسباب المباشرة تتمثل في أن الصـــينيين ســـعوا إلي إعـــادة أمجادهم السياسية والعسكرية والإقتصادية في إقليم بلاد ما وراء النهر ، ودخولهم في حرب مباشرة مع المسلمين ، وإلحاق الهزيمة بهم سوف يحقق لهم مأربهم خاصة أن الصين أصبحت تتنافس مع الدولة العباسية في التميز والتفوق التي غدت أقوي وأغني دولة في العالم(٧). أراد الصينيون من خلال محاربة المسلمين منع إقامة أي تحالف عسكري بين الجيوش الإســـلامية والثائرين عليها في هضبة التبت (٨) حتي لا تقع بين شقي الرحي فسعوا إلي مباغتة ومفاجئة الجيش الإسلامي بالهجوم .

---

(١)الطبري : تاريخ الأمم ، جـــ٨ ، صـــ٤٦ ؛ قدامة : الخراج وصناعة الكتاب ، شرح وتحقيق : محمد حسين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م ، صـــ٤٠٩ .

(٢)الطبري : تاريخ الأمم ، جـــ٨ ، صـــ٤٦ – ٤٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـــ٥ ، صـــ٢٣٨ ؛ يوسف صـــقر : العلاقـــات العباســـية ، صـــ٤٣

(٣)أبو داود خالد بن إبراهيم من بني شيبان بن ذهل ، تولي أمر طخارستان سنة ١٣٠هـــ / ٧٤٨م ، وقام بغزو كش ، وقتل أخريدها ســـنة ١٣٤هـــ / ٧٥٢م ، وأصبح عامل خراسان ، وتوفي فيها سنة ١٤٠هـــ / ٧٥٧م . راجع : ابن الأثـــير : الكامـــل ، جـــــ٥ ، صـــــ٥٤ ،صـــ٣٨٦ ، صـــ٤٩٨ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفة ، صـــ٥٤ ؛ محمد عبد الحفيظ ، الجيش في العصر العباسي ، صـــ ٤٢٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـــ٢٠٨ .

(٤)الطبري : تاريخ الأمم والملوك : جـــ٨ ، صـــ٣٦٥ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـــ٥ ، صـــ٤٤٨ – ٤٤٩ ؛ الـــذهبي : تـــاريخ الاســـلام ووفيات المشاهير والأعلام ؛ تحقيق : بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، جـــ٣ ، صـــ٥٩٤ ؛ يوســـف صـــقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٤

(٥)ابن الأثير : الكامل : جـــ٥ ، صـــ٤٤٩ ؛ عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، صـــ٥٢ ، حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي : صـــ١٧٧

(٦)بارتولد : تركستان ، صـــ٣١٦ ؛ سعد زغلول : الاسلام والترك ، صـــ١٦١- ١٦٢ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٤

(٧)سليمان التاجر : أخبار رحلة العرب الي الهند والصين ، نشر معهد العلوم العربية والإسلامية ، طبع في مطبعة شتراوس في إطـــار جامعـــة فرانكفورت ، جمهورية ألمانية الإتحادية ، ١٩٩٤م ، صـــ٢٦ ؛ اليعقوبي : تاريخ ، جـــ٢ ، صـــ٣٩٨ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، جـــ١ ، صـــ١٨١ ؛ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، تحقيق : جودت فخر الدين ، دار المناهل للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، صـــ١١٥ ؛ Latouette , k.s , Ashort history of theFarEast , p.121

(٨)بدر الدين الصين ، العلاقات العربية الصينية ، صـــ٣٢ – ٣٣ ، يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٤ .
Schirokauer . c ,Abrief history of Chinese civilization p.122

ولعل أهم سبب مباشر لحدوث تلك الموقعة أن الصينيين رأوا في استغاثة حاكم فرغانة بهم ولجؤه إليهم دافعا مباشـــرا لتجهيز الجيوش لمحاربة المسلمين ، وقرر ملك الصين أن يبدأ أولا بمحاربة حاكم الشاش حليف المسلمين ، فأعد جيشا بلغ عدده مائة ألف مقاتل (١)، وأتجه هذا الجيش وضرب الحصار علي مملكة الشاش (٢) في منطقة بلاد ما وراء النهر ، ولا سيما أن الدولة العباسية في أول عهدها كانت الأخطار تحاط بها من كل جانب ، فوجد الصينيون في ذلك فرصة لهزيمـــة هذه الدولة الناشئة ولكن أبا العباس صمم علي خوض هذه الحرب لقطع الطريق علي الصينيين ، وإثبات القوة العسكرية للدولة العباسية (٣)

موقعة طراز ١٣٣هـــ / ٧٥١م

تمثل موقعة طراز تطورا واضحا في مظاهرالعلاقات العباسية الصينية ، إذ تشابكت الأحداث وتداخلت وطرأتغيير علي سياسة الصينتجاه الخلافة العباسية ، فبعد أن كانوا يقدرون خلفاء بني العباس ويطلقون علي الخليفة العباسي لقب شاهنشاه أي (ملك الملوك) (٤) وإنه أول ملوك العالم هيبة ، ومترلته كمترلة القمر علي الكواكب ، وقدموه علي ملوك ذلك الوقت الوقت ، وأنه أكثر مالا وأحسن طبعا ، وأثبتهم قدما وأفضلهم سياسة. (٥) ورغم ذلك أقدمت الصين علي التـــدخل في الصراع الذي نشأ بين مملكة فرغانة ومملكة الشاش وأعدت جيشا لنصرة حليفها إخشيد فرغانة.

وتبدأ أحداث تلك الموقعة الفاصلة عندما تحرك جيش الصين البالغ عدده مائة ألف تحت قيادة(كاو شيان كـــي) (٦) مزودا بالسلاح والعتاد ، ووصل إلي مملكة الشاش وضرب عليها حصارا شديدا وانضم إليه إخشيد فرغانة واستطاع هذا الجيش دخول مملكة الشاش وقتل ملكها(٧).وعند إذن استنجد ابن ملك الشاش بالمسلمين.

وكانت أنباء تحرك الجيش الصيني قد وصلت إلي أبي مسلم الخرساني (١)الذي غضب غضبا شديدا ، أو خشي علـــي ضياع نفوذ المسلمين في بلاد ما وراء النهر ، فأعد جيشا لم تذكر المصادر التاريخية عدده وجعل علي قيادة زياد بن صالح

---

(١)ابن الأثير : الكامل ، جـــ٥ ، صـــ٤٤٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـــ٢٠٨ ؛ عبد العزيز الـــدوري ، العصـــر العباسي الأول ، صـــ٥٢ ؛ فاروق عمر فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية والإسلامية ، مكتبة النهضة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٨م ، صـــ١٩٧ ؛ مجاهد مصطفي بهجت : التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٢م ، صـــ١٣٦ ؛ بـــدر الـــدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، صـــ٣٤ .

(٢)أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، صـــ٣٧ – ٣٨ ؛ شاكر مصطفي : دولة بني العباس ، جـــ٢ ، صـــــ٢٧٥ ؛ بـــدر الدين الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، صـــ٣٤ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٥ .

(٣)أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي ، صـــ٣٧ ؛ عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، صـــ٥٣ ؛ حسن أحمد محمود : العالم الإسلامي ، صـــ١٧٧ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي ، صـــ٤٣٥ .

(٤)الغرناطي : تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق : اسماعيل العربي ، دار الجليل ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣م ، صـــ٤٥ ، القـــزويني : آثـــار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1960م ، صـــ٤٦ ، يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٢.

(٥)المسعودي : مروج الذهب ، جـــ١ ، صـــ١٨١ ؛ البكري : المسالك والممالك ،تحقيق أدريان ليوفن ، واندري فـــيري ، الـــدار العربيـــة للكتاب ، بيت الحكمة ، تونس ، سنة ١٩٩٢م ، جـــ١ ، صـــ٩٧.

(٦)بدر الدين الصيني : العلاقاتبين العرب والصين ، صـــ٣٤ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي ، صـــ٤٣٣ ؛ بينمايرداسم قائـــد جيش Sien-chikou الصينكوشياتشي وإنه كوري.

Chau ju – kua , chu . fan – chi

Translated from ChinesebyfriedRich hirth and w.w.Rock hill , Paragon book printedNewYork ,Scond edition ,1966 ,p.11٠

(٧)اختلف حول مصير ملك الشاش ، فقال البعض أنه أعلن الخضوع والطاعة ، لملك الصين ظاهرا واستنجد بالمسلمين سرا ، وقيل أنه قتـــل وابنه هو الذي فر واستنجد بالمسلمين سرا . راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـــ٥ ، صـــ٤٩٩ ؛ محمد عبد الهادي شعيرة : الممالك الحليفـــة ، صـــ٥٦ ؛ عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـــ٢٠٨ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي ، صـــ٤٣٤ ؛ بـــدر الـــدين الصيني ، العلاقات ، صـــ٣٤ .

(٢) ، وتحرك الجيش الإسلامي ، وفي طريقه اتجه إلي بخاري حيث قضي علي ثورة أهلها بزعامة شريك المهري وقتل أتباعه واستخدم العنف والقسوة مع الأسري (٣)، واستأنف السير حتي وصل إلي مدينة طراز وتقابل هناك مع جـيش الصـين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ١٣٣هـ / يوليو ٧٥١م (٤)، ووضع زياد بن صالح خطته العسكرية القائمة علي أن يكون الرماه في مقدمة الجيش ، وخلفهم حملة الرماح ثم الخيالة ، وفي المؤخرة بقية الجيش من المقاتلين كذلك أعتمد الجيش الإسلامي علي عنصرين هما المفاجأة والكمائن ، والصبر وثبات الجأش عند اشتعال وطيس المعركة (٥)، والتقي الجيشـان عند بزوغ الفجر واستمر القتال بينهما حتي دخول الليل ، وأحرز الجيش العباسي نصرا مؤزرا وتبالغ المصادر في عدد قتلي الجيش الصيني ، إذ تذكر أنه قتل خمسون ألفا وتم أسر عشرون ألفا (٦)، ولا شك أن الجيش الإسلامي أظهر كفاءة عالية في القتال

وتعامل مع جيش الصين بكثير من العنف والشدة والقسوة ، ولم يستطع جيش الصين وحلفاءه من الترك الصمود أمام قوة وشجاعة جيش الخلافة العباسية (٧)، وعاد ما بقي من فلول جيش الصين إلي بلاده يجر وراءه الهزيمة ، وينقل إلي ملك الصين يوان زونغ أنباء قوة الجيش الإسلامي ، مما يجعل هذا الملك يقرر أن يتبع مع المسلمين سياسة جديدة تقوم علي الود والتفاهم ، وتبادل السفراء سياسة سلمية ويتخلي نهائيا عن التفكير في خوض حرب أخري مع المسلمين .

وعلي الرغم من أهمية موقعة طراز في تاريخ العلاقات الإسلامية الصينية إلا أن المصادر التاريخية لم تـذكرها ، والـتي ذكرتها أشارت إليها بإيجاز ، وتفسير ذلك إن المؤرخين العرب الأوائل الذين شغلتهم آنذاك الأحداث التي كان مسرحها آسيا الغربية لم يذكروا شيئا عن هذه الواقعة (٨).

نتائج موقعة طراز

---

(١) هو عبد الرحمن بن شيرون بن إسفنديار أبو مسلم المروزي ، من أشهر دعاة العباسيين في خراسان ، ولقب بأمين آل محمد عـرف عنه حسن الرأي والتدبر والميل إلي سفك الدماء ، ولد بأصبهان ونشأ في الكوفة ثم دخل في خدمة الإمام ابراهيم بن محمد وأرسـله إلي خراسـان داعيا في سنة ١٢٥هـ ، وأمر أهلها بلبس السواد ثم قتله الخليفة أبو جعفر المنصور في شعبان ١٣٧هـ . الكرديـزي : زيـن الأخبـار ، صـ١٨١ ، صـ١٨٥؛ راجع ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـ١٠ ، صـ٤٢٤ ، صـ٤٢٩ ؛ الشيخ محمد الخضري : الدولة العباسـية ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م ، صـ٥٦ .

(٢)هو زياد بن صالح الخزاعي الحارثي ، كان من قادة الجيش العباسي حارب ابن هبيرة في مدينة واسط ، وولي الكوفة سـنة ١٣٢هـ ، ثم دخل في خدمة أبي مسلم الخراساني وأرسله للقضاء علي ثورة أهل بخاري سنة ١٣٣هـ ، ودخل في حرب مع الصين وانتصر عليهم في موقعة طراز ، ثم أعلن التمرد والعصيان علي أبي مسلم الذي ظفر به وقتله ١٣٥هـ . راجع : ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٤٠٥ ، صـ٤٤٠ ، صـ٤٥٥ ؛ ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـ١٠ ، صـ٤١٤ .

(٣)النرشخي : تاريخ بخاري ، صـ٩١ – ٩٣ ؛ ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـ١٠ ، صـ٤١٤ ؛ نبيلة حسن : تاريخ الدولـة العباسـية ، صـ٨٥

(٤)ابن الأثير : الكامل جـ٥ ، صـ٤٤٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، صـ٢٠٨ .

(٥)ذكرت بعض المصادر أن موقعة طراز حدثت سنة ١٣٤هـ / ٧٥٢م ، راجع : الفسوي : المعرفة والتاريخ ، منشورات : محمـد علـي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، جـ٣ ، صـ٣٥٠ ، صـ٣٥١ ؛ المطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتأريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٩٩م ، م٣ ، جـ٦ ، صـ٣٥١ .

(٦)ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، صـ٤٤٩ ؛ عبد العزيز الدوري : العصر العباسي ، صـ٥٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصـر العباسـي سالم : العصر العباسي ، صـ٢٠٨ ؛ مجاهد مصطفي بهجت ، التيار الاسلامي في شعر العصر العباسي الأول ، ط١ ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢م ، صـ١٣٦ ، نبيلة حسن ، الدولة العباسية ، صـ٨٦ ، في حين قلل البعض من عدد القتلي والأسري الصينيين ، وأوردوا أن جيش الصـين الذي توجه لحرب المسلمين في موقعة طراز بلغ ثلاثون ألف . راجع : بدر الدين الصيني : العلاقات ، صـ٣٤ .

(٧) يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٥

Gascoigne . B.ABrief history of the dynasties of china , Robinson , London , Second edition . 2003 , p.112.

(٨)بارتولد : تركستان منذ الفتح العربي ، صـ٣١٦ .

تعد موقعة طراز نقطة تحول فاصلة في تاريخ بلاد ما وراء النهر بصفة عامة ، والعلاقات الاسلامية الصينية بصفة خاصة ، فعلي الرغم من أنها استمرت يوما واحدا إلا ما ترتب عليها من نتائج كان بعيد الأثر بالنسبة للصينيين والمسلمين .

فنتائج هذه الموقعة علي الجانب الصيني تمثلت في أن النفوذ الصيني انتهي في منطقة بلاد ما وراء النهر ، وتراجعت هيمنته ، بل أكثر من ذلك حدث تمزق وانقسام في الجبهة الداخلية الصينية (١)، إذ تعرض ملك الصين يوان زونغ لثورة داخلية بزعامة "ان لو شان Anlu-shan "(٢) سنة (١٣٦ – ١٣٩ هـ / ٧٥٤ – ٧٥٧ م) كرد فعل طبيعي للهزيمة للهزيمة ، كما أنه اعترض علي إصلاحات الملك الاقتصادية فيما يتعلق بقانون المساواه في توزيع الأراضي الزراعية الذي اصطدم بمصالح الاقطاعيين (٣) كما وجه للملك عجزه الواضح في الدفاع عن حدود بلاد الصين أمام هجمات الأعداء وحكام الأقاليم والمسلمين ، وأن الحكومة المركزية أصبحت عاجزة وغير قادرة في التأثير علي جيوش حكام الأقاليم البعيدة (٤)، كما أن زعيم الثورة ان لو شان توفرت فيه صفات جعلته يحظي بتأييد العسكريين والاقطاعيين ، فقد كان شجاعا ذكيا في قراءة أفكار الغير هذه السجايا مكنته القيام بانقلاب عسكري والوصول إلي العرش (٥)

فما كان من ملك الصين أن لاذ بالفرار من العاصمة ، وتنازل عن العرش لابنه (سيو زونغ Suzong) (٦) سنة (١٣٨ – ١٤٥ هـ / ٧٥٦ – ٧٦٣ م) ، وأمام هذه الظروف الصعبة قام الملك الجديد بطلب العون والمساعدة العسكرية من الأواغرة (٧)، وفي الوقت نفسه أرسل للخلافة العباسية سفيرا يطلب مساعدته وبالفعل وافق الخليفة العباسي العباسي أبو جعفر المنصور سنة(١٣٦ – ١٥٨ هـ) فأرسل جيشا يتكون من أربعة آلاف (٨)، وتمكنت جيوش الأواغرة الأواغرة والعباسيين من حصار عاصمة بلاد الصين حمدان(٩)، وقطع كل الإمدادت عن جيش ان لو شان ، ثم استطاعت

---

(١)يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٦ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي الأول ، صـ٤٣٥ .

Gibb.H.A.R , The Areb conquest of centralAsia , A.M.S Press , Second edition , 1970 , p.96

(٢)والده من بلاد السند وأمه من بلاد الترك ، عين حاكما علي الحدود الشمالية الشرقية لبلاد الصين ، توفي سنة ١٣٩هـ . راجع :

Hook.B,the Cambridge Encyclopedia of china , p.171.

(٣)يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٧

C.schirokauer , Abrief history of Chinese civilization , p.122

(4) HooK ham . H,Ashort History of china , Longmans , London ,firs edition , 1969 , p.105 and Eberhard . W,A historyof china , p. 187

(٥)يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٧

Edwin . G, The back ground of Rebellion An lu-shan , Oxford , four volumes , 1955 , volume 4 , p.8.

(٦)هو يانغ كيوز هونك Yan Guo Zhong ، بدأ عهده بالقضاء علي الثورات الداخلية وإعادت تنظيم القوي العسكرية التي أصابها الضعف واتخذ من شمال غرب الصين ثكنات للجند ، وحرص علي إقامة علاقة ودية مع جيرانه وخاصة بني العباس . راجع : يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٧ .

(٧)يسكن الأواغرة آسيا الوسطي ، ويقع تحت سيطرتهم المنطقة الممتدة من شمال كوريا إلي كارشار Karashar ، وينسبون إلي الجد الأول يوان يوان Yuan – Yuan وأسسوا ملكهم سنة (١٢٦هـ / ٧٤٤م) تحت زعامة كيو – لي – بي – لو la – Li – Pei – Lo

راجع :

Mackerras. C , The Uigher Empire According toTang Dynastic history ,Austra – lain national university press , cahberra , 1972 , p.8 ; Chiu – tang – shu , translated fromChinese to English by colinMackerras , Austra – lianNationalUniversity press , Canberra , 1972 , p.54

(٨)محمد بيرم : صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م ، جـ١ ، صـ٨٣ ؛ محمد عبد الحفيظ : الجيش في العصر العباسي ، صـ٤٣٥ ؛ كرم فرحات : العلاقات ، صـ٥٩ ، بينما ذكر أن هؤلاء الجنود لم يأتوا من بغداد بل جلبهم ملك الصين من أواسط آسيا ؛ بدر الدين الصيني ، العلاقات ، صـ٤٠ – ٤١ .

(٩)الكرديزي : زين الأخبار ، صـ٣٨٤ ؛ يوسف صقر : العلاقات ، صـ٤٨ .

استطاعت دخول القسم الغربي من العاصمة ، وقتل خلال هذه المعارك أعداد كبيرة من الجانبين (١)، ثم توالت الهــزائم علي الثائرين ، وضعفت قوقم حتي قضي نهائيا علي ان لو شان ومن معه ، ودخل ملك الصين سيوزونغ عاصمته في سنة (١٣٩هـــ / ٧٥٧م) (٢)

ولا شك أن هذه الثورة الداخلية التي كادت تقضي علي أسرة تانغ كانت نتيجة طبيعية لهزيمة جيش الصين في موقعــة طراز ، إذ ظن الثوار أنهم قادرون علي انتزاع الملك ،كما أن استنجاد ملك الصين بجيوش الدولة العباسية لإعادة ملكه أبلغ دليل علي اعترافه بقوة جيش العباسيين ، مما يدعم أواصل العلاقات السياسية بين الدولتين ، ولقد أكرم ملك الصين الجيش الإسلامي ، فمنحهم الأقمشة الحريرية المطرزة والأواني الفضية والذهبية ، وكان يقيم الولائم ويغدق عليهم الهــدايا (٣)، جزاء مساعدتهم لملك الصين علي إرجاع عرشه وقضائهم علي التمرد العسكري وإعادة الوحدة والهدوء إلي البلاد .

كما كان من نتائج موقعة طراز أن انتشرت الجاليات الإسلامية في شتي مدن الصين ، وأسهم ذلك في نشر الاسلام في هذه البلاد حيث حظي المسلمون برعاية ملك الصين ، وسمح لهم بالإقامة والزواج من بنات الأهالي ومصاهرة الأعيان ، كما طالبوا أن يكون لهم استقلالا في شئونهم وعقائدهم وإشهارها ، فوافق علي أن يتفرقوا في مدن الصين العظيمة ، وغدا لهم قضاه وأئمة بحيث لا يتدخل فيها الحكم الصيني إلا في عموم السياسة(٤).

كذلك ترتب علي هذه الموقعة أن انتشرت الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في منطقة بلاد ما وراء النهر ، وتفوقت وأضعفت من تأثير الحضارة والثقافة الصينية (٥)، لأن شعوب هذه المنطقة أدركوا قوةالمسلمين وعظم حضارتهم فسارعوا إلي الإنضمام إليها وتعلمها .

أما فيما يتعلق بنتائج موقعة طراز بالنسبة للجبهة الإسلامية ، فهذا الانتصار رفع الروح المعنوية للجيش الإســلامي ، وجعل قائده زياد بن صالح يسعي لحكم إقليم خراسان فأعلن الثورة علي أبي مسلم الخراساني ولكن أنتهي الأمر بمقتلــه (٦)، كذلك مكن هذا النصر العباسيون من فرض سيطرتهم علي الطرق التجارية البرية في بلاد ما وراء النهر التي تــربط بين بلاد الترك والصين ، فنشطت التجارة وجنو منها أرباحا كثيرة عادت بالنفع والرخاء علي المجتمع الإسلامي (٧).

Tang – shu , translatedfrom Chinese to English by colinMackerras , AustralianNationalUniversity press – Hsin . Canberra , 1972 , p.59

(١)يوسف صقر : العلاقات ، صـــ٤٨ Chiutang – shu , p.58 .

(٢)جميل المصري : حاضر العالم الاسلامي – قضاياه المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م ، صـــ٥٦١ .
Chiutang – shu , p.58.

(٣)إبراهيم تانغ جين : الاسلام في الصين ، صـــ١٤ ؛ كرم فرحات : العلاقات ، صـــ٦٠ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـــ٤٩ .
Hsin – tang – shu ,p.59

(٤)الكرديزي : زين الأخبار ، صـــ٣٨٤ ؛ محمد بيرم ، صفوة الاعتبار ، جـــ١ ، صـــ٨٣ ؛ أحمد مفيد صالح : تاريخ البحر وملاحمــه ، دار طلاس ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٠م ، صـــ٥٨ ؛ جهادية : العقلية العربية ، صـــ٢٨٢ .

(٥)عبد العزيز الدوري ، العصر العباسي ، صـــ٥٣؛ فاروق عمر : تاريخ العراق ، صـــ١٩٧ ؛ مجاهد مصطفي : التيار الاسلامي ، صـــ١٣٦ ؛ بدر الدين الصيني : العلاقات ، صـــ٣٥ ؛ موريس لومبار : الاسلام في مجاله الأول من القرن الثاني إلي القرن الخامس الهجري / ٨ – ١١ م ، ترجمة وتعليق : اسماعيل العربي ، المغرب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط٣ ، ١٩٩٩م ، صـــ٦٧ ؛ حسن أحمد محمود : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، صـــ١٧٧ ؛ سعد زغلول : الاسلام والترك ، صـــ١٦٢ .

(٦)ابن كثير : البداية ، م٥ ، جـــ١٠ ، صـــ٤١٤ ؛ نبيلة حسن : تاريخ الدولة العباسية ، صـــ٨٦ .

(٧)عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، صـــ١١٦ ؛ أحمد مفيد : تاريخ البحر وملاحمه ، صـــ٥٨ ؛ جهادية : العقليـــة العربيـــة ، صـــ٢٨٢ .

واستغل الخلفاء العباسيون تفوقهم العسكري علي الجبهة الصينية ، فعمدوا الي إرسال السفارات وإقامة العلاقات الدبلوماسية ، حيث بلغ عددها منذ عهد الخليفة أبي العباس إلي عهد الخليفة هارون الرشيد خمسة عشر سفارة عباسية (١)كان لها أبلغ الأثر في إقناع ملوك الصين في فتح أبواب بلادهم للمسلمين والحضارة الإسلامية .

ولعل من أهم نتائج موقعة طراز بالنسبة للمسلمين أن ما تم أسرهم من جيش الصين كان بينهم حرفيين مهرة في صناعة الورق (٢)، ولا شك أن هذه الصناعة كانت حكرا علي بلاد الصين وبعض جوارها (٣)، حيث كان يصنع من

الحشائش والكلأ (٤)المتوفر في بلاد الصين ، وحصل تجار الصين من خلال سيطرتهم علي تجارةالورق علي أرباح طائلة طائلة (٥)، فلما علم العباسيون بوجود هؤلاء الصناع أرادوا الاستفادة من خبراتهم ونقل أسرار صناعة الورق (الكاغد) إلي المسلمين فعرضوا عليهم إقامة مصنع للورق في مدينة سمرقند ويعلموا الصناع المسلمين هذه الصنعة مقابل حريتهم (٦)، (٦)، ثم يسمح لهم بعد ذلك العودة إلي بلاده لمن أراد ذلك .

وصناعة الورق التي دخلت العالم الاسلامي عصر العباسيين بفضل الصناع الصينيين أحدثت نقلة حضارية ، فبعد أن كان العباسيون يعتمدون علي قراطيس مصر (٧)، ثم توسعوا في إنتاج الورق ، وأطلقوا عليه الورق الخراساني وأدخلوا الكتان في صناعته ، ونقوه مما كان يستعمل في صناعته من ورق التوت ومن الغاب الهندي (٨)، وغدت مدينة سمرقند أهم أهم مركز لإنتاج الورق (٩)، الذي أصبح يضرب به المثل في الجودة والكثرة(١٠)، ثم انتقلت صناعة الورق إلي مدينة بغداد ، وأسس أول مصنع فيها سنة (١٧٧هـ / ٧٩٤م) (١١)، وانتج كميات كبيرة منه وأقيم له أسواق عرف بسوق الوراقين (١٢)، ومحلة دار القز ببغداد حيث يصنع ورق الكاغد فيها ثم يصدر إلي الخارج(١٣).

---

(١)عصام الدين الفقي : الدولة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ت ، جـ٢ ، صـ٢٧٥ – ٢٧٦ ؛ برتشنا بدر : بحوث في العصور الوسطي ، جـ١ ، صـ٢٦٤

(٢)سليمان التاجر : أخبار رحلات العرب والفرس ، صـ٧٥ ؛ ابن فقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، طبع في ليدن ، مطبعة بريل ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت ، صـ١٥٢ ؛ القزديني : آثار البلاد وأخبار العباد ، صـ٥٤ .

(٣)بدر الدين الصيني : العلاقات ، صـ٢٥٤ ؛ محمد ماهر حمادة : الكتاب في العالم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، صـ١٤٨ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ١٦٧ .

(٤)ابن النديم : الفهرست ، تحقيق : رضا زين العابدين ، دار المسيرة ، طهران ، ط٣ ، ١٩٨٨م ، صـ٢٣ ؛ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧م ، جـ٢ ، صـ٥١٥ ؛ سيده اسماعيل الكاشف : علاقة الصين بديار الاسلام ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، ١٩٧٦م ، صـ٤١ .

(٥)ابن النديم : الفهرست ، صـ٢٣ ؛ يوسف صقر : العلاقات ، صـ١٦٧

(٦)الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ، وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربي ، مصر ، ١٩٦٠م ، صـ١٣٦ ؛ حماده ماهر : الكتاب ، صـ١٥٠ ؛ سيدة الكاشف : علاقة الصين ، صـ١١ .

(٧)ابن فقيه الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، صـ٢٥١ ؛ يوسف صقر : العلاقات ، صـ١٦٨ .

(٨)آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريده ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٤٧م ، صـ٢٦٩ ؛ كرم فرحات : العلاقات ، صـ٧٤ .

(٩)الأصطخري : مسالك الممالك ، صـ٢٨٨ ؛ ريسلر ، جاك : الحضارة العربية ، ترجمة : غنيم عبدون ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، د.ت ، صـ١٢١ ، سيدة الكاشف : علاقة الصين ، صـ١٥ ؛ يوسف صقر : العلاقات ، صـ١٦٩ .

(١٠)ابن حوقل : صورة الأرض ، جـ٢ ، صـ٤٨١ ؛ المقدسي : أحسن التقاسيم ، صـ٣٢٦ .

(١١)القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ١ ، صـ٤٨١ ؛ آدم متز : الحضارة الاسلامية ، جـ٢ ، صـ٢٦٩ ؛ ريسلر : الحضارة العربية ، صـ١٢٠ ؛ يوسف صقر : العلاقات العباسية ، صـ١٧٠ .

(١٢)اليعقوبي : البلدان ، صـ٣٥

(١٣)ياقوت : معجم ، جـ٢ ، صـ٢٢

ووفرة الورق شجع علي نشاط حركة الترجمة (التأليف والكتابة) فانتشرت الكتب في شتي المجالات ، ولا شـــك أن عملية انتاج الكتاب لم تكن لتتم لولا عمل الوراقين ، الذين ساهموا في انتشار الثقافة والعلم في كافة أنحاء الأمة العربيـــة والإسلامية .

ومن هنا يتبين أن موقعة طراز كان لها دور واضح وفعال في التواصل بين الحضارتين الصـــينية والاســـلامية ، وقـــد استفادت كل منهما من الأخري في شتي الميادين ، مما يؤكد التأثير والتأثر المتبادل ويقضي علي فكرة صراعالحضارات .

الخاتمة

من خلال دراسة موقعة طراز التي حدثت سنة ١٣٣هـــ / ٧٥١م ، بين القوي الإسلامية والصينية يمكن أن نحصـــي النتائج الآتية :-

- تشغل مدينة طراز موقعا استراتيجيا ، إذ تقع في أقصي المشرق الإسلامي وهي آخر ديار الإسلام ، وهمزة الوصل بين أراضي المسلمين وبلاد الترك وبلاد الصين ، لذا كانت ميدانا للتنافس من أجل السيطرة عليها .
- نظرا لموقعها أدت دورا حيويا في النشاط التجاري البري ، حيث ربطت بين الطرق التجارية الإســـلامية والتركيـــة والصينية ، وكانت محطة للقوافل التجارية ، وحرص التجار المسلمون والصينيون علي إقامة مراكز تجارية لهـــم بهـــا ، وانعكس ذلك فأصبحت مدينة طراز تنعم برغد ورخاء اقتصادي .
- استطاعت الجيوش الإسلامية في عهد الدولة الأموية فتح مدينة طراز سنة ٩٦ هجريا واتخذها القائد قتيبة بن مســـلم قاعدة ، واتصل من خلالها بملك الصين لأنها أقرب مدن الإسلام إليها ، وقابل فيها وفود ملك الصين ، ممـــا يؤكـــد دورها السياسي.
- شهدت مدينة طراز موقعة عسكرية حاسمة بين جيش الجبهة الاسلامية ، وتحالف إخشيد فرغانة وجيش الصين مني فيها الصينيون بهزيمة ساحقة جعلتهم لا يفكروا في خوض معارك عسكرية أخري ضد المسلمين .
- نتج عن موقعة طراز نتائج بعيدة الأثر ، إذ أسهمت في فرض الثقافة الاسلامية في إقليم بلاد ما وراء النهر ، وجعلـــت الترك يسارعون بالدخول في الإسلام ، وضعفت الثقافة الصينية في تلك المنطقة أي أن هذه الموقعة شـــكلت التـــاريخ الحضاري لمنطقة بلاد ما وراء النهر
- أدرك الصينيون أن أتباع سياسة التفاهم والود مع المسلمين يحقق لهم أهدافهم الاقتصـــادية والسياســـية ، فنشـــطت الدبلوماسية بين الجانبين ، وتعددت السفارات والوفود ، وتميزت العلاقات العباسية الصينية بطابعها السلمي القائم علي الإحترام المتبادل .
- استفاد العباسيون استفادة كبيرة من موقعة طراز حيث إن الأسري الصينيين نقلوا إلي العالم الاسلامي سر صناعة الورق ، وأقيم أول مصنع للورق الصيني الكاغد في مدينة سمرقند ، ومنها انتقل إلي بغداد ، وكان لوفرة الورق أثـــر كـــبير وفعال في نشاط حركة الترجمة والتأليف والبحث والنهضة العلمية ، كما كان له أثر اقتصادي إذ أقيمت الأسواق لبيع الورق ، وجني تجار الورق أموالا طائلة .
- رغم أن موقعة طراز استمرت يوما واحدا إلا أنها تعد نقطة تحول في تاريخ العلاقات الإسلامية الصينية ، ولم تحظي في كتابات المؤرخين القدامي إلا بقدر قليل ، ومروا عليها مرور الكرام .

أولا : المصادر العربية

- ابن الأثير ، الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـــ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، ١٣جزء ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٩٧٩ م .
- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني (ت ٥٦٠هـــــ / ١١٥٦م) ، نزهـــة المشتاق في اختراق الآفاق ، مجلدان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩ م .
- الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٤٦هـــ / ٩٥٧م) ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، نشر دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٧ م .

- البكري ، أبو عبيد الاندلسي (ت ٤٨٧هــ / ١٠٩٤م) ، المسالك والممالك ، جزءان ، تحقيق أدريان ليوفن واندري فيري ، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ، تونس ، ١٩٩٢ م .
- البلاذري ، الإمام أبو العباس أحمد بن يحيي بن جابر (ت ٢٧٩هــ / ٨٩٢ م) ، فتوح البلدان ، لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٨٣م .
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت ٤٢٩هــ / ١٠٣٨م): لطائف المعارف ، تحقيق إبراهية الإبيـــاري ، وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربي ، مصر ، ١٩٦٠ م .
- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هــ / ١٢٠١م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ؛ تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مصطفي عبد القادرعطا ، ونعيم زرزور ، دار الكتب العلميـــة ، ط٢ ، بـــيروت ، ١٩٩٥م ، ١٨ جزء.
- ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هــ / ٩٧٧م) ، صورة الأرض ، جزءان ، طبع في مطبعة بريل ، ليـــدن ، ط٢ ، سنة ١٩٣٨م .
- ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٨٠هــ / ٨٩٣م) ، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هــ / ١٢٨٢م)

، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د. ت
- الخوارزمي ، أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٠هــ / ٩٩٠م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق د. جودت فخر الدين ، دار المناهل للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١، سنة ١٩٩١ م .
- الدمشقي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الانصاري الصوفي الدمشقي (ت ٧٢٧هــ / ١٣٢٧م) ، كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، اعتني بطبعه ونشره ، م. مزين ثم أغسطس مهرن ، أعاد طبعه بطرسبورغ ســـنة ١٨٦٥ — ١٨٦٦م ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكوفورت ، طبع في مطبعة شتراوس ، مورليناخ ، ألمانية الاتحادية ، د . ت .
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هــ / ١٣٤٧م) ، تـــاريخ الإســـلام ووفيـــات المشاهير والأعلام ، تحقيق د. بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ١٧ جزء .
- ابن الزبير ، الرشيد (ت القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) ، كتاب الذخائر والتحف ، حققه د. محمد حميد الله ، التراث العربي ، الكويت ، ١٩٥٩م .
- سليمان التاجر ، (ت ٢٣٦هــ / ٨٥١م) ، أخبار رحلات العرب والفرس إلي الهند والصين ، نشر معهـــد العلـــوم العربية والإسلامية ، طبع في مطبعة شتراوس في إطار جامعة فرانكوفورت ، جمهورية ألمانية الاتحادية ، ١٩٩٤م .
- الطبري ، أبو جعفر بن نصر (ت ٣١٠هــ / ٩٢٢م) ، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧م، ١٣ جزء .
- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هــ / ١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، تحقيق رينود البـــارون ماك كوكين ديسلان ، طبع في باريس ، ١٨٤٠م ، نشر دار صادر ، بيروت د . ت .
- الفسوي ، يعقوب أبو يوسف بن سفيان (ت ٢٧٧هــ / ٨٩٠م) ، المعرفة والتاريخ ، وضع الحواشي خليل منصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٠، ٣ أجزاء .
- ابن فقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت ٨٧٢هــ / ٩٠٨م) ، مختصر كتاب البلدان ، طبع في ليدن ، مطبعـــة بريل ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت ، د . ت .
- ابن قدامة ، أبو الفرج بن جعفر (ت ٣٣٧هــ / ٩٤٨م) ، نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتحقيق : محمد حسنين الزبيدي ، دار الرشيد للنشر،١٩٨١م

- القزويني ، زكريا بن محمد محمود ت (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٧٠ ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- القلشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، صبح الأعشي في صناعة الإنشا ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ١٥ جزء.
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل الدمشقي (ت ٧٧٣هـ / ١٣٧٣م) ، البداية والنهاية ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د.ت، ١٤ جزء .
- الكرديزي ، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي (ت٤٤٣هـ / ١٠٥٢ م) ، زين االأخبار ، ترجمة : عفاف السيد زيدان ، المجلس الأعلي للثقافة ، ط١ ،القاهرة ، سنة ٢٠٠٦ م .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، ط١، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ٤ أجزاء.
- مسكويه ، أبو علي الرازي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) ، تجارب الأمم ، تحقيق أبي القاسم امامي ، دار سروش للطباعة والنشر ، ط١ ، طهران ، سنة ١٩٨٧م .
- المطهر بن طاهر المقدسي (ت حوالي ٣٥٥هـ / ٩٦٦م) ، كتاب البدء والتأريخ ، مجلد ٣ ، دار صادر بيروت ، ١٨٩٩ م .
- المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ ، نشر دار صادر ، بيروت د . ت .
- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد بن علي بن زين العابدين الحائري المازئرائي ، دار المسيرة ، ط٣ ، طهران ، ١٩٨٨ .
- النرشخي ، أبو بكر محمد بن جعفر (ت ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) ، تاريخ بخاري ، عربه عن الفارسية وحققه ، د. أمين عبد المجيد بدوي نصر الله مبشر الطرازي ، دار المعارف ، القاهرة ، طـ٣ ، ١٩٦٥ م .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبيد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٤هـ / ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، خمسة أجزاء ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د . ت .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م) ، تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٩٥ م . البلادان ، تحقيق أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، سنة ٢٠٠٢ .

ثانيا : المراجع العربية المطبوعة والمترجمة

- إبراهيم فنغ جين يوان ، الإسلام في الصين ، تعريب محمود يوسف لي هواين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، ط١ ، بكين ، ١٩٩١م .
- أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٤م .
- أحمد مفيد صالح باشا ، تاريخ البحر وملاحمه ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط١، دمشق ، ١٩٩٠م .
- آدم ،متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٧ .
- بارتولد ، فاسيلي فلاديمير وفتش ، تركستان من الفتح العربي إلي الغزو المغولي ، نقله عن الروسية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨١ .
- بدر الدين ، الصيني ، العلاقات بين الصين والعرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٠ .
- جاك ، ريسلر ، الحضارة العربية ، ترجمة غيم عبدون ، الجدرا المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

- جهادية العزة غولي ، العقلية العربية في التنظيمات الإدارية والعسكرية في العراق والشام خلال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) ، دائرة الشئون الثقافية العامة (آفاق عربية) وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- جورج فضلو ، حوراني ، العرب والملاحة في المحيط الهندي من العصور القديمة وأوائل القرون الوسطي ، ترجمة د. السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، سنة ١٩٥٠ .
- حسن إبراهيم ، حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ٤ أجزاء ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٦٤ .
- حسن أحمد محمود ، العالم الاسلامي في العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٥ ، د.ت .
- حمدي عبد المنعم ، تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٦م .
- زكي محمد حسن ، الصين وفنون الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤١م
- سعد زغلول عبد الحميد ، الاسلام والترك في العصر الاسلامي الوسيط ، عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٤م .
- السيد محمود عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، جـ٣ ، د.ت
- سيده اسماعيل الكاشف ، علاقة الصين بديار الاسلام ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، ١٩٧٦م .
- شاكر مصطفي ، دولة بني العباس ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، د.ت
- الشيخ محمد الخضري ، محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .
- عبد العزيز الدوري ، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٥م .
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، الدولة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، المطبعة التجارية الكبري الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
- فاروق عمر فوزي ، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية والاسلامية ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٨م .
- فهمي هويدي ، الاسلام في الصين ، سلسلة عالم المعرفة ٤٣ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يوليو ١٩٨١م .
- كرم حلمي فرحات ، العلاقات المصرية الصينية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- كي ، لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس ، وكوركيس عواد ، الشريف الرضي ، ط١ ، ١٩٥٤ .
- مجاهد مصطفي بهجت ، التيار الاسلامي في الشعر العباسي الأول ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٢م .
- محمد بيرم التونسي الخامس ، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، جزءان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م
- محمد عبد الحفيظ المناصيري ، الجيش في العصر العباسي الاول (١٣٢ – ٢٣٢ هـ) ، مكتبة مجدلاوي ، عمان – الاردن ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- محمد عبد المنعم الجمل ، الدول الاسلامية المستقلة في المشرق التاريخ والحضارة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٣م .
- محمد عبد الهادي شعيرة ، الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الاسلامية إلي أيام المعتصم مجلة كلية الآداب – جامعة فاروق الأول ، مطبعة التجارة – مجلد ٤ ، الاسكندرية ، ١٩٤٨م .
- محمد ماهر حماده ، الكتاب في العالم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٦٤ .

- محمود محمود زيتون ، الصين والعرب عبر التاريخ ، سلسلة اقرأ ، القاهرة ، سنة ١٩٦٤م
- موريس لومبار ، الإسلام في مجاله الأول من القرن الثاني إلي القرن الخامس الهجري (٨ – ١١ م) ، ترجمة وتعليـــق : اسماعيل العربي ، المغرب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ط٣ ، ١٩٩٩م .
- نبيلة حسن محمد ، تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠م
- يوسف صقر : العلاقات بين الدولة العباسية والصين في العصرين العباسيين الأول والثاني (١٣٢ – ٣٣٤هـــ / ٧٥٠ – ٩٤٥ م) ، المكتبة العصرية ، بيروت ط١ ، ٢٠١١م .

ثالثا : المصادر الصينية المترجمة إلي الإنجليزية .

1- Chau Ju – Kua, Chu – fan – chi, translated from Chinese by Fried Rich Hirth and w.w.Rock Hill, Paragon Book Printed New York, Second edition, 1996.
2- Chiu – Tang – Shu, translated from Chinese to English by Colin Mackerras, Australian National University Press, Canberra, 1972.
3- Hsin – Tang – Shu , translated from Chinese to English by Colin Mackerras , Australian National University Press , Canberra , 1972.

رابعا : المراجع الأجنبية .

1- Arnold . T,The Spread of Islam in the World ,Good Word Book , first publish , New Delhi , 2001
2- Eberhard .W,A History of China , California University Press , California , second edition , 1960.
3- Edwin . G, Theback ground of Rebellion An Lu – shan ,Oxford , four volumes , 1955
4- Fitzgerald .C.P, concise History of East Asia , Penguin Book , Great Britain , Middlesex , Second edition , 1974
5- Gibb . H.A.R ., The Arab conquest of central Asia , A.M.S press , Second edition , 1970
6- Gascoigne .B.A Brief history of the dynasties of the China , Robinson , London , second edition , 2003
7- Hook . B, the Cambridge Encyclopedia of china , Cambridge , UniversityPress , Cambridge , Second edition , 1991
8- Hookham .H,A short History of china ,Longmans , London , first edition , 1969
9- Latourette .K.S,A short History of the far East , the Macmillan Company , New York , fourth edition , 1964
10- Mackerras .C, The Uigher Empire According to Tang Dynastic Histories , Australian National University press, Canberra 1972
11- Schirokauer .C, Abrief History of china civilization , Harcourt Brace Jovanovich , New York ,1991.

العلاقات الثقافية بين مصر والصين فى العصر الحديث

ا.د/ ناجى هدهود

مقدمة

تعتبر العلاقات الثقافية بين مصر والصين من أهم أبعاد علاقاقمما،ليس فقط في العصر الحديث وإنما في التاريخ أيضـــا بالنظر إلى دورهما الحضاري في كافةالعصور .

و لم يكن طريق الحرير القديم أداة اتصال تجارية واقتصادية فحسبوإنما وشيجة ثقافية ربطت بين البلدين. وقـــد لعـــب التبادل الثقافي، ومازال، دورا مهمافي تعزيز التفاهم والصداقة والتعاون بين الشعبين . وقد بدأ التعاون الثقـــافي في القـــرن العشرين في مجال التعليم حيثتوجهت أول بعثة تعليمية صينية إلي مصر للدراسة بالأزهر الشريف في عام ١٩٣١م وكـــان منطلاب هذه البعثة العلامة الكبير الأستاذ "محمد مكين ما جيان" ، مؤسس قسم اللغة العربيةبجامعة بكين ، والأستاذ عبد الرحمن نا تشونغ مؤسس كلية اللغة العربية بجامعة الدراساتالأجنبية ببكين .

وتوجد مواقع باللغة العربية لكل من وكالة أنباء شينخوا، وصحيفةالشعب، ومركز المعلومات الصيني (شبكة الصين)، وإذاعة الصين الدولية، وهو الأمر الذييتيح فرصة طيبة للقارئ المصري والعربي للاطلاع على تطور الأوضـــاع في الصـــين بصورةأكثر عمقا .

كل هذا التعاون الثقافي يوفر سياجا فكريا للعلاقات المصريةالصينية في مجملها ويعطيها الوجه الحضاري الذي تستحقه إيمانا من البلدين بأن الحوارالحضاري ينبغي أن يكون لغة العصر، وأن مصر والصين لهما دور فاعل في هذا الحوار .

أولاً: التعاون الثقافى فى عصر الملك فؤاد الأول:

قد أولت مصر عناية خاصة للمبعوثين الصينيين، حيث أصدر ملك مصرفؤاد الأول في عام ١٩٣٢م مرسوما بإقامـــة قسم خاص لقبول المبعوثين الصينيين بالأزهرالشريف. ليس هذا فحسب، بل أهدى أربعمائة نسخة من نفـــائس الكتـــب الدينية إلى مدرسةتشنغدا الإسلامية بالصين، وأرسلت مصر اثنين من علماء الأزهر إلى الصين؛ ليساعدا هذهالمدرســـة في رفع المستوى التعليمي بها. ومن أجل تخليد ذكرى عناية الملك فؤاد الأولبالمسلمين الصينيين، وللتعبير عن الامتنان والشكر لدعمه لمدرسة تشنغدا؛ أسست المدرسةفي عام ١٩٣٦م مكتبة بها لحفظ هدايا الملك من الكتب وغيرها من المطبوعـــات الدينيةالثمينة، وأسمتها "مكتبة فؤاد ."(١)

وفي عام ١٩٤١م سافر العالم الصيني الكبير "ما فو تشو" إلى مصر، حيثدرس العلوم الإسلامية في الأزهر الشريف. وقد بلغ عدد الدارسين الذين أوفدهم الصينإلى مصر قبل تأسيس الصين الجديدة أكثر من عشرين طالبـــا في خمـــس دفعـــات تعليمية .

وفي الفترة نفسها زار الصين عدد من الباحثين المصريين في مختلفالمجالات، وأقاموا روابط وعلاقات مـــع المؤسســـات العلمية والتعليمية في الصين، وكل ذلكوضع أسسا طيبة للعلاقات الثقافية المصرية الصينية بعد تأسيس جمهوريـــة الصـــين الشعبيةوإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. (٢)

ثانياً: التعاون الثقافى بعد ثورة يوليو:

اشتركت الصين في كل دورات معرضالقاهرة الدولي للكتاب منذ دورته الأولى، كما شاركت في مهرجان القـــاهرة السينمائيالدولي منذ بداياته الأولى، وأقيمت العديد من الأسابيع الثقافية إضافة إلى تبادلالوفود الفنية لتقـــديم العـــروض في البلدين. (٣)

---

(١)عبدالسلام الأدهمى: الصين الجديدة، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٥٤م، ص ٦٧

(٢)تشونغ تشنغ: كل شيء عن الصين، جــ ٢ ، دار النشر الجديد ، بكين، ١٩٨٩م ، ص ٤٧ .

(٣)جوزيف نيدهام: موجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين، ترجمة: محمد غريب جودة، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، القـــاهرة، ١٩٩٥م ، ص١٣٤

كما أن مصر هي أول دولة عربية وأفريقية أدخلت تدريس اللغة الصينيةفي جامعاتها، حيث بدأت جامعة عين شمس في عام ١٩٥٨ تدريس اللغة الصينية، ويصل عددالمؤسسات التعليمية المصرية التي تدرس اللغة الصينية حاليا إلى ثماني مؤسسات. تعزز التعاون الثقافي بين البلدين بعد قيام الصين الجديدةوثورة يوليو، ثم إنشاء العلاقات الدبلوماسية عام ١٩٥٦م، فقد وقع البلدان اتفاق التعاونالثقافي رسميا في عام ١٩٥٦م، وقد تم إلى الآن توقيع ستة برامج تنفيذية للتعاونالثقافي .

وصلت أول بعثة تعليمية مصرية إلى الصين الجديدة في عام ١٩٥٦،وكانت تتكون من طالبين هما السيد هبة عنايت وزوجته السيدة تماضر تركي، حيث درسابالمعهد المركزي للفنون الجميلة ببكين، وقد صادف وصولهما اندلاع العدوان الثلاثيعلى مصر، فكانا محط أنظار الصينيين، وقد أولاهما رئيس مجلس الدولة الراحل " شو إن لاي"عناية خاصة، بل استضافهما في بيته، حيث شعرا بدفء الأسرة والمودة الصينية. (١)

وفي ديسمبر عام ١٩٥٦م قام وفد من اتحاد الصحفيين الصينيين، ووفدثقافي آخر بزيارة مصر. وقد تتابعت الوفود من الجانبين وتنوعت مجالات التعاون .

وفي عام ١٩٥٦ تأسستجمعية الصداقة المصرية الصينية التي تأسست تحت اسم "جمعية الصداقة العربيةالصينية ."

وفي شهر إبريل عام ١٩٦٤م تم التوقيع على البرنامج التنفيذيلاتفاقية التعاون الثقافي بين مصر والصين .واعتبارا من عام ١٩٧٢م بدأت الصين تبعث مدربين رياضيين إلى مصر. (٢)

ثالثاً: التعاون الثقافىفي الثمانينات:

وفي الثمانينات أخذ التعاون الثقافي بعدا جديدا، حيث عقدت فيالثامن من مارس عام ١٩٨٧ بالقاهرة اجتماعات الدورة الأولى للتعاون العلمي والتقنيبين مصر والصين، وتم خلال الندوة التوقيع على أكثر من عشر اتفاقيات تعاون بينالبلدين . وفي العشرين من ديسمبر عام ١٩٨٩م وقع البلدان في القاهرة علىبروتوكول التعاون الثقافي للفترة ١٩٩٠-١٩٩٢م وذلك خلال زيارة الرئيس الصيني يانغشانغ كون لمصر. (٣)

وفي ذلك العام بلغ عدد الطلبة الصينيين في الجامعات المصريةوالأزهر الشريف ٤٢ طالبا. فيما بلغ عدد الطلبة المصريين في الصين خمسة طلاب،بالإضافة إلى ستة مدرسين صينيين يدرسون اللغة الصينية في مصر، وأكثر من ١٩ مدربارياضيا في كرة الطاولة والطائرة والجمباز. وفي شهر مايو عام ١٩٩٠م، أقامت القنصلية العامة الصينية فيالإسكندرية أسبوعا ثقافيا صينيا في المدينة الساحلية المصرية(٤).

رابعاً: التعاون الثقافىفي فى أواخر القرن العشرين:

تجاوز التبادل الثقافي المستوى الوطني حيث بدا التعاون الثقافيين الإقاليم في البلدين، ففي شهر سبتمبر عام١٩٩٠م، أقامت مدينة تشينغداو الصينيةمعرضا فنيا بالقاهرة، وفي شهر أكتوبر من ذات العام أقامت جمعية الصداقة المصريةالصينية بالتعاون مع السفارة الصينية في القاهرة أسبوعا للأفلام الصينية بمناسبةالذكرى الـ٤١ لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. (٥)

---

(١)تشين ون : الصين فى عهدها الجديد، ترجمة: محمد أبو جراد، دار النجم للنشر ، بكين، ١٩٨٦م ، ٥٤

(٢)محمد منير مرسى: الإصلاح التربوى فى العصر الحديث، دار الكتب ، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ٢١٥

(٣)إسراء عبدالباسط أحمد : سيكولوجية التعلم والتخطيط التعليمى والعائد الاقتصادى، دار نهضة الشرق للطبع والنشر، ط ١ ، القاهرة، ٢٠٠١ م ، ص ١٢٣

(٤)إبراهيم الأخرس : أسرار تقدم الصين، ايتراك للنشر، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ١٦٨

(٥)الأهرام: ٢٣ / ٩ / ١٩٩٠ م

وفي السابع والعشرين من مارس عام ١٩٩١م، وبدعوة من الجمعية الصينيةللتبادل الثقافي مع الشعوب قـام الكاتـب المصري "سعد الدين وهبة" بزيارة ودية للصين،وفي شهر مايو من العام نفسه، أقامت السفارة الصينية في مصر أسبوع أفلام سينمائية فيالقاهرة بمناسبة الذكرى الأربعين لتحرير منطقة شنجيانغ، وحضره عدد من المسؤولينوالجماهير المصرية .

وفي الثالث والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩١م، تم الاحتفال بتشكيل جمعيةالصداقة الصينية المصرية في بكين، وتم تعيين – نائب رئيس اللجنة الدائمة لمجلس نوابالشعب الصيني – "سيف الدين عزيز" رئيسا للجمعية وتعيين السفير الصيني السابق لدى مصر ليو تشونونائب رئيس الجمعية الصينية للصداقة مع الشعوب الأجنبية ليو تشي جيان نوابا للرئيس. (١)

وفي السادس من مايو عام ١٩٩٢م، وتلبية لدعوة من جمعية الصداقةالصينية مع الشعوب الأجنبية، قام السـيد أحمـد حمروش على رأس وفد من اللجنة المصريةوالتضامن الأفروآسيوي بزيارة الصين في إطار الحوار المصري الصيني .

وفي الفترة من الرابع والعشرين من مايو إلى الثالث من يونيو عام ١٩٩٣م أقيم أسبوع ثقافي مصري في عـدة مـدن صينية. وفي الفترة من السادس إلى الخامس عشر العام نفسه أقيم أسبوع للأفلام الصينية في مصر(٢).

وفي التاسع عشر من يوليو عام ١٩٩٤م قام نائب وزير الإذاعة والسينماوالتلفزيون، ورئيس التلفزيون المركزي الصيني يانغ وي قوانغ بزيارة مصر، وخلال الزيارةتم الاتفاق والتوقيع على اتفاقية؛ لتعزيز التعاون التلفزيوني بين البلدين .

وفي الثاني عشر من إبريل عام ١٩٩٤م ، قام رئيس اتحاد الفنانين العرب، الكاتب المصري سعد الدين وهبـة بزيـارة للصينالتقي خلالها بنائب رئيس اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب الصيني وانغ قوان يينغ .وخلال الزيارة تم التوقيع على اتفاقية تعاون وتبادل ثقافي بين اتحاد الثقافةوالفنون الصيني واتحاد الفنانين العرب للفترة ١٩٩٦– ١٩٩٩م. وفي الثاني مـن ديسمبر عام ١٩٩٥م، قام رئيس لجنة التربية والتعليمالصيني جو كاي قان بزيارة لمصر، التقي خلالها بالرئيس المصـرى، وبنائب رئيس الوزراء ، وأجرى محادثات مع مسؤولي التربية والتعليم في مصر، وتم التوقيع علىبروتوكول تعاون في مجال التعليم(٣).

وفي الثلاثين من مايو عام ١٩٩٦، وبمناسبةالذكرى الأربعين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين مصـر والصـين أقـام مركزالدراساتالآسيوية في جامعة القاهرة ندوة تحت تحت عنوان "العلاقات المصرية الصينية على أبوابقرن جديد"، وبهـذه المناسبة أيضا قامت فرقة الفنون لمدينة نانجين بزيارة مصر فيالفترة من٦/٦ إلى ١٩٩٦/٧/١١م، قدمت خلالها عدة عروض فنية وفي الإطار نفسه قامت الفرقةالفنية التابعة لوزارة الثقافة المصرية بزيارة الصين في الفترة مـن ٢١– ٧/٣٠ / ١٩٩٦ أجرتخلالها عدة عروض فنية في كل من بكين وتيانجين وجينان. وفي الحادي عشر من يونيو أيضاافتتح وزير الثقافة المصري المعرض الفني المصري الصيني المشترك فيالقاهرة(٤)

قام وزير الثقافة الصيني بزيارةلمصر في الثاني من نوفمبر عام ١٩٩٧م حيث أجرى محادثات مع وزير الثقافة المصـري الذي أعرب عن ترحيبه باستقبال وفودثقافية وفنية صينية في مصر خاصة في مجال الأوبرا والأكروبات، كما أعرب عـن أمله فيالاستفادة من الخبرات الصينية في هذا المجال وفي مجالات أخرى كالآثار والفنونالقديمة، وبدوره تمنى الوزير الصـيني الضيف على نظيره المصري أن تشارك مصر بفنونتقليدية في معرض الصين الدولي للفنون لعام ١٩٩٨. (٥)

وفي ذات اليوم كان نائب رئيس لجنة التربية والتعليم "ليو بين" يزورمصر، حيث أجرى عدة لقاءات مع المسـئولين في وزارة التعليم العالي المصرية، وشهد معوزير التعليم العالي والبحث العلمي توقيع اتفاقية حول معادلـة المؤهلاتالدراسـية والدرجات العلمية في البلدين .

---

(١)أخبار اليوم :٢٣ / ١٠ / ١٩٩١ م.

(٢)الأهرام: ٢٥ / ٥ / ١٩٩٣ م

(٣)الجمهورية: ٣٠ / ٧/ ١٩٩٤ م ، الأهرام : ٣ / ١٢ / ١٩٩٥ م

(٤)أخبار اليوم : ١/ ٦ / ١٩٩٦ م ، الأهرام: ٧ / ٦ / ١٩٩٦ م

(٥)الأهرام: ٣ / ١١ /١٩٩٧ م

كما قام الوفد بزيارة قسم اللغة الصينيةفي كلية الألسن التابعة لجامعة عين شمس وأهدى ٣٠٠ كتاب في اللغة والأدب والمعاجمالصينية للقسم وخلال لقاءه بعميد الكلية أعرب الوفد الصيني عن إعجابه البالغبالمنجزات التي حققها القسم في مجال تعليم اللغة الصينية(١).

وفي نهاية هذا الشهر قام عضو مجلس الدولة الصيني "لي تيه ين" علىرأس وفد حكومي ثقافي بزيارة لمصر، التقى خلالها بوزير الثقافة وتبادلاالجانبان الآراء حول سبل تعزيز التعاون الثقافي بين البلدي. .وفي الرابع من نوفمبر عام ١٩٩٨م، قام وزير التعليم المصري بزيارة الصين، حيث شارك في الدورة الثالثة لاجتماعات اللجنةالتعليمية الصينية — المصرية المشتركة .وفي السابع من ديسمبر عام ١٩٩٨م، فاز الفيلم الصيني "العاشق الأحمر" بجائزة الهرم الفضي" خلال مهرجان القاهرةالسينمائي الثاني والعشرين، كما فازت النجمة السينمائية الصينية لي تينغ بجائزةأفضل ممثلة .وفي السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٩٩ أقام الفنان المصري محسن محمودمعرضا لرسوم البردي في بكين عرض فيه أكثر من ٤٠ عملا فنيا في التاريخ والثقافةوالاساطير المصرية(٢)

وفي الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٩٩م منحت الحكومة الصينيةالإعلامي المصري حسين إسماعيل، نائب رئيس تحرير الطبعة العربية لمجلة "الصيناليوم"، جائزة الصداقة الصينية بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس جمهوريةالصين الشعبية، ليكون أول مصري وعربي يحصل على هذه الجائزة .

قام وفد من وزارة الثقافةالمصرية في الثالث عشر من ديسمبر عام ٢٠٠٠م برئاسة محمد غنيم – وكيل أول الوزارة – بزيارة الصين من ١٣إلى ١٧ يناير، تمخلالها توقيع برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي المشترك بين مصر والصين، وبحث تعزيزالتعاون الثقافي بين مصر والصين خاصة في مجال الآثار، وذلك من خلال تبادل الزياراتوالخبرات في مجال الترميم وإقامة معارض للآثار المصرية في الصين وتبادل المطبوعاتعن الحضارتين العريقتين والحضارة الإسلامية. (٣)

خامساً: التعاون الثقافىفي فى أوائل القرن الحادى والعشرين:

أقيم في جامعة عين شمسالمصرية في الثالث والعشرين من يونيو عام ٢٠٠١م، "ندوة التبادل الثقافي بين مصر والصين" التي اشترك فيها رؤساء وأساتذةوعلماء من ١٠ جامعات صينية، ومن مختلف الجامعات المصرية. ناقش المشاركون فيهاموضوعات حول حماية التراث الحضاري البشري وتسريع البناء العصري استنادا الى التاريخوالواقع(٤)

قام وزير التعليم المصريفي الثاني والعشرين من أغسطس عام ٢٠٠١ بسابع زيارة له إلى الصين، والتي أكد فيها على ضرورةتعزيز التعاون المصرى الصينى فى مجال التعليم .وقد حضر الاجتماع الوزارى الرابع حول التعليم للجميع فى الدول ذاتالكثافة السكانية العالية .أصدرت الصين في عام ٢٠٠١م طابعي بريد بمناسبة مرور ٤٥ عاما، أحدالطابعين يحمل صورة وجه توت عنخ أمون والآخر يبرز صورة رأس إنسان مذهب استخرج منأطلال سانشينغدوي في قوانغهان بمقاطعة سيتشوان بجنوب غربي الصين، وقد صدر الطابعانفي مصر في الوقت نفسه. (٥)

زار الصين العديد من الوفود الثقافية المصرية في عام ٢٠٠٢م ، حيثشارك وفد من وزارة الثقافة برئاسة شريف الشوباشى، وكيل أول وزارة الثقافة فيفعاليات مهرجان شنغهاى السينمائي الدولي في الفترة من ٧-١٦ يونيو ٢٠٠٢م، كما قامبزيارة لـ بكين شملت لقاءات مع كبار المسئولين بوزارة الثقافة الصينية. (٦)

---

(١)يوى دونغ، ولين شياء لنغ: الثقافة الصينية، دار النشر باللغات الأجنبية، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٤٨ .

(٢)السابق: ص ١٥٤

(٣)مجلة الصين اليوم: ٣٠ / ٩/ ١٩٩٩ م .

(٤)مجلة الصين اليوم : ٢٠ / ١/ ٢٠٠١ م

(٥)السابق: ١ / ١٠ / ٢٠٠١ م

(٦) كه يان: العلوم والتكنولوجيا فى الصين، ترجمة: فريدة وانغ فو، دار النشر الصينية عبر القارات، فبراير ٢٠٠٥ م ، ص ١٢٢

وشاركت فرقة أنغام الشباب المصرية التابعة للبيت الفني للفنونالشعبية في المهرجان الثقافي والفني للأطفال بالصين خلال الفترة من ٢٨ يوليو الى ٢أغسطس . أقيم أسبوع ثقافى تاريخىمصرى فى حديقة العالم بالعاصمة الصينة بكين في الحادي والعشرين من يوليو عام ٢٠٠٢م فى إطار اتفاق الجانبين المصرى، والصينىعلى إدراج مصر فى قائمة أفضل المقاصد السياحية لمواطنى الصين .فى فترة الأسبوع قدم الفنانون الصينيون رقصات وأغانى شعبية مصرية .كما زار المواطنون الصينيون معارض عن الأزياء التقليدية والمشغولات اليدويةوالأفلام الوثائقية والصور عن الثقافة والتاريخ والسياحة المصرية(١).

كما شاركت مصر في في معرض رسوم الأطفال الصيني الدولي لعام ٢٠٠٢م،والذي عقد خلال فترة المهرجان الثقافي والفني بمدينة تيانجين.

وفي التصفيات النهائية للمسابقة الدولية التي أقيمت تحت عنوان" جسر اللغة الصينية" لعام ٢٠٠٢م حيثفازت إحدى المتسابقات المصريات بإحدى الجوائز الخمس عشرة في تصفيات الدور النهائيللمسابقة، كما أقيم معرض " الأسبوع الثقافي الفني المصري " في الفترة من ٢٨ أغسطس إإلى ١٥ سبتمبر في بكين، حيث عرض خلال المعرض ٦٧ عملا فنيا مصريا منها ٣٧ عملاتشكيلياومن الجانب الصيني، قام وفد من ١٥٠ فردا من وزارة الثقافة الصينيةبرئاسة وزير الثقافة الصيني بزيارة مصر وذلك للمشاركة في فعاليات الأسبوع الثقافيالصيني بالقاهرة في الفترة من ٢٨ أكتوبر الى ٢ نوفمبر. (٢)

وشارك السيد شو هو بينغ، مدير متحف نانجينغ في الاحتفال العالمي الذي أقيم في القاهرة في ١١ ديسمبر ٢٠٠٢م بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء المتحف المصري .كما نظمت جمعية الصداقة للشعب الصيني مع شعوت العالم معرضا فنيا للفنان المصري هبة عنايت والسيدة حرمه، وقد تضمن المعرض ١٢٠ عملا فنيا، كما منحت الجمعية الفنان هبة عنايت لقب "سفير الصداقة الشعبية "، و شاركت فرقة رضا للفنون الشعبية المصرية في مهرجان بكين الثقافي السياحي الدولي ٢٠٠٢م خلال الفترة من ٢١الى ٢٤ سبتمبر، كما شاركت مصر في فعاليات الدورة العاشرة لمهرجان الفرخ الذهبي، والتي أقيمت في مدينة ووشي الصينية في الفترة من ١٨-٢٣ أكتوبر بفيلم " أسرار البنات"(٣). ومن الجانب الصيني شاركت فرقة مسرح بكين الشعبية في الدورةالرابعة عشرة لمهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي في أغسطس ٢٠٠٢م، كما شاركتالصين في مهرجان الإسماعيلية الدولي الثالث عشر للفنون الشعبية خلال الفترة من ٢٤-٣١ أغسطس ٢٠٠٢م، وفي الدورة ال٢٦ لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي في أكتوبر ٢٠٠٢م،حيث شاركت في المسابقة الرسمية بفيلم " تجاهل البلادة " ، هذا بالإضافة الى فعالياتالأسبوع الثقافي الصيني في الفترة من ٢٨ | ١٠-٢ | ١١ لعام ٢٠٠٢م(٤) .

سادساً: سمات التعاون المصري الصيني فى مجال التعليم:

يتميزالتعاون المصري الصيني في المجال التعليمى بالسمات التالية:

١ – وجود آلية تبادل، حيث أقام الجانبان المصري والصيني أول ندوةتعليمية مشتركة في بكين عام ١٩٩٦، وتم الاتفاق على أن تقام سنويا في القاهرة وبكينوالقاهرة، وقد أصبحت هذه الندوة آلية عالية المستوى بين البلدين ويتبادل وزيراالتعليم في البلدين الزيارات كل سنة .

٢ – التعاون بين المؤسسات التعليمية، حيث وقع الجانبان المصريوالصيني على عدد من اتفاقات التعاون التعليمي منذ عام ١٩٥٦م، وأبرزها الاتفاق الذيوقعت عليه وزارتا التعليم في البلدين بالقاهرة في ١٧ من نوفمبر عام ١٩٩٧م حولالاعتراف المتبادل بالشهادات الدراسية، كما وقعت جامعة القاهرة وجامعة الإسكندريةوجامعة عين شمس والجامعة الأمريكية بالقاهرة وجامعة الزقازيق وجامعة المنيااتفاقيات تعاون وتبادل ومشاريع مشتركة مع جامعة بكين وجامعة اللغات

---

(١)مجلة الصين اليوم: عدد يوليو، ٢٠٠٢ م

(٢)السابق: عدد سبتمبر ، ٢٠٠٢ .

(٣)روز اليوسف: ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٢ م

(٤)السابق: ٢٩ /١٠ / ٢٠٠٢ م

والثقافة وجامعةالدراسات الأجنبية ببكين والجامعة الثانية للغات الأجنبية وجامعة الدراسات الأجنبيةبشانغهاي وجامعة المعلمين بشانغهاي وجامعة آمهوي على التوالي. (١)

وبلغ عدد الوفود التعليمية الرسمية المصرية التي زارت الصين من عام 1956 إلى عام ٢٠٠٥م حوالي ثلاثين منها ١٩ وفدا على مستوى وزير، أو رئيس جامعة ، كمازار مصر مايزيد على٣٠ وفدا تعليميا منها ١١ وفدا على مستوى وزير أو رئيس جامعة وفي الفترة من عام ١٩٥٦ حتى عام ٢٠٠٢م بعثت مصر عشرة أساتذة لتدريس اللغةالعربية في الجامعات الصينية، إضافة إلى الاساتذة المصريين الذين يدرسون في الصينخارج اتفاق التبادل التعليمي، وبلغ عدد الأساتذة الذين بعثتهم الصين لتدريس اللغةالصينية في جامعة عين شمس خلال الفترة نفسها خمسين أستاذا (٢).

٣ – زيادة عدد الطلاب الوافدينسنويا، حيث تجاوز عدد الطلاب الصينيين المبعوثين بشكل حكومي إلى مصر ٢٠٠ طالب فيالخمسين عاما خلال الفترة من عام ١٩٥٥ حتى عام ٢٠٠٥م.

وزاد عدد الطلاب الذين ترسلهم الحكومتان الصينية والمصرية إلىالجانب الآخر سنويا من ١٥ طالب إلى ٢٠ طالب ومنهم معلمون وصحفيون وموظفون للأجهزةالحكومية وباحثون وطلاب ليسانس وطلاب ماجستير، وارتفعت نسبة طلاب الماجستيروالباحثين كما تنوعت اختصاصات الطلاب الوافدين فلم تعد تقتصر على اللغات والآداب بلشملت اختصاصات العلوم الطبيعية والصناعة والزراعة والطب ويدرس كل الطلاب في مصرلمدة سنة وتجري كل المحاضرات باللغة العربية(٣)

ويوجد في مصر حاليا أكثر من ٣٠٠ من الطلاب الصينيين الذين يدرسونعلى نفقتهم، معظمهم مسلمون يدرسون في جامعة الأزهر أو مدارس الأزهر اللغة العربيةوالتاريخ والدين الإسلامي والأحكام الشرعية وغيرها من العلوم .

وقد حصل ١٣ طالبا صينيا وافدا يدرسون على نفقتهم الخاصة بفرعالقاهرة لجامعة الإدارة الصناعية والتجارية الفرنسية على شهادة الماجستير عام ٢٠٠٢مويدرس في هذه الجامعة حاليا عدد من الطلاب الصينيين الوافدين، وهناك مئات من الطلابالمصريين لمرحلة التعليم العالي في الجامعات الصينية. (٤)

٤ – تطور تعليم اللغة الصينية، حيث ازداد عدد الدارسين للغة الصينيةفي قسم اللغة الصينية الذي فتح في عام ١٩٥٨ بكلية الألسن لجامعة عين شمس حيث تجاوزالآن ٦٠٠ دارس ومنهم عدد من الطلاب الوافدين من الدول العربية الأخرى، كما أنشأتالجامعة مركز بحوث للعلوم الصينية (الصينولوجي) عام ١٩٩٩ .

وإضافة إلى جامعة عين الشمس فتحت كل من جامعة المنيا والإسكندريةوالمنصورة والأزهر والزقازيق بمحافظة الشرقية وجامعة القاهرة وغيرها تدريس اللغةالصينية كما تعمل جامعة أسيوط حاليا على فتح تعليم اللغة الصينية أيضا. (٥)

٥ – التعاون في إقامة المؤسسات التعليمية، ففي٢٤ من إبريل عام ٢٠٠٥وقعت مجموعة التعليم المصرية والسفارة الصينية لدى القاهرة وجامعة لياونينغالصينية بالتوقيع على اتفاق؛ لفتح جامعة صينية في القاهرة، وسوف تفتح فروعا في مختلفالمحافظات المصرية والدول الأخرى في الشرق الأوسط بشكل تدريجي، ويتحمل الجانبالمصري مسؤولية بناء المرافق الأساسية بينما يشارك الجانب الصيني عن طريق "التزويدبالمعلومات" ويتحمل مسؤولية تحرير البرامج التعليمية والكتب وإرسال ٨–١٠ أساتذة إلىمصر لإلقاء المحاضرات .

---

(١) وفاء أبو المكارم: التعليم والتنمية والمستقبل، مجلة النيل، عدد، ٤٥، قسم البحوث بمركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب، القاهرة، ١٩٩١ ، ص ٥٩

(٢) هيلدا هوخام : تاريخ الصين، ترجمة: أشرف محمد كيلانى، عدد ٤٧٧ ، ط ١ ، القاهرة، ٢٠٠٢م ، ص ٢٣٨ .

(٣) عنتر محمد أحمد: إدارة التعليم فى كل من الصين وكوريا الجنوبية وماليزيا وإمكانية الإفادة منها فى مصر، بحث منشور، كلية التربية، جامعة سوهاج، ٢٠٠٧ ، ص ٣٣ .

(٤) السابق: ص ٤٥ .

(٥) هيلد هوخام: مرجع سابق، ص ٢٤٠ .

وسوف تفتح الجامعة اختصاصين في عام ٢٠٠٦/٢٠٠٧م وهما التجارةالدولية والتكنولوجيا المعلوماتية وتقبـــل ٩٠٠ طالب ومدة الدراسة ٤ سنوات، كما قدتتيح لبعض الطلاب الفرصة لإكمال دراستهم في جامعة لياونينغ وللحصول على شهادةالليسانس لكل من الجامعة الصينية في مصر وجامعة لياونينغ(١).

سابعاً: أبرز مظاهر تطور التعاونالتعليمي والأكاديمي في عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٣م:

وكان من أبرز مظاهر تطور التعاونالتعليمي والأكاديمي في عامي ٢٠٠٢م و٢٠٠٣م مايلي:

١ – تبادل المنح التعليمية بين البلدين، حيث يقدم الجانب المصري ٢٣منحة للصين، فيما تقدم الصين ٢٠ منحـــة الى مصر، حيث يوجد بصورة سنوية ٢٠ من الدارسينالمصريين في الصين خاصة لدراسة الماجستير والدكتوراه، هذا بالإضافة الى التعاون بينمصر والصين في إطار مجموعة التسعة للتعليم واللجنة التعليمية الثنائية المشتركة. (٢)

٢ – تبادل الزيارات بين الوفود التعليمية من البلدين خاصة بينمسئولي وأساتذة الجامعات المصرية والصينية، حيث قام عدد من الوفود التعليميةالصينية من المشرفين على التعليم الأساسي والثانوي بزيارة لمصر خلال شهر نوفمبر ٢٠٠٢، كما قام وفد آخر بزيارة مصر في شهر ديسمبر ٢٠٠٢م بدعوة من وزارة التعليمالمصرية، هذا بالإضافة إلى وجود العديد مـــن مذكرات التفاهم واتفاقيات التعاون بينعدد من الجامعات والأكاديميات، ومراكز الأبحاث المصرية ونظيرتها الصينية والـــتي تنظمالعديد من الندوات والزيارات المتبادلة وحلقات النقاش، وتم توقيع اتفاق تعاون بينجامعـــة الإســـكندرية وجامعـــة شانغهاى في نوفمبر ٢٠٠٢م، وكذلك التوقيع الرسمي لاتفاقالتعاون بين جامعة القـــاهرة والأكاديميـــة الصـــينية للعلـــوم الاجتماعية، إضافة الىالزيارات المتبادلة وأهمها على الجانب الصيني زيارة وزيرة التعليم الصينية لمصرخلال شـــهر أبريـــل ٢٠٠٢م، حيث التقت بالسيد وزير التعليم وبعض المسئولين بوزارة التعليمالمصرية، وزيارة الرئيس التنفيـــذي لأكاديميـــة العلوم الاجتماعية لمصر، وزيارة رئيسالمعهد الصيني للشئون الخارجية لمصر بناء علـــى دعـــوة مـــن المجلـــس المصـــري للشئونالخارجية، ومشاركة الصين في حفل افتتاح مكتبة الإسكندرية، كما قام المركز الثقافيالصيني بالقاهرة بتنظيم نـــدوة عن العلاقات الثقافية المصرية الصينية في شهر ديسمبر ٢٠٠٢، وعلى الجانب المصري ألقت حرم الرئيس السابق محاضرة في أكاديميةالعلوم الاجتماعية أثناء مرافقتها الرئيس في زيارة للصين في يناير ٢٠٠٢م حول" الوضع الاجتمـــاعي للمـــرأة في مصر" ، كما قدمت هدية لمكتبة بكين وهي عبارة عنمجموعة من الكتب(٣).

٣ –تعزيز مساهمة كلا البلدين في دعم أقسام تعليم اللغتين العربيةفي الصين والصينية في مصر، حيث تقدم مصر دعما لأقسام دراسة اللغة العربية فيالجامعات الصينية من خلال تقديم الكتب والمراجع لها، أو المســـاهمة في الأنشـــطةوالفعاليات الثقافية التي تقيمها هذه الأقسام، كما اقترحت مصر إنشاء قسم للمصرياتفي جامعة بكين لا يزال محل دراسة من الجانبين. كما تقوم الصين بدعم أقسام اللغةالصينية في الجامعات المصرية .

وهناك اهتمام مصري بتعزيز التعاون العلمي مع الصين من خلالالاستفادة من المنح التدريبية المقدمة مـــن الصـــين في المجالات التقنية المختلفةوالعمل على زيادتها، وتبادل الوفود العلمية بين البلدين في المجالات المختلفة، فضلاعن إقامة التعاون بين مراكز الأبحاث في البلدين والسعى لفتح قنوات جديدة للتعاون معالمدن الصينية عالية التقنية، والتعـــاون بـــين مصـــر والصين في إطار اللجنة العلميةالمشتركة. (٤).وعلى صعيد آخر، امتد نطاق التبادل الثقافي بحيث لم يقتصر على مجالالثقافة والفن فحسب بل امتد الى نطاق واسع ومجالات متعددة كالعلوم والسينماوالتلفزيون والآثار التاريخية والمكتبات والمتاحف حيث شهدت هذه المجالات العديد منالتبادلات بين الجانبين خاصة على صعيد الزيارات المتبادلة بينهما .

---

(١) عنتر محمد أحمد : مرجع سابق، ص ٤٧

(٢)مجلة الصين اليوم : عدد ديسمبر ، ٢٠٠٢ م

(٣)السابق: العدد نفسه

(٤)السابق: العدد نفسه

وفي عام ٢٠٠٣م أقيم في بكين وشانغهاي "معرضكنوز مصر القديمة" فيإطار مهرجان الفنون الدولي الذي اقــيم في شانغهاي في أكتوبر عام ٢٠٠٣م .ومن أجل تعزيز التعاون الإعلامي بين البلدين وبخاصة في مجالالتلفزيون قام حسن حامد رئيس اتحاد الاذاعة و التليفزيون المصري بزيارة اليالصين خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٦ إبريــل٢٠٠٤ م حيــث أجــرى مباحثات مع رئيس مصلحة الإذاعةوالسينما والتليفزيون الصينية بشأن تفعيل بروتكول التعاون المشــترك الــذي وقعــه وزيرالإعلام المصري مع نظيره الصيني في أواخر يناير ٢٠٠٤ .وأقامت وزارتا الثقافة المصرية والصينية بشــكل مشــترك أسبوع ثقافيصيني في القاهرة. (١)

وفي مايو عام ٢٠٠٤ م أقيم في بكين وشانغهاي أسبوع ثقافي مصري برعايةوزارة الثقافة المصــرية، ووزارة الثقافــة الصينية فى إطار الاحتفال بالذكرى الخامسةلاقامة علاقات التعاون الاستراتيجى بين مصر والصين، وهو أكبر فعالية ثقافية مصريةفى الصين منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وفي افتتاح هذاالأسبوع ألقى سفير مصر لدى الصين "على حسام الدين الحفنى" كلمة من الرئيس السابقفي مؤتمر صحفي يوم ١٠ مايو قال فيها "إن مسيرة الصين حققت نجاحات تشهد بمدى الإدراكالواعي للقوى الاجتماعية الصينية وقيادتها بأن قضية التحديث هي خيار الاستمراروالازدهار، وهو ما يعني تعزيز الشعور بالمسئولية لدى المجتمع إزاء مستقبله .وأضاف "كما يعني أيضــا حمايــة التحــديث مــن الارتجــال والعفويةوالمسايرة، وكل صور ردود الأفعال التي تفتقد منهجا يرتكز على استكشاف طرائقالتحديث، وتقييم تحولاتــه، ووضع إستراتيجيته التي تحدد مجالاته واتجاهاته ومعدلاتهوكيفيته، وهو ما نجحت الصين في تحقيقه، وتوجته بإعادة رســم الصورة النموذجية للمجتمعالصيني، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، بإعادتها بناء الثقافة الصينية على تــراث القيمالإيجابيــة لثقافتها. (٢) "

وشدد الرئيس السابق في كلمته على أن تفعيل آليات التواصل والحواربين الثقافة الصينية وبين الثقافات الأخرى يؤكد استمرار جهود التفاهم والتشاركوالانفتاح في صياغة حاضر البشرية ومستقبلها، واستنادا إلى السلام العادل والتقدم،مشيرا إلى أن الشعب المصري رحب وأقبل على افتتاح المركز الثقافي الصيني بالقاهرة،باعتباره إحدى الآليات التي تفتح فهما يقظا لأداء أكبر في حوار الثقافات، والذيتؤكده دورات اللقاءات في البلدين لنماذج من إبداعات الثقافتين ولفتــرات تســمح بالتعرفوالاستيعاب والتفاعل، التي تتولى تنسيقها وزارتا الثقافة في الصين ومصر، إيمانا بأنتعدد الرؤى يخرج بالعالم من مأزق التسلط والتعصب والإرهاب .وقد طاف الأسبوع الثقافي المصري بثماني مدن صينية هي بكينوتيانجين وشانغهاي وسوتشو وهانغتشو وداليان وشنتشن وقوانغتشو، وهو الأمر الذي أتاحالفرصة لإعداد كبيرة من الجمهور من مختلف أنحاء الصــين للتعرف على الثقافة والحضارةوالفن المصري المعاصر. (٣). وشهد هذا الأسبوع سلسلة نشاطات شملت عــروض فرقــة أوركسترا القاهرةالسيمفونى وعروض فرقة الرقص المسرحى الحديث. كما شهد هذا الأسبوع إقامة ندوة بعنوان" تنميــة صناعة الثقافة بين مصر والصين" ركزت على كيفية تعزيز دور الشركات والمؤسساتالثقافية فى البلدين فى تنمية صــناعة الثقافة، وأهمية تبادل الخبرات وطرح مشروعاتجديدة وعملية للتعاون بين الجانبين، وتنشيط عمليات التسويق الثقــافى بــين البلدين بمايحقق فائدة مشتركة لهما. كما شهد هذا الاسبوع اقامة معرضين فنيين الأول حول الحرفالتقليدية المصرية ضــم ٦٧ عملا فنيا متنوعا والثانى حول الفن التشكيلى المصري ضم ٦٠عملا فنيا . إضافة إلى عرض عدد من الأفلام المصــرية الممتازة، التي أعطتالمشاهد الصيني صورة عن الواقع والحياة في مصر .وقد شارك المعهد العالي للباليه المصري في مهرجــان "لقاء في بكين "في مايو ٢٠٠٤، الذي أقيم بحديقة العالم في العاصمة الصينية .وفي شهر أغسطس أقامت مدينة شنتشــن الصينية أسبوعا ثقافيا في مصر . وفي أكتوبر من العام نفسه ، وبمناسبة ذكرى تأسيس الصين الجديدة،قامت فرقة المعــاقين

(١)الأهرام : ٢١ / ١٠ / ٢٠٠٣ م ، أخبار اليوم: ٢٥ / ١ / ٢٠٠٤ م

(٢)روز اليوسف: ١٠ / ٥ / ٢٠٠٤ م

(٣)السابق: العدد نفسه

الصينية بزيارة لمصر قدمت خلالها عددا من العروض الفنية(١). وشهد عام ٢٠٠٥ نشاطا كبيراوحفـــل بالعديـــد مـــن الفعاليات الثقافية سواء كان ذلك على شكل مهرجانات أو معارض أومسابقات حيث برز على الجانب المصرى حدثان مهمان :

الأول: مشاركة مصر في فعاليات مهرجان شنغهاى السينمائى الدولىالذى أقيم فى الفترة مـــن ١٠ الى ٢٠ يونيـــو ٢٠٠٥م. واختيار مصر للصين لتكون الدولة ضيفشرف الدورة التاسعة والعشرين لمهرجان القاهرة السينمائى الدولى التى أقيمت فىالفترة من ٢٩ نوفمبر حتى ٩ ديسمبر عام ٢٠٠٥ وذلك لما تمثله الصين من حضارة لهامكانتها وتاريخها العظيم .

الثاني: إقامة أسبوع ثقافى مصرى خلال الفترة من ٤ الى ١١ نوفمبر ٢٠٠٥م كجزء من الفعاليات الرئيسية للمهرجان الفنى الدولى السابع الذي استضافته مدينةشانغهاى خلال الفترة من ١٨ أكتوبر الى ١٨ نوفمبر عام ٢٠٠٥م. (٢)

وقد شارك فى إحياء الأسبوع الثقافى المصرى فرق باليه وأوركستراوأوبرا وفنون شعبية مصرية كما أقـيم فى إطـاره معرض للتصوير الفوتوغرافى وآخر عنالحضارة المصرية القديمة فى عصورها المختلفة الى جانب سلسـلة مـن المحاضـرات والندواتلعدد من كبار المسئولين عن القطاع الثقافى فى مصر . يضاف إلى هذا كله حركة ترجمة أعمال كبـار الكتـاب المصريينوالصينيين، ففي مصر صدرت ترجمات عربية لأعمال لو شون وبا جين وغيرهما من الأدباءالصينيين، وفي الصـين صدرت ترجمات صينية لأعمال نجيب محفوظ وطه حسين وتوفيق حكيموغيرهم من الأدباء المصريين. وضم مجمع اللغـة العربية بالقاهرة اثنين من المستعربينالصينيين إلى عضويته، هما البروفيسور اشو وي ليه والأستاذ لي قوان بينـغ. (٣).وزاد عدد الكتب التي تصدر في مصر عن الصين وأصبحت الكتابات عنالصين أكثر عمقا وفهما، كما صدرت في الصين العديد من الكتب عن مصر القديمة والحديثةومنها موسوعة عن مصر وكُتب عن الرئيس السابق، وتنشر مجلة مصر التي تصـدرها الهيئةالعامة للاستعلامات باللغة الصينية، إضافة إلى عدد كبير من الإصدرات باللغة الصينيةيتولى إصدارها المكتب الاعلامي بسفارة مصر في الصين، وقد أطلقت الهيئة العامةللاستعلامات الطبعة الصينية لموقعها على شبكة الإنترنت .وقد منحـت وزارة التعليم العالي المصرية شهادات تقدير لخمسةأكاديميين صينيين تقديرا للمساهمات التي قدموها فى مجالات تعليم اللغة العربيةوالترجمة والأبحاث فى القضايا العربية، وقد حصل على هذه الشهادات، الأستاذ تشو وىليه (عبد الجبار) من جامعة شانغهاى للدراسات الدولية، والأستاذ تشونغ جى كون (صاعد (من جامعة بكين والأستاذة قوه شاو هوا (أمـل) مـن جامعة الدراسات الاجنبية ببكين،والأستاذ يانغ يان هونغ (رشدى) والأستاذ قـه تيـه ينـغ (مـاهر) مـن جامعـة الاقتصادوالتجارة الخارجية ببكين. (٤). وعلى صعيد العلاقات الإعلامية شهدت هذه العلاقات تطورا متناميابخاصـة في السنوات الأخيرة، وذلك في ضوء الأهمية المتزايدة لدور الإعلام على الصعيدالدولي، وانطلاقا من الدور القيادي والمكانـة المتميزة التي يحظي بها الإعلام فيالبلدين وتأثيرها ليس فقط على المستوى المحلي لكـل بلـد، وانمـا علـى الصـعيدين الإقليميوالدولي، وارتباطا بالدور الأساسي للإعلام في تعريف شعبي البلدين بالآخر والقاءالضوء على التطورات السياسـية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في كلا البلدين منأجل تعميق التفاهم المتبادل بين شعبي البلدين، ومن أبرز معالم التعاون الإعلاميالمصري الصيني في الفترة الأخيرة ما يلي:

١ –وجود العديد من المكاتب التمثيلية المقيمة في مصر لعدد منالهيئات والمؤسسات الإعلامية الصينية، ومنها وكالـة أنباء شينخوا، وصحيفة الشعبالصينية، وصحيفة النور، ومجلة الاقتصاد، وإذاعة الصين الدولية، والتلفزيون المركزيالصـيني،

---

(١)السابق: ١ / ٦ / ٢٠٠٤ م .

(٢)مجلة الصين اليوم :عدد نوفمبر، ٢٠٠٥ م

(٣)الأهرام : ١٨ / ١١ / ٢٠٠٥ م

(٤)مجلة الصين اليوم :عدد ديسمبر، ٢٠٠٥م

بينما يوجد تمثيل مقيم لوكالة أنباء الشرق الأوسط في الصين. وفي عام ٢٠٠٤مافتتحت مجلة "الصين اليوم" مكتبها الإقليمي للشرق الأوسط في القاهرة(١).

٢ – ارتباط عدد منالمؤسسات الإعلامية بين البلدين ببروتوكولات تعاون ومنها برتوكول التعاون بينجريدتي الشعب الصينية والأهرام المصرية، وبرتوكول تعاون بين وكالتي أنباء الشرقالأوسط المصرية، وشينخوا الصينية، كما يوجد اتفاق تعاون بين مكتب الإعلام بمجلسالدولة والهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣ – التغطية الواسعة من قبل الصحافة الصينية لما تنشره الصحافةالمصرية، حيث تخصص وكالة أنباء الشينخوا في طبعتها باللغة العربية على سبيل المثالفقرة ثابتة تغطي أهم الأخبار التي تنشرها الصحف المصرية. (٢)

الخاتمة

جمعت بين مصر والصين في مسيرة تاريخهما التي تزيد عن الخمسة آلاف عام، الكثير منأوجه التشابه في الماضي وفي الحاضر، حيث كان الاتصال بين الحضارة المصرية القديمةوحضارات بلاد الصين قائماً عبر طرق التجارة قبل أكثر من ألفي سنة.وفي العصر الحديث.. كانت مصر من أوائل الدولالعربية التي كان لها تمثيل دبلوماسي مع الصين وذلك عام ١٩٢٨م، كما كانت من أوائلالدول التي بادرت بالاعتراف بجمهورية الصين الشعبية عام ١٩٥٦م. كما كان للصينالشعبية موقف رافض تجاه العدوان الثلاثي على مصر. فضلاً عن تقارب التوجهات السياسيةللبلدين في دعم سياسة عدم الانحياز، إلى جانب تأييد الصين للقضايا العربية .وقد أقام البلدان علاقات تعاون ثنائية شملت علاقاتتجارية وثقافية وزيارات لبعض المسئولين في البلدين، وهو ما هيأ الظروف تماماًلإقامة العلاقات بشكل رسمي بين البلدين. حيث أصدرت الحكومتان المصرية والصينية فيالثلاثين من مايو عام ١٩٥٦م بياناً مشتركاً حول إقامة العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفراء بين البلدين.

يعتبر التبادل الثقافي بين مصر والصين من أهم أبعادعلاقاتهما، ليس فقط في العصر الحديث وإنما في التاريخ أيضا بالنظر إلى دورهماالحضاري في كافة العصور. ولم يكن طريق الحرير القديم أداة اتصال تجارية واقتصادية فحسب وإنما وسيلة وأداة ثقافية ربطت بين البلدين، وقد لعب التبادل الثقافي دوراًمهما في تعزيز التفاهم والصداقة والتعاون بين الشعبين. وقد بدأ التعاون الثقافي فيالقرن العشرين في مجال التعليم، حيث توجهت أول بعثة تعليمية صينية إلي مصر للدراسةبالأزهر الشريف في عام ١٩٣١.وفي عام ١٩٣٢م أصدر ملك مصر فؤاد الأول، مرسوماً بإقامة قسم خاص لقبول المبعوثين الصينيين بالأزهر الشريف، وأهدى أربعمائة نسخة مننفائس الكتب الدينية إلى مدرسة تشنغدا الإسلامية بالصين، وأرسلت مصر اثنين من علماءالأزهر إلى الصين ليساعدا هذه المدرسة في رفع المستوى التعليمي بها.وخلال الفترة من ١٩٣٢م إلي ١٩٤١م زار الصين عدد منالباحثين المصريين في مختلف المجالات، وأقاموا روابط وعلاقات مع المؤسسات العلمية والتعليمية في الصين، وكل ذلك وضع أسساً طيبة للعلاقات الثقافية المصرية الصينيةبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. وقدتعزز التعاون الثقافي بين البلدين بعد قيام الصين الجديدة وثورة يوليو ثم إنشاءالعلاقات الدبلوماسية عام ١٩٥٦م فقد وقع البلدان اتفاق التعاون الثقافي رسمياً فيعام ١٩٥٦م، وقد تم إلى الآن تم توقيع ستة برامج تنفيذية للتعاون الثقافي.وقد وصلت أول بعثة تعليمية مصرية إلى الصين الجديدة في عام ١٩٥٦م، وفي العام نفسه تأسست جمعية الصداقة المصرية الصينية، التي تأسست تحت اسم "جمعية الصداقة العربيةالصينية". وفي شهر إبريل عام ١٩٦٤م تم التوقيع على البرنامج التنفيذي لاتفاقيةالتعاون الثقافي بين مصر والصين.أخذ التعاون الثقافي بعداً جديداً في الثمانينات ،حيث عقدت في الثامن من مارس عام ١٩٨٧ بالقاهرة اجتماعات الدورة الأولى للتعاون العلمي والتقني بين مصر والصين وتم خلال الندوة التوقيع على أكثر من عشر اتفاقيات تعاون بين البلدين.وقد تجاوز التبادل الثقافي المستوى الوطني حيث بداالتعاون الثقافي بين الأقاليم في البلدين. وفي ١٩ يوليو عام ١٩٩٤م قام نائب وزير الإذاعة

---

(١)السابق: العدد نفسه

(٢)السابق: العدد نفسه

والسينما والتلفزيون رئيس التلفزيون المركزي الصيني بزيارة مصر، تم خلالها الاتفاق والتوقيع على اتفاقية لتعزيز التعاون التلفزيوني بين البلدين. وفي ٢ديسمبر عام ١٩٩٥م تم التوقيع على بروتوكول تعاون في مجال التعليم خلال زيارة رئيس لجنة التربية والتعليم الصيني لمصر.وفي ٢٠٠١م، تم توقيع برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي المشترك بين مصر والصين، وبحث تعزيز التعاون الثقافي بين مصر والصين خاصة في مجال الآثار، وذلك من خلال تبادل الزيارات والخبرات في مجال الترميم وإقامة معارض للآثار المصرية في الصين. وفي ٢١ يوليو ٢٠٠٢م، أقيم أسبوع ثقافي تاريخي مصري في حديقة العالم بالعاصمة الصينية بكين في إطار اتفاق الجانبين المصري والصيني على إدراج مصر في قائمة أفضل المقاصد السياحية لمواطني الصين. كماقدم الفنانون الصينيون في فترة الأسبوع رقصات وأغاني شعبية مصرية. كما شاركت مصر فيمعرض رسوم الأطفال الصيني الدولي لعام ٢٠٠٢، والذي عقد خلال فترة المهرجان الثقافي والفني بمدينة تيانجين.

الحضارة الموسيقية بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية

منال مصطفى حسن محمد

مقدمة

عندما وصل الإنسان البدائي إلى مستوى معين من التقدم والتحضر، أخذ يستقر في البقاع المختلفة مكوناً الأسر والجماعات، ثم القبائل والشعوب، وأصبح لكل شعب منها أسلوبه وطابعه ومنهجه الخاص في شتى أنواع وفروع العلوم والفنون المختلفة، مكونة في ذلك حضارته الخاصة به، وتعتبر الموسيقى من أهم الفنون التي مارسها الإنسان على مر العصور، حيث أنها تعبر عن ذاته ومشاعره وأحاسيسه، وهي التي تحقق التواصل بينه وبين من حوله في المجتمع، في الوقت الذي تعجز فيه الكلمات والإشارات عن التعبير عنه([1]).

والباحث في تاريخ الموسيقى عبر العصور، يجد العديد من النقوش والرسوم والكتابات على جدران المعابد والمقابر، التي خلفتها الحضارات القديمة وحرصت على تدوينها، لتكون الشاهد الباقي على ما حققته وأنجزته هذه الحضارات، وتوضح أيضاً هذه الآثار الباقية – للباحث التاريخي – وخاصة في مجال الموسيقى، العديد من الآلآت الموسيقية المختلفة من آلات إيقاعية ووترية ونفخ، بأحجامها وأشكالها وصناعتها المختلفة، ولكي يفهمها الباحث يتطلب منه الكثير من الوعي والمعرفة لأصول هذه الآلات في صناعتها وتركيبها([2]).

وقد أظهرت العديد من الحفريات والدراسات الأثرية والمعابد والمدن القديمة، الكثير من الأدوات والتماثيل واللوحات التي تمثل الطقوس الموسيقية في المعابد، إلى جانب العزف والرقص الفردي والجماعي أيضاً، فمن متابعة الرسوم على الجدران والتي تمثل الحفلات المختلفة، يمكن للباحث أن يحدد طول خطوة المؤدي للحركة الراقصة، ومدى إتساع حركة القدمين عند القفز، ومنها يستنتج السرعة التي كان عليها إيقاع الرقصة المؤداة، فكلما ضاقت الخطوة وقل ارتفاع قفزات الراقصين عن الأرض دل ذلك على هدوء الإيقاع وبطئه([3]).

وبملاحظة حركة اليدين نجد أنه كلما ارتفعت اليدين على الجانبين، كان هذا دليلاً على الإيقاع السريع والصاخب، وكلما كانت حركة اليدين إلي جانب الجسم نوعاً ما، دل هذا على هدوء الحركة ونعومتها، كما أن لحركة الشفاة للمغني ووضع رأسه، تدل على الدرجة الموسيقية أو الطبقة الصوتية في المساحة اللحنية المعتادة للغناء في هذه الفترة التي يتم دراستها، فلكل درجة موسيقية أو حرف لغوي شكل محدد لفتحة الفم، ومدي اتساعها ووضع اللسان والأسنان، حيث أنه كلما ضاقت فتحة الفم مع اعتدال حركة الرأس، دل ذلك على أن النغمات المغناة من النغمات الأولى في الطبقة الصوتية، في حين أن ضيق فتحة الفم مع إنخفاض حركة الرأس إلى أسفل، كان هذا دليل على الغناء من طبقة غليظة نوعاً ما، أو كان الأداء الغنائي خافتاً، وكلما اتسعت فتحة الفم دل ذلك على حدة الدرجة الصوتية وقوتها وشدة أدائها، وبالتالي يمكن تحديد المساحة اللحنية والطبقة الصوتية التي يغني منها المغني، بالإضافة إلى شكل وطابع الأداء، كما أن عدد الأوتار وحجم الصندوق المصوت للآلة الموسيقية بالنسبة لحجم جسم الإنسان، يدل على المدي اللحني للموسيقى([4]).

---

(١) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – الموسيقى البدائية وموسيقى الحضارات القديمة – دار الكمال للطبع والنشر – الزقازيق – ١٩٨٥ م – بتصرف

(٢) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – الموسيقى البدائية وموسيقى الحضارات القديمة – دار الكمال للطبع والنشر – الزقازيق – ١٩٨٥ م – بتصرف

(٣) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – الموسيقى البدائية وموسيقى الحضارات القديمة – دار الكمال للطبع والنشر – الزقازيق – ١٩٨٥ م – بتصرف

(٤) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – الموسيقى البدائية وموسيقى الحضارات القديمة – دار الكمال للطبع والنشر – الزقازيق – ١٩٨٥ م – بتصرف

هذا ولقد ارتبطت الموسيقى ارتباطاً وثيقاً في الحضارات القديمة المختلفة، بالطقوس والشعائر الدينية في المعابد وأروقتها وأعمدها التي سجلت ذلك، ومن تلك الأمم التي كان لها السبق في إرساء قواعد حضارها وهي :

– الحضارة المصرية	– الحضارة الآشورية البابلية	– الحضارة الصينية	– الحضارة الهندية
– الحضارة اليونانية	– الحضارة اليابانية	– الحضارة الرومانية	

مشكلة البحث

لقد تزامنت الحضارة المصرية القديمة مع الحضارة الصينية تاريخياً، مما كان له الآثر الكبير في تبادل الثقافتين قديماً على كل منهما في جميع العلوم المختلفة، ولا سيما في علم الموسيقى وآلاها وطريقة العزف عليها، وتقاليد تعليمها والمحافظة عليها، لذلك كان على الباحثة أن تقوم بدراسة كل من الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية، لتبرز أوجه التشابه والاختلاف بين الحضارتين في مجال الموسيقى، ومدي تأثير كل منهما على الأخرى.

وللوصول إلى ذلك وضعت الباحثة التساؤلات التالية للإجابة عليها من خلال البحث:

أسئلة البحث

ويسعى هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما الفرق بين طابع الموسيقى المصرية القديمة وطابع الموسيقى الصينية؟
- ما هو تركيب الآلات الموسيقية المصرية القديمة والآلات الصينية؟ وما أوجه التشابه بينهما؟
- ما الفرق بين السلم الموسيقي المصري القديم والسلم الصيني؟
- ما الفرق بين طريقة الغناء المصري القديم والغناء الصيني؟
- ما الفرق بين الإيقاع المصري القديم المستخدم والإيقاع الصيني؟

أهداف البحث

وللإجابة عن أسئلة البحث وضعت الباحثة الأهداف التالية:

- التعرف على كل من الحضارة الموسيقية المصرية القديمة والحضارة الموسيقية الصينية بشكل عام.
- التمييز بين الآلات الموسيقية المصرية القديمة والآلات الموسيقية الصينية.
- تحديد الفرق بين السلم الموسيقي المصري القديم والسلم الموسيقي الصيني المستخدم.
- التعرف على أساليب الغناء المصري القديم والغناء الصيني.
- التعرف على الإيقاعات المصرية القديمة والإيقاعات الصينية .

وذلك من خلال الدراسة المقارنة التي تقوم بها الباحثة للحضارتين

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث:

- **من الناحية النظرية**: حيث يتناول البحث موضوعاً جديداً يهم جميع القائمين على دراسة التاريخ الموسيقي القديم، فهو يلقي الضوء على الحضارة المصرية القديمة والحضارة الصينية قديماً، ومدى استفادة كل منهما من الأخرى، بالإضافة إلى أوجه التشابه والإختلاف بينهما.
- **من الناحية التطبيقية**: أنه قد تكون هذه الدراسة على حسب علم الباحثة هي الأولى من نوعها التي يتم التركيز فيها على الحضارة الصينية وعلاقتها بالحضارة المصرية القديمة، وكيفية الإستفادة من أسلوب الحضارة الصينية في مجالات العزف والغناء واساليب التأليف والتلحين في السلالم الموسيقية المختلفة.

الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً – الحضارة الموسيقية المصرية القديمة

لقد توافرت لمصر كل المقومات التي يمكن أن تؤدي إلى قيام حضارة ناجحة، فهي تتمتع بموقع متميز عند ملتقى ثــلاث قارات هي أسيا وأفريقيا وأوروبا، ويمر عبر أراضيها نهر النيل العظيم الذي قامت على شاطئيه الحضارة، وتوافرت لمصــر أيضاً الحدود الطبيعية الآمنة([1]).

فكانت الحضارة المصرية، ومركزها أولاً كان في منف (ممفس) عاصمة المملكة القديمة، ثم صارت على عهــد المملكــة الحديثة في طيبة (ثيبة) عادة، وكان هذان المكانان عبارة عن مركزين دينيين كبيرين ومجمعات من القصور([2]).

وقد قامت الحضارة المصرية منذ أن استوطن الإنسان أرض مصر (في الألف الخامس قبل الميلاد وطوال العصر الفرعوني)، حيث حققت تقدماً كبيراً في العديد من مجالات الحياة، فأفادت به الكثير من الحضارات المعاصرة، والتي سلمته بــدورها للحضارات التي أعقبتها، وهو ما يمكن تتبعه في بعض الجوانب، حتى في حضارة العصر الحديث، فالحضارة المصرية مع أنها أقدم الحضارات، إلا أنها في نفس الوقت أكثر الحضارات عراقة وأصالة دوامــاً وتــأثيراً علــى الحضــارات المعاصــرة واللاحقة([3]).

وعندما نلقي نظرة على بعض الجوانب الحضارية المصرية القديمة، فإننا نتأكد من مدى ريادة وعمق تأثير الحضارة المصرية، فالكتابة مثلاً توصلت إليها مصر حوالي عام ٣٥٠٠ ق.م، حيث ظهرت الكتابة الهيروغليفية، ونجح المصريون في صــناعة الورق قبل غيرهم من نبات البردي، وفي مجال الأدب كما ذكرت ذلك دراسة "ترنيم فرج حسين" أن المصريون القدماء بلغوا شأناً عظيماً حيث ترك هذا النوع من الأدب أثراً كبيراً في آسيا، وفي مجال القصة والرواية، كانت مصر رائدة بــين بلدان الشرق القديم، ولا تزال قصص "سنوهي" و "القروي الفصيح" و"نجاة الملاح" وغيرها تمثل البــدايات الأولي لأدب القصة والرواية في تاريخ الأدب العالمي([4]).

وفي مجال العلوم خطا المصريون القدماء خطوات واسعة، ففي الطب برعوا في فروعه المختلفة، وفي علم الفلك بلغوا درجة كبيرة، ويكفي أن نعرف أنهم عرفوا التقويم، وقسموا السنة إلى إثنا عشر شهراً، وثلاثة فصول ضم كل فصل أربعة شهور، وكان عدد أيام السنة ٣٦٠ يوماً تضاف إليها أيام النسيء الخمسة، وكان رأس السنة المصرية القديمة يوافق بدء الفيضان، وكان المصريون هم أول من اخترعوا المزولة التي تحدد ساعات النهار، والساعة المائية التي تحدد ساعات الليل. وفي مجــال الهندسة والعمارة فيكفي أن يقف الإنسان أمام الهرم الأكبر ليري عبقرية المهندس المصري القديم في ضــبط الزوايــا وفي أسلوب البناء([5]).

أما في مجال الموسيقى، فمن الثابت أن الموسيقى المصرية قد انتشرت في ربوع آسيا، ويكفي أن نعلم أن الموسيقى اليونــاني "بثاجوراس" واضع أصول النوتة الموسيقية والسلم الموسيقي – قد تعلمها في مصر، وأن المهاجرين من المصــريين كــانوا يعلمون أصول الموسيقى والعزف على الآلات الموسيقية التي اخترعها المصري القديم، والتي انتقلت إلى الحضارات الآخرى (كالناي، والجيتار وغيرها)، وفي مجال المسرح، كانت مصر رائدة في هذا الميدان، فمنذ آلاف السنين وأسطورة أوزريس تمثل على المسرح المصري القديم، وهي تعتبر بحق أقدم مسرحيات العالم القديم، وقد ذكرت دراسة "علي رضوان" أن في مجال الفن سواء في الفنون التشكيلية كالنحت والنقش والرسم، أو في الفنون الصغرى كالحلي والتمائم والأختام وأدوات الحياة اليومية، فقد بلغت آفاقاً بعيدة من الإبداع، وكان ذلك في عصر الصحوة الأخيرة للحضارة المصرية القديمة (عصــر الأسرات ٢٧ –٣٠) ([6]) .

---

(١) www.bibalex.org

(٢) www.reefnet.gov.sy

(٣) www.bibalex.org

(٤) www.bibalex.org

(٥) www.bibalex.org

(٦) www.bibalex.org

وفي مجال الزراعة يمكن للمرء أن يتبين مدى ما وصل إليه المصري القديم في هذا المجال من خلال أدوات الزراعة، بالإضافة إلى مـــا اكتسبه المصري القديم من خبرة واسعة في مجال تشييد السدود، وشق القنوات، واستصلاح الأراضي. أما في مجال الصناعة فقد أبدع المصري في صناعة أدوات الحياة اليومية والملابس والحلي والصناعات الخشبية والمعدنية والأصباغ وغيرها([1]).

وفي مجال الديانة والعقائد والعادات والتقاليد تركت الحضارة المصرية القديمة بعض بصماتها في أفريقيا، بالإضـــافة إلى أن بعض الدراسات كدراسة "عبد العزيز صالح" و"أحمد عبد الحميد يوسف" أظهرت العادات والطقوس الجنائزية في مصـــر القديمة، ومراسم تتويج الفراعنة في الدولة الحديثة والعصور المتاخرة من التاريخ المصري القديم، وفي مجال الرياضة البدنية، كانت مصر رائدة بين حضارات العالم القديم، حيث مارس المصريون رياضات كثيرة قبل غيرهم، فالحضارة المصرية بحكم عمق جذورها وريادتها، وطول عمرها وإبداع عقل الإنسان المصري الذي حمل عبء هذه الحضارة، قد تمكنت مـــن أن تترك بصمات واضحة في الكثير من حضارات العالم القديم([2]).

وكانت مصر في عام ٣٠٠٠ ق.م قد انتظمت في مملكتين، شمالية هي مصر السفلى، وجنوبية هي مصر العليا ، وقد مكنت السجلات التاريخية العلماء من الحديث عن مصر القديمة كسلسلة من السلالات التي تقع في ثلاثة أقسام زمنيـــة كـــبرى، يسمى القسم الأول منها بـــ "المملكة القديمة"، وهو يمتد من عام ٢٦٦٤ – ٢١٥٥ ق.م، ثم يليه نحو قرن من الفوضـــى قبل أن تبدأ في عام ٢٠٥١ ق.م "المملكة الوسطى" والتي استمرت حتى عام ١٧٨٦ ق.م، ثم بدأت مرحلة ثانيـــة مـــن الاضطراب انتهت في عام ١٥٥٤ ق.م، ومع بداية "المملكة الحديثة"([3]).

الموسيقى في عصر الدولة القديمة

كانت الموسيقى والغناء تشكل اهتماماً كبيراً فى حياة المجتمع المصرى القديم منذ عهد الأســـرة الأولى عـــام ٣٤٠٠ ق.م تقريبا، كما يذكر التاريخ أن الكهنة وكبار رجال الدين والدولة وعلى رأسهم الملك، كانوا يولون جميعاً الموسيقى عناية خاصة لما لها من ارتباطاً وثيقاً بالحياة الدينية، ودورها الأساسى الذى تشارك به فى إقامة الطقوس والعبادات ومصـــاحبة الترانيم والصلوات الدينية([4])

الكهنة والموسيقى

وقد أسندت الدولة مسئولية رعاية فن الموسيقى إلى الكهنة، مما يعكس مدى احترام وتقديس المجتمع المصرى القديم بكـــل طبقاته لهذا الفن، حيث يرجع الفضل إلى الكهنة في تقدم الموسيقى والعناية بها، وإخضاعها للرقابة المستمرة تحت إشرافهم وسيطرتهم الكاملة والحفاظ عليها بعيداً عن التأثيرات الأجنبية والدخيلة، كما أنهم لم يسمحوا بمزاولة الموسيقى لدونهم، أو المجيدين فقط من أبناء الطبقات العالية حتى لا تدخل عليها عوامل الضعف والإسفاف، فقد قام الكهنة بسن مجموعة مـــن القوانين تحتم على الأطفال مزاولة الموسيقى في سن معينة، وتحرم على الشباب التغنى إلا بما ينتقيه لهم الكهنة من موسيقى جيدة تعمل على تطهير النفس وتحث على الفضيلة ومكارم الأخلاق، كما حدد الكهنة شروطاً ومواعيد معينة للعـــزف والغناء، فهناك أوقات محددة للموسيقى والأغنيات المرحة الخفيفة، وأخرى للموسيقى الجادة الهادئة الوقورة، وغيرها للعمل فقط ، حيث المعاني التي تحث على الجد والنشاط ، والتي تحد من الإحساس بالمشقة والتعب، وغيرها للمساء والســـهرات والسمر، ومنها ما يتحدث عن حب الحياة والوطن والمعاني السامية النبيلة والبعد عن النزوات الشريرة، وهو ما يشبه الرقابة على المصنفات الفنية والمعروفة في عصرنا الحالي كجهة رسمية للرقابة، كما أنهم حافظوا على دقائق وقوانين الموسيقى فيما بينهم يعلمونها للرهبان والكهنة الصغار، وللفرق الخاصة بالمعابد والبلاط الملكي والعاملين به من المغنيين والعازفين فقط ،

---

(١) www.bibalex.org

(٢) www.bibalex.org

(٣) www.reefnet.gov.sy

(٤) www.a7jar.net

كما استبعد الكهنة استعمال الآلات الموسيقية الأجنبية، بينما أكدوا على ضرورة استعمال الآلات المصرية البحتة فقط ، لأنها هي الوحيدة التي يمكن بها إبراز روح وطابع الموسيقى المصرية([1])

الموسيقى والفلك

كان المصريون يعتقدون أن العلوم والفنون المقدسة مثل الطب والفلك والموسيقى تتصل كلها ببعض وترتبط معاً تمام الارتباط ، وهي كالدين تكون دراستها والتبحر فيها وقفاً على الكهنة فقط ، وكانوا يجدون شبهاً كبيراً بين الأجرام السماوية في انتظام حركتها وانضباطها وبين النغمات الموسيقية التي تتألف منها الألحان، وكانت الكواكب الأساسية المعروفة خمسة هي (عطارد– الزهرة– المريخ– المشترى– زحل) فربطت بالسلم الموسيقي الخماسي، ولما زاد عدد الكواكب المعروفة لهم إلى سبعة بإضافة الشمس والقمر أصبح السلم الموسيقي سباعياً، وكانوا يرمزون لكل نغمة من النغمات السبع الموسيقية بالرمز الهيروغليفي الذي كانوا يرمزون به لمثيله من الكواكب([2])

أهم مظاهر الحياة الموسيقية فى الدولة القديمة:

أوضحت النقوش والرسوم الأولى في الدولة القديمة، ما دل على وجود الموسيقى عزفاً وغناءً ، كما أظهرت تلك النقوش أشكال الآلات الموسيقية بفصائلها المختلفة (وترية ـــ نفخ ـــ إيقاعية) وأسلوب العزف عليها، وعكست مدى المدنية والرقى التي وصلت إليها صناعة تلك الآلات منذ آلاف السنين، كما ظهرت إشارات اليد الخاصة بالغناء فى بداية الأسرة الخامسة، وكانت قاصرة على وضع كف اليد اليسرى للمغنى خلف صوان الأذن، وعلى الخد لتكبير الصوت الصادر وزيادة الإحساس بالرنين، ومازالت تستخدم فى المجتمع المصرى حتى اليوم بين المطربين والمنشدين وقارئى القرآن، وكانت الأناشيد ترتل داخل المعابد فى الصلوات الدينية والجنائزية، كما انتشر الغناء المصاحب للرقص فى المناسبات الدينية والدنيوية، فى شتى المناسبات الملكية داخل البلاط وفى الحياة الاجتماعية الخاصة بفئات الشعب، وكانت الالات المستخدمة في ذلك الوقت هي: الناى القصير والطويل، والهارب الزاوى والمركبى والمقوس([3])

الموسيقى في عصر الدولة الوسطى

أوضحت الرسوم المنقوشة على جدران المعابد أن الحياة الموسيقية الدينية والدنيوية فى عصر الدولة الوسطى، كانت على نفس نسق ونظام عصر الدولة القديمة، باختلاف بعض التنوع فى الشكل الخارجى لآلات الهارب مع ثبوت عدد الأوتار وطريقة العزف عليها، وكانت السمة العامة فى تكوين الفرقة الموسيقية يغلب عليها الثنائيات، وقد أوضحت النقوش أن كل الاحتمالات كانت واردة فى تلك الثنائيات (الرجال مع الرجال والرجال مع النساء والنساء مع النساء).على النحو التالى:

- عازف هارب مع مغنية
- عازف ناى مع عازفة هارب

كما اختلفت أعداد المنشدين، وكانت آلة الهارب من الآلات المحببة لدى المصريين القدماء عامة، كما ارتبطت آلة الهارب بدور هام فى الصلوات والطقوس الجنائزية وتقديم الزهور عند الدفن، وكان لها أيضاً دوراً هاماً فى المناسبات الاجتماعية السعيدة حيث تضفى جواً من المرح والسرور على الحياة العائلية والأسرية، وقد ظهرت فى عصر المملكة الوسطى بعض النقوش الخاصة بعازفى الهارب المكفوفين لأول مرة فى مقبرة" مرى رع" الأول بتل العمارنة بالمنيا، كما ظهرت مجموعة من النقوش والتماثيل تصور الحيوانات فى صورة موسيقيين وكانت هذه الظاهرة مدعاة للفكاهة والمرح، ومن الجدير بالذكر أن انضمت للفرقة الموسيقية آلات الكنارة والطبول بعد ظهورها فى الحياة الموسيقية فى عصر تلك الدولة، كان لكل فرقة موسيقية قائد يتوسط المجموعة ويكون عادة بدون آلة، وأحياناً يكون قائدين الأول لمتابعة العازفين وإعطاء مجموعة من إشارات اليد ، والآخر وظيفته ضبط إيقاع العمل الموسيقى باستخدام التعبير باليدين أو فرقعة الأصابع أو الضرب على

(١) منال مصطفى حسن ، وآخرون – تطور التعليم الموسيقي – مذكرات غير منشورة – بدون تاريخ – القاهرة.

(٢) منال مصطفى حسن ، وآخرون – تطور التعليم الموسيقي – مذكرات غير منشورة – بدون تاريخ – القاهرة.

(٣) www.a7jar.net

الركبتين أو كلاهما معاً، وذلك لتنظيم الأداء وأحياناً تكون وظيفة المايسترو غير مقصورة على القيادة بل تصل أحياناً إلى الغناء وتشجيع أعضاء الفرقة الموسيقية. ([1])

السلم الموسيقى

دلت الأبحاث التى أجريت على آلات النفخ للدولتين القديمة والوسطى، أن السلم الموسيقى الذى كان مستخدماً فى تلك الفترة، كان سلماً خماسياً خالياً من أنصاف النغمات، ومما يؤكد على ذلك عدد ثقوب تلك الآلات، التى كانت تتراوح ما بين١– ٤ ثقوب، وكذلك عدد أوتار آلات الهارب التى كانت تتراوح فى الغالب ما بين (٤– ٥) أوتار وهى أوتار مطلقة تعزف بالنبر وليست بالعفق([2])

طابع موسيقى الدولتين القديمة والوسطى

كانت الألحان الموسيقية بسيطة ونطاقها الصوتى محدود النغمات، وذلك تبعاً لطبيعة الآلات الموسيقية المستخدمة ذات الأحجام الصغيرة والمتوسطة فى عصر هاتين الدولتين، كآلات الهارب والكنارة والناى، كما كان عدد النغمات التى تصدرها تلك الآلات فى المعتاد لا تتعدى الخمسة نغمات، حيث تتراوح عدد أوتارها من٤– ٥ أوتار، ونادراً ما تكون سبعة أوتار وتصدر نغماتها عن طريق نبر الأوتار دون عفقها، لذلك تميزت موسيقى تلك الفترة بأن أصوات الآلات الموسيقية كانت ذات لون خافت، مما انعكس على طابع موسيقى تلك الفترة، فتميزت بالهدوء والاعتدال، كما تميزت بالإيقاعات البطيئة، وقد اتفق هذا اللون مع طابع الموسيقى الدينية، وكانت ملائمة للطقوس الجنائزية التى تميزت بالخشوع والوقار،كما كان المغني يبدو هادئ الصوت خافتاً لا يفتح فمه إلا باليسير([3])([4])

وقد تميز الرقص فى تلك الفترة بالإيقاعات البطيئة ذات الأزمنة الطويلة، ويظهر ذلك بوضوح من خلال الحركة واتساع المسافة بين القدمين، فهى قريبة الشبه بحركات راقصات الباليه فى وقتنا الحاضر، وبما أن خصائص الفنون هى انعكاس لطبائع شعوبها، فقد وصف الشعب المصرى فى تلك الفترة بأنه شعب معتدل المزاج،هادئ الطباع وله عواطف جياشة، تعكسها الأغانى ونصوص الأشعار التى عثر عليها فى البرديات وعلى جدران المعابد([5]).

الموسيقى في عصر الدولة الحديثة

انتشرت فى عصر الدولة الحديثة الثقافات الدينية والعقائدية التى تؤمن بالحياة الأبدية بعد الموت، وعقيدة حساب المتوفى، بجانب الثقافة الأخلاقية والثقافات الفنية مثل الأدب الشعبى، والمسرح، والموسيقى، والغناء، والرقص، بجانب فنون العمارة، والنحت، والرسم التى تألقت تألقاً كبيراً، وتمثلت فى بناء المعابد، والمقابر، والمسلات شاهقة الارتفاع، والتماثيل العملاقة، وكثرت فى عصر الدولة الحديثة الاحتفالات بالأعياد القومية والدينية، حتى وصل عددها إلى أكثر من المائتين، شملت أعياد النصر بالفتوحات المتعددة، التى حققها قواد وملوك الدولة المصرية فى الجنوب والشمال([6]).

ومن الاحتفالات القومية التي يمكن لبعض أفراد الشعب المشاركة فيها، هو عيد الأوبلت Opelt، حيث يتم الاحتفال به في موكب عسكري مهيب مصحوباً بالموسيقى، من خلال رحلة طولها حوالي ٢٠٠٠م، يبدأ في آمون في معبد الكرنك حتى معبد الأقصر في جو شعبي رائع، يشارك فيه عازفي النفير والطبول والجلاجل، وهناك أيضاً الاحتفال بعيد الوادي،

---

(١) www.a7jar.net

(٢) www.a7jar.net

(٣) www.a7jar.net

(٤) منال مصطفى حسن ، وآخرون – تطور التعليم الموسيقي – مذكرات غير منشورة – بدون تاريخ – القاهرة.

(٥) www.a7jar.net

(٦) www.a7jar.net

ويتم من خلال رحلة نيلية تبدأ من آمون بمعبد الكرنك حتى الضفة العربية، ويشارك فيها الموسيقيون والمنشدين والراقصين، كما تشارك أيضاً مئات الشعب بالتهليل والترحيب([1]).

أهم مظاهر الحياة الموسيقية والثقافية في عصر الدولة الحديثة

كثرت المعابد واتسعت مساحتها، وزادت أعمدتها، وتنوّعت حجراتها وطرقاتها، كما تعددت وتنوّعت أساليب المعيشة بداخلها، حتى أصبحت المعابد مدناً كاملةً، ومراكز للعلوم والثقافة، ومدارس للتعليم، وبناء الكوادر المهنية والحرفية، كثرت الاحتفالات القومية والشعبية داخل المعابد، وخارجها على مدار السنة، كما كثرت احتفالات الموائد داخل قصور الملوك، وقد شاركت الموسيقى والغناء والرقص فى تلك الاحتفالات الدينية منها والدنيوية، ونتيجة لذلك تعددت أساليب الحياة الموسيقية وتنوّعت داخل قصور الملوك، وفى البلاط الملكى، ونمت نمواً هائلاً، تمثلت فى زيادة عدد من النساء والرجال ، كما تعددت الوظائف الموسيقية والإدارية المشرفة نتيجة للفتوحات والاتصالات التجارية والدبلوماسية بين الحكام الفراعنة، وملوك ورؤساء المدنيات الأجنبية الآسيوية والآشورية والبابلية، وتبادل الهدايا بينهم من الأسرى والجوارى، مما ساعد على تواجد العنصر الآسيوى من الجنسين فى مجال الموسيقى والغناء، حتى أصبح فى بلاط الفرعون الملك فرقتان موسيقيتان، إحداهما مصرية ، والأخرى آشورية، وتوضح النقوش والرسوم، الفروق الجوهرية بين ملامح الجنس الآسيوى من النساء والرجال، ومدى تباينهم واختلافهم فى الشكل الخارجى والمظهر العام عن خصائص المصريين، حيث كانوا قصار القامة ولهم شعور طويلة سوداء اللون، وذو لحية كثيفة، ويلبسون الجلباب القصير، كما أظهرت النقوش الاختلاف فى شكل الآلات وطريقة العزف عليها. ([2])

كما تطورت صناعة الآلات الموسيقية عامة والوترية بشكل خاص حيث شملت الخامات، وجودة الصناعة ، والشكل الخارجى، وعدد الأوتار، وما تبعه من زيادة للمساحة الصوتية ، واتساع الحركة اللحنية بين الحدة والغلظ ، فأصبحت الموسيقى يتسم طابعها بالصخب والسرعة والمبالغة، واستخدم السلم السباعي، ظهرت آلات العود البيضاوية الشكل ذو الرقبة الطويلة والقصيرة، وهو ما عُرف باسم عود الرقص، كما ظهر العود الكمثرى الشكل ذو الرقبة الطويلة فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين وما بعدها، وهو أشبه بالطنبور أو البزق التركى، كما تطورت آلات الصنج أو الجنك (الهارب) تطوراً كبيراً فى الشكل الخارجى وعدد الأوتار، الذى وصل إلى ٢٢ وتراً فى عصر الأسرة العشرين، كما وصل ارتفاع بعض تلك الآلات إلى أكثر من مترين([3])([4])

الآلات الموسيقية الفرعونية

أولا – الآلات الإيقاعية ([5])

١. المصفقات



صنع الإنسان المصري القديم المصفقات على اختلاف نوعياتها للاستعاضة بها عن الدق باليدين أو القدمين، وقد تفنن في صناعتها وتشكيلها وزخرفتها، وكانت تصنع من الخشب أو الحجارة أو العظام أو العاج أو المعادن ومنها: القضبان المصفقة – الأذرع المصفقة – الأرجل المصفقة – الألواح المصفقة – الرؤوس المصفقة.

٢. الأجراس

---

(١) خيري إبراهيم الملط – الحضارة الموسيقية بين القديم والحديث – الطبعة الأولى– القاهرة – ١٩٩٨م

(٢) www.a7jar.net

(٣) www.a7jar.net

(٤) منال مصطفى حسن ، وآخرون – تطور التعليم الموسيقي – مذكرات غير منشورة – بدون تاريخ – القاهرة.

(٥) منال مصطفى حسن ، وآخرون – تطور التعليم الموسيقي – مذكرات غير منشورة – بدون تاريخ – القاهرة.



كانت تصنع عادة من البرونز على شكل نصف بيضة يخترقها سلك من الحديد لتعلق أو تمسك منه، ويكون الطرف الثاني ممتداً إلى داخل الجرس وينتهي بالتواء كروي ثقيل، لكـــي يقـــرع الجدران به عند الاهتزاز أو الرج.

٣. الشخاليل



كانت تصنع من الخوص أو البوص المجدول (الغاب)، ولها مقبض لليد مصنوع من الخـــيرزان، وتكون على شكل كمثري مقفلة تماماً، وبداخلها قطع من الزجاج أو المعدن الرقيق كالصـــفيح لكي تحدث صوتاً مشخللاً عند الرج أو الاهتزاز. وهي تشبه إلى حد كبير الشخاليل الشـــعبية المصرية التي تباع في الأسواق الشعبية وفي الأعياد للأطفال الآن.

٤. السيستروم





وهي آلة معدنية إيقاعية تحدث صوتاً معدنياً (صليل)، وكانت تســـتخدم في المعابد فقط لذلك كانت تصنع من البرونز وأحياناً من الذهب الخالص، ولهـــا مقبض يتراوح طوله بين اثني عشر إلى خمسة عشـــر ســـنتيمتر، وقـــد كـــان استخدامها قاصراً على النساء من الكهنة، ويعـــرف منـــها عـــدة أنـــواع:- السيستروم المعدني – السيستروم الناقوسي.

٥. الكاسات



هي أقرب شبهاً بالكاسات التي تستعمل في الكنائس الشرقية، وفي الموســـيقى النحاســـية، وكان يستعمل منها نوع صغير قطره حوالي ثلاثة عشر سنتيمتر أو ثماني عشر سنتيمتر.

٦. الدفوف



كانت تسمي في اللغة المصرية القديمة "سر"، وهي متنوعة الأشكال والأحجام ويستعملها النساء على وجه الخصوص، ومنها الدف المستدير والدف المستطيل، وجـــدير بالـــذكر أن الآلات الإيقاعية السابقة تعتبر ذاتية التصويت Idiophone وهي التي يصدر فيها الصوت بواسطة تذبذب جسم الآلة أو عن طريق طرقها بواسطة جسم مشابه أو أية أداة أخـــرى أو بالرج أو الاهتزاز وبالتالي ليس لها صندوق مصوت يكبر الصوت ويضخمه.

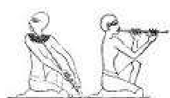
٧. الطبول



رغم توصل المصريين القدماء إلى الآلات الموسيقية بمختلف أنواعها إلا أن الطبول ونقشها كان شبه معدوم أو نادر، إلا نموذج واحد لآلة طبل في مقابر بني حسن بالمنيا وكان ذلك في بداية الدولة الوسطي.

ثانيا – آلات النفخ ([1])

١. الناي



وهو قريب الشبه من الناي المعروف حالياً في مصر والبلاد العربية، وكان الناي يصنع من أعواد الغاب، أو من قصبة مجوفة من الخشب مفتوحة الطرفين، وكان يستعمل منه نوعان: –

- الناي الطويل ويقرب طوله من قامة العازف وهو واقف، وهو يحتاج إلى قوة نفخ شـــديدة، وبالتالي فهو يعطي طبقة صوتية منخفضة جداً.

---

(١) فتحي عبد الهادي الصنفاوي – الموسيقى البدائية وموسيقى الحضارات القديمة – دار الكمال للطبع والنشر – الزقـــازيق – ١٩٨٥ م – بتصرف

- الناي القصير وهو أكثر استعمالا وشيوعاً، حيث يبلغ طوله حوالي من ستون إلى ثمانون سنتيمتر، وعلى جانبيه ثقوب تبلغ من اثنين إلى أربعة ثقوب.

وكان العازف يستخدم عدة نايات مختلفة الأطوال ويختلف فيها عدد الثقوب حتى يستطيع أن يؤدي ألحاناً مختلفة التنوع والطبقات الصوتية ويخرج الصوت منه تبعاً لطول عامود الهواء داخل عود الغاب.

٢. المزمار المزدوج



وهو عبارة عن أنبوبتان من الغاب أو الخشب المجوف، متلاصقتان من عند الجزء الذي يكون في فم العازف، ثم يفترقان بعد ذلك في انفراج وتباعد، والأنبوبتان احداهما وهي الطول ليس بها ثقوب، بل تصدر درجة صوتية واحدة ممتدة ثابتة، بينما الأنبوبة الثانية بها عدة ثقوب تتحرك عليها أنامل العازف وهو يؤدي اللحن.

٣. البوق



يصنع من المعدن الأصفر البرونزي ويبلغ طوله حوالي ثمانون سنتيمتر، وهو مخروطي الشكل وهو آلة بدون ثقوب أو غمازات، لذلك فهو يعطي نغمة واحدة فقط ثم جوابها ثم الدرجة الخامسة حسب تغيير قوة النفخ للعازف، ولهذا قصر استخدامه على النداءات والإشارات العسكرية في الحروب، إلي جانب الإعلان عن قدوم الملوك والشخصيات الهامة، كما كان يستخدم أحياناً في المعبد عند تقديم القرابين.

ثالثا– الآلات الوترية ([١])

١. العود ذو الرقبة القصيرة



وهو عبارة عن صندوق مصوت بيضاوي الشكل، مصنوع من الخشب، رقيق الجدران، أما الرقبة فهي عبارة عن عامود صغير من الخشب المستدير السميك، وتثبت بالصندوق المصوت وتركب فوقه الأوتار التي تمتد إلى الطرف الآخر من الآلة لتثبت عليه تماما، وتنبلا أوتار العود بريشة من الخشب.

٢. العود ذو الرقبة الطويلة



وهو يشبه الطنبور أو البذق، وكانت على رقبته الطويلة علامات تحدد مواضع العفق بالأصابع على الأوتار – الدساتين – وكان عدد أوتار ذلك العود يتراوح بين وترين أو ثلاثة، ويوضح لنا عدد الشراشيب المدلاة من نهاية رقبة الآلة، والتي تعتبر بمثابة نهاية الوتر ومكان ربطه على الرقبة.

٣.الكنارة





تسمي باللغة المصرية القديمة "كنر"، وهي آلة وترية مصنوعة من الخشب، ثبت أوتارها في إطار خشبي، وتحمل معلقة أفقية أمام الصدر وتعفق باليد اليسري عادة من خلف الآلة بينما تضرب اليد اليمنى الأوتار بريشة خشبية أو بقطعة من الجلد. وكان لها في البداية خمسة إلي ستة أوتار زيدت في الدولة الحديثة إلى سبعة أوتار، وقد وجدت منها أشكالاً وأحجاماً متعددةمنها المستدير والمربع والبيضاوي، ومنها الصغير والكبير، وهي تشبه آلة السمسية المغروفة في مدن القناة.

٤. الجنك

---

(١) خيري إبراهيم الملط – الحضارة الموسيقية بين القديم والحديث – الطبعة الأولى– القاهرة – ١٩٩٨م

هي آلة قديمة جداً، عرفتها مصر في الدولة القديمة، أما في الدولة الحديثة فقد كبر حجمها وزاد عدد أوتارها وكبر حجم الصندوق المصوت، ووصل عدد الأوتار إلى تسعة ُن ثلاثة عشر ثم تسعة عشر، ونتيجة لزيادة الأوتار كان لابد من عمل مفاتيح تسهل عملية الضبط، وقد تعددت أنواع الجنك فمنه المنحنى والزاوي وذو الحامل والكتفي.





الفرقة الموسيقية القديمة

كان المغني هو العنصر الأساسي، وهو القائد للفرقة الموسيقية، وهو عادة ما يجلس على الأرض جاثياً على ركبته بينما يصفق بيديه على الوحدة الزمنية، ويلوح أحياناً في الهواء حسب خطوات الانتقالات اللحنية للمقطوعة المغناة، كأنما يقود بذلك زملاؤه العازفين على الآلات الأخرى، إلى جانب تعبيره عن إحساسه وانفعاله وتأثره باللحن الذي يؤديه، وهذا الأسلوب المصري القديم جداً ما زال يستخدم حتى الآن في تدريس الموسيقى والغناء خصوصاً للأطفال، كأسلوب حديث في التربية الموسيقية، وهو يعتبر فن كتابة ورسم الموسيقى في الهواء حيث أن كل نغمة من درجات السلم الموسيقى لها حركة ووضع خاص باليد يتشكل ليبينها ويوضحها، وكانت الفرقة تتكون من: المغني + عازف الجنك (الصنج) + عازف الناي([1]).

ثانياً – الحضارة الموسيقية الصينية

إن المتعقب لتاريخ الموسيقى الصينية، يجد أن الصينيون اعتقدوا بأن الآلات الموسيقية ما هي إلا من صنع الآلهة، فكانوا ينظرون إلى الموسيقى على أن بينها وبين الحياة في الدولة رباط وثيق، حيث أن كل ما يصيب الدولة من خير أو شر يرجع إلى الموسيقى ونظرياتها، فالموسيقى لديهم تستند على ناحيتين هما الروح والمادة، لذلك روعي في صناعة الآلات الموسيقية أن تتناسب ألحانها وأصواتها مع الجوهر الروحي، وتعتبر الحضارة الموسيقية الصينية من أقدم الحضارات، حيث أدرج المصلح الصيني العظيم كونفوشيوس التعاليم الموسيقية ضمن مذاهبه التربوية والدينية، واعتبر أن جميع شئون الدولة لا يمكن إصلاحها إلا عن طريق:

أ. الموسيقى لتهذيب النفس البشرية.

ب. الطقوس الدينية لترقية السلوك الأخلاقي بين الأفراد. ([2])

والموسيقى الصينية القديمة ترجع إلى عصر الإمبراطور FOU – HI (٤٤٧٧ – ٤٣٨٠ ق.م) وقد انصبت تعاليمها على النظرية اللا نهائية التي تحيط بالكون، والتي تنقسم إلى عنصرين رئيسيين تشتق منهما الحياة، وهما عنصري السلبية والإيجابية اللذان يتفاعلان مع جميع الكائنات الحية، ومن ضمنها الموسيقى وهبوب الرياح وخرير الماء وغناء الطيور، وبالتالي فإن الألحان الموسيقية في نظر الصينيين مشتقة من الطبيعة، ويتصرف بها الإنسان حسب قوانين سماوية ثابتة، ويقال قديماً أن الإمبراطور (هوانج تي) كلف وزيره بالبحث عن نوع من الغاب في أدغال الصين يكون له سمك واحد، وعند قطعها يراعي أن يوجد عقدتين في كل قصبة، وبذلك عرفت الصين الصوت الأساسي لموسيقاها من تلك القصبة ذات العقدتين، ثم أضيفت مجموعة من النايات المتعددة وضُمت سوياً مكونة في ذلك مجموعة النايات الإثنى عشر ذات الإثنى عشر صوتاً الكروماتي([3])

---

(١) www.a7jar.net

(٢) محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف

(٣) محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف

وفي العصور الوسطى أثناء حكم الإمبراطور (سانج Sung) وصلت الموسيقى لعصرها الذهبي، حيث صاحبت آلات النفخ والسنطور معظم الألحان الصينية، بالإضافة إلى الآلات الإيقاعية التي تركها الرهبان البوذيون، كآلات المثلث المعدني والأجراس الصغيرة والكبيرة والصاجات. (١)

والموسيقى الصينية يشترك فيها كل من الصبية والفتيات بالغناء والرقص- الذي أخذ مكانته في احتفالات وأعياد كونفوشيوس- ممثلة في الاحتفال بالمواسم الزراعية والطقوس الدينية والأعياد ومسرحيات العرائس والرقص الشعبي التعبيري، وكانت هذه الاحتفالات تقام في المعابد في شكل مواكب قومية، وكانت على قدر من الدقة والنظام في تحديد عدد الراقصين والعازفين والمغنيين، واختيار الآلات الموسيقية المناسبة لكل احتفالية، وكان هناك قداس الشتاء لتمجيد الله في السماء، وقداس الصيف لمديح مخلوقات الله على الأرض، هذا وقد امتازت الألحان الصينية الشعبية بالطابع الهادئ البطئ مع التقيد بالوزن الموسيقي، وقد صاحبت آلة العود الصغير Pi.Pa الغناء الشعبي، ولقد تأثرت الصين بالمدنيات والحضارات المعاصرة فاستوردت الهارب وأنواع اخري من الصناجات والطبول. (٢)

تاريخ الموسيقى الصينية القديم

ترجع الوثائق القديمة تاريخ الموسيقى الصينية إلى عصر الإمبراطور "خوانج"، وقد أرجع الكثير منبع وبداية تاريخ الموسيقى الصينية إلى عصر الإمبراطور "خوانج" ولكن هناك الكثير من الأثريين الحداثى يرجعون أصل الموسيقى الصينية لما قبل الإمبراطور "خوانج" بكثير، وفى عام ١٩٨٦-١٩٨٧ م أاكتشف فى قرية "ديا خو" حفريات حجرية واكتشف بداخلها ما لا يقل عن ١٦ مزمار مصنوع من العظام، ويرجع تاريخ هذه المزامير إلى٨٠٠٠ - ٩٠٠٠ سنة أو أكثر، وكلها مصنوعة من العظام وبها سبعة فتحات هوائية، وقد كان الصينين القدماء يحبون النغمات عالية المقامات أي "عالية النبرة" لذا كان هذا له إرتباط وثيق بطول المزمار. (٣)

وقد كانت العلامات الموسيقية أساسها هى السلم الموسيقى ذو الخمس درجات والذى إستقر تكوينه منذ ما يقرب من ٧ آلاف أو ٨ آلاف سنة، وقد اكتشف أيضاً من ضمن الحفريات صفارة مصنوعة من العظم وآلة هوائية قديمة من البورسلين وجرس من الفخار وطبلة إلى آخره، ومن هذه الإكتشافات يتضح لنا أن هذه الآلات الموسيقية المكتشفة هى آلات موسيقية من العصر البدائى، وقد تطور فيما بعد الجرس والطبلة كما تطورت الـ"شون" وهى آلة هوائية قديمة من البورسلين والصفارة والمزمار المصنوع من العظم والذى يماثله اليوم "الفلوت"، والـ "شون" هذه الآلة الموسيقية المصنوعة من الطين المحروق شكلها الخارجى بيضاوى وبه من ثقب إلى ثلاثة ثقوب هوائية تخرج من نغمتان إلى أربعة نغمات موسيقية(٤)

وقد إرتبطت الموسيقى فى العصور البدائية إرتباطاً وثيقاً بالرقص، وهذه الظاهرة قد كانت منتشرة أيضاً فى تاريخ كل القوميات فى العالم بأثره، وقد أطلقت الصين على الشكل الفنى الذى يجمع بين الرقص والغناء معاً كلمة "موسيقى"، أما الأن فإن الموسيقى فى الصين تعد شكل فنى منفرد، وطبقاً لما ورد فى الوثائق القديمة فقد كان الرقص الغنائى مصاحباً لمراسم تقديم القرابين لشكر الآلهة فى عام الحصاد، كما إرتبط الرقص الموسيقى بالسحر البدائى ومراسم تقديم القرابين إلى آخر النشاطات. (٥)

تاريخ الموسيقى الصينية من القرن السادس عشر ق.م إلى سنة ٢٢١ ق.م

---

(١) محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف

(٢) محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف

(3) www.chinatoday.com

(4) www.chinatoday.com

(5) www.chinatoday.com

كان إستخدام الجرس والطبلة هو الشئ الأساسى فى الموسيقى فى ذلك العصر، فقد أُستخدمت هذه الآلات الموسيقية فى عصر"شانغ"، "شى تجاو"، عصر"الربيع والخريف"، عصر"الدول المتحاربة" وخاصةً عصر"شانغ" فقد إنتشر فيه إحترام وتقديس الآلهة، كما إنتشرت فى عصر"شيا" أعمال وأنشطة السحر أو"ثقافة السحر" كما كان يطلق عليها المؤرخين، وهذه الأنشطة جميعاً كانت تعتمد وبشكل أساسى على الرقص الإيقاعى أو الموسيقى، وقد كان للصينيين القدماء مقولة تقول "إن المراسم لا تكون على أكمل وجه بدون وجود الموسيقى" حيث أن هذا ضمن التقاليد الصينية القديمة المتوارثة، وفى عصر أسرة "شانغ" كان الصينيين يستخدمون الموسيقى وحوارات الجن والآلهة ليجعلون الجن والآلهة يستمعون إليها.(١)

تاريخ الموسيقى الصينية من عام ٢٢١ ق.م إلى عام ٩٦٠ م

إن تاريخ الموسيقى من عام ٢٢١ ق.م إلى عام ٩٦٠ م تعنى تاريخ الموسيقى خلال حقبة تاريخية تقرب مدتها إلى ١٢٠٠ عاماً، ويمكن تقسيم هذه الحقبة إلى فترتان الفترة الأولى تتكون من عصر "تشين" عصر أسرتا "خان" وعصر" الثلاث مماليك" وعصر "دين" أى من عام ٢٢١ ق.م إلى عام ٤٢٠ م، أما الفترة الثانية فهى تتضمن أسرتا "الشمال والجنوب" وأسرة "سوى" وأسرة "تانج" أى من عام ٤٢٠م إلى ٩٦٠ م، وقد كان المشترك بين الفترتين التاريخيتين من جانب الموسيقى هى أن الشكل الأساسى الموسيقى الذى كانت تتمتع بها الفترتان هى الأغانى الإيقاعية الطويلة الراقصة، أما الإختلاف فيكمن فى أن أسرة خان كان الرقص الإيقاعى فيها يشكل عامل أساسى، وقد وصل مستوى الرقص والموسيقى إلى القمة فى ظل هذا العصر، وهذا بفضل التبادلات الثقافية بين الصين والخارج، وقد توارثت أسرة "خان" الموسيقى من أسرة "تشين" والتى استمر حكمها ١٤سنة، فقد أخذت أسرتا "خان" التركيب الشعرى الموسيقى التى ابتكرته أسرة "تشين"، وقد لاقى النظم الشعرى الموسيقى فى عهد الإمبراطور "خان" و"وه" أى عام ١٤٠ ق.م إلى٨٧ ق.م إهتماماً كبيراً من الخارج، كما تطور تطوراً كبيراً، وقد كان "لى دا نيان" أشهر شخصيات فى تاريخ الموسيقى قديماً، وقد كان والداه يعملان فى مجال الموسيقى، وقد أخذ يطور من مهاراته فى الموسيقى حيث أخذ يؤلف القصائد الشعريه وينظم القصائد الشعريه الجديدة. (٢)

السلالم الموسيقية الصينية:

استخدم الصينيون ثلاثة أنواع من السلالم الموسيقية هي:

١. **السلم الخماسي:**

يتكون السلم الموسيقي الصيني القديم من خمس درجات موسيقية، وكانت تسمى هذه الدرجات الموسيقية: بجونج، شانغ، دياو، واي، يو، وهذه الدرجات تماثل الدرجات الموسيقية C, D, E, G, A في السلم الموسيقى الحالي، وقد رمزوا إلى كل درجة من الدرجات الخمسة بأسماء معينة حسب أهميتها في الموسيقي وهي: (٣)

- الدرجة الأولى وقد أطلق عليها اسم الإمبراطور نظراً لكونها الدرجة الأساسية في السلم الخماسي .
- الدرجة الثانية أطلق عليها اسم الوزير حيث أنها تلي الدرجة الأولى في الأهمية.
- الدرجة الثالثة أطلق عليه اسم الشعب حيث أنها تتوسط الدرجات الخمس من السلم الموسيقي.
- الدرجة الرابعة أطلق عليها شئون الدولة.
- الدرجة الخامسة أطلق عليها الأشياء المادية. (٤)

---

(1) **www.chinatoday.com**

(2) **www.chinatoday.com**

(3) **www.chinatoday.com**

(٤) محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف

وقد كان الصينيون القدماء يستخدمون طريقة "الزيادة أو النقصان لكل ثلاث درجات موسيقية" وقد عرف الصينيون الحاليون هذه الطريقة من كتاب من العصر القديم اسمه (آلات النفخ)، وكانت هذه الطريقة الحسابية تستخدم فقط لقياس الخمس درجات "نغمات موسيقية"، ويمكننا القول أن هذا القانون الحسابي لقياس النغمات قد كان مستخدماً منذ القرن السابع قبل الميلاد، وقد كان الصينيون القدماء يستخدمون حينها "المزمار" المصنوعة من خشب البامبو ويبلغ طولها تسعة بوصة وبها تسعة فتحات هوائية، وكان يستخدم القانون الموسيقى ٣/٢ لإطلاق نغمة موسيقية عالية، أما قانون ٣/٤ كان يستخدم لإطلاق نغمة طويلة نوعاً ما وهى النغمة الرابعة، وبالنسبة لإطلاق النغمة الموسيقية جونج كان يستخدم قانون ١/٨. (١)

وتقترب الطريقة القياسية للنغمات فى الصين قديماً من الطريقة التى كان يستخدمها الإغريق وكذلك قريبه من الطريقة المستخدمة حديثاً، أى أنها كانت تتمتع بالطابع العلمى القياسى، وقد ربط الصينيين القدماء بين السلم الموسيقى ذو الخمس درجات موسيقية، وبين الخمس قوى المعروفة حينها وهم التربة والذهب والخشب والنار والماء، كما ربطوا بين هذا السلم الموسيقى وبين الإتجاهات الخمسة شرق، جنوب، غرب، شمال ووسط ، علاوة على أنهم أيضاً ربطوا بينه وبين فصول السنة الأربعة، فقد إعتبروا أن الدرجة الموسيقية أوالنغمة الموسيقية جونج تمثل الأرض "التربة"، وترمزإلى الوسط وتمثل فصول السنة الأربعة، أما بالنسبة للنغمة أو الدرجة "دياو" فهى ترمز إلى صوت الخشب، وترمز إلى جهة الشرق، أما من حيث ما تمثله من الفصول فهى تمثل فترة الربيع، وعن النغمة "واى" فهى تجسد صوت النار، وترمز إلى جهة الجنوب، وترتيبها من حيث فصول السنة فصل الصيف، أما الدرجة "شانغ" فهى تجسد صوت الذهب، وترمزإلى الغرب وترتيبها فى الفصول الخريف، والنغمة "يو" تمثل صوت الماء وترمز إلى الشمال وفى الفصول تعبر عن الشتاء. (٢)

كما ربط الصينيون بين السلم الموسيقى وبين الحيوان، والأطعمة، والأجواء، وأعضاء الجسم، والحالة النفسية، والألوان، والحواس الخمسة، هذا بالإضافة إلى ارتباط الموسيقى بالسحر والعقائد الفلسفية والتآملات الروحية، كما اعتبروا أن السلم الموسيقى يعبر عن علم الفلك، وله علاقة وثيقة بالكواكب الخمسة. (٣)

وهناك تشابه كبير بين السلم الموسيقى الخماسى عند الصينيين القدماء، وبين السلم الموسيقى السباعى الدرجات عند الغرب والإختلاف طفيفاً، حيث يبرز التشابه فى أن السلم الموسيقى الصينى المكون من خمس درجات هم "جونج"،"شانغ"،"دياو"، "واى"، "يو" تمثل درجات السلم الموسيقى الغربى التالية "دو"، "رى"،"مى"،"صول"،"لا" أى الدرجات " ١، ٢، ٣، ٥، ٦"، والإختلاف فى أن السلم الموسيقى الصينى ليس به النغمة "فا"،"سى" وهذا يرجع إلى أن الصينيين القدماء كانوا يسعون دائماً وراء الجمال والكمال، لذا فقد كانوا يفضلون الدرجات والنغمات الموسيقية الكاملة وليست أنصاف الدرجات الموسيقية، لذا لم يستخدموا أنصاف الدرجات الموسيقية مثل الغرب، وما زال هذا السلم مستخدماً في الموسيقى الصينية. (٤)

٢. السلم السباعي:

يذكر في عصور ما قبل الميلاد أن الصينيون زادوا نغمتان إلى السلم الخماسي المستخدم ليصبح سلماً سباعياً هما:

- نغمة (Fi) بالصيني.
- نغمة (Ti) وقد استخدمت هذه النغمة بمثابة درجة أساسية في السلم الموسيقي.

وظل هذا السلم الليدياني (Lydian) المكون من سبع نغمات يستخدم حتى عام ١٢٠٠ ق. م. (٥)

---

(1) **www.chinatoday.com**

(2) **www.chinatoday.com**

(٣) **محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف**

(4) **www.chinatoday.com**

(٥) **محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف**

السلم الإثنى عشر:

وهو يتكون من إثنا عشر صوتاً، تجمع في تكوينها درجات كاملة وأنصاف درجات، وقد قسموا هـذه الأصـوات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وتضم ستة أصوات من الدرجات الكاملة ويطلق عليها (ذكراً)، لأن الدرجات الكاملة تمثل الشمس والرجل.

المجموعة الثانية: وتضم الستة أصوات الأخرى من أنصاف الدرجات ويطلق عليها (أنثي) لأنها درجاتها تمثل الأشياء الغير كاملة، والتي لا يمكن ان تستقل بنفسها كالقمر والمرأة. وقد رمزوا لهذا السلم حسب عدد الشهور إثنا عشر شهراً، هذا وقد عرف الصينيون أكثر من ٦٠ مقاماً موسيقياً، تؤلف سلالمها الخماسية على النغمات الإثنى عشرة المعروفة في الديوان الموسيقي الصيني. (١)

الآلات الموسيقية الصينية التقليدية

يمتد تاريخ الآلات الموسيقية الصينية زمناً طويلاً، حيث تشير المكتشفات الأثرية إلى أن أنواعاً مختلفة من الآلات الموسيقية ظهرت في الصين قبل أكثر من ألفي عام، من هذه الآلات: الصفارة العظمية التي اكتشفت في أطلال"خهمودو بتشجيانغ" في العصر الحجري الحديث، وآلة شيون التي اكتشفت في "بانتسون بشيآن" من ثقافة "يانغشاو"، والجرس الحجري والطبلة الخشبية المغطاة بجلد الثعبان المكتشفان في أطلال "ين" بمدينة "آنيانغ" في مقاطعة خنان، وآلات المزمار الأفقي ومزمار "شنغ وسه" والجرس الموسيقي والأجراس الموسيقية المتسلسلة، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الطبول والتي اكتشفت في مقبرة "تسنغ هو يي" بمحافظة "سويشيان" في مقاطعة هوبي(٢)

كما أن الآلات الموسيقية الصينية التي ظهرت قبل عام ٨٦٠٠ – ٨٢٠٠ ق.م، كانت بإمكانها عزف السلم الموسيقي من ٧ خطوات. وقد ذُكِرَ أكثرُ من ٧٠ نوعاً من الآلات الموسيقية الصينية القديمة في السجِّلات والوثائق لأسرتَيْ شانغ و تشو ابتداء من القرن الـ١٦ قبل الميلاد، ومن أجل إتقان أداء هذه الآلات الموسيقية، قد ابتكر أبناء الشعب الصيني لأسرة تشو (١٠٤٦ – ٢٢١ ق.م)"باينفنليفا"(تصنيف الآلات الموسيقية للأجراس الثُمانية). فإن مجموعة الأجراس البرونزية للمركيز يي لدويلة زنغ، هي وليدة قبل ٤٣٣ ق.م، ليست هذه المجموعة المتكونة من ٦٥ جرسا برونزياً تُترجِمُ الى "الجرس ذي نوطتين" – أحد المنجزات التي سجَّلتها الابتكارات العلمية في الصين القديمة فحسب- بل تمتلك ١٢ مقياس نغمة كاملة والوظيفة الممتازة في الانتقال من نغمة الى أخرى أيضا، كما أن فنَّ "قو تشين" (نوع من الآلات الوترية المعزوفة بالنقر) الذي ورث منذ أسرة شانغ قبل ٣٠٠٠ سنة باتت جوهرةً من الجواهر في كنز الفنون الصينية القديمة وصارت ممثِّلةً للوراثة المعنوية للإنسان البشري. (٣)

وجدير بالذكر أنه كان لكل الآلات الموسيقية الصينية القديمة وظيفة مزدوجة، عملية وتعبيرية، حيث أنها كانت تستخدم كأدوات في المعيشة والعمل عند ظهورها، مثل الجرس الحجري، كما استخدمت بعض الآلات الموسيقية الصينية القديمة لنقل معلومات الحياة، وللخروج إلى الحرب، ودق الأجراس لسحب العسكريين، أو لإعلان الوقت، وما يزال البعض في الأقليات القومية يستخدمون النفخ في آلة" كوشيان" كتعبير عن الحب حتى اليوم، كما ارتبطت الآلات الموسيقية الصينية القديمة بالإنتاج الاجتماعي، عندما استخدمت تكنولوجيا التعدين العالية فظهر الجرس الموسيقي المعدني المتطور عن الجرس الحجري، وظهرت الآلات الموسيقية الوترية التي تستخدم خيوط الحرير في صنع أوتارها بتطور تربية دود القز وحل الشرانق.(٤)

---

(١) **محمد محمود سامي حافظ – موسيقى الشعوب – مطتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الأولى – ١٩٧٨ م – القاهرة – بتصرف**

(2) **www.arabic.china.org.cn**

(3) **www.cymjo.org**

(4) **www.arabic.china.org.cn**

وقد استوعب الفرد الصيني عدداً كبيراً من الآلات الموسيقية الأجنبية، فنجد المزمار الأفقي وآلة "كونغهو" النفخية العمودية اللتين انتقلتا إلى الصين من المناطق الواقعة غربها في عهد أسرة هان(٢٢٠– ٢٠٦ ق. م)، وقانون "يانغتشن" ومزمار "سونا" اللذين انتقلا إلى الصين في عهد أسرة مينغ(١٦٤٤– ١٣٦٨ق. م) بعد إدخال تحسينات عليها بشكل متواصل، ومن الملفت للنظر أن الآلات الوترية المشدودة ظهرت متأخرة كثيراً عن الآلات المضروبة والنفخية والوترية والنقرية، هذا وقد استخدمت الآلات الموسيقية التقليدية الصينية، في العديد من الأعياد، وحفلات الزفاف والشعائر الجنائزية، والاحتفالات باستقبال الآلهة وأسواق المعابد، وفي المراسم الإمبراطورية والحكومية والأنشطة الدينية. وتكونت الآلات الموسيقية الصينية تبعاً لمجموعات مؤتلفة من الآلات الموسيقية ولأساليب العزف المختلفة، مثل العزف المنفرد، والعزف المزدوج والجماعي.ووفقاً لمواصفات العزف لكل آلة موسيقية، يمكن تقسيم الآلات الموسيقية الصينية التقليدية إلى: (١)

١. الآلات الوترية المشدودة

وتمتز بصوتها الجميل، والتعبيري، حيث أنها تجمع بين مهارة العزف والمستوى الفني العالي، وتستخدم دائما في العزف المنفرد والمختلط والجماعي الصغير والعزف المرافق.

وهي في عدد أوتارها تتكون من وترين، وقليل منها ما يكون بأربعة أوتار، وتغطي بجلد الثعبان أو الغنم، والقليل منها يستخدم الخشب.

من نماذجها آلات : أرهو، جينغهو، تشونغهو، قاوهو، بانهو، ماتوتشين (على شكل رأس الخيل).

٢. الآلات النفخية

وهي تصنع من الخيزران أو الخشب، وتتميز بنغماتها الوافرة انطلاقاً من مبدأ التصويت ،وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: يكون بإدخال الهواء في الفتحة، مثل مزمار شياو العمودي والمزمار الأفقي.
- النوع الثاني: وفيه يمر الهواء بشريحة صفارة، مثل سونا وقوانتسي.
- النوع الثالث: ويمر الهواء فيه بلسان المزمار مثل شنغ وباوو.

من نماذجها: شنغ، لوشنغ، بايشنغ، هولوسي، دي (مزمار)، قوانتسي، باوو، سونا، شياو.

٣. الآلات النقرية

تتميز الآلات النقرية بصوتها النافذ الواضح الرنان ذو الإيقاع القوي، ويمكن عزف النغمة المزدوجة والنغمات المتآلفة وأداء القفزات، ويكون العزفعليها إما بالأظفار الصناعية أو بريشة العازف، تنقسم إلى الآلات النقرية إلى نوعين:

- الآلات الأفقية مثل تشنغ، وقوتشين، ويانغتشن.
- الآلات العمودية مثل بيبا، ويوان، ويوهتشين، وسانشيان، وليوتشين، ودونبورا.

من نماذجها: بيبا، وتشنغ، ويانغتشين، وقوتشين، ودونبورا، ويوان، وليوتشين، وسانشيان، ويوهتشين.

٤. الآلات المضروبة

وهي آلات قوية الإيقاع، ويمكن لكل مجموعة منها أن تقدم عرضاص مستقلاً، وهي أيضاً تلعب دوراً هاماً في إظهار الموسيقى التصويرية وعقدة المسرحية التعبيرية، وهذه الآلات تستخدم مع الآلات النفخية والوترية، ووفقا لأحجام الصوت يمكن أن تنقسم الآلات المضروبة إلى:

- الآلات النحاسية: مثل لوه الكبيرة، لوه الصغيرة، با، ينغلينغ.
- الآلات الخشبية: مثل بان، بانغتسي، مويوي.
- الآلات الجلدية: مثل قو الكبيرة والصغيرة، وشيانغجياوقو.

كما يمكن أن تنقسم الآلات المضروبة إلى:

(1) www.arabic.china.org.cn

- نوع ذي صوت جهير ثابت، مثل: قو الكبيرة والصغيرة، لوه الكبير والصغير، با الكبير والصغير، بان، وبانغ، ولينغ.
- نوع بدون صوت جهير ثابت، مثل: بايقو، يوانلوه.

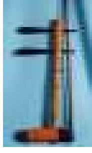
من نماذجها، قو الكبيرة، قو الصغيرة، بايقو، شوقو، تونغقو، تشانغقو الكوري، بينغلينغ، لوه الكبير، لوه الصغير، با الكبير.

وفيما يلي شرح لتركيب هذه الآلات الموسيقية الصينية التقليدية:

أولاً – الآلات الموسيقية الوترية:



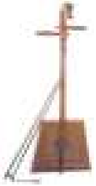
١. **أرهو**: هو من أهم الآلات الوترية المشدودة، ويرجع تاريخه إلى أكثر من ١٠٠٠ سنة، يصنع عوده من الخشب، وله صندوق مصوت يصنع من الخيزران أو الخشب ويغطى الصندوق بجلد الثعبان، ويشد عليه وتران، ويعزف عليها بالقوس الذي يصنع من شعر ذيل الخيل، وله صوت لين وجميل.



٢. **جينغهو**:من الآلات الموسيقية المرافقة لأوبرا بكين. وله صوت رنان وعال وبارز في الفرقة الموسيقية، يستخدم فقط في العزف المرافق لأوبرا بكين. يشبه الأرهو، ولكن حجمها أصغر من أرهو، يصنع عوده وصندوقه المصوت من الخيزران، ويبلغ قطر الصندوق المصوت نحو ٥ سم، ويكون طرفه مفتوح، والطرف الآخر مغطى بجلد الثعبان.



٣. **تشونغهو**: يعتبر من الآلات الوترية المشدودة. تطور عن آلة الأرهو، يستخدم في العزف الجماعي أو العزف المرافق لبعض الأوبرات المحلية الصينية، قليلا ما يستخدم في العزف المنفرد. ينتمي إلى الآلات المتوسطة النغمات ، وهو يعطي لعزف الفرقة الموسيقية صوتاً رخيماً وممتلئاً، ويشبه في تركيبه آلة الأرهو، ولكنه أكبر منها حجماً قليلاً، يبلغ طول عوده ٨٦ سم، تنقش على قمته دائما شكل رأس تنين أو هلال، وصندوقه المصوت كبير نسبياً ومستدير، ويغطي بجلد الثعبان، وشكل الصندوق المصوت في بعض أنواعه مثمناً في الجزء الأمامي ومستدير في الجزء الخلفي. ويبلغ طول قوسه ٧٥ سم. ويكون مدى صوته أوكتافان،ويضبط النغمة الأساسية فيه بزيادة ٤ أو ٥ درجات عن آلة الأرهو.



٤. **ماتوتشين** :هي من الآلات الوترية المشدودة، وتستخدم في العزف المنفرد أو العزف المصاحب للأغاني الشعبية. ويتميز صوتها بأنه منخفض وجميل، ومناسب للتعبير عن المشاعر العميقة والناعمة، وينقش على قمة عودها شكل رأس الخيل، ويكون إطار صندوقه المصوت خشبي، وعلى شكل السلم أو مربع أو مثمن، ويغطى وجه الصندوق المصوت بجلد الخيل أو البقر. ويوجد بها وتران، ويتم ضبطها من الدرجة الرابعة. يصنع قوسها من شعر ذيل الخيل، ويمكن عزف نغمة مزدوجة عليه.

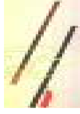


٥. **قاوهو**: **من** الآلات الوترية المشدودة ذات الصوت الجهير، وهي آلة موسيقية رئيسية لموسيقى قوانغدونغ، تشبه الأرهو، ولكن صندوقها المصوت أصغر من الأرهو، وتضبط النغمة الأساسية فيه أعلى ٤ أو ٥ درجة من الأرهو. صوتها قوي ورنان، وتوضع مشدودة بين الفخذين عند العزف، ويتم التحكم في الصوت بقوة شد الفخذين وتغطي الفخذ اليسرى نافذة صندوق الصوت. لها قاعدة، وأسلوب عزفها مثل أسلوب عزف الأرهو تماما.

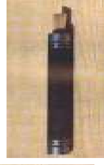


٦. **باهو**: من **الآلات** الوترية المشدودة. يعود تاريخها إلى أكثر من ٣٠٠ سنة، تستخدم كآلة للعزف المرافق في الأوبرات المحلية الشمالية، أو في العزف المنفرد والعزف الجماعي، يصنع عوده من الخشب القوي وصندوقه المصوت من الخشب،ويصنع وتراه من المعدن وقوسه من شعر ذيل الخيل، ويتميز بقوة صوت كبيرة وعالية، وهو مناسب للتعبير عن الألحان الحماسية والمنطلقة، ينقسم الباهو إلى ثلاثة أنواع الصوت الجهير والمتوسط والمتوسط الأقل، ولكن يستخدم الباهو ذو الصوت الجهير أكثر.

ثانياً – الآلات الموسيقية النفخية



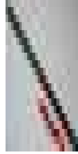
١. **شياو**: انتشر شياو من أكثر من ٢٠٠٠ سنة، وهو عبارة عن أنبوب خيزراني نفخي، على قمته فتحة، ينفخ فيه عموديا، وبه ٦ فتحات، ٥ منهم بالجهة الأمامية، والسادسة بالجهة الخلفية، ويتميز صوته بالنعومة والحزن.



٢. **قوانتسي**: من الآلات القديمة ذات اللسان، ويستخدم بصفة رئيسية في موسيقى الضرب والنفخ الشعبية والموسيقى البوذية والطاوية، وهو عبارة عن أنبوب خشبي عليه ٨ فتحات، ٧ منهم على الوجه الأمامي، والثامنة بالوجه الخلفي، ويستخدم منه المتوسط والمنخفض الصوت.



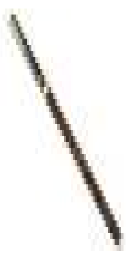
٣. **سونا**: انتشر في منطقة شينجيانغ، وهو إحدى أكثر الآلات الموسيقية الشعبية انتشارا بالصين، ويستخدم في العزف الجماعي والمنفرد، والعزف المصاحب للمسرحية والرقص والغناء، ويعتبر صوته قوي وجهير وعال، ويعبر عن الفرحة والحماسة والجلال ويمكن استخدامه في تقليد أصوات الطيور والحشرات، وهو عبارة عن أنبوب خشبي مخروطي الشكل ٨ فتحات، ٧ منها على الجهة الأمامية والأخرى بالخلف، تركب على قمة الأنبوب الخشبي أنبوب نحاسي بقمته صفير مصنوع من القصب، وبطرفها الأسفل مكبر صوت على شكل بوق، وينقسم السونا إلى ثلاثة أنواع ذات الصوت جهير والمتوسط والمنخفض، وبه مفاتيح صوت لتوسيع مدى الصوت.



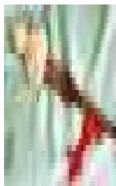
٤. **مزمار** "ديتسي": من أقدم وأكثر وأهم الآلات النفخية الشعبية بالصين، وظهر في الفترة ما بين القرن ١٧ و١١ قبل الميلاد، وصوت الديتسي رنان وواسع المدى، وقوته التعبيرية تمكنه من عزف الألحان المختلفة الأساليب والمشاعر، ويستخدم في العزف المنفرد والمختلط والجماعي، وهو يصنع من الخيزران، ويعزف أفقيا، وعلى جسمه فتحة نفخ وفتحة غشاء ومن ٢أو ٤ فتحات هواء و٦ فتحات للنغمات.



٥. **شيون**: من الآلات الموسيقية النفخية القديمة، ويعود تاريخها إلى أكثر من ٧٠٠٠ سنة. صنعت في البداية لتقليد أصوات الطيور والحيوانات بغرض الصيد، ثم تحولت إلى آلة موسيقية. في المجتمع البدائي كان بها فتحة نفخ فقط ، ثم أضيفت إليها فتحات الصوت. كانت تستخدم بصفة رئيسية في موسيقى البلاط في العهود القديمة، وهي بها ٦ فتحات، و طور هيكلها الداخلي لزيادة قوة صوتها، ليصبح بها ٨ فتحات صوت إلى جانب فتحة نفخ، ويمكن للعازف المحترف أن يعزف عليها ٢٦ نغمة.



٦. **باوو**: من الآلات النفخية ذات لسان واحد، وتصنع من أنبوب خيزراني، ويعزف عليها أفقياً، وعمودياً. يتراوح طولها ما بين ٣٠-٦٠ سم. في أسفلها (أو الطرف الأيمن منها) فتحة، وبقمتها (أو الطرف الأيسر منها) عقدة خيزرانية أو سد خشبي. على جدار الأنبوب فتحة نفخ مستطيلة، يلصق عليها لسان، على جسم الأنبوب ٨ فتحات، عند العزف تأخذ زاوية ٤٥ درجة مع فتحة النفخ، ينقسم باوو إلى نوع بأنبوب واحد ونوع بأنبوبين. صوتها ضعيف، ومدى صوتها ضيق، لكن صوتها رائع، تستخدم دائما في العزف المصاحب للرقص أو العزف المنفرد. تتميز بأنها تعزف ألحانا عاطفية دائما أو ألحانا فخمة، وعند العزف الجماعي يسهل أن يندمج صوتها مع أصوات الآلات الأخرى.



٧. **هولوسي**: من الآلات النفخية ذات اللسان، لها صوت ناعم ومتناغم، يناسب عزف اللحن السلس أو اللحن الراقص، ويستخدم في العزف المنفرد أو الجماعي، خاصة في عزف الأغاني الشعبية الجبلية. لكن قوة صوته ضعيفة، وهي عبارة عن صندوق مصوت على شكل قرعة صغيرة، تدخل فيها ٣ أنابيب خيزرانية مختلفة الطول، وفي أسفل هذه الأنابيب يركب لسان نحاسي، على الأنبوب الأوسط الأطول ٧ فتحات، ويقوم العازف بنفخ الهواء من فتحة صغيرة على قمة القرع، بينما تضغط الأصابع على فتحات الصوت بالأنبوب الأوسط.



٨. **شنغ:** من الآلات النفخية ذات اللسان، تتركب من ألسن نحاسية على أسفل العديد من الأنابيب الخيزرانية، وتدخل هذه الأنابيب في إناء خيزراني أو خشبي أو نحاسي به فتحات نفخ، وعند النفخ تضغط الأصابع الفتحـــات بأســـفل الأنابيب لتحدث الألسن والهواء داخل الأنابيب رنينا معا، ويستخدم في العزف المصاحب والجمـــاعي، وفي العـــزف المنفرد كآلة موسيقية متميزة.

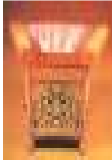
ثالثاً – الآلات الموسيقية النقرية



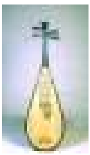
١. **يوان:** من الآلات النقرية، تطورت من آلة بيبا في عهد أسرة هان (٢٠٦ ق.م–٢٢٠ م)، وتستخدم دائما في الفرق الموسيقية القومية وفي فرق الأوبرات المحلية. تتكون مـــن رأس وعـــود وصـــندوق مصوت، بها ٤ أوتار والصندوق المصوت يأخذ شكل مستدير، يبدو وجهه وظهره مقوسا قليلا، بها ٢٤ موقعاً صوتياً، ترتب وفقا لـــ١٢ نغمة متساوية. عند العزف تحرك أوتارها بريشة العازف، ولها أحجام منها يوان الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، ولكن تستخدم الكبيرة والمتوســـطة دائمـــا،وتتميز بصوت رخيم وناعم وشاعري، وتستخدم في العزف الجماعي.



٢. **سانشيان:** تعتبر من الآلات النقرية الشعبية لأبناء قومية هان وبعض الأقليات القومية. ويوجد منها السانشيان الكبيرة والصغيرة، صوت الصغيرة منها جلي واضح، أما صوت الكبيرة منخفض وواسع المدى.وتستخدم هذه الآلة في العزف المصاحب لبعض الأوبرات الشعبية أو في الأهازيج والمساجلات الشعبية، بينما تستخدم سانشيان الصغيرة بصفة رئيسية في العزف الجمـــاعي مـــع بعـــض الآلات الموسيقية، وهي تتكون من عود وصندوق مصوت وأوتار ومحور وعتبة التنغيم، وعند العزف توضع على الفخذ، وتمسك اليد اليسرى بها وتضغط على الأوتار، وتأخذ اليد اليمنى عتبة التنغيم أو تعزف بالإبهام والسبابة والوسطى.



٣. **يانغتشين:** من الآلات النقرية ذات صوت جلي ورخيم، وتستخدم في العزف المصاحب للمسرحيات والأوبرات المحلية، وتستخدم في العزف الجماعي والمنفرد أيضا، لها صندوق مصوت مدرج، يصنع من الخشب الصلب، على وجه الخشب عدد من الأوتار الفولاذية، توضع أفقيا مستوية علـــى حاملـــها، وعند العزف، تضرب بمضرب خيزراني ليحدث صوتاً جلياً ناعماً، يمكن عزف مجموعتين من الأنغام فما فوق.



٤. **بيبا:** من الآلات النقرية التي تستخدم في العزف المنفرد والجماعي والمصاحب، ظهرت قبل أكثر مـــن ٢٠٠٠ سنة، وصندوقها المصوت على شكل نصف الكمثري، وينحني جزؤها الأعلى إلى الخلف، يشد عليها ٤ أوتار، تضبط أنغامها حسب السلم الموسيقي الرباعي أو الخماسي، يحملها العازف عموديا أمام صدره، تضغط يده اليسرى الأوتار وتحرك اليد اليمنى الأوتار.

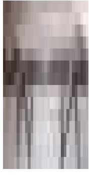


٥. **كونغهو:** هي إحدى الآلات النقرية القديمة، يرجع تاريخها إلى أكثر من ٢٠٠٠ سنة. شكلها أفقي أو عمودي، شكلها الخارجي قريب من شكل القيثار الغربي، لكن بها صفان من الأوتار، في كل صف ٣٦ وترا، صوتها ناعم، ومدى صوتها بعيد، قوتها التعبيرية قوية، ولأن النغمات بالصـــفين متشـــابهة، لذلك تعادل هذه الآلة قيثارين، فيسهل عزف الألحان السريعة والتوافقية بها، ويمكن عـــزف اللحـــن الرئيسي واللحن المصاحب في منطقة النغمات المتوسطة الجميلة باليدين اليسرى واليمنى معا.

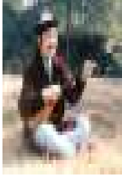


٦. **قوتشين:** هي أقدم آلة نقرية صينية، يعود تاريخها إلى أكثر من ٣٠٠٠ سنة، كانت من أعظم الآلات الموسيقية مكانة في العهود القديمة. وقد دونت نوتة موسيقية لهذه الآلة منذ ١٥٠٠ سنة على الأقل. توجد حاليا أكثر من ١٥٠ تسجيلا للنوتة الموسيقية لآلة قوتشين، وانتشر أكثر من ٣٠٠٠ لحن لها حتى اليوم، لآلة قوتشين أكثر من ١٠٠ نغمة توافقية، ربما هي أكثر آلة موسيقية من حيـــث عـــدد

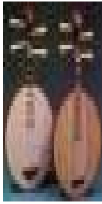
النغمات التوافقية في العالم.



٧. **تشنغ**: من الآلات النقرية القديمة. انتشرت كآلة للعزف المصاحب في القرن الرابع قبل الميلاد، وتستخدم في العزف المنفرد والمصاحب والجماعي، صوتها جلي وجميل وسلس، ويصنع صندوقها المصوت على شكل مستطيل من الخشب، تشد الأوتار على وجهه المسطح، وتصنع أوتارها من الخيوط الحريرية أو الأسلاك النحاسية. يبلغ عددها من ١٢- ١٦وتر، بكل وتر عمود صغير لتعديل طوله وتثبيت النغمة الأعلى.

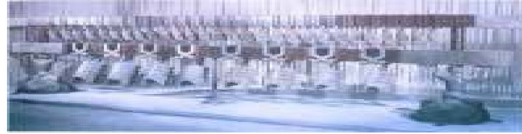


٨. **طنبور**: هي من الآلات النقرية لقومية قازاق، ويصنع صندوقها المصوت من الخشب، شكلها مسطح أو على شكل نصف قرعة، عودها رفيع وطويل، وبها وتران، منغم رباعيا وخماسيا، يمكن عزف النغمة المتآلفة بها، وعند العزف يضع العازف الآلة على صدره مائلة، تحملها اليد اليسرى وتضغط الأوتار، وتحرك الأوتار اليد اليمنى.



٩. **يويهتشين**: من الآلات النقرية، ويعتبر صوتها جلي وناعم، وتستخدم في العزف المصاحب للمسرحيات والأهازيج والمناسبات الشعبية وفي العزف المنفرد والجماعي، تتكون من صندوق مصوت خشبي على شكل مستدير، أو مثمن أو مسدس أحيانا ورأس وعنق ومحور وأوتار، طولها يتراوح ما بين ٥٨ و٧٠ سم، وتصنع أوتارها من الخيوط الحريرية، وعند العزف عليها، يحملها العازف على صدره مائلا، يده اليسرى تحملها وتضغط على الأوتار، ويحرك بسبابة يده اليمنى أو يستخدم ريشة لتحريك الأوتار، وتصنع الريشة من الخيزران أو قرن البقر أو العظم.

١٠. **آلة بيان تشونغ**: وهي آلة نقرية قديمة ظهرت أول مرة في أسرة تشو الغربية في الفترة ١٠٤٦ – ٧٧١ق.م، كما ظهرت آلة بيان تشونغ في الصين في أسرة شانغ الملكية قبل ٣٥٠٠ سنة، وهى من فئة الجرس، وتتكون من ٦٥ أجراس مختلفة الأحجام تعلق على حمّالة خشبية، ولكل جرس نغمة مميزة، وكانت لها ثلاثة أجراس فقط. ومع تطور العصور ازداد عدد أجراسها. وكانت تستخدم دائما في عزف الموسيقى في القصور للحروب وتقديم القرابين أو لقاء الأباطرة بالوزراء.



كما كانت خاصة بطبقة النبلاء، وهى رمز النبل والقوة. وفي العصر الحديث اكتشف الكثير من آلات بيان تشونغ القديمة في القبور الامبراطورية، منحوت عليها أكثر من ٢٨٠٠ كلمة ترتبط بنظام الموسيقى الصينية القديمة والكثير من المصطلحات الموسيقية القديمة.

رابعاً – الآلآت الموسيقية المضروبة

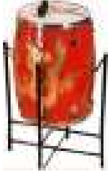


١. **الدف**: من الآلات المضروبة، له إطار خشبي دائري، ويغطي وجهه بجلد الغنم، وداخل الإطار يوجد العديد من الحلقات الحديدية، وعند العزف تمسك اليدان بأطرافه لتضرب أصابع اليدين وجه الدف بالتناوب، وعندما يضرب على قلبه محدثاً صوت "دونغ" تستخدم في النغمات القوية، وعندما يضرب على طرفه محدثاً صوت "دا" تستخدم في النغمات الخفيفة، ويمكن تحريكه لتصدر الحلقات الحديدية صوتا، ويستخدم في العزف الجماعي والعزف المصاحب خاصة في الغناء والرقص.



٢. **مجموعة الطبول (باي قو)**: باي قو عبارة عن مجموعة مكونة من ٥-٦ طبول بترتيب من الكبير إلى الصغير، ومن الصوت المنخفض إلى الصوت المرتفع، تثبت على حامل حديدي خاص. تحدث أصواتا مختلفة من وجهي كل طبلة، وبكل وجه جهاز لتعديل النغمات، ويمكن تعديل الصوت ٤-٥

درجات. بسبب تغيرات ارتفاع النغمات ونوعيتها وقوتها، وتعبر باي قو عن الفرحة والحماسة، وتستخدم دائمـــا في العزف الجماعي الكبير وموسيقى الطبول.



٣. **الطبل الكبير (دا قو)**: هو نوع من الآلات الموسيقية المضروبة الذي يستخدم دائما في العـــزف، وفي موسيقى المسرحية، إطاره خشبي ويغطي بجلد البقر، وتوضع الطبلة على حامل، وتضـــرب بمضـــربين خشبيين، وتحدث طبقات الصوت المختلفة من قلب وجه الطبلة إلى أطرافه، فتكون الأصوات عند قلب الطبلة منخفضة، ثم ترتفع تدريجياً إلى أطرافها، ويمكن الضرب عليها بأساليب مختلفة.



٤. **الطبلة النحاسية**: ظهرت قبل أكثر من ٢٠٠٠سنة، وتتجاوز إجمالي عدد الطبول النحاسية التي يحتفظ بها في مختلف المناطق الصينية ١٤٠٠ طبلا، وهي تصنع من النحاس كلية، ويكون قطر وجهها نحو ٥٠ سم، وارتفاعها نحو ٣٠ سم، مجوفة وبدون وجه آخر، على جانبيها أذنان نحاسيتان، صوتها منخفض وقوي.



٥. **السمكة الخشبية (مو يوي)**: من الآلات الموسيقية المضروبة الـــتي تصـــدر أجســـامها صـــوتا، واستخدمت في البداية في العزف المصاحب للأغاني البوذية، ثم انتقلت إلى عامة الشعب، وهـــي تصنع من الخشب، شكلها مستدير أو مستطيل، ويبلغ ارتفاعها ٥–١٥ سم، وهي مجوفة، وعند العزف تضرب بمطرقة صغيرة خشبية فتحدث نغمات واضحة وقويـــة الإيقاعـــات، وتســـتخدم مجموعة منها باختلاف الأحجام وطبقات النغمات معا أثناء العزف.

٦. **با**: من الآلات المضروبة الشعبية، وهي عبارة عن شريحة مستديرة نحاسية، في وسطها نتوء على شكل نصف كـــرة، وتكون الشريحتان وحدة واحدة لـــ"با"، وعند العزف تلف حول معصما اليدين بالسير الجليـــدي أو القماش الحريري المربوط على "با"، وتمسك الأصابع الخمس بالـــ "با"، لتضرب الشريحتان بعضـــهما بعضا لحدوث الصوت، وليس بالـــ "با" طبقة نغمات ثابتة،وهي تستخدم دائما في العزف الجماعي أو العزف المصاحب للمسرحية والرقص والغناء. ويوجد منها الـــ "با" الكبيرة والصغيرة حسب حجمها، ويكون صوت الكبيرة جلي وقوي، وصوت الصغيرة خفيف وواضح.



٧. **طبلة قائمة الفيل (شيانغ جياو قو)**: من الآلات المضروبة، شكلها مثل قوائم الفيل، جسمها خشبي، يبلـــغ ارتفـــاع الطبلة الكبيرة منها نحو ١,٥ متر، والصغيرة منه نحو ٠,٥ متر،الجزء العلوي لها غلـــيظ ، والجـــزء السفلي رفيع، وتبدو على شكل بوق، يغطي جزؤها الأعلى بجلد الغنم. تعلق مائلة علـــى كتـــف العازف عند العرض، ويضربها بيديه، وتكون أصواتها منخفضة وعميقة، وتستخدم في الرقص.



كما توجد مجموعة من الآلات الموسيقية القديمة ولكن لم تتمكن الباحثة من العثور على صور لها ولكن وجب الإشـــارة إليها وهي :

أولاً– آلات النفخ:

١. **قو دي**: وتعني الفلوت العظمي، وهي نوع من آلات النفخ ظهرت في العهد السحيق، ويصـــل تاريخهـــا إلي عـــام ٩٠٠٠– ٧٨٠٠ق.م، وكانت تصنع من عظام طائر الكركي، ولها ٧ ثقوب لعزف الســـلم الموســـيقي ذو الـــــ٧ درجات.

٢. ***تشو دي***: *وهي نوع من الفلوت، ظهر في الفترة من (٤٠٣–٢٢١ ق.م)، وهو مصنع من أجود أنواع البامبو، ولـــه نوعان:*

- "تشيو دي" وهو طويل الجسم وسميك الجذع يسترسل صوتا بهيجا ورخيما.
- "بانغ دي" هو أقصر وأنحف من الأول، ويبلغ طوله حوالي ٤٠ سم فقط ، ويصدر صوت جهوري وعالي.

٣. ***قوان زي***: *آلة نفخ ذات لسان،يبلغ طول أنبوبه من ١٨ الى ٢٤ سم، ومصنوع من البامبو أو الخشب، وله ٨ أو ٩*

ثقوب لتضغط عليها الأنامل، ويصدر الحجم الكبير منه صوتاً عميقاً وشجياً، بينما يصدر الحجم الصغير منه صوتاً واضحاً.

٤. **تونغ تشين:** من آلات النفخ الشائعة في معابد اللاما، وهي تصنع من البرونز، طولها ٣٠ سم، وتتمكن من إنتاج الصوت المدوِّي والأجشّ والمفعم بالهيبة والوقار، وتستخدم بصفة رئيسية في المراسم الدينية والطقوسية.

٥. **قانغ دونغ:** من آلات النفخ الشائعة الاستعمال في معابد اللاما، وتصنع من البرونز في أغلب الأحيان. ويبلغ طوله حوال ٤٥ سم وينتج صوتاً جهورياً ومهيباً، ويستخدم في المحافل الدينية والطقوس.

٦. **هولوسي:** من آلات النفخ ويبلغ طوله ٣٠ سم، مع استخدام قرع كصندوق مصوت، وله ثقب للنفخ على الجانب الرقيق من القرع، وثلاثة أنابيب من البامبو يختلف طولها مع لسان المزمار تدخل في قاع القرع، ويستخدم في العزف المنفرد والجماعي.

ثانياً – الآلات المضروبة

التماثيل الصلصالية من العازفين الموسيقيين والراقصات ولاعبي الأكروبات: كانت توجد عادةَ صينيةَ قديمة وهي دفن التماثيل الصلصالية من العازفين والراقصات لمصاحبة الموتى، وكانت تستخدم لضرب الطبول وعرض الأغاني.

ثالثاً – الآلات النقرية

١. **بيان تشينغ:** من الآلات النقرية الحجرية، ظهرت في العصر الحجري السحيق و لم تّكُنْ شائعة إلا في حوض النهر الأصفر قديماً، وهي عبارة عن مجموعة من الأجراس الحجرية الصفائحية، وعددها ٣٢ جرسا، ويبلغ طول الآلة ما بين ٧٤,٥ – ٨٢,٦ سم .

٢. **سه:** هي من الآلات الموسيقية التي تعزف بالنقر، ظهرت لأول مرة منذ اكثرمن ٣٠٠٠ عام، مستطيلة الشكل وعليها من ٢٣ – ٢٥ وترا. ومصنعة من الخشب.

٣. تانغ قو: نوع من آلات النقر، وهي طبول يتراوح قطرها من ٢٢ – ٣٢ سم . عند عزف هذا الطبل يمكن الحصول على الصوت بواسطة ضرب حافته أو وسطه، أو عن طريق التحكم في قوة الضربات. وهو يستخدم للأداء الجماعي الفولكلوري، والمصاحب للأوبرات المحلية أو في فرقة الطبول في المناسبات والأعياد.

٤. **ياو قو:** نوع من آلات النقر، اسطواني الشكل وسمكه طفيف في الوسط ، يبلغ طوله ٣٤ سم ويغطى كلا من الطرفين بالجلد الحيواني. وثمة حلقتان حديديتان يتم تثبيتهما على بدن الطبل لربط خصر العازف بالحزام. وبينما تبدأ الرقصات، يضرب العازف الطبل في ايقاعات مسجَّعة بمطرقتين خشبيتين في كلتا يديه اليسرى واليمنى.

٥. ***تاو قو:** من آلات النقر الصغيرة الحجم، وهناك قرطتان على كل من الطرفين مثبتتان على بدن "تاو قو" الخشبي، ويصدر الصوت بواسطة تدحرج المقبض ليجعل من هاتين القرطتين تضربان الطبل. وكان يستعمل لعزف الموسيقى الطقوسية على البلاط الإمبراطوري في قديم الزمان.*

٦. ***دا ما قو:** نوع من آلات النقر، وتجويفها مصنوع من مادة طاسيتية الشكل يتم وضعهما قاعا إلى قاع معا ليربط بعضهما بالآخر، وهذه المادة مصنوع بعضها من جمجمة الإنسان، أو الخشب الصلب أو العاج. وجلد الطبل مصنوع من الجلد الحيواني وتستعمل في تلاوة الكتب الدينية في معابد اللاما.*

٧. ***شو قو:** من آلات النقر، جسمه منبسط وقصير، مصنوع من الخشب الصلب ومطليّ بورنيش اللك الأسود أو الأحمر. وجلد الطبل مصنوع من جلد البقرة وقطره حوالي ٢٥ سم، وحين ضربه يوضع على حامل من البامبو، وهو يعتبر آلة موسيقية رئيسية لعزف موسيقى الراب "داقوشو" (الفن الفولكلوري في شمالي الصين).*

٨. ***بان قو:** من آلات النقر العالية النغمة، جسمه قصير وصغير وجلد الطبل مصنوع من جلد الحيوان السميك، ويضرب بعودين أو قصبتين من البامبو ، وهو يعزف لمصاحبة الحركات والوقفات للممثلين.*

٩. با جياو قو: نوع من آلات النقر له إطار ذو ثماني ضلوع، وشكله صغير ورقيق، وجلد الطبل مصنوعة من الجلد الحيواني، ويمكن عزف هذا الطبل بالضرب الخفيف أو بالهزّ.
١٠. دا بو: يسمى أيضا بـــ "شو قو"(طبل اليد)، وله إطار خشبي مستدير قطره ٤٠ سم، ويغطي سطحه الأعلى بالجلد الحيواني، وهناك عدد من الحلقات الحديدية مثبتة إلى الجدار الداخلي للإطار، وينتج النغمات بهزّ الطبل أو قرعه أو بهزّه وقرعه في آن واحد، ويستعمل لمصاحبة الغناء والرقص أو كجزء من الأداء الجماعي.
١١. لينغ قو: جسمه منبسط وإطاره إما مستدير أو ثماني الضلوع، وله عدد من الصنوج الصغيرة تثبت علي الإطار ويستعمل في أغلبية الأحيان لمصاحبة الغناء والرقص أو ألعاب الأطفال.
١٢. ساباي: نوع من آلة النقر، ويعزف عليه بأن يمسك العازف ساباي بيده اليمنى و يهزّه أو يضرب به ضرباً خفيفاً على يده اليسرى، وكتفه أو سائر أجزاء جسمه. ويستعمل عادة في مصاحبة الرقص.
١٣. مويوي: نوع من آلة النقر الخشبية، وقطره متوسط الحجم، يتراوح بين٧و١٦سم ، ويصنع من خشب التوت أو خشب التون الصيني على شكل يشبه سلحفاة، ويوجد تجويف في"المعدة" وتفتح فتحة في وسط رأسه. ويستعمل على نطاق واسع للأداء الجماعي الفولكلوري.
١٤. لو: نوع من آلات النقر البرونزية الصنع، تاريخها يفوق ٢٠٠٠ سنة، وله شكل مستدير مع سطح محدَّب، ويصدر صوت صاخب حينما يضرب سطحه بالمطرقة، ويستعمل على نطاق واسع في المهرجانات وأوركسترا الأوبرا لخلق جو مفعم بالإثارة والتشجيع أو لإعلان فاصل أو لتسارع الحركات أو احتدام وتوتر الأجواء في الأوبرات المحلية.
١٥. بو: من آلات النقر البرونزية الصنع، وهي مستديرة الشكل قطرها ما بين ٢٠ – ٣٥ سم، وفي وسطها جوء ناتئ. وفي كل طاقم قطعتان. تضرب بعضهما بعضاً، فينتج صوتاً صاخباً، وضجيجاً واضحاً، وتستعمل للأداء الجماعي الفولكلوري أو لمصاحبة الأوبرات المحلية أو الغناء والرقص.
١٦. لي هوا بيان: تتكون من صفيحتين حديديتين علي شكل نصف دائرة، ويصدر الصوت عن طريق إمساك هاتين الصفيحتين الحديدتين بين الأصبعين من اليد اليسرى وتضرب بعضهما بعضاً، ويستعمل لأداء الدور المصاحب لسرد قصة لي هوا قو، شاندونغ كوايشو، وبكين تشين شو وغيرها من الفنون الشعبية.
١٧. باي بان: نوع من آلات النقر، ويتألف من ثلاث مخشخشات تصنع من الخشب الصلب، وطولها حوالي ٢٧ سم، يستعمل العازف المخشخشات العليا والوسطى المرتبطة إحداهما بالأخري لضرب السفلى، وهو يستعمل على نطاق واسع في الأداء الجماعي الفولكلوري أو لمصاحبة الأوبرات المحلية.
١٨. يوين لو: نوع من آلات النقر البرونزية الصنع، يرجع تاريخها إلى أكثر من١٠٠٠عام، يتألف من ١٠ صنوج صغيرة، معلقة على حامل خشبي بالحبال الرقيقة، تضرب بالمطرقة، وتصدر أصواتا رنانة ويستعمل في أداء الطقوس الدينية، والأداء الجماعي.
١٩. جين قانغ لينغ: نوع من آلات النقر البرونزية الصنع، يبلغ ارتفاعه حوالي٢٠سم، وجسمه جرسي الشكل وله لسان برونزي معلق داخل الجرس، ويستعمل في ترتيلة اللاما أو الموسيقى البوذية.

رابعاً – الآلات الوترية

١. تشين مع ١٠ أوتار: هي آلة وترية تعزف بالنقر، يرجع تاريخها إلى أكثر من ٣٠٠٠ عام، وبها ١٠ أوتار .
٢. *سي هو: من الآلات الوترية التي تعزف بالقوس، ويبلغ طوله حوالي ٨٨ سم، ويصنع من الخشب، وله ٤ أوتار مع وترين لنفس النغمة، ويصاحب الراب الشعبي، والغناء والرقص الفولكلوري، بالإضافة الى مصاحبة الأوبرات المحلية.*
٣. أيجيك: آلة وترية تعزف بالقوس، وجسمها مصنوع من الخشب وتعزف لمصاحبة الأغاني المحلية وموسيقى الرقص.
٤. دي هو: آلة وترية تعزف بالقوس، تركيبها يشبه تركيب آلة الأرهو، وهي تصدر نغمات جشة وعميقةً، وتستعمل لعزف الأداء الجماعي للموسيقى القومية التقليدية.

٥. ليو تشين: من الآلات الوترية المعزوفة بالنقر والصغيرة الحجم وتستعمل لمصاحبة أوبرا ليو تشين المحلية تشبه "بي با" من حيث الشكل والتركيب والعزف، لها ثلاثة أوتار.

٦. راواب: آلة وترية تعزف بالنقر، مصنوعة من الخشب وصندوقها من الأمام مغطى بقطعة من الجلد الحيواني، ويبلغ طولها ١٣٠ سم مع وتر رئيسي و٤-٦ أوتار، وعلى عودها ٢٨ مشطاً مربوطاً بالأوتار الحريرية، وتستعمل للعزف المنفرد، والأداء الجماعي.

٧. *دونغ بولا: آلة وترية تعزف بالنقر، ويبلغ طولها بين ٨٠ -٩٠ سم، وتصنع من الخشب وبها وترين مصنوعة من أمعاء الخروف وعلى عودها ٨ - ١١ مشطاً مربوطاً بالأوتار.*

٨. *تشين: هي آلة وترية تعزف بالنقر، ظهرت من أكثر من ٣٠٠٠ عام، جسمها مصنوع من الخشب، وعند عزفها، توضَع على طاولة وتضغط اليد اليسرى الأوتار للحصول على نغمة بينما تنقر الأوتار باليد اليمنى.*

٩. *تشين تشين: نوع من الآلات الوترية التي تعزف بالنقر، ويبلغ طوله ٨٥ سم، وجسمه مصنوع من الخشب وعوده رقيق، به ٢١ مشطاً ترتَّب على أساس ١٢ نغمة ترتيباً متوسطاً، وله وتران أو أربعة أوتار ويعزف بإمساك الآلة باليد اليسرى وتنقر الأوتار بقطعة من الأداة (زنجير) باليد اليمنى، وكان يستعمل لعزف موسيقى قوانغدونغ، والآن يستعمل لمصاحبة الأوبرا المحلية أو لكونه جزءا من الأداء الجماعي التقليدي.*

ألحان الموسيقى الصينية التقليدية:

وتنقسم ألحان الموسيقى الصينية التقليدية إلى:

- الألحان المنفردة حيث أن لكل لحن منفرد مقام مستقل.
- مجموعة الألحان وترتبط بعدة مقامات للألحان ومقطوعة موسيقية مستقلة.

كما أن للألحان الموسيقية الصينية التقليدية أسماء حسب موضوعاتها، حيث أن بعض الأسماء ذات علاقة بمضمون الألحان، وبعضها الآخر ليست له علاقة بمضامين الموسيقى.

منذ العصر الحديث قام العاملون في قطاع الموسيقى بالتنظيم والترتيب والمعالجة والتغيير للألحان التقليدية باستمرار، مما جعلها أجمل وأفضل، وفي نفس الوقت ظهرت الكثير من الأعمال الجديدة. إلى جانب ذلك حقق الإصلاح الموسيقي ثمارا باستمرار، وحققت الآلات الموسيقية الصينية الحديثة تقدما كبيرا في توحيد اتساق النغمات وتحسين نوعيتها وزيادة قوتها وتسهيل تغيير الألحان وتعزيز النغمات المنخفضة، وظهر في العصر الحديث العزف الجماعي لأوركسترا الآلات الموسيقية التقليدية الكبيرة، مما جعل موسيقى الآلات الموسيقية التقليدية تشهد تطورا جديدا من حيث المضمون والشكل.

أنواع الألحان الموسيقية التقليدية الصينية

أولاً – من حيث التقليد:

١. **موسيقى "سي تشو"**: والمقصود بها موسيقى الآلات التقليدية الوترية حيث أن "سي" هي ترجمة للآلات الوترية التي تشمل الآلات الوترية النقرية والمشدودة، ويقصد بـ"تشو" الآلات النفخية. وهنا موسيقى "سي تشو" تكون آلة موسيقية واحدة أو آلتان من الآلات الوترية والنفخية نواة للفرقة الموسيقية، متعاونة مع الآلات الوترية والنفخية الأخرى والآلات النقرية المشدودة في العزف الجماعي. وتتميز موسيقى "سي تشو" بالدقة والنعومة والخفية، مع اتساق الأصوات بشكل قوي.

٢. **موسيقى "شيان سوه"**: والمقصود بها العزف الجماعي الذي تكون فيه الآلات الوترية عنصراً رئيسياً، وهي تتميز بالجمال والعاطفية والبساطة وتكون مناسبة للعرض داخل القاعات.

٣. **موسيقى "تشوي دا يويه"**: ويقصد بها العزف الجماعي للآلات الموسيقية الشعبية التي تتكون من الآلات النفخية والوترية أو من الآلات النفخية وحدها، وهي تتميز بالقوة وتكون مناسبة للعرض في الهواء الطلق للتعبير عن مشاعر الحماسة والفرحة.

٤. موسيقى "لوه قو": والمقصود بها العزف الجماعي لموسيقى الصنوج والطبول، وتتميز هذه الموسيقى باللون النغمي الوافر والإيقاع القوي، وتكون مناسبة للتعبير عن مشاهد الازدهار والفرح والنشاط، وتعرض في الهواء الطلق دائما.

ثانياً – وفقاً لمفهوم تنويع الآلات الموسيقية الحديث:

١. **موسيقى العزف المنفرد**: تطورت بدرجة عالية قبل أكثر من ٢٠٠٠ سنة بالصين. وتشترك فيها كل من آلات تشنغ وكونغهو ويوان وتشنغ وشياو ودي ولوقوان، وغيرها من الآلات الموسيقية تستخدم كآلات موسيقية للعزف المنفرد في التاريخ، ولا يوجد ثمة فرق واضح لألحان العزف المنفرد والعزف الجماعي، بمعنى أن أي لحن يمكن عرضه بالعزف المنفرد أو العزف الجماعي. وفي منتصف القرن الماضي، شهدت ألحان العزف المنفرد للآلات الموسيقية الصينية التقليدية تطوراً سريعاً، وظهرت مجموعة كبيرة من الألحان الجديدة المقتبسة من الألحان القديمة للعزف المنفرد، وفي نفس الوقت ارتفع مستوى الفن التعبيري للعزف المنفرد باستمرار، وظهر متخصصون في العزف المنفرد بالآلات الموسيقية المختلفة بلا انقطاع.

٢. **موسيقى العزف الجماعي**: كانت في الماضي تعتمد على عزف الآلات الموسيقية الشعبية ومرتبطة بالعادات والتقاليد. حيث أن العزف الجماعي عملي أكثر، فيستخدم دائماً في الأعياد ومناسبات الزفاف والشعائر الجنائزية واستقبال الآلهة والمسابقات وغيرها من المناسبات الجماهيرية والملكية والحكومية والطقوس الدينية.

٣. **موسيقى العزف المختلط**: وتعني اللحن الذي يجمع قسمين للصوت وأكثر، حيث يعزف العازف الواحد قسماً صوتياً واحداً فقط ، والألحان الحديثة تتميز بخصائص العزف المختلط.

٤. **موسيقى الأوركسترا التقليدية**: يقصد بها الموسيقى التي تطورت في العصر الحديث وتعرض بالعزف الجماعي لفرقة الأوركسترا الشاملة الحديثة. هي تتكون فيها الفرقة من أكثر من ٣٠ عازفاً، ومن الآلات النفخية والمضروبة والنقرية والمشدودة، ولكل منها مجموعة من الآلات ذات النغمات العالية والمتوسطة والمنخفضة الكاملة، فيمكنها أن تعزف عدداً من الأقسام الصوتية.

ومن خلال هذا العرض والتحليل للحضارتين تبين الآتي :

١. الصينيون والمصريون كانوا يعتقدون أن الموسيقى ما هي إلا من نظم الآلهة وأنها خلقت من أجل عبادتهم وخدمة طقوسهم الدينية.
٢. اتفقت تقاليد الحضارتين في البعد عن كل ما يتنافى مع أصول وتقاليد وقيم الشعب للخروج بأفضل طريقة لممارسة الموسيقى.
٣. اتفقت أيضاً فلسفة الحضارة الصينية مع فلسفة الحضارة المصرية القديمة في الربط بين علم الموسيقى وعلم الفلك، حيث أن كل منهما بنيت موسيقاها على التوافق بين الكواكب وحركة النجوم والأجرام السماوية والأرض وتعاقب الفصول.
٤. كما كان الكهنة القائمين على الشعائر والطقوس الدينية والعبادات في الحضارتين، يقومون بدور المنقح لكل ما هو جديد وما يجب أن يتعلمه الأطفال والشباب والكبار، حيث كانوا ينتقون الموسيقى جيدا ويراقبون نصوص الأغاني مع استبعاد ما لا يليق بتقاليدهم وعاداتهم
٥. وقد كان السلم الموسيقى الخماسي الدرجات مستخدماً في الحضارة الصينية وفي الحضارة المصرية القديمة في عهد الدولة المصرية القديمة والوسطى، ثم استخدم في الحضارتين السلم الموسيقي السباعي الدرجات.
٦. استمر السلم السباعي الدرجات في الحضارة المصرية القديمة حتى الآن، وندر استخدام السلم الخماسي، على العكس من الحضارة الصينية التي استمرت تستخدم السلم الخماسي حتى اليوم.
٧. أطلق الصينيون على درجات السلم الخماسي أسماء معينة حسب أهميتها فنجد: الدرجة الأولى وقد أطلق عليها اسم الإمبراطور نظراً لكونها الدرجة الأساسية في السلم الخماسي، والدرجة الثانية أطلق عليها اسم الوزير حيث أنها تلي

الدرجة الأولى في الأهمية، والدرجة الثالثة أطلق عليه اسم الشعب حيث أنها تتوسط الدرجات الخمس من السلم الموسيقي، والدرجة الرابعة أطلق عليها شئون الدولة، أما الدرجة الخامسة أطلق عليها الأشياء المادية.

٨. أطلق المصريون القدماء على درجات السلم الخماسي أسماء الكواكب الخمسة ، ثم زادوا عليها أسماء باقي الكواكب الأخرى لتصبح سبعة درجات بأسماء الكواكب السبعة الممثلة للسلم السباعي.

٩. استخدم الصينيون نوع من السلالم الموسيقية يسمى السلم الإثنى عشر تجمع في تكوينها درجات كاملة وأنصاف درجات، وقد قسموا هذه الأصوات إلى مجموعتين: المجموعة الأولى وتضم ستة أصوات من الدرجات الكاملة ويطلق عليها (ذكراً)، لأن الدرجات الكاملة تمثل الشمس والرجل، والمجموعة الثانية وتضم الستة أصوات الأخرى من أنصاف الدرجات ويطلق عليها (أنثى) لأنها درجاتها تمثل الأشياء الغير كاملة، والتي لا يمكن ان تستقل بنفسها كالقمر والمرأة، وقد رمزوا لهذا السلم حسب عدد الشهور إثنا عشر شهراً.

١٠. وقد اتفقت الحضارتين المصرية القديمة والصينية في أن بعض من الآلات الموسيقية القديمة كانت تستخدم لنقل وتبادل المعلومات الحياتية، كالخروج للحرب، ودق الأجراس عند سحب العسكريين من الميدان ، أو للإعلان عن وقت ما، وفي مصاحبتها للطقوس الدينية والاحتفالات القومية.

١١. كان مفهوم تكوين الفرق الموسيقية في الحضارة الصينية قائماً على العزف المنفرد والمزدوج والجماعي، أما مفهوم تكوين الفرق الموسيقية في الحضارة المصرية القديمة فكان يقوم على أن المغني هو العنصر الأساسي، وهو القائد للفرقة الموسيقية، وكان يصفق بيديه على الوحدة الزمنية، ويلوح أحياناً في الهواء حسب خطوات الانتقالات اللحنية للمقطوعة المغناة، كأنما يقود بذلك زملاؤه العازفين على الآلات الأخرى، إلى جانب تعبيره عن إحساسه وانفعاله وتأثره باللحن الذي يؤديه، وكانت الفرقة تتكون من: المغني + عازف الجنك (الصنج) + عازف الناي.(٥)

١٢. ما زال يستخدم الأسلوب المصري القديم في مصاحبة الفرقة الموسيقية بالتصفيق على زمن الوحدة الزمنية ، والإشارة في الهواء بالإنتقالات اللحنية للمقطوعة المغناة، حتى الآن في تدريس الموسيقى والغناء خصوصاً للأطفال، كأسلوب حديث في التربية الموسيقية، وهو يعتبر فن كتابة ورسم الموسيقى في الهواء حيث أن كل نغمة من درجات السلم الموسيقى لها حركة ووضع خاص باليد يتشكل ليبينها ويوضحها.

١٣. اتسمت الآلات الوترية الصينية ويطلق عليها أيضاص المشدودة (آرهو – جينغهو – تشونغهو – ماتوشين – قاوهو– بانهو) في الشكل العام وأسلوب العزف عليها مع اختلاف الأحجام وخامات التصنيع، بينما اتسمت الآلات الوترية المصرية القديمة بالتنوع في الشكل والحجم واسلوب العزف عليها وخامات تصنيعها فنجد هذا واضحاً في آلات (العود ذو الرقبة القصيرة – ذو الرقبة الطويلة – الكنارة – الجنك بأنواعه).

١٤. اتفقت آلات النفخ الصينية (شياو – ديتسي – باوو) مع آلة الناي المصرية القديمة القصيرة في الشكل وفي طريقة العزف، إلا أنها زادت في عدد الفتحات من ٤ – ٨ فتحات عن الناى المصري الذي تتراوح فتحاته من بين ٢ – ٤ فتحات.

١٥. اتفقت آلة (سونا) الصينية مع آلة البوق المصرية في الشكل وطريقة العزف، ولكنها امتازت بوجوت ٨ فتحات للعزف عليها أما البوق المصرية لا يوجد بها فتحات على الإطلاق.

١٦. يوجد آلات نفخ صينية لا يوجد نظير لها في آلات النفخ المصرية مثل (قوانتسي) ذات الريشة، (شيون)، (هولوسي).

١٧. يمكن أن نقول أن آلة (شنغ) الصينية تشبه المزمار المزدوج المصري في فكرة تزاوج الانابيب، ولكن المزمار المزدوج المصري له أنبوبتان فقط ، أما شنغ بها العديد من الأنابيب ذات الألسنة.

١٨. تعتبر الآلات المضروبة في الحضارة الصينية هي المقابلة للآلات الإيقاعية في الحضارة المصرية القديمة، وقد اشتركت الحضارتين في آلات الدفوف والطبول، وبا الصينية مقابل الكاسات المصرية، باختلاف أنواعها وأشكالها وأحجامها ومواد تصنيعها.

١٩. لا يوجد مثيل للسمكة الخشبية الصينية في الحضارة المصرية القديمة، ولا يوجد مثيـــل للمصـــفقات والشـــخاليل والسيستروم المصرية في الحضارة الصينية.

٢٠. وتشبه آلة (بيان تشونغ)الصينية الأجراس المصرية القديمة والتي تستخدم بكثرة في الكنائس حالياً.

٢١. يمكن أن نقول أن الآلات النقرية في الحضارة الصينية هي جزء من الآلات الوترية المصرية القديمة ولكن من المرجح أن يكون الصينيون أطلقوا عليها هذا الإسم نظراً لأنها تعزف بالنقر على الأوتار وليست بالقوس في الآلات الوترية المشدودة الصينية.

٢٢. وتشبه الآلات النقرية (يوان – سانشيان – بيبا – طنبور) الصينية آلات العود المصرية القديمة بـــاختلاف الشـــكل والحجم، بينما تشبه كل من آلتي (يانغتشين ، تشنغ)الصينية آلة القانون العربي، أما آلة (كونغهو) الصينية فهـــي آلة الجنك المصرية القديمة.

٢٣. اتسمت ألحان الموسيقى الصينية بأن لكل لحن منفرد مقام مستقل، الألحان وترتبط بعدة مقامات، وأن كل مقطوعة موسيقية مستقلة، كما أن للألحان الموسيقية الصينية أسماء حسب موضوعاتها، ولها علاقة بمضمون الألحان، وبعضها الآخر ليست له علاقة بمضامين الموسيقى، في حين كانت الألحان الموسيقية المصرية القديمة في عصر الدولتين القديمة والوسطى بسيطة ونطاقها الصوتى محدود النغمات، لذلك تميزت موسيقى تلك الفترة بأنهـــا ذات لـــون خافـــت، واتصفت بالهدوء والاعتدال، كما تميزت بالإيقاعات البطيئة المناسبة للموسيقى الدينية، والطقوس الجنائزيـــة الـــتى تميزت بالخشوع والوقار.

٢٤. في عصر الدولة المصرية الحديثة قديماً تعددت الوظائف الموسيقية والإدارية المشرفة عليها، كما أدى تواجد العنصـــر الآسيوى من الجنسين فى مجال الموسيقى والغناء في البلاط المصري القديم، إلى وجود فرقتان موسيقيتان ببلاط الملك، إحداهما مصرية والأخرى آشورية، مما كان له الثر على تبادل الخبرات الموسيقية ولكن في الحدود التي رسمها الكهنة.

٢٥. كان لتطور صناعة الآلات الموسيقية في عصر الدولة المصرية الحديثة قديماً، أثراً في زيادة المساحة الصوتية، واتســـاع الحركة اللحنية بين الحدة والغلظ ، واتسم طابع الموسيقى بالصخب والسرعة في الإيقاع والمبالغة.

نتائج البحث

توصلت الباحثة إلى النتائج والإجابة على تساؤلات البحث كالاتي:

١. الفرق بين طابع الموسيقى المصرية القديمة وطابع الموسيقى الصينية، والذي اتضح من خلال تميز الموسيقى الصينية بأن لكل لحن منفرد مقام مستقل، وأن الألحان ترتبط بعدة مقامات، في حين كانت الألحان الموسيقية المصرية القديمة في عصر الدولتين القديمة والوسطى اتسمت بالبساطة ونطاق صوتى محدود النغمات، لذلك كانت ذات لون خافـــت، وتتصف بالهدوء والاعتدال، على العكس من الدولة المصرية الحديثة قديماً التي اتسمت بالصخب، وزيادة المســـاحة الصوتية واتساع الحركة اللحنية بين الحدة والغلظ.

٢. اختلفت بعض الآلات الموسيقية المصرية القديمة مع الآلات الموسيقية الصينية في الشكل والصنع وطريقة العزف، كما اشتركت في بعض الآلات الآخرى في الشكل وطريقة العزف، ووجدت بعض الآلات التي تميزت بها كل حضـــارة عن الآخرى.

٣. استخدم المصريون نوعين من السلالم الموسيقية هما السلم الخماسي والسلم السباعي، واستمر السلم الســـباعي إلى الآن، بينما استخدم الصينيون ثلاثة أنواع من السلالم الموسيقية هم السلم الخماسي والسباعي والسلم الإثنا عشـــر، استمر منهم السلم الخماسي إلى الان.

٤. كانت طريقة الغناء المصري القديم تقوم على إشارات يد خاصة، وكانت قاصرة على وضع كف اليـــد اليســـرى للمغنى خلف صوان الأذن، وعلى الخد لتكبير الصوت الصادر وزيادة الإحساس بالرنين، ومازالت تستخدم حـــتى

اليوم بين المطربين والمنشدين وقارئى القرآن، أما عن الغناء الصيني فلم تتوصل الباحثة إلى شكل وكيفية أداء الغناء الصيني، وإن كانت الباحثة ترجح أن الحضارة الصينية القديمة كانت تستخدم المقطوعات الموسيقية أكثر من الغنائية.

٥. كان الإيقاع المصري القديم يتسم بالبطئ والخشوع والوقار، وهو ما كان مناسباً للموسيقى الدينية والطقوس الدينية في عصري الدولة القديمة والوسطى، أما في الدولة الحديثة اتسم بالسرعة والقوة ، أما عن الإيقاع الصيني فلم تذكر ما توصلت إليها الباحثة من مراجع وقراءات عن طابع الإيقاعات المستخدمة لديهم ، وإن كانت ترجح الباحثة أن الإيقاع المستخدم هو الإيقاع البطئ والهادئ نظراً لطبيعة الشعب الصيني من الهدوء والتانئ.

الرحلة العلمية الصينية إلي رواق الصين بالأزهر الشريف في ثلاثينيات القرن الماضي

مجاهد توفيق الجندي

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي المصطفي الكريم وعلي

أله وصحبه أجمعين ومن بذلوا الجهد في إقامة شعائر الدين ورضي الله عن صحابة رسول الله وعن التابعين وتابع التـابعين لهم بإحسان الي يوم الدين ورضي الله عن مشائخنا ووالدينا والحاضرين وجميع المسلمين آمين يارب العالمين. **وبعد**

فالأزهر الشريف الذي بناه الفاطميون سنة ثلاثمائة وتسعة وخمسون٣٥٩ هـ وصليت به أول جمعة في رمضان سنة ثلاثمائة وواحد وستون ٣٦١هـ وبدأت الدراسة به في عهد العزيز بالله الفاطمي بن المعز لدين الله الفاطمي بخمسة وثلاثين فقيها أو سبعة وثلاثين فقيها كانوا أول هيئة رسمية بدأت بهم الدراسة بالأزهر,بني لهم العزيز بيتا بجوار الأزهر الشريف ,كان يعتبر في ذلك الوقت أول إسكان جامعي في العالم ,وأجري عليهم الجرايات والأوقاف والجامكيات (المرتب الشهري) .

وهو بهذا يعتبر الطالب موظفا بالأزهر الشريف وظيفته طلب العلم بشرط ألا يشتغل بحرفة سواه ,فإذا إشتغل بما سوي العلم قطعت عنه الجرايات و المخصصات, وأرسل العزيز سفراءه وقصاده إلي الدول الإسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا أننا فتحنا جامعة إسلامية وبنينا بها مدينة جامعية .

حيث يعيش الطلاب في راحة وبحبوحة من العيش ,كل ذلك علي نفقة الأزهر الشريف ,فأتاه الطلاب ينسلون إليه من كل حدب وصوب ,تاركين الأهل والأوطان والخلان لينهلوا من فيض علوم الأزهر,والجلوس إلي شيوخه الأجلاء,وبني لهم العزيز بيوتا أخري هي التي أعتبرت فيما بعد أروقة الأزهر الشهيرة ,فكان لكل دولة من الدول رواقا خاصا بهم يجتمع فيه أبناء الجلدة الواحدة ,فهناك روا ق للحرمين الشريفين ورواق لأهل اليمن ...وثلا ثة أروقة للسودان (رواق دارفور والسنارية والبرابرة) ورواق صليح لأهل تشاد ورواق البرنو(غرب افريقيا)ورواق المغاربة (لأهل ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) ورواق الجبرت لأهل أثيوبيا والصومال وإريتريا ورواق الشوام لأهل فلسطين وسوريا ولبنان والاردن, ورواق البغادة لأهل بغداد ودول الخليج وقطر, ورواق الأكراد لشمال العراق وإيران ورواق السليمانية لأهل أفغانستان, ورواق الصين لأهل الصين وتركستان ...ورواق الأتراك لكل أقاليم الدولة العثمانية واسيا الوسطي والقوقاز وأهل أوربا واليونان والبلقان ورواق الهنود لأهل شبه القارة الهندية الباكستانية وسيلان وجزر المالديف, ولذلك يعتبر الأزهرهيئة أمم إسلامية قبل أن تقوم هيئة الأمم بأكثر من الف سنة فنجد فيه مثلا الطالب والشيخ الصيني والهندي والتركي واليوناني والبسنوي والهرسكي والشركسي والداغستاني والكرجي والقازاني والبشكيري والتتري والطاجيكي والأوزبكي والأيراني والبغدادي والألباني والكردي بجوار السوداني والأوغندي والأثيوبي والأريتري والكيني والتنزاني و الليبي والتونسي والجزائري والمراكشي .

وغيرهم كثيرون يعيشون في مكان واحد في أروقة الأزهر الشريف, كل طالب كان له جرايات ومخصصات يومية وجامكي(١)شهرية, فله علي سبيل المثال ثلاثة أرغفة من الخبز القرصة الجيد العلامة (الدقيق الفاخر) (٢) رغيف للفطور

---

(١) هي المرتب الشهري من النقود الذهبية والفضية والفلوس (وهي مصروف اليد الذي يعطيه الأب أو الأم لأبنائهم وهم ذاهبون إلي مدارسهم , فكأن الأزهر هو أبوهم وأمهم (الباحث)

(٢) وكان كل رغيف يساوي إثنا عشر رغيفا من خبز وزارة التموين المصرية ويشترط في الرغيف أن يكون كامل الإستدارة والسواء ليس به لبابة وكان للشيخ ضعف ما للطالب

وآخر للغداء وثالث للعشاء بالإضافة إلي الأرز الأبيض بالسمن البلدي واللحم الجاموسي في الغذاء ونص علي ذلـــك في الحجج الشرعية .

هذا وللطالب كسوتان: صيفية وشتوية فالشتوية تتكون من الملابس الصوفية الداكنة التي تجلب الدفء إلي طالب العلم .

أما الصيفية فتتكون من الملابس البيضاء من القطن التي تعكس أشعة الشمس وتخفف درجة الحرارة وعادة ما تتكون مـــن قفطان وجبة وقميص وسروال ومركوب من الجلد الطائفي أو الفاسي أو الفاقوسي وقلنسوة (غطاء للرأس) وشد (حزام) من الجلد به ثلاثة جيوب أحدها للدنانير الذهبية وآخر للدراهم الفضية وثالث للفلوس النحاسية كل ذلك كان علي نفقة الأزهر الشريف حتي الإناء الذي يأكل فيه والذي يطلقون عليه "السلطانية" كان نسبة إلي السلطان أي وقفا علي الطالب, أي أن الطالب لا يتحمل مليما ولا فلسا واحدا طيلة حياته الدراسية بالأزهر الشريف, وهناك أوقافا كثيرة موقوفة علـــي طلاب الأزهرالشريف, وقفها الخيرون من الخلفاء والسلاطين والأمراء والعلماء والأعيان والتجار والموســـرين مـــن ذوي الحيثيات, وقد أوقف الناس من العامة والخاصة نذورا من الحلوي والمشويات من اللحوم في مشـــطورمن الخبـــز,كـــانوا يوزعونه علي طلاب العلم ,كان يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان عندما كانوا يجلسون في حلقات العلم بالازهرالشريف وسارت الأروقة تعمل عملها في خدمة طلاب العلم ومساعدتهم حتي ضاقت عن آخرها فبنيت لهـــم مدينـــة البعـــوث الإسلامية علي النظم الحديثة في بناء المدن بها مياه كانت تسخن بالطاقة الشمسية في البداية وتتكون المدينة مـــن إحـــدي وأربعين عمارة ,في مدينتين صغري وكبري, الكبري بها ثلاث وثلاثون عمارة والصغري ثمانية مقسمة علي خمسة مناطق كل منطقة ثمانية عمارات وتتكون العمارة من خمسة طوابق :

الأول عادة مايكون مطابخ أو مطاعم أو نوادي أو مخازن والثاني والثالث والرابع سكن للطلاب ,وتتكون من عدة أجنحة الف وباء في الطابق الاول وفي الطابق الثاني ج و د وهاء و واو في الطابق الثالث أما الطـــابق الاخـــير فهـــو مغاســـل ومناشر,ولكل جناح من الأجنحة دورة مياه بها ثلاثة مراحيض وثلاثة أحواض وحمام ودش للإستحمام وبين الأجنحـــة صالة مذاكرة كبيرة مضاءة بالأنوار البيضاء ,وبها دواليب وأرفف لوضع الكتب وطاولات وكراسي للمذاكرة يجلس عليها الطلاب, وهناك حجرتين بجوار الصالة بها موقدين لعمل المشروبات الساخنة ,ونقل اليها طلاب الأروقة سنة ١٩٧١م وما بعدهاعلي دفعات ومراحل وأصبحت الأروقة أثرا من الآثار ومزارا من المزارات السياحية للأزهر الشريف .

العلاقات العربية الأسيوية :

لم تحظ العلاقات العربية والإسلامية مع آسيا بكثيرمن الدراسة والبحث والتوثيق ,وخاصة كيفية انتشار الدين الاسلامي في تلك المناطق ,والعلاقات السياسية مع الدولة الاسلامية بمختلف مراحلها ,وبعض ما وصل منها كان يعود الفضل فيه إلي ما دون في سجلات بعض تلك الدول الآسيوية .

وفي أول اتصال دبلوماسي حدث مبكرا في صدر الاسلام كان بين الخليفة الراشد "عثمان بن عفان" والصين حيث ورد في تاريخ السلالة الحاكمة للصين في ٣١هـــ/٦٥١م أن قصر "تانغ" استقبل سفيرا من بلاد تاشيه .وهو المصطلح الذي يطلقه الصينيون علي العرب , وبعدها بأربع سنوات عاد القصر الي استقبال سفيرآخر ذكرته المصادر الصينية بأنه (تانســـيموني) أي أمير المؤمنين .

وقد أرسلت الدولة الأموية سبع عشرة سفارة إلي عاصمة الصين, وأجري القائد العسكري لقاء مع قتيبة بن مسلم الباهلي لقاء للتفاوض مع إمبراطور الصين .لدخول أرض الصين سلما, كما أرسل العباسيون خمسة عشر سفارة إلي الصين , وأمد الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور إمبراطور الصين بأربعة آلاف فارس, لقمع تمرد ضابط يدعي "لوشان" .و يعرف

أن قائد البحرية الصينية في عهد "أسرة مينغ" عام ألف واربع مائة ميلادية كان مسلما من أصل عربي ويدعي الحاج جهان وقد اعتاد الصينيون علي لفظ اسمه (شينغ هو) ولقبوه أيضا (سمبوه تاي جهان) أي الحصن الكبير في بلاط منغ(١)

الإسلام والمسلمون في الصين :

تقع بلاد الصين في أقصي الشرق من القارة الآسيوية , ولذلك احتفظت بنوع من العزلة, وبقيت بمنأي نسبي عن غـــرب القارة , وما ظهر فيه من حضارت وثقافات ومع ذلك فقد إستطاع الإسلام أن ينفذ إلي تلك البلاد البعيدة, عن طريـــق وسط آسيا البري من جهة وحول القارة الآسيوية بالبحر من جهة أخري .

وكان الطريق البحري أهم كثيرا من الطريق البري في بلوغ المسلمين إلي بلاد الصين أول ما دخل حوالي منتصف القـــرن الثامن الميلادي,عندما قامت ثورة محلية في الصين فطلب إمبراطورها المعونة من خليفة المسلمين, فأرسل اليه هذا الاخـــير نجدة من أربعة آلاف مسلم واستقروا في الصين وكانوا نواة الجماعة الإسلامية فيها وفي أوائل القرن التاسع الميلادي اتفق العباسيون مع أباطرة الصين علي التعاون العسكري ضد قبائل التبت, الذين كانوا يغيرون علي طـــرق التجـــارة البريـــة ويقطعونها في وسط آسيا فاستقرت جماعة جديدة من المجاهدين العرب والمسلمين في شمال غرب الصين .

وبفتح الطرق البرية في القارة الآسيوية , انفتح الباب أمام الإسلام والمسلمين فساروا علي تلك الطرق ,وبلغوا رســـالتهم إلي بعض أهل الصين , واستقر التجار المسلمون في الصين الشمالية الغربية , وعرف المسلمون في الصين بلقب (تاتشـــي) وهو منحوت عن لفظ تاجر العربي, وبقي لهم هذا اللقب حتي القرن الثاني عشر الميلادي .

علي أن انتشار المسلمين بقي محدودا للغاية , حتي جاء العهد المغولي , فامتد سلطان المغول في القرن الثالث عشر وما بعده من شرق آسيا الي غربها, وفتحت الطرق علي نطاق واسع , واستتب الأمن , فهاجر كثير من المسلمين تجارا وقبائـــل , واستقروا في شمال غرب الصين , ولا سيما في مقاطعة "كانسو" حيث لا تزال توجد جماعات كبيرة منهم حـــتي اليـــوم .ونشط المسلمون في خدمة أباطرة المغول , فعملوا في التجارة والجيش ووظائف الحكومة , بل بلغ بعضهم مرتبة الوزارة أيام "بلاي خان" عاهل الصين المغولي العظيم , انتشر المسلمون في ذلك العهدعلي طول طرق التجارة الداخلية في بـــلاد الصين ذاتها , كما انتشرت جموعهم في اتجاه بكين شرقا أي إلي السهل الصيني العظيم من جهة , وفي اتجاه مقاطعة يونان في جنوب غرب الصين من جهة أخري , وكان انتشارهم في هذا الإتجاه الأخير علي يد قائد مسلم يدعي "سيد الجيل" , وهو الذي رأس قوة في أواسط القرن الثالث عشر , نشر بها سلطان خان الصين العظيم في تلك المقاطعة النائية , واستقر المسلمون هناك واختلطوا بالأهالي واندمجوا فيهم إلي حد ما .

وبعد العهد المغولي استمر انتشار المسلمين من وسط آسيا إلي شمال الصين وإلي بعض المقاطعات الخارجية ومنها منشوريا , حيث يقدر عددها الآن أكثر من ربع مليون , ومقاطعة منغوليا الداخلية التي تقع إلي شمال السهل الصيني العظيم .

كل هذا عن انتشار الإسلام في شمال الصين وغربها أماعن وصول الإسلام بالبحرإلي جنوب شرق الصين , فان قصـــته لا تخلو من طرافة , ومن المعروف أن الملاحين العرب والرَيسْ كانوا علي اتصال بسواحل الصين منذ العهد السابق للإسلام , بل منذ القرن الثالث والرابع الميلادي علي أقل تقدير فلما ظهرالإسلام نقل أولئك الملاحون الذين جاءوا علي الأخـــص من الخليج الفارسي نقلوا معالم الإسلام والثقافة الإسلامية والعربية الي بعض موانئ الصين الجنوبية أولاً , ومن ثم في الوسط وعند مصب نهر "يانج تسي" بعد ذلك , ومع أن عدد المسلمين في الموانئ الصينية الجنوبية والوسطي ومنـــها "كـــانتون" وموانئ أخري قديمة في شمالها, كان شمالها قليلا نسبيا , فإنهم احتفظوا بطابع ثقافتهم الإسلامي والعربي والفارسي , وكان

---

(١) أولياء الشرق البعيد رواية تاريخية حول كيفية انتشار الاسلام في ارخبيل الملايو تاليف دكتور بشار الجعفري سفير سوريا الدائم لدي الامم المتحدة جنيف عرض : ابراهيم المليفي مجلة العربي ١٨٦ العدد ٥٩٣ ابريل ٢٠٠٨

أباطرة الصين علي الجملة يحمونهم ويشجعون علي إقامتهم لما لهم من نشاط نافع في ميدان التجارة , فكـــان المســـلمون يقيمون في أحياء خاصة بهم في موانئ الصين , وكان لكل جماعة منهم قاض يفصل في أمورهم الدينيـــة والإجتماعيـــة , وبعض أمورهم المدنية, مما يدل علي تمتعهم إذ ذاك بكثير من مزايا الاستقلال الداخلي . ولقد زار ابن بطوطة في القـــرن الرابع عشر الميلادي بعض موانئ الصين حيث يقيم المسلمون , وورد في كتاباته وصف شائق لحياة أولئك المسلمين هناك ومنها ما ذكره عن زيارته لميناء قديم يعرف باسم ميناء مدينة الزيتون , وهذه المدينة ليس بها زيتون , ولا بجميـــع بـــلاد الصين. وفي يوم وصولي جاء إلي قاضي المسلمين "تاج الدين الأردويلي" , وهم من الأفاضل الكرماء , وشيخ الإســـلام "كمال الدين الأصفهاني" , وهو من الصلحاء وجاء إليّ كبار التجار , وهؤلاء التجار لسكناهم في بلاد الكفار, إذا قدم عليهم المسلم فرحوا به أشد الفرح, وقالوا جاء من أرض الإسلام , ويعطونه زكوات أموالهم فيعود غنيا كواحد منهم

علي أن أقوال ابن بطوطة إن دلت علي استقرار المسلمين في موانئ الصين وأمانهم فيها , فإنها تدل علي أن المسلمين الذين وفدوا إلي الصين بالبحر بقوا مدة طويلة شبه غرباء في موانيها فلم يختلطوا بأهلها إلا قليلا , ولم ينشروا الإسلام في ربوعها البحرية . ويبدو أنهم بقوا علي ما يشبه تلك الحال من بعض الوجوه حتي عهدنا الحديث , حيث لا تزال جماعة المسلمين تمثل أقليات ضئيلة في بعض مواني الساحل وذلك كله بخلاف الحال في شمال الصين وغربها حيث تكثر جماعات المسلمين وتتداخل حياتهم ومصالحهم بالحياة اليومية والمصالح العامة , حيث يعتبر المسلمون جزءا لا يتجزأ من الشـــعب الصـــيني , ورغم أن عدد المسلمين في الصين الداخلية لا يزيد علي حوالي خمسة عشر مليونا موزعين بين مقاطعة كانسو وما جاورها ومقاطعة "سينكيانج" في حوض تاؤين ومقاطعة يونان في الجنوب الغربي , وبعض الجهات في الســـهل الصـــيني العظـــيم وأطراف سهل منشوريا في أقصي الشمال . اما في المواني فلا تزال الأقليات المسلمة قليلة العدد , وتعمل في التجـــارة لا سيما بين الصين وجزر الهند الشرقية . وتقدر جالية "كانتون" بنحو أربعين ألفا .

ويبدو موقع الصين علي الخرائط الصينية منذ قديم الزمان مناقضا تماما مع موقعها للخرائط المألوفة لدينا في المشرق العـــربي وكل الخرائط الجغرافية الغربية علي الخريطة الجغرافية الصينية ,تحتل الصين قلب العالم والغرب منها يمثل الجزء الغربي مـــن قارة آسيا وقارتا أفريقيا وأوربا وصولا إلي المحيط الاطلسي الذي هو أقصي الغرب بالنسبة إلي الصين بينما إلي الشرق يقع أقصي الجزء الشرقي ثم العالم الجديد الأمريكتان , بل إن كلمة الصين باللغة الصينية "تشنغكو" تعني الدولـــة الوســـطي أوالمركز, ومن هنا جاء إسم المملكة الوسطي الذي شاع في الكتابات الغربية إشارة إلي الصين, وقد ظل الصينيون زمنـــا طويلا , منذما قبل عصر معلم الصين وفيلسوفها العظيم كنفشيوس (٥٥١ق م) يعتقدون أن الصين هي العالم .

وقد ظلت الصين في ذاكرة شعوب كثيرة بلادا بعيدة وإلي حد كبير عجيبة , ولكن بالنسبة للعرب كانت الصين قديما , بالرغم من بعد المسافة / بلادا قريبة وجدانيا ومعرفيا (اطلبوا العلم ولو في الصين) وعلي الجانب الآخر من الخريطة الصينية , كانت بلاد العرب تقع ضمن المناطق الغربية وهذا مصطلح صيني وكان يطلق علي مساحات شاسعة تمتد من منـــاطق الصين الحدودية الغربية وتشمل كل آسيا الوسطي والهند وصولا إلي المنطقة العربية وما ورائها .ودليل ذلك أن واحدة من أشهر الكلاسيكيات الأدبية , وهي رواية (رحلة إلي الغرب التي تترجم أحيانا) الحج إلي الغرب تتحدث عن رحلة راهب بوذي الي الهند لاحضار الأسفار البوذية , فالهند كانت بالنسبة إلي الصين هي الغرب ,ولهذا فإن أخطاء جسيمة تقـــع في ترجمات المخطوطات والكتب الصينية القديمة التي تتحدث عن الصين والغرب, فالمقصود ليس الغرب بالمعني الشائع حاليا , وإنما المناطق الواقعة غربي الصين والممتدة من حدودها الغربية حتي الساحل الغربي من ساحل الأبيض المتوسط .

وفي زمن أسرة "تانغ" (٦١٨إلي ٩٠٧م) شاهدت الصين تطورا وازدهارا في القدرات الملاحية , فوصلت السفن الصينية إلي شواطئ الجزيرة العربية , فعرف أبناء الجزيرة السفن الصينية وصاروا يستخدمونها .

وفي فترة أسرة "سونغ"عام(٩٦٠ -١٢٧٩م) وصلت السفن الصينية إلي شواطي قارة أفريقيـــا وقـــد بـــدأ الصـــينيون يستخدمون البوصلة في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي, فأحدثوا بذلك قفزة نوعية في الملاحة البحرية , وعزز ذلـــك

مهارتهم في صناعة السفن, ففي فترة أسرة "يوان" (١٢٧١-١٣٦٨م) كان الأوربيون يستخدمون السفن الصينية , ثم جاءت فترة أسرة "مينغ" (١٣٦٨-١٦٤٤م) التي سجلت أشهر الرحلات البحرية الصينية التي قادها الأدميرال المسلم أمير البحر "تشنغ خه" في خضم المحيط الهندي ووصلت إلي أصقاع عديدة في آسيا وأفريقيا وكان يحمل في رحلاته طلاب العلم في البحر الأحمر إلي الأزهر غالباً (١).

ويرجع تاريخ التواصل بين الصين وشبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة لها (مصروسوريا والعراق) إلي ما قبل الميلاد , فحسب السجلات التاريخية بعثت الصين أول مبعوث لها إلي مصر في سنة سبع وثلاثين ومائة قبل الميلاد والأسكندرية هي أول مدينة في أفريقيا ورد ذكرها في السجلات التاريخية الصينية وقد ورد اسم مصر

في المؤلفا ت الصينية في كتاب (تاريخ منغ)- سجلات المناطق الغربية بإسم "ميصور" وهي ترجمة صوتية لإسم "مصر" باللغة العربية بإعتبار أن هذه الكتب كلها كانت بعد الفتح الإسلامي لمصر.

وفي العام الأول من فترة "يونغ تنغ" من عهد الإمبراطور "أن دي" من أسرة "هان" ١٢٠م وصل إلي الصين مبعثون من(تياو تشي) لتقديم هدايا إلي إمبراطورالصين, هذه التبادلات عبدت طريقا عرفه التاريخ بإسم (طريق الحرير البري) والحقيقية أن هذا الطريق لم يكن دربا واحدا وإنما مسارات عديدة إلي جهات شتي منطلقة إلي الصين في اتجاه المناطق الواقعة غربها وأتفق علي تسميتها جميعا بهذا الإسم.

وكان **البحر الأحمر**أهم طريق للمواصلات البحرية بين الشرق والغرب , حيث كان هناك طريقا تجاريا يصل بين شاطئه الغربي وميناء الأسكندرية, كانت البضائع الصينية تصل إلي مدخل البحر الأحمر والخليج, ثم تنقل إلي مصر ومنها إلي أوروبا , وكان للتجار المصريين دورا بالغ الأهمية في فتح الأسواق أمام البضائع الصينية, وقد امتلك المصريون أساطيل تجارية عملت في البحر الأحمر والمحيط الهندي .

وقد اتسعت دائرة شبكاتهم التجارية حتي شملت الجزء الجنوبي من الصين , وكان التجار المصريون يقومون بتجارة الترانزيت إلي جانب إستيراد البضائع من الصين مباشرة وكان الحرير الصيني مصدرا مهما للمواد الخام, التي استخدمت في صناعة الغزل والنسيج في مصر في العصور القديمة, فقد كانت ملابس كليوبترا تنسج من الحرير الصيني, وكانت أواني الخزف الصيني هي ثاني أكبر صادرات الصين إلي مصر بعد الحرير .

وفي سنة ٦٣١م , مع بزوغ شمس الدعوة الإسلامية , شهدت جزيرة العرب والمناطق المجاورة لها بزوغ فجر جديد , وبعد قرن ونصف من ذلك كان سلطان الدولة الاسلامية قد وصل إلي الحدود الشمالية الغربية لإمبراطورية "تانغ" الصينية .

وقد قال "الخليفة العباسي المنصور"عندما إتخذ بغداد عاصمة له سنة ٧٦٢م (هذة دجلة :ليس بيننا وبين الصين شئ , ياتينا منها كل ما في البحر)

وكانت حكومة الإمبراطورية الصينية, تعامل من يأتي إلي الصين من بلاد العرب والبلدان الأخري من رسل وتجار معاملة حسنة , وتقابل ما يعتنقونة من الأديان بالإحترام التام .

وقد جاء في المصادر التاريخية الصينية أن (سلطان "داشي" أي الدولة العربية) أرسل مبعوثا إلي الصين بهدية من الدرر واللآلىء في السنة الأولي من فترة "تشنقوان" (٦٢٧-٧٤٩م) وفي تلك الفترة دخل الأسلام إلي الشمال عن (طريق الحرير البحري) .

---

(١) الدكتور سليمان حزين الإسلام والمسلمون في الصين ص ٢١١-٢١٢-٢١٣ من كتاب "إسلاميات" الناشر مودي جرافيك للنشر ١٩٩٠م.

وبدأت مرحلة جديدة في العلاقات الصينية الإسلامية العربية مرحلة أثمرت أجيالا من الصينيين المســـلمين ذوي الأصـــول العربية والوسط آسياوية, كانت لهم إسهاماتهم العلمية والتقنية والفنية في تاريخ الصين , نذكر منهم: الفلكي جمال الدين الذي بعث به "هولاكو" من منطقة مراغة الواقعة في غرب إيران أرسله إلي الصين للعمل فيها , فحمل معه كتاب (جامع المبادئ والغايات في علم الميقات) للفلكي العربي "علي الحسن بن علي المراكشي" .

وفي سنة ١٢٦٧م رفع جمال الدين إلي بلاط "يوان" التقويم الدائم الذي اعتمد فيه علي التقويم العربي وتم اقراره والعمل به لفترة .

وفي العام نفسه أنشأ "جمال الدين" مرصدا في بكين

وهناك أيضا السيد الأجل "شمس الدين" المعروف صينيا باسم "شمس الدين تاي يان" , والذي يقال إن أصوله تعـــود إلي جزيرة العرب بل إلي الأسرة الهاشمية.

وقد تولي شمس الدين هذا القضاء في دلاو(بكين) لفترة , قبل أن يعين واليا علي منطقة "يونان" في جنوب غربي الصـــين ومنهم "تشنغ خه" الصيني المسلم "الذي أشرنا إليه" والذي قاد سبع رحلات بحرية في المحيط الهندي حتي وصل شـــواطئ أفريقيا والبحر الأحمر(١)

كذلك الإمبراطور الثالث لأسرة منغ كان إسمه (ماهو) وقد أعطاه أبواه هذا الإسم تيمنا برسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام كان أبوه وجده مسلمين وأديا فريضة الحج .

حكايات رحلة الحج الطويلة التي سمعها من والده, وما لاقاه الأب من مشقات وعناء, وما رآه من بلدان وبشر ومعالم, وما أحس به من مشاعر وهوفي الأراضي المقدسة , كلها أسباب جعلت الطفل "ما هو" يتشوق لتلك الرحلة ويتمني لو أنه اســـتطاع أن يقوم بها.

وقد جاء في وصف "تشنغ خه" أنه كان سريع البديهة طويلا عظيم البنية ذا ملامح واضحة يخطو مثل النمر, صوته عـــالٍ وقوي وهذه الصفات تتفق مع ما حدده العلماء لسمات العبقرية, لقد ولد في مقاطعة "يونان" تلك البقعة التي أنجبت أعظم علماء الإسلام وشهدت أكثر الأحداث الإسلامية فخرا ومرارة أيضا في تاريخ الصين , فهي المقاطعة التي تحتضن "مدرسة منجدة الإسلامية" التي أرسلت دفعتين من طلابها في ثلاثنيات القرن العشرين للدراسة بالأزهر الشريف , وكان من بينهم مايون تنغ ومحمد مكين محيان وناشيون وعبدالرحمن ماوتشونغ, وهي المنطقة التي تعتز بحاكمها في فترة أسرة يوان المســـلم ذي الأصول العربية, السيد الأجل شمس الدين المعروف صينيا بإسم شمس الدين سايان, والذي تذهب بعض الكتابات إلي أنه من آل بيت الرسول محمد صلي الله عليه وسلم(٢).

العلاقات الثقافية بين الصين والأزهر:

إن العلاقة بين الصين ومصر قديمة بطريق غير مباشر, أما العلاقة المباشرة فقد بدأت من الشيخ "يوسف مانيه سين" الذي ذكر في كتابه (رحلة الحج) أنه جاء إلي مصر بعد الحج عن طريق البحر الأحمر . ونزل في ميناء القصير ومنها إلي قنا ثم أسيوط وأخيرا إلي القاهرة , ومكث بها سنة أو أكثر قليلا وذلك في سنة ١٢٥٦ هــــــ .

---

(١) حسين إسماعيل: "تشنغ خه" أمير البحر الصيني المسلم صفحة ١٦٠وما بعدها من كتاب العرب يتجهون شرقا كتاب العربي رقم ٨٥ يوليو ٢٠١١م

(٢)المرجع السابق نفسه صفحة ١٧٣ وما بعدها.

وزار الإمام "الحاج عبد الرحمن وان خوزان" مع مريده الحاج "سليمان ماتاي باو" البلاد المصرية العزيزة, قال: فمكثنا فيها مدة قليلة, وذلك في سنة ١٩٠١م . ثم زار مصر العالمان الصينيان "هلال الدين خاتاي تشنغ" والشيخ "أبو بكر الصديق بن عبد الله شودتسي بين" في ١٩٠٩م.

ثم جاء إسماعيل (جاو تشنغ سينغ) الملقب "بجاي شو جاو" لأنه من أهل جيشوا في مقاطعة كانسو, وقد أنتسب إلي الأزهر الشريف فتبعه قاسم "ماكي تنغ" بالأزهر والتحق في سنة ١٩٢٢م وهو من مدينة (سينغ – ان) مقاطعة شينسي .

ثم جاء العالم "سعيد الياس وان وين تسيغ" مع تلميذه "نعمة الله ماهونغ تاو" ومكث في مصر مدة , ثم سافر إلي تركيا وذلك في سنة ١٩١٩م .

رواق الصين في الأزهر الشريف

البعثات العلمية في ثلاثينيات القرن الماضي

لما طلبت جمعية التقدم الإسلامية الصينية في مقاطعة يونان سنة١٩٣٠م طلبت من الجامع الازهر أن تبعث إليه ببعثة , وقَبِلَ الأزهر وجاءت البعثة الأولي في يوم ٢٠ من شهر ديسمبر سنة ١٩٣١م , وكان رئيسها الشيخ **محمد إبراهيم شاكوجين** الذي كان شيخ رواق الصين الأو ل وأعضاؤها أربعة من مقاطعة يونان :

١– محمد ماكين الذي نقل الكتب العربية والإنجليزية إلي اللغة الصينية منها كتاب (رسالة التوحيد) وكتاب(الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للشيخ الإمام محمد عبده , وكتاب (حقيقة الديانة الإسلامية) للأستاذ حسين الجسر, وكتاب (تاريخ التعليم الإسلامي الإنجليزي) .وترجم كتاب الحوار ل(كونفشيوس) إلي العربية وألف كتاب "تاريخ الإسلام وأحوال المسلمين في الصين" بلغة الضاد .

٢– يوسف جنغ يوجنغ من مقاطعة يونان .

٣–عبد الرحمن ناجون من مقاطعة يونان وترجم كتاب (دين الإسلام)للمشايخ حسن منصور وعبد الوهاب خير الدين ومصطفي عناني , وكتاب فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين بك إلي اللغة الصينية .

٤– سعيد لين جونغ من مقاطعة يوزنان أيضا وترجم كتاب دروس الدين الاسلامي للأستاذ محي الدين الخياط رحمه الله إلي اللغة الصينية , وكتاب(عظمة شيانغ كاي شيك) إلي اللغة العربية

فلما إنتسبت البعثة الأولي أكرمتهم مشيخة الأزهر إكراما لا مزيد عليه وأنشأت لهم رواقا في الازهر الشريف وعُين الأساتذة الخواص ليذاكروا لهم في منزلهم اللغة العربية والعلوم الدينية(١)

البعثة الثانية

فقد وصلت إلي مصر في ديسمبر١٩٣٢م وكان أعضاؤها **خمسة طلاب** يشرف عليهم الشيخ **عبد الرحيم ماسونتين** وهم :

١–علي خان هونغ كوي المغفور له من مقاطعة "تشان تونغ".

٢– **سعد وان شيمين** من مدينة "تيان تسين" الذي ترجم أحوال البلاد الإسلامية باللغة الصينية .

---

(١) محمد تواضع رئيس البعثات الصينية بالأ زهر الشريف الصين والإسلام دار الطباعة والنشرالإسلامية للإخوان المسلمين صفحة ٩٦, ٩٧ وكان ذلك في عهد الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر (١٩٢٩: ١٩٣٥م) وملف الشيخ محمد تواضع بالأزهر الشريف أوراق من ملفه في آخرهذا البحث وصورة الشيخ الظواهري مع أعضاء بعثة الصين.

٣- **إسماعيل ماجين وان** من مقاطعة تشان تونغ وترجم كتابا لفخر الدين الرازي في سفر المسلمين وغيرهم , وكتاب (البحث عن الله)بقلم السوري ,

ورسالة (السيرة المحمدية) للأستاذ محمد فريد وجدي إلي اللغة الصينية .ورواية(الوطن فوق الجميع) إلي اللغة العربية وغيرها .

٤-سليمان جنغ بنغ دا من مقاطعة هونان وقد كتب رسالة بعثة الإخاء الإسلامية إلي العالم الإسلامي باللغة العربية .

٥-شعيب جين تيان كويه من مقاطعة تشان كونغ (غفر الله له) وترجم المشتاق في الفقة إلي اللغة الصينية .

البعثة الثالثة

وصلت إلي القاهرة في يوم ٢٠مارس ١٩٣٤م

وتتكون من ثلاثة أعضاء وهم :

١- يونس لير تشينغ هوا: من مقاطعة يونان , وترجم كتاب "كليلة ودمنة" إلي اللغة الصينية .

٢**- نور محمد ناهين** من مقاطعة يونان وترجم كتاب "ألف ليلة وليلة" وكتاب "تاريخ فلاسفة الاسلام" للأستاذ محمد لطفي جمعة وكتاب "مجدولين" للأستاذ "مصطفي لطفي المنفلوطي" إلي اللغة الصينية وكتاب(لوي يو)الرواية الصينية للأستاذ "تشاو يو" إلي اللغة العربية .

٣- **موسي ماجين واو** من مقاطعة يونان وترجم كتاب (الأيام) "لطه حسين" بك و"القصص العربية| " للأستاذ كامل كيلاني, وبعض الروايات لمحمود تيمور بك إلي الصينية و"تاريخ الحركة النسائية المصرية" للسيدة "هدي شعراوي" وكتاب "مقتطفات الشعر المصرية الحديثة" لأمير الشعراء "أحمد شوقي بك"

البعثة الرابعة

وصلت إلي القاهرة في اليوم التاسع عشر من مايو ١٩٣٤م وكان عددهم خمسة وهم :

١- **محمد ناصر الدين جين تسي يان** من مقاطعة تشان تونغ .

٢- **داود تنغ تشونغ مين** من مقاطعة كونان .

٣- **عثمان لين شنغ تشانغ** من مقاطعة يونان ترجم كتاب "الميراث في الشريعة الاسلامية" للشيخ "عبد المتعال الصعيدي" .

٤- **أبو بكر خوغين جين من** مقاطعة كيانغ سو , وقد الف كتا ب "الحرب الصينية اليابانية" و"الحرب الدفاعية المقدسة" وترجم كتاب "تاريخ الإسلام في الصين" للأستاذ "محمد مكين" إلي الصينية .

٥- **لقمان مايوليان** من مقاطعة يونان .

البعثة الخامسة

تتكون من فرد واحد وهو **الشيخ بدر الدين** الذي وصل الي مصر في سنة ١٩٣٤م من مقاطعة خو نان الجنوبية وقد ألف كتاب (العلاقات بين العرب والصين) وكتاب(الإسلام وتركستان الصينية) بالعربية , (ومسلموا الصين بالأوردية)

وقد نقل كتاب(الوحي المحمدي) للشيخ "محمد رشيد رضا" غفر الله له وكتاب (الاسلام في العالم) الإنجليزي للدكتور "زكي علي" , وكتاب (تمدن عرب الأوردي) إلي اللغة الصينية , ونقل كتاب(بلادي وأهل بلادي) الصيني وصاحبة القيثارة الي اللغة العربية .

البعثة الفاروقية:

عندما هنأ الناس والشيخ عبد الرحيم ماسونتين جلالة الملك فاروق الاول ملك مصر عن المسلمين الصينين في كلمة ألقاها في عيد الجلوس الملكي سنة ١٩٣٦م طلب من جلالته أن تبعث الصين بعثة جديدة إلي الأزهر الشريف .

فتفضل جلالته بإيفاد بعثة من أبناء الصين علي (نفقته الخاصة) كان عددهم عشرون طالبا, رتب لكل منهم ثلاثة جنيهات مصرية كل شهر,ولما رجع الشيخ عبد الرحيم إلي الصين أنشأ لجنة خاصة لإمتحان أعضاء البعثة واختيارهم فإنتهي الإمتحان عندما قام اليابانيون بالحرب الإستعمارية علي الصين, فلم يكن بالإمكان جمع أكثر من خمسة عشر طالبا غير رئيسهم محمد تواضع, لأنهم كانوا متفرقين في جميع أنحاء الصين وقد وصلت هذه البعثة الي مصر في يوم ٢٣مارس ١٩٣٨وهم :

١- **محمد تواضع بنغ** من مقاطعة هونان الذي نقل كتاب (التشريع الاسلامي) للأستاذ "محمد الخضري بك" وكتاب (مناهل العرفان في علوم القران) للشيخ "محمد عبد العظيم الزرقاني الجعفراوي" , ورسالة (الكلام والمتكلمون) للأستاذ "محمد غلاب" وكتاب(علوم الحديث) و(رسالة التجديد والمجددون) للشيخ السيد عفيفي إلي الصينية كما ألف كتاب(الصين والإسلام) مرجعنا هذا .

٢- **عبدالله ماجي كومان** مقاطعة زيتشوان وقد نقل كتاب "الصين وفنون الإسلام" للأستاذ زكي محمد حسن ومقالات الدكتور"عبد الوهاب عزام" بعنوان(أخلاق القرآن) ومقالات للأستاذعبد الرزاق (الطابور الخامس في القرآن) إلي الصينية , ونقل (النطار) القصص الصينية إلي العربية , وقد كتب المقالات الكثيرة .

٣- **محمد حنفي ماخون يي** من مقاطعة تشانسيو وقد نقل كتاب(صفوة صحيح البخاري) للشيخ "عبد الجليل عيسي أبو النصر" , وكتاب تجديد الأزهر للأستاذ محمد خالد حسنين بك إلي اللغة الصينية

٤- **نور الدين جنغ خوان طاي** من مقاطعة يونان وقد نقل كتاب "الإسلام" للأستاذ محمد أبو بكر إبراهيم أبو بكر وغيره ملخصاً , وكتاب "حضارة مصرالحديثة" للأستاذ "فؤاد بك أباظة" الي اللغة الصينية .

٥- **إبراهيم هنغ جين تسنونغ** من مقاطعة كانتون وقد نقل كتاب "الإسلام" للأستاذ "فتحي زغلول" , وكتاب الخلفاء الراشدين للشيخ عبد الوهاب النجارغفر الله له وكتاب "الميراث في الشريعة الاسلامية" للشيخ "عبد المتعال الصعيدي" , وكتاب التاريخ الإسلامي المقرر علي المعاهد الثانوية الأزهرية.

٦-عبد العزيز عاشور جنكيز خان من مقاطعة "سينكيانغ" وقد ألف الكتب الآتية :

١- تيغ تركاني برجاكر قديناي باللغة الفارسية للرد علي الفرقة القديانية , وقد طبع في الهند١٩٣٥م .

٢- أويغور صرفي في علم صرف اللغة التركية باللغة التركية , وقد طبع في مصر سنة ١٩٣٧م

٣- اركين تركستان تاريخ التركستان باللغة التركية .

٤- (**توركجحة تجويد**) في علم التجويد بالتركية **٥-** (**اولوغ تركستان**) الجغرافيا الطبيعية للتركستان بالتركية .

٦- (**تركستان الخالدة**) تاريخ التركستان بالعربية .

٧- (**جنكين نامة**) أشعار في حب الوطن بالتركية .

٨- (**إيغار نحوي**) في علم النحو بالتركية .

٩- (**توركشة قوران**) ترجمة القران بالتركية .

١٠- **احمد جنغ وين دا** من مقاطعة شان تونغ .

١١- **رضوان ليو لين تشوي** من مقاطعة هاو جوي.

١٢- **محمود ماوي جي** من مقاطعة هو جوي .

١٣- **عيسي يانغ يو يي** .

١٤- **سليمان وان تشي تسنغ** .

١٥- **يوسف لي هونغ تسنغ** من بيكين .

١٦- **صالح دنغ زياي تسين** من مقاطعة تشاهار .

١٧-**نعمة الله جين موتشوان** من مقاطعة تشانتونغ

١٨- **عثمان فان خوقو** من مقاطعة هونان .

١٩- **عبد الغفورعطا الله** من مقاطعة "سينكينغ" (تركستان الصينية) .

البعثات التعارفية

زار الشيخ **عبد الرحيم ماسونتين** مصر في سنة ١٩٣٢م مع الاستاذين **عبد الله الصديق جاوبين** محرر مجلة نظارة الهلال الاسلامية سابقا , **ولقمان جنغ تشوي جي** مندوبي جمعية التقدم الاسلامية , لتوطيد العلاقات الروحية وتوثيق أواصر المودة بين مسلمي الصين ومسلمي مصر , تشرف بمقابلة المغفور له جلالة الملك الراحل فؤاد الأول طالبين منه المساعدة علي نشر الثقافة الإسلامية في الصين فأصدر جلالته الأمر بإرسال بعثة من الأزهر الشريف إلي الصين(١)و كانت البعثة مؤلفة من الشيخين الجليلين الشيخ **محمد السيد الدالي** والشيخ **إبراهيم فليفل**(٢)

وقد وصلا إلي الصين في شهرأغسطس١٩٣٣م .

وكانا كلاهما يدرسان اللغة العربية والعلوم الدينية في مدرسة جندا للمعلمين ببكين كما أمر جلالته بإهداء مجموعة حسنة من الكتب العربية والدينية للمسلمين في الصين ليستفيدوا منها .

وهذه المجموعة كانت هي الباعث الأول علي الإلتفات إلي الثقافة الإسلامية عند غير المسلمين في الصين, وكانت ايضا الباعث للتربية الإسلامية عند المسلمين في الصين أنشأوا مكتبة تم بناؤها في سنة ١٩٣٠م وأطلقوا عليها اسم (مكتبة فؤاد الأول) تحمل ذكري هذه الأيادي البيضاء.

ثم زار **الشيخ عبد الرحيم مازونتين** مصر في سنة ١٩٣٦م موفدا من الهيئات الإسلامية في الصين , ليرفع إلي جلالة الملك فاروق الأول بإسم مسلمي الصين واجب العزاء في وفاة المغفور له الملك فؤاد الأول وفروض التهنئة إلي

---

(١) كان ذلك في عهد الشيخ محمد الاحمدي الظوهري شيخ الازهر(١٩٢٩-١٩٣٥م)

(٢) ينسب الأول إلي البدرشين محافظة االجيزة والثاني إلي دسوق بمديرية الغربية وهو جد الأستاذ الدكتور السيد فليفل العميد الأسبق لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية (الباحث)

جلالة الملك فاروق الأول بمناسبة توليه عرش مصر فتبرع جلالته للمكتبة بالكتب المهمة التي تقدر بعشرات الصناديق وحفظت في الأزهر الشريف بسبب الحرب التي دارت بين اليابان والصين .

ثم زار مصر وغيرها من البلاد الإسلامية الأديب الأستاذ "محمد سليمان ين قنغ يو" نائب جمعية (التبليغ الإسلامية) في آخرأكتوبر سنة ١٩٣٤م لتوطيد روابط الأخوة بين بلاد الإسلام والصين .

ثم جاءت بعثة الإخاء الإسلامية إلي مصر في أول سنة ١٩٣٨(١) وأعضاؤها أربعة ماعدا رئيسها "جلال الدين وان زينغ شان" وهم :

١-إبراهيم متيان بنغ

٢-داود هي وين بوغ

٣-يوسف جنغ جولي

٤- سعد وان شيمين .

وكان الغرض من قدومهم إلي مصر هو أن يكشفوا خطة اليابان في آسيا للمسلمين في العالم وموقف مسلمي الصين من الحرب الصينية اليابانية , ويدرسوا ثقافة الشرق ويهيئوا الأذهان لمعرفة أحوال الصين عامة وأحوال المسلمين فيها خاصة

ثم جاء الحاج "الإمام نور محمد دابو جين" ناظر مدرسة المعلمين الإسلامية بشنغهاي ورئيس الجمعية الإسلامية الصينية لزيارة مصر بعد بعثة الإخاء ليبين للمصريين أن الصين تحب السلم وتحافظ عليه, ولا تقوم بالتضحية إلا في الوقت المناسب, والمسلمين فيها كذلك متحدون مع مواطنيهم في الدفاع عن بلادهم .

ولما انشأت جمعية التعاون الثقافية بين الصين ومصر في سنة ١٩٣٨م عين المغفور له الدكتور "عبد الحميد سعيد" رئيس جمعية الشبان المسلمين حينئذ والأستاذ "محمد خالد حسنين بك" كبير مفتشي العلوم الحديثة بالأزهر الشريف والاستاذ الشيخ "إبراهيم شاكوجين" رئيس البعثات الصينية و"محمد تواضع" رئيس البعثة الفاروقية في جمعية الشبان المسلمين هذه .

ثم زار وفد الصين للتعارف الاسلامي مصر في سنة ١٩٣٩م كان مؤلفا من الأستاذين "عيسي يوسف" و"عبد الله مافولينغ" .

ولما قرر الأزهر الشريف تدريس اللغة الصينية لطلاب قسم تخصص الوعظ والإرشاد بالأزهر الشريف عين الشيخ محمد تواضع مدرسا يتولي تدريس هذه اللغة فالعلاقة الثقافية بين مصر والصين بلغت حينئذ شأواعظيما .

ثم زار مصر وغيرها من البلاد الإسلامية الأستاذ "عثمان" والمندوب عن رئيس جمعية الدفاع الاسلامية (عمر باي تشونج هيسي) ١٩٤٣ م لتوطيد العلاقات والروابط الدينية والثقافية أما العلاقة التجارية بين مصر والصين فكان سببها العلاقات الثقافية وترجع الي سنة ١٩٢٥م حيث أن تجار الصين ابتدأوا تجارتهم فرديا بمصر وقد باعوا الأواني الخزفية الصينية والحرير الطبيعي والشاي والأغطية المختلفة وغيرها .

---

(١) كان ذلك في عهد الشيخ محمد مصطفي المراغي شيخ الازهر الشريف والمولود في مراغة احد مراكز محافظة سوهاج ويطلقون علي بيتهم فيها بيت القاضي لان معظمهم كانوا قضاة في المحاكم الشرعية وهو أحد تلاميذ الشيخ الإمام محمد عبده ومن نوابغهم (الباحث) وراجع أيضا: الأزهر بين المراغي والظواهري بحث لنا نشر في حولية كلية اللغة العربية وبحثنا في ندوة الشيخ المراغي مجلة الأزهر.

أما العلاقة السياسية فهي متاخرة عن العلاقات الأخري فإن العلاقات الدينية والثقافية هي الباعث الأول علي إهتمام الحكومة الصينية بالشئون الدينية للبلاد فأنشأت القنصلية في القاهرة في أول سبتمبر ١٩٣٥م وهي بداية العلاقة بينها وبين البلاد الإسلامية عامة وبين مصر خاصة وإتفقت الحكومة الصينية والحكومة المصرية علي رفع القنصلية الصينية إلي درجة مفوضية .

وأخيرا قد قررت الحكومة المصرية إنشاء مفوضية لها بالصين لتزداد العلاقة بين هاتين الدولتين الشرقيتين فيما بعد إن شاء الله .

بعثات طلاب الصين إلي الأزهر الشريف :

في عهد الشيخ محمد الأحمدي الظوهري شيخ الأزهر (١٩٢٩-١٩٣٥م) أرسل بعثة أزهرية يرأسها الشيخ فليفل الكبير وقد أخذت صورة لها مع فضيلته كما أرسلت الصين عدة بعثات في عهده وفي عهد أسلافه .

البعثة الفؤادية نسبة للملك فؤاد والبعثة الفاروقية في عهد الملك فاروق .

وكان رئيس البعثات الشيخ **ابراهيم شاكوجين** وعددهم ٢٤ وهم :

- حاج قاسم
- محمد عبد الله قوبلاي
- محمد حسن صادق علي
- محمود إدريس عبد القادر
- عثمان ليشنجي
- عبد الخالق اسماعيل التركستاني
- نعمة الله
- رضوان عمر عبد الله
- إسماعيل إبراهيم
- سيد إسماعيل
- أحمد سليمان محمد محمد
- أحمد يوسف محمد محمد
- محمد إسماعيل
- علاء الدين نائب
- لقمان ياسين
- محمد صالح يوسف عيد
- عبد الله يونس نصر الدين
- موسي ماجين وه

- محمد نور الإسلام عبد الله
- عبد العزيز عاشور
- عبد الأحد حامد
- نور محمد ناهين
- الشيخ محمد تواضع بان شيجان
- شيخ رواق الصين

زائر كريم من سينكيانج (تركستان الشرقية):

حل بمصر زائر كريم١٩٩١م هو (الحاج **محمد صالح**) مدير المعهد الإسلامي ونائب رئيس المجمع العلمي للأبحاث الدينية "سينكيانج" في جمهورية الصين قادماً تلبية لدعوة مصر للإشتراك في الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وقد حظي بتكريم رئيس الجمهورية الذي منحه وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولي وقد لاقاه مدير تحرير مجلة الأزهر الأستاذ"عادل خفاجة" وسأله ان يعطيه نبذة عن حياتة قال: إنه يعمل مديرا للمعهد الإسلامي "بسينكيانج" بمدينة "أورومتشي" بجمهورية الصين حفظ القرآن الكريم عندما بلغ الثانية عشرة ثم شرع في تعلم اللغة العربية علي يدي والده رحمه الله الذي كان عالما كبيرا من علماء بلده .

ثم إلتحق بمعهد العلوم الصينية الإسلامية ببكين

وعن المواد الدراسية للمعهد قال: يدرس الطلاب اللغة العربية والنحو والصرف وعلوم البلاغة والفقة وأصوله والحديث وقواعده والتفسير والتوحيد والتاريخ الإسلامي بالإضافة إلي المواد الثقافية مثل اللغة الصينية والجغرافيا والتاريخ والرياضيات ويقيم الطلاب إقامة كاملة حتي يتوافر لهم ميزة التحصيل الجاد وتتولي الحكومة دفع الرواتب وجميع نفقات الدراسين وعن طريق تدريس اللغة العربية لأبناء الصين قال فضيلته : أن اللغة العربية من أشرف اللغات لأنها لغة القرآن الكريم ولغة النبي صلي الله عليه وسلم ولغة أهل الجنة لذلك يجب علي كل من أراد أن يتعلم العلوم الدينية أن يتعلم اللغة العربية أولاً .

أما عن طريقة تعليمها فإنا نعتمد علي الطريقة المتبعة وهي تعليم الحروف الهجائية في الكتاتيب , عن طريق تدريس كتاب قاعدة بغدادية وهي طريقة لتعليم القراءة أيضا ويشتمل الكتاب نفسه علي "جزءعم" والكتاب يطبع في الصين والهند وباكستان وكذلك نقوم بتدريس اللغة العربية بطرق حديثة وتدريس مادة التوحيد (من كتاب التوحيد للإمام محمد عبده) بالإضافة إلي دروس التجويد التي تدرسها بعض الجامعات الاسلامية .

وفي الأدب تم إضافة الأدب العربي الحديث, إلي جانب الأدب العربي القديم ويحصل الطالب حاليا علي شهادة تفيد تخرجه .

أما في الماضي فلم يكن للطلاب امتحان بل ثمة حفل تتم فيه إجازة الطالب علي مسئولية العلماء كما كان الحال في الأزهر قديماً ومضي يتحدث عن والده فقال كتب والدي رحمه الله قصيدة يحثني فيها علي حفظ ألفية ابن مالك كان مطلعها .

مسائل النحو في ألفية جمعت	فيها قواعد ما من غيرها سمعت
محمد قد تسمي باسم جامعها	فذا دليل علي عليائها ارتفعت

وكذلك كتب قصيدة أخري يشجعني فيها علي تحصيل هداية النحو وكان مطلعها:

هداية النحو ضاعت من مسائلها   عقول أهل العلا والفضل والأدب

لا سيما منهم بناذا محمدا السباق   في الجد والإخلاص والطلب

أبقاه ربي مدي الأيام مرتديا   بحلة العلم فينا عالي الرتب

قلت لفضيلته يدوأن والدكم كان شاعرا مجيدا فأجابني مبتسما : كان شاعرا نحريرا ....

كان عالما من علما بلده , حضر ضمن الوفد الصيني الذي زار مصر سنة ١٩٥٥م وقال قصيدة عن مصر أذكر منها هذه الابيات :

وما مصر إلا جنة عبقرية   تحلت بنور الهدي والمعارف

فأعجبنا الأهرام فيها وسرنا   لقاء الكرام الأتقياء الأشارف

نحارير سباقون في العلم والهدي   فأكرم بها من كل هاد وعارف

لقد تألمت كثيرا لوفاته ورثيته بأبيات منها :

كنت أشكو الفراق إذ أنت حيا   كيف لي الصبر فيك بعد وفاتك

قد تركت ابنك الحزين غريقا   في بحار الهموم والحسرات

نور الله تربة أنت فيها   وساقها بوابل الهاطلات

من رضاء ورحمة ونوال   وصنوف الإكرام والنعمات

يجمع الله بيننا يوم حشر   في رياض الفردوس والجنات

يبدو لي أن فضيلتكم محب للشعر فبادلني قائلا (من شابه أباه فما ظلم) ثم استطرد قائلا (لقد ألقيت قصيدتين بين يدي العاهل المغربي الحسن الثاني كان مطلع الأولي .

جئت من أقصي بلاد الصين   إذ كنت مشغوفا بحب المغرب

إنني جئت لألقي أخوة   رحبوا بي كالشقيق الأقرب

ومطلع الثانية :

فيض الدموع علي الخدين هتان   من لوعة الحب قلبي اليوم ولهان

أرنو إلي المغرب الأقصي المحبب   إذ تأججت في فؤادي منه نيران

هواه يلهمني شعرا فيعزب لي   به غناء وتغريد وألحان

وقد حل بمصرأيضا أسرة تركستانية علي رأسها الشيخ الجليل سماحة العلامة أبو النصر مبشر الطرازي الحسيني من أسرة عريقة معروفة بالعلم والزعامة والوطنية, ولد بمدينة طراز في ٢٧ رجب سنة ١٤١٤هـــ ووالده هو سماحة الشيخ "السيد محمد خان" بن الشيخ "محمد غازي خان"

وكان والده عالما كبيرا مرجعا للأمة في الفقة الحنفي ,وينسب الشيخ مبشر من ناحية أمه إلي السيد بزرك خان آخر أمراء الدولة الإسلامية في تركستان الشرقية والتي أسسها جده الأمير السيد هداية الله خان المعروف في التاريخ بلقب

(آفاق خوجم) والتي دامت ثلاثة وتسعين سنة , إلي أن تنازل عن عرشها الأمير "بزرك خان" لقائد جيشه الأمير "يعقوب خان" وهاجر إلي الحرمين الشريفين وإشتغل بعبادة الله تعالي حتي توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع .

نشأ الشيخ "مبشر" بطراز وتلقي تعليمه الابتدائي علي يدي خاصة من الأساتذة ثم إنتقل إلي طشقند حيث أتم الثانوية والعالية وتخرج من جامعة ابي القاسم خان في تشقند ثم اتم دراسته العليا في جامعة بخاري بدرجة ممتاز في العلوم النقلية والعقلية بعد إمتحان فوق العادة من هيئة الممتحنين برئاسة الشيخ برهان الدين قاضي قضاة بخاري كما تخصص في علم التفسير والحديث والأدب العربي علي يد شيخه "محمد سعيد العسلي الشامي" وحصل منه علي سند الحديث الشريف .

وقد إشتهر رضي الله عنه بعد حصوله علي تلك الدرجات بلقب العلامة .

كتب وهو طالب مقالات في شتي الموضوعات في مجلة (الإصلاح) بطشقند ومجلة "آيينة" بسمرقند وعيين رئيس لمجلة (الإيضاح) التي كانت تصدرها جمعية العلماء بطشقند وهو لايزال طالبا بالجامعة .

وأسس وهو طالباً اتحادا للطلبة بتركستان في سنة ١٩١٧م في سبيل الحصول علي إستقلال تركستان ثم عين مدرسا للعلوم الإسلامية بمدرسة والده بمدينة طراز ثم عُين بالإجماع قاضياً للشريعة الإسلامية, وهو منصب يساوي شيخ الإسلام في تقاليد تركستان ثم إنتخب في سنة ١٩٢٦م من قبل المؤتمر الشعبي رئيسا للنظارة الدينية .

وفي هذه الفترة, حفلت حياته بكثير من النضال في سبيل دينه الإسلام ومصلحة شعبه فقد تسلطت الشيوعية علي تركستان وقاومها الطرازي, وندد بمبادئها ....فألقي به في السجن مرارا ..ونفي مرة ..حتي تآمر القوم علي إعدامه .

ولكنه إستطاع أن يهاجر في سبيل الله .

هاجر إلي أفغانستان بدينه وعقيدته فما أن سمع ملك أفغانستان (محمد نادر شاه) بقدومه حتي سارع إلي تكريمه , ومنحه الجنسية الأفغانية فوق العادة , وعينه في الديوان الملكي برتبة مديرعام كماعينه عضواً في الأكاديمية الأدبية الأفغانية ثم عينه عضواً لتأليف دائرة المعارف الأفغانية وكتب مادة الإسلام فيها كان رحمه الله مجاهداً كريماً من المجاهدين عالماً من أعلام المسلمين كبيرعلماء تركستان والذي كان طرازاً فريداً وحده, حفلت حياته بالجهاد في سبيل الله والإقبال علي العلم والإهتمام بأمرالمسلمين, وألف الكتب الكثيرة بالعربية والفارسية في نشر الإسلام وتعاليمه وكان دائم الذكر لله عز وجل والصلاة والسلام علي رسوله (ص) ,حتي أنه قبيل موته بليلتين كان قد ختم كتاب الله تعالي وجمع حوله أولاده وأحفاده يدعو له ولهم ويأمنون علي دعائه قبل وفاته بليلة واحدة , إنتهي من تأليف كتابه "نبذة من سيرة رسول الله" في سنة ١٩٣٢م, سافر إلي السعودية في عهد الملك عبد العزيزآل سعود في وفد أفغاني وكيلاً لرئيسه الأميرأحمد شاه خان, وعقد معاهدة صداقة بين الشعبين السعودي والأفغاني وفي سنة ١٩٣٦م سافر إلي بلاد الهند قبل إستقلالها وتقسيمها وإلتقي بكبارعلماء وزعماء الإسلام هناك ودعاه شاعر الإسلام الدكتور "محمد إقبال" إلي إلقاء محاضرة في المؤتمرالسنوي في جمعية حماية الإسلام في لاهورفألقي محاضرة بعنوان (وجوب الإتحاد الإسلامي) وظل رحمه الله يجاهد داعياً المسلمين إلي الأخوة والإتحاد وظل يدعو إلي وجوب تحرير بلاده تركستان من الإحتلال الشيوعي .

رحيله الي مصر:

وقد رأي أخيراً أن مصرهي الوطن الذي يعلق عليه الآمال لخير الإسلام والمسلمين وأنها التربةالصالحة لزيادة ونمو الحركة الإسلامية,فترك أفغانستان وحط عصي الترحال في مصر في سنة ١٩٤٩م فأستقبله المصريون بالترحاب .

وما أن حضر إلي مصر حتي بدأت صلاته بمختلف الجمعيات الإسلامية "الشبان المسلمين" و"الإخوان المسلمين" و"الجمعية الشرعية" و"شباب سيدنا محمد" و"الهداية الاسلامية" التي كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري الأصل التونسي المولد والنشأة شيخ الأزهر الشريف .

واشتغل في مصر بالقضايا العربية والإسلامية وبقضية تحرير "تركستان" واشترك في المؤتمرات والندوات والهيئات الإسلامية المختلفة واختير وهو في مصرعضواً في مجلس إدارة هيئة الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية بالقاهرة نظراً لتاريخيه المجيد وجهاده الطويل .

وتقدم إلي هيئة الأمم المتحدة بصفته زعيم تركستان بمذكرة عن وطنه, وما يلقاة المسلمون هناك من ظلم وتعذيب وسجن وإعتقال ونفي وإعدام وتشريد وطالب بوجوب تحرير بلاده وإستقلالها من الإستعمار الشيوعي .

كان لايترك مشكلة من مشاكل المسلمين إلا ويسارع إلي الكتابة فيها والإتصال بالصحف الإسلامية المختلفة وكم طالع الناس مقالاته العلمية التي تفيض غيرة علي الإسلام والمسلمين في مجلات الإخون المسلمين , والاعتصام , والنذير , وصوت الإسلام , ومنبر الإسلام.

ولسماحته رحمه الله مؤلفات كثيرة في مختلف اللغات التركية والفارسية والعربية, ومن أشهرها بالعربية كتاب كشف اللثام عن رباعيات الخيام وهو كتاب كشف فيه ما دسه المستشرقون في تاريخ عمر الخيام من أنه كان سكيراً ماجناً .

وكتاب نبذة في السيرة النبوية , إلي الجندية أيها العرب بشأن قضية فلسطين وكتاب التعليقات الطرازية علي المجموعة النبهانية في المدائح النبوية وكتاب صيام رمضان وكتاب أوائل الشهور العربية وكتاب الأربعون الطرازية.

وكانت آخر مؤلفاته التي ظهرت "إلي الدين الفطري الأبدي" وهو مكون من جزئين طبعة "رابطة العالم الإسلامي" في مجلدين بمكة المكرمة يدعو فيه الناس إلي دين الله الخالد ألا وهو دين الإسلام الحنيف , وقد ذيل كل قسم من

أقسام الكتاب , بإعترافات علماء وفلاسفة من المنصفين لتكون عبرة لمن يعتبر سواء كان من المسلمين ضعاف العقيدة أوغيرهم من أصحاب الديانات الأخري والمذاهب الإجتماعية السياسية وكان رحمه الله يفيض وجدا وولها بحب رسول الله (ص) فكان إذا جاء ربيع الأول من كل عام يحتفل بذكري مولد سيد المرسلين (ص) احتفالا عظيما في بيته , احتفالا يفيض بالبهجة والفرح لهذه الذكري الكريمة ويدعو لهذا الحفل الإخوان والأحباب ويلقي كلمة تناسب هذه الذكري الحبيبة

هذه هي سطور من تاريخ العلامة الشيخ مبشر الطرازي الذي كان طرازاً وحده في حياته طرازاً واحدا في جهاده طرازاً وحده في صدقه لربه ولرسوله ولدينه وقد أنجب الشيخ عالمين جليلين هما الدكتور"السيد نصر الله مبشر الطرازي" أستاذ اللغة الفارسية والتركية في أقسام اللغات الشرقية بجامعات الأزهر والقاهرة وعين شمس وله تلاميذه الكثر الذين يدينون له بالفضل والحب والولاء, وبارك الله في نجله الأستاذ السيد مبارك وأطال الله عمره ورحم الله والده وأسكنه فسيح جناته وغفر الله له زلاته وأطال الله عمر شقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الله مبشر الطرازي أستاذ اللغات الشرقية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة (١) توفي الشيخ مبشر الطرازي في الثالث من ربيع الاول ١٣٩٧هـ ودفن في مصر في قرافة البساتين (٢)

---

(١) راجع كلمة في الاحتفال بعيد الجلوس الملكي للملك فاروق في ملاحق هذا البحث عن نشاط طلاب تركستان الادبي والثقافي و (الباحث الدكتور مجاهد توفيق الجندي يشكرالأستاذ السيد مبارك نصر الله مبشر الطرازي الذي أهداه الكثير من الصور والوثائق التي خصه بها والتي أفاد منها كثيرا في هذا البحث وكلها تنشر هنا لأول مرة.

(٢) راجع مجلة الإعتصام عدد ٧ شهر ربيع أول ١٣٩٧هـ – مارس ١٩٧٧م .

وهذه ترجمة لنجله العلامة:

لقد أنجبت بلاد تركستان وبخاري علماء كباراً في مختلف مجالات العلم الحديث والتفسير والفقه والبلاغة واللغة والأدب وكذلك في الطب والعلوم والرياضيات وغيرها وكان كثير من هؤلاء العلماء يجيدون ثلاث لغات ويؤلفون بها كتبهم العلمية وكان هدفهم الأول: خدمة الإسلام عن طريق هذه العلوم المفيدة التي حث ديننا الحنيف علي الإهتمام بها والقيام بنشرها في مشارق الأرض ومغاربها لخير الإنسانية جمعاء .

ومن بين هؤلاء العلماء عالم باحث عاش في مصر وخدم العلم في جامعاتها بالتأليف والتدريس والإشتراك في كثير من المؤتمرات فساهم بذلك في

رفع شأن العلم والإسلام وهوالأستاذ نصر الله مبشر الطرازي نجل المفكرالإسلامي المعروف الشيخ مبشر الطرازي الحسيني (المتوفي بالقاهرة عام ١٣٩٨هـ) وزوج ابنة آخر ملوك بخاري "السيد محمد عالم" الذي هاجر من بلاده عام ١٩٢١م.

ويقيم الأستاذ نصر الله في القاهرة مع أسرته الكبيرة منذ عام ١٩٤٩م وقد حصل علي الجنسية المصرية وعمل في وظائف عدة بدار الكتب المصرية منذ عام ١٩٥٠ حتي أصبح رئيسا لقسم الفهارس الشرقية .

وفي أثناء وظيفته بدار الكتب تم إنتدابه للتدريسبجامعات (القاهرة وعين شمس والأزهر) لتدريس اللغات الشرقية والإسلامية وآدابها منذ عام ١٩٦٦م حتي عام ١٩٨٢م ثم بعد إحالته إلي المعاش من طرف دار الكتب المصرية تم إختياره أستاذا متفرغا بدرجة أستاذ بكلية الآداب بجامعة عين شمس وكان يقوم بالتدريس لطلاب الدراسات العليا والإشراف علي رسائلهم العلمية .

فهرسته للمخطوطات والمطبوعات : قام خلال مدة خدمته بدار الكتب (٣١سنة) بفهرسة وتصنيف أكثر من ثلاثة وعشرين ألف كتاب مطبوع ومخطوط وإعداد فهارس بطاقية لها ثم أعد فهارس مطبوعة للمخطوطات والمطبوعات التركية والفارسية وطبعت هذه الفهارس بدارالكتب المصرية وهي كالأتي:

١-نور الدين عبد الرحمن الجامي (فهرس بمؤلفاته المخطوطة والوطبوعة بدار الكتب ثم طبعه وإصداره عام ١٩٦٤م).

٢-فهرس المخطوطات الفارسية (التي تقتنيها دار الكتب منذ تأسيسها عام ١٨٧٠م حتي عام ١٩٦٣م وتم إصداره في ثلاثة أجزاء عامي ٦٦و١٩٦٧م) .

٣-الفهرس الوصفي للمخطوطات الفارسية المزينة بالصور (والمحفوظة بدار الكتب المصرية وصدرعام ١٩٦٨م بتقديم من الأستاذ الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة ونائب رئيس مجلس الوزراء المصري في ذلك الوقت).

٤-فهرس المطبوعات التركية العثمانية (التي تقتنيها الدار منذ إنشائها حتي عام ١٩٦٩م وتم طبعه وإصداره عامي ٨٢و١٩٨٣م في ثلاثة مجلدات).

٥-ملحق فهرس المطبوعات التركية العثمانية (التي تقتنيها دار الكتب المصرية من عام ٧٠ حتي عام ١٩٨٠ وتم إصداره عام ١٩٩٢م).

٦-فهرس المخطوطات التركية العثمانية (التي اقتنتها دار الكتب المصرية منذ عام ١٨٧٠حتي نهاية ١٩٨٠م صدر منه المجلد الأول والثاني والثالث والرابع من عام ١٩٨٧م إلي عام ١٩٩٢م والجزء الخامس تحت الطبع وهو كشّافات).

٧-فهرس المطبوعات الفارسية (التي تقتنيها الدار منذ عام ١٨٧٠حتي نهاية ١٩٨٠م تحت الطبع بدار الكتب المصرية).

٨-فهرس المطبوعات التركية الحديثة (التي اقتنتها الدار من عام ١٩٢٨ إلي١٩٨٠م وتم إعداده للطبع).

وهكذا أعد الأستاذ نصر الله الطرازي وطبع فهارس المخطوطات والمطبوعات الشرقية بدار الكتب في ستة عشر مجلـــدا موسوعيا.

مؤلفاته:

وللأستاذ نصر الله الطرازي مؤلفات كثيرة في التاريخ الإسلامي وقواعد اللغات الشرقية وآدابها ودراسة الوثـــائق العلميـــة أهمها :

١-تاريخ بخاري للنرشخي (ترجمها بالإشتراك مع الدكتور أمين عبد المجيد بدوي من الفارسية إلي العربيـــة و ع التحقيـــق والتعليق و الإضافة وأصدرته دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٦٨م ثم أعيد طبعه عام ١٩٧٦م .

٢-قواعد اللغة الفارسية (وطبع بالقاهرة عام ١٩٧٨م).

٣-الدبلوماتيقا (علم دراسة الوثائق ونقدها- دراسة الوثائق العثمانية وطبع لأول مرة عام ١٩٨٦م في القاهرة ثم طبع عام ١٩٨٩م).

٤-دراسات في البلاغة التركية العثمانية والعروض والقوافي (وطبع بالقاهرة عام ١٩٨٦م).

٥-النبذة في قواعد اللغة العثمانية والنصوص (وطبع بالقاهرة عام ١٩٨٦م).

٦-وثائق تركية عثمانية (مختارات من المنشآت والرسائل الديوانية والفرمانات السلطانية مع نبذة من الفـــواتح والخـــواتيم ومجموعة من صور الوثائق العثمانية وطبع بالقاهرة ١٩٨٥م ثم طبع عام ١٩٨٦م).

٧-الأساليب الفارسية الحديثة والمعاصرة (وطبع بالقاهرة عام ١٩٨١م).

٨-نظم عثمانية (نظام الحكم العثماني سياسيا وإداريا وإقتصاديا وعسكريا).

٩-تاريخ تركستان ماضيها وحاضرها (وطبع بالقاهرة مكتبة الآداب).

١٠-أثر اللغة العربية وثقافتها علي اللغة العثمانية وأدبها (تحت الطبع).

١١-إسهامات علماء الترك في إرساء التراث الإسلامي (تحت الطبع).

١٢-دراسات في المخطوطات التركية (تحت الطبع).

١٣-دراسات في المخطوطات الفارسية (تحت الطبع).

١٤-ديوان شعر تركي وفارسي (تحت الطبع).

١٥-فن الخط العربي ومدارسه مع النماذج من مختلف أنواع الخطوط (تحت الطبع).

زياراته ومؤتمراته وبحوثه:

وزار الأستاذ نصر الله الطرازي كلا من تركيا عام ١٩٦٧م وبلغاريا سنة ١٩٧٣م بدعوة حكومية رسمية كما اشـــترك في عدة مؤتمرات في مصر وتركيا وألقي فيها محاضرات في مواضيع تاريخية وأدبية مختلفة أهمها :

١-كلمة ألقاها في مؤتمر الدراسات التركية في سبتمبر ١٩٨٢م بجامعة إستانبول (باللغة التركية) عن العلاقـــات الثقافيـــة المصرية التركية .

٢-كلمة عن الدراسات التركية والمكتبات في مصر "ألقاها في المؤتمر العلمي للدراسات التركية بجامعة إستانبول (باللغـــة التركية) في سبتمبر ١٩٨٤م.

٣–محاضرة بعنوان "التأثير والتأثر بين الأدبين الفارسي والعثماني" ألقاها في مؤتمر الدراسات التركية الخامس الدولي بجامعة إستانبول عام ١٩٨٥م.

٤–محاضرة بعنوان "غزو روسيا لأفغانستان –جذوره وأبعاده" ألقاها باللغة العربية في أسبوع أفغانستان بكلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة في مارس ١٩٨٥م.

٥–محاضرة بعنوان "مواقف عظيمة للسيد جمال الدين الأفغاني " ألقاها في أسبوع أفغانستان المقام بكلية الأداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٧٧م.

٦–محاضرة بعنوان تركستان موطن الأتراك وإسهاماتها في التراث الإسلامي ,ألقاها بالعربية في مؤتمر العلاقات العربية التركية الذي أقامه مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس بالقاهرة سنة ١٩٨٥م.

٧–بحث بعنوان "التزاوج بين الأدبين الفارسي والعثماني– التطبيقات والنماذج" ألقاه في ندوة العلامة الطرازي بكلية الآداب بجامعة عين شمس بالقاهرة عام ١٩٨٧م.

٨–بحث "المكتبات في مصر منذ نشأتها إلي اليوم والجهود المبذولة لإعداد الفهارس البطاقية والبيليوجرافية لها" ألقاه في المؤتمر الثالث لعلماء الإعلام والمكتبات المسلمين الذي إنعقد في إستانبول في مايو ١٩٨٩م.

وله أيضا العديد من المقالات تم نشرها في مصر وباكستان وأفغانستان باللغات العربية والتركية والفارسية والأوزبكية أهمها :

١–مقال بعنوان "من الأدب الشعبي الأفغاني" نشر في مجلة (الشعر) بالقاهرة عدد نوفمبر عام ١٩٦٤م.

٢–مقال بعنوان "رفائيل الشرق كمال الدين بهزاد المصور: عصره وحياته وأسلوبه وخصائص فنه وآثاره" نشر في مجلة "المجلة" بالقاهرة عدد١٢٢ فبراير عام ١٩٦٧م.

٣–مقال بعنوان بهزاد (الرسام الهروي العالمي الشهير) نشر في مجلة أفغانستان في يوليو ١٩٥٨م.

٤–مقال بعنوان "موقف الإسلام تجاه الشيوعية والرأسمالية" نشر في جريدة "ترجمان أفكار" الصادرة باللغة الأزبكية من كراتشي بباكستان العدد ٥و٦ عام ١٩٥٢م.

٥–مقال بعنوان "وحدة تركستان الوطنية" نشلر باللغة الأوزبكية في جريدة "ترجمان أفكار" الصادر بكراتشي "العدد الصادر في ١٩٥٣/١/٢٠م.

٦–مقال بعنوان "الإمام البخاري" باللغة الأوزبكية نشر في مجلة "تركستان" الصادرة من القاهرة عدد ١٩٥٤/٥/١١م.

٧–مقال بعنوان "الإمام أحمد ابن حنبل" بالأوزبكية نشر في مجلة "تركستان" الصادرة من القاهرة بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٨م.

٨–حديث إذاعي بعنوان "نداء إلي المجاهدين الأفغان" باللغة الفارسية من الإذاعة الموجهة من القاهرة خلال العام ١٩٨١م.

نسأل الله تعالي أن يرحم الأستاذ نصر الله الطرازي ويبارك نجله ويوفقه مزيد التوفيق لخير العلم وخدوة الإسلام والمسلمين.

الخاتمة

هذا والموضوع شائق وماتع لكنه طويل ويحتاج الي وقت كثير ولكننا أدلينا بدلونا فيه وما لا يدرك كله لا يترك كله ولانه لم يستوف حقه من البحث والدرس سنعود اليه مرة أخري ومرات كثيرة حتي نستوفيه كاملا ان شاء الله والكمـــال لله وحده وذلك اذا كان في العمر بقية وفي الحياة يسر وسهولة والخلاصة :

أن العلاقات الثقافية بين الأزهر ومسلمي الصين علاقات قديمة ربما بقدم الأزهر نفسه وقد ظهر جليا من خلال البعثات الصينية الفؤادية والفاروقية وما قبلهما أن نشاط هذه البعثات الصينية في القاهرة وأنخراطهم في الجمعيات الأهلية والثقافية والدينية والسياسية وتأليف الكتب والترجمة للكتب العربية إلي اللغة الصينية ومنها إلي العربية كانت مجالا واســعاً لفائـــدة الشعب المصري والشعب الصيني في تبادل الثقافات وتعميق العلاقات ودعم الإتصالات وتقويتها طيلة السنوات الماضـــية والسنوات القادمة ان شاء الله .

وهذا وقد استعنا في كتابة هذا البحث بالوثائق النادرة وهي أوراق من ملف الشيخ محمد تواضع رئيس البعثة الفاروقيـــة بالأزهر الشريف وبها أسماء زملائه الذين انتخبوه لمشيخة الرواق وذلك لهمته العالية وأخلاقه الكريمة وكلمتـــه المســـموعة وحب زملائه له وخدمته لهم وصلته القوية بمشيخة الأزهر الشريف كما استعنا بكتابه الماتع الصين والاسلام الذي فسر لنا وظائف زملائه وترجماتهم وأعمالهم الثقافية كما إستعنا بالكلمات التي ألقاها طلبة التركستان في عيد جلوس وزواج الملك فاروق الأول ملك مصر سنة ١٩٥١م وهي قطع أدبية فريدة تنم عن ثقافة عربية أصيلة كما استعنا بمجلة صوت تركستان أعداد مختلفة منها سنة ١٤٠٤هـــ ١٩٨٤م و١٤٠٥هـــ ١٩٨٥م كما إستعنا أيضا بأعداد من مجلة الأزهر وهذه ترجمـــة لنجله العلامة الأستاذ الدكتور نصر الله مبشر الطرازي رحمه الله .

ملاحق البحث:

وثيقة رقم -١-

١٩٤٠/٤/٢٢

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر
أدام الله بقاءه
بعد أهداء التحية وإخلاص الولاء أتشرف بإحاطة فضيلتكم علماً بأني
بعد سفر إبراهيم شاكوجين، رئيس البعثات الصينية وشيخ رواق
الصين في ١٤ يوليه ١٩٣٨، وبعد سفر الرئيس وشيخ الرواق بالنيابة
الشيخ يوسف جانيوجين في آخر شهر رمضان ١٣٥٨هـ، أتولى بالإشراف
على أمور البعثة والرواق مؤقتاً، باعتباري سكرتيراً لها، وذلك
بعد موافقة أكثر أعضاء البعثات الموجودين في الأزهر. غير أنني
أرى إني غير مستطيع في القيام بأعمالهم كما يجب، لذلك أرجو
من فضيلتكم أن تعينوا عضواً آخر ليكون شيخاً للرواق، وتكون
المراسلات الرسمية بين الأزهر والرواق باسمه. وإني مقترح على
تعيين الشيخ محمد تواضع بان شيجيان، رئيس البعثة الفاروقية
الحالي، شيخاً للرواق، لأنه أكبر عضو سناً من بين الطلبة الصينيين
بالأزهر الشريف وكلمته مسموعة في أكثر الأحيان.
فألتمس من فضيلتكم، إذا وافقتم على اقتراحي، أن تتفضلوا
بتعيينه شيخاً للرواق الصيني من الآن، وتكليف إدارات الأزهر
بوجوب إرسال خطاباتها إليه بعنوانه بمعهد القاهرة، بدلاً عني الجهة
الجديدة. ولكم الشكر الجزيل. والسلام

تحريراً في ٢١
مارس ١٩٤٠

بدر الدين الصيني
البعثة الصينية



٢٢٧٢

بدر الدين الصيني كتب عريضة لشيخ الأزهر أنه كان سكرتير البعثة الأزهر وبعد سفر رئيسها إبراهيم شاكوجين شيخ رواق الصين ١٩٣٨م أنه لا يستطيع تحمل أعباء الرواق ويرشح الشيخ محمد تواضع لحب كل زملائه له

- ٢٠٧ -

الجامع الأزهر

مذكرة

إدارة المستخدمين والمعاشات

امر اداري

إلى ادارة المستخدمين والمعاشات

بعد الاطلاع على المادة ٤١ من اللائحة الداخلية للمعاهد الدينية

راينا تعيين الشيخ محمد تواضع شيخا لرواق الصين بمراتب قدره ثلاثة جنيهات شهريا اعتبارا من تاريخ مباشرته العمل

فيتخذ ما يلزم لتنفيذ ذلك

يوليه سنة ١٩٤٣

شيخ الجامع الازهر

الدكتور مجاهد توفيق الجندي
استاذ كرسي الحضارة الاسلامية
والتاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالدراسة - القاهرة

وثيقة تبين مرتب الشيخ محمد تواضع بعد تعيينه شيخا لرواق الصين بالأزهر الشريف وتنشر لأول مرة ولم نسبق إلى نشرها

الجامع الأزهر
مشيخة القسم العام

استمارة رقم ٣ (ز)
١٩٣٨/٢/٥٦٠٠٠

رقم التقييد (المكاتبة المقتضى تسديدها)
رقم الصفحة والجزء اسم الجهة
رقم صفحة الكوريا تاريخ المكاتبة
عدد المرافقات رقم المكاتبة

المضمون : إخطار بمباشرة الشيخ محمد تواضع شيخ رواق الصين عمله بيوم ١٤ أغسطس ٩٤٣

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

الشيخ محمد تواضع الذي تعين شيخاً لرواق الصين بغية الرئاسة رقم ٢٧٥ باشر عمله من يوم ١٤ أغسطس ٩٤٣

وحرر هذا إخطاراً بذلك رجاء التفضل بإجراء اللازم

٧ شعبان ٣٦٢
٨ أغسطس ٩٤٣

٢/٩
١/١٩

وثيقة تبين مباشرة الشيخ محمد تواضع لعمله شيخاً لرواق الصين بالأزهر من يوم ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٣م

تنشر لأول مرة

مجلس الأزهر الأعلى

استمارة رقم ٢ دوه
١٠٠٠٠-٢-١٩٣٢

مذكرة رقم (٥)

بشأن : النظر في إهداء مكتبة مدرسة المعلمين الإسلامية في عاصمة الصين مشيخة كتبا على حساب مجلة نور الإسلام .

تقوم مشيخة الجامع الأزهر بإصدار مجلة نور الإسلام لنشر مبادئ الإسلام الصحيحة وتعاليمه القويمة وبيان أحكام الكتاب والسنة في المسائل التي تعرض لها وترسل المشيخة من أعدادها في أنحاء المعمورة لينتفع بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وبعض هذه الأعداد يرسل مجانا تشجيعا في قضائها وعلى انتشارها .

وقد أنشأت مدرسة المعلمين الإسلامية في بكين عاصمة الصين مكتبة إسلامية باسم حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم « فؤاد الأول » وتحقيقا للغرض الذي أنشئت من أجله مجلة نور الإسلام رأينا أن نزود هذه المكتبة بما ينفع الطلبة هناك في تعلمهم اللغة العربية والدين الإسلامي ويكشف عن الكتب العربية والدينية التي نراها وافية بالغرض المطلوب . فاخترنا الكتب المبينة في الكشف المرافق وعددها ستون كتابا تبلغ نحو سبعة جنيهات تصرف على حساب مجلة نور الإسلام وترسل إلى تلك المكتبة .

نعرض ذلك على المجلس للنظر وتقرير ما يراه

شيخ الجامع الأزهر

٢٨ ذي الحجة ١٣٥١
٢٢ إبريل ١٩٣٣

فهرس

تابع فهرس